



شرح ديوان المتنبي

للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني
المتوفى سنة ٤٧١ هـ



دراسة وتحقيق
عبد الرحمن بن دخیل ربّه المطرفي



شرح ديوان المتنبي

للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني
المتوفى سنة ٤٧١ هـ

دراسة وتحقيق

عبد الرحمن بن دخیل ربّه المُطَرِّفي



شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن
الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

البريد الإلكتروني: nashr@ksaa.gov.sa

ح / مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ١٤٤٦ هـ
المطري، عبد الرحمن بن دخیل ربه
شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني
المتوفى سنة ٤٧١ هـ / عبد الرحمن بن دخیل ربه المطري -
الرياض، ١٤٤٦ هـ

٩١٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع: ١٤٤٦/٨٥٧٣
ردمك: ٧-١٨-٤٩٨-٨٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أم يدوية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المجمع بذلك.

الآراء الواردة في هذا الكتاب تمثل رأي المؤلف، ولا تعكس - بالضرورة - رأي المجمع.

هذه الطبعة إهداء من المجمع، ولا يُسمح بنشرها ورقياً، أو تداولها تجارياً.



هذه الطبعة إهداء من المجمع.
ولا يُسمح بنشرها ورقياً، أو تداولها تجارياً.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المجمع	٧
المقدمة	٩
١- لمحة من حياة أبي الطيّب	١٢
٢- ترجمة الشّارح	١٧
٣- وصف المخطوط	٢٤
٤- توثيق نسبة الشّرح	٢٧
٥- سبب تأليفه	٣٢
٦- منهج الشّارح	٣٣
٧- مصادره	٤٩
٨- شواهد	٥٥
٩- قيمة الكتاب	٦١
١٠- منهج التحقيق	٦٥
النّص المحقّق:	٧١
مقدّمة الشّارح	٧٣

الموضوع	الصفحة
قافية الهمزة	٧٥
قافية الألف الساكنة	٢٣٣
قافية الباء	٢٥١
قافية الباء	٤٦٣
قافية التاء	٦٩٩
قافية الجيم	٧٣٧
قافية الحاء	٧٤١
قافية الدال	٧٧٨
الفهارس:	
فهرس الآيات القرآنية	٨٠٨
فهرس الأحاديث	٨١٦
فهرس الأمثال	٨١٧
فهرس قصائد المتنبي	٨١٨
فهرس الأشعار	٨٢١
فهرس الأعلام	٨٦١
فهرس الأماكن	٨٧٥
فهرس المصادر والمراجع	٨٨٠



مقدمة المجمع

ينشط مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية في مسارات عملٍ متنوعة، ويتولى مهاماً متعددة تتّصل بنشر اللغة العربية، ودعمها، وتعزيز مكانتها، والمحافظة على سلامتها نطقاً وكتابةً، والنّظر في فصاحتها، وأصولها، وأساليبها، وأقيستها، ومفرداتها، وقواعدها، وتيسير تعلّمها بداخل المملكة العربية السعودية وخارجها؛ لتواكب المتغيرات في جميع المجالات، ويتمثّل طموح المجمع في أن يصبح مجمّعاً متميزاً يخدم اللغة العربية، وينطلق من قلب العالم الإسلامي والعربي، ومن مهد العروبة الأول، وأن يصبح رائداً ومرجعياً عالمياً في مجال اللغة العربية وتطبيقاتها المتنوعة.

وضمن توجيهات سمو وزير الثقافة، رئيس مجلس الأمناء الأمير بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود - حفظه الله - في دعم أعمال المجمع، وبرامجه: العلميّة، والثّقافيّة، والبحثيّة، أطلق المجمع مشروعَ (المسار البحثي العالمي المتخصّص)؛ لتلبية الحاجات العلميّة، ومواجهة المشكلات اللّغويّة، وسدّ الفجوات المتعلّقة بالبحث والنّشر العلمي، وفتح الآفاق العلميّة والمعرفيّة المتنوعة، واستكمال مسارات النّشر اللّغويّة المتخصّصة.

ويهدف المشروع إلى تعزيز دور المجمع، وإيصال رسالته؛ بتغطية مساحاتٍ متنوعة من التخصّصات، والفنون المتعلقة باللغة العربية، وإثراء المحتوى العلمي ذي العلاقة بمجالات اهتمام المجمع، ودعم الإنتاج العلمي المتميّز وتشجيعه، وفتح المجال أمام الباحثين والمختصّين، وتوثيق صلتهم بالمجمع؛ وذلك بإشراكهم في أعمال هذا المشروع.

ويضمُّ المشروع مجالاتٍ بحثيةً متنوعة، ويغطي الموضوعات التي تعرّز موقع العربية ضمن اللُّغات الحضاريّة العالميّة، ومن أبرزها: (دراسات التّراث اللُّغوي العربي وتحقيقه، والدّراسات حول المعجم، وقضايا المصطلح، وقضايا الهوية اللُّغويّة، ومكانة العربية وتعزيزها، واللّسانيّات التّطبيقيّة، والتّخطيط اللُّغوي، والسّياسة اللُّغويّة، واللّسانيّات الحاسوبيّة، والتّرجمة، والتّعريب، وتعليم اللُّغة العربيّة للناطقين بها وبغيرها، والدّراسات البيئيّة).

وقد بدأ المشروع باستقبال الدّراسات النّوعيّة الجادّة، وتواصل مع: (المختصّين، والباحثين، والمؤسّسات العلميّة داخل المملكة العربيّة السعوديّة وخارجها)، ودعاهم إلى المشاركة في المشروع، واتخذ الإجراءات المتصلة بتحكيم الأعمال والنظر في جديتها وأصالتها ومدى إضافتها للمكتبة العربية واستنادها إلى المعايير المتعارف عليها في البحث والمنهج والتوثيق قبل طباعتها ونشرها.

وفي سياق اهتمام المجمع بتحقيق التراث اللُّغوي العربي ودراسته، يأتي هذا الكتاب (شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجاني)؛ وهو دراسة وتحقيق لشرح الإمام اللُّغوي الفذّ عبد القاهر الجرجاني لديوان أبي الطيب المتنبي، اعتنى فيه المحقّق بسلامة نص المخطوط وإقامته، وضبط أشعار المتنبي، وتخريج ما ورد فيه من شواهد.

ويجتهد المجمع في انتقاء الكتب التي يكون في نشرها إضافة معرفيّة نوعيّة، ويأمل أن يكون هذا الكتاب مفتاحاً لمشروعات علميّة وعمليّة ويحقّق إثراء معرفياً لافتاً.

ويشكر المجمع محقّق الكتاب سعادة الأستاذ الدكتور عبد الرّحمن بن دخيل ربّه المطرّف؛ لما تفضّل به من عمل علميٍّ جادٍّ، ويدعو الباحثين إلى التّواصل مع مشروعات المجمع، ومنها: مسار البحوث والنّشر العلمي؛ للمشاركة فيه والمساهمة في إثرائه.

الأمين العام للمجمع

أ.د. عبد الله بن صالح الوشمي

المقدّمة

الحمدُ لله الذي خَلَقَ الإنسانَ وعَلَّمَهُ البيانَ، أحمدهُ تعالى وأستعينه، وأشهدُ به،
وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله؛ القائل: "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ
لِسِحْرًا" صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أيُّها القارئ الكريم؛ بين يديك أثرٌ من كنوز من تراثنا، ونفحةٌ من نفحاتِ أسلافنا
-رحمهم الله- إنَّه شرحُ ديوانِ المتنبي للإمام عبد القاهر الجرجاني. وَحَسْبُكَ بَأْيَ الطَّيِّبِ
وبعبد القاهر من عبقرين في الأدب والعلم!

وإذ جَادَ الزَّمانُ بهذا العِلْقِ النفيسِ فإنَّه ضَنَّ بتمامه، فلم يصلنا منه إلا صدره،
وبقي سائرُه في طَيِّباتِ الزَّمانِ.

تعودُ علاقتي بهذا الشَّرحِ إلى سنواتٍ طوالٍ مضتْ^(١)، حَقَّقْتُه فيها وأنجزته،
وفضَّلتُ ألا أستعجلَ نشرَه؛ رجاءً أن أظفرَ بتمامه، أو أن أظفرَ بنسخةٍ أخرى منه
تشفعُ نسخته هذه المليئة بالأوهام. ولكنَّ شيئاً من ذلك لم يكن؛ مع طولِ البحثِ
والسَّؤالِ والتحرِّي.

(١) أصل هذا العمل أطروحة علمية، نال بها الباحث درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت إشراف د. عائض بن سعد الحارثي.

وكان بعض الفضلاء يلومني على تأخري في إخراج هذا الشرح، ويحثني على طباعته وإخراجه للناس.

وهأنذا اليوم أفرغ له، وأعيد النظر فيه، وأقدمه للقراء الكرام.

وقد بذلت جهداً مضنياً في تحقيق هذا المخطوط ذي النسخة الوحيدة؛ بما فيها من أوهام كتابية كثيرة. وأتبعْتُ منهجاً معتدلاً في تحقيقه، يركز على سلامة النص وإقامته، مع التوسُّط في التعليقات والشروح والتخريجات. راجياً أن أكون وضعتُه في صورة مرضية؛ هي أقرب إلى مراد صاحبه - رحمه الله.

آثرت أن أضع بين يدي النص المحقق مقدّمات موجزة في بيان قيمة هذا الشرح، ومنهج صاحبه فيه، والإشارة إلى مصادره وشواهد، والحديث عن قيمته، وعن توثيق نسبه، وعن وصف نُسخته الخطية، ومنهج التحقيق فيه.

أزعم أن هذا الشرح سيكون منبعا لدراسات وبحوث كثيرة؛ في اللغة والأدب والتاريخ؛ فقد شحنته مؤلفه بتقريرات علمية متينة، وآراء فريدة، وموازنات جمّة، وحجاج علمي مستفيض.

وإنني - بعد حمد الله تعالى والثناء عليه - لأشكر كل من قدّم لي عوناً في سبيل إخراج هذا العمل. وأخص بالشكر شيعي الأستاذ الدكتور عبد الله بن صالح الفلاح؛ المحقق الحصيف، الخبير بتراث المتنبي وأدبه، أشكره أن خصني بهذا المخطوط القيم، وأثّرني به على نفسه - بارك الله فيه ونفعنا بعلومه.

كما أشكر سعادة الدكتور محمد العزام - وهو الخبير كذلك بالمتنبي وتراثه - لما قدّمه لي من خبرة كبيرة ساهمت في التغلب على كثير من مبهمات هذا المخطوط ومعضلاته.

والشكر والتقدير لمجمعنا الوطني "مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية" بجميع منسوبيه ولجانه؛ أن تبنوا كتابي هذا؛ تقويماً فطباعاً ونشراً. جزاهم الله خيراً،

وبارك في جهودهم العظيمة في خدمة اللغة العربية ؛ تحت ظل حكومتنا الرشيدة، أدام
الله عزها ونصرها، وأيدها، وحفظها مناراً للعلم والخير أبداً.
والحمد لله أولاً وآخراً.

عبد الرحمن بن دخیل ربه المطرفي

المدينة المنورة ٢٠ شعبان ١٤٤٥هـ

١- لمحة من حياة أبي الطيّب:

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي^(١).

ولد سنة ٣٠٣ هـ؛ بمحلة تسمى (كندة) بالكوفة^(٢).

اختلف في صغره إلى كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة^(٣)، ثم ارتحل مع والده إلى البادية، وأقام بها مدةً، اكتسب فيها اللغة واللسان الخالص^(٤).

ثم عاد إلى الكوفة وانحدر منها إلى بغداد فيما بين سنتي ٣١٩ هـ و٣٢٠ هـ، ورأى ما بها من ضعف الخلفاء واستبداد الأعاجم بالحكم من دونهم^(٥).

ثم رحل إلى أطراف الشام سنة ٣٢١ هـ^(٦)، ومدح بها جماعة من رؤساء العرب في منبج وطرابلس واللاذقية، وخلال هذه الأثناء أحدث أبو الطيّب اضطراباً وشاع أنه ادّعى النبوة؛ ما جعل أمير حمص يقبض عليه ويودعه السجن، فلبث فيه زهاء سنتين، ثم أطلقه^(٧).

(١) وفي سياق نسبه خلاف، وهذا هو المشهور.

انظر: تاريخ بغداد ١٠٢/٤ (دار الكتاب العربي)، ونزهة الألباء ٢١٩ (مكتبة المنار)، والمنظّم ١٦٢/١٤ (دار الكتب العلمية)، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٦٣٩/٢ (دمشق)، ووفيات الأعيان ١٢٠/١ (إحسان عباس)، وسير أعلام النبلاء ١٩٩/١٦ (مؤسسة الرسالة)، والوافي بالوفيات ٣٣٦/٦ (فرانزشتاينز)، والنجوم الزاهرة ٣٤٠/٣ (دار الكتب المصرية)، والصباح المنبي عن حثية المتنبي ٢٠ (دار المعارف).

والجعفي: نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة، من قبيلة مذحج اليمانية.

انظر: جهمرة أنساب العرب ٤٠٧ (دار المعارف).

(٢) يتيمة الدهر ١١١/١ (محمد محي الدين عبد الحميد)، والمصادر المذكورة في نسبه.

(٣) الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصبهاني ٦ (الدار التونسية للنشر).

(٤) يتيمة الدهر ١١١/١، وتاريخ بغداد ١٠٢/٤، ونزهة الألباء ٢١٩.

(٥) بغية الطلب ٦٤٤/٢، والمتنبي لمحمود شاكر ١٩٧، وذكرى أبي الطيب لعبد الوهاب عزام ٤٢ (دار المعارف).

(٦) المتنبي لمحمود شاكر ١٩٨، وذكرى أبي الطيب ٤٦.

(٧) تاريخ بغداد ١٠٤/٤، ونزهة الألباء ٢٢٢، والمنظّم ١٦٤/١٤، وبغية الطلب ٦٤٦/٢.

بعد خروج المتنبي من السجن زار الكوفة. ثم عاد إلى اللاذقية مرة أخرى، وابتدأ التكسب بالشعر بمدح رؤسائها التنوخيين، ودخل في الصراع بينهم، وعندما اضطرب أمرهم خرج إلى بدر بن عمّار في طبرية فمدحه بعدة قصائد رائعة، فلما استقر الأمر لصاحبه علي بن إبراهيم التنوخي عاد إلى اللاذقية للمرة الثالثة^(١).

توجّه أبو الطيّب تلقاء أنطاكية سنة ٣٣٤هـ، ومدح من لقي بها من الوجهاء، ولا سيما أبو العشائر الحمداني والي أنطاكية من قبل سيف الدولة أمير حلب^(٢).

وصل أبو العشائر أسباب المتنبي ببلاط سيف الدولة، وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ، فأعجب المتنبي بسيف الدولة كما أعجب سيف الدولة بالمتنبي^(٣).

أصبح المتنبي شاعر سيف الدولة، بعد أن أحمل الشعراء الآخرين، فأخذ يخلد مآثر سيف الدولة وانتصاراته على الأعداء بقصائد وافرة تعدّ أفضل ما أنشأه أبو الطيب.

ولم يزل المتنبي في ظل سيف الدولة معزّزاً مكرّماً حتى كثُر من حوله الوشاة والحساد؛ فأفسدوا ما بينه وبين أميره؛ مما اضطره إلى الرحيل عن حلب -كئيباً حزيناً- وكان ذلك سنة ٣٤٦هـ^(٤).

خرج أبو الطيب من حلب إلى دمشق، ومنها إلى الرملة، فبلغته في هذه الأثناء دعوة كافور الأخشيدي بالمسير إليه، وتأميله بضيعة أو ولاية إن هو أجاب؛ فسار إلى القسطنطينية بمصر، واستقبله كافور بالحفاوة والتكريم^(٥).

(١) شرح الواحدي ٢٠٦ وما بعدها، ومعجز أحمد ١١٧/٢ وما بعدها.

(٢) شرح الواحدي ٣٣٨ وما بعدها، ومعجز أحمد ٤٨١/٢ وما بعدها، والصبح المنبي ٦٨، والمتنبي لمحمود شاكر ٢٩٥-٣٠٠.

(٣) بغية الطلب ٦٣٩/٢، ٦٦٣، ووفيات الأعيان ١٢٢/١، والصبح المنبي ٧١.

(٤) بغية الطلب ٦٣٩/٢، ووفيات الأعيان ١٢٢/١.

(٥) الصبح المنبي ١١٠، ١١١.

أقام الشَّاعرُ بمصرَ أربعَ سنين وستةَ أشهر، يمدح كافوراً، ويستنجزه ما وعد، ولكنَّ كافوراً كان يدفعه ويماطله، فعزم أبو الطَّيِّب على الرحيل، فخرج من مصرَ -خُفِيَّةً- في ذي الحِجَّة سنة ٣٥٠هـ، متوجَّهاً قبل العراق^(١).

أغذَّ السيرَ، واستطاع أن يخفيَ مسيرَه، فلم يفلح كافور في اللِّحاق به. لقد ضرب برواحله أرضَ التَّيه ومجاهيلَ المنازل والمناهل في شمالي الجزيرة، حتى دخل الكوفةَ في ربيع الأول من سنة ٣٥١هـ^(٢).

أقام أبو الطَّيِّب مدَّةً بالكوفة، ثمَّ رحل إلى بغداد، ونزل بدار صديقه عليَّ بن حمزة البصري. وفي هذه الأثناء قرئ ديوانُ المتنبي -بحضرته- وسمعه جماعةٌ من العلماء منهم عليُّ بن حمزة وابنُ جني^(٣).

عاد أبو الطَّيِّب إلى الكوفة وأقام بها سنةً ونصفاً، قبل أن يرحلَ إلى أَرَجَان -مروراً ببغداد- قاصداً الوزيرَ الأديبَ ابنَ العميد؛ فبلغه في صفر سنة ٣٥٤هـ^(٤).

أعجب المتنبيُّ بأدب ابن العميد، وثقافته وبلاغته؛ فمدَّحه وأثنى عليه، وأقام في ضيافته مدَّةً، حتى ورد عليه كتابُ عضدِ الدولة يستدعيه، فأشار عليه ابنُ العميد بالمسير إليه^(٥).

توجَّه المتنبيُّ إلى عضدِ الدولة بشيراز، فاستقبله واحتفى به وأسبغَ عليه عطاياه. فمدَّحه بعددَ قصائد، وأقام عنده زهاءَ ثلاثةَ أشهر، ثم استأذنه في الرحيل، فأذن له، فودَّعه الشَّاعرُ، ورحلَ في شعبان سنة ٣٥٤هـ متوجَّهاً إلى بغداد فالكوفة^(٦).

(١) بغية الطلب ٦٧٥/٢، ووفيات الأعيان ١٢٢/١.

(٢) الصبح المنبي ١٢٥-١٢٧، المتنبي لمحمود شاكر ٣٧٥.

(٣) يتيمة الدهر ١٢٠/١، وتاريخ بغداد ١٠٢/٤، ونزهة الألباء ٢١٩، وبغية الطلب ٦٤٢/٢، ٦٦٧.

(٤) الصبح المنبي ١٤٧، والمتنبي لمحمود شاكر ٣٧٧، ٣٧٩، وذكرى أبي الطَّيِّب ١٧١، ١٧٨.

(٥) بغية الطلب ١٢٢/٢، والصبح المنبي ١٥٩.

(٦) يتيمة الدهر ١٢٢/١، والمتنظم ١٦٥/١٤، وبغية الطلب ٦٨٠/٢، وفيات الوفيات ٣٤٥/١٦، والمتنبي

لمحمود شاكر ٣٨٥، ٣٩٠.

سار من شيراز - بمراكبه وأمواله وغِلْمانه - حتى بلغ الأهواز، فواسط، ولبث بها مدّة قصيرة، ثم سار متّجّهاً إلى بغداد، حتى إذا شارفها، وبلغ مكاناً يُقال له (دير العاقول) هجم عليه قومٌ من بني أسد، فقاتلهم أبو الطيب، فقتلوه، في آخر شهر رمضان من سنة ٣٥٤ هـ^(١).

لقد خرج أبو الطيب على الناس بشاعريّة فذّة، ونفيس طموح؛ فبهر الناس، وتنازعوا أمره، واختلفوا فيه ما بين ماذح له وقادح فيه، ومتعصّب له، ومتعصّب ضده، فاستحوذ على عناية العلماء والأدباء، وصرفهم عن بقية الشعراء، حتى كان بحق - كما وصفه ابن رشيّق - مالى الدنيا وشاغل الناس^(٢).

لقد كتب العلماء عشرات الكتب والرسائل في شرح ديوانه، ونقد شعره، مما لم يظفر به شاعرٌ سواه، قال ابن خلكان مصوراً تلك العناية: "واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه، وقال لي بعض المشايخ الذين أخذت عنهم: وقفتُ له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطوّلاتٍ ومختصراتٍ، ولم يفعل هذا بديوان غيره"^(٣).

حتى إذا بلغنا عصر ابن كثير نجدّه يقول: "وقد شرح ديوانه العلماء باللغة والشعر نحو من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً"^(٤). ولم تزل عناية العلماء والنقاد بشعر أبي الطيب وسيرته وشاعريته تزداد وتنامى على مرّ الأيام!

ويطول بنا المقام لو حاولنا أن نفصّل الأسباب التي من أجلها تميّز أبو الطيب من بين الشعراء العرب، فاستأثر بعناية الأدباء والعلماء والنقاد.

(١) يتيمة الدهر ١/٢٢٤، وتاريخ بغداد ٤/١٠٥، ونزهة الألباء ٢٢٣، وبغية الطلب ٢/٦٨٢، ووفيات الأعيان ١/١٢٣.

(٢) العمدة ١/٢١٢ (دار المعرفة).

(٣) وفيات الأعيان ١/١٢١.

(٤) البداية والنهاية ١١/٢٧٦ (دار الكتب العلمية).

ويكفي من ذلك الإشارة إلى أمرين أسهما إسهاماً كبيراً في ذلك المجد وتلك العناية:

أولهما: روح الطموح والتحدّي التي تميّز بها أبو الطيب؛ في مواجهته للشدائد والصعاب، مع نظراتٍ ثاقبة في الحياة، وطبائع البشر، وصراعاتهم ومواقفهم. وذلك ما عبّر عنه القاضي الفاضل بقوله: "إنّ أبا الطيّب ينطق عن خواطر النّاس"^(١).

ثانيهما: تفرّده في طريقته وأسلوبه وصياغته، ودقّة اختياره لألفاظه، وبراعته في اصطياد المعاني وتوليدها، وقوّة خياله وتصويره^(٢).

وما كتب عن أبي الطيب - قديماً وحديثاً، عند العرب وعند غيرهم، مما وصل إلينا وما لم يصل - أمراً واسع سعة البحر، حتى وُضعت في ذلك كتبٌ برأسها، من ذلك - على سبيل المثال:

- (رائد الدراسة عن المتنبي) لكوركيس عواد وميخائيل عوّاد. حاول فيه مؤلفاه جمع أكبر طائفة مما كتب عن أبي الطيب - قديماً وحديثاً - من كتب ورسائل ومقالات وشذرات من لدن ابن جنيّ حتى تاريخ صدوره.
- (أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين) للدكتور عبد الله الجبوري.
- (ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين) لبلاشير.
- (المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين) للدكتور حسن الإمراي.

(١) انظر: الوافي بالوفيات ٣٣٦/٦.

(٢) انظر: ذكرى أبي الطيب ٣٢٠ وما بعدها، وأبو الطيب المتنبي لبلاشير ٤٧٣ وما بعدها (دار الفكر).

٢- ترجمة الشارح:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني^(١).

فارسي الأصل، جرجاني الدار^(٢).

وقد ذكر بعض الباحثين المعاصرين^(٣) جَدًّا لعبد القاهر اسمُهُ (محمد)، ولم يذكروا مستنداً لهم في ذلك. وقد رأيتُه في مقدمة نسخة من نسخ كتابه (دلائل الإعجاز) مكتوبة سنة ٥٦٨هـ^(٤).

لم تُحدّد كتب التاريخ والتراجم تأريخاً لمولد عبد القاهر، ولم تُفدنا بشيء عن نشأته، ولا عن حياته الأسرية.

ولذلك قدّربعضُ الباحثين أن تكون أسرُهُ عبد القاهر رقيقة الحال، ليست ذات نصيب من جاهٍ أو مناصب، فلم تلفت أنظار المؤرخين إليها^(٥). فظلَّ الرَّجُلُ مغموراً في بواكير حياته؛ حتى لفت انتباه المؤرخين إليه بما ابتناه لنفسه من مكانة علمية سامقة.

وذكر بعض المؤرخين^(٦) أن عبد القاهر اتصل بوزير السلاجقة (نظام الملك) ومدحه بأبيات. ولكن يبدو أنها صلة عابرة؛ لم تؤثر في مجريات حياته.

(١) دمية القصر ٥٧٨/١ (دار الجيل)، ونزهة الألباء ٢٦٤ (دار المنار)، وإنباه الرواة ١٨٨/٢ (دار الفكر العربي)، وفوات الوفيات ٣٦٩/٢ (دار صادر)، وطبقات الشافعية للسبكي ١٤٩/٥ (الحلي)، وطبقات الشافعية للأسنوي ٤٩٢/٢ (بغداد)، وبغية الوعاة ١٠٦/٢ (المكتبة العصرية)، وطبقات المفسرين للداودي ٣٣٠/١ (مكتبة وهبة)، وشذرات الذهب ٣٤٠/٣ (مكتبة القدسي).

(٢) إنباه الرواة ١٨٨/٢. وجرجان مدينة كبيرة، تقع جنوبي بحر قزوين؛ فُتحت سنة ١٨هـ في عهد عمر رضي الله عنه. تاريخ جرجان للسهمي ٤٤، ٤٥ (عالم الكتب).

(٣) انظر: معجم المؤلفين ٣١٠/٥، والأعلام ٤٨/٤، وعبد القاهر الجرجاني: للدكتور أحمد بدوي ٥ (المؤسسة المصرية)، وعبد القاهر الجرجاني: للدكتور أحمد مطلوب ١١ (الكويت)، وعالم اللغة، عبد القاهر الجرجاني: للدكتور البدر دواوي زهران ١٥ (دار المعارف).

(٤) دلائل الإعجاز ٣ (محمود شاكر).

(٥) عبد القاهر الجرجاني لأحمد بدوي ٥.

(٦) القفطي في إنباه الرواة ١٨٩/٢.

ظلَّ عبد القاهر في موطنه "جرجان" متصدراً للعلم، يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه، إلى أن توفي -رحمه الله - سنة إحدى وسبعين وأربعمئة من الهجرة^(١).
وقيل: إن وفاته كانت سنة أربع وسبعين وأربعمئة^(٢).

لم يُهيأ لعبد القاهر أن يرحلَ في طلب العلم، فقد ذكر غير واحد من المؤرخين أنه لم يبرح بلدَه (جرجان)^(٣)؛ ولعل من بين الأسباب التي حرمته من ذلك ضيق ذات يده ورقة حال أسرته^(٤).

وقد هيا الله له أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي^(٥) -تلميذ أبي علي، وابن أخته - وكان من أعلام العربية في عصره، نزل جرجان، واستقر بها، وتصدر فيها للدرس والإقراء؛ فتزاحم عليه طلبة العلم، فكان من بينهم عبد القاهر الذي لزم أبا الحسين، وثقف على يديه علوم العربية، وقرأ عليه طائفة من مصنفات العلماء، كـ(الإيضاح) لأبي علي^(٦).

(١) إنباه الرواة ١٨٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٨، وفوات الوفيات ٣٧٠/٢، وطبقات السبكي ١٥٠/٥، وطبقات المفسرين للداودي ٣٣١/١، والبلغة للفيروزآبادي ١٣٥، وبغية الوعاة ١٠٦/٢، وشذرات الذهب ٣٤٠/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٨، وطبقات السبكي ١٥٠/٥، وطبقات المفسرين للداودي ٣٣١/١، وبغية الوعاة ١٠٦/٢.

(٣) نزهة الألباء ٢٦٤، وإنباه الرواة ١٨٩/٢، وبغية الوعاة ١٠٦/٢.

(٤) عبد القاهر الجرجاني لأحمد بدوي ٥، وعبد القاهر الجرجاني لأحمد مطلوب ١٤.

(٥) طوَّف في بلاد كثيرة قبل أن يستقرَّ بجرجان، وكان يملئ من الأدب والنحو ما تسير به الركبان، اتصل بالصاحب بن عباد، ثم وزير للأمر ساد غرسي ستان، ثم وزير للأمر إسماعيل بن سبكتكين الغزنوي. وورث علم خاله أبي علي، وصار إمام النحو من بعده. له مصنفات، منها: كتاب (الهجاء)، وكتاب (الشعر)، ولم يصل إلينا من مؤلفاته شيء. توفي أبو الحسين سنة ٤٢١ هـ.

نزهة الألباء ٢٥١، وإنباه الرواة ١١٦/٣، ومعجم الأدباء ٢٥٢٣/٦.

(٦) انظر: مقدمة (المقتصد) ٦٨/١.

ويبدو أن أبا الحسين هو الشيخ الوحيد الذي تتلمذ عليه عبدُ القاهر، فقد قال عنه ابن الأنباري: "لم يلق شيخاً مشهوراً في علم العربية غيره"^(١)، وقال ياقوت: "وليس له أستاذ سواه"^(٢)، ونقله السيوطي^(٣)، وقال الفيروز آبادي: "ولم يقرأ على غيره"^(٤).

وقد قيل: إنَّ عبد القاهر تتلمذ على ثلاثة شيوخ آخرين، هم: الصاحب ابن عباد، توفي سنة ٣٨٥ هـ، أبو الفتح ابن جني، توفي سنة ٣٩٢ هـ، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، توفي سنة ٣٩٢ هـ^(٥).

والذي يظهر أنَّ عبد القاهر لم يأخذ عن هؤلاء العلماء مباشرة، أو أنَّه تتلمذ على كتبهم فحسب؛ وذلك لبعدهما بينه وبينهم زمناً، ولأنَّه لم يصف أيَّ واحد منهم بوصف يفيد السَّماع أو اللَّقيا في كتبه كلَّها^(٦).

وتصدَّر عبد القاهر للدرس والإقراء بجرجان، بعد أن علا كعبه في العلم؛ فتقاطر عليه طلبة العلم من كل صوب، وتخرَّج عليه جماعة من العلماء، منهم: أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي أو الشَّجَري، وعلي بن محمد بن علي المعروف بالفصيح -وهو أشهر تلاميذه- وأبوزكريا يحيى بن علي التبريزي صاحب التصانيف المشهورة^(٧).

وقد أورثنا الإمامُ عبد القاهر -رحمه الله- مصنفاتٍ وافرة، جليلةَ القدر، عظيمةَ الأثر، متنوعةَ المشارب والمآرب: في علوم القرآن، وفي النحو والصرف، وفي البلاغة والبيان، وفي الأدب، وغير ذلك.

(١) نزهة الألباء ٢٦٤.

(٢) معجم الأدباء ٢٥٢٤/٦.

(٣) بغية الوعاة ٩٤/١.

(٤) البلغة ١٣٤.

(٥) معجم الأدباء ١٧٩٧/٤، وروضات الجنات ٩٠/٥ (إيران).

(٦) انظر: عبد القاهر الجرجاني لأحمد بدوي ٦، وعبد القاهر الجرجاني لأحمد مطلوب ١٤، ١٥، ومقدمة المقتصد ٣١/١.

(٧) نزهة الألباء ٢٦٤، ٢٧٤، وإنباه الرواة ١٩٠/٢، ودمية القصر ٥٦٨-٥٧٢، ومعجم الأدباء ١٨٧/١، وبغية الوعاة ٣٢٠/١.

ومن كتبه التي وصلت إلينا:

١- الرسالة الشافية: لم يذكرها أحد ممن ترجم لعبد القاهر بهذا الاسم. وهي مطبوعة^(١). وقد تناول عبد القاهر في هذه الرسالة بعض جوانب إعجاز القرآن.

٢- التتمة في النحو: وهو من المتون النحوية المختصرة، حققه الدكتور طارق نجم عبد الله^(٢).

٣- التلخيص: وشرح فيه عبد القاهر كتابه (الجمال) الآتي ذكره.

حققته خديجة بنت محمد حسين الباكستاني^(٣).

٤- الجمل: ويسمى (الجرجانية)، كتاب مشهور، ذكره جميع من ترجم لعبد القاهر، وهو شرح لكتاب (العوامل) الآتي ذكره.

وشرح كتاب (الجمال) طائفة من العلماء^(٤)، كما شرحه عبد القاهر نفسه. وقد طبع عدة طبعات^(٥).

٥- العمدة في التصريف، أو العمدة في التصريف: وهو كتاب مختصر في الصرف، حققه الدكتور البدر اوي زهران^(٦)؛ باسم (العمد)، وثار جدال بينه وبين الدكتور رمضان عبد التواب في نسبة المطبوع إلى عبد القاهر^(٧).

(١) ضمن "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، بتحقيق خلف الله أحمد وزميله. ثم نشرها العلامة محمود شاكر ملحقة "بدلائل الإعجاز".

(٢) نشرته المكتبة الفيصلية؛ مكة المكرمة، الطبعة الأولى؛ ١٤٠٥هـ.

(٣) نالت به درجة الماجستير من جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٠٥/٥.

(٥) منها طبعة بتحقيق علي حيدر - على نسخة فريدة - نشرها بدمشق، سنة ١٩٧٢م. ثم حققه يسري

عبد الغني عبد الله على ثلاث نسخ، نشرته دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

(٦) نشرته دار المعارف؛ مصر، ١٩٨٧م.

(٧) على صفحات مجلة (عالم الكتب) القاهرية، نقلاً عن (يسري عبد الله، محقق كتاب "الجمال" ١١، ١١٢).

٦- **العوامل، أو العوامل المائة:** والكتاب من المتون المختصرة، عرض فيه عبد القاهر العوامل النحوية؛ اللفظية والمعنوية. وهو من أشهر كتب عبد القاهر، وقد طبع عدة مرات^(١).

٧- **المقتصد في شرح الإيضاح:** اختصر فيه عبد القاهر كتابه (المغني) الذي شرح به (الإيضاح) لأبي علي شرحاً مطوّلاً، والمقتصد من أشهر مؤلفات عبد القاهر النحوية، وذكره جميع من ترجم له، وحققه الدكتور كاظم بحر المرجان^(٢).

٨- **المقتصد في شرح التكملة:** وهو القسم الثاني من كتاب (المقتصد)، والخاص بشرح كتاب (التكملة) لأبي علي الفارسي، وهو يُذكر عادة مع كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، ولا يكاد يميّز منه. والكتاب - كأصله - في الصرف. وحقق الكتاب في رسالة علمية الدكتور أحمد بن عبد الله الدويش^(٣).

٩- **أسرار البلاغة.**

١٠- **دلائل الإعجاز:** وهذان الكتابان أشهر ما ألف عبد القاهر، وأفضل ما أنتجه فكره، وشهر بهما، ولا سيما في العصر الحاضر؛ حتى لا يعلم الناس من أمره إلا الريادة في علم البلاغة. والكتابان متداولان، مطبوعان عدة طبعات، من آخرها وأفضلها طبعة العلامة محمود شاكر - رحمه الله^(٤).

١١- **المختار من ديوان المتنبي والبحري وأبي تمام:** وهو عبارة عن أبيات ومقتطفات مختارة من أشعار هؤلاء الثلاثة. وقد نشر هذا المختار العلامة عبد العزيز

(١) بيانها في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٠١/٥.

(٢) دار الرشيد؛ بغداد، ١٩٨٢م.

(٣) رسالة دكتوراه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١٢هـ.

(٤) دلائل الإعجاز - بتحقيقه - نشرته مكتبة الخانجي؛ ١٩٨٤م. وأسرار البلاغة - بتحقيقه - نشرته دار المدني؛ ١٤١٢هـ.

الميمني ضمن كتابه (الطرائف الأدبية). ولم يشر إليه أحد ممن ترجم لعبد القاهر، وفي نسبته لعبد القاهر شك كبير^(١).

١٢- شرح ديوان المتنبي: وسأحدث عنه حديثاً مستقلاً بعون الله تعالى. هذا، وقد انتزع الإمام عبد القاهر إعجاب العلماء وتقديرهم؛ لما حباه الله به من علم كبير، وفكر ثاقب؛ كما تنطق آثاره ومصنفاته القيمة. وكان إلى جانب علمه ذا ورع ودين.

قال عنه معاصره الباخرزي: "اتفقت على إمامته الألسنة، وتجمّلت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، وأثنى عليه طيب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر، فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير"^(٢).

وقال عنه الذهبي: وكان عالماً، ذا نُسك ودين، وكان آية في النحو^(٣).

ووصفه الكتبي بقوله: "كان من كبار أئمة العربية"^(٤).

وأثنى عليه السبكي، بقوله: "وصار الإمام المشهور المقصود من جميع الجهات، مع الدين المتين، والورع والسكون. قال السلفي: كان ورعاً قانعاً، دخل عليه لصٌ وهو في الصلاة، فأخذ ما وجد، وعبد القاهر ينظر ولم يقطع صلاته"^(٥).

ووصفه الفيروزآبادي قائلاً: "إمام العربية واللغة والبيان، أول من دوّن علم البيان"^(٦).

(١) انظر: مقدمة الدكتور كاظم بحر المرجان للمقتصد ٣١/٣٠، ومقدمة يسري عبد الغني عبد الله

لكتاب الجمل ١٣.

(٢) دمية القصر ١/٥٧٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/٤٣٣.

(٤) فوات الوفيات ٢/٣٦٩.

(٥) طبقات الشافعية ٥/١٤٩.

(٦) البغلة ١٣٤.

وقال عنه ابن تغري بردي: "شيخ العربية في زمانه، كان إماماً بارعاً مفتناً، انتهت إليه رئاسة النحاة في زمانه"^(١).

وقال عنه طاش كبري زاده: "وفاق أكثر من تقدّمه في التحقيق والتدقيق. ولولم يكن له سوى كتاب (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) لكفاه شرفاً وفخراً"^(٢).

وبلغ إعجاب العلماء بعبد القاهر ذروته في العصر الحاضر؛ فعّدوه - بحق - رائد الدراسات البلاغية واللغوية واللسانية، وكتبت في علمه وفكره الرسائل العلمية والبحوث والمقالات؛ مما يصعب حصره وعدّه. من ذلك مثلاً: (عبد القاهر الجرجاني وجهوده البلاغية) للدكتور أحمد بدوي، و(عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده) للدكتور أحمد مطلوب، و(عالم اللغة، عبد القاهر الجرجاني؛ المتفنن في العربية ونحوها) للدكتور البدر اوي زهران، و(معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني) للدكتور محمد بركات أبو علي.

(١) النجوم الزاهرة ١٠٨/٥.

(٢) مفتاح السعادة ١٧٠/١.

٣ - وصف المخطوط:

هذه المخطوطة محفوظة بمكتبة (فيض الله) في تركيا، برقم (١٦٥٠).

وقد أُرِخ النسخ - الذي لم يذكر اسمه - الفراغ منها في غرة المحرم من سنة ١٠٥٧هـ.

تمثل هذه النسخة الجزء الأول من الشرح، كما ذكرنا نسخه في اللوحة الأخيرة منه.

وهي تقع في (١٣٥) لوحة، في الوجه الواحد حوالي ٣٠ سطراً، ومعدل ما في السطر (١٥) كلمة.

وكتبت بخط نسخي واضح، ومُيزت أبيات الديوان من الشرح بخط كبير، وضُبط بعض الألفاظ بالشكل، ولا سيما أبيات أبي الطيب.

ويكثر لدى النسخ - رحمه الله - التصحيف والتحريف والسقط، حتى لا يكاد يسلم منه سطر واحد! وربما تدارك النسخ شيئاً من ذلك، فصَحَّحه في الحاشية.

أما ما لحقها من تعليقات وتصحيحات، فهي على هذا النحو:

أ. كتب بعضهم تعليقات كثيرة في الحواشي، بخط مخالف، يذكر فيها بعض النظائر الشعرية، أو شرحاً لبعض الأبيات، وأغلب ما ذكر منقول من شرح الواحدي، ويبدو أن صاحب هذه التعليقات هو (منصور الشامي)، الذي كتب اسمه وما يفيد بقرائه لهذا المخطوط على صفحة العنوان، كما سيأتي نص كلامه.

ب. عدلت ألفاظ كثيرة في أصل المخطوط بالمحو أو الكشط. وقد تصحح بعض الكلمات في الحاشية بخط يختلف قليلاً عن خط النسخ.

أما صفحة العنوان، فقد كتب عليها مايلي:

١- عنوان الكتاب، وهو بخط الناسخ.

٢- كتب في أعلى الصفحة: "من كتب الفقير السيد فيض الله، المفتي في السلطنة العلية العثمانية، عُفي عنه".

ووضع خاتم تملكه في أسفل الصفحة؛ ونصّه: "وقف شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي - غفر الله له ولوالديه - بشرط أن لا يخرج من المدرسة التي أنشأها بقسطنطينية سنة ١١١٣" (١).

٣- عبارة "استكتب من نسخة سقيمة جداً؛ فليصحح بحسب الإمكان، والله الموفق". مكتوبة بخط يختلف عن خط الناسخ.

٤- عبارة "رحم الله الشارح، وقبّح كاتب الشرح، فإنه سارح!".

٥- عبارة "الحمد لله وحده، هكذا قدّر، وأسأله التوفيق، مما منّ به صاحب الفضل والمنّ على عبده الفقير منصور المتطبّب المسمّى الشامي، لطف الله به".

وتحت هذه العبارة صورة خاتم، لم أتبيّن منه إلا كلمة (منصور).

٦- ترجمة القاضي الجرجاني؛ مختصرة من (وفيات الأعيان). وهي بخط مخالف لخط الناسخ.

وفي آخر المخطوط كتب أحدهم تعليقاً على نسبة المخطوط لعبد القاهر: «بل هو القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب (الوساطة)؛ كما نقل الواحد في شرحه للديوان».

(١) ومنه مصوّة على ميكروفيلم لدى الدكتور عبد الله الفلاح، وعليها اعتمدتُ.

وهذا قول وإيه متهافت، يكفي في نفيه أن صاحب هذا الشرح ينقل كثيراً عن القاضي الجرجاني ويترحم عليه^(١)! كما أن الواحدي لم يذكر أن للقاضي الجرجاني شرحاً على ديوان المتنبي، وقد تتبعت المواضع التي نقل فيها الواحدي عن القاضي، فوجدتها كلها من كتابه (الوساطة)^(٢).

ووقع في هذا الوهم -انسياقاً وراء هذا القول - مفهرسو مكتبة (فيض الله)، وكذلك فؤاد سزكين في كتابه (تاريخ التراث العربي)^(٣).

وهذا المخطوط لم يزل فريداً وحيداً، لم أظفر له -بعد طول التحري- بنسخة أخرى حتى تاريخه.

(١) النص المحقق: ١٠٢، ٥٥٤، ٥٥٨.

(٢) انظر: شرح الواحدي ٣، ٤، ٢٠٥، ٤٧٣.

(٣) المجلد الثاني؛ الجزء الرابع: ٣٣.

٤- توثيق نسبة الشرح:

نُسب هذا الشرح إلى عبد القاهر الجرجاني في ثلاثة مواضع منه (في صفحة العنوان، وفي صدر مقدمته، وفي خاتمته).

ويعضد هذه النسبة ورود إشارات لدى بعض العلماء الذين ترجموا للمتنبّي، وساقوا أسماء شارحي ديوانه:

١- عَدَّ الصَّفديُّ عبدَ القاهر الجرجانيّ من بين شُرّاح الديوان^(١).

٢- وكذلك البديعيُّ في الصّبح المنبي^(٢).

٣- وأورد محمود شاكر ترجمةً للمتنبّي - منسوبةً لابن عساكر - تتضمّن ذكرَ عبد القاهر من بين شُرّاح ديوانه^(٣).

وَتَمَّ أدلّة من داخل الشّرح نفسه تدعو للاطمئنّان إلى الصّلة ما بين عبد القاهر وهذا الشّرح، وهي:

١- أن للشارح شيئاً وحيداً، ولذلك لم يحتج إلى ذكر اسمه. وإذا نظرنا إلى أسانيده من جهة شيخه وجدناها على النحو الآتي:

أ. أنشد شيخنا عن قطرب^(٤) [توفي سنة ٢٠٦هـ].

ب. قرأت على شيخنا عن أبي الحسن^(٥) [الأخفش توفي سنة ٢١٥هـ].

(١) الوافي بالوفيات ٣٤٤/٦ (فرانزشتاينر)

(٢) الصبح المنبي عن حيشية المتنبّي ٢٦٨ (دار المعارف).

(٣) كتاب (المتنبّي) لمحمود شاكر ٦٦٠.

(٤) النص المحقق: ٧٤٤.

(٥) النص المحقق: ٨٣، ١٢١، ١٨٩.

ج. أنشد شيخنا عن أبي زيد^(١) [توفي سنة ٢١٥ هـ].

د. أنشد شيخنا -أوقرات عليه- عن أبي عثمان^(٢) [المازني توفي سنة ٢٤٧ هـ].

هـ. رويانا عن أبي العباس من جهة شيخنا^(٣) [المبرد توفي سنة ٢٨٥ هـ].

و. أنشد شيخنا -أوحكى- عن أبي علي [توفي سنة ٣٧٧ هـ].

ز. وهذه الحكاية يرويها شيخنا عن أبي عبيد الله المرزباني^(٤) [توفي سنة ٣٨٤ هـ].

ويتحصّل من هذه الأسانيد أنّ شيخه من طبقة تلاميذ أبي عليّ الفارسيّ والمرزباني -وهما متعاصران- ولكنّه أكثر قرباً والتصاقاً بأبي عليّ، فقد روى عنه في أكثر من أحد عشر موضعاً^(٥)، وفي إحدى حكاياته عن أبي عليّ ما يفيد اتصال السند واللقيا، وهي قوله: "وحكى شيخنا: "يوح" في أسماء الشمس أيضاً، وذكر أنّه رآه بخط أبي العباس في جزء أهداه الشيخ أبو عليّ إلى عضد الدولة؛ يومَ نيزور"^(٦). فهذا يفيد بأنّ شيخه حضر تلك الحادثة مع أبي عليّ الفارسي. وذلك منطبق على الواقع التاريخي لعبد القاهر الجرجاني؛ فقد عرفنا أنّ شيخه الوحيد هو محمد بن الحسين الفارسي، وهو تلميذ أبي عليّ الفارسي، وابن أخته.

٢- في هذا الشّرح مَـشابهة من لغة عبد القاهر ولوازم أسلوبه الشّائعة في كتبه الأخرى، ومنها:

(١) النصّ المحقّق: ١٦٩، ٧٤٥.

(٢) النصّ المحقّق: ١٧٥، ٢٥٤، ٦٣١.

(٣) النصّ المحقّق: ٣١٨.

(٤) النصّ المحقّق: ٤١٥.

(٥) في أحد عشر موضعاً، منها: ٢٤٢، ٣٧٦، ٥٢٣، ٧٣٢.

(٦) النصّ المحقّق: ٨٣.

أ. اعتماده على أسلوب الحوار في إثارة بعض القضايا ومعالجتها، فتراه كثيراً ما يقول: «فإن قلت ... فالجواب ...»^(١). وهذه طريقة عقلية جدلية؛ تكثر عند المتكلمين.

ب. كثيراً ما يختتم فقرات حديثه بقوله: «فاعرفه»^(٢)، أو «فافهمه»^(٣)، أو «فاعرفه أصلاً»^(٤)، أو «فاعرفه فإنه واضح»^(٥)، وهي أوامر للنصح والتنبية لا تخطئهما العين في أي كتاب من كتب عبد القاهر الشهيرة.

ج. من أساليب عبد القاهر المميّزة أنه إذا ردّ قولاً أو رأياً، وصفه بأنه (ساقط)^(٦) أو (خلف)^(٧).

د. ويعبر عن اتفاق البيتين في أصل المعنى، بقوله: "هما من نصاب واحد"^(٨).

هـ. ومن أساليب عبد القاهر، أنه يزري على الجهلاء البسطاء، فيصفهم -معرّضاً- بأنهم (من أهل السلامة)^(٩).

و. لم يكن التوافق بين هذا الشرح وكتب عبد القاهر الأخرى مقصوراً على الأساليب الناصعة المشرقة، بل تجاوز ذلك إلى الأساليب التي يبدو عليها شيء من الثقل

(١) ورد هذا الأسلوب في هذا الشرح أكثر من (٧٠) مرّة، وورد في أسرار البلاغة (٢٩) مرّة، وفي الدلائل (٢٨) مرّة.

(٢) انظر مثلاً: ٨٦، ٩٦، ١١٤ ...

(٣) النص المحقق: ١٢٥، ١٤٤، ١٥٩ ...

(٤) النص المحقق: ٤٦٤، ٦٣٥.

(٥) النص المحقق: ٢٧١، ٥٨٤.

(٦) النص المحقق: ٨١، ٤٩٤، ٥٧١، وقارن بالمقتصد ١/١٧٩، ٢/١٠٨٢، ٢/١٠٩٤.

(٧) النص المحقق: ١٣٧، وقارن بأسرار البلاغة ١٩٦.

(٨) النص المحقق: ٢١١، ٥٧٩، ٦٣٩، وقارن بالدلائل ٣١١.

(٩) النص المحقق: ١٨٩، ٥٣٢، وقارن بالمقتصد ٢/١٠٣٣.

والتعقيد؛ من مثل قوله: «فلهذا من الشأن أمنوا زيارتك»^(١)، وقوله: "ألا ترى إلى قوله.."^(٢)، وقوله: "ولو كان يكون..."^(٣).

وقد لاحظ بعض المعاصرين أن أسلوب عبد القاهر تعروه حزنونة وتعقيد عندما يأخذ في عرض المسائل العلميّة. وفي ذلك يقول الدكتور مصطفى ناصف: "ويدل أسلوب عبد القاهر الجرجاني على مدى ما يعنيه مؤلف عميق الثقافة، فأسلوبه ذو الجمل الطويلة المتداخلة يصور مدى الكلفة التي يتجشمها مثقفو تلك العصور ومدى إخفاقهم في إحراز عمود اللغة الفصيحة"^(٤).

وعقّب عليه الدكتور أحمد مطلوب، بقوله: "وليسَت هذه خصائص أسلوبه بصورة عامة، وإنما هي صفة حينما يتحدث عن موضوعات تحتاج إلى جهد فكري، ونظرة عميقة، وجدل عنيف وهي موضوعات إعجاز القرآن الكريم والرد على الشبه، وافتراءات الطاعنين، أما كلامه في الأغراض الأخرى فمتين؛ تتمثل فيه الرصانة والعمق، مع الاهتمام -أحياناً- بالمحسنات كالسجع والجناس والطباق، وغيرها من فنون البديع التي شاعت في عصره، ووقف منها حذراً؛ لا يوليها أهمية كبيرة إلا إذا جاءت عفواً الخاطرو كانت غير قلقة ولا نايبة"^(٥).

٣- ومما يعضد نسبة هذا الكتاب لعبد القاهر أنني لم أجد فيه ما يصطدم مع أفكاره وآرائه الماثورة في كتبه الذائعة، بل رأيتُ بينه وبينها تطابقاً كبيراً في الأفكار والنماذج والشواهد.

من ذلك، أن هذا الكتاب تضمّن بذورَ نظرية النظم^(٦)؛ التي أنضجها عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز).

(١) النص المحقق: ٨٠، ١٦٨، وقارن بالمقتصد ٩٣٣/٢.

(٢) انظر -مثلاً-: ٨٧، ٩٠، ٩٤ من النص المحقق، وقارن بالمقتصد ١/٤٦٠، ٢/١٠٢١، ٢/١١٠٤، والأسرار ٥١، ١٠٩، ٢٢٠، والدلائل ٢٦٩، ٢٩٩، ٣٢٠....

(٣) النص المحقق: ١١٨، وقارن بالمقتصد ٢/١٠٩٤، والدلائل ١٢٠، ١٦٨، ١٧٠....

(٤) نظرية المعنى ٢٠.

(٥) عبد القاهر الجرجاني ١٩، ٢٠.

(٦) انظر مثلاً: ٥٥٩، ٦٣٢، ٧١٩.

ولما استشهد بقول الخنساء:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا دَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

فَسَّره، فقال: «لأجل أنها جعلتها من الإقبال والإدبار، حتى كأنها تجسمت منهما»^(١). وبنفس هذا اللفظ (التجسيم) فسَّره عبد القاهر في كتابيه (المقتصد)^(٢) و(دلائل الإعجاز)^(٣).

٤- ويبدو أن كاتب هذا الشرح أشعري المذهب؛ لأنه أطلق اسم (القديم) على الله - سبحانه وتعالى - في موضعين من شرحه^(٤).

والمعروف أن عبد القاهر أشعري، وهو - نفسه - يطلق هذا الاسم على الله - تبارك وتعالى - في كتبه الأخرى^(٥).

٥- ومن الأدلة القويّة - في نظري - أن الشارح فسَّر قول المتنبي:

كالبدر من حيث التفت رأيتَه يُهْدِي إلى عينيك نوراً ثاقباً

فقال: «شبهه بالبدر لأجل أنه لا يتغيّر باختلاف أمكنة التأمل، فحال رائيّه ببغداد كحال رائيّه بجرّان...»^(٦). أقول: لعلّ الشارح قد خصّ جرجان بالذكر هنا - دون غيرها من مشاهير المدن - لأنها موطنه، القريب من نفسه ولسانه. أما بغداد فأمرها واضح؛ لأنها موئل الخلافة، وحاضرة العالم الإسلامي آنذاك.

(١) النص المحقق: ١٣٥.

(٢) ٢٤٥/١.

(٣) ٣٠٠.

(٤) النص المحقق: ١٦١، ٦٨٨.

(٥) المقتصد ١٩٤/١، وأسرار البلاغة ٣٧١.

(٦) النص المحقق: ٣٢١.

٥- سبب تأليفه:

لم يكن السبق إلى شرح ديوان المتنبي هو الداعي إلى كتابة هذا الشرح، فقد سبق الشارح إليه شراح آخرون، حتى كان هذا الديوان - في نظر الشارح - "مرتّعاً قد جال فيه غير قلم، ومشرّعاً قد وطئ أديمه كل قدم"^(١).

بل كان السبب أمراً آخر، كما صوّره الشارح في مقدمته، فقد ذكر أنه وضع هذا الشرح استجابة لرغبة بعض الفضلاء؛ الذي طلب منه معرفة حقائق شعر أبي الطيب، وتصور معانيه، وترويض شوارده، وفتح مغلق مقاصده^(٢).

وقد يكون هذا الشخص حقيقياً - ربّما يكون الوزير نظام الملك الذي ربطته بعبد القاهر علاقة قصيرة - وقد يكون رمزاً لطائفة معينة من المجتمع، أو تجريداً لنفس الشارح. وذلك تقليد جرى عليه كثير من علمائنا.

وأيّاً كان الأمر، فإن رغبة ذلك الشخص هي رغبة الشارح نفسه؛ فكتب هذا الشرح؛ لتذليل مشكلات شعر المتنبي، وترويض معضلاته المعنوية والنحوية، مستكملاً ما بدأه السابقون، أو عجزوا عنه.

لم يحدّد عبد القاهر الشخص الذي من أجله صنّف هذا الشرح، ولم يحدّد زمناً معيّناً له، ومع ذلك يترجّح لديّ أنّه كتب هذا الشرح في صدر حياته عندما كان معيّناً بالدراسات النحويّة، وقد تجلّت هذه العناية بوضوح في صفحات هذا الشرح، وكانت بحوثه النحويّة فيه عميقة وناضجة، وهي - في نظري - ممّا هيّأه لكتابة مصنّفاته الشهيرة في البلاغة، لاسيّما كتابه (دلائل الإعجاز) الذي بنى فيه نظريّة النظم وأتمّها؛ معتمداً على أصول النحو وأبوابه.

(١) النص المحقق: ٧٣.

(٢) النص المحقق: ٧٣.

٦- منهج الشارح:

لم يحدّد الشارح -رحمه الله- رواية ديوان المتنبي التي اعتمد عليها في شرحه هذا . وقد بدا لي أنّه كان يعتمد على ما في الفسّر لابن جني، إلّا في مواطن يسيرة؛ أورد فيها ألفاظاً مخالفة لابن جني، على ما يأتي بيانه -إن شاء الله .

وقد كشف عن الخطوط العريضة لمنهجه في الشرح في مقدّمته؛ فقال: «فأنا أكسوه بحول الله وتوفيقه من التبيين ما يوضح مكنونه، وينور مكتومه، وأتجنّب الإطالة بما لا يليق به من اللغة، وأذكر فيه من الصناعة قدر ما يتحقق به ألفاظه، وأورد من الأشكال والنظائر ما يورث الناظر فيه نشاطاً، ويسرّي في أعرافه اعتباراً إن شاء الله تعالى»^(١).

فهو -إذاً- معنيّ بثلاثة أمور: التبيين، والصناعة، والأشكال والنظائر.

١- التبيين: ويريد به بحث الألفاظ والتراكيب، والكشف عن المعنى الإجمالي لأبيات المتنبي.

أما الألفاظ والتراكيب فقد تنوّع بحثه فيها، وتناولها من نواح عدّة، لعل أهمها ذكر المعنى المباشر، أي: المراد منها في البيت فحسب؛ كما تراه عند قول المتنبي:

أنساعها ممغوطة، وخفافها منكوحة، وطريقها عذراء

إذ قال الشارح: «الأنساع: جمع نسع؛ وهو سير مضفور يشد على الرجل كالخزام للفرس... وطريقها عذراء: يريد أنها لم تسلك»^(٢).

وقال أبو الطيب:

وإذا مطّرت فلا لأنك مجدّب يسقى الخصب وتمطر الدماء

(١) النص المحقق: ٧٤.

(٢) النص المحقق: ١٠٠.

قال: «الدأماء: البحر»^(١).

وقد يتجاوز المعنى المباشر إلى البحث في أصول الكلمات، ومعانيها المعجمية، كما كان منه عند قول المتنبي في ناقلته:

فَتَبَيَّتْ تُسْنِدُ مُسْنِدًا فِي نَيْهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءِ

إذ قال: «الإسَاد: السرعة في السير، وهو مأخوذ من السَّاد: لانتقاض الجرح، فذلك أنه يضعف الإنسان وينقض عرى قوّته، ومضائه»^(٢).

وقد يفسر اللفظ، ثم يعضده بالشاهد من شعر العرب، من مثل قوله: «السابري: الثوب الرقيق، ولا يكون إلا بسابور، وقال ذو الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشرق»^(٣)

وربما تطرّق إلى مرادفات الكلمة، أو استعملاتها واشتقاقاتها، أو صفاتها وبنيتها: وقف عند قول المتنبي:

قلق المليحة - وهي مسك - هتكها ومسيرها في الليل وهي ذكاء

فقال: «وذكاء: الشمس، معرفة لا يدخلها الألف واللام ... ووزنها (فُعَال) من ذكت النار تذكو، ولم ينصرف للتعريف والتأنيث ... وحكى شيخنا (يوح) في أسماء الشمس أيضاً»^(٤).

(١) النص المحقق: ١٦٢.

(٢) النص المحقق: ٩٨.

(٣) النص المحقق: ٨٩.

(٤) النص المحقق: ٨٣.

وقال أبو الطيّب:

يأيها المجدى عليه روحه إذ ليس يأتيه لها استجداء

فقال الشارح: «الجدى: المطر النافع، والجدوي: العطاء، لما فيه من النفع، وأجديت عليه خيراً، واجتداه مثل اعتفاه، واستجديت مثل استعطيت»^(١).

نعم، لقد تعرّض لمثل هذه الجوانب، لكنّه لم يبالغ ولم يخرج عن حدّ الاعتدال، إيفاء بوعده السابق.

كانت تلك جوانب من حديثه عن الألفاظ، أما المعاني فقد أولاها عناية أوفر؛ إذ وقف عند معظم أبيات الشاعر يشرح معانيها ويحرّرها بعبارات رصينة، ويتتبّع وجوه المعنى الممكنة وإن كثرت، كما تراه عند قول المتنبي:

من نفعه في أن يهاج وضّره في تركه لو يفظن الأعداء

إذ قال الشارح: «هذا البيت محتمل على وجهين: أحدهما: أن يريد أن الممدوح شغوف بالمحاربة والقراع، فإذا تعرّض الأعداء لمنازعته وبرزوا له في زي العناد نهض إلى الحرب، وكان ذلك سبباً لقضاء وطره، فتخمد نار الاشتياق باشتعال نار الكفاح ... والوجه الثاني: أن يريد أنه إذا هيج أسرع إلى مقاتلة الأعداء، وأغار عليهم، وغنم أموالهم، وسلب نعمهم، فيكون ذلك نفعاً له»^(٢).

وربما ركّز -بعد ذكر المعنى الإجمالي- على عبارة معينة أو مقطع معين من البيت فزاده إيضاحاً، كما في قول أبي الطيب:

أحمد عفاك - لا فجعت بفقدهم - فلترك ما لم يأخذوا إعطاء

(١) النص المحقق: ١٤١.

(٢) النص المحقق: ١٢٥، وله نظائر كثيرة.

فسره إجمالاً، ثم قال: «وقوله (لا فجعت بفقدهم) اعتراض حسن مليح، وهو يحتمل ثلاثة معانٍ متقاربة...»^(١). ثم ذكرها تباعاً.

واعتمد الشارح في تفسيره للأبيات على ما يفيدُه ظاهر اللفظ، متنكباً طريق الاعتساف والتكلف؛ وكثيراً ما ينادي بقوله: «لا عذر في ترك الظاهر إذا كان صحيحاً»^(٢).

ولكنَّ الشارح لا يمنع من مخالفة الظاهر إذا كان مخلاً بمراد الشاعر، فهذا هوذا يقول عند بيت: «ولو حمل على مقتضى ظاهره كان ذمّاً»^(٣)، وعند آخر قال: «ولو فسّر هذا البيت على ظاهر اللفظ لخرج إلى نمط من الإلحاد!»^(٤).

٢- **الصناعة:** ويقصد بها الصناعة النحوية، أي بيان مواقع الألفاظ والجمل، وأنواع علاقاتها فيما بينها، وطريقة ترتيبها ونظامها من حيث التقديم والتأخير والذكر والحذف^(٥). لقد عني بهذا الأمر عناية فائقة، حتى أصبحت هذه العناية أوضح صبغة اصطبح بها شرحه! فما الهدف من وراء ذلك؟ أهو الشغف بالإعراب وتقديراته ووجوهه المحتملة فحسب، أم أن لذلك أثرًا في تحديد المعنى وانكشافه؟!

لقد أجاب الشارح نفسه؛ إذ قال: «وأذكر فيه من الصناعة قدر ما يتحقق به ألفاظه»^(٦). ومراده بتحقيق الألفاظ تحرير المعنى ووضوحه، كما أبان هو في موضع آخر بعد أن أطل في إعراب بيت فقال عقيبهِ: «فهذا البيت مما يُظنّ ساذجاً واضح الإعراب وفيه ما ترى! فقل لي: كيف يتحقق المعنى قبل تحقق اللفظ؟! وإنما يقال: عُرف المعنى إذا فهم من لفظ الشاعر، لا من لفظ المفسّر»^(٧).

(١) النص المحقق: ١٤٣، ونظائره كثيرة.

(٢) النص المحقق: ٩٨، ١٣١، ٦٦٠.

(٣) النص المحقق: ٩٣.

(٤) النص المحقق: ٢٠٦.

(٥) وهذا يذكرنا بنظرية النظم التي بسطها عبد القاهر في دلائل الإعجاز.

(٦) النص المحقق: ٧٤.

(٧) النص المحقق: ١٤٠.

ونراه في موضع آخر يلوم ابنَ جني على تقصيره في هاتين الناحيتين - أعني تحرير ما يشكل من المعاني والإعراب - في شرحه لديوان أبي الطيّب، إذ يقول: «وشحنه بما لا يليق، نحو ذكره - إذا جرى ذكر الذئب في بيت له - جميع أسمائه، وترك كثيراً مما يشكل في إعرابه ومعانيه»^(١).

٣ - الأشكال والنظائر:

يعني الشارح بالأشكال والنظائر الأشعار التي تشابه قول المتنبي وتقاربه، أو تضاده وتناقضه، فيعقد موازنة بين الطرفين؛ يبين فيها غالباً ما امتاز به أحدهما من الآخر في إبراز المعنى وتوفيقته، وحسن صياغته. والشارح بصنيعة هذا إنما يقوم فنّ أبي الطيب تقويماً هادئاً، ويظهر ما انفرد به وجود فيه، أو حاكاه فقصر به.

خذ مثلاً قوله:

لم تحك نائلك السحاب وإنما حمّت به فصبيها الرضاء

فبعد أن فسّر الشارح، قال: «وقريب منه قول أبي نواس:

إن السحاب لتستحي إذا نظرت إلى نداك فقاسته بما فيها

غير أن بيت المتنبي أبلغ وأذهب في الإغراق؛ لذكره الحمي والعرق، إلّا أنّ فيه بعض التعسف، وبيت أبي نواس سلس عذب عارٍ من الاستكراه»^(٢).

وقال المتنبي:

أحبّه وأحبّ فيه ملامة إن الملامة فيه من أعدائه

(١) النص المحقق: ٧٥٠.

(٢) النص المحقق: ١٦٣.

فقال بعد أن شرح البيت: «وهذا البيت في الظاهر نقيض قول أبي الشيص:

أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليلمني اللوم

لأجل أن المتنبي ذكر أنه يكره الملامة ويبغضها، وذكر أبو الشيص أنه يستطيعها ويودّها، وهما في الحقيقة من نصاب واحد ... ومنه قول ابن المعتز:

يتيه عندي وأنا أخضع إن كان ذا بختي فما أصنع
يا عاذلي عدلك لي ضائع أسمعني والحب لا يسمع^(١)

ويكشف الشارح عن وظيفة أخرى لهذه الأشكال والنظائر، وهي تنشيط ذهن القارئ أو السامع، ورفع السأمة عن نفسه، كما ذكر في نصّه الذي صدرت به هذا المبحث.

كان هذا تفصيلاً لما أجمله الشارح عن منهجه في مقدّمته. وعند تجاوز المقدمة إلى صلب الشرح تكشّفت ملامح أخرى لمنهجه في العمل، ومن أهمّها:

١- أن الشارح سار على منهج الترتيب الهجائي لقصائد المتنبي، متّبِعاً ابن جني ومن سار على شاكلته، ولم يسر على الترتيب التاريخي الذي اختاره المتنبي وسار عليه الواحدي وغيره. والترتيب الزمني أفضل بلا شك، لأنه يرسم لنا التضاريس التي كوّنَت شاعرية الشاعر، ويكشف عن ملامح مختلفة من حياته.

٢- من منهجه أن يمهّد للقصائد بمقدمات تحدّد مناسباتها؛ والأجواء التي قيلت فيها؛ ولكن هذه المقدمات مضطربة كثيراً، فقد تأتّى تامة، تتضمّن الأشخاص والزمان والمكان والغرض، وقد تقتصر على الغرض والشخص المقصود^(٢).

(١) النصّ المحقّق: ٢١١. ونظرة الشارح - رحمه الله - لما عرف بالسرققات الأدبية، وموازاته بين الأشعار ومقاييس تفضيله لبيت على بيت، من الملامح المهمة في هذا الشرح؛ تصلح أن تُفرد بدراسة مستقلة.

(٢) النصّ المحقّق: ٢٥٠، ٢٥٢، ٥٦٠.

وقد لا تذكر أصلاً^(١). وكثيراً ما تأتي هذه المقدمات مكتوبة كلها بالحمرة وبخط مخالف لخط النسخ أحياناً^(٢)، أو يزداد على ما كتب النسخ زيادات باللون الأحمر^(٣).

وأغلب الظن أن منشأ هذا الاضطراب هو تساهل النسخ - رحمه الله - وأنه كان يترك فراغاً لهذه المقدمات على أمل العودة إليها مرة أخرى، لكنه لم يتمكن، فأضافها من أتى بعده.

٣- يورد الشارح القصيدة كاملة، لا يختار منها أبياتاً دون أخرى، اللهم إلا بضعة أبيات سقطت من يد النسخ، منها ما يدل على وجوده شرح الشارح^(٤).

٤- مرونة الشارح في تناوله للقصائد والأبيات، إذ لم يسر على منوال معين، أو تخطيط ثابت: فتراه غالباً يشرح القصيدة بيتاً بيتاً، وربما جمع بين بيتين^(٥) أو ثلاثة^(٦) فشرحها جميعاً لشدة اتصالها وترابطها، وربما ساق القطعة أو القصيدة تامة ثم عقب عليها بالشرح والتعليق^(٧) وأورد قطعة واحدة ولم يعقب عليها بشيء^(٨).

وتجده أحياناً يدجّ صفحات عدّة على البيت الواحد، فيقف عند ألفاظه، ويقلب معانيه، ويتتبع وجوه الإعراب الممكنة فيه، ويحشد ما يتصل به من أشكال ونظائر^(٩)،

(١) النص المحقق: ٩١، ٢٢٥، ٤٦١.

(٢) النص المحقق: ٢٨٥، ٣٣٧، ٣٨٠.

(٣) النص المحقق: ١٧٥، ٢٧٦.

(٤) النص المحقق: ٢٤٠.

(٥) النص المحقق: ٢٦٧، ٢٧٥، ٣٥١، ...

(٦) النص المحقق: ٦٣٦، ٦٣٨، ٧٢١، ...

(٧) النص المحقق: ٢٤٧، ٨٤٠، ٨٤٩، ...

(٨) النص المحقق: ٨٢٠.

(٩) النص المحقق: ٧٥، ٩٦، ١٢٨، ...

وقد يكتفي بالمعنى الإجمالي^(١)، أو بإشارات إعرابية، أو بتفسير لفظة واحدة^(٢)، وربما تجاوز بيتاً فلم يمسّه بشيء^(٣). كل ذلك حسبما يراه لازماً.

ولم يكن يرتب هذه المحاور - أعني اللغة والإعراب والمعاني، كما يرتبها صاحب التبيان - فما يبدأ به هنا قد ينتهي إليه هناك.

٤- عنايته بالرواية:

أشار الشارح إلى طرفٍ من اختلاف الرواية في كثير من أبيات المتنبي، ووقف عند بعض هذه الروايات مبيناً معانيها، ومدلولاتها، وربما أشار إلى الرواية دونما تعليق^(٤). وربما وزن بين رواية ورواية، فرجح واحدة وضعف الأخرى: يرجح ما يرجحه؛ لأنه أبلغ، وأدق في أداء المعنى الذي يرومه الشاعر، كما نجده عند بيته:

من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي في القول حتى يفعل الشعراء

إذ يقول: «قد روي (يبعل) و(يفعل) ... (ويبعل) أحسن من (يفعل)؛ من أجل أن الشعراء إذا قصروا عن أن ينالوا مفاخره ذكراً وقولاً - مع أنهم أمراء البيان والمالكون لعنانه كيف شاءوا - كان ذلك نهاية!«^(٥).

وقال المتنبي:

وغير المستق قول الوشا ة إن علياً ثقیل وصب

(١) النص المحقق: ٢٧١، ٢٢١، ٢٠٢، ...

(٢) النص المحقق: ٤١٠، ٣٩٠.

(٣) النص المحقق: ٣٤٦، ٩٢، ...

(٤) النص المحقق: ٦٥٦، ٥٥٠، ٣٣٥.

(٥) النص المحقق: ١١١، وانظر: ٨٠٠، ٧٦٣.

فقال الشارح: «روي "قول العداة" أيضاً. والوشاة أولى؛ لأنَّ المعنى أنه أحس بمرضه، والواشي هو الذي يخبر، وفي ضمن الوشاة معنى العداة، وليس في العداوة معنى نقل الخبر؛ الذي هو الأهمُّ في المقصود»^(١).

ويضعف ما يضعفه لما فيه من ارتكاب الضرورة مع وجود المندوحة عنها، أولما يحدثه من خلل في المعنى، كما تراه عند بيت أبي الطيب:

ومن يك قلب كقلبي له يشقُّ إلى العزِّ قلب التَّوى

إذ قال الشارح: «و(يشقُّ) بفتح القاف على الجزاء... وأما من روى الرفع فإنَّما حمله على بيت الكتاب:

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ
إنَّك إن يصرع أخوك تصرعُ

التقدير: إنَّك تصرع إن يصرع أخوك، على التقديم والتأخير، وهذا قليل لا يكاد يوجد إلَّا في الضرورة. وإذا كان كذلك كانت هذه الرواية ضعيفة؛ لأنَّه لا اضطرار ههنا»^(٢).

وقال الشارح عند بيت المتنبي:

يرى أن ما ما بان منك لضارب بأقتل ممَّا بان منك لعائب

«وقد يوجد في بعض النسخ (يرى... ما ما بان منه) وليس يحسن حسن الأول، لما ذكرت أن فيه إطلاق العيب على الممدوح في الظاهر»^(٣).

(١) النص المحقق: ٥٣٣.

(٢) النص المحقق: ٢٤٥.

(٣) النص المحقق: ٣٨٣.

ولم يفت الشارح أن يحدّد بعض الروايات باللفظ، من نحو قوله: «و(مثلَهَنَ) بالنصب البتة، كذا الرواية»^(١) وقوله: «يروى (الخطر والخطر) بكسر العين وفتحها»^(٢) وقوله: «ورواية أبي الفتح عن المتنبي بفتح حرف المضارعة من (يريبُ)»^(٣).

ونصّه هذا هو الموضوع الوحيد الذي نَسب فيه روايةً لصاحبها!.

ولم يتّضح لي الطريق الذي نهجه الشارح في رواية شعر المتنبي، من بين الروايات الكثيرة التي صَبَّت في الديوان والشروح المختلفة - التي وصلت إليها - فما أن يوافق شارحاً في رواية حتى يخالفه في روايات، حتى ابن جني - مع اعتماد الشارح عليه كثيراً - لم يكن أفضل من غيره^(٤). وممّا يُؤكّد ذلك أن الشارح تفرد بروايات لم يذكرها بقية الشراح، ولم تشر إليها نسخ الديوان: كرواية (يبعل) في بيت المتنبي الذي أشرت إليه قريباً. وفي قول المتنبي:

محامدٌ نَزفت شعري ليمأها فعاد، ما امتألت منه، ولا نصبا

ترى الشارح يقول: «فعاد - ويروى (فآل) - فيه ضمير يعود إلى شعري»^(٥) وهذه الرواية التي أشار إليها هي رواية الديوان والشروح التي بين يديّ، أمّا رواية (فعاد) فهي - على ما يبدو - خاصّة به.

فهل كانت للشارح طرق أخرى في الرواية، أو كانت بين يديه نسخ مختلفة لم تصلنا، فكان يختار منها ما يحلّوله؟ كل ذلك ممكنٌ. وممّا يُؤكّد وقوفه على نسخ عدّة من ديوان

(١) النص المحقق: ١٠٣.

(٢) النص المحقق ٣١٠.

(٣) النص المحقق: ٤٦٩.

(٤) وافق الشارح ابن جني وحده في عدّة مواضع، انظر مثلاً: ٣٢٥، ٤١١، وخالفه وحده في عدّة مواضع، انظر: ٣١١، ٣٣٠، ٣٥١.

(٥) النص المحقق: ٢٩٤، وانظر: ٣١٢، ٣٤٠، ٦٦٠....

المتنبى، نصّه الذي مرّ آنفاً: «وقد يوجد في بعض النسخ...». وقوله في إثْر قطعة أوردها: «هذه القطعة متّهمة، ولا توجد في جميع النسخ»^(١).

٥- النقّاش والترجيح:

لم يكتف الشارح -في معالجاته لأبيات أبي الطيب- برصف الأوجه المعنوية الممكنة، بل كان له من الوعي والفطنة ما جعله ينتقي ويختار؛ مثلما كان منه حيال الروايات المتعدّدة.

ولم تكن تقديرات الإعراب واحتمالاته لديه مجرد رياضة ذهنية، مقطوعة عن المعنى والسياق؛ ولذلك تراه يرشد قارئه لأحسن تلك التقديرات وأبرّها بالمعنى.

ولم يكن مأسوراً بأراء سابقيه وأقوالهم، فينقلها كما هي دون غريزة أو تمييز؛ بل وقف أمامهم -شامخاً- يناقشهم نقاشاً علمياً معزّزاً بالدليل تارة، وبالتعليل تارة أخرى.

فما معاييرهِ في الاختيار والترجيح، وما آلاته في المناقشة والحوار؟

يرى الشارح ضرورة الأخذ بما يدلّ عليه ظاهر الكلام، وما يقود إليه السياق، بدلاً من ارتكاب التكلّف والاعتساف. انظر إليه وهو يقول في بيت المتنبى:

شيم الليالي أن تشكّك ناقتي صدري بها أفضى أم البيداء

«فالواجب في (أفضى) أن يكون فعلاً ماضياً، من قولهم: أفضيت بفلان إلى كذا، أي أوصلته إليه... وذهب أبو الفتح -في بيت المتنبى- أن (أفضى) أفعالٌ بحذف الزيادة من أفضى الذي ذكرته... وحذف الزيادة كثير في الشعر، ولكنها من الضرورات على كل حال، وإذا أمكن الحمل على الظاهر، وحصل معه المعنى المقصود، كان العدول عنه بغير فائدة مما تركه أولى»^(٢).

(١) النص المحقق: ٣٣٤.

(٢) النص المحقق: ٩٦-٩٧.

ووقف عند قول المتنبي في ممدوحه:

لا تكثر الأموات كثرة قلّة إلا إذا شقيت بك الأحياء

فقال يشرحه: «لا تكثر الأموات كثرة تجري مجرى القلّة إلا إذا شقيت بفقدك الأحياء. هذا هو المعنى الصحيح الذي لا معدل عنه.

وقد قيل: إن المعنى في قوله: (شقيت بك الأحياء) أنك تبيدهم وتفتنيهم، فيكثر عدد الأموات... ومن أثر هذا التأويل دعاه إلى ذلك طلب التخلّص من مخاطبة الممدوح بذكر الموت، ولولا ذلك لما أجزى هذا التفسير، والتعسف فيه بين»^(١).

وقال المتنبي -أيضاً- في ممدوحه:

في خطّه من كل قلب شهوة حتى كأنّ مداده الأهواء

ففسّره الشارح، ثم قال: «والمعنى المدحّي في ذلك أنه يكتب للناس الخطوط بالمنأخ والجوائز فما من أحد إلا وهو يودّ خطّه؛ لودّه منأخه التي هي العطايا. ويضعف أن يريد الوصف بحسن الخط؛ لأجل أنه ليس قبل هذا البيت ولا بعده ما يوجب قصده أن يصف الممدوح بالكتابة والبلاغة فيليق هذا به»^(٢).

لقد عُني الشارح بهذا المنحى عناية كبيرة، فأخذ يؤكد في غير موضع أنه لا معنى لسلوك الطرق الملتوية مع وجود الطريق اللّاحب!^(٣)

ويرجّح الشارح من وجوه المعنى أو الإعراب أكثرها مبالغة في تصوير المعنى الذي يرومه الشاعر، فها هو ذا يفضل وجهاً على وجه؛ لسببين: «أحدهما: السلامة من التعسف، والثاني: أنه أبلغ»^(٤).

(١) النص المحقق: ١٤٧-١٤٩.

(٢) النص المحقق: ١١٠.

(٣) النص المحقق: ٦٩٠، ٧٩٣، ٨٠٠.

(٤) النص المحقق: ٥٤٣، وانظر: ٦٣٥، ٧٠٠ منه.

وكانه كان يطلب ما يوافق مذهب المتنبي؛ لأنّه «إلى الإغراق أميل»^(١).

ويأبى من التفسيرات ما كان مخالفاً للاستعمال، كما تراه في قول المتنبي في سيف الدولة:

نعوّذه من الأعيان بأسّا ويكثر بالدعاء له الضجيج

إذ يقول: «الوجه في نصب (بأسّا) أن يكون تمييزاً، ويكون الفاعل في المعنى... فكانه قال: يعوّذه بأسسه من الأعيان، وذلك أنه قال هذا في حال محاربته.

وقد ذُكر فيه وجهان آخران يقلّ حظهما من القبول: أحدهما: أن يكون (بأسّا) بمنزلة الخوف، كقولهم: لا بأس عليك، فكانه قال: نعّوده من الأعيان لخوفٍ منّا عليه. والثاني: أن يكون مصدرًا، كانه: نعّوده من الأعيان نبأس بأسّا. ويدلّك على ضعف ذلك أن أحدًا لا يقول: بُسّست من فلان، بمعنى خفت...»^(٢).

وعندما خالف جمهور النحاة، فأجاز دخول الألف واللام على (بعض، وكل)، احتجّ عليهم بالاستعمال الوارد عن العرب، وبالقِيَاس الصحيح، ثم أخذ يعرض حجّته عرضاً منطقيّاً مستفيضاً^(٣).

٥- عني الشارح - رحمه الله - بتقرير بعض الأصول والضوابط، لاسيما النحوية منها، وبسط القول فيها بسطاً واسعاً، ثم لم ينس بعد ذلك أن يوصي قارئه بفهم هذه الضوابط، وجعلها معياراً للحالات المشابهة. من مثل قوله: «فاعرفه أصلاً من الأصول»^(٤)، أو «فافهمه لأنك تحتاج إليه في مواضع»^(٥).

(١) النص المحقق: ١١١.

(٢) النص المحقق: ٧٤٠.

(٣) النص المحقق: ٥٢٣ وما بعدها.

(٤) النص المحقق: ٥٨١، ٦٣٥.

(٥) النص المحقق: ١٩٧.

أو «فاعرفه، فإن نحوذا من التفسير لا يتصدى له في كل موضع؛ لأنك إذا عرفت نمطاً منه استدلت به على ما سواه»^(١).

٦- الاستطراد:

يستطرد الشارح - من خلال البيت الذي يفسّره - إلى بعض الأمور الجانبية كالاستعمالات اللغوية^(٢)، أو المسائل النحوية^(٣)، أو القضايا البلاغية^(٤) والنقدية^(٥)، أو مباحث القافية^(٦). ويستطرد كذلك لعرض بعض الأخبار^(٧) والمواعظ^(٨).

وهذا سبيل سَلَكَه أسلافنا - رحمهم الله - حرصاً منهم على اصطیاد الفوائد واللطائف كلما سنحت الفرصة، وبذلها للقارئ؛ لكي تتوسّع مداركه وتثرى ثقافته.

انظر إلى هذه الاستطرادات التي يأخذ بعضها برقاب بعض، قال أبو الطيب:

أنا صخرة الوادي إذا ما زُحمت وإذا نطقتُ فإنني الجوزاءُ

فقال: «إنما خصّ صخرة الوادي لأنها إذا كانت في الماء كانت أصلب، ولهذا قال الشاعر:

وناجية كأتان التّميل غادرت بالخَلّ أوصالها

(١) النص المحقق: ٢٦٣.

(٢) النص المحقق: ٧٨، ٩٠، ٢٢٠

(٣) وهي كثيرة، انظر مثلاً: ٧٦، ١٠١، ١٣٣

(٤) النص المحقق: ٩٥، ١٤٠، ١٧٠.

(٥) النص المحقق: ٨٠، ٩١، ١٣٥

(٦) النص المحقق: ٩٦، ١١٠، ١١١

(٧) النص المحقق: ٧٩، ١٧٣، ٢٩٦.

(٨) النص المحقق: ٤٤٥.

فالألتان: الصخرة، والتميل: الماء، والثلث والشمال. ومثله قول الآخر:

هل يلحقني بأولى القوم إذ شخطوا جُلْدِيَّةُ كأْتَانِ الصَّخْلِ عُلْكَوْمُ

الجلدية: السريعة، أنشد صاحب الكتاب:

لتَقْرِيبِنَّ قَرِيًّا جُلْدِيًّا

مَادَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا

أي: قريباً سريعاً»^(١).

وقال المتنبي في ممدوحه:

أحمد عُفَاتَكَ - لا فُجِعتُ بفقدِهم - فليتركْ ما لم يأخذوا إعطاء

فسره الشارح ثم استطرد قائلاً: «ومثل هذا - من الاعتراض بالدعاء - قول ابن محَلَمَ للمأمون، وقد جرى شيء فلم يسمعه:

إنَّ الثَّمَانِيْنَ - وُبُلَّغْتَهَا - قد أَحوجتْ سَمْعِي إلى ترجمَان

وقال آخر:

فقلت لها أدِّي إليهم تحيتي ولا تخلطِها - طال سعدك - بالثرب

وقالت امرأة من العرب...»^(٢).

وقد يستطرد ثم يتنبه لخروجه هذا، فيقطعه راجعاً إلى الأصل، قائلاً: «فهذا شيء عارض ونعود»^(٣).

(١) النص المحقق: ٩٢، ٩٣.

(٢) النص المحقق: ١٤٣، ١٤٤.

(٣) النص المحقق: ٤٦٩.

وربما اعتذر عن استطراده، ويبن الحكمة من ورائه، كما كان منه عند قول المتنبي:

وما قستُ كلَّ ملوك البلاد - فدع ذكر بعض - بمن في حلب

إذا استطرِد إلى مسألة دخول الألف واللام على (كل، وبعض) فأخذ يعرض الخلاف فيها مبيناً رأيه مدلاً معللاً، فيختم بحثه فيها بهذه العبارة: «وإنما ذكرت هذه المسألة، وإن كان البيت لا يفتقر إليها كل الافتقار؛ لأنها تتعلق بحديث الكتاب، وهذا الكتاب أسبق إلى أيديهم من غيره»^(١)، يقصد كتاب سيبويه.

(١) النص المحقق: ٥٢٥.

٧- مصادرہ:

كان من المنتظر أن يبين الشارح المصادر التي أفاد منها، لاسيما شروح ديوان المتنبي، لكنّه لم يفعل، واكتفى بقوله عن هذا الديوان: «كان مرتعاً قد جال فيه غير قلم، ومشرعاً قد وطئ أديمه كلُّ قدم!»^(١).

ومن تتبّع الإشارات الواردة في أثناء شرحه، اتّضح أن الشارح قد استقى كثيراً من جوانب مادّته وشواهد من موارد مختلفة، ومصادر متنوّعة؛ فجاء شرحه ثرياً شاملاً لمعظم فروع المعرفة الإسلامية.

وينصّ الشارح على المصدر فيسمّيه، وربما اكتفى بصيغة التجهيل (حُكي، أو قيل، أو روي).

وقد سلك طريقين في أخذه من تلك المصادر: الرواية، والأخذ المباشر.

أولاً: الرواية:

كانت رواية الشارح عن شيخه من أهم مصادره العلمية، فقد نقل عنه آراءً وأقوالاً في النحو، واللغة، والبيان، والقراءات.

قال الشارح: «والحال ما يتحوّل وينتقل، وذلك يتصوّر فيما كان وصفاً، لا اسم جنس. بهذا احتجّ شيخنا في تجويزه الحال في قولهم: (لي مثله فارساً) واستحسنه له»^(٢). «وحكى شيخنا (يُوح) في أسماء الشمس»^(٣). «وقال شيخنا -رحمه الله- في قولهم: (قتلته علماً) كأنّه قد حققه، وأكثر الممارسة فيه حتى ذلّ له، وصار كالمقتول الذي لا غلبة له، ولا قدرة»^(٤).

(١) النص المحقق: ٧٣.

(٢) النص المحقق: ٤٨٨.

(٣) النص المحقق: ٨٣.

(٤) النص المحقق: ٤٢٣.

وفي قراءة من قرأ: {تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ} ذكر الشارح أن شيخه حمل لفظ (أبيك) على أنه جمع (أب) عند من قال (أبون وأبين)^(١).

وروى عنه -وراء ذلك- شواهد نحوية^(٢)، ولغوية^(٣)، ومعنوية^(٤)، وأخباراً وحكايات متفرقة^(٥).

وذكر أنه قرأ عليه حاشية الكتاب^(٦)، وكتابي العروض^(٧) والقوافي^(٨) لأبي الحسن الأخفش.

وهيأت له الرواية عن شيخه الاتصال بكوكبة من علماء اللغة، فالت إليه بعض علومهم ومعارفهم، وهم على قسمين:

الأول: من أخذ عنهم رواية عن شيخه فحسب، وهم:

١- قطرب: روى عنه شاهداً للتضمنين المعيب في القوافي^(٩).

٢- أبو عبيد الله المرزباني: روى عنه حكاية تتصل بإعمال المصدر الميمي^(١٠).

(١) النص المحقق: ٤١٣.

(٢) النص المحقق: ٢٠٣، ٣٩٠، ٥١١....

(٣) النص المحقق: ٣٩٠، ٤٧٠، ٥٢٣، ٧٦٠.

(٤) النص المحقق: ٧٥، ٢٩٠، ٣٢٠.

(٥) النص المحقق: ١٠٧، ٢٨٠، ٣٧٠....

(٦) النص المحقق: ٥٢٤.

(٧) النص المحقق: ٢٧٣.

(٨) النص المحقق: ٩٥.

(٩) النص المحقق: ٧٤٤.

(١٠) النص المحقق: ٤١٥.

الثاني: من أخذ عنهم رواية عن شيخه تارة، وأخذاً مباشراً تارة أخرى، وهم:

١- أبو زيد الأنصاري: روى عنه شاهداً لغويّاً^(١)، وشاهدين في النحو^(٢).

٢- أبو الحسن الأخفش: استمد الشارح منه أغلب بحثه في مسائل القوافي^(٣). وروى عنه شاهداً لغويّاً^(٤)، وشاهداً في الكناية^(٥)، وشاهداً نحوياً^(٦)، وأشار إلى بعض آرائه النحوية، كإعمال الوصف المشتق من غير أن يعتمد على شيء قبله^(٧). والموقع الإعرابي للكاف من (اللاقوك) في قول المتنبي:

وما عدم اللاقوك بأساً وشدة ولكن من لاقوا أشد وأنجب

إذ يرى أبو الحسن أن الكاف في موضع نصب، خلافاً لسيبويه الذي يرى أنها في موضع جر^(٨).

٣- أبو عثمان المازني: روى عنه طائفة من الشواهد في النحو والصرف^(٩).

٤- أبو العباس المبرد: أورد عنه حكاية في وجوب بذل المعروف^(١٠)، وقراءة لعمارة بن عقيل^(١١)، ونقداً البيت من شعر أبي نواس^(١٢).

(١) النص المحقق: ١٦٩.

(٢) النص المحقق: ٩٠، ٧٤٥ (وهما في النوادر).

(٣) النص المحقق: ١١٣، ١٢٠، ٢٧٢، ٧٣٢... (وكلها في كتابه: القوافي).

(٤) النص المحقق: ٧٧.

(٥) النص المحقق: ١٩٥.

(٦) النص المحقق: ٥١٨.

(٧) النص المحقق: ٢٩٠.

(٨) النص المحقق: ٦٣٥.

(٩) النص المحقق: ٢٥٤، ٤١٥، ٦٣١... .

(١٠) النص المحقق: ٢٦٠ (وهي في الكامل).

(١١) النص المحقق: ٣١٨ (كذلك في الكامل).

(١٢) النص المحقق: ٣٧٧ (وهو في الكامل أيضاً).

٥- أبو عليّ الفارسي: نقل عنه عدداً من الشواهد^(١)، ونصّاً في طريقة العرب في قلب المعنى^(٢)، وشيئاً من آرائه في الصرف^(٣)، وعلم القافية^(٤). وحكى عنه خبراً يدلّ على أن المتنبيّ، كان يتلّاحد في بعض كلامه^(٥).

ثانياً: الأخذ المباشر:

لم يكتف الشارح بما توفّر له من طريق الرواية عن شيخه، بل أخذ يغترف من مصنّفات العلماء، ودواوين الشعراء، ومختارات الأدباء.

فها هو ذا ينقل عن الخليل نصيحةً في تبليغ العلم^(٦)، وتفسيراً لقولهم (حنائيك)^(٧)، ورأيه في اختلاف التوجيه في القوافي^(٨).

ونقل عن الأصمعي معنى (الخريّت)^(٩) و(الرديان) ومعنى قولهم: (أفعى حارية)^(١٠).

واتّكأ على سيبويه وكتابه في معظم مسائل النحو^(١١) وشواهد^(١٢)، وحرص على نسبة تلك الشواهد إلى (الكتاب) أكثر من نسبتها إلى قائلها!.

(١) النصّ المحقق: ٨٣، ٢٤٢، ٣٩٤، ٥٢٣.

(٢) النصّ المحقق: ١٥٣ (وهو في كتابه: الحجة للقراء السبعة).

(٣) النصّ المحقق: ٧٥٣.

(٤) النصّ المحقق: ١٢٢.

(٥) النصّ المحقق: ٣٧٦.

(٦) النصّ المحقق: ٧٧.

(٧) النصّ المحقق: ٤٦٥.

(٨) النصّ المحقق: ٥٤٣.

(٩) النصّ المحقق: ١٠١، ٤٤٧، وهو في كتابه: اشتقاق الأسماء.

(١٠) النصّ المحقق: ١٥٦.

(١١) النصّ المحقق: ٨٣، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠،

(١٢) النصّ المحقق: ٨٦، ٩١، ٩٨، ١٠٣، ١٣٧،

وأخذ عن أبي عبيدة معنى من معاني (التامور)^(١)، ونصاً عن العرب في زيادة (كان)^(٢).

وحكى عن أبي حاتم قول العرب (امرأة عدلة) شاهداً على تأنيث المصدر الموصوف به^(٣).

وأورد عبارة من كلام الجاحظ في رسالته (رسالة الشراب)^(٤).

ونقل عن أبي إسحاق الزجاج شاهداً لغوياً، وتوجيهاً لقراءة قرآنية^(٥).

وذكر الشارح مقطوعاً من إنشاء أبي بكر الخوارزمي، ضمّن فيه بيتاً للمتنبي^(٦)، ومقطوعاً مشابهاً من كلام الصاحب^(٧).

أما معاني شعر أبي الطيب، وما يتصل بها من روايات وأخبار وحكايات، فكان عمدته فيها شرح ابن جني؛ ينص على النقل عنه أحياناً^(٨)، ويبهمه أحياناً، فيقول: حُكي، أو ذكر، أو قيل^(٩).

وتراه يقف وقفة يقوم فيها شرح ابن جني لشعر المتنبي، ويبين أي الرجلين نوه بالآخر، ورفع صيته^(١٠).

(١) النص المحقق: ٢٨٠.

(٢) النص المحقق: ٥٧٤ (وهو في كتابيه: مجاز القرآن والديباج).

(٣) النص المحقق: ٤٣٩ (وهو في كتابه: المذكر والمؤنث).

(٤) النص المحقق: ٥٢٦ (وهي ضمن رسائله).

(٥) النص المحقق: ٣٢٦، ٤١٣ (وهما في كتابه: معاني القرآن).

(٦) النص المحقق: ٥١٣ (وهو ضمن رسائله).

(٧) النص المحقق: ٢٩٩.

(٨) النص المحقق: ٩٦، ٢٥١، ٣١٠، ٤٢٠ ...

(٩) النص المحقق: ١٩١، ٤٧١، ٤٩٠ ...

(١٠) النص المحقق: ٧٥٠.

أمّا بقيّة الشّراح فلم يفصح بالنقل عن أحدٍ منهم، ولكن من خلال تتبّع بعض الآراء التي أُلح إليها، يمكن القول بأنّه كان مَطلَعاً على شرحي المعريّ والواحدي، وعلى تعليقات الوحيد على الفسر.

وأفاد الشارح من كتاب (الوساطة) للقاضي الجرجاني، لاسيما ما يتصل ببحث الاستعارات البعيدة^(١). وأشاد بكتاب (الوساطة) وعدّه واحدة من مفاخر أبي الطيب، وفوائده التي خلفها للأدب وأهله^(٢).

وكان -بعد ذلك- على صلة وثيقة بدواوين الشعراء، لاسيما أشعار أبي تمام والبحثري، فقد أكثر من الاستشهاد بهما.

والمتتبّع لما يورده من أبيات المعاني الأخرى، يجد أن معظمها في حماسة أبي تمام، ولعلها كانت من محفوظاته.

(١) النص المحقق: ١٠٢، ٥٥٤-٥٥٨.

(٢) النص المحقق: ٥٦٢.

٨ - شواهد:

جلب الشارح إلى ميدان شرحه جميع ألوان الشواهد (من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأمثال وأقوال، وأشعار)؛ ليطبّق عليها ما يعالجه من مسائل وقضايا علمية، أو يحاكم على ضوئها شاعرية المتنبي؛ فيحكم له أو عليه.

ولذلك جاء عمله - رحمه الله - خصباً شائعاً.

أولاً: الآيات القرآنية:

استشهد الشارح بطائفة من الآي الحكيم، أنافت على المئة. وكان النصيب الأوفر منها لمسائل النحو والصرف؛ إذ استأثرت بنحو ثلاث وستين آية، وكان من أبرز تلك المسائل: الحذف^(١)، والحروف ومعانيها^(٢).

وأخذ البحث في القضايا البلاغية والبيان اثنتين وعشرين آية^(٣).

أما الحديث عن معاني الألفاظ والأساليب فقد عضده الشارح باثنتي عشرة آية^(٤).

ونراه مرة يلتفت إلى قارئه، فيعظه وينصحه ببضع آيات^(٥).

وأداه ذلك - كله - إلى الوقوف عند بعض القراءات، يفسرها ويوجهها^(٦)، وقد يتعرض لنقدها من جهة الرواية أو القياس النحوي، كما في قراءة من قرأ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ} بجذف التنوين من (أحد) إذ قال الشارح: "ليس ذلك بالأكثر، وإنما

(١) النص المحقق ٨٥، ٨٦، ٩٨، ٣٥٠.

(٢) النص المحقق ٧٥، ٨٦، ٩٩، ١٧٠، ١٨٧.

(٣) انظر مثلاً: ٩٤، ١٠٧، ١٩١، ١٩٣.

(٤) انظر مثلاً: ٨٧، ٩٨، ٤٨٠.

(٥) النص المحقق: ٤٧٠.

(٦) النص المحقق ١٤٨، ٤١٣، ٤٨٦، ٦٩٠.

هو محكي عن أبي عمرو، وفي بعض الروايات التي ما يكاد يأخذ بها أخذ^(١). وقال في موضع آخر: «وقد أنكر بعض النحويين وردّ قراءة ابن عامر: قتل أولادهم شركائهم»^(٢)؛ وذلك للفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، «وهو قبيح بالقياس جداً، قليل في الاستعمال»^(٣).

ثانياً: الحديث النبوي:

كان الحديث النبوي أقل الشواهد وروداً عند الشارح - وذلك داء قديم - فقد أورد خمسة أحاديث فقط، اثنان منها للنحو، أحدهما: على حذف الصفة^(٤)، والآخر على استعمال المصدر بمنزلة اسم الذات^(٥). واثنان منها للمعاني اللغوية^(٦). وجاء الخامس شاهداً على ورود الاستعارة في النثر^(٧).

ولم يُعنَ برواية هذه الأحاديث؛ فجاءت مجردة من الإسناد. كما أن ثلاثة منها ضعيفة في نظر علماء الحديث!

ثالثاً: الأمثال والحكم والأقوال:

أورد الشارح طائفة من أمثال العرب وحكمها، وجاء استشهاده بأكثرها استشهاداً معنوياً^(٨). أما القلة الباقية، فساقها شواهد لغوية أو نحوية، فأورد قولهم: «حنت ولا تهنّت»^(٩) شاهداً على تخفيف الهمزة في (تهنّت) ثم حذفها لالتقاء الساكنين؛ لأن أصله

(١) النص المحقق: ٣١٨.

(٢) النص المحقق: ٣٨٥.

(٣) النص المحقق: ٣٨٥.

(٤) النص المحقق: ٧٨٣.

(٥) النص المحقق: ١٩٠.

(٦) النص المحقق: ١١٣، ٤٧٠.

(٧) النص المحقق: ١٩٤.

(٨) النص المحقق: ٣١٣، ٣٢٠، ٣٣٢، ٤١١.

(٩) ١٨٢.

(تهنأت). وأورد قولهم: «رضيتُ من الوفاء باللفاء»^(١)؛ ليبين أن معنى (اللفاء) هو القليل اليسير. ويرى الشارح أنك عندما تقول لمخاطبك: «الصيف ضيَّعت اللبَنَ»^(٢) فإن ذلك بمنزلة الخطاب وإن لم يكن كذلك؛ لأن المثل يضرب في الموقف المشابه لمورده، دونما تغيير في لفظه. وذكر قول حاتم: «لو ذات سوار لطمَنتني»^(٣) شاهداً على مجيء الاسم مرفوعاً بعد (لو) بفعل مضمر يفسره المذكور.

أما الأقوال الأخرى المأثورة عن العرب، فقد جاء معظمها للاستشهاد النحوي، كقولهم: «ليس الطيب إلا المسك»^(٤)، و«من كذب كان شراً له»^(٥)، و«ليس خلق الله أشعر منه»^(٦).

رابعاً: الشعر:

بلغ ما حشده الشارح من شواهد شعرية في طيات شرحه أكثر من (٩٤٠) بيتاً؛ امتدت من أعماق العصر الجاهلي، حتى أواخر القرن الرابع الهجري، عند أبي الفتح البستي، توفي سنة ٤٠٠هـ. ويمكن تصنيفها -إجمالاً- إلى نوعين:

- **شواهد علمية:** ساقها الشارح لإيضاح ما تعرض له من مسائل نحوية وصرفية^(٧)، أو ما بحثه من معاني الألفاظ واستعمالاتها وما يدور حولها من اشتقاقات ومرادفات، أو ما عالجه مما يتصل بالقوافي^(٨).

(١) ١٥٤.

(٢) ٩٥.

(٣) ٣٦٣.

(٤) النص المحقق: ١٤٠.

(٥) ٤٠٤، ٢٥٦.

(٦) ٣٤٦.

(٧) بلغ عدد هذا الصنف (١٢٠) شاهداً، أغلبها من شواهد سيبويه، كما أشرت سابقاً.

(٨) بلغت شواهد هذا النوع (٧٤) شاهداً.

- شواهد معنوية أو فنيّة^(١): دارت حول معاني شعر أبي الطيب ومراميه^(٢)، وما تضمّنه من صور بلاغية، وما أثاره من قضايا نقدية.

وقد عني الشارح بالكشف عن موضع الشاهد وتحديد ما يسوقه من شواهد، ولا سيما في شواهد العلمية، إذ نراه يستشهد على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بقول الشاعر:

وكرّارُ خلف المجحّرين جواده إذا لم يحامي دون أنثى حليها

ثم يقول: «الأصل: وكرّارُ جواده خلف المجحّرين، ثم فصل بينهما بالظرف»^(٣).

واستشهد على وضع الظاهر موضع المضمّر بقول الآخر:

فلما بلغنا الأمّهات وجدتم بني عمكم كانوا كرام المضاجع

فقال موضحاً: أراد وجدتمونا، فوضع الظاهر الذي هو (بني عمكم) موضع المضمّر، وجعله مفيداً ما يفيد الضمير الذي هو (نا)^(٤).

واستشهد على إبدال الهمزة ألفاً ببيت الكتاب:

راحت بمسلمة البغال عشيةً فارعي فزارةً لهنّاك المرتع

فحدّد الشاهد بقوله: «الأصل: هنّاك، فقلبت الهمزة ألفاً للضرورة»^(٥).

(١) في نحو (٣١) شاهداً.

(٢) بلغ مجموعها (٧١٥) شاهداً، للمتنبّي حوالي (١٥٠) بيتاً، وللبحتري (١٣٥) بيتاً، ولأبي تمام (٩٣) بيتاً، ولأبني المعتز (١٧) بيتاً.

(٣) النصّ المحقّق: ٧٩.

(٤) النصّ المحقّق: ١٣٨.

(٥) النصّ المحقّق: ١٨٢.

ولكنَّ الشارح قد يتجاوز موضع الشاهد فلا يحدده؛ اعتماداً على شرحه وتوضيحه
للمسألة المستشهد عليها، أو على فطنة القارئ.

قال عند بيت المتنبي:

مظلومة القدِّ في تشبيهه غُصْنا مظلومة الريق في تشبيهه ضَرْبا

«وحذف الجار من قوله: (تشبيهه غُصْنا)، والأصل: بغصن، قال:

بأيديهم مغارفٌ من حديدٍ أشبهها مَقِيرَةَ الدَّوالي»^(١)

ولم يزد.

وعند بيت المتنبي:

تعثرت به في الأفواه السُّنْها والبُرْدُ في الطرق والأقلام في الكتب

قال: «الضمير في (به) يعود إلى الخبر. ولم يشبع الكسرة فتنشأ الياء على العادة
كبيت الكتاب:

فماله من مجدٍ تليدٍ وماله من الريح حظٌ لا الجنوب ولا الصبا

والآخر:

فإن يك غثاً أو سميناً فإنني سأجعل عينيه لنفسه مقنعاً»^(٢)

والشاهد في هذين البيتين قد يخفى، إلا على البصير بأوزان الشعر.

(١) النص المحقق: ٢٦٦.

(٢) ٥٤٩.

ولم يول الشارح - رحمه الله - نسبة الأشعار إلى قائلها عناية كبيرة، فيفعل حيناً، ويدع أحياناً، اللهم إلا ما كان من أشعار ابن المعتز، وأبي نواس، وأبي تمام، والبحري، فقد التزم بنسبتها لهم، إلا في مواضع يسيرة.

وربما التفت الشارح إلى بعض الشواهد ففسّر ألفاظه، وأبان معناه إجمالاً، فقد استشهد بقول ذي الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عَصَويها سَابِرِيْ مشرَّق

ففسّره قائلاً: «وصف بئراً قد تباعد عهدا بالاستقاء، ونسج العنكبوت على صفحة مائها، فلما أرسل فيه الدلو فتقت ذلك النسج، وعلق بها، فارتفعت وهو على أطرافها كالسّابري المقطّع. ويقال: شرّقت الشيء: إذا قطعته وفصلته»^(١).

ومن الواضح أنه اعتمد كثيراً على أشعار أبي تمام والبحري في تنظيره لشعر المتنبي؛ ولعل ذلك من أجل أن أولهما رائد مذهب الصنعة، والآخر رائد مذهب الطبع، وقد أثرا على ساحة الأدب والنقد تأثيراً مدوياً، وتأثر بهما من جاء بعدهما من الشعراء، أما المتنبي فقد استطاع - بشاعريته الفذة - أن يمزج بين هذين المذهبين مزجاً متميزاً فريداً.

(١) النص المحقق: ٨٩، وله نظائر كثيرة.

٩- قيمة الكتاب:

تجلّت من خلال المباحث السابقة ملامحُ قيِّمة، وجوانب مضيئة في هذا الشرح، تجعله شرحاً ذا قيمة خاصة، جديرًا بالدراسة والقراءة، ولم يعكّر صفو ذلك إلا بعض الهنات اليسيرة، التي لا يكاد يخلو منها عمل بشريّ.

يحمد للشارح اكتمالُ أدواته الفنية، وبروز شخصيته، لما أبداه من نظرات جديدة في شعر أبي الطيب، تغاير ما ذكره الشّراح الآخرون، أو تستدرك عليهم، من مثل ما تراه عند قول أبي الطيّب في محبوبه:

لعبت بمشيتيه الشمول وجردت صنماً من الأصنام لولا الروح

إذ قال الشارح: «الشمول: الريح، لا الشّراب»^(١). وهذا الذي ردّه هو الذي اتفق عليه الشّراح الباقون! وما ذكره أقرب للسياق، وألصق بمعاني الغزل.

هذا بالنظر إلى الأبيات، أمّا بالنظر إلى شاعرية أبي الطيب بعامة فقد رأينا أن الشارح وضع يده على أهم أسرارها؛ وهو تميّز الشاعر في صياغته وأسلوبه^(٢).

وعالج الشارح -أيضاً- بقوة واقتدار وطول نفس كثيراً من معضلات أبي الطيب، وأبياته المشكلة، فذلّها، وكشف عن وجه الصواب فيها، من مثل قوله:

لا تكثر الأموات كثرة قلّة إلا إذا شقيت بك الأحياء^(٣)

وقوله:

إذا داء هفا بقراط عنه فلم يوجد لصاحبه ضريب^(٤)

(١) النص المحقق: ٧٥١.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك قريباً.

(٣) النص المحقق: ١٤٥.

(٤) النص المحقق: ٤٧٨.

وقوله:

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها^(١)

وقوله:

جلأ كما بي فليك التبريح أغذاء ذا الرشأ الأغنَّ الشيخ^(٢)

كما بحث الشارح بعض القضايا العلميّة بحثاً فريداً ناضجاً، كما في بحثه للاستعارات البعيدة^(٣)، وموقفه من دخول الألف واللام على (كل وبعض)^(٤).

ومما يحسب له أنه كشف بعضاً من الأغاليط والأوهام التي ألصقت بأبي الطيب دونما وجه حق، كما في قوله:

الإنما كانت وفاة محمد دليلاً على أن ليس لله غالب

حيث قال: «هذا البيت ليس فيه ما يستنكر - إذا حققت - لأجل أن الرجل إذا كان عظيم الرتبة، ظاهر القدرة والسلطنة، ثم جرى مجرى الضعيف العاجز في احترام المنية كان ذلك دليلاً على أن حكم الله نافذ، وقضائه غالب. وإنما يستنكر إذا قيل: إنه يعلم عند موت الإنسان قدرة الله، فأما أن يجعل ذلك من إحدى الدلائل الناطقة بأن الأمور تجري على حكمه - فلا»^(٥).

ولكن الشارح - مع إعجابه بأبي الطيب ودفاعه عنه - كان لديه من الإنصاف والموضوعية ما يجعله يؤاخذ وينتقده، فقد رأينا يثور في وجهه ثورة عنيفة بسبب بيت

(١) النص المحقق: ٦٩٩.

(٢) النص المحقق: ٧٤١.

(٣) النص المحقق: ٥٥٨ - ٥٦١.

(٤) النص المحقق: ٥٢٣ - ٢٢٥.

(٥) النص المحقق: ٢٥٨.

واحد؛ تجاوز فيه حدود الأخلاق والأدب والفن؛ بما ارتكبه من غلو ممقوت في ممدوحه؛
إذ يقول:

وأبهر آيات التهامي أنه أبوك وإحدى ما لكم من مناقب^(١)

وهنا جانبٌ تميّز فيه صاحبنا، وهو الربط ما بين النحو والمعنى، فقد عني به عناية كبيرة، فأخذ يحرّر المعنى ويكشفه عن طريق البحث في العلاقات النحوية، ومواقع الجمل والألفاظ ونظم الكلام وتركيبه، وأثر اختلاف ذلك على المعنى^(٢). وهو من هذه الناحية متفوّق على سائر الشراح.

ومما يعزز قيمة هذا الشرح، تفرّده بروايات جديدة في شعر أبي الطيب؛ لم يتضمنها الديوان ولا شروحه الأخرى^(٣).

وينبغي الإشارة إلى ما يمتاز به الشارح من أسلوب رصين، وعقلية منهجية في عرض القضايا، ومناقشة الآراء، وإصدار الأحكام مقرونة بالتحليل والتعليل والأدلة.

ومما يؤخذ عليه -رحمه الله تعالى- إسرافه في تقصّي المسائل النحوية، وتتبع احتمالاتها وإن كثرت، حتى ليظنّ القارئ -أحياناً- أن هذا الأمر مقصود لذاته، وربما كان على حساب المعنى، وكشفه، وربط البيت بسياقه^(٤).

ومما يقرب من ذلك، استطراداته التي لم تكن بمسوّغ مقبول، ولا بسبب قوي يربطها بالبيت، بلّة القصيدة. فهذا هو ذا يستطرد من خلال بيت أبي الطيب:

من يظلم اللؤماء في تكليفهم أن يصبحوا وهم له أكفاء

(١) النص المحقق: ٣٧٥.

(٢) سبقَت الإشارة إلى نماذج من ذلك.

(٣) مرّت نماذج لتلك الروايات.

(٤) انظر على سبيل المثال: ١٠١، ١٣٠، ٣٧٠ ...

إلى الحديث عن الإكفاء والإقواء في القوافي^(١)!

وعندما قال أبو الطيب:

وما قست كل ملوك البلاد - فدع ذكر بعض - بمن في حلب

استطرد الشارح إلى بحث دخول الألف واللام على (كل، وبعض) في صفحات عدّة، مع أن الشاعر لم يدخل الألف واللام عليهما!^(٢) ومثل هذا النوع من الاستطراد يزعج القارئ، ويبعده عن جو القصيدة، وتسلسل أبياتها ومقاطعها، وإن كان الشارح يعتذر عن بعض ما استطرد إليه، وإن كان ذلك سبباً انتهجه أسلافنا - رحمهم الله - لاصطياد الفوائد السانحة، أو انتشال القارئ من برائن الملل والسّامة.

ومما يؤخذ عليه مخالفته مَنْ سبقه - أحياناً - إلى آراءٍ ضعيفة في تفسير أبيات أبي الطيب، كما كان منه في قوله، يهجو وردان بن ربيعة:

أهذا اللّديا بنت وردان بنته - هما الطالبان الرزق من شرّ مطلب

إذ فسّره على ظاهره، فقال: «(أهذا) نداء، كأنه قال: يا والد هذه المرأة، هي وزوجها يطلبان الرزق من شرّ مطلب»^(٣). وفسّره الشراح الآخرون تفسيراً أقرب للسياق، وألصق بغرض الهجو، فجعلوا الهمزة للاستفهام التّكلمي، وفسروا (بنت وردان) على أنها الحشرة القبيحة المعروفة.

وكنا نتقرب من الشارح - رحمه الله - أن يشير إلى الشروح التي سبقته، أو ما كتب عن شاعرية أبي الطيب مدحاً أو قدحاً، لكنه لم يفعل، ولم يذكر أحداً غير ابن جني والقاضي الجرجاني، مع وجود إشارات في شرحه، تدل على وقوفه عند شرحي المعري والنواحيدي^(٤).

(١) النص المحقق: ١٢٢، ١٢٠.

(٢) النص المحقق: ٥٢٣-٥٢٥.

(٣) النص المحقق: ٦٩١.

(٤) انظر ما سبق في صفحة: ٥٤.

١٠- منهج التحقيق:

حاولت السير في تحقيق هذا المخطوط على النهج التالي:

أولاً: التثبت في قراءة النص؛ بالإدراك الدقيق للطريقة التي يتبعها الناسخ في الرسم، ومعالجة أوهامه وأخطائه، وما أكثرها! - بالنظر إلى دلالة السياق - والاستعانة بقواعد اللغة العربية، والرجوع إلى مصادر الشارح.

ثانياً: أغفلت الإشارة إلى أوهام الناسخ القطعية أو الواضحة؛ لكي لا أثقل العمل بذكرها. وقد حاولت ألا أتدخل في النص إلا عند الضرورة، فما زدته فيه جعلته بين معقوفين [هكذا].

ثالثاً: ضبطت أشعار المتنبي بالشكل التام، وضبطت ما أراه يحتاج إلى ضبط من ألفاظ النص.

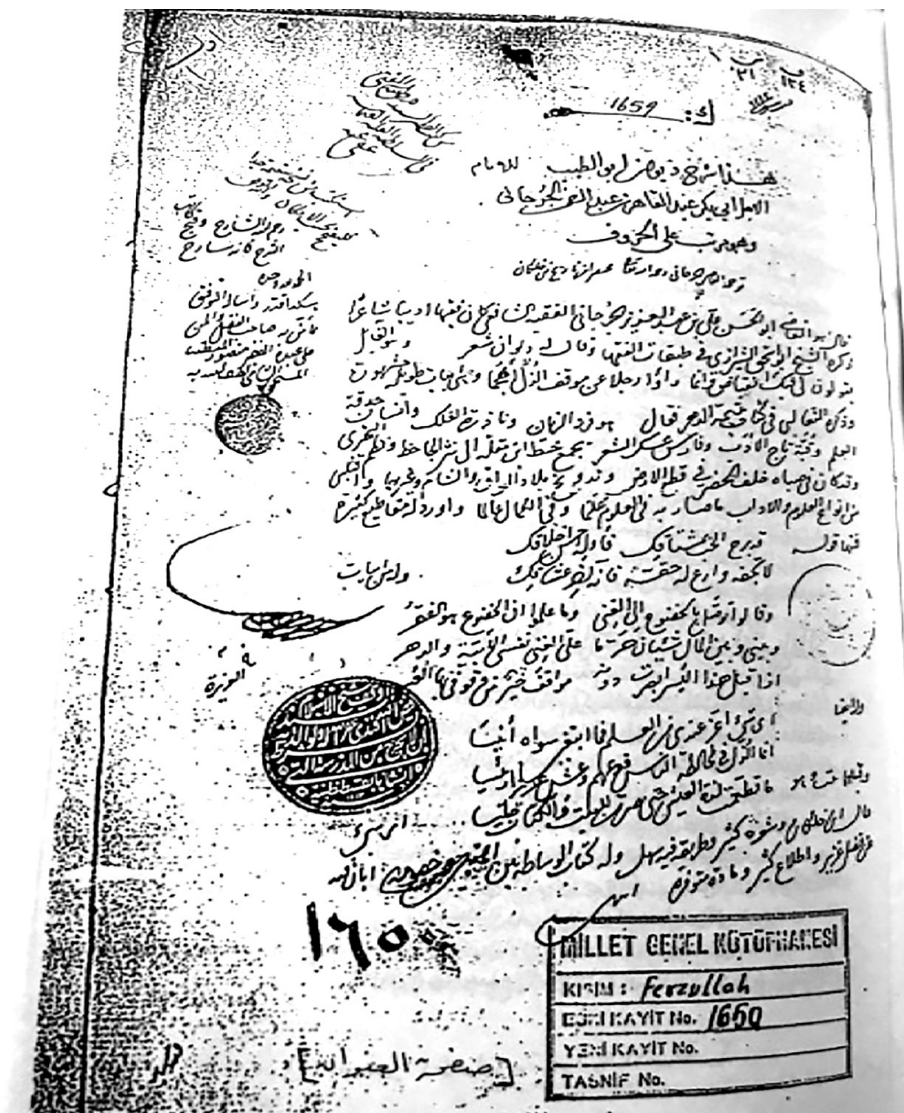
رابعاً: عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف، وخَرَجَت الأحاديث من كتب السنة المعتمدة.

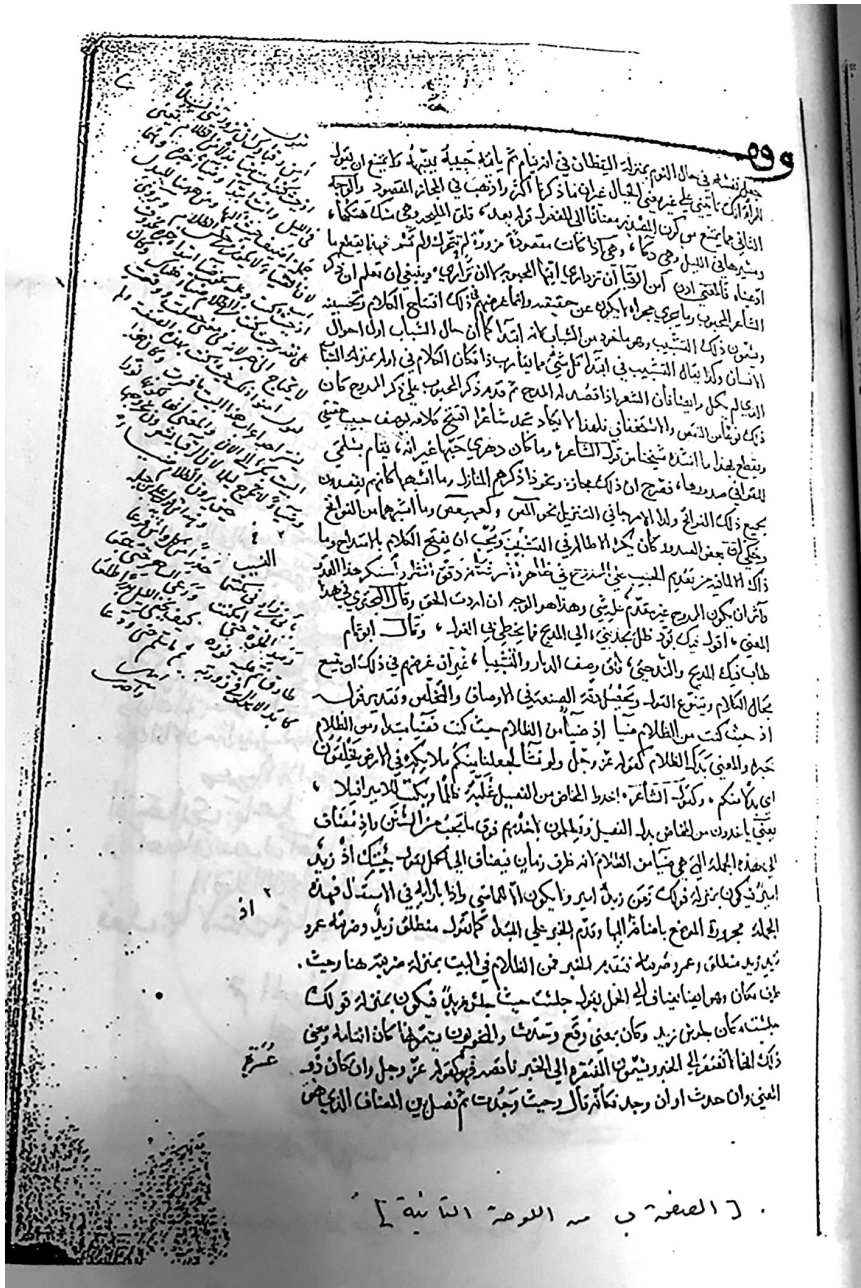
خامساً: خَرَجَت الشواهد الشعرية، بنسبتها إلى قائلها، والإشارة إلى مواضعها من دواوينهم، وإلا فمن المصادر الأصلية من كتب اللغة والأدب، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

سادساً: وضعت أرقاماً متسلسلة للقوائد والمقطعات من جهة، وللأبيات داخل كل قصيدة من جهة أخرى.

سابعاً: عَرَفَت بالمغمور من أعلام الأشخاص والأماكن تعريفاً مختصراً، وعلّقت بتوسط على ما يحتاج إلى تعليق وإيضاح.

ثامناً: ألحقت بآخر الكتاب فهرس متنوّعة، تُيسّر للقارئ الوصول بسرعة إلى ما يريد.





هذا شرح ديوان أبي الطيّب

للإمام الأجلّ أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ

وهو مرتّب على الحروف

[الجزء الأوّل]

هو كتاب شرح ديوان أبي الطيّب

شرح ديوان المتنبي للإمام
عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن -رحمه الله:

عرضت عليّ -أدام الله توفيقك وتأييدك، وألهمك من الفوائد مزيدك- رغبتك في شعراي الطيب ومعرفة حقائقه وأسراره، وأبديت لي صفحة عنايتك بتصوّر معانيه، وافتراع أبكاه، وسألتني أن أسرّح فيه لسان التفسير، وأبسّط له باع التوضيح، وأروض لك شوارد قصائده، وأفتح لفهمك مغلق مقاصده، وأحسّر غطاء الشبه عن معانيه، وأعقد عقال البيان على شوس قوافيه.

فعارضت سؤالك بالاستعفاء وأقبلت عليك بوجه الإباء؛ إذ كان مرتعاً قد جال فيه غير قلم، ومشرعاً قد وطئ أديمه كل قدم، وروضة قد جاد فيها غمام من تقدّمنا من العلماء، وفتق أنوارها صُبْح مَنْ سَلَفَ من الفضلاء.

فرايتك تنسب ذلك إلى ضعف عنايتي بشأنك، وتعدّه تهاوؤاً مني بمرادك، فجريت على ما اقتضته المروءة من الإسعاف بما تصل إليه القدرة، وتشتمل عليه الحوزة. وأنشدت نفسي قول الشاعر^(١):

ليس العطاء من الفضول سَمَاحَةً حتى تجود وما لديك قليل

بل قول الآخر^(٢):

جُهدُ المُقِلِّ إذا أعطاك نائلُهُ ومُكثِر^(٣) من غنى^(٤) سيّان في الجُود

(١) هو المقنع الكندي، شعره ضمن كتاب شعراء أمويون ٢١٠/٤.

(٢) ورد في ديوان الحماسة، بدون نسبة، (شرح المرزوقي ١٧٦٧/٤، وشرح التبريزي ٣٦٠/٢).

(٣) معطوف على (المقل)، وقد حذف منه المضاف، أي: وجهه مكثّر. (أفاده المرزوقي).

(٤) في الحماسة: (في الغنى).

إذ كان العلمُ أحدَ الأعلاقِ التي تُمدُّ إليها أيدي الآمالِ، وتُعطفُ عليها أعنةُ السؤالِ،
(وكان الذمُّ يُتخذُ في كلِّ ضنٍّ به مجالاً ومسرّحاً، والحمدُ يُتخذُ في السّمْحِ به مقاماً
ومربّعاً^(١)) وقال الخليل: "علّمَ علمك، وتعلّمَ علمَ غيرك، واجعلْ مناظرةَ التعلّمِ تنبيهاً
علَى ما ليس عندك"^(٢).

فأنا أكسوه - بحول الله وتوفيقه - من التبيين ما يوضحُ مكنونه، وينورُ مكتومه،
وأجنبُ الإطالة بما لا يليقُ به من اللغة، وأذكرُ فيه من الصناعة قدرَ ما يتحقّقُ به
ألفاظه، وأوردُ من الأشكال والنظائر ما يُورثُ الناظر فيه نشاطاً، ويسرّي في أعرافه
اغتياباً، إن شاء الله تعالى.

(١) ما بين القوسين مشكل، يحتمل أكثر من قراءة.

(٢) ورد في البيان والتبيين ١/٢٧٤.

[قافية الهمزة]

(١)

(١) *أَمِنْ ازْدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ^(٢) الظَّلامِ ضِيَاءُ

"الرقباء": مرفوعٌ "بأَمِنْ". وازديارك: مفعولٌ مقدَّم، والمصدر مضافٌ إلى الفاعل لا المفعول، فالمعنى: من أن تزوري، لا أن تزاري؛ لأجل أنهم يذكرون الحبيب أبداً بالحضور في الليل، ويجرّون في ذلك على وجهين:

أحدهما: ذكرُ الخيال، وهو غيرُ مفتقرٍ إلى دليل.

والثاني: ذكرُ المحبوب، كقوله^(٣):

أَتَتْنَا، فَحَيَّتْ، ثُمَّ قَامَتْ، فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

وكقول ابن المعتز^(٤):

وَمِنْ دُونِ مَا أَبْدَيْتَ لِي يُقْتَلُ الْفَتَى وَيُمْسَى جَلِيدُ الْقَوْمِ وَهُوَ ضَعِيفُ
فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْبَانَ يَغْرُسُ فِي النَّقَا^(٥) وَلَا أَنَّ شَمْسًا فِي الظَّلامِ تَطُوفُ

فإن قلت: هل يكون للخيال رُقباء؟!

(١) * قالها في مدح أبي علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي، انظر: الفسر ١/٦٩، والتبيان ١/١٢.

(٢) ويروى (أنت) بدل (كنت) شرح الواحدي ١٩١، ومعجز أحمد ٢/٨٠.

(٣) لجعفر بن علية الحارثي، ضمن أبيات أوردها صاحب الحماسة (شرح المرزوقي ١/٥٣)، وبلا نسبة في (طيف الخيال: ١٩١) مع اختلاف يسير. والحق أن الشاعر أنشأ هذه الأبيات في السجن، فلا سبيل للوصول إليه، فسياق الأبيات يدل على أن الشاعر يصف خيال المحبوب، لا شخصه.

(٤) ديوانه ١/٣٨٣ (دار المعارف).

(٥) النقا: الكتيب من الرمل.

فالجواب: أن الشعر مجاز، فإذا جاز أن يدخلوا الخيالَ منزلة الحبيب، حتى يُقال فعلت وصنعت، جاز أن يكون^(١) له رقباء في حال النوم؛ لأنه يجري ذلك مجرى حال اليقظة، ألا ترى إلى بيت البحري^(٢):

أجَدَّكَ^(٣) إِنْ لَمَّا تِ الْخِيَالِ لَمَذَكِرَتِي بِسَاعَاتِ الْوَصَالِ
تُورِقُنِي إِذَا الرِّقْبَاءُ نَامُوا أَنَاةُ الْخَطُوفَاتِنَةُ الدَّلَالِ

فجعل للخيال رقباء، وجعله خائفاً حتى إنه لا يأتيه إلا بعد أن يناموا، وقد صرح بذكر الخيال فكأنه / جعل نفسه في حال النوم بمنزلة اليقظة في أنه ينام، ثم يأتيه حبيبُه، فينبهُه.

ب/2

ولا يمتنع أن يقول للمرأة، إنك تأتيني^(٤)، على غير معنى الخيال، غير أن ما ذكرنا أكثر، وأذهب في المجاز المقصود.

والوجه الثاني^(٥) ممَّا يمنع من كون المصدر مضافاً إلى المفعول، قوله بعد^(٦):

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مَسْكٌ هَتَكُهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذَكَاةٌ

وهي إذا كانت مقصودةً مزورةً لم تتحرك، ولم تسر. فهذا يقطع [ب] ما ادّعيناه.

فالمعنى إذن: أمِنَ الرقباء أن تزداري أيتها المحبوبة لأن تُزاري.

(١) في الأصل: (يقول) ولم أر له وجهًا، فرجحت أن يكون تحريفاً عن (يكون).

(٢) ديوانه: ١٧٠٤/٣ (طبعة الصيرفي).

(٣) أجَدَّكَ - بكسر الجيم وفتحها - معناه: أجبَدَّ هذا منك، وفيه معنى القسم، ولا يستعمل إلا مضافاً، ونصبه على المصدر. اللسان (جدد).

(٤) كذا بالأصل، على حذف إحدى النونين، والصحيح أن المحذوف - في مثل هذه الحالة - نون الرفع، لا نون الوقاية، كما يقول ابن هشام، أوضح المسالك ٧٩/١.

(٥) الوجه الأول هو قوله سابقاً: "لأجل أنهم يذكرون الحبيب أبداً بالحضور في الليل".

(٦) هو البيت الثاني من هذه القصيدة.

وينبغي أن تعلم أن ذكر الشاعر المحبوب، وما يجري مجراه، لا يكون عن حقيقة، وإنما غرضهم في ذلك افتتاح الكلام، وتحسينه، ويسمّون ذلك التشبيب، وهو مأخوذ من الشباب؛ لأنه ابتداء، كما أن حال الشباب أول أحوال الإنسان، وكذا يقال التشبيب في ابتداء كل شيء مما يقارب ذاء، فكأن الكلام في أوله بمنزلة الشباب الذي لم يكمل. وأيضاً فإن الشعر إذا قصد له المدح، ثم قُدّم ذكر المحبوب على ذكر الممدوح، كان ذلك نوعاً من النقص والاستخفاف، فلهذا لا تكاد تجد شاعراً افتتح كلامه بوصف حبيب حقيقي^(١). ويقطع بهذا ما أنشده شيخنا من قول الشاعر^(٢):

وما كان دَهري^(٣) حبّاً غير أنّه يُقام بسلمى للقوافي صدورُها

فصرّح أن ذلك مجاز. ونحو ذا ذكرهم المنازل، وما أشبهها، كأنهم يقصدون بجميع ذلك الفواتح. ولذا الأمر جاء في التنزيل، نحو: ﴿الْمَصَّ﴾^(٤)، ﴿كَهَيْعَصَ﴾^(٥)، وما أشبهها من الفواتح^(٦).

وحكي أن بعض الصُدور، كان يكره الإطالة في التشبيب^(٧)، ويُحب أن يُفتح الكلام بالامتداح؛ وما ذاك إلا لما فيه من تقديم الحبيب على الممدوح في ظاهر الأمر، فكأنه دقّق النظر، واستنكر هذا القدر وأثر أن يكون الممدوح غير مقدّم عليه شيء، وهذا هو الوجه إن أردت الحق! وقال البحري في هذا المعنى^(٨):

(١) وما يذكره الشعراء من مسميات، إنما هو زور وخيال لا حقيقة، انظر: العمدة ٧٦١/٢. ويرد على هذا القول أن كثيراً من الشعراء قد تغزلوا بنساء حقيقيات!

(٢) هو مالك بن رُعبَة الباهلي، انظر: العمدة ٧٦١/٢.

(٣) في العمدة (طبي)، والطب: هو العادة والسجية.

(٤) الأعراف: ١

(٥) مريم: ١

(٦) هذا القول منقول عن مجاهد (تفسير ابن كثير ٣٦/١)، وهو قول أبي عبيدة (مجاز القرآن ١٧/١، ٢٨) وذكره الأخفش (معاني القرآن ١٧٠/١). وفي هذه الحروف المقطعة أقوال وآراء كثيرة، ذكرها مفصلة ابن جرير ٢٠٥/١ والقرطبي ١٠٨/١، وابن كثير ٣٦/١، وغيرهم.

(٧) من ذلك ما حكاه ابن رشيّق عن نصر بن سيار (العمدة ٧٦٣/٣).

(٨) ديوانه ١٧٦١/٣، من قصيدة في مدح أبي سعيد الصامتي، استهلّها بالوقوف على الأطلال.

أقول فيك بودّ ظلّ يجذبني إلى المديح فما يحطّي بي الغزل

وقال أبو تمام^(١):

طاب فيك المديح والتّد حتى فاق وصف الديار والتشبيبا

غير أنّ غرضهم في ذلك أن يتّسع مجال الكلام، ويتنوّع القول، وتحصل دقّة الصنعة في الأوصاف، والتخلّص^(٢).

وتقدير قوله: "إذ حيث كنت من الظلام ضياءً": إذ ضياءً من الظلام حيث كنت، "فضياءً" مبتدأ، و"من الظلام" خبره، والمعنى: بدل الظلام، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾^(٣) أي: بدلاً منكم^(٤)، وكقول الشاعر^(٥):

أخذوا المخاض من الفصيل غلبةً ظلماً، ويكتب للأمير أفيلا^(٦)

يعني: يأخذون من المخاض بدل الفصيل، ويظلمون لأخذهم فوق ما يجب من السنن^(٧).

و"إذ" مضاف إلى هذه الجملة التي هي "ضياءً من الظلام"؛ لأنه ظرف زمان، فيضاف إلى الجمل، تقول: جئتُك إذ زيدُ أميرٌ، فيكون بمنزلة قولك: زمنَ زيدٍ أميرٍ، ولا

(١) ديوانه بشرح التبريزي ١٦١/١، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري، بدأها بالوقوف على الأطلال والنسيب^١.

(٢) التخلّص: هو الانتقال بانسياب ولطافة من غرض إلى غرض، كالانتقال من النسيب إلى المديح. انظر: الصناعتين ٤٥٢، والعمدة ٤٠٩/١.

(٣) الزخرف: ٦٠.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤١٧/٤، والبحر المحيط ٨٥/٨.

(٥) هو الراعي النميري، ديوانه: ٢٤٢، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان، ويشكو من السعاة.

(٦) الغلبة: القهر والظلم. والأفيل: ابن المخاض، اللسان (أفل).

(٧) أي: سنن الزكاة ومقاديرها. وربما كان ذلك تحريفاً عن (السنن).

يكون إلا للماضي - وإذا بإزائه في الاستقبال - فهذه الجملة مجرورة الموضع بإضافة "إذ" إليها.

وقدّم الخبر على المبتدأ، كما تقول: منطلقُ زيد، وضربته عمرو، تريد: زيد منطلق، وعمرو ضربه، فتقدّم الخبر. فمن الظلام في البيت بمنزلة (ضربته) هنا.

و"حيث" ظرف مكان، وهو - أيضاً - يضاف إلى الجمل، تقول: جلستُ حيث جلس زيد، فيكون بمنزلة قولك: جلستُ مكانَ جلوسِ زيد.

و"كان" بمعنى وَقَعَ وحدث، والنحويون يسمونها (كان التامة)، ومعنى ذلك أنها لا تفتقر إلى الخبر - ويسمّون المفتقرة إلى الخبر ناقصةً - فهو كقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ^(١)﴾ المعنى: وإن حدث، أو إن وُجد. فكأنه قال: وحيث وجدت ثم فصل بين المضاف الذي هو "إذ" وبين المضاف إليه الذي هو "ضياء من الظلام" "بحيث كنت"، كبيت الكتاب^(٢):

وَكِرَارُ خَلْفَ الْمُجْحَرِينَ^(٣) جَوَادِهِ إِذَا لَمْ يُجَامِ^(٤) دُونَ أَنْثَى حَلِيلِهَا^(٥)

الأصل: وكرارُ جواده خلفَ المُجْحَرِينَ، ثم فصل بينهما بالظرف.

فهذا مثل بيت المتنبي بعينه؛ لأن "خلف" ظرف مكان، كما أن "حيث" كذلك. ولا يكون هذا إلا في ضرورة الشعر^(٦)، ولا يكثر أيضاً؛ لأنه ضعيف في القياس.

(١) سورة البقرة: ٢٨٠

(٢) الكتاب ١/١٧٧، وهو للأخطل، ديوانه ٤١٠ (تحقيق: قباوة).

(٣) المجحرون: جمع مجحر، وهو المهرق المضيق عليه، كأنه ألجئ إلى جحر. (خزانة الأدب ٨/٢١٣). ورواية الديوان (خلف المهرقين).

(٤) هذه الياء ليست لام الفعل - لأنها حذفت للجزم - وإنما هي ياء نشأت من إشباع الكسرة لإقامة الوزن. انظر: الخزانة ٨/٢١٣.

(٥) رواية الشطر الثاني في الديوان: حفاظاً، إذا لم يحم أنثى حليلها

(٦) نص على ذلك سيبويه ١/١٧٦.

فمعنى البيت بعد هذا: أنَّ الرقباء قد أيقنوا أنَّك لا تزورين؛ لأجل أنَّك لا تحبين أن يعرفوا مكانك، ونور وجهك من السطوع بحيث يحسرُ الظلام، ويقلبه إلى الضياء، وإذا كان كذلك، كان وجهك واثياً [يُخبر] بمجيئك، فلهذا من الشأن^(١) أمِنوا زيارتك المحبوب.

ومثله قول البحتري^(٢):

ياموعداً منها ترقَّبْتُه والصبحُ فيما بيننا يسفرُ
هَمَّتْ بنا حتى إذا أقبلت نَمَّ عليها المسك والعنبرُ

وقال أيضاً^(٣):

وَزَارَتْ على عجلٍ فأكْتَسى بزَوْرَتِها^(٤) (أبرقُ الحزن) طيباً
فكَانَ العَبِيرُ لها واثياً وجرسُ الحليِّ عليها رقيباً

فهو مثل ذلك في أن ما يصابها من هذه الأشياء يدل عليها، وينبئ عن حضورها.

وقال ابن المعتز في قلب الظلام ضياءً^(٥):

لي حبيبٌ يَكِدُنِي^(٦) بِمِطَالِهِ غَشَّ ديني بحسنه وجمالِهِ
قَمَرٌ يُلْبِسُ الظلامَ ضياءً عَجَبَ النَّقْصِ في الوري من كمالِهِ

(١) أي: فلهذا الشأن، وسيكرر هذا التركيب هنا، كما أن عبد القاهر استعمله في كتبه الأخرى، انظر:

(المقتصد ٢/٩٣٣).

(٢) ديوانه ٢/٩٢١.

(٣) ديوانه ١/١٤٩.

(٤) في الديوان (لزورتها).

(٥) أبرق الحزن: مكان.

(٦) ديوانه ١/٤٠٣.

(٧) في الديوان (يكدني).

فإن قلت: فإن أجمل أحواله أن يكون بمنزلة قولك: أمن الرقباء زيارتك، ومن كون الظلام بدلاً من الضياء أي مكان كنت، والمعنى على خلاف هذا؛ لأنه لا يريد أنهم كانوا أمنوا زيارتها فيما مضى، وإنما المقصود أنهم قد أيقنوا أن هذه المحبوبة لا تزور قط؛ لما ذكرنا من السبب^(١)، فالمعنى على المستقبل، و"إذ" ماضٍ!

فالجواب: أن الأمر ليس على ما ارتقى وهُمك! وإنما المعنى أن الرقباء أمنوا زيارتك إِيَّايَ فيما بعد، وقت كونك على هذه الصفة، أي موضع حصلت، كما تقول: عرفت انقطاعك زمن حل زيد بداري، و"إذ" ظرفٌ لأَمِنَ، لا مَنَ الزيارة، كما أن "زَمَنَ حَلَّ" ظرفٌ لعرفت، لا لانقطاعك. وإذا كان الأمر على ما وصفنا، كان الاعتراض ساقطاً.

واعلم أن "إذ" يَسْرِي فيه معنى التعليل في بعض المواضع، تقول: لا آتيك إذ أخوك يسيء القول في، فيكون بمنزلة قولك: لإساءة أخيك؛ وذلك أنه لما كان قولك: خرجت إذ خرجت، بمعنى: خرجت حين خرجت، دخله معنى التعليل في الماضي؛ لأن زمن خروجك متعلق بزمن خروجه، وذلك بمنزلة أن تعلق خروجك بخروجه، فتقول: خرجت لخروجك، وقالوا: لا آتيك إذ أخوك يسيء القول في، فاستعمل بمعنى التعليل المجرد، ألا ترى إذا قلت: أعطني إذ أحسنت إليك، كان^(٢) بمنزلة أن تقول: لأنني أحسنت؟! هذا مما لا يدفعه حسٌ. ولما كان الأصل فيه الدلالة على الزمان بقي على ذلك في الإضافة إلى الجملة.

(٢) قَلِقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مَسْكَ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاءٌ

"قلق المليحة": مبتدأ، "وهتكها" خبره، وهو على ضريين:

أحدهما: أن يكون بمنزلة قولك: رجلٌ عدلٌ، أي عادل^(٣)، فكأنه قال: قلق المليحة هاتكها.

(١) وهو أن صفة الضياء والإشراق ملازمة لها غير منقطعة.

(٢) أي: كان قولك

(٣) أي: من قبيل الإخبار بالمصدر نيابة عن الوصف المشتق.

والثاني: أن يكون مصدرًا محضًا، فكأنه جعل القلق هتكًا، كما تقول: عتابك السيف، فتجعلُه إياه.

"وهي مسك" حال لها، والواو بمنزلة قوله عز وجل: ﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(١).

وفصل بين المبتدأ والخبر، كما تقول: زيد قائمًا ضاربك.

وقوله: "ومسيرها في الليل" مبتدأ ثانٍ مستأنف، وخبره محذوف في اللفظ ومثبت في التقدير؛ لأن الأول يدل عليه، فكأنه قال: ومسيرها في الليل - وهي ذكاء - هتكها أيضًا.

وقوله: "وهي ذكاء" بمنزلة "وهي مسك" في كونه حالًا، / وهذا بمنزلة قولك: زيد منطلق وعمرو، فتحذف^(٢)؛ لأن ذكره في الأول يدل عليه، فعمرو وإن كان مفرّدًا في اللفظ فإن الواو عاطفة جملة على جملة؛ لأجل أن خبره مقدر، فهو بمنزلة أن تقول: زيد قائم، وعمرو قاعد^(٣). ولا يجوز حذف الخبر هنا؛ لأجل أن قائمًا ليس من جنس قاعد فلا يدل عليه، فمتى أردت الخلاف وجب إظهاره.

3/ب

فتلخيص الكلام أن تقول: قلق المليحة هتكها فائحة، ومسيرها في الليل لأئحة كذلك.

ورجع من الخطاب إلى الكناية^(٤)؛ لأن "المليحة" كناية عن صاحبة الكاف في قوله: "أمن ازديارك".

(١) آل عمران: ١٥٤، والواو هذه هي واو الحال، انظر: معاني القرآن للزجاج ١/٤٧٩، والمقتصد ١/٤٢٨.

(٢) أي: فتحذف خبر المبتدأ الثاني؛ لأنه من جنس الأول.

(٣) بمنزلة: لأن كلا القولين مكوّن من جملتين.

(٤) الكناية بمعنى الغيبة، وهذا مصطلح يكثر عند متقدمي النحاة، والمقصود: أنه التفتت من الخطاب

(ازديارك - كنت) إلى الغيبة (المليحة - هي - هتكها) والكناية - الثانية - بمعنى: التعبير.

"وذكاء": الشمس، معرفةً لا يدخلها الألف واللام، مثل (خُضارة) للبحر^(١)، ووزنها "فُعَال"^(٢)، من ذكبت النار تذكو. ولم ينصرف للتعريف والتأنيث، فهو بمنزلة "سعاد" اسم امرأة، أعني أنه ليس في لفظه علمُ التأنيث - كالتاء في خضارة - لأن الهمزة بدل من الواو، مثلها في دعاء.

وحكى شيخنا: "يوح"^(٣) في أسماء الشمس أيضاً، وذكر أنه رآه بخط أبي العباس^(٤) في جزء أهداه الشيخ أبو علي^(٥) إلى عضد الدولة^(٦) يومَ نيروز^(٧).

(٣) أَسْفِي عَلَى أَسْفِي الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَيَّ خَفَاءُ

المدلّه عن الشيء: المشغولُ عنه، قرأت على شيخنا عن أبي الحسن^(٨):

قَالَتْ أُنَيْلِي لِي وَلَمْ أَسْبِهْ:

مَا الْعِشُّ إِلَّا غَفْلَةُ الْمَدْلَهِ^(٩)

"فأسفي" مبتدأ، و"على أسفي" خبره، و"الذي دلّهتني عن علمه" متعلقٌ "بأسفي" الثاني على أنه صفةٌ له.

"[به] عليّ خفاء": الباء فيه بمنزلته في قولك: به داءٌ.

(١) انظر: المقتضب ٤/٤٥، وإصلاح المنطق ٣٣٦.

(٢) في الأصل (فقال)، تحريف.

(٣) انظر: الفسر ١/٧١، واللسان والقاموس (بوح / يوح).

(٤) لعله أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، رأس البصريين في عصره.

(٥) الحسن بن أحمد الفارسي، إمام النحاة في عصره.

(٦) فناخسرو بن ركن الدولة ابن بويه الديلمي، أحد ممدوحِي المتنبي.

(٧) النيروز والنوروز: هو عيد رأس السنة عند الفرس. المعرب: ٦١٧.

(٨) في الأصل (أبي الحسين) تحريف عن (أبي الحسن)؛ لأن شيخه يكثر من الرواية عن أبي الحسن

الأخفش، ثم إن هذا الرجز أورده الأخفش في كتابه القوافي: ٨١، ١١٦.

(٩) لرؤية ديوانه (مجموع أشعار العرب) ١٦٥. و(أبيلى) اسم امرأة، والمسببه: الذهاب العقل، كالمدلّه.

وفي ديوان رؤية، (السن) بدل (العيش).

"فخفاء" مبتدأ، و"به" خبره، و"عليّ" صفةٌ لخفاءٍ في الأصل، كأنّه قال: فيه خفاءٌ كائن عليّ، ثم قدّمه عليه، وجعله حالاً، كقوله^(١):

لعزة موحشاً ظلّ قديم

"فخفاء" ههنا بمنزلة (زيد)^(٢) في أنّه لا يجوز أن يتعلّق به "عليّ" تعلّقَه بقولك: خفيّ عليّ؛ لأجل أنّك إذا علّقته به لم يسعْ تقديمه عليه، كما لا يجوز أن تقول: بزيدٍ مروري حسنٌ^(٣)، فإذا جعلته متعلّقاً بمحذوف جاز تقديمه؛ لأنّه لا يكون من تمام المصدر ومن جملة، فهو بمنزلة أن تقول: فبه عليّ أمرٌ وشأنٌ، فكأنّه قال: فبه كائنًا عليّ خفاء. فهذا هو مقتضى الإعراب.

وأما المعنى: فإنه إذا حُمِلَ على ظاهره لم يحسن؛ لأنّ مؤدّى الظاهر أنه يتأسّف على فواتِ معرفة الأسف الكائن عليه، وهذا نقيضُ العادة؛ من حيث إنّ الإنسان إذا جهل قدر ما يكون فيه من الشدائد، كان ذلك أهونَ عليه وأخفّ، فإذا تصوّره تضاعفَ همُّه، وتنغّصَ عيشه، ولهذا قال^(٤):

ما العيش إلا غفلة المدلّ!

(١) لكثير، وتماه بهذه الرواية: عفاه كل أسحم مستديم

وهو بهذه الرواية في: المقتصد ٤٣٤/١، والمفصل (انظر: ابن يعيش ٦٢/٢، ٦٤)، والخزانة ٢٠٩/٣، وفيها (لمية) قال البغدادى: "ومن رواه (لمية موحشاً)، قال: إنه لذي الرمة" وفي مادتي (سحم) و(حسن) من التاج، ونسبه لكثير. وانظر: ملحقات ديوان كثير (طبعة إحسان عباس) ٥٣٦. ورواية سيوييه - وأكثر النحاة من بعده: لمية (أو: لعزة) موحشاً ظلل.

انظر: الكتاب ١٢٣/٢، وانظر: ملحقات ديوان كثير ٥٠٦.

والشاهد فيه - على الروايتين - (موحشاً ظلل) أصله: ظلل موحش، فتقدّمت الصفة على الموصوف، فنُصبت على الحال؛ لأن الصفة لا تتقدم على موصوفها.

(٢) كذا بالأصل، ولم يتبين لي وجه ما أراد، ولعل كلمة (زيد) بقية جملة عبثت بها يد الناسخ.

(٣) لا يجوز هذا لأن الجار والمجرور (بزيد) من تمام المصدر (مرور) ومن صلته، فلا يجوز تقديمه عليه.

(٤) سبق قريباً.

ولله درالبحتري، حيث قال^(١):

عقلت، فودّعتُ التصابي، فإنما^(٢) تصرّمُ لهو المرء أن يكملَ العقلُ
أرى الحلمُ بُؤسَى للمعيشة^(٣) للفتى ولا عيشٌ إلا ما حباك به الجهلُ ١١

وقال ابن المعتز^(٤):

قد كَلَمْتُ عَيْنَهُ عيني، فهُنُونِي! وحدثني حديثاً^(٥) ليس بالدُّونِ
قالوا: جُنُنتَ بلا شك^(٦)! فقلتُ لهم ما لَذَّةُ العيش إلا للمجانين!

فإذن غرضُ المتنبي أنّه يتأسّفُ على ذهاب عقله؛ لأجل أن الإنسان يتصوّر مقادير الأمور بالعقل، فإذا عَدِمَه لن يتصوّر شيئاً، فقد تأسّف -إذا- على ذهابه عن تصوّر الأسف الملمّ به؛ لأجل أنه مسبّبٌ عن فوات العقل، ولو كان يتأتّى له أن يفقد العلم بالأسف اللازم له مع بقاء العقل لكان ذلك محموداً عنده، هذا هو الوجه الصحيح^(٧)، فكأنه قال: أسفي على لبيّ المسلوب، وإذا كان الإنسان لا يتصور ما^(٨) يكون ملتبساً به وكأنّاً في نفسه، كان من أن يعرف شيئاً غير ذلك أبعد.

(١) ديوانه ١٦١٢/٣.

(٢) في الديوان (وإنما).

(٣) في الديوان (بؤسى في المعيشة)، وهو أجود. و(بؤسى) فعلى من البؤس.

(٤) ديوانه ٤٢٨/١.

(٥) في الديوان (محبّ)، رواية أخرى.

(٦) وفي الديوان (جنت بمن تهوى)، وهي رواية أخرى.

(٧) نصّ على هذا الوجه ابن جني (الفسر ٧٣/١)، والفتح الوهبي (٣١)، وابن سيده (شرح مشكل أبيات المتنبي ١٠١). واضطربت عبارة الواحدي، فقال (شرحه ١٩٢): "يقول إنما أتأسّف على أنك شغلتي عن معرفة الأسف حتى خفي علي ما الأسف؛ لأنك أذهبت عقلي". وجمع صاحب التبيان بين قولي ابن جني والواحدي (التبيان ١٤/١). وفُسّر صاحب معجز أحمد ٨٢/٢ على الوجه الذي منعه الشارح.

(٨) في الأصل (بما).

١/4

هذا، وقد سلك المتنبي / طريقةً مناقضةً في الحقيقة للآيات التي أنشدتها؛ وذلك أنه أثر العقل على طيب العيش، ألا ترى أن العقل إذا وُجد لم يوجد فوات معرفة الأسف الحاصل؟ وإذا كان كذلك كان العيش منغصاً، غير أنه اختار التحصيل والعقل على كل شيء، وما قصد أولئك بالضد من ذلك؛ لأنهم اختاروا الغفلة والذهاب عن التحقيق والبصيرة لينعم العيش، وتخفف أعباء الهموم.

والنكتة ما ذكرنا من أن التأسف لم يقع على جهل الأسف الموجود على الإطلاق، وإنما وقع على فوات العقل. وإنه لو كان يجوز أن يُجهل الأسف مع وجود العقل لما كان ذلك منكوراً^(١). فاعرفه.

(٤) وَشَكَيْتِي فَقَدْ السَّقَامُ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ

الشَّكِيَّةُ: الشيء الذي يُشْتَكَى - كما أن الرِّمِيَّةَ للشيء الذي يُرْمَى - فكأنه قال: والشيء الذي أشكوه هو فَقْدُ السَّقَامِ. وهذا البيت تفسير البيت الأول. لأنَّ شكايتَه زوال السَّقَامِ من أجل أنه مسبَّبٌ عن ذهاب الأعضاء، كما كان معرفة الأسف تابعاً لذهاب العقل، ولو كان تبقى الأعضاء ويذهب السَّقَامُ ما شكا افتقاده، فاعرفه. ولولا هذا البيت لجاز أن يُتوهم أنه ذهبَ مذهب الآخر، حيث قال^(٢):

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَنِي تَشَكَّيْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي

حتى كأنه أراد: أُنِي أَحَبُّ أَنْ أَتَعَبَ، وَأَشْقَى فِي الْحَبِّ، وَلَكِنْ هَذَا الْبَيْتُ قَدْ حَسَمَ الشُّبْهَةَ، وَقَطَعَ بِأَنَّهُ يَقْصِدُ مَا ذَكَرْتُ مِنَ التَّلَهُّفِ عَلَى ذَهَابِ الْعَقْلِ، وَأَنَّهُ يُوَدُّ أَنْ يَعْرِفَ الَّذِي أَوْجَدَ السَّقَامُ مِنَ الْبَرْحِ؛ لِبَقَاءِ الْعَقْلِ عِنْدَ مَعْرِفَتِهِ.

(١) في الأصل (مشكوراً)، وهو خلاف ما يقصد.

(٢) في الحماسة (شرح المرزوقي ١٢٦٨/٣)، والزهرة ٤٣٥/١، بلا نسبة، وهو في ديوان المجنون ٩٢ (عبد الستار فراج).

والهاء في "لأنه" ضمير الأمر^(١).

والوجه في "كان" هذه أن تكون تامةً، كأنه: قد كان لي أعضاء مدّة حياتي.

(٥) مَثَلْتُ عَيْنَكَ فِي حِشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا: كِلْتَاهُمَا نَجْدَاءُ

"مثلت" مثل صوّرت، أي: جعلت لها مثلاً في حشاي. "جراحة": نُصِبَ على التمييز (مبتدأ)^(٢)؛ لأنّ التمثيل منهم يكون بالجراحة وغيرها، فلما كان كذلك افتقر إلى التبيين.

ثم قال: "فتشابها" حملاً على المعنى^(٣)، حتى كأنه قال: فتشابهة^(٤) الشيطان أو المذكوران، كقول الشاعر^(٥):

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ مِنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِراً
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غَرِيبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِراً

فهذا كلام يُحكى عن امرأة، ألا ترى إلى قوله: "قامت" فكان ينبغي أن يقول: تركتني في الدار ذات غربة، كما أنك تقول: قالت هند: غادرتني خجلةً، غير أنه نظر إلى المعنى فذَكَرَ، فكانه قال: تركتني في الدار إنساناً ذا غربة. وبيت المتنبي أقرب من هذا؛ لأجل أن تأنيث الجراحة والعين غير حقيقي، وتأنيث المرأة حقيقي، فالحمل على المعنى ثَمَّ^(٦) أذهب في الحسن منه.

(١) ويُسمى ضمير الشأن. والذي يظهر من السياق أن الضمير في "لأنه" يعود إلى "السقام".

(٢) كذا بالأصل، ولعلها مقحمة!

(٣) إذ كان حقّه أن يقول: (فتشابها) - بناء التأنيث - مراعاة للتأنيث في العين والجراحة.

(٤) في الأصل (فتشابها).

(٥) البيتان ينسبان للأعشى كما في المحكم (عمر) ١٠٩/٢، وليس في ديوانه، وينسبان إلى امرأة من العرب كما في العقد الفريد ٢٥٩/٣، برواية لا شاهد فيها.

وبلا نسبة في الأصول ٤٣٨/٣، وأمالى ابن الشجري ٤٢٥/٢، وشرح التبريزي لديوان أبي تمام ٣٥٢/٤، وضرورة الشعر ٤٦، وفيه تخريج مستوفى.

(٦) الإشارة تعود إلى قول المتنبي.

غير أن لقائل أن يقول: إن "ذا غربة" صفة لمحذوف مقدّر، وليس هو لامرأة، على أنها في المعنى إنسان! كما أن قوله^(١):

لو قلت ما في قومها لم تبيّن^(٢)
يفضلها في^(٣) حسب وميسم^(٤)

لا بدّ فيه من تقدير موصوف "ليفضلها"، فكأنه قال: أحدُ يفضلها؛ لأجل أنك لو لم تقدّر، بقيت الفعل (الذي هو يفضلها) من غير فاعل، وهذا محال، وبيّنت المتنبّي ليس فيه سبيلٌ إلى أن يكون "تشابها" لغير الجراحة والعين، كما يجوز أن يكون "ذا غربة" - هنا - لغير المرأة المتكلّمة: "ذا غربة" - في القول الثاني - منصوب بأنّه صفة لمحذوف منصوب (وهو حال للضمير)؛ لما ذكرنا من أن التقدير: تركتني إنساناً ذا غربة.

فأشبهه - من هذا - بيت المتنبّي بيت الكتاب^(٥):

هل تعرف الدار يعفّيها المور^(٦)
والدّجن يوماً، والسحاب المهور^(٧)
لكل ريح فيه ذيل مجرور^(٨)

(١) في الكتاب ٣/٤٥٠، والخصائص ٢/٣٧٠، بلا نسبة، ونسبه ابن يعيش ٣/٦١ لأبي الأسود الحِماني، ونسبه صاحب الخزانة ٥/٦٤ لحكيم بن مُعوية الرّبّعي.

(٢) (تبيّن) لغة في تأثّم، عند من يكسر حرف المضارعة من العرب. وفي الأصل (تثّم) بياء فوقها همزة، وكأنّه إشارة إلى رواية من رواه بالهمز، كما عند الفراء (معاني القرآن ١/٢٧١).

(٣) في الأصل (من) بدل (في) وهو خلاف ما في المصادر كلها، فلعله تحريف.

(٤) الميسم: الجمال والوسامة.

(٥) الكتاب ٢/١٧٩، ونسبه لبعض السعديين، وهذا الرجز في النوادر ٢٣٦، والمنصف لابن جني ١/٢٨٩، والمخصص ١٧/٤ بلا نسبة، مع خلاف في ألفاظه.

(٦) يعفّيها: يطمس معالمها، والمور: الغبار مع الريح.

(٧) الدّجن: الغيم، وفي الكتاب (العجاج) بدل (السحاب)، ورواية السحاب أجود.

(٨) في الكتاب (مسفور) بدل (مجرور).

فقال: "فيه" حملاً على المعنى لأنها مكان، وتأنيث الدار غير حقيقي، كما أن تأنيث العين والجراحة كذلك.

4/ب

(٦) /نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ، وربما تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّغْدَةُ السَّمَرَاءُ

السابريُّ: الثوبُ الرقيق، ولا يكون إلا بسابور^(١)، وقال ذو الرمة^(٢):

فجاءت بنسج العنكبوت كأنَّه على عَصَوِيْهَا سَابِرِيٌّ مُشَرَّقُ^(٣)

وصف بئراً قد تباعد عهدُها بالاستقاء، ونسج العنكبوت على صفحة مائها، فلما أرسل فيه الدلو فتفت ذلك النسج، وعلق بها، فارتفعت وهو على أطرافها كالسابري المقطع، ويقال: شرقت الشيء: إذا قطعته، وفصلته.

"ونفذ" غير متعدي، وإنما يعدى بالجار. تقول: نفذ فيه السهم، وإنما أوصله إلى السابري بعد حذف الجار، والأصل: نفذت بالسابري عليّ، و"عليّ" حالٌ من "السابري" كأنه قال: كائنًا عليّ، ثم قدّمه، وحذف في، فصارت "نفذت علي السابري" كما ترى، فهو بمنزلة قولهم: دخلت البيت، في أنه جاء على: دخلت فيه، وكذا ولجته إنما هو على: ولجت فيه. وجاء مصدر نفذ على فُعول كالُدْخول والُولُوج. ولأجل هذا الولُوج^(٤)، قال صاحب الكتاب: إنَّ ولجته جاء على ولجت فيه^(٥). لأنَّ بابه أن يكون لغير المتعدي^(٦).

(١) سابور، مدينة في بلاد فارس، اشتهرت بكثرة بساتينها وثمارها.

انظر: معجم ما استعجم ٧١١/٣، ومعجم البلدان ١٨٨/٣.

(٢) ديوانه ٤٩٦/١.

(٣) في الديوان (مَشْبَرَق)، والمَشْبَرَق مثل المَشَرَّق وهو المقطع.

(٤) أي: ولأجل هذا الوزن من المصدر.

(٥) انظر: الكتاب ١٠/٤.

(٦) وقد بحثه المؤلف بنحو مما هنا في المقتصد ٥٩٩/١، ٦٠٠.

ويجوز أن يكون حمله على المعنى فعدها بغير الجار؛ لأنه بمنزلة قَطَعَ (وقطع يتعدى بغير حرف جر)، كما أنشد أبو زيد^(١):

إِذَا رَضِيْتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

فعَدَى "رضي" بعلی؛ لما كان فيه معنى أقبَلْتُ، وكان أقبَل يتعدى به (يتضمن معنى أقبَلْتُ^(٢)). ونحو هذا كثير في الكلام والشعر.

و"الصَّعدة": القنأة تنبت مستوية فلا تفتقر إلى التثقيف، وزعموا أنهم قالوا: صَعْدَ للمرأة المستوية القائمة، سُبَّهَتْ بالقنأة، وإنما أخذ ذلك من الصعود؛ لأنها تصعد من الأرض.

فإن قلت: كيف يجوز أن ينكسر الرمحُ في الثوب الرقيق؟!

فالجواب: أنه يكون على وجهين:

أحدهما: أن يريد أن جلدي من الصلابة بحيث أن لا يؤثر الرمحُ [فيه]، ألا ترى إلى قوله "أنا صخرة الوادي"^(٣) فيما بعد؟ وإذا كان الثوب الرقيق الذي لا يمتنع من الشيء الضعيف التأثير ينكسر فيه الرمحُ لأجل أن جلده يليه^(٤) كان ذلك نهايةً في الوصف بالقوة والمتانة^(٥). ومثل ذا قوله^(٦):

(١) النوادر ١٧٦، للقحيف العقيلي، وانظر: (شعر ابن عقيل وشعرهم ٢/٢٠٢)، جمع د. عبد العزيز الفيصل.

وأبو زيد هو سعيد بن أوس الأنصاري، إمام في اللغة والأدب، له مصنفات كثيرة، من أشهرها: كتاب (النوادر)، توفي سنة ١١٥هـ، وقد قارب المئة. وفيات الأعيان ٢/٣٧٨، إنباه الرواه ٢/٣٠، بغية الوعاة ٥٨٢/١.

(٢) كذا وردت هذه العبارة بالأصل، وهي حائرة، وتكرار لما قبلها!.

(٣) هو البيت التالي لهذا.

(٤) كتب بإزاء هذه الكلمة في الحاشية - بخط مخالف - (يقينه)، وما قرأته من المتن أجود، وانظر: الفسر ٧٤، ٧٣/١.

(٥) أو أن الرماح لا تصل إليه؛ لهيبته في القلوب، ولشجاعته. الواحدي ١٩٣.

(٦) أي: المتني، ديوانه ٧٢.

طوال الرُدينيات يقصفُها دمي ويبيضُ السُريجاتِ يقطعُها لحمي

فزعم أن نفسه تؤثر في الرماح والسيوف، كما قال (١):

أثَرُ فيها وفي الحديد، وما أثَرُ في وجهه مُهَنَّدُها

والوجه الثاني: أن يكون جعل السابري كنايةً عن الدروع، كما أنشد بعضهم (٢):

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفِي مَدَجَجَ سَرَاتُهُمْ فِي السَّابِرِي الْمَسَرَّدِ

فيقرب من قوله (٣):

يَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانَ سَابِغَةً صَوْبُ الْأَسِنَّةِ فِي أَثْنَانِهَا دِيمٌ (٤)

تَحْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمٌ

والمعنى - في الوجهين - يعود إلى أن طعنة هذه المرأة تؤثر ما لا تؤثر طعنات الرُمح، ويطاوعها ما يمتنع عليها من الدروع وغيرها، وقريب من هذا قول الشاعر (٥):

ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَادِمَ فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ

وقول الآخر (٦):

رَمَني بِطَرْفٍ لَوْ كَمِيََا رَمَتْ بِهِ لُبْلُ نَحِيحًا نَحَرُهُ وَبَنَائِقُهُ (٧)

(١) سيأتي في قافية الدال، إن شاء الله.

(٢) أنشده ابن جني في الفسر ٨٠/١، وهو لدريد بن الصّمة، وفي البيت روايات أخرى، انظرها في ديوانه ٦٠.

(٣) ديوان المتنبي ٤٢١، يمدح سيف الدولة.

(٤) الصوب في أصله: المطر، والمراد به الوقع. وأثناء الدرع: أعطافها ومطاويعها، وفي الأصل (أثيابهم) تحريف. والديم: جمع ديمة وهي المطر الدائم. (التبيان ٢٥/٤).

(٥) هو عمارة بن عقيل، ديوانه ٦٧ (شاعر العاشور).

(٦) هو عبد الله بن الدمينية، ديوانه ٥٤ (النفاخ).

(٧) البنائق: جمع بنيقة، وهي طوق الثوب الذي يضمّ النحر وما حوله. اللسان (بنق).

وقال جرير^(١):

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنَّ أضعْفُ خَلَقَ اللهُ أَرْكَانَنَا

(٧) أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا رُوحِمَتْ وَإِذَا^(٢) نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجَوْزَاءُ

إنما خص صخرة الوادي لأجل أنها إذا كانت في الماء، كانت أصلب^(٣)، ولهذا قال الشاعر^(٤):

/وَنَاجِيَةٍ^(٥) كَأَتَانِ الثَّمِيلِ ——— لِي غَادَرْتُ بِالْخَلِّ^(٦) أَوْصَالَهَا

١/5

فالأتان: الصخرة، والثميل: الماء الثمل والثمال^(٧)، ومثله قول الآخر^(٨):

هَلْ يُلْحِقَنِّي بِأَوَّلِي الْقَوْمِ إِذْ شَحَطُوا جُلْدِيَّةٌ كَأَتَانِ الضَّحْلِ^(٩) عُلُكُومٌ^(١٠)

(١) ديوانه ١٦٣/١ (دار المعارف).

(٢) في الديوان ١١٥: (فإذا).

(٣) انظر: الفسر ٨١/١.

(٤) للخنساء، في ديوانها ٩٧، من قصيدة في رثاء أخيها.

(٥) الناجية: الناقة السريعة.

(٦) الخَلّ: الطريق، وفي الأصل (الجلّ) بالجيم، ولعله تصحيف.

(٧) الذي في المعاجم: أن الثميل والثملة والثملة والثمالة: الماء القليل. التهذيب ٩٣/١٥، واللسان والقاموس المحيط (ثمل).

(٨) علقمة بن عبدة الفحل، ديوانه: ٥٧ (لطف الصقال).

(٩) الضحل: الماء القليل، وأتان الضحل: الصخرة تكون في مجرى الماء، يغمر بعضها وبعضها ظاهر.

الجمهرة ١/٥٤٦، واللسان (ضحل).

(١٠) العلكوم: الشديدة الصلبة.

الجلذية: السريعة، أنشد صاحب الكتاب^(١):

لَتَقْرُبَنَّ قَرِيًّا جُنْدِيًّا
مَادَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا

أي: قَرِيًّا^(٢) سريعاً.

واعلم أن الكلام ليس على ظاهره؛ لأنه لا يريد أن يجعل نفسه كالصخرة المزاحمة في كلِّ حالٍ، وإنما المعنى: أنا إذا زُوحمتُ صخرةً الوادي إذا زُوحمت، وحذف، كقوله عز وجل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(٣) فالمعنى: فضرب، فانفلق، غير أنه حذف لدلالة الحال عليه؛ إذ^(٤) يعلم أن الانفلاق لا يحصل إلا بعد الضرب؛ إذ المسبب تابع للسبب. فكأنه قال: أنا ممتنع إذا نوزعت، لئن إذا لم أراحم، كما قال^(٥):

وَالسَّيْفُ إِن لَّا يَنْتَهُ لَأَن مَّتْنُهُ وَحَدَاهُ إِن خَاشَتْنُهُ خَشْنَانِ

ولو حُمِلَ الكلام على مقتضى ظاهره كان ذمًّا! من حيث إن المعنى يكون: أنا كصخرة الوادي التي تراحم على كل حالٍ في الامتناع، وصعوبة الجانب في الشراسة، وهذا غير محمود^(٦)، وإنما المحمود أن يكون مُقابلاً لكل خصلة بما يشاكلها، كما قال^(٧):

وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يُجْزُونَ مِنْ غَلَطٍ بِلِينٍ

(١) الكتاب ٥٦/١. وهو لابن ميادة، ديوانه: ٢٣٧.

(٢) القرب: السير من الليل لورد الغد.

(٣) سورة الشعراء: ٦٣.

(٤) في الأصل (لا)!

(٥) لأبي الشيص الخزاعي، ديوانه ١١٢ (طبعة الجبوري).

(٦) وقد جرى على هذا الظاهر ابن جني، حيث قال: "جعل نفسه صخرة... يقول: "أنا في الشدة كهذه الصخرة، وفي علو المنطق كالجزءاء، أي: قد جمعت الأمرين". الفسر ٨٢/١.

(٧) هو أبو الغول الطهوي، من قطعة له في الحماسة (المرزوقي ٤٠/١).

(٨) وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْعَبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةً عَمِيَاءُ

"عاذر": إعرابه على وجهين:

أحدهما: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: فأنا عاذر من أن لا تراني، وحذف الجار، كما تقول: هو خليق أن يفعل كذا^(٢)، فتحذف الجار لطول الكلام "بأن" وصلته. لا يجوز أن تقول: هو خليق فعل كذا؛ لأن لفظ المصدر مختصر، ولا عذر في حذف الجر^(٣).

وطول الكلام يسهل معه من الحذف ما لا يسهل مع عدمه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٤). كيف حُذف فيه الراجع إلى الموصول، لطول الكلام بالصلة، لاشتغالها على الفعل والفاعل؟ والأصل: بعثه الله رسولا. ويقولون: الضاربه زيد أنت، من قولك^(٥): ضربك زيد، فلا يحذفون الهاء في الغالب؛ لأنه مختصر^(٦)، فهذا نظير ما نحن فيه، فاعرفه، ونظائره أكثر من أن تضبط.

والوجه الثاني: أن يكون "عاذر" خبر مبتدأ مؤخر، فكأنه قال: فأَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةً عَمِيَاءُ عَاذِرُ - أي: عَاذِرُ الْعَبِيِّ - "فَأَنْ لَا تَرَانِي": مبتدأ، و"عاذر": خبره، وهو بمنزلة قولك: وانتفاء رؤية مقلة عَمِيَاءُ عَاذِرُهُ، وحذف الهاء من (عاذره)؛ لأن الكلام يدلّ عليه، وذا النحو من الحذف واسع، لأنه ضمير المفعول^(٧) وليس براجع إلى المبتدأ كما يكون في قولك: زيد ضربته، فيجب إثباته^(٨).

(١) في الأصل (ألا) بإدغام النون في اللام، وفصلتها؛ لأن جميع الشروح اتفقت على ذلك، وقد نص صاحب التبيان على أنها تكتب منفصلة لا متصلة ١٥/١.

(٢) أصله: هو خليق بأن يفعل كذا.

(٣) فالصواب أن تقول: هو خليق بفعل كذا، بحرف الجر.

(٤) الفرقان: ٤١.

(٥) كذا بالأصل، ولوقال (من قولهم... لكان أليق).

(٦) وقارن بما ذكر في المقتصد ٣١٦/١، ٣١٧، فهو بنحوه.

(٧) لأن المفعول فضلة، والفضلات يتوسع فيها، بخلاف الركن.

(٨) يجب إثباته؛ لأن من شروط جملة الخبر أن تتضمن رابطاً يربطها بالمبتدأ.

وإذا جاز نحو قوله: (أنشدني شيخنا وقرأته عليه في آخر كتاب القوافي^(١))^(٢):

فقلت له: أَلزَقَ بِأَيِّسٍ ساقِهـَا فإن يُجِرُ العُرْقُوبُ لَا يَرْقَأُ النَّسَا^(٣)

المعنى: أَلزَقَ السيف، فحذف؛ لأن الحال يدل عليه، وإن لم يتقدم ذكره^(٤)، كان هذا أولى مع تقدم ذكر الغبي، ووضوح دليل الحال عليه.

وينبغي أن تعلم أن قوله: "أن لا تراني مقلّة عمياء" جارٍ مجرى المثل، فذلك صحّ الكلام، وإلا كان يجب أن يكون متعلّقاً بالغبي^(٥)، ألا ترى أنّك إذا قلت للمخاطب: "الصيف ضيعت اللبن"^(٦)، كان بمنزلة الخطاب، وإن لم يكن كذلك في الظاهر! فيتنزل منزلة قولك: فرطت، وقصرت، ولم تطلب الشيء في أوانه؛ لأجل أنه يعلم أن غرضك أن تنزله منزلة [من] ضرب له هذا المثل. فكذا يكون قوله: "أن لا تراني مقلّة عمياء" كناية عن الجهل؛ لأن للجاهل عيناً بمنزلة عين الضير، فكأنه قال: فجهله عاذره، أو فأنا عاذره من جهله.

(٩) شِيمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ^(٧) نَاقَتِي صَدْرِي بِهَـَا أَفْضَى أُمِّ الْبَيْـِءِءِ

(١) المتبادر إلى الذهن أن كتاب (القوافي) إذا أطلق، فإنما يراد به كتاب أبي الحسن الأخفش، لكنني لم أجد هذا البيت في كتاب (القوافي) المطبوع.

(٢) للراعي، في ديوانه: ٤. من قصيدة يذكر فيها قصة ضيف حلّ به، ولم يكن لديه قرى، فأشار الراعي إلى ابن أخيه أن ينحر ناقة الضيف، ليطعمه إياها، ففعل.

(٣) في الديوان (ألصق) مكان (ألزع)، وهما سيان. وأبسس الساق: ما قل عليه اللحم، والسيف أعمل فيه.

ومعنى الشطر الثاني: أن دم العرقوب لا يرقأ ولا ينقطع وإن جبر العظم منه، وعند ذلك يبأس صاحب الناقة منها، فيتم ما أردنا من القرى.

(٤) السياق "وإذا جاز نحو قوله: "... كان هذا أولى".

(٥) بأن يشتمل على ضمير يعود إلى الغبي، كما سيأتي لاحقاً.

(٦) هذا مثل، انظر: جمهرة الأمثال ٥٧٥/١، والتهذيب ٢٥٢/١٢.

(٧) كتب تحت هذه الكلمة في الحاشية، وبخط مخالف: (وفي بعض النسخ تشكّل، باللام)، ولم أجد من أشار إليه من الشراح.

5/ب

قوله: "صدري" في تقدير همزة الاستفهام، كأنه قال: أصدرى، ألا ترى أن المعنى: أي هذين أفضى؟ فإذا/ وجدت في الكلام معنى (أي) لم يكن لأم^(١) بُدَّ مِنَ الهمزة، كقولك: أزيد أخوك أم عمرو؟ تريد: أيهما أخوك؟. وحذف كما حذف الأخطل في قوله: (وهو من أبيات الكتاب)^(٢):

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ خِيَالاً

المعنى: أكذبتك عينك؟.

واعلم أنه أراد [أن] يصف صدره بالسعة والرُخْب، وأن يُفَرِّط في الوصف، ويسلك طريقة الإغراق، فيجعله أعظم وأوسع من البیداء التي يسير فيها، فجعل ناقته تشكُّ، فلا تدري أي صدره تسير أم في البیداء؟ فالواجب^(٣) في "أفضى" أن يكون فعلاً ماضياً من قولهم: أفضيت بفلان إلى كذا، أي أوصلته إليه، فالباء للتغذية، مثله في قولك: وصلت به إلى زيد، لأن أفضى بمعنى وصل في مقتضى الاستعمال، وإن كان حقيقته التوسع، فهو يُعَدَّى بالباء كما عُدِّي وَصَلَ. وإذا كان كذلك كان بمنزلة أن يقول: تَشَكُّ ناقتي: أصدرى وصل إلى ذلك؟ ويكون تلخيص الكلام: أي صدرى سارت أم في البیداء؟^(٤) وذاك يجعل صدره من السعة بحيث يصير مشتملاً على الدنيا كلها، فتدخل فيه الليالي والناقة والبیداء، فيقول: إن صدرى من الاتساع بهذه المنزلة، حتى إن الليالي تشكك الناقة: أهى سائرة في صدرى (بمعنى: أن البیداء فيه) أم هي في البیداء (من غير أن يكون صدرى

(١) ضرب على (لأم) بخطين في الأصل، وهي بخط الناسخ، ويبدو أن إثباتها أولى.

(٢) الكتاب ٣/ ١٧٤، وديوان الأخطل ٨٤ (قباوة).

(٣) في الأصل (فالواجب)، وضرب عليها، وكتب بإزائها في الحاشية (فالواجب)، بخط مخالف، وهو أولى.

(٤) هذا على اعتبار أن الضمير في (بها) يعود إلى الناقة، وهو الظاهر، وذكر الواحد في فيه وجه آخر، وهو أن يعود إلى الليالي، فيكون المعنى: "صدري بالليالي وحوادثها وما تورده علي من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع أم البیداء" ثم رجَّحه. شرحه / ١٩٤.

مشتماً عليها)؟! ولا يستبدع^(١) هذا من إغراقاته، ألا ترى أنه أعاد نفس هذا المعنى وتناهى في المبالغة، فقال^(٢):

وصدرك^(٣) في الدنيا ولو دخلت بنا وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

فجعله بهذه المنزلة مع ما^(٤) أنه في الدنيا مع الصدر، فكيف [لا] يجعل صدر نفسه بحيث يشتمل على البيداء والناقة، وإن كان هو مع صدره على الناقة؟!

وينبغي أن تعلم أنه إنما جعل للناقة سبيلاً إلى معرفة الصدر لأجل أنه جعله مفازةً وفلاةً تشتمل على الكل، والناقة تهدي إلى الفلوات، وما أحسن ما قال البحري^(٥):

مفازة صدر لو تطرق لم يكن ليسلّها فرداً سليك^(٦) المقانب

وإذا كان هذا الرجل المعروف بالاهتداء إلى الفيا في يعجز عن سلوك هذه المفازة منفرداً مخافة الهلاك لإفراط سعتها، كان ذلك نهايةً، وإنما حسن بيت البحري، لوضوح فضله، وانتظام صياغته، وتعريه من هُجنة التعسف.

وقال أيضاً^(٧):

ليس الذي^(٨) ضلت تميم وسطها الد هناء، لا، بل صدرك الدهناء

(١) الشيء المستبدع: هو المخترع، المستغرب.

(٢) ديوانه ٢٦، يمدح علي بن أحمد الخراساني.

(٣) في الديوان (وقلبك)، وكذلك في الشروح الأخرى، ورواية الشارح موافقة لما في دلائل الإعجاز ٥٦٥.

(٤) في الأصل (جعل ... معما).

(٥) ديوانه ١٧٨/١، يمدح أبا سعيد الثغري.

(٦) سليك المقانب: هو السليك بن السلكة، الصعلوك المشهور. والمقانب: الخيل.

(٧) أي: البحري، ديوانه ٢٠/١، يمدح أبا جعفر القمي.

(٨) في الديوان (التي)، وأشار محققه إلى رواية (الذي).

وذهب أبو الفتح^(١) - في بيت المتنبي - أن "أفضى" أفعل بحذف الزيادة من أفضى الذي ذكرته^(٢)، وحتى كأنه: تشكك ناقتي أصدري أشد إفضاءً بها أم البيداء^(٣)! وحذف الزيادة كثير في الشعر، ولكنها من الضرورات على كل حال، وإذا أمكن الحمل على الظاهر، وحصل معه المعنى المقصود، كان العدول عنه بغير فائدة مما تركه أولى.

(١٠) فتبيتُ تُسندُ مُسندًا في نَيْهَا^(٤) إِسَادَهَا في المَهْمَةِ الإِنْضَاءِ^(٥)

الإِسَاد: السرعة في السير، وهو مأخوذ من السَّاد: لانتقاض الجرح^(٦)، وذلك أنه يُضعف الإنسان، وينقض عرى قوته ومضائه.

واعلم أن في "تبيت" ضمير الناقلة، وهو اسم له، و"تسند" خبره.^(٧) كقولك: شربت شرب الإبل، تريد شرباً مثل شرب الإبل، فتحذف الموصوف، فيبقى: شربت شرب^(٨) الإبل، ألا ترى أنك لا تقدر أن تفعل فعلها بعينه؟ وإنما تقدر على أن تفعل فعلاً يشابه فعلها.

فنظم الكلام وترتيبه: فتبيتُ الناقلةُ تُسندُ في المهمّة مسندًا في نَيْهَا الإِنْضَاءِ إِسَادَهَا. وجاز أن يكون "مسندًا في نيهـا" حالاً للناقلة لأجل أن الهاء في "نيهـا" يعود إليها، فهو بمنزلة قولك: مررتُ بزيدٍ قائماً غلامُهُ. فيكون القيام حالاً لزيد، وهو فعل^(٩) للغلام؛

(١) عثمان بن جني، صاحب (الفسر)، والتصانيف البديعة.

(٢) انظر: الفسر ٨٢/١.

(٣) وممن أجاز الوجهين في (أفضى)، المعري في اللامع العزيزي ٦/١ (بتحقيق: د. الفلاح) والواحي ١٩٤، وانظر: النظام ق/٦٤.

(٤) النـي: الشحم.

(٥) الإِنْضَاء: الهزال، من أنضاه إذا جعله نضواً، أي: هزيراً. القاموس (نضو).

(٦) انظر: التهذيب ٣٦/١٣.

(٧) يبدو أن ههنا سقطاً صورته هكذا: [و"إِسَادَهَا" مفعول مطلق "مسندًا"، وهو على تقدير موصوف محذوف]، ليستقيم الكلام.

(٨) في الأصل (مثل شرب الإبل)، وهو سهو وانتقال نظر.

(٩) في الأصل (حال)، وكتب تحته - بخط مخالف - (فعل) وهو الصواب.

لأجل أنه ملتبس به، وكائن من سببه، فكذا "مسئداً" حال للناقاة وهو فعلٌ/للإنضاء؛ لأجل أنه قد التبس بالناقاة، لتعلق "نيها" به، وكونه من جملته. ومثاله من الكلام، قولك: تبيتُ دعدُ تصنعُ في البيت صانعاً في دارها عمروُ صنْعُها فيه. "فدعد" بمنزلة "الناقاة"، "وتصنع" بمنزلة "تسند"، "والبيت" بمنزلة "الهمه"، و"صانعاً في دارها" بمنزلة "مسئداً في نيه"، والضمير في "دارها" بمنزلة الضمير في "نيها" و"عمرو" بمنزلة "الإنضاء" لأنه فاعل "صانعاً" كما أن "الإنضاء" فاعل "مسئداً"، و"صنعها" بمنزلة "إسآدها".

ولم يأت في البيت بقيد^(١) كما تراه في هذه المسألة الواقع بها التمثيل؛ لأن الحال ينبئ عنه، وذلك أن ذكره المهمه، وأن الإسآد من الناقاة واقع فيه، يدل على أن إسآد الهزال في شحمها في تلك الحال. وإذا كان كذلك ثبت أن الإنضاء يسند في النقيض إسآد الناقاة في المهمه، لا في غيره. وليس هذا بمنزلة قولك: عمرو يضرب في الدار ضرب زيد؛ لأجل أنه لا دلالة هنا على أنه يضرب ضربه في الدار أو في غيرها، فإذا أردت ذلك احتجت إلى أن تذكر، فتقول: عمرو يضرب في الدار ضرب زيد فيها، ليعلم. وإنما يجوز حذف الشيء لمقتضى نظم الكلام إذا قام الدليل عليه، فإذا لم يقم لم يفهم.

وتلخيص معنى البيت: أن هذه الناقاة تسرع في الفلاة وتطويها، والهزال يسرع في شحمها وأعضائها ويبريها. وعلى هذا المعنى قول الشاعر^(٢):

يطوين أجواز الفلا [ويطوين]^(٣)

(١) يعني (فيه).

(٢) بلا نسبة في شرح أدب الكاتب للجواليقي ١٧٥، بزيادة (ويطوين).

(٣) الأجواز: هي النواحي، والأوساط. وزيادة (يطوين) لازمة لأنه يتم بها مراد الشارح من المقابلة.

(١١) أَنْسَاعَهَا مَمْغُوطَةً، وَخَفَافُهَا مَنُكُوحَةٌ، وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ

"الأنساع" جمع نسع، وهو سَيْرٌ مضفور يُشدُّ على الرجل، كالحزام للفرس. "والممغوطه": الممدودة، يقال: امتَغَطَ: امتدَّ، وتمَغَّطَ الفرس إذا مدَّ ضَبْعَهُ^(١) في الشدِّ، وامتَغَطَ النهار ارتفع، فهذا كله حقيقته المدَّ، فمعنى قوله: "أنساعها ممغوطه" أنها مرحولة^(٢)، ومعنى قوله: "خفافها منكوحه" أنها قد عهدت السَّيرَ، ومَرِنَتْ عليه، كالثيِّب إذا عهدت النكاح^(٣). "وطريقها عذراء" يريد أنها لم تُسلك^(٤). ونظيره قوله في موضع آخر^(٥):

أَنكَحْتُ صَمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْملَةٍ تَغْشَمُرْتُ^(٦) بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ

ألا ترى أنه نَزَلَ الحصى منزلة المرأة، والخفَّ منزلة الزوج؟ لأن القوائم تؤثر في توطينها، فهي الناكح والحصى المنكوح^(٧).

(١) الضبُع: العضد، اللسان (ضبع).

(٢) أي: لَهَا تَرَهَّلَتْ أَنْسَاعُهَا، وهذا ما فهمه جمهور الشَّراح، وفهم الواحدي أن ذلك كناية عن عظم بطنها، فقال: "وذلك كناية عن عظم بطن الناقة" شرحه ١٩٥. وعَقَّبَ ابن المستوفي عليه، بقوله: "والأول أجود من قول الواحدي؛ لأنه وصفها أولاً في البيت الذي قبله بالإنضاء" النظام ق/٦٦.

(٣) ويرى ابن جني (الفسر ٨٩/١)، والواحد (١٩٦) أن في قوله: (خفافها منكوحه) كناية عن الشدة ووعورة الطريق. ولم يرتض ابن وكيع هذا التفسير؛ إذ قال: "وهذا تفسير نحوي غير عالم بالشعر. والمعنى: أن أبا الطيب أراد أن خفافها من عاداتها معاودة قطع هذه الطريق..." المنصف ٤٧٤/١، وهذا يوافق ما ذكره الشارح هنا.

(٤) عيب هذا المعنى على أبي الطيب، لأن الكريم ينبغي أن يكون طريقه ممهداً واضحاً، لكثرة المعتقنين، انظر: التبيان ١٧/١، وسيأتي الاعتذار عنه قريباً.

(٥) الديوان ١٢، في مدح سعيد بن عبد الله الكلبي.

(٦) البعملة: الناقة النجيبة المطبوعة. وتغشمُرْتُ: تعسفت وركضت على غير قصد.

(٧) هذا بالنظر إلى الوطء؛ لأنه فعل الأخفاف والقوائم. أما إذا نظرنا إلى تأثير الحصى وإدماؤه للأخفاف، فالحصى يكون ناكحاً، والأخفاف هي المنكوحه.

(١٢) يَتَلَوْنَ الْخَرِيْتُ مَنْ خَوْفِ التَّوَى^(١) فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْحِرَاءُ

"الخریت": الذي يهتدي إلى مثل خُرْبِ الإبرة في الضيق، كما قال الأصمعي^(٢).

و"الحرباء" دُوبَيْةٌ تَتَقَلَّبُ فِي الشَّمْسِ، قال^(٣):

يَظَلُّ بِهَا الْحِرَاءُ لِلشَّمْسِ مَائِلاً^(٤) عَلَى الْجَذْلِ^(٥) إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكْبُرُ
إِذَا حَوْلَ الظِّلَّ الْعَشِيِّ رَأَيْتَهُ حَنِيفًا^(٦)، وَفِي وَجْهِ الضَّحَى^(٧) يَتَنَصَّرُ^(٨)!

وإنما أراد أن يصف الفلاة بالصعوبة، وعظم الأمر، في استبهاهم المسالك، حتى إنَّ الدليل العرَّاف يُقْصِرُ عَنْ^(٩) أن يهتدي إلى طُرقها، فَيَتَقَلَّبُ فِيهَا تَحِيْرًا وَعَجْزًا. وقال الطرماح^(١٠):

إِذَا اجْتَابَهَا الْخَرِيْتُ قَالَ لِنَفْسِهِ: أَتَاكَ بِرَجْلَيْ حَائِنٍ كُلِّ حَائِنٍ^(١١)

(١) التوى: الهلاك.

(٢) انظر: كتابه اشتقاق الأسماء ٨٥.

(٣) هو ذوالرمة، ديوانه ٦٣١/٢، ٦٣٢.

(٤) في الديوان (مائلاً) وهو أجود.

(٥) الجذل: أصل الشجرة، وأراد الشجرة كلها.

(٦) الحنيف: المسلم، أراد أنه في تلك الساعة يستقبل القبلة.

(٧) في الديوان (قرن الضحى).

(٨) أي: يستقبل قبلة النصارى.

(٩) في الأصل (على)، ولعلها تخل بالمعنى المراد.

(١٠) ديوانه ٢٧٠ (عزة حسن) والترماح: هو الحكم بن حكيم الطائي، شاعر أموي من الفحول، فيه زهو وترفع، ولذلك غلب على شعره الفخر والهجاء.

الأغاني ٣٥/١٢، الشعر والشعراء ٥٨٩/٢.

(١١) الحائن: الهالك. ومعنى هذا القول ينظر إلى المثل القائل: أَتَتْكَ بِجَانِبِ رَجُلَاهُ (مجمع الأمثال ٣٣/١)، يضرب لمن يرمي نفسه في التهلكة.

وقد وصف المتنبي الفلاة في غير هذا فأحسن، وهو قوله^(١):

كَمْ مَهْمَةٍ قَذَفَ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا

وقد أكثروا في وصف الفلوات والبيد، وذكر القاضي أبو الحسن^(٢) من مليح ما جاء عن العرب فيه قول المزار بن سعيد^(٣):

يُسِرُّ^(٤) الدَّلِيلُ بِهَا خَيْفَةً وَمَا بَكَأَتَهُ مِنْ خَفَاءٍ
إِذَا هُوَ أَنْكَرُ أَسْمَاءِهَا وَعَيٍّ، وَحُقِّ لَهُ بِالْعِيَاءِ!
لَهُ نَظْرَتَانِ: فَمَرْفُوعَةٌ، وَأُخْرَى تَأْمَلُ مَا فِي السَّعَاءِ
وَالثَّلَاثَةُ بَعْدَ طَوْلِ الزَّمَانِ^(٥) إِلَيَّ، وَفِي حَلْقِهِ^(٦) كَالْبِكَاءِ!

/ولعمري إنها لأبيات لطيفة، وهي من باب وصف الحال، وقوله: "في حلقه كالبكاء" من عجيب الكلام!

ب/6

(١٣) يَبْنِي وَيَبْنِي أَبِي عَلِيٍّ مِثْلُهُ شُمُ الْجَبَالِ، وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ

جعل الممدوح كالجبال الشم في الحلم والوقار، فقال: إن هذه الأجيال الكائنة بيني وبينه مثله في العظم، وجعله فوقها في السمو والشموخ، ألا ترى أنه صيره مشهوراً بالعلو

(١) الديوان ١٢.

(٢) هو علي بن عبد العزيز الجرجاني، فقيه أديب، صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه، توفي سنة ٣٩٢هـ. وفيات الأعيان ٣/٢٧٨، معجم الأدباء ٤/١٧٩٦.

(٣) هو في الوساطة: ٣٥٥. وانظر: الوحشيات ٥٣، ٥٤. وهو في شعره المجموع ضمن كتاب (شعراء أمويون ٢/٤٣٤).

والمرار بن سعيد الفقعسي شاعر أموي، له شعر كثير كما يقول المرزباني.

الشعر والشعراء ٢/٧٠٣، والأغاني ١٠/٣١٧، ومعجم الشعراء ٤٠٨.

(٤) في الوساطة (يسرى)، ولا يستقيم به البيت.

(٥) في المصادر السابقة (طول الصمات).

(٦) في الوحشيات (في صوته).

حتى دلَّ على عظم الجبال بأن شبَّهها به^(١)؟! "فمثلته" مبتدأ، و"بيني وبين أبي علي" خبره، كما تقول: بينهما مسافة، و"شم الجبال" بدلٌ من "مثلته"، وقوله: "ومثلهن رجاء" بالنصب البتَّة، كذا الرواية، والأصل أن يقول: ورجاءٌ مثلهن، على الصفة، أي أنه عالي الرتبة كالجبال، فلما قدَّمه نصبَ على الحال، لأجل أن الصفة لا تتقدم على الموصوف، فهو كما أنشد من قوله^(٢):

لِعَرَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ قَدِيمٌ

وكقوله أيضاً، وهو من أبيات الكتاب^(٣):

وتحت العوالي في القنا مستظلةً ظباءٌ أعارتها العيونُ الجاذرُ^(٤)

الأصل: ظباءٌ مستظلةٌ، على الصفة، فلما قدَّم نُصِبَ على الحال.

فإن قلت: فكيف لم يقل: مثله شمُّ الجبال، على الحال، ويجعل (شم الجبال) مبتدأً غير بدل؟

فالجواب: أن هذا جائز في الإعراب غير أنَّ الرواية بالرفع، والمعنى يقتضيه، ألا ترى أن شم الجبال ليس الممدوح مثلها في حال دون حال، وإنما هو مثلها وهي مثله في كل حال. فالنصب على الحال ضعيف في المعنى. وليس كذا الرجاء لأجل أنه إنما يسمو ويجل عند^(٥) قصده الممدوح، فهو مثل الجبال في بعض الأحوال دون كلها، فاعرفه، ويجوز أن

(١) لأن المشبه به أشهر وأثبت من المشبه في وجه الشبه. وهذا من التشبيه المقلوب المبني على الادعاء.

(٢) سبق قريباً.

(٣) الكتاب ١٢٣/٢، وهو لذي الرمة، ديوانه ١٠٢٥/٢.

(٤) العوالي: الرماح. والقنا -هنا- عيدان الهودج (كما فسَّره شارح الديوان)، والجاذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية. والشاعر يصف جماعة من النساء.

(٥) في الأصل (عن) تحريف. والمقصود أن رجاء الشاعر يسمو ويجل عند قصد هذا الممدوح، وليس بالضرورة أن يكون كذلك إذا قصد غيره.

يكون خبراً^(١)، و"بيني وبين أبي علي" خبراً ثانياً، ويكون "شم الجبال" مبتدأ، وكأنه قال: شم الجبال مثل أبي علي بيني وبينه.

وهذا البيت حسنٌ في الإجمال والإيجاز؛ لأنه جمع - في بيت واحد - ذكر صعوبة الطريق، ومدح المدوح (إذ وصفه بالوقار والجلالة)، وذكر كُنْه^(٢) أمله.

وللمتنبي نيقة^(٣) في الجمع للمعنى الكثير في اللفظ اليسير ليست لغيره. كما أن للبحثري فضيلة في عذوبة اللفظ، وسلاسة المخرج، وتنكب التعسف ليست لمن سواه في الغالب. وقد قال في الوصف بالرزانة والتشبيه بالجبال^(٤):

لا يكفهرُ إذا انحاز الوقارُ به ولا تطيش نواحيه إذا مزحاً
خفت إلى السؤود المجفؤ نهضته ولو يوازن (رضوى) حلمه رجحاً

(١٤) وَعِقَابُ لُبْنَانٍ، وَكَيْفَ بَقَطْعِهَا وَهُوَ الشِّتَاءُ، وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ!

العقبة: المصعد في الجبل، وجمعها عقابٌ، يقال: عقبةٌ كؤود^(٥).

و"لبنان" جبلٌ، والظاهر فيه أن يكون مثل عثمان لأجل أن (فُعلان) أكثر من (فُعال)^(٦)، فالصرف فيه لضرورة الشعر. وقوله: "وكيف بقطعها؟" معناه: كيف الظن بقطعها، فحذف المبتدأ. وقوله: "وهو الشتاء"، معناه: والزمان الشتاء، أي زماني الشتاء، لا الصيف. "وصيفهن شتاء" يريد أن أيام الصيف فيها تكون مشاكلةً لأيام الشتاء بسائر البلاد التي يكون بها البرد على الحد المعلوم والعادة المتوسطة، فإذا كانت في الصيف على هذه الصفة فما ظنك بها ونحن في الشتاء على الحقيقة؟!؟

(١) (خبراً) سقطت من المتن، وأثبتت في الحاشية بخط مخالف، والسياق يقتضيها.

(٢) كُنْه الشيء: قدره وغايته.

(٣) النَيْقَةُ مِنَ التَّائِقِ.

(٤) ديوان البحري ٤٤١/١، يمدح الفتح بن خاقان.

(٥) كؤود: صعبة شاقة، مثل: كأداء. القاموس المحيط (كأد).

(٦) نص على ذلك عبد القاهر في المقتصد ١٠٠١/٢.

وقصد البحترى مدح دمشق، فذكر نحو هذا، (غير أنه قصد وصفها بطيب الهواء في الصيف، وكُلُولُ شَبَابَةِ الْحَرِّ بِهِ) ^(١)، فقال ^(٢):

إِنَّ دَمَشَقًا أَصْبَحَتْ جَنَّةً مَخْضَرَّةَ الرُّوْضِ عَذَاةَ الْبَرَاقِ ^(٣)
وَالدَّهْرُ رَطْبٌ بَيْنَ أَطْرَافِهَا وَالْعَيْشُ مِنْهَا ^(٤) ذُو حَوَاشٍ رَقَاقٍ
/ هَوَاؤُهَا الْفَضْفَاضُ غَضُّ النَّدَى وَمَاؤُهَا السَّلْسَالُ عَذْبُ الْمَذَاقِ
نَازِلَةٌ نَحْوُكَ، مُشْتَاقَةٌ مِنْكَ إِلَى الْقَرَبِ وَوَشَكُ التَّلَاقِ
وَكَيْفَ لَا تُؤَثِّرُهَا بِالْهَوَى وَصَيْفُهَا مِثْلُ شَتَاءِ الْعِرَاقِ ١٩

١/7

(١٥) لَبَسَ الثُّلُوجُ بِهَا عَلَيَّ مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بَيَاضُهَا سَوْدَاءُ

قوله: "ببياضها سوداء" لا يخلو من أمرين: إما أن يريد أنها من كثرتها وتراكمها، والتباس الطرق بسببها، بمنزلة السوداء في إبهام المسالك على ناهجها. أو يريد أنها من شدة بياضها كأنها منقابلة إلى السواد مجازاً ومبالغة ^(٥)، كما قالوا للغراب: الأعور، وهو من أصح ما يكون بصراً، وغرضهم في ذلك أنه قد بلغ النهاية في صحة البصر؛ حتى كأنه يكاد يرجع إلى العور الذي هو ضد الصحة ^(٦)، لأجل أنه لم يجد في الصحة مصعداً فوق ما بلغه! ونحو من ذا، قولهم: الأبيض للأسود المفرط السواد، وليس يريد أن تلك الثلوج مسودة على الحقيقة، وإنما الغرض ما ذكرنا من الوصف بإفراط البياض، فكأنه لم يصادف درجة فوق ما بلغه من البياض حتى كاد ينقلب إلى الضد ويسود، فاعرفه.

(١) ما بين القوسين مضطرب متداخل في الأصل.

(٢) ديوانه ١٥١٠/٣.

(٣) العذاة: الأرض الطيبة التربة. والبراق: جمع برقة، وهي الأرض الغليظة، ذات حجارة ورمل وطين. اللسان (برق).

(٤) في الديوان (فيها).

(٥) جاء هذا التفسير في حاشية إحدى نسخ الديوان، "قال أبو الطيب: لشدتها كأنها سوداء في العين". الديوان ١١٦ (الحاشية).

(٦) يقابل هذا حاشية مكتوبة بخط مخالف: (ومن أمثالهم: إذا زاد الشيء عن حده عاد إلى ضده).

(١٦) وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بَبِلْدَةٍ سَأَلَ النَّضَارُ بِهَا، وَقَامَ الْمَاءُ

قوله: "قام الماء" محتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه الثبات والوقوف، كما تقول: قام على الإفلاس، أي: ثبت عليه ولزمه، وكذا قوله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١) أي: يثبتونهن ويحفظونهن^(٢).

فلما كان فيه معنى الثبات استعاره للجمود، فصار قوله: "وقام الماء"^(٣) بمنزلة (جمد)، ألا ترى أن نقيض الجمود هو الجري، والجري ضد الثبات؟! وكون الجمود نقيضاً للذوب والميع، لا ينافي أن يكون مناقضاً للجري؛ لأجل أن الجامد لا يجري البتة، والراكد قد يجوز فيه الجري بوجه، فإذا مناقضته للجري أكثر من مناقضته للذوب، وإذا كان الجري ضد الثبات جاز أن يُوقع ما هو بمعنى الثبات على الجمود الذي هو نقيضه، فاعرفه.

والوجه الثاني: أن يكون "قام" من قولك: قام السَّعْرُ، أي: علا وارتفع^(٤)، ويكون باقياً فيه حقيقة القيام الذي هو الانتصاب، فكأنه قال: ارتفع الماء وقام سعره وصار بحيث لا يُنال، ومعلوم أن الشيء إذا عزَّ علا عن أكثر طالبيه. واعلم أن القيام أصله أن يكون ثباتاً مع انتصاب، ثم حينئذ قد يُترك الانتصاب ويستعمل بمعنى اللزوم فقط، كقولهم: قام على الإفلاس، أي: ثبت عليه، وكذا قوله: "قام الماء" في الوجه الأول، لأنه متضمن لمعنى الثبات فقط، فهو بمنزلة قولك: كذب عليك كذا؛ لأن (كذب) معناه:

(١) سورة النساء: ٣٤

(٢) القائم على الشيء: الحافظ له، والقيام والقوام: اسم لما يقوم به الشيء، أي: يثبت. مفردات القرآن (قوم). وانظر: اللسان (قوم).

(٣) (وقام) سقط من الأصل، وأثبت في الحاشية بخط مخالف، والسياق يقتضيه.

(٤) في معاجم اللغة: قامت السوق إذا نفقت، وقامت السلعة مئة دينار إذا بلغت. الأساس، واللسان، والقاموس (قوم).

نطق مع انتفاء حقيقته، ألا ترى [أنه] لا محصول له؟ ففيه معنى الانتفاء والنطق، ثم إنهم خلَعُوا معنى النطق وبقُوا معنى الانتفاء، حيث استعملوه^(١) في الإغراء، كما قال^(٢):

وذيانيّة أوصت بنيتها بأن كذب القراطِف والقُروُف^(٣)

والمعنى: انتفت القراطف، وعُدمت، فاطلبوها، وعليكم بها. فكذلك "قام" خلَع منه معنى الانتصاب، وبقي فيه معنى الثبات.

والمعنى بعد: أن الكريم إذا أقام ببلدة أسال من رغائبه ومنأخه ما ينجل الماء، لغموره ووفوره، فيجمد لذلك^(٤). فكأنه لما ذكر صعوبة المسالك رأى في ذلك ضرباً من النقص (وهو أن الطريق إذا كان وعراً، كان ذلك مانعاً للعُفاة من أن يردوا جنابه)، فلما كان كذلك، أحب أن يقلب ذلك النقص إلى الفضل، ويصوغ منه مدحاً، فذكر أنه لأجل أن هذا الممدوح فيفيض من عطائه ما يجعل المياه كلّها جمداً، وإذا حصّل الجمدُ حصل الصعوبة في المسلك، فكأنه جعل كون الممدوح بذلك المكان علّة لكون الثلوج / في الطريق - إذ لولاه لكانت مياهها تسيل، ولا تبقى - فيصعب المسلك ويتوعّر، وهذا تخلص مليح؛ لأنه علا به العيوق^(٥) بعد ما كان ينجح إلى الانحدار. وهو قريب من قوله^(٦):

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

(١) في الأصل (استعملوا) بدون هاء.

(٢) هو مُعَقَّر بن حمار البارق. إصلاح المنطق ٢٩٣، والتهذيب ١٠٢/٩، ١٧١/١٠، واللسان (كذب)، (قرف).

(٣) القراطف: أكسية حمر. والقرووف: أوعية من جلود الإبل. اللسان (قرطف - قرف).

(٤) قال الواحدي: "معنى هذا البيت متصل بالذي قبله؛ لأنه يقول: بياض الثلوج يعمي، فقام مقام السواد، والبياض إذا عمل عمل السواد فقد نقض العادة، كذلك الكريم إذا أقام ببلدة تنقض العادة، فيجعل الذهب سائلاً، ويجمد الماء..." شرحه: ١٩٥

(٥) العيوق: نجم أحمر بحال الثريا من ناحية الشمال. التهذيب ٢٦/٣.

(٦) الديوان ٤٤٢، يمدح كافوراً. قال صاحب التبيان: "وحاشاك: من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع، والأدباء يقولون: هذه اللفظة حشوة، ولكنها حشوة فستق وسكراً!" ٢٩٠/٤.

ألا ترى أنه لو لم يأت "بحاشاك" لكان ذمّاً صريحاً، كما أنه لو لم يذكر هذا العذر لكان قد أفاد أن المسالك التي تؤدي إلى هذا الممدوح متوعدة شاقة^(١) بحيث يشق الوصول إليه. فقد استخرج في الموضعين من قالب النقص أحسن مدح، وأتمّه. والذي يدل على ما ذكرنا من أن توعر الطريق مما يُزري بالمقصود قول مَنْ قال في قوله: (بيضُ مفارقنا)^(٢)؛ إنه مفارق الطريق، فكأنه أراد أنها ممهدة غير وعرة فلا ينفر الضيفان عنا لأجل صعوبتها. ويوضح هذا المعنى أنهم يفتخرون بشبّ النار على النجاد والمواضع المشرفة؛ لأن ذلك مما يسهل على الضيف ويستميله، كما قال^(٣):

فيما موقديّ ناري أرفعاها لعلها تضيء لسارٍ آخر الليل مُقتر

و"النّصار": الذهب، وقال بعضهم: النّصار - بالكسر - على أنه جمع نَصْر. وقد قالوا: أنَصْر، أيضاً^(٤).

(١) في الأصل (فانه)، لعلها تحريف.

(٢) قطعة من بيت بشامة النهشلي:

بيض مفارقنا، تغلي مارجنا نأسو بأموالنا آثار أيدينا

من قصيدته الحماسية المشهورة. وقد فسّر المرزوقي (١٠٥/١)، والتبريزي (٢٦/١) المفارق بأنها مفارق الرأس، كناية عن نفاء العرض أو عن مقاساة الشدائد. وقال الأعلام الشنتمري: "قوله (بيض مفارقنا) يتأول على معانٍ، أجودها أن يريد بالمفارق الطرق، أي: هي معمورة إلينا لما يعلم من كرمنا...". شرح حماسة أبي تمام للأعلام ٣٦٩/١ (دار الفكر).

(٣) هو المارار الفقعسي، شعره ضمن كتاب (شعراء أمويون ٤٥٢/٢).

(٤) ذكره هذا كله ابن جني في الفسر ٩٥/١. وانظر: التهذيب ٨/١٢، والقاموس (نضر) وأنضر - بفتح الضاد - مفرد، وبالضم جمع.

(١٧) جَمَدَ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا رَأَى^(١) بُهَتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الْأَنْوَاءُ

قوله: "جمد القطار"^(٢) يقطع بما ادَّعَيْتُهُ، ألا تراه ذكر أن الأمطار إنما جمدت خجلاً من سَيْبِ الممدوح، وأن هذه الثلوج كأنها حصلت في طريق بلدته من تلك الجهة؟ ولولا عطاؤه الذي أورث المياه نشوراً^(٣) وخجلاً لكانت سائلة ذاهبة، فكانت الطرق لا تتوعر. ويدلك على ذلك، قوله: "وكذا" وهي تستعمل في المواضع التي يقصد فيها الاعتذار والإشارة إلى ضرب من التعليل، كما تقول: ملكت الناس عطاءً وكذا يفعلُ الكريمُ، ولو قلت: أسأت إلى الناس وكذا يفعلُ الكريمُ، كان محالاً لأجل أن هذا لا يكون تعليلًا للأول. فإذا كان الأمر كذلك علمت أن الصواب ما انتحيناها.

وقوله: "كما رأى" فيه ضمير للماء.

يقول: إن الأنواء غائبة عن الممدوح لأنها في السماء، فلو كانت تجد سبيلاً إلى مشاهدة نواله لتحيرت، ولم تتفجر، ولم تكثر منها الأمطار، كما بُهَتَ هذا الماء الذي نزل إلى الأرض، ورأى فواضله الفائضة.

والمعنى يعود إلى قوله: بُهَتَتْ الْأَنْوَاءُ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ، إلا أن حكم الإعراب أن تكون الأنواء مرتفعة "بلم تتبجس" دون "بهتت"؛ لأنه أقرب إليها^(٤).

(١) في الأصل (أرى) وهي رواية ضعيفة، كما يقول الواحدي، ويصادمها قول الشارح فيما بعد: (كما رأى: فيه ضمير للماء). ولذلك ترجح لدي أنها محرفة عما أثبت، وما أثبت رواية الجمهور. ورواية الواحدي (١٩٦): ترى، وهي إحدى روايتي التبيان (١٩/١).

(٢) القطار: جمع قطر، وهو المطر، أو الماء.

(٣) في الأصل (نشوراً) بالراء، والنشور: هو التفريق، فلا يلانم السياق، ولعل ما أثبت أولى؛ لأن النشور هو الارتفاع، والمياه إذا تجمدت، بقيت مرتفعة في أماكنها لا تسيل. ولا يبعد أن يكون (نشوراً) تحريفاً عن (فتوراً)، فيكون بمعنى الخجل.

(٤) على الخلاف المشهور ما بين البصريين والكوفيين في التنازع. وانظر: اللامع العزيزي ٨/١.

(١٨) فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ^(١) قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ

يقول: إن كل أحد يحب خطه، وفي كل فؤاد له محبة، فكأنه كتب بالمحبات، والمعنى المدحى في ذلك: أنه يكتب للناس الخطوط بالمنأخ والجوائز، فما من أحدٍ إلا وهو يودُّ خطَّه لودِّه منأخه التي هي العطايا^(٢). ويضعف أن يريد الوصف بحسن الخط^(٣)؛ لأجل أنه ليس قبل هذا البيت ولا بعده ما يوجب قصده أن يصف الممدوح بالكتابة والبلاغة، فيليق هذا به.

(١٩) وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغْيِيَهُ الْأَقْدَاءُ^(٤)

(٢٠) مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفَعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ - حَتَّى يَفْعَلَ - الشُّعْرَاءُ

قد روى "يعل" ^(٥) و"يفعل". أما يعل فمن قولهم، يعل الرجل بالأمر، إذا ضاق به. وقوله: "من يهتدي"، لا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكون استفهاماً بمنزلة قولك: أي إنسان يهتدي^(٦)؟

(١) أسقط الناسخ كلمة (كل)، فأضافها بعضهم باللون الأحمر.

(٢) أشار إلى هذا الوجه الواحدي (١٩٦).

(٣) اقتصر على هذا الوجه ابن جني (الفسر ١/٩٨)، وابن وكيع (المنصف ٤٧٥) وصاحب معجز أحمد ٩٠/٢، ورجحه الواحدي (١٩٦).

وقد ذكر الواحدي وجهاً ثالثاً، قال: ويجوز أن يكون كناية عن طاعة الناس له، أي أن كتبه تقوم مقام الكتاب؛ لأن الناس يميلون إليه، وينقادون له طبعاً.

(٤) الأقداء: جمع قذى، وهو ما يقع في العين من الأذى، والإقذاء - بالكسر - هو المصدر.

ومعنى البيت: كل العيون تسربق به ورؤيته، وتحزن لفراقه وتتأذى به، كما تتأذى وتتألم من القذى. الفسر ١/٩٨، والتبيان ٢٠/١.

(٥) هذه الرواية مما تفرد به الشارح!

(٦) ذكر هذا الوجه صاحب معجز أحمد ٩١/٢، وابن المستوفي في النظام ق/٦٨.

والثاني: أن /يكون موصولاً بمنزلة (الذي)^(١).

فإذا حملت على الاستفهام، كان بمنزلة قولك: أي إنسان يهتدي إلى المآثر التي لا يهتدي الشعراء إلى وصفها ونشرها قولاً ما لم يفعل، ولم يبرزها للناس فيعرفوا أقدارها؟! "فالشعراء" فاعل قوله: "ما لا يهتدي"، وتقدير الكلام: من يهتدي في الفعل إلى ما لا يهتدي الشعراء في القول حتى يفعل هو؟! وإن قلت: "يبعل" كان "الشعراء" مرفوعاً به، ووجب أن^(٢) تقول: "ما لا يُهتَدَى" بضم حرف المضارعة. وترتيب الكلام: من^(٣) يهتدي ما لا يُهتَدَى إليه -البتّة- في القول حتى يبعل الشعراء. ويجوز -أيضاً- ما [لا] يهتدي في القول حتى يبعل الشعراء، على تقدير: ما لا يهتدي الشعراء حتى يبعل الشعراء، ثم حذف الأول لدليل الثاني عليه، على العادة.

و"يبعل" أحسن من "يفعل"؛ لأجل أن الشعراء إذا قصروا عن أن ينالوا مفاخره ذكراً وقولاً -مع أنهم أمراء الكلام والمالكون لعنانه كيف شاءوا- كان ذلك نهايةً^(٤). ولم يجعل الشعراء عاجزين عن وصف مناقبه -في القول الأول- على كل حال لأنه ذكر أنهم إنما يتوصلون إلى ذلك بعد أن يفعل. وهذا [لا] يبلغ مبلغ الثاني الذي هو "يبعل"، وليس يليق بمذاهب المتنبي كالثاني^(٥)، لأنه إلى الإغراق أميل.

وقريب من ذا قوله^(٥):

وأُنني غير مُحصٍ فضل نائله^(٦) ونائلٌ دون نَيْلي وصفَه زُحَلَا

والاستفهام لا يكون إلا على طريقة التوبيخ والإنكار، كأنه قال: لا يهتدي أحد إلى نحو ذا.

(١) اقتصر على هذا الوجه ابن جني (الفسر ١/٩٨، والفتح الوهي ٣٢)، والواحد (١٩٦)، وصاحب التبيان ٢٠/١.

(٢) في الأصل (أن لا تقول)، وهو خلاف ما يريد الشارح.

(٣) وعلى هذه الرواية تكون (مَنْ) اسم موصول، أي: هو الذي يهتدي في الأفعال إلى ما لا يهتدي إليه.

(٤) في الأصل (كالأول) وهو وهم.

(٥) هو المتنبي، ديوانه ١١، يمدح سعيد بن عبد الله الكلابي.

(٦) رواية الديوان (والده). ورواية (نائله) أشار إليها الواحد (٢٥)، وصاحب التبيان ١٦٦/٣.

وإن كان موصولاً (بمنزلة الذي) كان خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو الذي يهتدي في الفعل. ولا يكون هذا المبتدأ مقدراً إذا قدر به تقدير الاستفهام؛ لأنه يكون بمنزلة: أي رجلٍ. و"يهتدي" خبره، كما تقول: أي رجلٍ يخرج؟

والأصل في (يهتدي) أن يتعدى بحرف الجر الذي هو (إلى) ^(١)، ثم يحذف، فيقال: اهتديته ^(٢). وحذف حرف الجر كثير.

(٢١) في كل يوم للقوافي جولة في قلبه، ولأذنيه إصغاء

القوافي: يجوز أن يريد بها القصائد والأبيات جميعاً، وقد جاء ذلك، قال حسان ^(٣):

فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مِنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَحْتَلِطُ الدَّمَاءُ

قد جَوَّزَ الشَّيْخُ ^(٤) - رحمه الله - الوجهين فيه ^(٥).

ومعنى نحكمُ: نمنعُ، من الحكمة ^(٦)، كقوله ^(٧):

(١) ومثله اللام كما ذكر الواحدي (١٩٦).

(٢) قال الواحدي: "ولكنه عداه بالمعنى؛ لأن الاهتداء إلى الشيء معرفة به، كأنه قال: من يعرف في الفعل ما لا يهتدي... " شرحه: ١٩٦.

(٣) ديوانه - رضي الله عنه - ٦٢ (البرقوقي).

(٤) إذا أطلق لفظ الشيخ، أو قال: (شيخنا)، فهو يقصد شيخه محمد بن الحسين.

(٥) الوجهان، أي: القوافي بمعنى القصائد أو الأبيات، وانظر: كتاب القوافي للأخفش، فقد استشهد ببيت حسان هذا على المعنيين المذكورين.

(٦) الحكمة: ما أحاط بكني الفرس من لجامه. القاموس (حكم).

(٧) لجري، وتمامه:

إني أخاف عليكم أن أغضباً

أبني حنيفة أَخْكُمُوا سُفْهَاءَكُمْ

أي: امنعوهم، فكأن حقيقة "نحكم": نجعل له حكمةً ونضعها عليه، كقولك: أسرجت، وألجمت، أي: جعلت السرج على ظهره^(١).

وإيقاع القافية على البيت بمنزلة إيقاع الناب على الناقة؛ لأن القافية جزء من البيت، كما أن الناب جزء من الناقة^(٢). فإذا أوقع القافية على القصيدة فهو كقولهم: أتينا الأمير وكسانا حُلَّةً، أي: كسا كلَّ واحد منا حُلَّةً، وذلك أن لكل بيت من القصيدة قافيةً، ثم قد تسمى القصيدة بأجمعها قافيةً، كما جعل الحلة لجميع القوم، ولكل واحد منهم حُلَّةً. وكذا قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾^(٣) والمعنى: فاجلدوا كل واحدٍ منهم، فهذا في الظاهر كأنها مقسمة على القوم، وليس كذلك؛ لأجل أنه لكل واحدٍ من الزانين^(٤) هذه الجلدات، كما لكل بيتٍ من القصيدة قافية.

وقيل لها: قافية؛ لأنها تقفو البيت، وكذا قال أبو الحسن^(٥)، ألا ترى أن ناصباً من قوله^(٦):

كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٌ

(١) وألجمته: جعلت له لجاماً.

(٢) هذا كله من المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية.

(٣) النور: ٤.

(٤) كذا بالأصل، وهو وهم؛ لأن هذا الخطاب في حد القذف، لا الزنا، والآية بتمامها ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وليس ببعيد أن تكون الكلمة تحريفاً وتصحيحاً للفظ (الرامين).

(٥) في كتابه (القوافي: ١)، وأبو الحسن هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي، الأخفش الأوسط، تلميذ سيبويه، وهو الطريق الذي أخذ الناس عنه كتاب سيبويه، برع في النحو والعروض والأدب، من مصنفاته: معاني القرآن، والأوسط، والعروض، والقوافي، توفي نحو ٢١١هـ.

أخبار النحويين البصريين ١٦، طبقات النحويين واللغويين ٧٢، إنباه الرواة ٣٦/٢.

(٦) هذا مطلع قصيدة للناطقة الذبياني، تمامه: وليل أفاقيه بطيء الكواكب

ديوانه ٤٠ (تحقيق: أبو الفضل).

يقفوا كل بيت، حتى لا يجوز أن يغيروا الوزن، والحركة، والحرف (الذي هو حرف الروي)؟ فما من بيت إلا وهو معتبر فيه، فلا يقع موقع الألف وأو، ولا موقع الكسرة - في الصاد - فتحةً، ولا موضع الباء طاءً. فإذا وجب اعتبار حال كل حرف من هذه الحروف، كانت الكلمة بأسرها تابعة لكل بيت، لأن بعضها متعلق ببعض، فهي كالجاء الواحد الواقع في آخر الكلام، فقول أبي الحسن: "لأنها تقفوا الكلام" صحيح.

8/ب

و"الإصغاء" مأخوذ من قولهم: صغا إلى كذا، أي: مال إليه وصغي، قال الله عز وجل: ﴿وَلَصَّغَيَّ إِلَيْهِ أَفْعِدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾^(١) فصغي مثل شقي ورضي^(٢)، وصغا يصغو مثل: غزا يغزو غزواً، فالهمزة في أصغيت بمنزلتها في أخرجت وأذهبت، أعني جاءت للنقل، فهو بمنزلة أملت، فإذا قلت: أصغيت إلى فلان، فالمعنى: أملت إليه سمعي، وترك ذكر (سمعي) لأجل أن الحال يدل عليه، والمفعول فضلة في الكلام يسقط كثيراً، إلا أنه قد قلَّ استعماله في هذا الموضع في المشهور حتى صار كالمرفوع^(٣)، ألا ترى أن أحداً لا يقول: أصغيت إليه سمعي!

وقولهم: أصغى إليه بسمعه، على الأصل، والباء مزيدة، مثل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْهَلَكَةِ﴾^(٤). ولا يجوز أن تجعل الباء في (بسمعه) للتعدية على حد: مال بسمعه، وتجعل (أصغى) غير متعدٍّ، على أن يكون (أصغيتُ) و(صغوتُ) (بمنزلة: قلتُ^(٥) البيع وأقلته؛ لأجل أنه لو كان كذلك لوجب أن يستعمل (صغوتُ) في هذا الموضع، ولا يقول أحد: صغوت إلى فلان، بمعنى أصغيت، كما تقول: قلت بمعنى أقلتُ. فلما لم يستعمل

(١) الأنعام: ١١٣.

(٢) مثلهما في الوزن، كما أن أصل الياء - في ثلاثتهما - الواو. وفي الأصل (سقي) بالسين، تصحيف.

(٣) أي: كالفعل اللازم الذي يكتفي بمرفوعه.

(٤) البقرة: ١٩٥.

(٥) أي: يكون المزيد بمعنى المجرد.

(٦) في الأصل (قول)، وكتب فوقها (قلت). والإقالة: هي فسخ البيع. وورد هذا المثال عند سيبويه

هكذا: (قلته البيع وأقلته) ٦١/٤، وانظر: القاموس (قيل).

ذلك علمت أن أصغيت بمنزلة أملت، وأن المفعول محذوف، وأيضاً فإن معنى الميل غير متصور هنا؛ لأجل أنه لا يقصد أن يجنح إليه، ألا ترى أنك لو ملت إلى إنسان لأمر، لم يقل: أصغى إليه؟! وإنما يُقال ذلك إذا أملت إليه سمعك. ويقوي ذلك أنهم قالوا: أرعني سمعك، بمعنى أصغ إلي، فهذا منقول [من] قولهم: رعبت الشيء إذا راعيته^(١)، كقول الخنساء^(٢):

أرعى النجوم، وما كُلفت رعبتها وتارةً أتَغشَى فَضْلَ أطمار^(٣)

المعنى: أي أراعي الكواكب مرةً، فأسهر لها، وأعرض عنها أخرى فأرقد. فأرعني بمنزلة قولهم: حفرت بئراً، وأحفرته بئراً (أي: كُلفته ذلك، وجعلته يحفرها) فكأنك قلت: اجعل سمعك يراعي، ومكَّنه من كلامي. فرعبت بمنزلة صغوت، وأرعبت بمنزلة أصغيت، فكما أن سمعك مظهر هنا^(٤)، كذلك يكون^(٥) في قولك: (أصغ إلي) مُقَدَّراً، وهذا قاطع.

ومما يقطع به قوله^(٦):

يُصِيحُ لِلنَّبَاةِ^(٧) أَسْمَاعُهُ إِصَاخَةُ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ^(٨)

فهذا عين قولك: يميلُ سمعه.

(١) في الأصل (رعبت الشيء إذا رعبته)، وهو غير سديد.

(٢) ديوانها ٢٩٠ (تحقيق: أبو سويلم).

(٣) في الديوان (أطماري) بياء المتكلم. والأطمار: هي الثياب الخلقة.

(٤) الإشارة تعود إلى قوله: (أرعني سمعك).

(٥) في الأصل (كذلك لا يكون...)، ولا يستقيم به المعنى. وهو يريد أنك تقول: (أرعني سمعك) فتذكر المفعول وتظهره، وتقول في مقابله: (أصغ إلي)، فلا تذكر المفعول ظاهراً، لكنه منوي ومقدّر، والمقدر بمنزلة المذكور.

(٦) للمتقرب العبد، ديوانه ٤١/ (الصيرفي).

(٧) النبأ: الصوت الخفي.

(٨) الناشد: هو السائل عن ضالته، فيقول: من وجدها!، والمنشد: الذي يعرف بالضالة، فيقول: من

ذهب له كذا؟ الجمهرة ١٢٦٥/٣.

فقول المتنبي: "ولأذنه إصغاء" - بعد هذا التفسير - لا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: أن يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل المضمر، فكأنه قال: ولأذنه إماله منه، وحذف لدلالة الحال عليه، كقوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(١) يريد: من دعائه الخير، فحذف ضمير الإنسان، وهو فاعل الدعاء، والخير مفعول، كما أنه الأذن كذلك، فهو بمنزلة أن تقول: ليمل زيد إماله، تريد: منه، وهو هنا أحسن؛ إذ يعلم أنه يميل سمعه.

فإذا حملته على هذا، كان استعمل الأصل الذي هو قولك: أصغيت إليه سمعي.

والوجه الثاني: أن يكون جعل الفعل "لأذن" فكأنه أراد: مسامعه قد ألقت الأشعار والتصرف فيها، فهي تسبق إليها من غير أن يقصد هو، حتى لا تحتاج في ذلك إلى تكلف، فكأنه قال: ولأذنه إصغاء نفسها، أي هي تميل نفسها [إلى] ما ينشد من القوافي.

وقصد بهذا البيت [أن] يصفه بكثرة العطاء والنوال لأجل أن الأشعار إنما تتسارع إليه وتتراحم عليه، إذا صادف أهلها سبباً محبباً، وفضلاً غمراً؛ إذ الشعرُ نبتٌ بقعة لا تُسقى إلا من سماء الجود، ولا شمس لها تجلو أزهارها غير شمس الفواضل! والله درُ بعض المتأخرين، حيث قال^(٢):

وما الطبعُ إلا مُسْكَةٌ مُسْتَكِنَّةٌ وليس لها إلا يد الجودِ مُجَدِّحٌ^(٣)

/ فإذا صفا مشرع النوال تمهد إليه طرق السؤال والاستماعة، والقوافي معارضُ لهما. ولم يرد أنه يجب أن يمدح؛ لأن حُب المدح ليس يمدح! وإنما المحمود أن لا يكون الإنسان مولعاً به!

٩/١

(١) فصلت: ٤٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) المسكة بالضم: العقل الوافر. القاموس (مسك). والمجدح: آلة تتخذ في اللت والخلط.

ألا ترى إلى قول الحكيم: واعلم أن قابل المدح كمدح نفسه، فالمرءٌ جدير بأن يكون حُبه للمدح هو الذي يحمله على رده؛ فإن الرادَّ له ممدوح، وإن القابل له معيب به^(١). فإذا هذا البيت كقوله^(٢):

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ

وقال البحري^(٣):

وَيَغْضَبُكَ السَّكُوتُ إِذَا سَكُنْنَا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَغْضِبُهُ السُّؤَالُ

فإن قلت: كيف جَوَزَ أن يكون قوله: "[ولأذنه] إصغاء"، بمعنى: أن الممدوح يميل الأذن، ولا يجوز أن يتقدم على المصدر ما يكون معمولاً له؟!

فالجواب: أن الأمر كما ذكرت إلّا أنّنا لانعلّق اللام في قوله: "ولأذنه" بالمصدر الذي هو الإصغاء، ولكننا نجعل حكمه مع الإصغاء حكم "القوافي" مع "جولة" في أنه يكون مبتدأ و"لأذنه" خبراً، كما أن "جولة" مبتدأ و"القوافي" خبر، فيكون بمنزلة قولك: لزيد مالٌ، في كون اللام متعلّقاً بمحذوف، نحو استقر وكان، فكأنه قال: جولةٌ تكون للقوافي في كل يوم، وإصغاءٌ يكون لأذنه. كما أن (لزيد مالٌ) في تقدير: مالٌ استقر لزيد، إلّا أن المبتدأ إذا كان نكرةً وكان حرفُ الجرّ خبراً - على ما قدرت لك من معنى الاستقرار والكون - لزم المبتدأ أن يتأخّر عن الخبر، فلا يقال: مالٌ لزيد، وجولةٌ للقوافي، وإنما يقال: لزيد مالٌ، وللقوافي جولةٌ.

وقوله: "في كل يوم" متعلق بما في "للقوافي" من معنى الفعل الذي فسرت لك، كقولهم: كل يوم لك ثوبٌ، أعني أن (كل يوم) يتعلق بما في (لك) من الفعل^(٤)، فأصل

(١) لابن المقفّع في الأدب الصغير والأدب الكبير ٦٩ (دار صادر).

(٢) هو المتنبي، يمدح كافوراً، وسيأتي في حرف الباء.

(٣) ديوانه ١٧٨٠/٣، يمدح إسماعيل بن بلبل.

(٤) أي: من معنى الفعل.

الكلام: ثوب استقر أو مستقر لك كل يوم، ثم أضمر الفعل، لكونه معلوماً، فقدم (لك)، على ما عرفتكَ.

وأما "[في] قلبه" فمتعلق بنفس "جولة"^(١).

(٢٢) وإِغَارَةٌ فِيمَا اخْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيَلْقَى شَهَبًا

قوله: "في كل بيت فيلق"، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يريد المعنى، لأن السؤال معنى تضميره البيوت، فكأن معنى الشعر هو الذي يغير على أمواله، وقريبٌ ذا من قول أبي تمام^(٢):

ولولا خلأل سنّها الشعر ما درى بُغَاةُ النّدى من أين تُوقى المكارمُ

فذكر أن الشعر تضمن أشياء يُشام بها برق العطاء، ويُبدى عن صفحة الاستماعة.

والوجه الثاني: أن يكون البيت هو الفيلق الشهباء، ويكون [ك]قوله عزّ وجل: ﴿هُمَّ

فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(٣) وإنما النار هي دار الخلد -نعوذ بالله منها- وكقول الأعشى^(٤):

أخو رغائب يعطيها ويسألها يابئ الظلّامة منه النّوفلُ الزّفرُ^(٥)

ومثله قولهم: لئن لقيت فلاناً لتلقين منه الأسد^(٦).

(١) لأن (جولة) اسم مرة، فهو من المشتقات التي تعمل عمل الفعل.

(٢) ديوانه ١٨٣/٣.

(٣) فصلت: ٢٨.

(٤) لأعشى باهلة، الصبح المنير: ٢٦٧.

(٥) الرغائب: العطايا والهبات. والظلّامة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذ منك. والنوفل:

العزیز الذي يدفع الضيم وينفله. والزفر: السيد الذي يتحمل الحملات: خزانة الأدب ١٨٧/١.

(٦) مثل هذا الأسلوب يسمى التجريد عند علماء البلاغة. وقارن بما ذكره عبد القاهر في كتابه (أسرار

البلاغة ٣٣٥) فهو مثله تماماً.

وعلى معنى الإغارة في المال قول أبي تمام^(١):

إذا ما أغاروا واحتوا مالَ معشرٍ أغارت عليهم فاحتوته الصنائعُ

وقال أيضاً^(٢):

إلى سالبِ الجبار بيضةً مُلكِه وأمْلِه غادٍ عليه^(٣) فسالبُه

(٢٣) مَنْ يظالمُ^(٤) اللُّؤماءُ في تكليفهم أَنْ يُصبحوا وهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ

لك في "مَنْ" وجهان:

أحدهما: أن تجعله استفهاماً على طريقة الإنكار.

والثاني: أن يكون موصولاً^(٥).

فإن كان استفهاماً، كان بمنزلة قولك: أي إنسان يفعل هذا؟ وإنما جعل تكليفهم ذلك ظلماً لأجل أن مكارمه بحيث لا يمتد إليها باع أحد، فإذا كلفوا ما لا يطيقونه كان ذلك ظلماً لهم. وإن جعلته بمعنى الذي كان راجعاً إلى الممدوح لأنه قد عرف أن الناس يحسدونه، ويطلبون شأوه، فإذا سما إلى / المعالي والمفاخر إلى غاية لا يوصل إليها [كان] ذلك ظلماً منه لهم في الحقيقة؛ لأنه قد علم حسدهم وتطاولهم، و[أن] لا يتسنموا ذروته

9/ب

(١) ديوانه ٥٨٨/٤، يفخر بقومه.

(٢) ديوانه ٢٢٤/١، يمدح عبد الله بن طاهر.

(٣) في الأصل (عليك) والتصويب من الديوان.

(٤) "وروى الخوارزمي (من نظم) بالنون، وقال: إن كلفنا اللثام أن يصيروا أكفاء له فقد ظللناهم

بتكليفهم ما لا يطيقون" شرح الواحدي: ١٩٧.

(٥) هذا الذي عليه جمهور الشراح.

شرفه، فيعلوه مع هذه الصورة، [فذلك] كالظلم لأنه يكلفهم ما لا يتسعون له ذرعاً^(١).
وقريب منه قول أبي تمام^(٢):

هدمت مساعيه المساعي، وابتنت
خطط المكارم في عراض الفرقد^(٣)

فكانه قد جعل كل كريم لثيماً بما أبدى من المناقب التي لا تُبارى فيه بوجه.

وأوضح البحري؛ قال^(٤):

يا أبا جعفر لقد إفضا لك خطباً على الكرام جليلاً
ردّ معروفك الكثير قليلاً وأرى جودك الجواد بخيلاً

والأكفاء: جمع كُفُو^(٥) وهو الشُّكل والنظير، ويقال: كِفَاءٌ -أيضاً- في جمعه، ومن
ذا قول النبي ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماؤهم"^(٦). ويجوز أن يكون الإكفاء في الشعر
مأخوذاً منه، وهو أن يُخالف بين حروف الروي، كقوله (قرأته على شيخنا رحمه الله
عن أبي الحسن)^(٧):

كأن فاقارورة لم تُغفص^(٨)

(١) عيب هذا المعنى على أبي الطيب؛ لأنه لا مدح في عجز اللئام عن بلوغ مرتبة الممدوح، وإنما المدح في
عجز الكرماء عن مضاهاته ومنافسته. انظر: المنصف لابن وكيع ٤٧٧/١ وشرح الواحدي ١٩٧.

(٢) ديوانه ٥٠/٢، يمدح المأمون.

(٣) الفرقد: نجم غائر في السماء.

(٤) ديوانه ١٧٦٦/٣ يمدح أبا جعفر القمي.

(٥) ومثله كفاء: مثلث الأول، وكُفُو، بالواو، القاموس، والتاج، (كفاً).

(٦) رواه الإمام أحمد (١٩١/٢، ١٩٢، ٢١١)، وأبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٥٩، ٢٦٨٥)، من طرق عن
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ وصححه العلامة الألباني، إرواء الغليل (٢٢٠٨)،

ومشكاة المصابيح (٣٤٧٥).

(٧) هو في كتابه (القوافي ٤٣)، ومختصر القوافي لابن جني ٣١، واللسان (كفاً - نقر).

(٨) لم تغفص، أي: لم يوضع عليها عفاص، وهو غطاء يسد به فيها.

منها جاجا مُقلّة لم تُلَحِص^(١)

مع قوله: كَأَنَّ صِيرَانَ الْمَهَامُنُقَزِ^(٢)

فكان حقيقة أكفأت: أزلت عنه التكافؤ والتشاكل، فالهمزة للسلب، كقولهم: أعجمت الكتاب، إذ المعنى سلب العجمة، فهذا ما رأيته^(٣)، وأما قول الناس فهو: أنه من قولهم: أكفأت الشيء إذا قلبته عن وجهه، أنشد أبو الحسن^(٤):

وَدَوِيَّةٌ قَفَرٍ تَرَى وَجَهَ رَكْبِهَا^(٥) إِذَا مَا عَلَوْهَا مُكْفَأٌ غَيْرَ سَاجِعٍ

فالمكفأ هو المقلوب. وجعله نقيض السجع وهو اتفاق الحروف، وذلك استقامة. وإذا كان كذلك، علمت أن [قولهم:] الإكفاء والإقواء واحد [غير] مستقيم. وإنما الإقواء هو اختلاف الحركات، نحو قوله^(٦):

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَأَى أَوْ مَغْتَدٍ^(٧)

مع قوله: وبذاك خبرنا الغراب الأسود^(٨)

(١) في الأصل (تلحص)، وأثبت ما في المصادر. وللخص: أن يكون الجفن الأعلى من العين لحيمًا، ولخصت عنه: إذا تورم ما حولها، القاموس (لخص).

(٢) الصيران: جمع صوار وهو القطيع من البقر ونحوها. والمنقز: المتوثب.

(٣) هذا الرأي في العمدة ٤١٥/١.

(٤) في كتابه (القوافي ٥١)، والبيت لذي الرمة، ديوانه ٧٨٩/٢، وروايته فيه:

قطعت بها أرضاً ترى وجه ركبها وأشار محققه إلى الرواية الأخرى

(٥) الدوية: المفاضة. ووجه الركب: مسلكهم ووجهتهم. والساجع: القاصد المستقيم. يقول: إن مسلك هؤلاء الركب في تلك المفاضة جائر مضطرب غير مستقيم. أفاده شارح الديوان (الموضع السابق).

(٦) هو النابغة الذبياني، ديوانه: ٨٩.

(٧) تمامه: عجلان ذا زاد وغير مزود

(٨) هذا عجز بيت، وصدره: زعم الغداف بأن رحلتنا غداً

وفي البيت روايات أخرى (الديوان ٨٩، ٢٤٦)، منها في عجزه:

وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وعليها لا إقواء في البيت.

وحقيقة ذلك أن كل حركة من حروف الروي جزء منه^(١)، كالقوة من الحبل، فإذا قلت: أقوىْتُ، فكأنك خالفت بين قواه^(٢). ويقوي هذا ما حكي عن الشيخ أبي علي^(٣) من أن الروي مأخوذ من الرواء (الذي هو الحبل)^(٤) فكان اتفاق هذه الحروف التي تسمى حروف الروي - نحو الدال من "مغتد" - مثل الحبل الممرور^(٥)، فكل حركة قوة تُشد الحروف بها. وليس الروي اسماً للحرف، وإنما هو اسم للاتفاق، يدلك على ذلك أنهم يقولون: حرف الروي، ولو كان الروي حرفاً لما جاز أن يضاف إليه؛ إذ الشيء لا يُضاف إلى نفسه! فهذا كقولهم: حرف الإعراب، لأجل أن الاختلاف الذي هو الإعراب في قولك: "زيد - زيداً - ويزيد" يوجد فيه^(٦)، كما أن الاتفاق الذي هو الروي يوجد في هذه الحروف، فكل واحد من الروي والإعراب اسم معنى لا لفظ، فاعرفه، فإنه واضح.

(٢٤) وَنَذِيْمُهُمْ^(٧) وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضْدَها تَبَيَّنَ الشَّيْءُ

معنى البيت على وجهين: فإن كان "من" في البيت الذي قبله استفهاماً، كان الفعل لغير الممدوح، فكأنه قال: إنه لا ينبغي أن يُدْمُوا؛ لأننا نتوصل بهم إلى معرفة هذا الممدوح، فلنا ولهم فيه منفعة. وإن حملت على أن "من" موصول، كان المعنى: أنه إذا تعرض للخصال التي لا يُقدَّر عليها، وأعجزهم في طلب المعالي؛ كان ذلك دماً لهم ونياً من أغراضهم، ثم انعطف عن ذلك، وقال: "وبهم عرفنا فضله" إذ لولا

(١) الضمير في (منه) يعود إلى الروي. والروي له حرف واحد في القصيدة، لكنه يقصد بحروف الروي الحروف المتفقة في آخر القصيدة، التي نعرف منها نوع الروي، أو بالنظر إلى القوائد المختلفة.

(٢) قوى الحبل: طاقاته، وأقوى الحبل: إذا جعل بعضه أغلظ من بعض، أو بعض قواه محكمة والأخرى محلولة. انظر: القاموس (قوى)، والعمدة ٣١٣/١. والكافي: ١٦١.

(٣) هو الفارسي، وقد سبقت ترجمته.

(٤) هو الحبل الذي يشد به الحمل على البعير، أو الذي يستقى به. اللسان (روي).

(٥) الممرور: هو المفتول المبرم، وفي الأصل (الممدود)، ولعل الممرور أولى بالسياق.

(٦) في الأصل (فيها)، والضمير يعود إلى (حرف الإعراب)، وهو مذكر.

(٧) نديمهم: نعيهم، والذام: العيب. وفي معجز أحمد والنظام (ونديمهم).

قُصُورُهُمْ وَعَجْزُهُمْ لَمْ يَتَّضِحْ لَنَا قَدْرُ سُمُوهِ؛ لَأَنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَصَلَ
غَيْرُهُ إِلَى مَا حَصَّلَهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ، وَأَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ: "وَبُضْدَهَا تَتَبِينَ الْأَشْيَاءَ"، وَقَدْ
أَجْمَلَ فِي ذَا كُلِّ إِجْمَالٍ حَتَّى خَرَجَ مَثَلًا كَالْبَازِي الْأَشْهَبِ^(١)! وَقَدْ قَالُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى
بِالْفَافِظِ مُخْتَلِفَةً، وَأَبْرَزُوهُ فِي عِدَّةٍ مَعَارِضٍ، قَالَ أَبُو تَمَامٍ^(٢):

سَمُجَتْ^(٣)، وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا مَا حَوْلَهَا مِنْ نُضْرَةٍ وَجَمَالٍ
/وَكَذَاكَ لَمْ تَفْرُطْ كَأَبَةٍ عَاطِلٍ^(٤) حَتَّى يَجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِي

10/أ

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ^(٥):

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطٌ حُسْنٍ جَوَارِهَا خَلَانَقٌ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبٍ
وَحَسُنْ دَرَارِي الْكَوَاكِبِ أَنْ تُرَى طَوَالِغٍ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غِيَهَبٍ

وَقَالَ^(٦):

كَمَا اللَّيْلُ إِنْ تَزْدَدَ لَعِينُكَ ظِلْمَةً حَنَادُسُهُ تَزْدَدُ ضِيَاءَ كَوَاكِبِهِ

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي وَصْفِ الشَّعْرِ^(٧):

قَوَافِي كَالسَّلَامِ تَفُوقُ حُسْنًا نَجُومَ اللَّيْلِ تُوقِدُهَا الدِّيَاجِي

(١) ديوانه ١٣٢/٣.

(٢) ديوانه ١٣٢/٣.

(٣) سُمِجَتْ: قُبِحَتْ.

(٤) العاطل: التي لاحلي عليها، ضد الحالي.

(٥) ديوانه ١٩٢/١، ١٩٣، يمدح الفتح بن خاقان.

(٦) ديوانه ٢٢١/١.

(٧) ديوانه ٤٠٦/١.

وهذا كلامٌ شريفٌ؛ لأنَّ الدياجي إذا كانت مناقضةً للكواكب صارت زائدةً في بهائها ونورها حتى كأنها تُوقدُها وتشبُّها. وقال بشار^(١):

وكنَّ جِواري الحي ما دمت فيهم قباحاً، فلما غبت صرْنَ ملاحا

أحسن ما شاء! وكشف عن وجه المعنى. وللبحتري زيادةٌ فضيلة: لم يقتصر على مجرد المعنى، حتى احتجَّ في تصحيح ما ادَّعى منه، وقاس، ومثَّل بالكواكب والظُّلم، فاعرفه.

وأوقع الواحدَ موقعَ الجميع في قوله: "وبضدَّها تتبيَّن الأشياء"، المعنى: وبأضدادها، كما تقول: الأشياء بأضدادها.

وقد احتذى بعضهم هذا المثال، فقال^(٢):

ضدَّان لما استُجمِعاً حسُّنا والضدُّ يظهرُ حسُّنَه الضدُّ

وهذا غير صحيح في الظاهر^(٣)؛ لأجل أنه ليس كلُّ ضدٍّ يحسِّن صاحبه، ألا ترى أنَّ القبح والحسن ضدَّان، ولا يحسِّنُ الحُسْنُ القبحَ، وإن كان القبحُ يزيد في الحسن؟!

(١) ملحقات ديوانه ٣٣/٤، وصدره فيه:

وكان جِواري الحي إذ كنت فيهم

وهو في الوساطة ٢٧٨، وشرح الواحدي ١٩٧، ومعجز أحمد ٢٠٦/٢، كرواية الشارح.

وبشار بن برد، أبو معاذ، شاعر مفتن، من أشهر الشعراء المولدين، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط سنة ١٦٧هـ.

الشعر والشعراء ٧٦١/٢، الأغاني ١٣٥/٣، وفيات الأعيان ٢٧١/١.

(٢) هذا البيت من قصيدة طويلة، تسمى (الدعية) أو (اليتيمة)، يتنازعها عدد كبير من الشعراء، فتنسب إلى دوقلة المنبجي، كما أشار إلى ذلك ابن جني في الفسر ٩٠/١، وفي حماسة الظرفاء (٨٥/٢) عشرة أبيات منها منسوبة إلى الأخيطل المخزومي، وتنسب لعلي بن جبلة (ملحقات ديوانه / ١١٥)، ولأبي الشيص الخزاعي (ديوانه: ١٣٦)، وقد استوفى عبد الله الجبوري، محقق ديوان أبي الشيص الحديث عن هذه القصيدة، انظر: ١١٧ وما بعدها.

(٣) قارن بما ذكر ابن جني ٩٠/١، والواحدي (١٩٧)، فهو قريب مما هنا.

ووجهه: أن يكون قوله: "والضد يظهر حسنه الضد" نوعاً من إيقاع العام على الخاص، فكأنه لا يريد كلّ ضدين وإنما أراد ضرباً مخصوصاً كالسّواد والبياض، ألا ترى أن كل واحد منهما يحسن صاحبه؟ وجازله؛ لأجل أنّه قال في صدر البيت: "ضدان لما استجمعا حسنا"، ولاشبهة في أنّه أشار إلى شيئين مخصوصين كالسّواد والبياض، فكأنّه قال: إنّ كل ما كان من هذا النحو فأمره على ما ذكرت قبله:

فألوجهُ مثلُ الصبحِ مُبَيضٌ والشَّعْرُ مثلُ الليلِ مُسْوَدٌ^(١)

وهذا واضحٌ، فافهمه. وكيف تصرف الأمر فقصب السبق في يد المتنبي، لأنّ المثل على العموم.

(٢٥) مَنْ نَفَعُهُ فِي أَنْ يُهَاجَ، وَضَرَّهُ فِي تَرْكِهِ، لَوْ يَفْطُنُ^(٢) الْأَعْدَاءُ

هذا البيت محتمل على وجهين:

أحدهما: أن يريد أن الممدوح مشغوف بالمحاربة والقراع، فإذا تعرض الأعداء لِمنازعتِه وبرزواله في زِي العناد نهض إلى الحرب، وكان ذلك سبباً لقضاء وطره، فتخمد نار الاشتياق باشتعال نار الكفاح، ومثله قوله في سيف الدولة^(٣):

لَوَكَلْتُ الْخَيْلَ حَتَّى لَا تَحْمَلَهُ تَحَمَّلَتْهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَمَمُ

فهذا نهاية في الوصف بحبّ الحروب والولوع بالمبادرة إليها. وقال البحتري^(٤):

يَهْشُ لِلْغَزْوِ حَتَّى شَكَّ عَسْكَرُهُ فِيهِ وَقَالُوا: أَغْزَوْذَاكَ أَمْ قَمَلُ^(٥) ١٩

(١) انظر: مصادر البيت السابق.

(٢) رواية الواحدي (١٩٧): لو تفتن، وكذا في الديوان ١١٧.

(٣) الديوان ٤١٧.

(٤) ديوانه ١٧٦٠/٣، يمدح أبا سعيد الصامتي.

فهذا واضح، وقال أيضاً^(١):

تسرّع حتى قال من شهد الوغى لقاء أعاد أم لقاء حباب؟

وأبلغ من جميع ذلك قوله^(٢):

واني لأزال أخا حروب إذا لم أجن كنت مجنّ جاني^(٣)

ويكون في هذا النحو دلالة على أن الممدوح من رجال الحروب، وممن قد اعتادها،
فإذا بُعد عهده بها فإن له الشوق إليها، كما قال^(٤):

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

والإنسان إذا تأخر عنه ما يكون اعتاده آذاه^(٥) ذلك وضّره، كما قال^(٦):

ومافي طبّبه أي جواداً أضرب جسمه طول الجمام

فالأعداء إذا نفوا عنه هذا الضرر الذي ذكرناه كانوا قد نفعوه.

ونوع لطيف من الوصف باعتياد الحروب قولُ البحري^(٧):

(١) ديوانه ١/١٧٨، يمدح أبا سعيد الثغري.

(٢) لسواربن المضرب السعدي، ديوان الحماسة (شرح المرزوقي ١/١٣٢)، والأصمعيات ٢٤٣، والتذكرة السعدية ٥٠.

(٣) المجن: الترس الذي يتقي به المقاتل. وفي المصادر السابقة (جان) بلاء.

(٤) الديوان ٣٥٨.

(٥) في الأصل (أخذ)، ولعله تحريف لما أثبت.

(٦) الديوان ٤٧٨، من قصيدة الحمى.

(٧) ديوانه ٣/١٦٠٢، يمدح أبا سعيد الثغري.

رجالٌ يَعُدُّونَ الرماحَ مَخاصِرًا إذا زَعَزَعُوها والدروعَ غلائلاً^(١)

/وذاك أنهم من كثرة ممارستهم للرماح قد استخفّوها، وصارت لا تثقل^(٢) أيديهم، كما تثقل (٧) على يد مَنْ يكون غير معتادٍ لحملها، وكذا قد تعودوا لبس الدروع حتى خفّت عليهم. وضده قول الآخر (أنشده شيخنا رحمه الله وأنا أسايره مشيعاً)^(٣):

لم يركبوا الخيل إلا بعدما هَرَمُوا فهم ثَقَالٌ على أكتافها مِيلٌ^(٤)

فهذا لأجل أنهم لم يمرنوا على ركوبها، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وانزوا على الخيل نزواً"^(٥) في جملة الكلمات المشهورة.

وأما قوله^(٦):

ذرائي والفلالة بلا دليل ووجهي والهجير بلا لثام
فإني أستريح بذي وهذا وأتعب بالإناخة والمقام

فضربٌ من هذا المعنى، لأجل أنه قد تعود قطع المفاوز، فإذا ترك عادته تعب لذلك، واستضرّبه، كما يستضرّ المعوّد نفسه الانغماس في الحروب بالتأخر عنها. وما أوردناه أليق به؛ لأنه في ذكر الحرب، وهذا في ذكر التقلب في الأرض، غير أن وجه النسبة بين الموضعين من حيث ذكرنا، فاعرفه.

(١) في الديوان (ملوك) بدل (رجال). والمخاصر: ما يتوكلأ عليه كالعصا، وما يأخذه الملك بيده؛ ليشير به إذا خطب. والغلائل: ثياب رقيقة.

(٢) في الأصل (ينفك) في الموضعين: تحريف وتصحيف.

(٣) لجريز، ذيل ديوانه ١٠٣٥/٢.

(٤) الميل: جمع أميل، وهو الذي لا يثبت على ظهر الفرس.

(٥) من وصيته لعماله، انظر: جمهرة رسائل العرب ٢٥٣/١، بلفظ: (وانزوا نزواً على الخيل).

(٦) الديوان ٤٧٥، من قصيدة الحمى.

والوجه الثاني: أن يريد أنه إذا هيج أسرع إلى مقاتلة الأعداء، وأغار عليهم، وغنم أموالهم، وسلب نعمهم، فيكون ذلك نفعاً له.

وقوله: "وضره في تركه" - على هذا - يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد أن الدنيا كلها تحت ملكه، لأنه من القوة والقدرة بحيث يتسلط على كل من يقصده، فإذا سالموه وأطاعوا كأنهم أخذوا منه بعض ما تقرّره. وهذا ضرٌّ في الحقيقة، لأنه إذا لم يمكنهم من أماكنهم، وصرفها إلى جملة ما يعود إليه دخله كان ذلك زيادةً في ماله. ويليق به قوله^(١):

كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خِلْفَاؤُهُ فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا، وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا

والوجه الثاني: أن يريد أنهم إذا أقبلوا عليه بوجه الطاعة، حضروه، واحتاج إلى أن يبرهم ويخلع عليهم، فيكون ذلك نقصاً في ماله، ويوضحه قوله بعد:

(٢٦) فَالْسَلْمُ تَكْسِيرٌ^(٢) مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ

استعار الجناحين للمال على معنى الجانبين، وإيقاعه كسر السلم على جانبي ماله دليل على ما ذكرنا؛ لأجل أنه إذا سولم فاتته الغنائم وأتاه المسلمون فأعطاهم، ومنحهم، فهذا كسرٌ من وجهين، كما ترى.

فإن قلت: فكيف يكون فوت الغنائم كسراً في جانب من ماله وهي لم تضم إليه، ولم تحصل له؟! وإذا لم يصح ذلك وجب أن يحمل "جناحي ماله" على أنه أراد به الكثرة (كلبيك وسعديك)^(٣)، فكأنه قال: فالسلم يكسر من جوانب ماله، بمعنى أنه من كثرة ما يسدي إليهم، يوليهم من المواهب ما يثلم كل جانب منه، ويوضحه قوله: "بنواله".

(١) الديوان ٢٩٠، يمدح سيف الدولة.

(٢) في الشروح (يكسر)، وفي الديوان ١١٧ (تكسر) كما هنا. وسيذكر الشارح أن السلم يذكر ويؤنث.

(٣) انظر: الكتاب ٣٥٢/١، وأمال الزجاني: ١٣٢.

فالجواب عنه: ما ذكرنا من أنه لما كان قادراً على استلاب أموال الأعداء أي وقت شاء، صارت كأنها في حوزته، فإذا منعت منه بالسلم والطاعة، صارت كسراً^(١) في شطر ماله، حتى كأنهم أخذوا من حضرته ما جمعوه وحصلوه (كما ذكر أنهم يأخذون العطيات والمواهب)، فالسلم توصل إليهم نوعين من ماله: أحدهما غائب عنه، والآخر حاضر عنده. وإذا لم يحصل للأعداء هذان النوعان، كان الهيجاء جابرةً ما يكسر السلم.

وقوله: "ما تجبر الهيجاء" في موضع نصب، بأنه مفعول "تكسر" وهو موصول، والعائد مقدر: أعني الهاء في (تجبره)، كقوله عز وجل: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٢).

و"السلم" يذكر ويؤنث^(٣)، وهو مأخوذ من السلامة؛ لأن صاحبه يسلم من بغات الحرب، ومنه قولك: أسلم - في الأصل - كأنك قلت: / صار ذا سلم، وحقن دمه وماله، وكذا آمن: صار ذا أمن.

11/

وحقيقة الجبر إزالة الكسر، يقال: جبرته فجبر وانجبر أيضاً.

واعلم أن أبا تمام ناقض معنى بيت المتنبي بقوله (في قصيدته المعتصمية)^(٤):

هيهاتَ اقد زُغِرَ الأرضُ ^(٥) الوقورُ به	عن غزو محتسبٍ لا غزو مكتسبٍ
لم ينفق الذهبَ المرَبِّي بكثرتِه	على الحصَى وبه فقرُ إلى الذهب
إن الأسودُ أسودُ الغيلِ همتُها	يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السلبِ

وذاك أن المتنبي إذ ذكر أن فوت الغنائم مضرّةٌ له، وكسرٌ في جناح ماله، فقد أثبت للممدوح حاجةً إلى أموالهم، وقد نفى أبو تمام أن يكون به حاجةٌ إلى أموال العداة، فكلأه

(١) في الأصل (كثيراً) تصحيف.

(٢) الفرقان: ٤١.

(٣) انظر: المذكر والمؤنث للضياء: ٧٥.

(٤) ديوانه ١/٦٥، ٦٦، يمدح المعتصم، ويذكر فتح عمورية.

(٥) في الديوان (هيهات زعزعت الأرض ...).

أغرق في المدح من كلام المتنبي. ولقائل أن يقول: إن المتنبي لم يقصد بذكر الكسر والضرر أنه يحب مال الأعداء لأجل حبّ الغنى والثروة، وإنما قصد أنه يحبّ استلاب أموالهم، ويسبي ذراريهم، ليدلّ بذلك على قدرته، وفضل عزته، ومهانتهم، وإذا كان كذلك ثم انقطع عنه، كان مضرّةً عليه في الحقيقة؛ لفواته ما يظهر سلطانه. فانتفاعه بماله من هذا الوجه، وقريب منه قوله^(١):

أخو الحرب يُخِدمُ مما سبى قناه، ويخلعُ مما سلب

وذلك [أن] في احتياز نعم الأعداء، وتفريقها، واستخدام أموالهم وأصحابهم، دلالةً على القدرة والعزّ والمنعة. فإذا كان الأمر على ذلك، كان كلام المتنبي متضمناً لمعنى عريق في المدح، وإن كان في الظاهر مناقضاً لقول أبي تمام.

فإن قلت: وكيف جعل إفضاله على مَنْ يردُّ عليه من عُداته (على سبيل المسالمة) كسراً ومضرّةً، وهو لا ينبغي أن يكره البذل، بل يجب أن يحبه، فإذا كان محبوباً، كان العبارة عنه بالضرّ مما لا يستقيم؟!

فالجواب: أن وجه الضرر من حيث إنّ أمواله تقلّ، لأنّه يكره ذلك، فهذا ضررٌ يجبُه هو، كما قال^(٢):

يَلْذُ الأريحية^(٣) وهي تؤذي وَمَنْ يَعشُقُ يَلْذُ له الغرامُ

وقال أبو تمام^(٤):

فَتَى لم تزل تُفضي به طاعةُ^(٥) الندى إلى العيشة العسراء والسؤدد الرغد

(١) هو المتنبي، يمدح سيف الدولة، وسيأتي في حرف الباء.

(٢) هو المتنبي، يمدح المغيث العجلي، الديوان ٩٤.

(٣) في الديوان والشروح (تلذّ له المروءة...)، والأريحية: الارتياح للبذل.

(٤) ديوانه ١١٣/٢، يمدح أبا المغيث الرافقي.

(٥) في الأصل (حالة)، وكتب فوقها (طاعة)، وهو الموافق للديوان.

فعبارته عن^(١) بذل الأموال بالضرر لا تدلّ على أنه يكره ذلك، وإنما المعنى أنه قد تعود الإفضال فإذا سؤلّم كان السلم ضرراً عليه، وإن كان هو لا يكره ذلك الضرر، ويحبّه، وكيف يكره البذل من يسمح بروحه؟! وإذا كان الأمر على هذا، فجعله حصول الغنائم منفعةً له غير دالّ على أنه يحبّ نفس المال (حتى يستضّرّ بانقطاعه عنه) وإنما يحبّ إظهار القدرة. وكذا لا يدلّ جعله البذل لأجل السلم ضرراً على أنه يكره السّماحة؛ لما ذكرناه من قوله: "ومن يعشق يلذّ له الغرام"، فاعرفه.

(٢٧) يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لَهَى يَدِهِ اللَّهُي وَتُرى بِرُؤْيَا رَأْيِهِ الْآرَاءُ

صدر هذا البيت مثل قول أبي تمام^(٢):

وَجَنَّتْهُ زَائِرًا فَجَاوَزِي الْ— أَخْلَاقَ مَنْ مَالَهُ إِلَى جُدْدِهِ^(٣)
فَأَبْتُ مَنْ عِنْدَهُ وَلِي نَعْمُ تَنَاوُلُ الْمُعْتَفِينَ مَنْ رَفْدِهِ^(٤)

تقديره: ولي من رفده نعم تناول المعتفين، أي تصيبهم، وإنما الفعل للنعم، بمعنى أنها تبادر إليهم، فهي تناولهم دون أن يكونوا يأتونها فيتناولونها، هذا حسنٌ. ولا يحسن أن يقال: إنه على معنى القلب (حتى إنه قال: يتناولها المعتفون)^(٥) لأجل أن المعنى الأول لطيف صحيح، فلا عذر في ترك الظاهر.

(١) في الأصل (فغارته على)، لعله تحريف لما أثبت.

(٢) ديوانه ٤٤٢/١، يمدح خالد بن يزيد الشيباني.

(٣) الأخلاق: جمع خلق وهو القديم، والجدد: جمع جديد.

(٤) الرّفد: جمع رفدة وهي المنيحة والعطية. ويروي البيت هكذا:

فرحت من عنده ولي رفدُ ينالها المعتفون من رفده

(٥) هذا ما تدلّ عليه الرواية الثانية، فكأن الأولى أبلغ منها فحسب.

11/ب

/ومثله قوله أيضاً^(١):إذا أَمِلُّ ساماه قَرطَس في المُنَى مواهبَه حتى يؤمِّلَ أَمْلُه^(٢)وكذا قوله^(٣):فقلتُ لأصحابي هو القاسم الذي به شرح الجود التباس المذاهب
وإني لأرجو عاجلاً أن تردني مواهبُه بحرّاً تُرجي مواهبيوأحسن من ذا كله قوله في أبي سعيد الصامتي^(٤):وإذ أنا ممنونٌ عليّ ومُنعمٌ فأصبحتُ من خَصْرَاءِ نُعماك منعماً
ومَن خَدَمَ الأَقوامَ يرجونوا لهم فإني لم أخدمك إلا لأخدمهافهذا نمط عجيب! وقد زاده مبالغه، فقال في المأمون^(٥):

يؤمِّلني قومٌ على أَملي لـه، فكيف إذا ما نالني منه نائلُه ١٩

(١) لأبي تمام في ديوانه ٢٩/٣، من قصيدة في مدح المعتصم.

(٢) ساماه: رجاء وقصده. وقطرس: أصاب، وأصله من إصابة القرطاس في الرمي، ومواهبه مفعول قرطس. قال المروزي: "أراد أن أمله إذا ساماه أغناه، وعلمه الكرم والجود، حتى يؤمل من يؤمل ذلك الأمل ويقصده" شرح مشكلات ديوان أبي تمام ٢٧.

(٣) ديوانه ٢١٥/١، يمدح أبا دلف العجلي.

(٤) ديوانه ٢٤٤/٣. وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الطائي، الثغري - ملأزمته الثغور - من أشهر قواد المعتصم، مدحه أبو تمام والبحري، بقصائد وافرة، توفي سنة ٢٢٣هـ.

تاريخ الطبري ١١/٩-١٤، والكامل في التاريخ ٤٤٣/٦-٤٥٠.

(٥) لم أجده في ديوانه (تحقيق: عزام).

فانظر إلى عظم شأن هذا الرجل، وتصرفه في هذا المعنى الواحد بهذه الأنحاء العجيبة
التفاوت من اللفظ، فما من معرض من هذه المعارض إلا ويُرِيكَ عَرَوَسَه على صفة
يجعلك كأنك لم [ترمثلها] قط! قال البحرى^(١):

أَلَحَقْتَنِي بِرَجَالٍ كُنْتُ أَتَّبِعُهُمْ وَأَطْلُبُ الرِّفْدَ مِنْهُمْ إِنْ هُمْ رَفَدُوا
فَصِرْتُ أَجْدِي كَمَا كَانَتْ سِرَاتُهُمْ تَجْدِي وَأُحْمَدُ إِفْضَالًا كَمَا حُمِدُوا
مَقْسَمًا نَشَبِي فِي عُصْبَتِي طَلَبٍ: فَعُصْبَةٌ صَدَرْتُ، أَوْ عُصْبَةٌ تَرِدُ

ومعنى عجز البيت - أعني قوله: "وترى برؤية رأيه... -" مثل قوله^(٢):

إِذَا مَنَعْتُ مِنْكَ السِّيَاسَةَ نَفْسَهَا فَقُفْ وَقِفَةٌ قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ^(٣)

فذكر أن علوم السياسة تؤخذ من مجلسه. وقريب منه قول البحرى^(٤):

نَادِمْتُهُ^(٥) فَإِذَا الْمَرْوَةَ عِنْدَهُ تَعْدِي الْمَفَاوِضَ مِنْ أَقَاصِي صَحْبِهِ
وَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي مَخَايِلَ سَوْدِدٍ أَنْ كُنْتُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ شَرِيهِ
فَصَبَغْتُ أَخْلَاقِي بِرَوْنَقِ خَلْقِهِ حَتَّى عَدَلْتُ أَجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ

وهذا اللطف من بيت المتنبي؛ لأنه ذكر أن المروءة تعلق بمصاحبه^(٦)، وتُمنج بطبعه،
وإن لم يقصد إلى تأملها منه، [لا] كما ذكر أن السياسة تُتعلَّم، وكلُّ حَسَنٍ جَمِيلٌ. ومثله
في ذكر العدو قول الأعرابي^(٧):

(١) ديوانه ٤٩٦/١، يمدح عيسى بن إبراهيم، كاتب الفتح بن خاقان.

(٢) الديوان ٤٥٨، يمدح كافورًا.

(٣) قال الواحدي (٦٥١): "يقول: إذا لم تحسن السياسة فاخدمه بالقيام أمامه مرة، تتعلم منه حسن السياسة".

(٤) ديوانه ١٦٦/١، يمدح الحسن بن وهب.

(٥) في الديوان (كائنته).

(٦) في الأصل (بمصاحبته)، ولعل ما أثبت أولى بالسياق.

(٧) لابن الخياط في الموازنة ٧٠/١، والوساطة ٢٢٣، والصناعتين ٢٠٠، وفي حواشي الموازنة مراجع أخرى.

لمست بكفي كَفَّه ابتغي الغنى ولم أدْرِ أَنَّ الجودَ من كَفِّه يُعدي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغنى أفدتُ، وأعداني فأتلفتُ ما عندي

فهذا يشبهه^(١) صديريت المتنبي، أعني قوله: "... فتعطى من لُهي يده اللُهي " من وجهٍ، ويفارقه من وجهٍ: وهو أنه جعل علة كونه جواداً ما جرى فيه من كرم المسؤول، وجعل المتنبي علة جود الأخذ المستميت كثرة عطايا الممدوح ووفورها، حتى إنها تجعل السائل من الغنى بحيث يطمع فيه، فيجود. والدليل على ما ذكرنا قوله: "فأتلفت ما عندي"، ألا ترى أنه لو كان يجعل علة جوده كثرة ما ناله من العطاء لما قال: إني جعلت نفسي فقيراً، وبذلت ما كنت ملكته قبل استماتي إياه؟ ومثله قول أبي تمام^(٢):

عَلَّمَنِي جودُكَ السَّمَاخَ^(٣) فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ

إلا أنه جعل اكتسابه السَّمَاخَ من الممدوح تعليماً، وجعله الأولُ عدوى، وذلك أبلغ. وعلق المتنبي لفظ العدوى^(٤)، فنقلها إلى الزمان على وجه سبق به الجميع، وصار أحقَّ منهم بهذا المعنى، وهو قوله^(٥):

أعدى الزمانَ سخاؤه فسخابه ولقد يكون به الزمانُ بخيلاً

وأوضح البحتري هذا المعنى في قوله^(٦):

ملأت يداه يدي، وشرَّدَ جوده بخلي، فأفقرني كما أغنانني!

(١) في الأصل (تشبيه)، وكتب بجانبه بخط مخالف (يشبه)، وهو أجود.

(٢) لم أجده في ديوانه، ونُسب له في الأغاني ٣٩١/١٦ - مع ثلاثة أبيات -، والموازنة ٧٠/١، والوساطة ٢٢٣، والصناعتين ٢٠٠.

(٣) في الأصل (علمتني جود السماخ) وهو ركيك، فأثبت ما في المصادر.

(٤) أي: علَّقها بغير السائل.

(٥) الديوان ١٣٣، يمدح بدر بن عمار.

(٦) ديوانه ٢٢٢٧/٤، يمدح المعتز بالله.

(٢٨) مُتَفَرِّقُ الطَّعْمِينَ، مُجْتَمِعُ الْقُوى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ

معنى قوله: "متفرق الطعمين" أنه حلاوة لأوليائه، ومرارة لأعدائه. ومعنى قوله: "مجتمع القوى" أنه إنسان واحد وقد رُكِبَ فيه هذان الضدان، وأوضحه بقوله: "فكأنه السراء والضراء" أي كأنه خلق من هاتين، وهذا أعذب من قولها^(١):

فإنما هي إقبال وإدبار

لأجل أنها جعلتها من الإقبال والإدبار، حتى كأنها تجسّمت^(٢) منهما، على الغلو، وكذا فعل المتنبي، إلا أن إدخال "كأنه" في هذا النحو مما يزيده قبولاً عند الأفئدة. ونحو من هذا قول البحري^(٣):

تَنَقَّلَ فِي خُلُقِي سُودِدٌ سَمَاحاً مُرَجًى، وَبَأْساً مَهِيْباً
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتُهُ صَارِخاً وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتُهُ مُسْتَشِيْباً^(٤)

وقال أيضاً^(٥):

بَارَوْعَ مِنْ (طِيٍّ) كَأَنَّ قَمِيصَهُ يُزَرُّ عَلَى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحَاتِمٍ
سَمَاحاً وَبَأْساً كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا إِذَا اجْتَمَعَا^(٦) فِي الْعَارِضِ الْمَتْرَاقِمِ

(١) أي: الخنساء، وهو في ديوانها ٣٨٣، وصدده: ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت

تصف ناقة فقدت ولدها ...

(٢) في الأصل (تحشمت) تصحيف، وبنفس هذه العبارة فسّره عبد القاهر في الدلائل (٣٠٠)، فقال: "... كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار ...".

(٣) ديوانه ١٥١/١، يمدح الفتح بن خاقان.

(٤) المستشيب: الذي يطلب الثواب والجزاء.

(٥) ديوانه ١٩٦٧/٣، يمدح أبا مسلم بن حميد الطائي.

(٦) في الأصل (اجتمعوا)، وأثبت ما في الديوان.

يريد "بزید" زید الخیل^(١)، وهو فتى الشجاعة، كما أن حاتمًا^(٢) فتى السماحة، وقد صبَّ البحتری هذا المعنى في قالب لا يكاد يُظفر بمثله!

(٢٩) وَكَأَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُهُ مُمَثِّلًا لَوْفُودِهِ مَا شَاءُوا

معنى البيت: أن الممدوح كأنه هلاك لأعدائه في حال كونه جوداً لفووده، فما لا تشاء عُدَّاته هو القتل والهلاك، وما يشاء وفوده هو المبرَّة والإحسان. فهذا تأكيد لمعنى البيت الأول؛ لأنه جعله مشتملاً على هاتين الخصلتين في حال واحدة. فهذا هو معناه.

وأما إعرابه ففيه أدنى إشكال: وذاك أن "متمثلاً" حال من الممدوح، وإذا كان حالاً وجب أن يكون فيه ضمير يعود إليه، كما أنك إذا قلت: مررت بزید^(٣) جالساً، كان متضمناً راجعاً^(٤) إلى زید لا محالة، ألا ترى أنك لو قلت: جالساً عمرو، لم يجوز^(٥)؟ وإذا شغلت "متمثلاً" بضميره بقي "ما شاءوا" ضائعاً لا يجد ما يتعلق به، وإذا كان الأمر على هذا وجب أن يحمل "ما شاءوا" على وجهين:

أحدهما: أن يكون "ما" فيه نكرة موصوفة، ويكون في موضع نصب على التمييز، فكأنه قال: متمثلاً لفووده شيئاً شاءوا (ذلك الشيء هو الجود)، فهو كقولك: هو هلاك لأعدائه، متمثلاً لفووده جوداً وعطاءً، كقولك: تمثل لي رجلاً، ويكون مثل بيت الكتاب^(٦):

(١) هو زید بن مهلهل الطائي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع، وأسلم رضي الله عنه، وسماه رسول الله (زید الخير)، وكان شجاعاً شاعراً خطيباً، وله ديوان مطبوع، توفي سنة ٩ هـ، وقيل بل في أواخر خلافة عمر رضي الله عنه.

الاستيعاب ٥٥٩/٢، والإصابة (ترجمة: ٢٩٣٥).

(٢) الطائي، الجواد المشهور.

(٣) في الأصل (برجل)، وهو تحريف، يدل عليه ما بعده، كما أن صاحب الحال ينبغي أن يكون معرفة.

(٤) أي: ضميراً راجعاً، وقد أشار إلى ذلك بعض المصححين في الحاشية.

(٥) أي: أنك لو قلت: مررت بزید جالساً عمرو، لم يجوز؛ لأن الحال (جالساً) ينبغي أن يتضمن ضميراً راجعاً إلى زید، وفي هذا المثال شغل الحال بعمرو فرفعه فاعلاً له، فأصبح خالياً من ضمير زید.

(٦) الكتاب ١٠٩/٢، ٣١٥، والبيت لأمية بن أبي الصلت، ديوانه ٤٤٤ (السطلي).

رُبَمَا تَكْرَهُ النَفُوسُ مِنَ الْأَمِّ — لَهُ فَرَجَةٌ^(١) كَحَلِّ الْعَقَالِ

فهو بمنزلة: رب شيء تكرهه النفوس؛ وذلك أن "ما" لو كان بمعنى الذي لكان معرفةً، و"رب" لا يدخل على المعارف، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: رب الذي فعل كذا أعطيته؟ ونحوذا^(٢) واسع.

والوجه الثاني: أن يكون "ما" موصولاً بمنزلة الذي، ويكون مرتفعاً [بـ] "متمثلاً"، ولا يكون فيه ضمير عائد إلى الممدوح؛ لأجل أنه إذا ارتفع به الظاهر لم يرتفع به المضمّر، ألا ترى أنك لا تقول: مررت بهند قائمة غلامها؟ لأجل أن غلامها إذا ارتفع به (باسم الفاعل) لم يكن متضمناً ضمير هند، وإذا كان فارغاً من ضميرها كان تأنيثه محالاً. فإن قلت: فإنه بمنزلة أن تقول: فكأنه ما لا تشاء عاداته متمثلاً لوفوده الجود والعطاء، وهذا بمنزلة أن تقول: مررت بزيد جالساً عمرو، وإذا خَلَفُ^(٣)؛ لأن الحال ليس فيه ذكرٌ يعود إلى ذي الحال - ففيه جوابان:

أحدهما: أن لام "لوفوده" متعلق "بتمثلاً" والوفود مضافة / إلى ضمير الممدوح، فقد صح الكلام لأنه قد تعلق بالحال ما فيه ذكر لذي الحال. و"تمثلاً" حالٌ للمدوح وإن كان فعلاً "لما شاءوا"، كما ذكرنا في قوله: "مسئداً في نبيها... الإنشاء" أن "مسئداً" حالٌ للناقة وفعل للإنشاء؛ لأنه قد تعلق به قوله: "في نبيها"، وفيه ضمير الناقة. فالهاء في "لوفوده" بإزاء الهاء في "نبيها". وأما المعنى فصحيح أيضاً، لأجل أنه إذا قال: إنه هلاك لعداته في حال تمثل الجود لوفوده، علم أن ذلك جوده لا جود غيره بإضافته الوفود إليه؛ لأجل أنه لا يعطي من ورد على غيره، وإذا لم يعطهم لم يكونوا وفوده، فالمعنى المقصود من اجتماع الهلاك والجود في حال واحدة للقبيلتين موجود.

12/ب

(١) الفرجة، بفتح الفاء - الانفراج في الأمر بعد ضيقه.

(٢) الإشارة تعود إلى استعمال (ما) نكرة موصوفة.

(٣) الخلف - الرديء من القول.

والجواب الثاني: أن يكون وضع الظاهر موضع المضمّر، وذلك أنه جعل الممدوح كأنه خلق من الجود، فإذا قال: متمثلاً لوفوده ما شاءوا (الذي هو الجود) [فهو] نفس الممدوح، وإذا كان كذلك جاز أن يضعه موضع ضميره الذي يكون في "متمثلاً" (إذا قلت: فكأنه ما لا تشاء عداته متمثلاً هو، أو متمثلاً نفسه) ويرتفع "ما شاءوا" "بمتمثلاً" كما يرتفع به ضميره المستتر، فلو قلت -على [هذا] القول-: فكأنه ما [لا] يشاء عداته متمثلاً الذي هو الجود للوفود، فلم تجعل فيه عائداً -كما جعله حيث أضاف الوفود إلى ضميره- [لجاز]؛ لأجل أن قولك "الذي هو الجود" كناية عن الممدوح، فهو بمنزلة قوله^(١):

فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأَمْهَاتِ وَجَدْتُمْ بني عَمَّكُمْ كانوا كرام المَضَاجِعِ^(٢)

أراد وجدتمونا، فوضع الظاهر الذي هو "بني عمكم" موضع [المضمّر]، وجعله مفيداً ما يفيد الضمير -الذي هو (نا)- فكما جاز أن يوضع "بني عمكم" موضع (نا)؛ لأنهم أصحاب هذا الضمير، كذلك يجوز أن يضع "ما شاءوا" (الذي هو الجود) موضع ضمير الممدوح، الذي هو [هو] في قولك: متمثلاً هو، بعد أن جعل الجود إياه، كما أن "بني عمكم" هو (نا) في^(٣) وجدتمونا.

وفي وضع^(٤) الظاهر موضع المضمّر -هنا- فائدة ليست هي في "وجدتم بني عمكم": وذلك أن قوله: (متمثلاً ما شاءوا)^(٥) إذا قدرته تقديراً كقولك: متمثلاً الذي هو الجود، يفيد أنه جعل الممدوح جوداً كما جعله هلاكاً، ويحصل به التجانس! ولو قال: "وكأنه ما لا تشاء عداته متمثلاً"، وقدر الضمير، لم يكن فيه دليل على أنه جعله كأنه هلاك

(١) ليزيد بن الحكم الكلبي، أورده أبو تمام مع ثلاثة أبيات أخرى في حماسته (المرزوقي ٢٣٣/١).

(٢) قال المرزوقي: "جعل المضاجع كناية عن الأزواج".

(٣) في الأصل (في نا) تقديم وتأخير.

(٤) في الأصل (موضع).

(٥) في الأصل (ما شا).

وجود، "فما شاءوا" قد دلَّ على الممدوح وزيادة، وأما "بني عمكم" فإنه لا يفيد شيئاً لا يفيد [هـ] الضمير الذي هو (نا)، وإذا كان كذلك كان هذا التأويل أوجه وأحسن؛ لأنه أبلغ في جعله الجود، فاعرفه.

فإن قلت: أيجوز أن يكون الهاء في "كأنه" ضمير الشأن^(١) والأمر، ويكون [بمنزلة قولك: كأن]^(٢) ما لا تشاء عداته لوفوده ما شاءوا متمثلاً، - كما أنك إذا قلت: كأنه زيد منطلق، كان بمنزلة قولك: كأن زيدا منطلق - ويكون المعنى أن ما يكرهه العداة يحبه الأولياء والعافون وذلك أن إهلاك أعدائه والإغارة على أموالهم نفع لوفوده؛ لأنه يفرق ما يغنمه عليهم، كما أنشدت من قول أبي تمام^(٣):

إذا ما أغاروا واحتوا مالَ معشَرٍ أغارت عليهم واحتوته الصنائعُ

فالجواب: أنه يجوز على تقدير يؤنس قليلاً؛ فأَنْ يغلب^(٤) على العداة، وأخذه بنواصي الفتوح مما يفتح أبواب الشعر، ويمهد طريقه، فهلاك أعدائه محبوب عند وفوده، فاعرفه.

فإن قلت: فما العاملُ في "تمثلاً" مع هذا كله؟

فالجواب: أن ما في "كأن" من معنى التشبيه يعمل فيه، كقول الشاعر^(٥):

كأنه خارجاً من جنبِ صفحتهِ سفودُ شربِ نسوة عند مُفتَادٍ^(٦)

(١) في الأصل (السال) ١.

(٢) لم أر بدياً من هذه الزيادة، ويدل عليها ما سيذكره من أمثلة.

(٣) سبق غير بعيد.

(٤) في الأصل (أن يغلب).

(٥) النابغة الذبياني، ديوانه: ١٩.

(٦) السفود: قضيب من الحديد ينظم فيه اللحم ليشوى به. والشرب: القوم يجتمعون للشراب. والمفتاد: موضع اشتواء اللحم.

"فخارجاً" حال من الهاء في "كأنه"، والعامل فيه ما ذكرنا، فكأنه قال: أشبه بسفود شربٍ خارجاً من جنبٍ / صفحته، فافهمه.

ومن ههنا يضعف جعل^(١) الهاء في "كأنه" ضميراً لأمر^(٢)، وذلك أنك إذا قدرت ذلك لم يحسن أن يعمل "كأن" في "متمثلاً" - من حيث إنه حالٌ "ما لا تشاءُ عداته"، وكان عاملاً في الضمير دونه، والعامل في ذي الحال [الابتداء] - إلا أن يحمل على ضربٍ من التأويل، فيقال: إن معنى التشبيه - على كل حالٍ - واقع [في] "ما لا تشاءُ عداته"، ودخوله على الضمير^(٣) بمنزلة أن يكف بما، فيقال: كأنما ما [لا] تشاءُ عداته، وكأنما زيد الأسد، في أن معنى التشبيه يتناول زيداً ونحوه. ونظير ذلك قولهم: ليس الطيب إلا المسك، برفع المسك، على أن يكون في ليس ضميراً لأمر. قالوا^(٤): وجاز أن يأتي "إلا" بين الطيب والمسك - وإن كان "الطيب" رفع بالابتداء، وكان لا يجوز ليس زيد أخوه إلا منطلق - لأجل أن ليس وإن لم يعمل في "الطيب"، وشغل بضمير الأمر، فإن معنى النفي في الحقيقة متناول "الطيب" واقع عليه، كما يكون إذا قلت: ليس الطيب إلا المسك - بنصب المسك - على أن يكون "الطيب" اسم "ليس"، ولا يقدر ضميراً لأمر.

فهذا البيت مما يظن ساذجاً واضح الإعراب وفيه ما ترى! فقل لي: كيف يتحقق المعنى قبل تحقق اللفظ؟! وإنما يُقال عرف المعنى إذا فهم من لفظ الشاعر، لا من لفظ المفسر^(٥).

(١) في الأصل (حال) تحريف.

(٢) في الأصل (اللام) تحريف. وضمير الأمر هو ضمير الشأن.

(٣) في الأصل (ضمير) كأنه أراد أن يقول: ضمير الشأن.

(٤) ممن ذكر ذلك أبو علي في المسائل الحلبيات: ٢٢٨.

(٥) لعله يقصد أن المعنى يعرف إجمالاً عند سماع البيت أو قراءته، أما المعنى فلا يتحقق إلا بعد التفسير والبحث في دلالات الألفاظ وعلاقاتها ومواقعها الإعرابية.

(٣٠) يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى^(١) عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ

الجدى: المطر النافع^(٢)، والجدوى: العطاء، لما فيه من النفع، وأجديت عليه خيراً، واجتداه مثل اعتفاه، واستجديت مثل استعطيت.

يقول: إن الممدوح من السماحة بحيث لو طُلب منه روحه سمح بها، فإذا لم تُلتمَس منه فكأنه قد أُفضِّلَ بها عليه؛ إذ هي في حكم المملوك لسؤاله.

و"لها" متعلق "ببأتيه"، والمعنى لأجلها، ولا يتعلق "باستجداء"؛ لأنه لا يقدم على المصدر ما يكون معمولاً له^(٣)، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: أعجبني زيداً ضربك، تريد ضربك زيداً؟! فهو بمنزلة أن تقول: إذ ليس يأتيه لأجلها أحد في أنه لا يصح أن تعلق اللام "بأحد" لأنه اسم مثل رجل، ولا عمل له.

ومن أوضح ما جاء في ذا النحو قول أبي تمام^(٤):

تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّه ثَنَاها لِقَبْضٍ لَمْ تَجِبْهُ أَنَا مِلْهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بها، فَلَيْتَ لَهِ سَائِلُهُ

وأعاد هذا المعنى في عدة مواضع، فقال^(٥):

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلِينَ، يَنْقَسِمُ

(١) هذه رواية جميع الشراح إلا ابن سيده، فروايته (المحبي) شرح المشكل: ١٠٤.

(٢) الذي في المعاجم: أنه المطر العام، التهذيب ١١/١٥٨، واللسان (جدا).

(٣) في الأصل (معمولاً بتأتيه له) كأن (بتأتيه) مقحمة.

(٤) ديوانه ٢٩/٣، يمدح المعتصم. وفي نسبة البيت الثاني نزاع شديد، من ذلك أن أبا تمام نفسه نسبته

إلى زياد الأعجم (الوحشيات ٢٤٧)، ويُنسب لعبد الله بن الزبير الأسدي (شعره ١٢٢)، وأكثر ما

يُنسب إلى بكر بن النطاح شعره: ١٧٥، مجلة المورد، م/٥، ع/٣.

(٥) أي: المتنبي، ديوانه ٨٦، يمدح علي بن إبراهيم التنوخي.

وقال أيضاً^(١):

لواشتهت لحم قاريها لبادرها خَرادِلُ منه في الشَّيزي وأوصال^(٢)!

وقال: (٣)

إنك من معشر إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا!

وقد أحسن في هذا البيت ما شاء، وأبرز المعنى في صورة مُخرعة صاربها في حدّ المعنى المُفرد الذي لم يُسمع به، والبكر التي لم تُفترع.

على أنه قد أساء في بيت فاتك^(٤) بقدر ما أحسن في هذا البيت، وليس ما يلقاك من الاستكراه في جعل أعضاء الممدوح في الشيزي بقليل! وأي معنى في إطلاق لفظ يتضمن مواجهة الممدوح بتقطيع لحم خردلة، وجعله^(٥) أوصاله في الحقيقة؟! وهل هو في الرداءة^(٦) إلا كما فعل أبو تمام في مواجهته بالموت، إن لم يزد عليه؟!

(١) الديوان ٥٠٣، يمدح أبا شجاع فاتكاً.

(٢) الضمير في (اشتهت) يعود إلى الضيوف في بيت سابق. والقاري: الذي يعدّ القرى للأضياف. وخرادل -بالذال والدال-: قطع وأوصال. والشيزي: جفان تصنع من خشب. التبيان ٢٨١/٣.

(٣) الديوان ١٢٧، يمدح بدر بن عمار.

(٤) هو فاتك الكبير، رومي، ويلقب بالمجنون لشجاعته، من أشهر ممدوح المتنبّي، أقطعه الإخشيدي (الفيوم) وأعمالها بمصر. توفي سنة ٣٥٠ هـ بمصر.

ترجمته وأخبره في وفيات الأعيان ٢١/٤، والنجوم الزاهرة ٣٢٩/٣.

(٥) في الأصل (جعلت).

(٦) في الأصل (الرد)، ولا وجه له.

(٣١) اَحْمَدُ عَفَاتِكَ - لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ^(١) - فَلَتَرْتُكَ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاءِ

المعنى: أَنْ سَائِلِيكَ يَسْتَحَقُّونَ حَمْدَكَ؛ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ فِي تَرْكِهِمْ طَلَبَ رُوحَكَ قَدْ أَفْضَلُوا عَلَيْكَ وَأَعْطَوْكَ مَا تَقَرَّرَ لَهُمْ، وَالْمَعْنَى: الْمَفْضَلُ عَلَيْهِ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ مِنَ الْمُعْطَى الْمَفْضُولِ^(٢).

وقوله: "لا فجعت بفقدهم" اعتراض حسن مليح، وهو يحتمل ثلاثة معانٍ متقاربة:

13/ب أحدها: أن يكون دُعاءً له بأن لا يفقدهم لأجل أنهم / أحسنوا إليه، حيث لم يتعرضوا لطلب روحه، ولعمري إن الإنسان يُفْجَعُ بفقد من يكون يحسن إليه، ألا ترى إلى قوله^(٣):

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ؟

والثاني: أن يريد أن السُّؤال إنما يقصدونك ما دُمتَ على سرير المملكة وممططياً مركب العز والرفعة، فدعاؤه له بأن لا يُفْجَعُ بفقد السؤالِ دعاءً بأن لا يُحَسَّرَ رِداءُ الملك عن مناكبه.

والثالث: أن يريد أنك تحبُّ العطاء والسَّماحة، وتودُّ مَنْ يسألك، فإذا فقدتَ عافِيكَ، شقَّ ذلك عليك وفجَعَكَ، فأنت حقيقٌ أن يُدعى لك بأن لا تفقدَهم.

(١) ويروى (لا فجعت بمحمدهم)، وهي رواية ابن سيده (شرح المشكل ١٠٤) وابن المستوفي (النظام ق/٧١) وهي إحدى روايتي الواحدي ١٩٩، وصاحب التبيان ٢٦/١. ويكون المعنى: لا قطع الله شكرهم ومدحهم عنك.

(٢) هذا خلاف ما في المصادر، ففيها أنه قال هذا البيت ضمن قصيدة في عبد الله بن طاهر. انظر: المرجعين السابقين، والعمدة لابن رشيق ٦٣٨/١، والإعجاز والإيجاز للثعالبي ١٢٣، ومعاهد التنخيص ٣٧٥/١، وأمالى القالي ٥٠/١.

(٣) أي: المتنبئ، يمدح كافوراً، وعجزه: وكل مكان يُنبئ العزَّ طيب. وسيأتي في قافية الباء.

ومثل هذا - من الاعتراض بالدعاء - قول ابن محَلِّم^(١) للمأمون^(٢)، وقد جرى شيء فلم يسمعه:

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَّغَتْهَا - قَدْ أَحْجَتْ سَمْعِي إِلَى تُرْجُمَانٍ!

وقال آخر^(٣):

فَقُلْتُ [لَهَا] أَذِي إِلَيْهِمْ^(٤) تَحِيَّتِي وَلَا تُخْلِطِهَا - طَالَ سَعْدُكَ - بِالتُّرْبِ

وقالت امرأة من العرب، قد صادقت امرأتين ثم عزمتا على مفارقتها^(٥):

فَمَا مُكُنَّا - دَامَ الْجَمِيلُ^(٦) عَلَيْكُمَا - عَلَى الْوَصْلِ^(٧) إِلَّا أَنْ تَزِمَّ الْأَبَاعِرُ

وأعجب من هذا قول المتنبي في كافور^(٨):

..... - وَحَاشَاكَ - فَانِيَا

(١) في الأصل (ابن محكم) تحريف. وابن محَلِّم هو عوف بن محَلِّم الخزاعي، أبو المنهال، أديب راوية ظريف، توفي سنة ٢٢٠ هـ. أخباره في طبقات ابن المعتز ١٨٥، ومعجم الأدباء ٢١٣٨/٥.

(٢) هذا خلاف ما في المصادر، ففيها أنه قال هذا البيت ضمن قصيدة في عبد الله بن طاهر.

انظر: المرجعين السابقين، والعمدة لابن رشيقي ٦٣٨/١، والإعجاز والإيجاز للثعالبي ١٢٣، ومعاهد التنصيص ٣٧٥/١، وأمال القالي ٥٠/١.

(٣) هي وجيهة بنت أوس الضَّبَّية. انظر: شعر ضَبَّة وأخبارها ٢٧٢ (جامعة الملك سعود).

(٤) في الأصل (أذني إليك)، وأثبت ما في شعر ضَبَّة.

(٥) امرأة من بني عقيل. وينسب للشاعر: القبيصي الخويلدي العقيلي (برواية مغايرة). انظر: شعراء بني عقيل وشعرهم ١٨٨/٢ (د. عبد العزيز الفيصل)، وأشعار النساء للمزباني ٨٩، ٩٠، وشرح

الحماسة للمرزوقي ١٤٠٧/٣.

(٦) في شعر بني عقيل، وأشعار النساء (دام الجمال).

(٧) في المصادر السابقة (بثهلان) بدل (على الوصل).

(٨) سبق ذكُّره في صفحة: ١٠٧، والبيت بتمامه:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيَا

وإنما شرف لأنه وثب إلى قَمَّة العُيُوق من وجه الأرض! وسائر هذه الاعتراضات لو لم يذكر لما حصل من ذلك ذمٌ ولا نقصٌ، ألا ترى أنه [لو] قال: إن الثمانين قد أحوجت سمعي... لم يكن فيه مذمة؟ ولو قال: ترى كل ما فيها فانيًا، لأطلق عليه لفظ الفناء والزوال فصار كاللعنة! فشرف الكلام مع صعوبة المقام حكم له بالسبق.

(٣٢) لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةً قَلِيلَةً إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ

اعلم أن حقيقة "كثرة قلة" أن يكون في العدد كثرة، وفي الاعتداد (٤) قلة، فالمعنى: أن الأموات مع كثرتها تصير إذا مات الممدوح في حكم القليل؛ لأجل أن جميع من مات لا يبلغ مبلغه في الشرف والجلالة، وكل ما جرى منه بإزاء جماعة منهم، وإذا كان كذلك كان هو نفسه في الاعتداد^(١) والمنزلة أكثر من كافتهم، كما قال البحري^(٢):

وَلَمْ أَرَأِ مِثَالَ الرَّجَالِ، تَفَاوَتْ إِلَى الْفَضْلِ، حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ!

وإذا كان الأمر على ما وصفنا كان شقاء الأحياء بفقد الممدوح. وكونه من جملة الأموات مما يقللهم في القدر ويُجري كثرتهم مجرى القلة، فكأنه قال: لا يكثر الأموات كثرة تجري مجرى القلة إلا إذا شقيت بفقدك الأحياء. هذا هو المعنى الصحيح الذي لا معدل عنه^(٣).

وأما قول من قال: إن معنى^(٤) "كثرة قلة" أن الميت لا غناء معه، فكثرة عددهم قلة في الحقيقة^(٥)، فظاهر الفساد؛ لأجل أن هذه الصفة موجودة في الأموات كان الممدوح فيهم أو لم يكن، فمن المُحال أن يقول: لا يكثر الأموات هذه الكثرة إلا بعد أن تشقى

(١) في الأصل (الاعداد) في الموضعين.

(٢) ديوانه ٦٢٥/١، يمدح الفتاح بن خاقان.

(٣) وهو قول ابن جني (الفسر ١/١٠٨)، وابن وكيع (المنصف ١/٤٨١)، ورجحه صاحب التبيان ٢٧/١.

(٤) في الأصل (المعنى).

(٥) انظر شرح المشكل لابن سيده ١٠٥.

كل موضع، لاسيما الشعرُ. وحكى شيخنا -رحمه الله-: أَنَّ الْأَخْنَفَ^(١) مَرَّ بِرَجُلٍ يُضْرَبُ وَيُطْلَبُ مِنْهُ الصَّدَقُ - كَالْإِقْرَارِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ - فَقَالَ: إِنَّ فِي الصَّدَقِ أَحْيَاءً لِمَعْجَزَةٍ.

وقد قيل: إن المعنى في قوله: "شقيتُ بك الأحياء" أَنَّكَ تَبِيدُهُمْ وَتَفْنِيهِمْ، فَيَكْثُرُ عَدَدُ الْأَمْوَاتِ^(٢). وهذا ضعيف -أيضاً- لأجل أَنَّ "كثرة قلة" لا تفيد على هذا التأويل، اللهم إلا أن يقول: إِنَّكَ تَنَاطُحُ الْكِبَارَ وَالْمُلُوكَ، فَإِذَا قَتَلْتَهُمْ صَارَ عَدَدُ الْأَمْوَاتِ -مَعَ كَثَرَتِهَا- قَلَّةً لِقُصُورِ مَقَادِيرِهِمْ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَنْ تَقْتُلُهُ مِنْ أَعْدَائِكَ الْفُحُولِ.

ويكون فيه ضرب من المدح، من حيث إن تعلَّقَ^(٣) الخصم يدلّ على رفعته وعلائه؛ إذ الإنسان لا يُعَادِيهِ الْكِبَارُ وَهُوَ مُحْتَقَرٌ غَيْرُ مُحْسُودٍ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ. ويوضِّحُ له ذلك قوله^(٤):

ولكن على قدر الذي يذنبُ الحَقْدُ

فذكر أنه ما كلُّ أحدٍ يُعْتَدُّ بعداوته وإساءته.

ومن أثر هذا التأويل دعاه إلى ذلك طلبُ التخلص من مخاطبة الممدوح بذكر الموت، ولولا ذلك لما أُجِيزَ هذا التفسير، والتعسفُ فيه بيِّن!

ويدل على صحة الأول^(٥) ما حُكي أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَاسْتَنْشَدَنِي هَذَا الْبَيْتَ، فَأَنْشَدْتُهُ، وَلَمْ أَزَلْ أَكْرَرُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْكِي، حَتَّى مَاتَ^(٦)!

(١) هو الضحّاك بن قيس التميمي، من سادات التابعين، يضرب به المثل في الحلم.

(٢) هذا قول المعري (اللامع العزيزي ١١/١) وأشار إليه ابن سيده (شرح المشكل ١٠٥)، وأحد قولي صاحب معجز أحمد ٩٥/٢، وهو قول الواحدي ١٩٩.

(٣) كذا في الأصل (تعلّق)، كأنه أراد أن يقول: (تعلّقَ بهذا الخصم ...)، أو أَنَّ الْكَلِمَةَ مُحَرَّفَةٌ عَنْ (تعلّي).

(٤) الديوان ١٨٦، يمدح محمد بن سيار التميمي، وصدره:

ويأمنه الأعداء من غير ذلّة

(٥) أي: أن المراد بشقاء الأحياء هو فقدّه وموته.

(٦) أورد هذه الحكاية ابن جني (الفسر ١٠٩/١)، وأغلب الشراح من بعده.

ولست أرضى على حالٍ مواجهة الممدوح بالموت، ولا أنكر العيب فيه، ولكن الذي أنكره حمل اللفظ على ما لا يحتمله.

وكأنهم يتعللون في سلوك هذا المذهب، وإجازته في المدح، بأن ذكر الموت، وإن كان يُمرُّ حلو العيش، ويكدر صفوا الأنس، فإنه أمر لا يشك فيه، وإذا كان كذلك ثم مُدح الإنسان حياً وميتاً، كان محموداً غير مردود. وقد سلكت العرب هذه الطريقة، قال^(١):

مَتَى تُنْعَ الْجُودُ وَالْبَأْسُ وَالنَّدَى وَتُصْبِحَ قُلُوصُ الْحَرْبِ جُزْءاً خَائِلاً^(٢)

وقال أبو تمام^(٣):

حَيَاتِكَ لِلدُّنْيَا حَيَاةً ظَلِيلَةً وَمَوْتُكَ لِلدُّنْيَا فَنَاءً مُوَاشِكُ
مَتَى تَأْتِيكَ الْأَقْدَارُ^(٤) لَا تُدْعَ هَالِكًا وَلَكِنْ زَمَانُ غَالٍ مِثْلَكَ هَالِكُ

وأعاده في موضع آخر^(٥):

غَرَبَتْهُ الْعَالَى - عَلَى كَثْرَةِ النَّاسِ سِ - فَأَضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبًا
فَلْيُظَلِّ غُمْرُهُ، فَلَوْ مَاتَ فِي (مَرٍ) وَ^(٦) مُقِيمًا بِهَا، لَمَاتَ غَرِيْبًا

(١) هو جُبر بن خالد، يمدح النعمان بن المنذر، من قطعة أوردها أبو تمام في حماسته (شرح المرزوقي ١٦٤٢/٤، شرح التبريزي ٢/٢٩٤)، وأوردها الجاحظ في الحيوان ٥٨/٣، بألفاظ مختلفة عن رواية الحماسة.

(٢) القلوص: الناقة الشابة. والحائل: هي التي لم تلحق. أراد أن الكرم والشجاعة يرحلان برحيل الممدوح.

(٣) ديوانه ٤٦٧/٢، يمدح أبا سعيد الثغري.

(٤) في الديوان (يأتك المقدار...).

(٥) ديوانه ١٦٢/١، يمدح أبا سعيد أيضاً.

(٦) خص مرو؛ لأنها بلد الممدوح.

(٣٣) وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّخْنَاءُ

الشحناء: العداوة، وهي البغضاء، وكأنها مأخوذة من شحنت؛ لأجل أن القلب يشحن بها.

ومعنى البيت على وجهين:

أحدهما: أن يعني أن عداوة هذا الممدوح مما لا يسوغ، فكل من أضمرها فإن الله عز وجل يكشف ستره، ويبيد مكنون سره، حتى كأن قلبه انشق، ويرى ما فيه من الأسرار للناس. ويعضده قول أبي تمام^(١):

حَتَّى إِذَا مَا اللَّهُ شَقَّ ضَمِيرَهُ عَنْ مُسْتَكَنَّ الْكُفْرِ وَالْإِضْرَارِ

/والوجه الثاني^(٢): أن يريد أن معاداة مثلك أمر عظيم، فإذا أضمر الإنسان لك حقداً تنبّه له، وعرف ما جنى على نفسه من الخطب الفظيع، وهلك، وانشق قلبه خوفاً واستعظاماً.

14/ب

(٣٤) لَمْ تُسَمَّ -يَاهَارُونَ- إِلَّا بَعْدَمَا اقْ -تَرَعْتَ وَنَازَعْتَ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ

يقول: الأسماء أحب كل واحدٍ منها أن يكون لك، افتخاراً بمكانك، فلم يُمكن مُسمّيك أن يختار اسماً من بينها -إذ كان كل واحدٍ منها يقول: أنا أولى- حتى ضُربت القرعة فيما بينها، فحكمت القرعة لهارون، فسُميت به.

وقوله: "ونازعت اسمك الأسماء"، يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه يريد: اختير لك هارون، فنازعته الأسماء، حتى اقتُرعت.

(١) ديوانه ١٩٩/٢، يذكر أمر الأفيشين عندما صلبه المعتصم.

(٢) اقتصر على هذا الوجه بقية الشراح.

والثاني: أنَّها حَسَدَتْهُ بعد قضاء القُرعة له بأن يكون ذلك، فنازعتَه نزاعَ تحسُّدٍ وتحسُّرٍ.

ويقال: أَسَمِيتُ الرَّجُلَ، وَسَمَيْتُهُ^(١).

وقريبٌ من ذكره التنازعُ فيما بين الأسماء قولُ أبي تمام^(٢):

تَغَايِرُ الشَّعْرِ فِيهِ، إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَتَقَتِّلُ!

وهذا أبلغُ من قول المتنبي؛ لِذِكْرِ القَتْلِ، فكأنها لم ترض بالاقتراع، وأخذت في التقاتل، لإفراط ولوعها بالمدوح^(٣)، والوصول إلى شرفه. وهو لعمرى نهاية في الملاحظة! وقال بعده:

لَوْلَا قَبُولِي بِنُضْحِ الْعِزْمِ مُرْتَحِلًا لَرَاكَضَانِي إِلَيْهِ الرَّحْلُ وَالْجَمَلُ!

يقول: لولا أني صححت العزم على أن أقدر عليه لكان الرحل والجمل مما يبادراني في المصير إليه، فجعلهما يسبقانه إلى المدوح حباً للكرم فعائله.

(٣٥) فَغَدَوْتَ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِي مَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ

معنى "واسمك غير مشارك" على القلب، [أي] وأنت غير مشارك في اسمك؛ وذاك أن أحداً لم يسمَّ على الهيئة التي سميت بها؛ لأن الأسماء لم تتنازع عند تسمية غيرك، ولا اسمك هذا صفة ليست لغيره من الأسماء، ولفظة "هارون" وإن وجدت في سائر أفناء الناس فإنها عندك على صفة أخرى، وكأنها فردٌ لم يحظ بها من سواك، وذاك أنه إذا حصل له صفةٌ لا توجد، فقد حصل الاختصاص.

(١) انظر: الفسر ١/١١٢، والقاموس المحيط (سما).

(٢) ديوانه ١٠/٣، يمدح المعتصم.

(٣) في الأصل (بالمدح) ولعل ما أثبت أولى بالسياق.

ألا ترى أنه إذا كان هنا شيء يستعمله كل واحد، ثم يكون له عندك وصف خاص، كان بمنزلة أن يكون جوهر ذلك الشيء مختصاً بك غير كائن لغيرك؟! وإذا كان الأمر على هذه الجملة، كان اسمك غير مشارك فيه. والناس فيما [في] يديه سواء؛ لأنه يفرق النعم على الصغير منهم والكبير، والقريب والبعيد، كما قال البحري^(١):

وسواء لديه أبناء إبراهيم هيم في حكمه وأبناء هود^(٢)
مستريح الأحشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل الحقود
فكان السؤال ينشروا الرد ض في وجهه وورد الخدود

ويجوز فيه وجه آخر: وهو أن يريد أنك لا تشارك في علاك ومفاخرك وبعد صيتك، فإذا سُميت لم تخف على أحد، كما قال^(٣):

لقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمر

وإذا سُمي غيرك -ممن يسمي هارون- لم يعرفه كل واحد، وإذا كان كذلك كان لك في اسمك ما ليس لغيرك، وكان اسمك غير مشارك فيك^(٤)، وهذا جائز^(٥)، والوجه هو الأول.

ويجوز أن يقال: إنه أراد به أن الرجل إذا سُمي^(٦) باسم واحد، لا يكون له اسمان، وإذا كان كذلك لم يكن لاسمك شريك فيك^(٧)، غير أنه يضعف من وجهين:

(١) ديوانه ٦٣٥/١، ٦٣٦، يمدح محمد بن عبد الملك الزيات.

(٢) قال محقق الديوان: (يقصد بأبناء إبراهيم: العدنانيين، وأبناء هود: القحطانيين، إذ يقال إنهم من ولده).

(٣) ذوالرمة، ديوانه ١١٦٣/٢، يمدح عمر بن هبيرة الفزاري.

(٤) في الأصل (فيه).

(٥) هذا قريب مما قاله أبو العلاء: "أجود ما يتأول في هذا أن يكون الاسم ههنا في معنى الصيت، كما يقال: فلان قد ظهر اسمه، أي: قد ذهب صيته في الناس..." (اللامع العزيزي ١١/١ والشارح قد غير جهته، فربط بين الصيت وذكر الاسم. وقد أورد ابن الشجري قول المعري هذا، وضعفه (أماليه ٢١٨/٣)).

(٦) في الأصل (إنما) وليس بشيء.

(٧) هذا قول ابن جني (الفسر ١١٣/١)، وتابعه أكثر الشراح.

15/أ

أحدهما: أنه لا مدح في أن يكون للرجل اسم واحد، /إذ^(١) الناس قاطبة على هذه الصفة.

والثاني: أن قوله: "والناس فيما في يديك سواء" لا يطابقه؛ لأنه بمنزلة أن تقول: فغدوت واسمك فرد عندك، [و] مع أنه موجود عندك [فالناس] أخذوا مالك مفرقاً! وهذا بين التنافر! وإنما الحسن أن تقول: فغدوت واسمك فرد لا تشارك فيه، ولا يوجد عند أحد غيرك، وأنت في مالك مشارك، وهو موجود عند الناس كلهم؛ لأنك تفرقه عليهم، كما قال^(٢):

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا وإن طلبوا الفضل الذي فيك خيَّبوا
ولو جاز أن يحووا غلاك وهبَّها ولكن من الأشياء ما ليس يُوهب

ومن الفضائل أن تتنازع الأسماء عند تسميته، فيقول: غدوت وهذه الفضيلة مخصصة بك، غير مشاركِ أنت فيها، ومالك عام، كما قال:

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا

فإن لجبت نفسك في لزوم الظاهر، وجعل الكلام على قولك: اسمك لا شريك له فيك، فينبغي أن يكون المقصود: أنك مشهور فلا تحتاج إلى الصفة؛ ليكون فيه مدح ما، هذا ما [أ] شد^(٣) امتناعه من أن يلائم ما قبله ما بعده!

وليس ينبغي أن يفسد المدح والشعر لأجل ما يلزم من مفارقة الظاهر، وأيضاً فإن القلب متسع، وقد يوجد في النثر، كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، وإنما هو: أدخلت

(١) في الأصل (إذا).

(٢) أي: المتنبي، يمدح كافوراً، وسيأتي في قافية الباء.

(٣) في الأصل (ما سده).

رأسي في القنسوة، وقالوا: ذهب بنو فلان ومن أخذ إخْذهم^(١) - برفع إخذهم - على تقدير: مَنْ أخذه إخذهم، كقولك: من أخذ طريقهم، (وإنما المعنى على قولك: ومن أخذ طريقهم)^(٢). وقال الشيخ أبو علي^(٣) في قوله عز وجل: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾^(٤): إنه يجوز أن يكون على القلب، كأنه قال: فعُميتم عنها: قال: لأن الرحمة لا تعمى عن أحد، وإنما يُعمى عنها. وجوز أن يكون "عميت" بمعنى خفيت، من قولهم: العماء للسحاب، كما قالوا: الغمام، وأنشد^(٥):

ومهمه أطرافه في مهمه

أعمى الهدى في الحائرين العمه^(٦)

هو كقولك: خفي الهدى. قال: ألا ترى أن الهدى ليس له جارحة تلحقها هذه الآفة؟! و[هذا] مليح.

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ، رُسُلُهُ﴾^(٧) يريد: مخلف رسله وعده. وإذا كان التنزيل ورد [بالقلب] كان ترك المعنى الصحيح لأجله غير حسن.

(١) قال ابن السكيت: "ويقال: ذهب بنو فلان ومن أخذ إخذهم، يكسرون الألف ويضمون الذال، وإن شئت فتحت الألف وضممت الذال، وقوم ينصبون الألف ويفتحون الذال" إصلاح المنطق ٣٠. وانظر: التهذيب ٥٢٨/٧، واللسان (أخذ).

(٢) ما بين القوسين سقط من المتن، وأحيل عليه في الحاشية، كأنه بخط الناسخ.

(٣) في كتابه (الحجة للقراء السبعة) ٣٢٢/٤، ٣٢٣ (دار المأمون).

(٤) هود: ٢٨. وقراءة التخفيف لابن كثير، وأبي عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر (السبعة ٣٣٢)، وعنه نقل أبو علي.

(٥) هذا الرجز لرؤية، ديوانه (مجموع أشعار العرب): ١٦٦.

(٦) رواية الديوان (الجاهلين) بدل (الحائرين). والعمه: المترددون المتخبطون.

(٧) سورة إبراهيم: ٤٧.

(٣٦) لَعَمَّمَتْ حَتَّى الْمُدُنُ مِنْكَ مِلاءً وَلَفَّتْ حَتَّى ذَا الثَّنَاءِ لَفَاءً

"المدُن" جمعُ مَدِينَةٍ، والأصل: مُدُن، فتخفَّف، مثل صُحُف. و"مِلاء" جمعُ مِليء^(١).

المعنى: أن نوالك قد وصل إلى كلِّ قُطْرٍ وناحيةٍ، فالبلاد مشحونة بفواضلك وعطاياك.

"وَلَفَّتْ" من قولك: فات يفوت، أي فُتَّتْ وجاوزت الغايةَ حتى إنَّ هذا الثناء الذي نصوغه - مع استِ فراغنا الوسع فيه - لفاءً، أي: يسيراً، قالوا: "رضيت من الوفاء باللفاء"^(٢)، أي بالنزر^(٣) القليل.

وقريب منه في المعنى قول البحري^(٤):

حَمَلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ نَعْمَةً صَعُبْتُ عَلَى ذُلِّ^(٥) الثَّنَاءِ وَصَغْبِهِ
وَوَعَدْتُهُ أَنِي أَقُومُ بِشُكْرِهِمَا فَحَمَلْتُ مِنْهُ لَفَاءً^(٦)، وَلَمْ أَنْهَضْ بِهِ

وكذا قول الأعرابي^(٧):

رَهْنْتُ يَدِي بِالْعِزِّ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ
وَلَوْ أَنَّ شَيْئاً يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ بَعِيدُ^(٨)

(١) وهي - أيضاً - جمع ملاي، وملانة، وملاذ، كما في القاموس (ملاذ)

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٥٨/٤، ومجمع الأمثال ٣٠٣/١، واللسان (لفا).

(٣) في الأصل (أي ما اندر...)، فقومته كما ترى.

(٤) ديوانه ١٦٣/١، يمدح الحسن بن وهب.

(٥) ذُلُّ الثناء: ضد الصعب منه، وفي الأصل (ذلك)، وكتب فوقه بالحمرة كلمة غير واضحة أشبه ما تكون (ذاك)، وأثبت ما في الديوان.

(٦) (لَفَاءً) مخفف من لفاء، أي: يسير قليل، وفي الديوان رواية أخرى: هي (نقا) وهو الكثيب من الرمل، والأولى أجود.

(٧) هما في الحماسة غير منسوبين لأحد (شرح المروزي ١٥٩٦/٤).

(٨) في الحماسة (شديد).

وقد صرع في هذا البيت^(١) من غير أن ينتقل من نمطٍ إلى نمطٍ، وإنما هو في أثناء المدح. ووجه ذلك أن يكون عند الخروج من نوعٍ إلى نوعٍ آخر؛ لأنه مشبهٌ بابتداء قصيدة، وكما يصرع في أول القصيدة، / نحو قوله^(٢)

15/ب

طحا بك^(٣) قلبٌ في الحسان طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حان مشيبُ

كذلك يصرع عند الخروج من شيءٍ إلى شيءٍ. [إلا] أنه لم يعمل على وجهه، [و] لو وصل ولم يصرّع لطاوع الوزن^(٤)، ألا ترى أنك لو قلت: (حتى المَدُنْ منك ملاءٌ ولُفْتُ) كان صحيحاً؟!

فإنشأه على موجب الصناعة مستطاعاً، فاعرفه.

وأق باللام في "لعممت" على تقدير القسم، كأنه قال: والله لعممت، كقولهم -ابتداءً-: لأفعلنَ بزيدٍ، [أي] والله لأفعلنَ.

(٣٧) وَلَجِدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلْمُنْتَهَى، وَمِنَ السَّرُورِ بُكَاءُ

المعنى: أنك قد تعودت أن لا تثبت على درجة، بل تطلبُ التزَيُّدَ في مراقي المعالي، وقد سمحتَ حتى بلغت في السماحة مبلغاً لا مُرتقى فوقه، وكدتَ تجنح إلى البخل الذي هو نقيضه؛ لاعتيادك الخروجَ من نمطٍ إلى نمطٍ ومن درجةٍ إلى درجةٍ!

وقوله: "للمنتهى" بمعنى الانتهاء -كقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ، مِنْ مُكْرَمٍ﴾^(٥)، في قراءة من فتح الراء^(٦)، أي: إكرام - [واللام للتعليل، أي] كدت تبخل لأجل

(١) يقصد بيت المتنبي.

(٢) علقمة بن عبدة الفحل، وهذا مطلع قصيدته المشهورة، ديوانه: ٣٣.

(٣) طحا بك، أي: ذهب بك كل مذهب.

(٤) في الأصل (لم يطاوع ...)، خلاف ما يعني الشارح.

(٥) الحج: ١٨.

(٦) (مكرم) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن ٢/٢١٩، ومختصر الشواذ لابن خالويه ٩٤، ونسبها أبو حيان لابن عبله في البحر ٣٣٤/٦.

الانتهاء. "حائلاً" أي راجعاً؛ أنفًا من أن تناقضَ عادتكَ، فتقفَ على مرتبةٍ بلغتْها. وأوضحه بقوله: "ومن السرور بكاء"؛ لأنَّه إذا تناهى وُجد من البكاء (الذي هو نتيجة الغمِّ في الغالب).

وقوله: "كدت تبخل" من الاحتراز اللطيف؛ لأنَّه كره أن يطلق عليه لفظ البخل، كيلا ينزعَ إلى عرق الدَّم من وجهه، فهذا الاحتراز قريب من قوله:

وحاشاك، فانيَا

في بيت كافور الذي مرَّ ذكره. وهذا البيت من محاسنه.

وللعرب طريقة في نحو هذا، فمن ذلك قولهم: رماه بأفعى حارية^(١)، قال الأصمعي^(٢): هو من قولهم: حرى الشيء يحري إذا نقص، من قول الشاعر^(٣):

ما زال مجنوناً^(٤) على استِ الدهرِ
في بدنٍ ينمي وعقلٍ يحري

واستدل على ذلك بقول الشاعر^(٥):

داهيةٌ قد صُغِرَتْ من الكِبَرِ!

(١) في الحيوان ٤/٢٤٤، ومجمع الأمثال ١/٣٠٩، بلفظ: (رماه الله بأفعى حارية). قال في اللسان (حري): "والحارية: الأفعى التي قد كبرت ونقص جسمها من الكبر، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها".

(٢) نقله عنه في التهذيب ٥/٢١٣.

(٣) هذا الرجز لأبي نخيلة شعره: ٢٥٦، مجلة المورد، م/٧، ع/٣.

(٤) معنى (ما زال مجنوناً على استِ الدهر)، أي: لم يزل مجنوناً دهره كله. اللسان (سته).

(٥) في الحيوان ٤/٢٨٦، مع أبيات أخرى، ونسبها لخلف الأحمر، وينسب للنابغة الذبياني، ملحقات ديوانه: ٢٣٠ (تحقيق: أبو الفضل).

وهذا الرجز في وصف حية قد كبرت، فأصبحت قصيرة صغيرة.

والمعنى: من شأنها الازدياد والنمو، وقد بلغت في الكبر النهاية، فلم تجد سبيلاً إلا أن ترجع إلى الصغر الذي هو نقيضه. وهذا أحد ضروب المجاز، فالغرض فيه المبالغة والوصف بالتناهي. فافهمه.

(٣٨) أَبَدَاتُ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بِدَوُّهُ وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكِرَ الْإِبْدَاءُ

يقال: أبدأت الشيء وابتدأته. يقول: أتيت بشيء من الكرم لم يعرف لغيرك، ثم أتبعته ما قللته، ونكرته، مع أنه مفقود النظر، فيأتي بفعلك أعجب وأبدع. وهذا تأكيد لمعنى البيت الذي قبله، ألا تراه وصفه بالازدياد في أفعاله ومعاليه حتى يكون بين فعليه من التفاوت ما ذكرنا؟

(٣٩) فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ

قوله: "عن تقصيره" من قولهم: قصرت بفلان إذا أزييت به، و"عن" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون بمعنى مِنْ [ك] قولهم: سقاه من العَيْمَةِ^(١)، وعن العيمة. فكأنه قال: الفخر ناكب أي مائل منعزلٌ من أجل تقصيره بك وجلالتك عنه؛ وذلك أن مناقبك ومعاليك مشهورة معلومة، فأنت مستغنٍ عن عدّها، ونشرها، وانتهاج سبيل الفخر فيها. وإذا كان كذلك كان الفخر معرضاً عنك؛ لعلمه أنه لا يليق بك.

وقريبٌ منه قوله^(٢):

وَيَرَى التَّعْظِمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا وَيَرَى التَّوَاضِعَ أَنْ يُرَى مُتَعْظِمًا

وذاك أنه عظيم في عيون الناس، فالتعظيم يزري به، ويضع منه.

(١) العيمة: شهوة اللبن.

(٢) المتنبي، ديوانه ٨، يمدح شخصاً، يكنى أبا الفضل.

والثاني: أن يكون "عن" على الظاهر، ويكون على وجهين:

أ/16 أحدهما: أن يكون التقدير: فالفخر ناكبٌ عن تقصيره بك، / بمعنى أنه يحتز من أن يقصّر بك. وتجنّب، واحترازه من الإزراء به هو أن ينعزل عنه ويتباعد، فهذا في المعنى مثل الأول.

والوجه الثاني: أن يكون التقدير: فالفخر ناكبٌ بك عن تقصيره، و"بك" ^(١) يكون متعلّقاً "بناكب" بمنزلة أن تقول: هو مائلٌ بك عن هذا الشأن، فكأنه قال: إن الفخر يستعظمك، فيبعدك عن تقصيره وما يحصل فيه من النقص بالإضافة إلى جليل قدرك. وميله به عن نقصانه أن لا يقيم عليه ولا يلابسه.

فالوجه الثلاثة متقاربة.

ويقال: نكب إذا مال، ونكبته: أملتّه، كقوله ^(٢):

فَنَكَبَ عَنْهُمْ دُرَّةَ الْأَعْمَادِي

وقوله: "والمجد من أن تستزاد براء" معناه أنك قد حويت المكارم والمناقب كلّها فلم يبقَ مطلبٌ أو شيءٌ من المساعي يستزيدك المجد فيه، فهو بريء من استزادتك ^(٣). والبراء مصدر يقع على الواحد والجمع، نحو: عدل وصوم وما أشبهها.

(١) في الأصل (ولا) تحريف يخلّ بالمعنى المراد؛ إذ سياق الشارح يشير إلى أن (بك) - في الوجه الثاني - متعلّق بناكب، كما أنه متعلّق بالتقصير في الوجه الأول، وهو الفرق بين الوجهين.

(٢) أبو الغول الطّهوي، من قطعه في الحماسة (شرح المزدقي ١/٤٣)، وهذا صديريت، وعجزه: وداووا بالجنون من الجنون

(٣) في الأصل (اسرارك) تصحيف وتحريف.

(٤٠) فَإِذَا سُئِلْتَ فَلَا لَأَنَّكَ مُخَوِّجٌ وَإِذَا كُتِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ

يقول في المصراع الأول: إنك لا تحوج الواردين عليك إلى الاستمache، بل تسبق سماحتك سؤالهم، كما قال البحري^(١):

حيث لا تدفع الحقوق المعاذير — — — — — ر^(٢) ولا يسبق العطاء السؤال

وكقوله^(٣):

خال السؤال على النوال محرماً

فإذا سألتك فلاجل ما نكتسبه من الشرف بمدحك ومخاطبتك، كما قال أبو تمام^(٤):

ما زلت منتظراً أعجوبة عننا — — — — — حتى رأيت سؤالاً^(٥) يجتنى^(٦) شرفاً

قوله: "عننا" من قولك: عن لي كذا، أو من عن أي ظاهر، وقد روي "زمناً"^(٧) والأول أجود. وقريب منه قول البحري^(٨):

لقد نوهت بي شرقاً وغرباً — — — — — وقد خولتني جاهاً ومالاً

(١) ديوانه ١٨٠٩/٣، يمدح الفتح بن خاقان.

(٢) في الأصل (المقادير) تصحيف.

(٣) أي: المتنبي، ديوانه ٩، يمدح شخصاً، يدعى أبا الفضل. وصدره:

نصر الفعال على المطال كأنما

(٤) ديوانه ٣٦٦/٢، يمدح أبا دلف العجلي.

(٥) في الأصل (رسولاً)، لعله تحريف لما في الديوان.

(٦) في الأصل (يحتى) وفي هذه اللفظة ثلاث روايات (يجتنى، ويُجتى، ويَجْتِي)، كما في الديوان.

(٧) انظر: حواشي الديوان.

(٨) ديوانه ١٧٢٦/٣، يمدح المعتز.

ومعنى المصراع الثاني: أن فضلك لا يُكتم وإن قُصِدَ كتمانُه؛ لأجل [أَنْ] آثار عطايك وأياديك لأتحةً على كل أحدٍ، فهي تخبر عنك.

مثل هذا قول نصيب^(١) في سليمان بن عبد الملك^(٢):

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعرفه من أهل ودان^(٣) طالبُ
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائقُ

يقول: قلت لهم: أخبروني، فذكروا، ومدحوا، ولو أمسكوا لأعلمني ما صحبتهم من فواضلك وما شحنوا به حقائبهم، وتولَّى الثناء عليك.

ومنه قول المتنبي^(٤):

تُنشِدُ أثوابنا مدائحَه بألسن ما لهنَّ أفواهُ

ثم بسط المعنى، فقال:

إذا مررنا على الأصمِّ بها أغنته عن مسمعيه عيناها^(٥)

فاعرفه.

(١) هو نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر من الفحول، مقدم في النسيب والمدح، وكان عفيفاً كبير النفس، توفي سنة ١٠٨هـ تقريباً.

ترجمته وأخبره في الأغاني ٣٢٤/١، والشعر والشعراء ١٠/١، والأعلام ٣١/٨.

(٢) شعره: ٥٩ (داود سلوم).

(٣) ودان: موضع بالقرب من المدينة.

(٤) الديوان ٢٣٩، يمدح أبا العشائر.

(٥) معنى البيتين: أنه يخلع عليهم ما ينطق بمدحه والثناء عليه، يعرف ذلك كل من له عين تبصر.

انظر: التبيان ٢٦٤/٤.

(٤١) وَإِذَا مُدِخْتَ فَلَا تُكْسَبُ^(١) رَفْعَةً لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً!

يقول: إنَّ مدحنا إياك شكرٌ لما توليه من الجميل، لا أنك تتجمل بالمدح، كيف وقدرك جلٌّ عن الممداح! إذ صفاتك ومحاسنك قد بلغت مبلغاً يُعجزُ الشعراء، كما قال^(٢): "حتى يبعل الشعراء" وهي مع ذلك معروفة معلومة. والمدح إنما يُطلب منه المبالغة في الوصف وذكر المآثر، وهذان قد حصلا لك، فما حاجتك إلى الامتداح!؟ وإذا كان كذلك، كان مدحنا مراعاةً منا لحظوظنا، حتى تعلم أنَّ إحسانك صادف منا مغرَّساً زاكياً، ولو تركنا مدحك وشكرك لعددنا في جملة الجهَّال، كما أنَّ من لم يحمد الله على نعمه، كان كذلك.

واسم القديم^(٣) سبحانه (إله) قلما^(٤) يستعمل مكماً مع لام التعريف، وإنما يكون في الشعر، والأشهر حذف الهمزة مع اللام^(٥)، والأصل: إله (فِعَال)، كما أنَّ أصل الناس: أناس (فُعَال) ثم تحذف الهمزة - التي هي (فاء) في الموضعين - مع اللام، فيقال: الناس. ولا يكون الأناس والإله إلا في ضرورة الشعر، كقوله^(٦):

16/ب

مَعَادُ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نَسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضَجَّ مِنَ الْقَتْلِ

وهو أكثر من الأناس.

و"ثناء" لا يتعلق به [على] تعلُّقه بأثنيته في قولك: أثنيته على فلان؛ لما ذكرنا من أنَّ ما يتعلق بالمصدر ويكون معمولاً [له] لا يتقدم عليه، فعلى متعلق بمحذوف، وهو

(١) هذا الفعل يضبط في الشروح بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول، والمعنى واحد.

(٢) قطعة من بيت سابق من هذه القصيدة.

(٣) (القديم) لا يصح إطلاقه على الله عز وجل؛ لأنَّ أسماء الله توقيفية. إلا أنَّ يكون من باب الإخبار،

فباب الإخبار واسع. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٠/٩، ٣٠١.

(٤) في هذا الموضع من الأصل محو، وكتبت (قلما) بخط مخالف.

(٥) أي: إذا دخلت لام التعريف تحذف الهمزة، فتصبح الكلمة (الله).

(٦) هو عمرو بن كلثوم التغلبي، ديوانه: ٦٤ (صنعة د. علي أبو زيد).

صفة "لثناء" في الأصل، ثم قَدِّم، ونصب على الحال، فكأنه قال: للشاكرين كائنًا على الإله ثناءً، كقوله^(١):

لعزّة موحشًا طللٌ قديمٌ

فلولا أنه قدّر: للشاكرين ثناءً كائن على الإله، وعَلّق (على) بكائن؛ لما جازله تقديمه، كما لا يجوز أن تقول: أعجبتني زيدًا ضربك في الدار.

وإنما لا يمثل بنحو: [ب] زيد مروري؛ لأنه لا يمكن في جميع ذلك أن يقال: إن الباء يتعلّق بمروري، وإنما بمحذوف، حتى كأنك إذا قلت: [بعمرو] مرور [ي] حسنٌ، قدّرت: مروري واقعٌ بعمرو، حسنٌ^(٢) أيضًا، ثم تقدّم الخبر.

(٤٢) وَإِذَا مُطِرَتْ فَلَا لَأَنَّكَ مُجْدِبٌ يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّامَاءُ

الدّاماء: البحر.

المعنى: إن ساحتك مخصبة، فلا حاجة بها إلى المطر، وإنما تمطر كالبقاء^(٣) المستغنية عن الغيث لخصبها! وكذلك ينزل القطر في البحر مع غزارته وكثرة مائه، ومع أنه قيل: إن السحاب يأخذ الماء منه بإذن الله تعالى^(٤)!

وقد جاء ذلك في شعر العرب، قال أبو ذؤيب^(٥):

(١) لكثير، وقد سبق الكلام عليه.

(٢) هذا خبر ثانٍ.

(٣) في الأصل (وإنما تمطر البقاع...)، وعليه يكون في السياق فجوة لا تحذف.

(٤) الخلاف في ذلك قديم. انظر: تفسير ابن كثير ٤٥٢/٣، وديوان المعاني ٦/٢، والعلم الحديث يؤيد أن السحب تتكون من أبخرة البحر. فهذه الظاهرة قد فُسِّرَت قبل الكشف العلمية الحديثة.

(٥) شرح أشعار الهذليين ١٢٩/١.

وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد الهذلي، من المخضرمين، أشعر شعراء هذيل، أشهر شعره عينيته في رثاء بنيهِ الخمسة، توفي في زمن عثمان رضي الله عنه، نحو سنة ٢٨هـ.

ترجمته في شرح أشعار الهذليين ٣/١، والأغاني ٢٦٤/٦، ومعجم الأدباء ١٢٧٥/٣.

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضِرَ لَهُنَّ نَيْيَجٌ^(١)

"متى" بمعنى من^(٢).

وأكدته بقوله:

(٤٣) لَمْ تَحْكِ نَائِلِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ، فَصَبِيحُهَا الرِّحْصَاءُ

يقول: إنها لم تفض ماءها مباراة لك، وإنما حُمَّتْ حسداً وقصوراً عن فيض عطياك، فما سأل منها هو عَرَقُ حُمَاهَا. وقريب منه قول أبي نواس^(٣):

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ^(٤) فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا

غير أن بيت المتنبي أبلغ وأذهب في الإغراق؛ لذكره الحمى والعرق، إلا أن فيه بعض التعسف، وبيت أبي نواس سلسٌ عذبٌ عارٍ من الاستكراه.

ونمط منه قول البحري^(٥):

قَدْ قَلْتُ لِلغَيْمِ الرِّكَامَ وَلَحَّ^(٦) فِي إِبْرَاقِهِ، وَأَلَحَّ فِي إِرْعَادِهِ

لَا تَعْرِضَنَّ لَجَعْفَرٍ مَتَشَبَّهًا بِنَدَى يَدِيهِ، فَلَسْتُ مِنْ أَنْدَادِهِ

اللَّهُ شَرَفُهُ، وَأَعْلَى ذِكْرَهُ وَأَرَاهُ^(٧) غَيْثَ بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ

(١) في ألفاظ البيت روايات كثيرة. والنَّيَّج: الصوت المضطرب.

(٢) في لغة هذيل، وهو عندهم أيضاً، بمعنى: وسط الشيء. (شرح أشعار الهذليين ١٢٩/١).

(٣) ديوانه ٤٦٤، يمدح العباس بن الفضل.

(٤) في الديوان (نداه).

(٥) ديوانه ٧٠٣/٢، يمدح المتوكل.

(٦) في الديوان (لج) بالجيم، وأشار المحقق إلى الرواية بالحاء.

(٧) في الديوان (وراه).

وقد أعاده في معرض آخر قول أبي تمام^(١):

أقول لثَّجَّاجِ الغمام، وقد سرى بمحتفل الشُّبُوبِ صاب فعمَّما^(٢)
أقلَّ^(٣) وأكثر، لست تبلغ غايةً تبين بها حتى تضارع هيثما

المعنى: أنك لا تذكر إلا بعد أن تشابهه. وهذا ظريف بليغ في طريقته.

"والسحاب" جمع سحابة، ويجوز فيه التذكير على اللفظ، والتأنيث على المعنى والجمع، قال الله عز وجل: ﴿السَّحَابُ الْمُرْتَلِّ﴾^(٤) والثقال جمع ثقيلة، (وسحاب ثقال)^(٥)، وقال^(٦):

دانٍ مُسِفٍّ فُوقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ^(٧) يكاد يدفعه من قام بالراح

فلم يقل: دانية مسفة.

و"الرَّحْضَاءُ" مأخوذ من قولهم: رحض ثوبه إذا غسله، وذلك أنها تغسل الجسد من شوائب الحمى، وتزيلها عنه، كما يُزال الدرن عن الثوب. ويؤنس بهذا المعنى قوله^(٨):

إذا ما فارقتني غسَّلتني كأننا عاكفان على حرام!

(١) لم أجدهما في ديوان أبي تمام، بل هما للبحري (ديوانه ٢٠٨٨/٤) من قصيدة في مدح الهيثم بن عثمان الغنوي.

(٢) المحتفل، المجتمع. والشُّبُوب: الدفعة من المطر.

(٣) في الأصل (أو).

(٤) سورة الرعد: الآية ١٢.

(٥) كذا بالأصل، وهي عبارة حائرة.

(٦) ينسب لأوس بن حجر (ديوانه: ١٥) ولعبيد بن الأبرص (ديوانه: ٣٤).

(٧) هيدب السحاب: ما يتدلى منه شبه الخيوط والأهداب.

(٨) الديوان ٤٧٧، من قصيدة الحمى.

17/

(٤٤) / لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بَوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ

يقول: إنَّ نور وجهك فوق نور الشمس، فلولا أنها جنحت إلى وجه الوقاحة وكشفت الخجل والحياء عن وجهها لا كُتِّمَتْ، وما طَلَعَتْ. وقال البحري في نحوه^(١):

أضرت بضوء البدر، والبدر طالع وقامت مقام البدر لما تغيبا

(٤٥) فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعُلَا أَدُمُ الْهَلَالَ لِأُخْمَصِيكَ حِذَاءَ

"ما" زائدة، مثله في قوله عز وجل: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢). والمعنى: فبأي قدم سعت! وهذا صدر مصدر التعجب والتعظيم، كما تقول: أيُّ رجل زيد! فكأنه من إفراطه في محاسنه قد أدخل عليك شكاً، فصرت تفتقر إلى الاستفهام عنه، كما قال^(٣):

كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهَمًا

وحقيقة التعجب هو، انكسار^(٤) الشيء، وبعد كُنْهه عن أن تتصوره، بأن تقيسه إلى مثل له.

و"أدم" جمع أديم، كما أن أعماً جمع العم في قوله^(٥):وقد كُثِرَتْ بَيْنَ الْأَعَمِّ الْمَضَائِضُ^(٦)

(١) ديوانه ١/١٩٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) أي: المتنبي، ديوانه ٩.

(٤) كذا بالأصل، كأنه يريد استتار الشيء وخفائه.

(٥) قيس بن جروة، وصدره:

ثُمَّ رَأَيْ لَا أَكُونَنَّ ذِيحَاةً

من أبيات أوردها أبو زيد في النوادر: ٦٢، وانظر: اللسان (عمم).

(٦) المضائض: الأحقاد والأضغان. وفي الأصل (المصايص) تصحيف.

أعني أنه اسمٌ للجمع، وليس على التكسير، نحو رجل ورجال، كما أن الأعم اسمٌ قام مقام العموم، وليس بمكسر عليه؛ لأن (فَعَلَ)^(١) لا يكون في أبنية التكسير، كما أن أفعل^(٢) كذلك. ولو كسر لكان قياسه: أديم [وأذمان] مثل: جريب وجُريان^(٣).

والأخمص هو الهزْمة^(٤) في باطن القدم، والأخصان للقدمين، وكأنه: لأجل أن ذلك الموضع قد انحدر عما يليه من الجانبين، فهو مثل الخمص^(٥)؛ لأن معنى الدقة متصور في الموضعين.

والحذاء: النعلُ بعينها.

فأما معنى البيت فعلى وجهين:

أحدهما: أن يكون قوله: "أدم الهلال لأخصيك حذاء" (أي نعل) دعاءً^(٦)، فكأنه لما أظهر التعظيم لسعيه في المعالي دعا له، فقال: لا زلت عالياً معظماً بحيث تطأ الهلال. ويكون اللفظ لفظ الخبر والمعنى معنى الدعاء، كما أن قولهم: له^(٧) رحمة الله (٩) ورضوان الله كذلك، ألا تراك تريد أن تدعوه بالرحمة والرضوان لا أن تخبر بثبوت ذلك له؟!

كيف، ولا تحقّق المغفرة في كل من يدعى له؟! فهو بمنزلة أن تقول: لا زال جلدُ الهلال لك نعلًا، كما أن (رحمة الله عليه) بمنزلة: رحمَه الله، فيكون مثل قوله^(٨):

(١) مثل (أدم).

(٢) مثل (أعم).

(٣) هاتان الكلمتان غير معجمتين في الأصل، فأعجمتهما بما يوافق مراد الشارح على ضوء ما تدل عليه المعاجم، انظر: اللسان والقاموس (جرب).

(٤) الهزْمة: الحفرة، وكل موضع منخفض.

(٥) الخمصة: بطن صغير من الأرض لين الموطئ.

(٦) وهذا الذي عليه جمهور الشراح.

(٧) (له) و(الله) كتباً بخط دقيق فوق الكلام، والسياق يطلبهما فأثبتهما.

(٨) لكثير، ديوانه: ٣٩٤، وفيه (بصرم عزة... جعل المليك...). وأشار محققه إلى ما يوافق رواية الشارح.

وسعى إليّ بعيب عرّة نسوة جعل الإله خدوده نعالها

والوجه الثاني: أن يكون إخباراً^(١)، فكأنه أراد بعد تعجبه أن يخبر بسمو مكانه، فقال: أنت فوق الهلال، ومتخذ أديمه نعلًا، فكيف لا أتعجب؟! كما قال^(٢):

من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

فإن قلت: فكيف قال: "أدم" [و] الهلال واحد؟! فالجواب: أنه مثل قولهم: بعير ذو عثانين، وإنما له عثنون^(٣) واحد، إلا أنهم جعلوا كلّ جزء من عثنونه [عثنونًا] حتى صار كأن له عثانين. وكذلك جعل المتنبي كلّ جزء من أديم الهلال أديمًا حتى صار كأن له أديمًا فوق أديم. وهذا النحو كثير في كلام العرب.

وقريب منه قول البحري^(٤):

رغبت قومًا في السماح، وأين هم إن ساجلوك من السماك الأعزل^(٥)؟

وأليق منه قوله^(٦):

لمحمد بن عليّ الشرف الذي لا يرمق الجوزاء إلا من عل

(١) وهذا الذي ارتضاه أبو العلاء المعري؛ لأنه أكثر مبالغة، ويرى أن جعله دعاء مما لا فائدة فيه. انظر:

تفسير أبيات المعاني ٣٠، ٣١.

(٢) الديوان ٣٠٦، يمدح سيف الدولة.

(٣) عثنون البعير: شعيرات طوال تحت حنكه.

(٤) ديوانه ١٧٩٧/٣، يمدح محمد بن عبد الملك الهاشمي.

(٥) السماك الأعزل: نجم غابر في الأفق، وهو من منازل القمر.

(٦) ديوانه ١٧٤٤/٣، يمدح محمد بن عليّ القمي.

ويجوز أن يكون "الأدم" جمع أدمة، وهي باطن الجلد بإزاء البشرة الظاهرة^(١)، فكأنه قال: ليُجعل لك من الهلال نعلٌ، حتى يُقطع ويُحسَر عنه بشرته، كما يُبشَر الأديم عند الحذو. ويكون أبلغ في المعنى الذي يقصده، وليس هذا بأعجب مما تقدّم من الإغراق.

١٧ب/ (٤٦) / وَلَكَ الزَّمانُ مِنَ الزَّمانِ وقايةً وَلَكَ الحِمَامُ مِنَ الحِمَامِ فداءً

هذا البيت يكون على الوجهين المذكورين:

أحدهما: أن يكون دعاءً في المعنى، فكأنه قال: لِيَقِكَ الزَّمانُ بنفسه، وليجعل الحِمَامَ نفسه بدلاً منك، وإذا حصل ذلك حصل الدعاء له بالتخلص من النوائب والموت؛ لأن الزمان إذا وقاه من نفسه بنفسه لم يَسُوْ نفسه، والموت إذا جعل نفسه عوضاً منه لدى نفسه لم يتناولها، كما لا يتناول نفسه.

والوجه الثاني: أن يقول: إن أمرك على هذه الصفة. ولا يكون دعاء. وكان الظاهر أن يقول: ولك الزمان منه وقايةً - كما تقول: زيدٌ قام وعمرٌ أعطيتُه، ولا تقول: زيدٌ قام زيدٌ وعمرٌ أعطيت [عمرًا] ولكن [تضمراً]^(٢) - غير أنه وضع الظاهر موضع المضمّر، وحَسَنَ. لأن سبب امتناعهم من أن يقولوا: زيدٌ ضربت زيداً، ما يدخل من اللبس من حيث يجوز أن يكون زيدٌ الثاني غير الأول؛ لأن لفظ زيد قد يسمّى به عدّة من الناس، وإذا أضمر فقليل: زيدٌ ضربته، علِمَ أنه لا يكون إلا لزيد المذكور؛ إذ لا تجيء الكناية إلا بعد ذكر المكنى عنه. والزمان في مثل هذا الموضع لا يراد به شيءٌ غير الدهر، وكذا الحمام لا يراد به غير الموت، فلا يشتبه بغيره، ويتحقق أن الزمان الثاني هو الأول، وأن الحمام الثاني هو الأول، فلهذا من الشأن حَسَنَ وضع الظاهر موضع المضمّر، فاعرفه.

والفداء: ما فاديت به، وكأنه مصدرٌ مثل المراء (من ماريت) ويُفتح أوله فيُقصّر، يقال: هو فِدَاكَ^(٣).

(١) انظر: اللسان (أدم).

(٢) هنا في الأصل بياض بمقدار كلمتين أو ثلاث.

(٣) المنقوص والممدود للفراء: ٢٥، ٢٦ (دار المعارف) قال: إذا كسر أوله يجوز فيه المد والقصر، وإذا فتح لزِم القصر.

(٤٧) لَوَلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوَ عَقَمْتُ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَاءُ

"الورى": الخلق؛ لأن بعضهم يُخلق من بعض، فكأن كل والدٍ يري بولده، كما يري الرّند بالنار، ويشهد بهذا ما أنشده شيخنا -رحمه الله- عن أبي زيد^(١):

يَا قَاتِلَ اللَّهِ صَبِيئًا تَجِيءُ بِهِمْ أُمُّ الْهَنْبِيرِ^(٢) مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي

قال: ضرب الزند مثلاً للرّحم، فكما أن المرأة كالزند والولد كالنار كذلك الرّجل؛ لأجل أنّه الأصل، وهذا في نهاية البيان.

و"الذ" بمعنى الذي، كما قال^(٣):

فَبِتْ^(٤) فِي شَرٍّ مِنَ اللَّذْ كِيدَا

كَالَّذْ تَزِي زُيَّةً فَاضْطِيدَا^(٥)

ويقال: اللذ واللذ واللذ واللذ واللذ، فتحذف الياء للتخفيف. وسكّن الواو^(٦) للضرورة، كقول الآخر^(٨):

فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدَمَا

وهو ضعيفٌ في القياس، قليل في الاستعمال.

(١) للقتال الكلاي، ديوانه ٥٩، وفي النوادر ١٩٠ (الشروق).

(٢) أم الهنير: الضبع، أو هي امرأة بعينها، كما ذكر ابن دريد (الجمهرة ٢/١١٤٤).

(٣) لرجل من هذيل، شرح أشعار الهذليين ٢/٦٥١.

(٤) في شرح أشعار الهذليين (فظلت).

(٥) تزى زينة: حفر زينة، وهي حفرة تجعل في أرض مرتفعة ليقع فيها الأسد (القاموس - زى).

(٦) هذه لغات فيهما، انظر: الفسر ١/١٢٥، والإنصاف ٢/٦٧٥، وأمالى ابن الشجرى ٣/٥٣.

(٧) أى واو (هو) في البيت.

(٨) بلا نسبة في مجالس الزجاجى ٢٤٩، والجمهرة ٣/١٣٠٦، والمخصص ٦/٣٨، وفي حواشى الجمهرة

مراجع أخرى، وصدره: غفلت ثم أتت تطلبه. والشاهد فيه تسكين الياء من (هى) للضرورة.

وعقمت المرأة: إذا انقطعت ولادتها.

ومعنى البيت: أنك لو لم تكن من هذا الخلق -الذي هو منك في الحقيقة؛ لأنه ذُكر لمكانك وشرفك- لكانت حواء في حكم العقيم التي لم يكن لها ولد، ولولاك لما وقع بالخلائق اعتداد، فأنت ولدها الذي نفى العقم عنها! وهو من الإغراق العظيم^(١). وهذا تأكيد لقوله: "ولك الزمان من الزمان وقاية" إذا حُمِلَ على أنه إخبارٌ، لا دعاء؛ لأن الزمان يجعل نفسه عَرَضاً دونه من جهة أنه يتجَمَّل به، ويتشَرَّف بمكانه، كما قال^(٢):

الصوم والفطر والأعياد والعصرُ منيرةٌ بك، حتى الشمس والقمرُ

غير أن قوله: "ولك الحمام من الحمام" يقوِّي كونه دعاءً؛ لأن الموت لا يقع بينه وبين الممدوح التباسٌ ليتجَمَّل به، إلا أنه يجوز أن يُحمل على أنه يعظِّمه، ويبجلُّه، فيجعل نفسه عوضاً منه عند نفسه. كما قال^(٣):

يحاذرني حنفي كأني حَفْه.

فاعرفه.

(١) إذا كان الممدوح على مذهب المتصوفة -كما في معجز أحمد ٩٦/٢، والتبيان ١٢/١- فكأن المتنبي قال هذا البيت وما شاكله؛ إرضاء للنزعة الصوفية في نفس الممدوح، وهذا الإغراق -على فاجته- ليس بأعجب من تهويمات الصوفية وشطحاتهم، ومنها قولهم: إن الكون خلق من نور محمد ﷺ!! وما أقرب هذا البيت من هذا القول!

(٢) أي: المتنبي، ديوانه ٣٥٦، يهني سيف الدولة بعيد الفطر.

(٣) أي المتنبي، ديوانه ٧٢، وعجزه:

وتنكرني الأفعى فيقتلها سُمي.

(٢)

18/أ

/وقال يعتذر إلى ابن إسحاق التنوخي^(١)، وقد هُجِيَ بأبيات على لسانه، فعاتبه على ذلك. (في أول الوافر، والقافية متواتر)^(٢):

(١) أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَائِي وَتَحْسِبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إِنَائِي؟

يقول: تتغافل [عن] صفو مودتي ومصافاتي، فتقبل عليّ ما تُبَلِّغ من الزور والكذب، وتنسب صنيع غيري إليّ! هذا معنى قوله: "وتحسب ماء غيري من إنائي" وذاك أنه كان بُلِّغ هَجْواً على لسان المتنبي، وكان من قبل الغير.

(٢) أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْراً بَعْدَ عِلْمِي بِأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ؟

الهُجْر: القبيح من القول، تقول: أهجر إذا أتى به، وكان ذلك لأجل أنه هَجَرَ الجمال وفارقَه.

وهذا استفهام على طريقة التقرير والإنكار؛ لأنه لا يستفهمه عن فعل نفسه، فكأنه قال: لا أنطق فيك هجراً. وكذلك قوله: "أتنكر"؛ لأجل أن الإنكار قد حصل منه! وقال المتنبي هذا بعد ما عرف أنه ارتاب به، ونسب إليه هجاء غيره، فليس للاستفهام هنا مدخل، وإنما هو على طريقة التوبيخ، غير أن الإنكار مثبت والنطق بالهجر منفي، فهو كقوله^(٣):

وذكرت أي فتى يسدُّ مكانه بالرَّفْدِ حينَ تقاصرُ الأفرادُ

(١) هو محمد بن إسحاق التنوخي، كما في الفسر ٦١/١، وكذلك عند الواحدي ١٢٧/، أو هو الحسين بن إسحاق التنوخي، كما في معجز أحمد ٢٧٩/١، والتبيان ٩/١، وشرح أبي اليمن الكندي ١٣٧، والديوان ٧٠.

(٢) والقافية متواتر) كتب باللون الأحمر، بخط يختلف قليلاً عن خط الناسخ.

(٣) عويف القوافي، من أبيات أوردها أبو تمام في حماسته (شرح المزدوقي ٢٦٤/١)، وانظر: شعره ضمن كتاب (شعراء أمويون ١٤٤/٣).

ألا تراه أنكر أن يكون هنا فتى يغني غناءه^(١)؟ ونحوذا شائع. وإنما نفى أن يقول فيه القبيح بعد وقوفه على فضله؛ لأنه عاقل، فليس يليق به أن يمدّ باع القول في ذم مثله بعد علمه أنه خير الخلائق.

(٣) وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ

يقول: كيف يجوز [أن] أذمك بعد معرفتي مكانك في الفضل والقدرة والسطوة والنفاذ في كل ما تريد؟! وقوله "وأمضى في الأمور من القضاء" من الإفراط أيضاً. وقد جاء به البحرى في صفة سيف^(٢):

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَاحَهُ عَفْوًا، وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمَقْفَلَ

وقوله: "أكره" جاء على كُره^(٣) - كما [أن] أشهر جاء على سُهر، وأعنى جاء على عُنِي^(٤)، وأعرف على عُرف، وأزهى على زُهي، وأجنّ على جُنّ - فكأنه قال: كراهية^(٥) من يذوقك إذا غضبت أشد من كراهية من يذوق طعم السيف. ولم يقولوا: كُره الأمر، فيكون أكره مثل أن تقول: هذا أمر من هذا. وأمر كره ومكروه بمنزلة قتل ومقتول. وأما قولهم: الكريهة للحرب، فبمنزلة العتيرة^(٦)؛ لأنها مما يُكره، كما أن العتيرة مما يُعتر.

(١) هذا كما قال المازوني: "والمعنى: إن مثله لا يوجد، ولا يظفر به في مثل ذلك الوقت".

(٢) ديوانه ١٧٤٦/٣.

(٣) هذه الأبنية مخالفة للأصل، لأن أفعال التفضيل لا يُبنى من الفعل المبني للمجهول، لكن هذه الألفاظ مسموعة، كما ذكر عبد القاهر في المقتصد ٣٨٥/١، ٣٨٦ فقد عد هذه الألفاظ بعينها.

(٤) في الأصل (أعتب... عتب) ولا شذوذ فيه، فلعله تحريف عما أثبت من المقتصد.

(٥) في الأصل (كراه)، وعُدلت باللون الأحمر.

(٦) العتيرة: ذبيحة كانوا يتقربون بها لآلهتهم في رجب، وقد أبطلها الإسلام، والفعل: عتريعت. المصباح المنير (عتر).

(٤) وما أَرَمْتُ^(١) على العَشْرِينَ سَنِي فَكَيْفَ مَلَأْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ

أرَمَى على كذا، ورَمَى عليه: إذا زاد عليه.

ومعنى البيت على وجهين:

أحدهما: أن يقول: إني حَدَثُ لم يطل عمري، فكيف أَعَرَّضَ نفسي للحتف؟! لأنني أعلم أن مَنْ تَعَرَّضَ لنقصك وذمك تَعَرَّضَ لهلاكه.

والثاني: أن يريد: إذا شَرَعْتُ لِسَانَ الذِّمِّ فيك مع طهارة ثيابك وبراءة ساحتك من المناقِصِ غضبت عليّ ومحوت اسمي من ديوانك، فيكون كالموت لي؛ إذ^(٢) ما يصل إليّ من نعمك وفواضلك في حكم الحياة، وأني أُعَرِّفُ بك، وأعتدُّ إلى الانضمام إلى جملتك، فإذا انقطع عني ذلك صِرْتُ في حكم الميت. كما قال^(٣):

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمْ عِقَابُ

وإذا كان هو كالحياة، ثم فعلَ ما يُؤيسه منه إليه^(٤)، كان ذلك كالمَلال من العيش والعمر. فيقول: كيف يكون، وأنا في عنفوان الشباب؟

(٥) / وَمَا اسْتَغْرِقْتُ وَضْفَكَ فِي مَدِيحِي فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ!

ب/18

أكد بهذا البيت ما تقدم من قوله: "بأنك خير من تحت السماء" ألا ترى أن المعنى: أني عاجزٌ عن استغراق أوصافك في المدائح لوفورها وامتناعها من أن تحصر وتضبط؟ وكيف يجوز عليّ أن أفتح عليك باب الهجو، وأنا في شغل شاغل من المدح؟ وإنما كان

(١) ويروى (أريت)، كما في معجز أحمد ٢٨٠/١، والتبيان ١٠/١.

(٢) في الأصل (إلى ما يصل) تحريف

(٣) أي: المتنبى، يمدح سيف الدولة، وسيأتي.

(٤) ترتيب الكلام: فعل إليه ما يؤيسه منه.

يليق الذمُّ بي لو كان مدحي قد فاق قدرَك وسبقه؛ لأنَّ النقص قبل إكمال المدح يعود بالنقص على نفسي، والذم مع هذه الحالة ينالني قبل أن ينالك.

(٦) وَهَبَنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحَ لَيْلٌ^(١) أَيْغَمِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ!!

وهبني الله فداك أي: جعلني الله فداك، فهب أمرُ منه، مثل ضَع. هذا، وقد سرى فيه معنى الظن، ألا ترى أنَّ قولك (هَبْنِي) بمنزلة ظَنَّنِي فعلت كذا، فقوله: "وهبني قلت" بمنزلة قولك: ظنني قائلًا كذا، ويدل على أنَّ معنى الظن قد جرى فيه أنهم قالوا: هَبْكَ فعلتَ كذا، وفعل ضميرك -أيها المخاطب- لا يتعدَّى إلى ضميرك المتصل (نحو الكاف) إلا أن يكون من أفعال القلوب، نحو الظن والعلم، لا يجوز [أن] تقول: أعطك درهماً، وإنما الكلام أعط نفسك درهماً! ويجوز أن تقول: ظنك منطلقاً غداً. فعمل (هب) في الكاف الذي هو ضميرك في قوله: هَبْكَ، يدل على أنه بمعنى الظن، ولهذا نظائر في كلامهم.

ظُنَّ بي أي أنكر الصبح، وأدعي أنه ظلام، فهل يروِّج قولي؟! وهل يخفى الضياء على الناس كلهم؟! أي أنَّ محاسنك كالشمس في الشهرة والوضوح، فمَن تعرَّض لإنكارها رُدَّ قوله، كما يُردُّ قول من يجعل الصبح ظلاماً، كما قال^(٢):

لقد بهرت فما تخفى على أحدٍ إلا على أحد لا يعرف القمر

(٧) تُطِيعُ الْخَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةٌ جُعِلَتْ فِدَاءُهُ، وَهُمْ فِدَائِي

قوله: "جُعِلَتْ فداءه وهم فدائي" دعاء له، وهو صفة "مرة" في الظاهر، وإن كان الدعاء لا يجوز أن يكون وصفاً، كما أن الأمر كذلك، لا يجوز أن تقول: مررت برجل ليغفر الله له، كما لا يجوز: مررت برجل اضربه يا زيد، غير أن هذا يحسن أمره على ظاهره قليلاً؛ لأنَّ غرضه أن يقول: إنك قبلت عليّ مقالة الحساد مع ما أنك رجلٌ معظمٌ عندي بحيث

(١) في الأصل (وهبني قلت هذا الليل صبح)، تقديم وتأخير يفسد المعنى.

(٢) ذوالرمة، ديوانه ١١٦٣/٢.

أجعل نفسي فداءه، وأنا من المنزللة بحيث هم فدائي، فلما دخل فيه معنى التعظيم جاز أن يُجعل صفة لمرء بمكر^(١)، فكأنه قال: وأنت فتى معظّم عندي، وأنا خادم لك، وحالي مع الحاسدين ومنزلتهم عندي أنهم خَدَمُ لي. فكيف يجوز أن تصغي إلى أقوالهم وما يتصورونه من الكذب مع هذا الحال؟!

ويجوز أن يكون القول مضمرًا، كأنه قال: وأنت مرءٌ أقول فيه: جعلتُ فداءه، كما قال^(٢):

حتى إذا جنَّ الظلامُ واختَلَطَ

جاءوا بمَذَقٍ^(٣) هل رأيت الذئبَ قَطًا!

المعنى: أتوا بمذق يقال عنده: هل رأيت الذئب في الكدورة والغبرة؟

ويكون الأول من نمط قوله (أنشده الشيخ - رحمه الله - عن أبي عثمان^(٤))^(٥):

(١) أي: بحذق وتأول.

(٢) ذكر البغدادى أن هذا الرجز ينسب للعجاج، الخزانة ١٠٩/٢، وهو في ملحقات ديوانه ٣٠٤/٢ (تحقيق: السطلي)، نقلاً عن الخزانة، وقال محققه: ومن المرجح أنه من الشعر المنحول. وهو غير منسوب في المعاني الكبير ٢٠٤/١، والكامل ١٠٥٤/٢، والفسر ٦٣/١، والمقتصد ٩١٢/٢. وفي ألفاظه روايات.

(٣) المذق: اللبن المشوب بالماء. الصحاح (مذق).

(٤) لعله أبو عثمان المازني، بكر بن محمد، أستاذ المبرد، صاحب التصريف، نال شهرة وحظوة عند الملوك وعامة الناس، توفي سنة ٢٤٨هـ.

طبقات اللغويين والنحويين ٨٧، إنباه الرواة ٢٨١/١، بغية الوعاة ٤٦٣/١.

(٥) بلا نسبة في الخصائص ٢٢١/٢، والمخصص ١٠٦/١٥، وديوان المعاني ٥١/٢، والأشموقي ١٦/٣، والمتع في التصريف: ٧٤، وجمع الهوامع ١٠٣/٥، واللسان (غريل). ونسبه العيني في المقاصد النحوية ١٤٠/٣ لمنزربن حسان. وأفاد محقق الخصائص أنه لحسان بن ثابت، قاله في فرار الحارث بن هشام، وليس في ديوان حسان المطبوع. والبيت ضمن قطعة في الوحشيات ٨، لعفيرة بنت طرامة الكلبية.

فلولا الله والمُهر^(١) المفدى لأُبت، وأنت غريال الإهاب

ألا ترى أن "غريال" اسم محض؟ إلا أنه لما كان فيه معنى الانخراق، صار كأنه قال: وأنت منخرق الإهاب. فكَذلك "جعلت فداءه" يجوز أن يجعل صفة في هذا الموضع؛ لأن فيه معنى التعظيم، حتى كأنه قال: وأنت مرء مفدى معظم. وإن كان لا يجوز: جاءني رجل ليغفر الله له، حتى يقول: أقول فيه ليغفر الله له. فاعرفه.

(٨) / وهاجي نفسه^(٢) مَنْ لَمْ يَمَيِّزْ كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءِ

أ/19

"الهراء": الخطأ من القول، قال^(٣):

لَهَا بَشَرٌ مِثْلَ الْحَرِيرِ وَمَنْطَقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءُ وَلَا نَزْرُ

ويقال منه: أهرأت، مثل أهجرت من الهجر.

والمعنى: أن غرضهم أن يسمعوك الهجو، فيجعلون^(٤) الكذب علي، ونسبته إلى سبباً إلى إسماعك، فإذا لم تتدبر كلامهم، ولم تميز فتعلم أنه من جانب غيري، وتمتنع من الإصغاء إليه صرت كأنك تدم نفسك!، وأرهفت في هذا البيت غرار^(٥) العتاب جداً!

(٩) وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَتَعْدِلَ بِي أَقْلَ مِنَ الْهَبَاءِ

تقول: عدل بي فلاناً، إذا أخذه بدلاً منك، فكأنه قد جعله عديلاً لك عنده.

(١) في الأصل (الرمح) وهو مخالف لما في المصادر كلها، كما أنه مخل بالمعنى؛ لأن المقصود به رجل هرب وفر على مهرة، ولم يصمد ليدافع عن نفسه برمحه وسيفه.

والمهر المفدى: هو الذي يفدى بغيره؛ لسرعته وقوته التي تمكن صاحبه من النجاة.

(٢) ويروي (هاجى نفسه) التبيان ١١/١.

(٣) ذو الرمة، ديوانه ٥٧٧/١.

(٤) كذا في الأصل بإثبات النون، كأنه مستأنف، وليس معطوفاً على المنصوب قبله.

(٥) غرار السيف والرمح: حده. وهذا كناية عن شدة العتاب ومرارته.

والمعنى: أن من العجب أن تعرفني فترى أخلاقي وهممي فتعدل بي من هوفي القدر كالهباء الذي لا يقع به اعتدادٌ. "فأقل" منصوب لأنه صفة مفعول^(١).

(١٠) وَتُنَكِّرُ مَوْتَهُمْ، وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنَاءِ!

يقول: إنك قد تحافظ على حسدي، وتحب بقاءهم، وأنا سهيل^(٢)، وهو النجم اليماني، ولا يشرق إلا باليمن، ولهذا قيل^(٣) لبعض اليمانية: (لكم من السماء نجمها، ومن الكعبة ركنها، ومن السيوف صمصامها)، يريد سهيلاً، والركن اليماني من أركان البيت، وصمصامة عمرو بن معدي كرب. فيقول: إني طالع بموت من لم يكن لرشد^(٤)، "فأنا" مبتدأ، و"سهيل" خبره. وكان يجب أن يقول: طلع، كما تقول: أنا السيف سُلَّ للضَّراب، وأنا الأسد هيج على شبله، غير أنه لما جعل نفسه سهيلاً، حتى كأنه اسم له، صار بمنزلة أن تقول: أنا زيد! إذا أردت أن تعظم من شأنك - كما قال^(٥):

أنا أبو النجم وشعري شعري

كأنه قال: أنا المعروف بهذا الاسم، وشعري شعري أي: هو على ما عرفته من الإصابة والمضاء - فأني بضمير المتكلم وقال: طلعتُ.

"فطلعت" فيه إضمار (قد)، وهو حال منه، كأنه قال: أنا الذي يُعرف بموت هؤلاء طالعاً، كما تقول: أنا زيد معروف بكذا وكذا.

(١) والتقدير: إنساناً أو شيئاً أقل من الهباء. التبيان ١١/١.

(٢) تزعم العرب أن سهيلاً إذا طلع وقع الوباء في البهائم. انظر: معجز أحمد ٢٨٢/١، والتبيان ١٢/١.

(٣) هذا القول منسوب في الكامل ٩٠/١ لابن العباس رضي الله عنهما. وبديل هذه الكلمة في الأصل (عمر)، وكتب بازائها في الحاشية بالأحمر (قيل) وهو أقرب.

(٤) قال في القاموس (رشد): "وولد لرشدة، ويكسر: ضد لزينة".

(٥) قائله أبو النجم العجلي، ديوانه: ٩٩.

وَمَدَّ "الزنا" كقول الفرزدق^(١):

أبا حاضرٍ مَن يَزَنُ يَعْرِفُ زَنَاؤُهُ وَمَن يشرب الخراطومَ يُصْبِحُ مُسَكِّراً

والمشهور في مصدر (زنى يزني) القصر. والزنا كأنه مصدر زانى زناء، كقوله^(٢): "يعرف زناؤه"، وإما أن يكون بمعنى المزانة، أو يكون وضع مصدر (فاعلت) موضع مصدر (فعلت)، كقوله عز وجل: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(٣) وضع النبات موضع الإنبات؛ لأجل أنه إذا أَنْبَتَ نَبَتَ، فبينهما تقارب في المعنى. وكذلك إذا قيل: زانى عُلِمَ منه^(٤) معنى زنى، فيجوز أن يقع مصدر هذا موقع مصدر ذاك. ونحوذا كثير. "فالزنا" في بيت المتنبي بمعنى المزانة، كأنه قال: طلعت بموت أولاد المزانة، وهذا واضح؛ لأجل أن الولد إذا كان من غير حلالٍ فذاك من الجهتين في الغالب. وإذا تقرر هذا، كان الزنا مثل القتال. ولا يجب أن تكون مَدَّةُ القصر للضرورة؛ لأن ذلك لا يجوز^(٥).

(١) ديوانه: ٣٧٣ (الصاوي).

(٢) في الأصل (فقوله).

(٣) سورة نوح: ١٧.

(٤) في الأصل (وأنا أعلم منه ...) تحريف.

(٥) هذا مذهب جمهور البصريين، ضرورة الشعر للسيرافي: ٩٤، وما بعدها.

(٣)

وقال يهنئه^(١) بالدار الجديدة التي بناها عند الجامع في القطائع^(٢).

وأنشده في عشية الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ست وأربعين وثلاثمئة. (في أول الخفيف^(٣)، والقافية متواتر):

19/ب (١) / إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلَمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبُعْدَاءِ

حقيقة هَنَأْتُ أَنْ تقول: هنيئاً له هذا، يُقال: هَنَأَ لَهُ الشَّيْءُ يَهْنِئُ مِثْلَ ضَرْبٍ يَضْرِبُ ضَرْباً^(٤)، أنشد صاحب الكتاب^(٥):

إِلَى إِمَامٍ تَغَادِينَا^(٦) فَوَاضَلَهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فليهنئ له الظَّفَرُ

وهو بمنزلة قولهم: إني سَقَيْتُهُ، أي: قلت له: سقاك الله، وسقياً لك، وأَهْلَتْ، وَرَحَّبْتُ، أي قلت: أهلاً ومرحباً، كما قال^(٧):

فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً فَرَدَّ^(٨) بِتَاهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبٍ

(١) يهنئ كافوراً، كما في سائر الشروح.

(٢) في الأصل (القطاع).

(٣) هو أن تكون عروضه سائلة، ووزنها (فاعلاتن)، وضربها مثلها. الكافي: ١٠٩.

(٤) انظر: القاموس (هناً)، وفيه أوجه أخرى.

(٥) الكتاب ٣١٧/١، والبيت للأخطل في ديوانه ١٤٧، يمدح عبد الملك بن مروان ويهنئه، وفيه (إلى فتى، لا تعرينا نوافله).

(٦) تغاديننا: تباكرنا غدوة.

(٧) هو البعيث بن حريث الحنفي، من قطعة له في الحماسة (شرح المروزقي ٣٧٧/١)، (وشرح التبريزي ١٤١/١)، والخزانة ٢/٢٧٧.

والشاعر يخاطب خيال محبوبته

(٨) في الحماسة (لها ... فردت)، قال المروزقي: "والخيال يذكر ويؤنث".

و"يدني" يفتعل من الدنو، والأصل (يدنني) فقلبت التاء دالاً، فأدغم الدال الأولى فيها، فصار يدني، كما ترى.

والمعنى: أن التهنة تكون بين النظراء، ومن يطلب الدنو من الأبعد.

(٢) وَأَنَا مِنْكَ، لَا يُهَيَّئُ عُضْوُ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرَ الْأَعْضَاءِ

يقول: وأنا أجري مجرى الجزء منك، فكما أن التهنة لا تمكن^(١) على بعض أجزاء الإنسان لبعض، كذلك لا تجب عليّ، بل أنا أستحق أن أهنأ كما تُهنأ. وجمع المسرة بالألف والتاء، كما تُكسر فيقال: المسار. والمصدر قد يجمع إذا قدر فيه الاختلاف، كقوله عز وجل: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(٢)، ألا ترى أن المسرة لا تكون نوعاً واحداً، كما أن الظن كذلك؟ فكانه قال: أنواع المسرة، كما أن المعنى في الآية: يظنون أنواعاً من الظن.

وقال: "أنا" يثبت الألف - وذلك يكون في الوقف - إجراءً للوصول مجرى الوقف^(٣)، كبيت الكتاب^(٤):

فكيف أنا وانتحالي القوافي بعد المشيب؟ كفى ذاك عارا

(٣) مُسْتَقْلٌ لَكَ^(٥) الدَّيَارَ وَلَوْ كَا نَ نَجْوَمَا أَجْرُهُذَا الْبِنَاءِ

"مستقل" خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: أنا مستقل، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لـ "أنا" في قوله: "أنا منك".

(١) كتب بإزاء هذه الكلمة بخط مخالف (تجب)، وهو أوضح.

(٢) الأحزاب: ١٠.

(٣) في الأصل (أجرى للوصول مجرى في الوقف).

(٤) لم أجده في الكتاب، وهو في شرحه للسيرافي (ضرورة الشعر: ٧٧)، والكامل ٥٥٢/٢، والبيت للأعشى ميمون (الصبح المنير: ٤١) وروايته فيه:

فما أنا أم ما انتحالي القوافي ف بعد المشيب، كفى ذاك عارا

(٥) ويروي (مُستقلُّ لك الديار) الواحدي: ٦٣١، ومعجز أحمد ٣٦/٤، ورواية الجمهور أجود؛ لأنها أكثر مبالغة.

يقول: قدرك عندي عظيم، فأنا أستحقر جميع المنازل والأبنية، ولو كانت مرصوفة من النجوم.

(٤) وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخِرُّ مِنَ الْأُمِّ — وَوَاهٍ فِيهَا مِنْ فَضَّةٍ بَيضاءِ

"الذي" اسم إن، وما بعده إلى قوله: "فيها" من تمامه، و"من فضة بيضاء" خبر إن، و"من" متعلق بمحذوف، كأنه قال: ولو أن ما يسيل فيها (أي: في الديار) كائن من ذوب الفضة. وإنما خص الفضة؛ لأن الماء يشاكلها في اللون. ولله درالبحتري حيث وصف بركة المتوكل، فقال^(١):

تنحط [فيها] وفود الماء مُعجَلةً كالخيل خارجةً من حبل مُجريها
كأنها^(٢) الفضة البيضاء سائلةً من السبائك تجري في مجاريها

(٥) أَنْتِ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ

التقدير: أنت أعلى محلّة من أن تهني، فحذف لطول الكلام، ونحوذا واسع. من ذلك قوله عز وجل: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾^(٣) المعنى [ب] أن الله يبشرك، فحذف الباء.

وأبدل همزة "هنا" أليفاً، كبيت الكتاب^(٤):

راحت بمسلة البغال عشيةً فارعي فزاره، لاهناك المرتع

(١) ديوانه ٢٤١٧/٤.

(٢) في الديوان (كأنما).

(٣) سورة آل عمران: ٣٩.

(٤) الكتاب ٥٥٤/٣، وهو للفرزدق في ديوانه: ٥٠٨.

الأصل: هناك، فقلبت الهمزة ألفاً للضرورة، كقولهم في المثل: "حَنْتُ، ولا تَهْنُتُ"^(١)
الأصل: ولا تَهْنُتُ، ثم قُلبت الهمزة ألفاً، فالتقى مع التاء الساكنة، فسقطت^(٢)، فكانه
دعا عليها بأن لا تَمْتَعَ بِمَنْ حَنْتُ إليه.

ومعنى البيت مثل الذي قبله؛ لأنه رفع قدره عن التهنئة بالبنيان. وقال: "في الأرض
أو في السماء" على عادته في الإغراق، فكانه قال: إن الأمكنة تتشرف بك، فليس يجب أن
تهنأ بها، وإنما ينبغي أن يهنأ مَنْ يَعْظُمُ ذلك في عينه.

(٦) / وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا يَسُـ _____ رَحْ بَيْنَ الْغُبَرَاءِ وَالْخَضِرَاءِ^(٣) 20/أ

يقول: كيف يليق بك التهنئة [بـ] مثل ذا، والدنيا في حوزتك؟

والخضرأء: السماء، والغبراء: الأرض.

(٧) وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْ _____ مَلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْـرَاءِ

الجياد: الخيل. يقول: إنك تَعُدُّ الخيلَ وما تحمله من الرماح جنائاً، فكأن معارك
الفرسان رياضٌ وجنائاً، والقنا في أثنائها كالأشجار في أوساط البساتين. "فبساتينك"
مبتدأ، و"الجياد" خبره. ونحوُ منه قولُ البحري^(٤):

فغدوا^(٥) وأجامُ الرماح مظلة^(٦) منه، ومغنى الليث^(٧) في الأجسام

(١) جمهرة الأمثال ٣٨٠/١، ومجمع الأمثال ٣٤٣/١ (بلفظ مختلف)، يضرب لمن يشترك في شيء
مكروه - أو إلى شيء قبل أوانه - ألا يهنأ به.

(٢) ديوانه ٢٤١٧/٤.

(٣) عند الواحدي (بين الخضرأء والغبراء): ٦٣١.

(٤) ديوانه ٢٠١٧/٣، يمدح المعتز بالله.

(٥) وفي الديوان (وغدا) رواية ثانية.

(٦) في الديوان (مظنة).

(٧) المغنى: هو المنزل الذي يغني الإنسان، ويطمئن فيه.

فجعل الرماح كالأشجار النابتة، وجعلها مَأْنَسًا للممدوح وموضعاً، كما فعل المتنبي ذلك. وقال أبو تمام^(١):

تَحْذُوا الحديد من الحديد مَعَاقِلًا سَكَّانَهَا الأرواح والأجسام
مُسْتَرَسِلِينَ إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّمَا يمين الحتوف وبينهم أرحام
آسَادُ مَوْتٍ مُخَدَّرَاتٌ مَالِهَا إلا الصوارم والقنا آجام

والسمهرية: منسوبة إلى رجلٍ كان يعمل الأسنة^(٢).

(٨) إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْ كَ بِمَا يَبْتَئِي مِنَ الْعَلِيَاءِ

رجع من الخطاب إلى الكناية، كقوله^(٣):

أَلَا حَيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

وبعض أصحابنا يسمي هذا: التحول^(٤). وعكسُ ذا قوله تعالى: ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بعد

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقول الشاعر^(٥):

وتضحكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشِمِيَّةٌ^(٦) كَأَنْ لَمْ تَرَيَّ قَبْلِي أُسَيْرًا يَمَانِيَا!

(١) ديوانه ١٥٦/٣، من قصيدة في مدح المأمون.

(٢) واسمه سمهر. كتاب السلاح: ٢٠ (تحقيق: الضامن).

(٣) عبد الشارق بن عبد العزى الجهني، من منصفته المشهورة، وهي في حماسة أبي تمام (شرح المرزوقي

١٤٤٢/١)، والأشباه والنظائر للخالدين ١٥٢/١.

(٤) لعله يقصد ابن فارس؛ إذ عقد فصلين في كتابه (الصاحبي) لهذا الغرض: أولهما: (باب تحويل

الخطاب من الشاهد إلى الغائب)، وثانيهما: (باب تحويل الخطاب من الغائب إلى الشاهد)، ثم

ذكر الأمثلة على ذلك، انظر: ٣٥٦، ٣٥٧.

وقد استقر الاصطلاح على تسمية هذا الأسلوب باسم (الالتفات).

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي، من قصيدة له في المفضليات: ١٥٥، وذيل الأمالي: ١٣٢.

(٦) عبشمية: نسبة إلى (عبد شمس).

أراد: ترين، فحذف النون للجزم.

وهذا البيت تأكيد لما ذكره [أن] الممدوح ليس ممن يُهَنَّا بأشياء لا يعتدُّ بها^(١)، وإنما يهَنَّا بمفاخره التي يبتدعها ومآثره التي يُبدِئها.

(٩) وَبَايَاْمِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْهُ — هُ، وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ^(٢)

معنى "انسلخت عنه": خرجت وظهرت. و"الهيحاء" فعلاء من هاج يهيج، وليست بَقِيْعَالٍ؛ لأنها لا تنصرف، ولو كانت فيعلاً لوجب أن تُصرف؛ إذ كانت تكون بمنزلة: بيطار^(٣) وشيطان.

فهي مثل: صحراء.

(١٠) وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ الْبَيْنُ — ضُّ لَّهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ

معناه مثل الأول: من أن افتخاره بالوقائع، وما لسيوفه من الآثار في هام أعاديه، كما قال البحري^(٤):

وإن غَلَّتِ الأرواح أرخصتْ سَوْمَهَا هنالك في سوق من الموت قائم
بضرب يشيد المجد في كل موقف ويسرع في هدم الطلَى والجماجم

وهذا بحيث لا تفرغ^(٥) صفاته صفاء وعدوبة.

(١) في الأصل (فالشيء لا يعتدُّ بها).

(٢) أي: يفخر بأيامه التي سلفت وأمجاده ووقائعه فيها، وما داره إلا المعارك وميادين البطولة، لا يفخر بدارسواها.

(٣) البيطار ومثله البطير والمبيطر: طبيب الحيوانات. القاموس (بطر).

(٤) ديوانه ١٩٦٨/٣، يمدح أبا مسلم بن حميد الطائي.

(٥) في الأصل (لا يفرغ) ولم أجد لها وجهًا أحسن مما أثبت. وهذه العبارة - بأسرها - إعجاب ببيتي البحري.

(١١) وَبِمَسْكَ يَكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمَسْكَ — كَ وَلَكِنَّهُ أَرِيحُ الثَّنَاءِ

أي: ويفخر هو بمسك هو في كنيته، ثم أخذ يرد الظاهر، ويقول: ليس هو بالمسك الذي يتعارفه الناس، وإنما هو نسيم الثناء.

والأَرَج والأريح واحد، وهما الرائحة. وجعله المسك الأريح - وإن كان هو جوهراً وهذا عرضاً^(١) - لأجل أن المقصود منه رائحته لا نفسه في الغالب، فهو قريب من قول النبي ﷺ "وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَرَامٌ"^(٢) يريد المسكر.

فوقع اسم الجوهر على العَرَض^(٣)؛ لأنه جزء منه، وحاصل من نفسه.

يدلك على ذلك أن الأعراض لا يصح عليها التحريم، وإنما منع الإنسان مما يصل إليه.

(١٢) / لَا يَمَّا تَبْتَنِي الْحَوَاضِرُ فِي الرَّيِّ — فِ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ

20/ب

يريد [ب] "الحواضر": أصحاب الحَصَر، فكأنه جمع حاضر، يقال: رجل بادٍ، ورجل حاضر، فهو مثل قول الفرزدق^(٤):

(١) الجوهر - في اصطلاح المنطقيين - هو ما يقوم بنفسه ويستغني عن غيره كالجسم. والعرض: ما يقوم بغيره كالحرارة والرائحة وغير ذلك.

انظر: التعريفات للجرجاني: ٧٩، ١٤٨.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والمشهور هو النهي عن (المسكر). قال النبي ﷺ "كل مسكر حرام" [البخاري حديث / ٤٣٤٣، ومسلم حديث / ١٢٦٤].

وورد في مسند الإمام أحمد ١١٢/٣ عبارة (السُّكْر حرام)، لكنها موقوفة على التابعي: المختار بن فلفل الكوفي.

(٣) هذا راجع إلى بيت المتنبي.

(٤) لم أجدهما في ديوانه. وهما في الأخبار الموقفيات ٢٨٩ لعبد الله بن سالم الخياط، يمدح مالك بن أنس. وفي العقد الفريد ٢٢١/٢ أنهما لعبد الله بن المبارك، يمدح مالكا أيضاً، وبلا نسبة في عيون الأخبار ١/٢٩٤، والمعارف ٣٠٩.

يَأْبَى الْكَلَامَ^(١) فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ
هَذِي التَّقْيِ، وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ [ذَا] سُلْطَانِ^(٢)

وكأنه قال: لا بما تبتني الفرق الحواضر - كما أن المعنى في "نواكس الأذقان" فرق أو طوائف نواكس الأذقان - ولولا هذا التقدير لم يجز؛ لأنه لا يجوز أن تقول: الزيدون ضوارب؛ لأن فاعلاً صفة - نحو كاتب وعالم - لا يجمع على فواعل، وإنما يختص ذلك بالمؤنث، نحو ضارية وضوارب. فكأنه قال: فرقة حاضرة، وفرق حواضر، ومن ذا قولهم: الشارقة^(٣). ويجوز أن يكون في الكلام مضاف محذوف، كأنه قال: أصحاب الحواضر، فيكون كالبوادي.

"والريف": الخصب، يقال: أرأفت الأرض، مثل أخصبت، وأريفنا أي دخلنا في الريف، مثل أخصبنا وأجدبنا، وقالوا: تريفنا بهذا المعنى، قال^(٤):

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا صَفَرَاءُ صَافِيَةً بِأَرْضِ الرِّيفِ

وجمع على أرياف وريوف. فريف: مثل ريش، كريح^(٥).

"ويطّبي" يفتعل من طباه يطيبه، وطباه يطبوه: إذا دعاه واستماله.

(١) في المصادر السابقة (الجواب).

(٢) في العقد (هدي الوقار... فهو المهيب...) وفي الموفقيات (هدي النبي... وهو المهيب...).

(٣) الشارقة - ومثلها الشارف -: الناقة المسنة. على أن رسم هذه الكلمة في الأصل مضطرب، يحتمل عدة قراءات، كأن تقرأ (السارية) وهي السحابة التي تسير ليلاً؛ وذلك أن الناسخ يضع علامة فوق السين كالفاصلة، كثيراً ما تلتبس بنقاط الشين.

(٤) في الفسر ١٣٥/١ بلا نسبة.

(٥) كذا بالأصل، ولو قال: (مثل: ريش، وريح)، لكان أليق. ولعله يقصد أنه مثلهما في الوزن والبنية.

يقول: إنه لم يتعود ما عُرف به الحضريون من السكون إلى البساتين، واجتلاء أنوارها، ولُبس ما يستميل إليه^(١) قلوب النساء من الزّي، ولكن مُتنَزَّهه في مآقط الحروب^(٢)، وزينته السلاح، كما قال^(٣):

يرى جسمه يُكسى شُفُوفاً تَرِيه^(٤) فيختار أن يُكسى دروعاً تهذه

(١٣) نَزَلْتُ إِذْ نَزَلْتُهَا الدَارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ

التقدير: نزلت الدار، إذ نزلتها، في شيء أحسن من نفس الدار، ثم بين ذلك بقوله: "من السَّنا"^(٥)، كقوله عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٦). فقوله: "في أحسن منها" مُبْهَمٌ يفتقر إلى ما يوضحه، كما أن الرجس شائع يكون في الأوثان وغيرها، فيحتاج إلى التبيين.

واستعمل لفظ النزول - وإن كان الشرف والنور نزل فيها على الحقيقة - لأنه غلب ذلك فصار كأنه قد أحاط بأطراف الدار واشتمل عليها، وصارت هي نازلة فيه، فكأنه جعلها مركبةً في قالب من شرف الممدوح ونوره.

(١٤) حَلَّ فِي مَنَبَتِ الرِّيَاحِينَ مِنْهَا مَنَبَتِ الْمَكْرَمَاتِ وَالْأَلَاءِ

كل واحدٍ من المنبتين اسم مكان.

(١) كتب فوق (إليه): (به)، وهما متقاربان.

(٢) المآقط: جمع مأقط، وهو الموضع الضيق في الحروب. الصحاح (أقط).

(٣) أي: المتنبي، ديوانه ٤٥١، يمدح نفسه.

(٤) الشفوف: الثياب الناعمة. وتربته: تنعمه وترجحه، وهذه الكلمة - في الأصل - عُدلت باللون الأحمر إلى (تزينه)، ولم أجد لهذا التعديل مستنداً.

(٥) السنا: الضوء والنور. والسنا: الشرف والعلو.

(٦) سورة الحج: ٣٠.

يقول: إن فضلك ومجدك نزلاً بها. وحلّ^(١) بمنابت أزهارها منابت نعمك؛ لأنك إذا ألمت بمكانٍ شاع في جميع أجزائه فضلُ نفسك وشرفُ طبعك. ذلك^(٢) منبت المكرمات؛ لأنها تنشأ منه، والنعم؛ لأنه^(٣) يُبرزها^(٤) لسائليه كما تبرز الأرضُ النباتَ.

ويجوز أن يريد: أنك نزلت في بساتينها، وأنت منبت المكارم والفواضل.

والوجه الأول أوجه؛ لأجل أنه لا يحل في البستان خاصة، ثم لا يكون على موضع الرياحين. وإنما يحل فيه فضله؛ لأنه يستفيض، ويصل إلى جميع النواحي، ونفس الممدوح لا تكون في أكثر من مكانٍ واحدٍ في حالٍ واحدة.

(١٥) تَفَضَّحُ الشَّمْسُ^(٥) كُلَّمَا ذَرَبَ الشَّمْسُ — سُبُ شَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَ — وَدَاءِ

ومعنى ذا البيت قريب من قوله^(٦):

/لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا

أ/21

غير أن في قوله: "سوداء" ضرباً من الهزء^(٧)! وقد حُكي عن المتنبي أنه قال: هزئت بكافور في هذا البيت^(٨).

(١) في الأصل (وحلاً)، أي: الفضل والمجد، لكن السياق - عليه - يظل مبتوراً.

(٢) أي: الممدوح. ويظهر أنه أراد أن يقول: (وسمى ذلك منبت المكرمات؛ لأنها... ومنبت النعم؛ لأنه...).

(٣) في الأصل (أنه).

(٤) في الأصل (يكررها) ويزايتها في الحاشية (تبرزها) بخط الناسخ، وهو الأولى لأنه يقابل ما بعده.

(٥) رواية ابن جني (يفضح)، الفسر ١/١٣٧.

(٦) أي: المتنبي، وقد سبق في القصيدة الأولى.

(٧) لأن الناس لم يعهدوا هذه الشمس، وينكرونها كل الإنكار، بل العادة قد استقرت على أن الأسود

لا يكون منيراً ولا مضيئاً. وقد أراد الواحد أن يتلمس وجهاً لهذه المناقضة، إذ يرى أن إنارة الممدوح

في سواده راجعة إلى شهرته، أو نقاء لونه، أو خلوصه من المعاييب. شرحه: ٦٣٢، وانظر: الوساطة

(٤٧٤)، ففيها اعتذار مفصل.

(٨) الفسر ١/١٣٧.

والطريف أنهم سارعوا في مساوئ المتنبي، حتى كأنه نبي ينكرُ عليه الهُزءُ!
وهذا الحسدُ^(١).

(١٦) إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ — — لَصِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

كُنِيَ بالثوب عن الجلد، يريد أن في نفسك من الكرم وحسن السَّجِيَّةِ نورًا يربي على كل نورٍ ويبهره. وقد يذكر الثوب ويراد به النفس؛ كقول امرئ القيس^(٢) (قرأته على الشيخ - رحمه الله - عن أبي الحسن):

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ بِيضُ الْمَسَافِرِ^(٣) غُرَانُ

فيجوز أن يكون المعنى: إن في نفسك.

وليس في الاستعارة ضرورة^(٤)، فيقال: إنه مستغن عن أن يكني بالثوب عن النفس؛ لاتفاق اللفظتين في الوزن. ومن ظن أن الاستعارة من ضرورات الشعر فقد غلط؛ لأن ذلك موجود في التنزيل والخطب: كقول النبي ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ"^(٥)، وقول الحجاج: "دَلُونِي عَلَى رَجُلٍ سَمِينٍ الْأَمَانَةِ". فلا يعتقد ذلك إلا من كان سليم الجانب!.

(١) هذا هو الإنصاف.

(٢) ديوانه: ٨٣.

(٣) في الديوان: (وأوجههم عند المشاهد)، أي: مشاهد الحرب والمعاهدات. وأشار المحقق إلى رواية (بيض المسافر)، انظر: صفحة ٣٩٨.

والمسافر: أنحاء الوجه ومقاطعته التي تبدل للناظر، وهذا كناية عن شرفهم وعلوهم.

(٤) انظر: العمدة ٤٦٨/١.

(٥) تمامه: (فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء).

أخرجه الشهاب في مسنده ٩٦/٢. وأورده الغزالي في الإحياء ٣٨/٢، والسخاوي في المقاصد الحسنة ٢٢١. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (حديث ١٤) وقال: إنه ضعيف جداً.

(١٧) إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّاسِ — فَمَنْ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقِبَاءِ

يقول: إن جوهرك الكريم بمنزلة البياض في لباس أسود، فَحَسَنُهَا خَيْرٌ مِنْ حَسَنِ الرداء، كما قال عبد بني الحسحاس^(١):

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حَرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ الْخَلْقِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ

قاتله الله! فقد أتى بما لا يشقُّ غباره!

وشبه المتنبي الجلد بالقباء من حيث إن الإنسان إذا اختبر وعُرف مكنونه صار بمنزلة من يكشف عنه ثوبه ليعرف لونه.

(١٨) كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ، وَذَكَاءٌ فِي بَهَاءٍ، وَقُدْرَةٌ فِي وَقَاءٍ

يريد أن هذه الخصال كلها قد اجتمعت فيه، وامتنح بعضها ببعض، حتى كأن كل واحدة منهن كصاحبته؛ لشدة الاشتباك، أي: لا يعرى من جميعها أبداً. فقوله: "كرم في شجاعة" يجوز أن يكون مثل قوله^(٢):

وَكأنه مَا لَا تَشَاءُ عِدَاتِهِ

أي: قد اجتمع [فيه] الكرم والشجاعة. وأن يكون مثل قول البحري^(٣):

وعفا كما صَفَحَ^(٤) السحاب، ورعده قَصِفُ، وبارقه حريقُ مُشْعَلُ

(١) ديوانه: ٥٥ (تحقيق: الميمني).

(٢) أي: المتنبي، وقد سبق في القصيدة الأولى.

(٣) ديوانه ١٥٩٦/٣، يمدح المتوكل.

(٤) رواية الديوان (كما يعفو)، وأشار محققه إلى رواية (كما صفح).

لأن معناه أنه يعفو عند التسلط والشجاعة. وقوله: "وقدرة في وفاء" مقارب للأول،
كما قال^(١):

والعفو عن قدرة فضل من الكرم

(١٩) مَنْ لَبِيضِ الْمَلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ نَ بَلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّخْنَاءِ
السَّخْنَاءُ: الهَيْئَةُ، وكذلك السُّحْنَةُ.

(٢٠) وَتَرَاهَا^(٢) بُنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا نِ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ

الضمير المنصوب في "تراها" يعود إلى الملوك. يقول: من لها أن تكون على هيئة
كافور، فيلاحظها أرباب الحروب بالعيون التي تلاحظ بها كافوراً، فتحصل لها جلالته،
وعظمته^(٣) في الظاهر. ولم يجعل للملوك حظاً في سجاياه التي وصفها، وإنما أراد أنهم
يجبون أن تنقلب هيئاتهم إلى هيئته فيعظموا تعظيمه.

وأنتَ البنين في قوله: "تراها" وإن كان فيه الواو والنون؛ لأنه ليس على حده في
(مسلمون) ألا ترى أن حكم جمع السلامة أن لا يتغير فيه مثال الواحد؟ فكان يجب
أن يقال: ابنون، أو يقال في الواحد: بَنٌ، وبنون، فلما كان الواحد مخالفاً للجمع، إذ كان
فيه ألف وصل - وكذا التثنية؛ لأنك تقول: ابنان - علمت أن (بنون) ليس بمنزلة
(مسلمون)، فصار بمنزلة (ثلاثون) في أن الواحد فيه^(٤) يفيد الجمعية فقط، وليس

21/ب

(١) سالم بن وابصة، من قطعة له في الحماسة (شرح المازوني ٣/١١٦١)، والبيت بتمامه:

إن من الحلم ذلاً أنت عارفه والحلم عن قدرة فضل من الكرم

(٢) في أغلب الشروح (فترها) بالفاء، ورواية الشارح موافقة للديوان ٤٤٥.

(٣) في الأصل (عظم).

(٤) أي: في هذا الباب، وهو الملحق بجمع المذكر السالم. والمقصود بالواحد هنا: اللفظ أو الصيغة، لا ما
يقابل الجمع.

جمعاً على حد (مسلمون)، فجاز أن يؤنث كما يؤنث الأبناء؛ لأنه قد شابهه^(١) من حيث إن صيغة الواحد لم تسلم فيه، كما لا تسلم في أبناء. ولولا هذا لم يجز ذلك، كما لا يجوز أن تقول: المسلمون خرجت، البتة، ولا: الزيدون قامت، وإنما الكلام: قاموا، ويجوز أن تقول: الزيدون قامت، كما تقول: الرجال خرجت؛ لأن هذا تكسير، فيجري مجرى سائر المجموع نحو: الكعاب والكلاب.

و(بناتٌ) بمنزلة (بنون) في هذا؛ لأن الألف والتاء فيها ليسا على حدتهما في (مسلماتٍ) إذ لو كانا كذلك لوجب أن يقال: بنات أو [أ]بناتٌ، فهو بمنزلة (أرضون) في أنه بمنزلة المكسّر؛ إذ الواو والنون لا تكون في غير الأدميين. فبنات بمنزلة هنود، في أنه تكسير، كما أن (أرضون) بمنزلة أرضاتٍ. فافهمه.

وإليه أشار شيخنا رحمه الله^(٢).

(٢١) يَا رَجَاءَ الْعَيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَكَ رَجَائِي

يقول: إنَّ العيون كلها تشتاق إلى لقائك؛ لأنك تقرها بالبر والإفضال. و"في كل أرض" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون حائلاً للعيون، فكأنه قال: يارجاء العيون كائن^(٣) في كل أرض، أي: أن كل أحدٍ يحب أن يلقاك.

والثاني: أن يكون حائلاً منه، فكأنه قال: يارجاء العيون كائناً في كل أرض، ويكون المعنى مثل الأول، فيقول: إن العيون كلها ترجو رؤيتك أي موضع كنت، ويكون فيها دلالة على أن جميع الناس يحبون أن تكون والياً عليهم، ليصل إليهم عدلٌ ويشملهم فضلٌ، كما قال البحري^(٤):

(١) في الأصل (شابه).

(٢) لا أعلم لشيخه كتاباً مطبوعاً ولا مخطوطاً.

(٣) في الأصل (كائناً)، ولا يوافق مراد الشارح، كما أنه تكرر للوجه الثاني.

(٤) ديوانه ٦٤٤/٢، يمدح أبا ليلى الحارث بن عبد العزيز.

زار العراق فقال الأهليون له: أهلاً، ورَحَّبَ من أنس به البلدُ

(٢٢) وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي قَبْلَ أَنْ تَلْتَقِي، وَزَادِي وَمَائِي

المعنى: أن الفيافي التي قطعتها إليك قد أبادت ما صحبني، يقصد الدلالة على ما لحقه من المشقة، ويستمطر غمام الجود.

(٢٣) فَارْزَمْ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي^(١) أَسَدُ الْقَلْبِ أَدْمِي الرُّوَاءِ

"ما" في قوله: "ما أردت" موصول بمنزلة الذي، فكأنه قال: فارم بي الأمر الذي قصدت مني، كما تقول: قد أتيتك فمرني ما أردت تكليفه إياي. ويجوز أن يكون فيه معنى الجزاء، كأنه قال: فارم بي أي أمر أردت، كما تقول: كلّني أي أمر تريد. فأردت في القول [الأول] فعل ماض، وعلى القول الثاني بمعنى المستقبل، كما أنك إذا قلت: إن خرجت خرجت، كان المعنى إن تخرج أخرج.

يقول: رَشَحْنِي لِأَيِّ أَمْرٍ أَرَدْتَ؛ فَإِنِّي -وإن كنت آدمي المنظر- كالأسد في مضاء القلب. وقريب منه قول أبي تمام^(٢):

هو الليث ليث الغاب بأساً ونجدةً وإن كان أحياء منه وجهاً وأكرماً

ووصف بالعين الذي هو الأسد -[نحو] مررتُ برجلٍ أسدٍ شدةً - ففيه ضمير^(٣)، كما أنك لو قلت: إني حسنُ الوجه كان كذلك، ولو أراد العطف على الضمير أبرزه، فقال: فإنني أسدُ القلب أنا وزيدٌ، كما تقول: إني حسنُ الوجه أنا وعمرو، وكذا تقول: مررتُ برجلٍ أسدٍ هو وعمرو. ومثل هذا قول الآخر^(٤):

(١) ويروي: (فارم بي حيثما أردت فإنني ...). النظام ق/ ٨٠.

(٢) ديوانه ٢٤٣/٣، يمدح محمد بن سعيد الثغري.

(٣) أي: أن أسداً -هنا- وإن كان عيناً وذاتاً، فإنه مؤول بالمشتق الذي يتحمل ضميراً، نحو: شجاع أو جريء.

(٤) سبق في ١٧٥.

لأبَتَّ وَأَنْتَ غَرِيَالُ الْإِهَابِ

على ما تقدّم من أنه أجراه مجرى قولك: منخرق الإهاب.

(٢٤) وَفَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

/ هذا يحتمل وجهين: ١/22

أحدهما: أن يكون مضافٌ محذوفٌ، كأنه قال: وفوادي من أفئدة الملوك، ولساني من ألسنة الشعراء فكأنه قال: إني وإن عُدت في جملة أصحاب الشعر؛ لأنني شاعر، فليس همّي من نمط هممهم، بل لها سموّ الملوك والسادة، وقلبي لا يرضى بمراتب الشعراء، وإنما يطلب معالي الأمور، كما يقول^(١):

وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيِّ مَا لَهُ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مَرَادِ أَحَدُهُ

والوجه الثاني: أن يكون جعل فؤاده ملكاً ولسانه شاعراً على السّعة، كما قال في موضع آخر^(٢):

فَلَا تَغْرُزُكَ أَلْسَنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُهُنَّ أَفئِدَةُ أَعْمَادِي!

فجعل اللسان ولياً، والفؤاد عدواً كما ترى. وهذا في نهاية الوضوح.

وحكمته أن الأصل في السموّ والتعظيم: القلب، وفي الشعر اللسان، ولولاهما [لم] ينتظم أمر واحد من الشيين، فلما كان كذلك صار القلب كأنه الملك في الحقيقة، واللسان كأنه الشاعر.

(١) الديوان ٤٥١.

(٢) الديوان ٨٠، من قصيدة في مدح علي بن إبراهيم التنوخي.

وهو من نمط قولهم: العَيْنُ لِلطَّلِيعة^(١)؛ وذلك أنه لما كان يحتاج في ذلك الشأن إلى العين من بين جوارحه غُلِبَتْ^(٢) على جميعها، فصار كأن العينَ هي الطليعةُ في الحقيقة، فوُضِعَتْ عليه. ونظائرُ ذا شائعة.

(١) الطليعة: هو الجاسوس، الذي يتطلع إلى أحوال العدو وأخباره.

(٢) في الأصل (عليه).

(٤)

وقال يمدح سيف الدولة، وكان أمره بإجازة أبيات على هذا الوزن وهذا الروي^(١)،
سنة ثلاث وثلاثمئة^(٢) (من أول الكامل، والقافية [متدارك]):

(١) عَذْلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ^(٣) وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ^(٤)

الشعر همزي، وإن كان الهاء في "التائه" أصلاً^(٥) - لكونه من تاه يتيه ويتوه - لأجل أن الهاءات التي من بعد لا يجوز أن تكون حرف روي؛ لأن هاء "سودائه" هاء الإضممار، وهاء الإضممار لا تكون رويًا إذا تحرك ما قبلها^(٦)، لوقلت في قافية: ضربه، وفي أخرى: صرعه، لم يَجْزْ؛ لأجل أن الهاء على هذا الوجه لا يكون رويًا، وإذا كان [كذلك] وجب أن يكون ما قبله هو الروي، فإذا جعلت الباء في (ضربه) رويًا لم يجز أن يكون مع العين؛ للاختلاف. وإذا كان الأمر على هذا وجب أن تكون الهمزة في "التائه" حرف روي، ويكون الهاء وصلًا^(٧) وإن كان من أصل [الكلمة] ولم يكن هاء إضممار - كالهاء في "سودائه" - لأجل أنهم يجرون الأصل مجرى الزائد، فيجمعون بينهما في الوصل، قرأت على شيخنا - رحمه الله - عن أبي الحسن^(٨):

(١) ستأتي هذه الأبيات بعد الانتهاء من شرح أبيات المتنبي.

(٢) كذا بالأصل، وهو خطأ محض؛ لأن هذا التاريخ هو مولد أبي الطيب! ولم أجد أحدًا من الشراح ومؤرخي الأدب نصّ على تأريخ هذه القصيدة، إلا أن الذين يرتبون الديوان تأريخيًا يجعلونها بين قصيدة أنشدت سنة ٣٤١ هـ، وقصيدة أنشدت سنة ٣٤٢ هـ.

(٣) عند أبي اليمن الكندي (قلبي التائه)، شرحه: ٥٥٠، وكذا في معجز أحمد ٣/٣١٣، وهي رواية لم يستحسنها الواحدي (٥٠٧)، قال: لأنه لا يقال: تاه قلبه.

(٤) سوداء القلب وسويداؤه: علقه سوداء في جوفه، كأنها قطعة كبد. خلق الإنسان للأصمعي (الكنز اللغوي: ٢١٨)، وعنه ابن جني في الفسر ١/٢٧.

(٥) في الأصل (أيضًا) تحريف.

(٦) ذكر نحوًا من ذلك ابن جني، الفسر ١/٢٧. وانظر: القوافي للأخفش: ١٠، والكافي للتبريزي: ١٥٠.

(٧) الوصل في علم القوافي هو: حرف مد ناشئ عن إشباع حركة الروي، أو هاء - ساكنة أو متحركة - تلي الروي. الكافي: ١٥١، والعيون الغامزة: ٢٤٧.

(٨) لم أجد ههما في ما بين يدي من كتب الأخفش. وهما بلا نسبة في اللسان (ضور) و(حدق) و(فره). وثانيهما في الفسر ١/٢٧.

صَوْرِيَّةٌ ^(١) أُولَعْتُ بِاشْتَهَارِهَا
أَعْطَيْتُ فِيهَا طَائِعًا أَوْ ^(٢) كَارَهَا

فجعل لام (كره) مع هاء الإضممار في "اشتعارها". والراء في "كارها" بمنزلة الهمزة في "التائه" في أن كل واحد منهما روي، وأن الهاء بعده وصل، وإن كان أصلاً ولا مفعلاً، في مثل قوله ^(٣):

صحا القلب عن سلمي وقد كان ^(٤) لا يسلو وأقصر من سلمي التعانيق والثقل

فالواو في (يسلو) لام الفعل، وقد أجري مجرى الواو المزيده الناشئة من إشباع الضمة في قوله: "والثقل"، فكما أن اللام هنا حرف الروي، كذلك الهمزة في "التائه" هي الروي، وإنما منعنا أن يكون الواو في "يسلو" حرف روي - وإن كان حرفاً أصلاً - لأجل أن ذلك يؤدي إلى فساد ما يليه؛ لأن الواو في "الثقل" لا يجوز أن يكون رويًا البتة؛ لأنها زيادة نشأت من إشباع الضمة. فافهمه؛ لأنك تحتاج إليه في مواضع.

"والتائه": المتحير، يقال: تاه يتيه ويتوه تيهًا وتيهًا، وهو أتيه من فلان وأتوه منه، والتيه: البلد القفر؛ لأن سالكه يتيه / فيه، فهو موضع التيه، كما قالوا: المهلكة؛ لأنه موضع الهلاك.

ب/22

ومعنى البيت: أن عدل العاذلات لا يصل إلى جوف قلبي، وإنما يدور حوله. وقوله: "منه" زيادة لا يفتقر إليها، وإنما جاء به للتوكيد والإفراط في البيان، وذلك أنه إذا قال: وهوى الأحبة في سودائه، علم أن السوداء من القلب لا من غيره، وإنما يحتاج إلى "منه" إذا لم يأت الضمير: نحو قولك: وهوى الأحبة منه في السوداء، كقوله ^(٥):

(١) ضورية: امرأة من بني ضر، وهم حي من زهران. وفي الأصل (حسه)، لعله تحريف عما هنا.

(٢) في الأصل (و) بدل (أو).

(٣) زهير، ديوانه ٩٦.

(٤) في الديوان (وقد كاد)، وأشار محققه إلى رواية (كان).

(٥) بلا نسبة في العقد الفريد ٥/٤٨٥، واللسان (قطع)، وهو من شواهد العروضيين. انظر: الإقناع: ٤١،

والكافي: ٧٨.

القلب منها مستريحٌ سالمٌ والقلب مني نافر^(١) مجهودٌ

فهو بمنزلة أن يقول: قلبي مني^(٢) مشغول، وهذا بيان لا يفيد غير التوكيد؛ لأنك إذا قلت: قلبي، عُلِمَ أنه منك؛ إذ قلب غيرك لا يضاف إليك.

فهو قريب من قوله عز وجل: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٣) لأجل أن (أجمعون) ليس فيه من البيان إلا ما في (كلهم).

كما أن "منه" ليس فيه فائدة متجددة؛ لأنك إذا قلت: زيد في جوف الدار، علم أنه ليس حولها، ولا في طرف منها، فلو قلت: في جوف الدار منها [لكنت] ذاكراً [ما] لا يُحتاج إليه، ولا يفيد. غير أن بيت المتنبي أحسن قليلاً؛ لأنه قدّم "منه" وجعله بياناً معجلاً، فكأنه أراد أن يقول: وهوى الأحبة من القلب في السوداء، إلا أنه لما احتاج إلى الضمير للقافية لم يعتدّ بتقديمه "منه" وسلك طريقة التوكيد. وليس كذلك قولك: زيد في جوف الدار منها؛ لأن (منها) مؤخر، وذكر الدار قد تقدّم، فالإتيان به - أعني (منها) - رديء جداً، فاعرفه.

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف^(٤):

لوشقّ عن^(٥) قلبي قُري وسطه ذكرك، والتوحيد في سطر

(١) في المصادر (جاهد).

(٢) في الأصل (منه) تحريف.

(٣) سورة الحجر الآية: ٣٠.

(٤) العباس بن الأحنف شاعر عباسي، برع في الغزل، يقال: إنه لم يتجاوز به إلى مدح أو هجاء، وهو شاعر مقدم عند الأدباء توفي سنة ١٩٢ هـ. ترجمته وأخباره في الشعر والشعراء ٨٣١/٢، والأغاني ٣٥٢/٨، وطبقات ابن المعتز: ٢٥٣.

والبيت في زيادات ديوانه: ١٢٠ (تحقيق: عاتكة الخزرجي).

(٥) في الأصل (على) تحريف.

(٢) يَشْكُو الْمَلَامُ إِلَى اللَّوْنِمْ حَرَّةً وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرَحَائِهِ

المعنى: أن العواذل يوجهن اللوم إلى فؤادي فهو يحوم حوله، ولا يصل إليه، ثم إنه يشكو ما يصيبه من حرارة فؤادي ولهيب الحب فيه، ويعرض عن شدته؛ مخافة أن يحترق، فكلما قرَّبه اللوم من قلبي نفر، وتباعد عنه، وشكا إليهم لفحة الشوق ووقدة ناره^(١).

والصد: الإعراض، يقال: صد عنه، وصددته عنه، وهذا مثل قوله^(٢):

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ إِلَهُهُ، فَجَبَرَ

في أنه جاء على فَعَلَ متعدياً وغير متعدٍ، ومثل ذلك: خَسَأْتُ الْكَلْبَ فَخَسَأُ^(٣)، ولا يجوز أن يكون (خَسَأْتُ الْكَلْبَ) صادراً على حذف حرف الجر؛ لأنهم قالوا: انخسأ، ولو كان في الأصل مبنياً على غير المتعدي في كل وجه، لما جاز أن يجيء (انفعل)، كما أن ذهب لا يجيء منه انذهب؛ لأجل أنه يتعدى بالباء وبالهمزة نحو: ذهبت به، وأذهبت به، وانفعل إنما يجيء في الفعل الذي يصاغ على التعدي في أول أحواله، نحو: كسرتة فانكسر، وقطعته فانقطع. فإن قيل: خَسَأْتُ به، فعلى قول من جعله غير متعد. وتقول: خَسَأَ يَخْسَأُ خُسُوءًا، مثل: نَفَرَ يَنْفِرُ نَفُورًا، وخَسَأَتْهُ خَسَاءً، مثل: زجرته زجراً، ونفيتُ نفياً، وردعتُ ردعاً، وقدعتُ قدعاً^(٤). وموضع الشبهة^(٥) أن مَنْ قال: خَسَأَتْهُ، فلا يجوز أن يكون على حذف الجار؛ لأجل مجيء (انخسأ)، كما أن مَنْ قال: جبرته لم يجز أن يقال: إنه على جبرْتُ به؛ لقولهم: انجبر، وجبر هو يجبر جبراً. ولو كان (انخسأ) غير وارد لكان من الواجب أن لا يُحمل (خَسَأَتْهُ) على حذف الباء - مع كثرة

(١) في الأصل (ووجهه ثارة)، فلعله تحريف لما أثبت.

(٢) هذا مطلع أرجوزة العجاج المشهورة، يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر، ديوانه: ٦٣ (تحقيق: عزة حسن).

(٣) أي: طردته وأبعدته، فولئ.

(٤) قدعه: منعه وكفه. الصحاح (قدع).

(٥) في الأصل (الشبه).

23/أ

الاستعمال، وشياعه عارياً من الباء^(١) - لأجل أن الحذف اتساع، فالحمل على الاتساع / مع وجود المندوحة عنه مردودٌ عند أهل النظر والقياس، فكيف وقد جاء (انخساً) وهو يقتضي فعلاً مَصوغاً على التعدي؟ فاعرفه.

(٣) وَيُبْهَجِي - يَا عَاذِلِي - الْمَلِكُ الَّذِي أَسَخَطْتَ أَغْذَلَ مِنْكَ فِي إِرْضَائِهِ^(٢)

قولهم: بنفسي [فلان]، لا يخلو من أمرين:

أحدهما: أن يكون (فلان) مبتدأ، و(بنفسي) خبراً مقدماً حتى كأنه قيل: فلان مَفْدِيٌّ بنفسي، فيكون مثل قولك: في الدار زيدٌ، تريدُ: زيدٌ في الدار، وما يتعلق [به] (في) تُرِكَ استعماله، كما أن ما يتعلق به الباءُ في (بنفسي) كذلك.

والوجه الثاني: أن يكون هنا فعلٌ مقدّر، يكون الاسم الذي هو نحو فلان مرتفعاً به، وترك لدلالة الحال عليه، فكأن التقدير: فُدِيَ فلانٌ بنفسي، فيكون مثل قولهم: (جُعلت فداءه) في المبنى والمعنى.

والكلام دعاءً على القولين، إلا أن القول الأول بمنزلة قولهم: رحمة الله عليه، في أنه جملةٌ من مبتدأ وخبرٍ قد دخلها معنى الدعاء، إذ التقدير فيه: فلانٌ مَفْدِيٌّ بنفسي، ففلان مبتدأ، ومفديٌّ خبره، كما أن (رحمة الله) مبتدأ، و(عليه) الخبر، فاعرفه، فهو ما اقتضاه القياس والنظر الصحيح.

فإجراء "الملك" في البيت مجرى (فلان) في المسألة التي مثلنا بها.

وعدل عن ذكر العواذِل إلى مخاطبة عاذل واحد. لا يدل هذا على أنه لم يرد جمع عاذِلَةٍ ولائِمَةٍ، ألا ترى إلى (٣) قوله: "يلمن"؟ وذلك لا يكون في الرجال البتة.

(١) في الأصل (الهاء) تحريف.

(٢) ويروى (أسخطت كل الناس في إرضائه)، شرح الواحدي: ٥٠٧، والتبيان ٢/١، وهذه الرواية أعم معني، وأخف لفظاً.

(٣) في الأصل (في) تحريف.

ومعنى البيت: أنه قد قصدي باللوم في موالاة هذا الملك من هو أنفذ منك سهاماً، وأبلغ ملاماً، فلم أعبأ به، ولم أصغ إليه، وطلبت رضا الممدوح بسخطه! فكيف تؤمل أيها العاذل - مع هذه القضية - أن أنخرط في سلكك، وأجري على مقتضى أمرك؟! وقريب منه قول ابن المعتز^(١):

أيها العذال لا تعذلو إنما النصح لمن يقبل

(٤) إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ

قوله: "بأرضه وسمائه" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الكلام على ظاهره، فكأنه جعله مالِكاً لما يشتمل الأرض والهواء. وجاز أن يضيف الأرض والسماء إلى الزمان لأجل أنهما فيه ومختصان به، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾^(٢). فأضافهما للزمان الدنيوي خاصة.

والوجه الثاني: أن يكون ذَكَرَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ^(٣) استعارةً، فكأنه جعل الزمان بأجمعه مملوكاً له، فهذا قريب من الأول في معنى الإغراق، غير أنه أقرب قليلاً إلى القصد.

والباء في الوجه الأول بمنزلة قولك: جاءني بعشيرته، [أي] جاءني وهو معهم، فاعرفه.

والمعنى: أنه إذا كان مالِكاً للزمان بأسره فلا غرو أن يملك القلوب. ولا ينبغي أن يقال: إنه إذا ملك الزمان بأجمعه فقد ملك القلوب أيضاً؛ لأنها داخلة في جملته وكأنه فيه! لأجل أن ملك الزمان ليس من جنس ملك القلب؛ لأن ذلك يكون بالتغلب والقوة، ويكون هذا بالإحسان والمبرة.

(١) ديوانه ٤٠٩/١ (دارالمعارف).

(٢) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٣) في الأصل (السموات)، وكتب فوقها (السماء)، وهو أولى.

فإن قيل: كيف جعل الجواب الذي هو قوله: "فإنه ملك الزمان" مخالفاً لما قبله (من قوله: "إن كان قد ملك القلوب") من حيث ذكرت أن القلوب لا تملك من حيث يملك [الزمان]، فلا يبعد أن يملك الزمان وأهله ولا يملك القلوب؟

فالجواب: أنه يكون على وجهين:

23/ب أحدهما: أن يريد أن الزمان قد انقاد له من غير قهر؛ لأجل أنه أحبه، / ورآه أهلاً لأن يكون مالكه، كما قال في موضع آخر فيه أيضاً^(١):

ولما رأيت الناس دون محلِّه تيقنت أن الدهر للناس ناقد

فكانه قال: إن الزمان إذا صار مملوكاً له لفضله لكان أن يصير القلوب بهذه الصفة أولى؛ لوقوف أصحابها على فضائله واستحقاقه أن يكون سيِّداً ومالكاً.

والوجه الثاني: يريد أنه إذا كان قد أوتي من العلم والبسطة والرأي ما يتوصل به إلى امتلاك الزمان بأسره، ويعرف أسباب ذلك ويتأق لها لم يستبدع أن يملك القلوب بالإحسان والبر. ويوضح ذا قوله^(٢):

بصير بأخذ الحمد من كل موضع ولو خبأته بين أنيابها الأسد!

ألا تراه وصفه بالتأني لتحصيل الحمد؟! وإنما يكون ذلك بعد أن يسترق القلوب بالإفضال والإكرام حتى يُطلق الألسنة في مدحه وحمده. فاعرفه، فإنه جليّ.

(٥) الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ، وَالنَّصْرُ مِنْ قَرَنَائِهِ، وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ

قوله: "الشمس من حساده" قريب من قوله^(٣):

(١) الديوان ٣١٢.

(٢) أي المتنبي، ديوانه ١٩٢، يمدح الحسين بن علي الهمداني.

(٣) سبق في القصيدة الأولى.

لم تلق هذا الوجهَ شمسُ نهارنا إلا بوجهٍ ليس فيه حياءُ

يقول: إن الشمس تحسدهُ على حسن وجهه. "والنصر من قرنائه" يريد أنه منصور في كل حال. وقال: "من حساده" وإن كان "الشمس" [مؤنثاً] لأجل أنه لما أثبت له حاسدين غلب التذكير، فصار بمنزلة أن تقول: هند من أصحابي، كما تقول: الأخوان جاءني، تريد: الأخ والأخت. وإنما جعل له حساداً؛ لأجل أن ذلك يدل على الشرف وعلو الشأن، ألا ترى إلى قول البحري^(١):

وكفاني على الذي يوجد الفضُّ لُ لديه بالحاسدين دليلاً!

وقوله^(٢):

ولن تستبين الدهرَ موضعَ نعمةٍ إذا أنت لم تُدَلِّ عليها بحاسدٍ

وقوله: "والسيف من أسمائه" يريد أنه يسمّى سيف الدولة، وقوله: "السيف" يريد الاسم لا المسمّى^(٣)، فكأنه قال: ولفظ السيف من أسمائه. لو حملت الكلام على الظاهر صار بمنزلة قولك: وجوهر الحديد من أسمائه! وهذا محال؛ لأجل أن الأسماء ألفاظ، فكيف يكون الحديد منها؟! فإذا سلكت بها المنهاج الذي ذكرت كان بمنزلة أن تقول: وهذا الاسم من أسمائه، فيكون بمنزلة قولك إذا قيل لك: ما اسمك؟ فقلت: زيدٌ، ألا ترى أن السؤال لم يقع عن نفسك، وإنما تتناول^(٤) المسألة والاستفهام سِمَتَكَ التي تعرف بها؟! فإذا أنت تريد بقولك في الجواب: (زيدٌ) اللفظ فقط؛ إذ الجواب يصدر على موجب السؤال.

(١) ديوانه ١٧٦٦/٣.

(٢) ديوانه ٦٢٢/١.

(٣) مثله في الفسر ٣٥/١.

(٤) في الأصل (يتأول).

فإن قلت: فإذا كان الأمر على ما وصفت، فهلا قال: وسيف الدولة من أسمائه! لأجل أنه إذا أراد ذكر اللفظ كان إدخال اللام عليه محالاً؛ لأجل [أنه] زيادة في العلم وحذف منه^(١)! ولو جاز [ذلك، لجاز] أن تقول -إذا قيل لك: ما اسمك؟- العبد، تريد عبد الله، وهذا محال؛ من حيث هو إخبار بحال المسؤول عنه!

فالجواب: أن الأمر كما ذكرت، غير أن الذي سوَّغ له ما صنع شهرة الممدوح بذلك، حتى لا يشكَّ أحدٌ في أنه^(٢) يريد سيف الدولة، ويعلم أنه لا يسمى السيف^(٣)، فأق بلفظ يدل على مقصوده. وإنما لم يجز أن تقول -في جواب من سألك عن اسمك-: العبد، وأنت تريد عبد الله؛ لأن ذلك لا يعلم، ويلتبس، ولو كان السائل يعرف اسمك لما استفهم! فإذا كان الحال هذه وجب أن تحيد من جانب الشبهة، وتفارقه، وقول /المتنبي بخلافه؛ لأن المقصود فيه لا يخفى. ويقاربه قوله^(٤):

1/24

وَكُلُّ صَمَوْتٍ ثَلَاثَةٌ تَبْعِيَّةٌ وَنَسِجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٥)

أراد سليمان، فحذف الألف والنون، هذا مع ما أنه غلط، فظن أن الدرع منسوبة إلى سليمان، وإنما هي لداود -عليهما السلام.

وإذا جاز هذا الحذف مع خفاء المقصد كان بيت المتنبي مع انكشافه ووضوحه أولى بالجواز.

فإذا قلت: فما وجه المدح في قوله: "والسيف من أسمائه" بعد هذا كله؟ وهل يكون بإزاء قوله: "الشمس من حساده"؟

(١) زيادة بإدخال (أل)، وحذف منه أي: حذف المضاف إليه (الدولة).

(٢) في الأصل (فواته)!

(٣) أي: (السيف) مفرداً، وإنما يُسمى به مضافاً إلى الدولة.

(٤) النابغة الذبياني، ديوانه: ١٤٦ (تحقيق: أبو الفضل).

(٥) أراد بالصموت: التي لا صوت لها لإحكامها، والثلة والذائل: الدرع السابغة الواسعة. والتبعية: منسوبة إلى تبع -لقب ملك اليمن- لأنهم اشتهروا بصناعة الدروع. والقضاء: الدرع الحديثة الخشنة. (من شرح الديوان، الموضع السابق)

فالقول: أن غرضه الإخبارُ بأن الممدوح سَمِيَ سيفَ الدولة لمضاء رأيه، ونفاذِ عزمه، وهيبته بالنفوس، وما شاكل ذلك من الخلال^(١) المشاكلة لأوصاف السيف. فقد اشتمل البيت على الوصف بالجمال والبهاء، وهو قوله: "الشمس من حساده"، ودوام القدرة، وذلك قوله: "والنصر من قرنائه"، والقوة والنفاذ، وهو قوله: "والسيف من أسمائه".

ويقرب منه قوله^(٢):

وما كل سيفٍ يقطعُ الهامَ حَدُّه وتقطعُ لُزَيَاتِ الزمانِ مكارمُه^(٣)

فاعرفه.

(٦) أين الثلاثة من ثلاثٍ خِلَالِه^(٤) مِنْ حُسْنِه، وإبائِه، ومضائِه؟

يريد بالثلاثة: السيف، والنصر، والشمس. وهذا يقوِّي ما ذكرته، ألا ترى أنه جعل السيف من الثلاثة؟ وهو لم يذكر عين^(٥) السيف في البيت الذي تقدّم كما ذكر عينَ الشمس والنصر، وإنما أراد اللفظ، على ما قدّمناه، غير أنه لما كان مقصوده به أن يصفه بالمضاء، وأنه سَمِيَ باسمه لمقارنته له، صار كأنه قد ذكر جوهرَ السيف، فقال: "أين الثلاثة؟" نافيةً أن واحداً منها يبلغ مبلغه: فهو في الجمال والبهاء فوق الشمس، وفي الإباء فوق النصر، بمعنى أنه يجلُّ عنه [كما قال]^(٦):

فالفخر عن تقصيره بك ناكب

(١) في الأصل (في انحلال) تحريف.

(٢) أي المتنبي، ديوانه ٢٤٩، يمدح سيف الدولة.

(٣) اللزيات: جمع لزبة وهي الشدة. التبيان ٣/٣٤٢.

(٤) رواية ابن جني "من ثلاث خصاله" الفسر ١/٤٩، وكذا النظام ق/٤٨.

(٥) في الأصل (غير) تحريف.

(٦) أي المتنبي، وقد سبق في القصيدة الأولى.

وفي المضاء فوق السيف. فقولته: "من ثلاث خلاله" عبارة عن هذه الأشياء التي ذكرناها، وقد فسّر [ها] بقوله^(١): "من حسنه وإبائه ومضائه" فهذا بدل من قوله: "من ثلاث خلاله" وأعاد "من" كما أعيد اللام في قوله عز وجل: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾^(٢) لأن (من آمن) بدل من (الذين استضعفوا)، وقد كرّر اللام كما ترى.

و"من ثلاث خلاله" متعلق بقوله: "أين الثلاثة" لأن الكلام قد انطوى على معنى الفعل، كأنه قال: أين تقع هذه الثلاثة من ثلاث خلاله؟ إذ هو مُخْرِجٌ مُخْرَجُ الإنكار، فإذا قلت: أين زيد من هذا الأمر؟ فكأنك قلت: أين يقع منه؟ ألا ترى أنك [لا] تجعله ممن يَقْدِرُ عليه، حتى تسأل عن مكانه؟! فاعرف ذلك.

(٧) مَضَتْ الدُّهُورُ مَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزَنْ عَنْ نُظْرَائِهِ

المعنى: أنه لم يُرْمَثْ هذا الممدوح في الزمان السالف، ولما أتى الآن كان منقطع القرين، فلا نظير له في شأنه. وجعله كأنه أتى بنفسه. يقول: إن الله لم يخلق قبله مثله ولا بعده. ولو فسّرنا هذا البيت على ظاهر اللفظ لخرج إلى نمط من الإلحاد، وذلك أنه جعل الممدوح كأنه قد يكون من غير صانع، ثم زعم أن الدهور لم تقدر على أن تأتي له بمثل مع أنها رأتُه وعرفت مثاله! فهو قريب من قوله^(٣):

"من يهتدي في الفعل"

(١) في الأصل (بقولك).

(٢) الأعراف: ٧٥.

(٣) سبق في القصيدة الأولى:

من يهتدي في الفعل، ما لا يهتدي في القول - حتى يفعل - الشعراء

لأنه زعم أن^(١) الشعراء^(٢) يقدرّون على وصف فعله إذا رأوا مثله، وذكر هنا أن الزمان عجز عن الإتيان بمثله مع وجود المثال، فهذا في الظاهر من النمط الذي يُعاذ بالله منه! غير أن الحقيقة ما ذكرت من قوله: إن الله عز وجلّ / لم يخلق مثله قبلاً وبعداً.

24/ب

والأبيات التي صدرت عنها: هذه إجازة لها، هي هذه^(٣):

- ١- يا لائمي كُفّ الملام عن الذي أضناه طولُ سقامه وشقائه
- ٢- إن كنت ناصحه فداو سقامه وأعنه ملتمساً لأمر شفائه^(٤)
- ٣- نفسي الفداء لمن عصيت عواذلاً في حبه، لم أخش من رقبائه
- ٤- الشمس تطلع من أسرة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه

هذه أبيات عذبة الألفاظ، سلسلة المعاني، وأبيات المتنبي لا تتضع عنها لفظاً، وتُربي عليها معنى [و]مدحاً، ألا ترى أن قوله: "وبمهجتي ... بإزاء قوله: "نفسى الفداء ..." وبينهما من التفاوت ما ترى، وهو أن المتنبي ذكر أنه عصى من هو أعلى مرتبة ممن يعذله ويخاطبه الآن، ووصف نفسه بأنه قديم الحب، معتاد لعذل العواذل، معروف بقلّة المبالاة بهم، وليس في بيت هذا الرجل شيء من هذه المعاني، وما زاد على أنه عصى عواذل على الإطلاق. وأما قوله: "الشمس تطلع" فلبيت المتنبي (هو قوله: "الشمس من حسّاده...") عليه من الفضل ما للشمس على البدر من حيث المدح والمبالغة! ولهذا البيت سبكٌ حسنٌ وعذوبةٌ، وفيه -أيضاً- فضيلة الجمع بين الشمس والبدر^(٥)، فاعرفه.

(١) (أنّ) كتبت بالأحمر بخط صغير، والسياق يقتضيها.

(٢) أضيفت هنا (لا) بالأحمر، أي: (لا يقدرّون ...)، وهذا ذهاب إلى معنى الرواية الأخرى في البيت، أعني رواية (حتى يبعث الشعراء) كما سبق ذكره، ومراد الشارح هنا بخلاف ذلك، كما يدلّ عليه السياق.

(٣) الأبيات لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب، مؤدب سيف الدولة، انظر: شرح الواحدي ٥٠٦، والتبيان ١/١، وشرح أبي اليمى الكندي ٥٥٠، والديوان ٣٤١.

(٤) زاد الواحدي والديوان بعد هذا البيت:

حتى يقال بأنك الخلل الذي يُرجى لشدة دهره ورخائه
أو لا فدغه فما به يكفيه من طول الملام فلست من نصحائه

(٥) وهذا ما يعرف في علم البديع بمراعاة النظير؛ عند المتأخرين.

(٥)

(١) ^(١) الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ

قوله: "يا عذول" بمنزلة أن تقول: يا رجل، ويجوز أن يريد: يا عذولي، كما أن من العرب من يقول: يا رب، وهو يريد: يا ربي، فيحذف ياء الإضافة، ويضم باء الإضافة^(٢)، وتشبيهاً بقبل وبعد^(٣). وهذا أقوى من جهة المعنى؛ لأجل أنهم يقولون: يا عاذلي، ويا عاذلتي، ألا ترى إلى قوله: "وبمهجتي يا عاذلي"^(٤)؟

ولا يجب أن يقال: إنه كان يمكنه أن يقول: يا عذولي؛ إذ الوزن يطاوعه، كما تقول: يا غلام. ولو أراد ذلك لقاله؛ لأجل أنه لا يُجَرُّ على المتكلم في العبارة، ويدخل على هذا أن يقال: إن مَنْ يقول من العرب: يا رب، فللضرورة. وهذا محال؛ لأجل أن ذلك مما لا تجد الضرورة إليه سبيلاً؛ ولو جاز هذا الاعتراض لوجب أن يقال في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾^(٥): إنه كان يجب أن يُظهر المضاف، فيقال: مثل دكاء؛ لأنه أوضح. وهذا نوع من القول لا يعرض له عاقل!

ومعنى البيت: أن الفؤاد أعرف بدائه منك أيها العاذل؛ لأن الحب مضمرفيه، وأنت لا تصل إلى باطنه فتتصوره. "وأحق منك بجفنه وبمائه"، يقول: إنه أولى بالتصرف في العين ودموعها، فإن شاء أفاضها، وإن شاء أمسكها، فارجع عن العذل والتحكّم على العين.

(١) * في الديوان والشروح (واستزاده سيف الدولة فقال).

(٢) أي: باء المضاف (ربُّ).

(٣) انظر: المقتضب ٤/٢٦٣.

(٤) البيت الثاني من القصيدة السابقة.

(٥) الكهف: ٩٨.

والهاء في "جفنه" يعود إلى الفؤاد^(١)، وأضافه إليه لأجل أنه جعله مالكة، وأمّا الهاء في "بمائه" فالوجه فيه أن يعود إلى الجفن^(٢)، فكأنه قال: القلب أحق بالعين ودعمها منك أيها العذول. وإنما كان العين مملوكةً للفؤاد لأجل أنها إنما تدمع من الشوق والصبابة (ومعناها الفؤاد) والقلب متصرف في الدموع تصرف الشوق فيه، ويوضحه قول أبي تمام^(٣):

أما إنه لولا الخليط^(٤) المودعُ وربعُ عفا منه مصيفٌ ومربّعُ
لرُدَّتْ على أعقابها أريحيةٌ^(٥) من الشوق واديها من الدمع مُترَعُ

فجعل الدمع في حوزة الشوق؛ لأنه إنما يغزر بغزارته، وينزر بنزارته. وقال أيضاً^(٦):

/بذلت لهم مكنونَ دمعِي، فإن وَئى فشوقي على أن لا يجفَّ موكلُ!

أ/25

ولله درّ البحرّي! حيث ذكر أن القلب يُجري العينَ تحت حكمه، فقال^(٧):

تزودتُ منها نظرةً لم تجذّبها وقد يؤخذ العلقُ الممنعُ بالغصبِ!
وما كان حظُّ العينِ في ذاك مذهبي ولكن رأيتُ العينَ باباً إلى القلبِ!

ولله ما يبدي هذا البيتُ من الجمال والبهجة والسهولة!

(١) يريد (القلب) لأنه المذكور في البيت.

(٢) وجوز ابن جني رجوعه إلى القلب، الفسر ٤١/١، وانظر: معجز أحمد ٣/٣١٥.

(٣) ديوانه ٣١٩/٢.

(٤) الخليط: القوم الذين أمرهم واحد.

(٥) الأريحية: الهزة والنشوة.

(٦) ديوانه ٧٣/٣.

(٧) ديوانه ١٠٥/١.

(٢) فَوَمَنْ أَحْبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى قَسَمًا بِهِ، وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ

قوله: "قَسَمًا" نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، وفائدته التوكيد فقط؛ لأجل أن قوله: "ومن أحب" حَلْفٌ مُحْضٌ، ولا يشك أحد في أنه يمين، وإنما أراد توكيداً وتشديداً بقوله: "قَسَمًا". ومثله بيت الكتاب^(١):

أَصْبَحْتُ أَمْنُحُكَ الصَّدُودَ وَإِنَّنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأُمَيِّلُ

لأن قوله: (وإنني لأُمَيِّلُ إليك) يدل على أنه يريد حلفاً، كأنه قال: وإنني والله لأُمَيِّلُ، غير أنه ذكر "قَسَمًا" توكيداً. وهذا أحسن من بيت المتنبي؛ لأجل أن قوله: "وإنني لأُمَيِّلُ" وإن كان فيه دليل على القسم فليس بصريح اليمين، كقول المتنبي: "فومن أحب"، فالتأكيد به أليق منه ببيت المتنبي، فاعرفه.

وعظمُ المحبوب حيث أقسم به^(٢)، وقريب منه قول البحرني^(٣):

حَلَفْتُ بِالْقَرَبِ بَعْدَ الْبَعْدِ مِنْ سَكَنِ وَبِالْوَصَالِ أَتَى فِي إِثْرِ هَجْرَانِ
أَنْ ابْنَ مِصْقَلَةَ الْبَكْرِ دَافِعَ لِي عَنْ نَعْمَتِي وَكَفَانِي الْعُظْمَ مِنْ شَانِي

فأقسم بوصل المحبوب لا بنفسه^(٤)، فهذا أبلغ من بيت المتنبي في تعظيم أمر المحبوب وإجلال قدره. غير أن [بيت] المتنبي تضمن مناقضة لطيفة، وهي أن العاذل إنما يلومه على إظهار آثار المودة، فإذا أقسم بمن يلومه على ودّه أنه لا يطاوعه، كان ذلك نهاية في ردّه ومناقضة أمره، فاعرفه.

(١) الكتاب ١/٣٨٠، وهو للأحوص، ديوانه: ٢٠٩ (مكتبة الخانجي). ورواية الكتاب (إني لأمنحك ...).

(٢) ولأجل هذا التعظيم كان القسم بغير الله ممنوعاً شرعاً.

(٣) ديوانه ٢١٧٣/٤، يمدح إسماعيل بن بلبل.

(٤) في الأصل (لان نفسه) تحريف.

(٣) أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً؟ إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

قوله: "إن الملامة فيه من أعدائه" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يجعل الملامة عدوًّا حتى كأنها^(١) إنسان يعادي المحبوب.

والثاني: أن لا يكون الأمر على ذلك، ويحمل الكلام على ظاهره، فكأنه قال^(٢): إن الملام فيه إنما يحصل من أعدائه؛ لأن من يحبه لا يلوم أحداً على حبه، وإن [حما] يفعل ذلك المكاشح، لا المصافي، فكيف يجوز لي أن أحب شيئاً غير^(٣) فعل محبوبي؟ - وذلك أنه إذا أحب^(٤) فعل عدوه فكأنه قد أحبّه، فطاوعه - وهذا ما يقتضيه الودُّ الخالص.

وهذا البيت - في الظاهر - نقيض قول أبي الشَّيْص^(٥):

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حَبًّا لَذَكَرَكَ، فَلْيُلْمَنِي اللَّوْمُ

لأجل أن المتنبي ذكر أنه يكره الملامة ويبغضها، وذكر أبو الشَّيْص أنه يستطيبها ويودُّها، وهما في الحقيقة من نصاب واحد، وذاك أن أبا الشَّيْص لم يحبَّ الملامة على الإطلاق، وإنما أحب ما يجري فيها من ذكر المحبوب، وقد صرَّح به، وجلَّى عن وجهه، كما ترى، فلا يخلو بهذا من أن يكون كارهاً لأصل^(٦) الملامة، و[محباً لـ] مقتضاها.

(١) في الأصل (كأنه).

(٢) قال (كُتِبَتْ بِالْأَحْمَرِ بَخْطٌ دَقِيقٌ).

(٣) في الأصل (فهو)، لعله تحريف لما أثبت.

(٤) في الأصل (وجب) تحريف.

(٥) أبو الشَّيْص هو محمد بن عبد الله الخزاعي، و(أبو الشَّيْص) كنية غلبت عليه (والشَّيْص: تمر لا يشتد نواه)، شاعر متوسط المنزلة بين شعراء عصره، توفي سنة ١٩٦هـ.

(٦) طبقات ابن المعتز ٧٢، والأغاني ١٦/٤٠٠، والشعر والشعراء ٨٤٧/٢). والبيت في ديوانه ١٠٢/

(صنعة الجبوري).

(٦) في الأصل (لأجل)، لعله تحريف عما أثبت.

وإذا كانت الملامة التي هي نيلٌ منه، وعيبٌ له تطيبُ عنده؛ لأجل ما يصاحبها من ذكر المعشوق، كان كمن يشرب السمَّ الممزوج بالعسل مثلاً، ويرجع إلى نحو قولهم^(١):

إِن الْمَنِيَّةَ عِنْدَنَا مَا _____، وَمَا _____ أَذِي، وَرَأَى^(٢)

ألا ترى أنهم يحبون القتلَ لما يُنشرُ عنه من الذكر الجميل، ولولا ذلك لم يشتهوه، كما لا يشتهون الموت على الفراش؛ إذ لا يكون فيه منقبةً وصيتٌ. فكما أنهم لا يحبون / 25
نفسَ الهلاك، وإنما يودون ما ينتجه من الذكر - كذلك - لم يحب أبو الشيص نفسَ الملامة على الإطلاق، وإنما أحب ما يجري فيها من ذكر المحبوب، وكأنه كقوله^(٣):

وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ

وإذا كان الأمر على هذا لم يكن بين المتنبي وأبي الشيص فضلاً في الحقيقة؛ لأنه كره الملامة لحبه، فلم يود أن يقرع سمعه ما يتضمن تنقصاً للحبيب، كما أن أبا الشيص إنما أحبها لأجل أن يقرع سمعه ذكره. فقد تشابها من طرفي نقيض! فأجد فيه فكر^(٤)، فإنه واضح.

فإن قلت: فما تقول في هذا الاستفهام؟ أيجوز أن يكون تقريراً^(٥)، مع أنه يريد إثبات الحب؟

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أورد البغدادي في خزانته (٤٧١/١) بيتاً لسعد بن مالك البكري، يشبه هذا البيت، وهو:

وَكأنَّمَا وَرَدَ الْمَنِيَّةَ _____ عِنْدَنَا مَا _____ وَأَرَأَى

(٢) الماضي: العسل الأبيض اللين. اللسان (مذي).

(٣) هو المتنبي، وصدره: تريدين لقيان المعالي رخيصة

انظر: الديوان ٥٢٠.

(٤) في الأصل (ذكرك)، تحريف.

(٥) في الأصل (تقريباً)، وهو مصادم لما بعده.

فالجواب: أنه إنكارٌ ونفيٌ للحبِّ [لا] على الحقيقة، وإنما أراد أن ينفي حبًّا يلابسه حبُّ الملامة، لا الحبَّ على حقيقة الإطلاق، فكأنَّه قال: ما أحبه وأنا في هذه الحال، كما تقول: ما آتيك راكبًا، وأنت تأتيه غير راكب، وإنما تقصد أن تنفي إتيانًا مخصوصًا. وكأنَّه قال: ما أحبه حبًّا يؤثر فيه قولُ اللائم. فاعرفه.

ومنه قول ابن المعتز^(١):

يتيهُ عندي^(٢)، وأنا أخضعُ إن كان ذا بحتي^(٣)، فما أصنعُ؟
يا عاذلي عذلك لي ضائعُ أسمعتنني، والحبُّ لا يسمعُ!

وإنما أراد أن العذل^(٤) وإن وقع في مسامعه حتى كأنَّه قد أثر فيه، فإنَّ حبَّه لم ينكسر غرُّه، بل هو على حالته من القوَّة والإباء.

(٤) عجب الوُشاة من اللُحاة وقولهم دَع ما نراك ضَعُفْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ!

الواشي: الذي يسترق الحديث، ثم يزيد فيه، وينمِّقه بالكذب، ويتحدث به، كما قال^(٥):

وماذا عسى الواشون أن يتحدَّثوا سوى أن يقولوا: إني لك واميُّ!
نعم! صدق الواشون أنتِ كريمةٌ علينا، وإن لم تصفُ منكِ الخلائقُ

فالواشي -على الحقيقة- من يتبع الأحاديث، ويزينها لمن يحب الوقوف على الأسرار، وذاك ما لا يفارقه الكذب.

(١) ديوانه ٣٨٢/١.

(٢) في الديوان (عبدي)، وهي أبلغ.

(٣) البخت: الحظ، كلمة مولدة أو معربة، اللسان (بخت).

(٤) في الأصل (العواذل)، وعليه يحتاج السياق إلى تقدير كلمة أو أكثر.

(٥) هوجميل بن معمر، ديوانه ١٤٤ (تحقيق: حسين نصار).

واللّاحي: هو الذي يزجر، ويخشّن القول، فهو من قولهم: لحيت العصا، إذا قشرتها^(١)، ويقولون: لحاه الله، إذا أرادوا^(٢) الدعاء عليه.

ويدلّك على أن اللّاحي هو الزاجر أنهم روّوا في بيت الكتاب^(٣):

ألا أيهذا الزاجري أشهد الوغى وأن أحضر اللذات، هل أنت مُخليدي؟

و(اللّائمي) و(اللّاحي)^(٤).

وقالوا: أيامٌ معتذلاتٌ: شديد[ة] الحرّ^(٥)، فهذا هو في الحقيقة المنع والردع؛ لأنها من شدة حرّها تمنع من أن يتصرّف فيها.

والمعنى: أن العذال كانوا يقولون له: اترك الحبّ فقد أضرك^(٦) كتمانُه، ونراك قد عجزتَ عن ذلك لما يظهر من الآثار^(٧)! كما قال البحري^(٨):

علاقة حبّ كنتَ أكنم بثّها إلى أن أذاعتها العيون^(٩) الهوامعُ

(١) في الأصل (قشرته)، والعصا تؤنث ولا تذكر، انظر: المذكر والمؤنث للفراء: ٨٠.

(٢) في الأصل (زادوا).

(٣) الكتاب ٩٩/٣، وهو لطرفة، من معلقته المشهورة، ديوانه ٣١ (دمشق).

(٤) انظر: تخريج روايات الديوان ٢٧٨.

(٥) الفسر ٢٤/١، والتّهذيب ٣١٨/٢، وفي كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية لقطرب ٦٤ "معتذلات، أي: شديدة الحرّ. وقالوا: المعتذلات، بالذال: الشديدة البرد أيضاً". وقال المروزي: "والمعتذلات - بالبدال غير معجمة - : أيام شديدة الحرّ، وكان الأصمعي يقول: بالذال المعجمة "الأزمنة والأمكنة ٢٦/٢.

وفي الأصل (معتذلات) بالبدال، ولا يخفى أنه يتكلم حول معنى العذل.

على أن هذا الاستطراد لو كان عند البيت الأوّل لكان أليق.

(٦) (أضرك) سقطت من المتن، وأثبتت في الحاشية بخط ولون مخالفين، والسياق يقتضيها.

(٧) أي: عليك.

(٨) ديوانه ١٣٠٢/٢، ١٣٠٣.

(٩) في الديوان (الدموع).

إذا العينُ راحتْ وهي عينٌ على الجوى فليس بسرٍّ ما تسرُّ الأضالعُ!

ووجهه تعجَّب الوشاة من اللّحاة: أنهم إذا كانوا يقولون له: دُعْ كتمان الحبِّ، فإنّا نعلم أنّك لستَ تقدر عليه، فقد اعترفوا له بأنّه بلغ في الحبِّ حدَّ المضطرِّ المجهود! وإذا كانوا يعرفون هذا من حاله، فكيف يُلحونه على عشقه، ويسومونه دفعه عن نفسه؟! لأنه يعجز عن كتمانهِ، فهو عن تركه رأساً - ويعجز عن قلبه - أعجز!

(٥) مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بَطْرَفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ

سوى: إذا فُتِحَ مَدٌّ، وإذا كُسِرَ قُصْرٌ^(١)، والاختيار أن لا يُستعملَ غيرَ ظرفٍ، فإن استُعملَ [اسمًا] ففي النظم^(٢)، من ذلك بيت الكتاب^(٣):

وما قصدتُ من أهلها لسوائكا^(٤)

وقد استعمله المتنبي كذلك، ألا تراه / أدخل عليه الباء كما أدخل الشاعر الكتابيّ اللام؟. واستعماله على الظرف^(٥) أن لا يدخل عليه الجر والرفع، ويكون منصوبًا، نحو أن تقول: جاءني من سَواءك، ومررت برجلٍ سَواءك، فيكون بمنزلة (مكانك)، والمعنى: برجلٍ استقرَّ مكانك وأغنى عندي غناءك، وهذا هو معنى قولك: مررتُ برجلٍ غيرك، وكذا لا تقول: أعجبنى سَواءُك، كما تقول: غيرك. وعلى هذا المنهاج يجري المقصورُ.

26/أ

(١) المنقوص والممدود للضراء: ٢٣ (دار المعارف).

(٢) انظر: الكتاب ٣١/١، والفسر ٤٥/١.

(٣) الكتاب ٣٢/١، وهو للأعشى (الصباح المنير ٦٦) وصدره:

تَجَانَّفُ عَنْ جِوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي

(٤) الشاهد فيه استعمال (سواء) اسمًا لأنه بمعنى (غير)، بدليل دخول اللام عليه.

(٥) في الأصل (غير ظرف) وهو وهم.

والمعنى على وجهين^(١):

أحدهما: أن يقول إن الناس قد لؤمت طباعهم، وزالت^(٢) أماناتهم، فلم يبق فيهم من يصلح للإخاء والمودة، فليس خلُّ إلا نفسك، وهذا معنى قوله: "إلا من أودُّ قلبه" وهو بمنزلة أن يقول: إنَّ الخلَّ نفسي، ويوضح ذلك قوله^(٣):

خَلِيلُكَ أَنْتَ، لَا مَنْ قَلْتَ: خَلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

يخاطب نفسه، فيقول: ليس لك خليلٌ غيرك، فإن قلت أنا - في ظاهر الأمر: فلانٌ خلِّي، وجرى بيبي وبينه من الكلام ما يجوز بين الأصدقاء [ف] لأن ذلك لا حقيقة له! كما قال^(٤):

وَلَمَّا صَارُودُ النَّاسِ خُجَبًا^(٥) جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بَابْتِسَامٍ!

وهذا نمط حسن من الصنعة^(٦).

والوجه الثاني: أن يريد أنَّ الحبيب من يجري مجراك حتى كأنه إذا ودَّ فبقلبك يودُّ، وإذا نظر فبعينك ينظر، ولا يفعل إلا ما توافقه عليه، فكأن كل واحدٍ منكما بعضٌ من صاحبه، وجارٍ مجرى جسدٍ واحدٍ. وإنما يجب أن يطلق اسم الخلَّة على من يكون بهذه الصفة، وعلى هذا المعنى صديقك أنت لا أنه غيرك!.

(١) ذكرهذين الوجهين ابن جني (الفسر ١/٤٥، ٤٦) وكذا الواحدي (شرحه: ٥٠٨).

(٢) في الأصل (زكت) ولم أجد له وجهًا.

(٣) أي: المتنبي، ديوانه ٩٢.

(٤) المتنبي أيضًا، ديوانه ٤٧٦.

(٥) في الأصل (طرًا) وهو خلاف ما في الديوان، والخب: المكر والخديعة.

(٦) في الأصل (الصفة)، لعله تحريف لما أثبت.

(٦) إِنَّ الْمُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى^(١) أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ

قوله: "على الصبابة"، يحتمل وجهين^(٢):

أحدهما: أن يريد مع ما أنا فيه من الصبابة، كقول الأعرابي^(٣):

وإني، على ما كان من [عَيْدِ هَيْتِي] وَلَوْثَةُ أَعْرَابِيَّتِي، لأريبُ^(٤).

أي: مع ما كان من كبري^(٥). وكقول الآخر^(٦):

فَلَوْ سَأَلْتُ سَرَاةَ الْحَيِّ سَلَمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي

أي: مع ما أنه قد تلون. وهذا واسع.

ويكون المعنى: أن الذي يعينني بالأسى -وهو الحزن- مع ما أنا فيه من الحب والشوق أولى بأن يرحمني ويواصلني؛ لأجل أنه أكسبني هذا البلاء، وألبسني هذا الداء، وذلك أنه يكتني عن محبوبه بقوله: "إن المعين... بالأسى" فلا يحبّه وهو يهجره، ويزيده بذلك أسفاً وحزناً، فمعونته له زيادة الغم وإتراغ كأس الجزع! -فهو من قولهم: حديثك الصَّمَمُ، وعِتَابُكَ السيف^(٧) - أي: لا معونة عنده إلا زيادة الأسى، فهذا هو ما يصل إليّ منه بدل المعونة! كما قال^(٨):

- (١) ويروى: (بالأسى) بضم الهمزة، من أسيت الحزين، أي: عزيته. والمعنى أن الذي يقول لك: أسوة بفلان وفلان، أولى بأن يكون خليلاً ناصحاً. انظر: اللامع العيزي ١٢/١، والنظام ق/٥٠.
- (٢) وقد ذكر هذين الوجهين ابن جني (الفسر ٤٦/١، ٤٧)، والواحي (شرحه ٥٠٨، ٥٠٩).
- (٣) بلا نسبة، في التهذيب ١٣٨/١، والصحاح واللسان (عده).
- (٤) في الأصل (أعرابي لأديب)، والتصحيح من المصادر السابقة.
- (٥) يقال: "فيه عيدهة وعيدهة، أي: كبر" التهذيب ١٣٨/١.
- (٦) هو سواربن المضرب، من قطعة له في الحماسة (شرح المرزوقي ١٣٠/١).
- (٧) أي من وضع الشيء مكان ضده، للتهكم. انظر: الكتاب ٥٠/١، ودلائل الإعجاز ٣٧٢، والخزانة ٢٥٨/٩، ٢٥٩.
- (٨) قائله الأعشى، الصبح المنير: ٤٥.

لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بَهَاتٍ وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ نَهَلُوا^(١)

والمعنى: أن قولهم "هات": هو ملازمتهم لها عند وقت الاستفاقة والإمساك، فإذن لا إقلاع عندهم في الحقيقة. فكذا لا معونة عند هذا المحبوب.

ويجوز أن يكون قوله: "أولى برحمة ربها"^(٢) لأجل أنه أعلم الناس بدائه، وأحسنهم اهتماماً إلى علاجه، فهو أولاهم بأن يرحمه ويؤاخيهِ، لتزول علته؛ إذ هو جانيها. كما قال البحري^(٣):

يَا عَلُّو، إِنَّ اعْتِلَالَ الْقَلْبِ لَيْسَ لَهُ آسٌ يَدَاوِيهِ، إِلَّا خَلَّةٌ تَصِلُ

وقال ابن المعتز^(٤):

يَا مَطْعَمَ السَّقَمِ جَسْمِي بَعْدَ صَحَّتِهِ عَجَلُ وَفَاقِي وَإِلَّا فَالْحَقَّ الرَّمَقُ!^(٥)

قوله: "برحمة ربها": وضع الظاهر موضع المضمَر، كنحو ما تقدم؛ لأنه يعلم أن صاحب الصبابة هو المتكلم، فكأنه قال: أولى برحمتي وإخائي.

26/ب / الثاني: في قوله: "على الصبابة"، أن يكون في الكلام مضافً محذوف، كأنه قال: إنَّ المعين الذي جلبَّ البلاءَ على ذي الصبابة أولى برحمته [على] المعنى الذي ذكرناه، وكأنَّ المفعول المحذوف - في القول الأول - ضميرُ المتكلم، حتى [كأنه] قال: إنَّ المعين إياي مع ما أنا فيه من الصبابة.

(١) راهنة: دائمة ومعدّة. والنهل: الشرب الأول، والعلل: الشرب الثاني. (المصدر السابق).

(٢) في السياق هنا فجوة تحتاج إلى تقدير كلام، كأنه يريد أن يقول: ويجوز أن يكون قوله أولى برحمة ربها كنايةً عن المحبوب.

(٣) ديوانه ٣/١٧٢٠.

(٤) ديوانه ١/٣٨٧.

(٥) الرمق: بقية النفس. المعجم في بقية الأشياء للعسكري: ٨٩.

ومقتضى ظاهر الكلام أن يقول^(١): أولى برحمته وإخائه؛ لأجل أن صاحب الصبابة مضمر، وقوله: "ربها" تكرير لذلك. فهو وضع الظاهر موضع المضمر -أيضاً- كما كان في الوجه الأول، غير أنه على غير هذا الوجه حسن جارٍ على موجب القياس: وذلك أنه لو قال: إن المعين على الصبابة أولى برحمته -يُعيد الهاء إلى المضاف المحذوف- لدخل الكلام لبس؛ لأجل أن العائد إليه الذكر غير مظهرٍ، فلما كان كذلك أتى بالظاهر؛ ليكون فيه دلالة على المضمر، وهذا الوجه والقياس. ومثل ذا قول الشاعر^(٢):

تَبَلَّغْ بِأَخْلَاقِ الثِّيَابِ جَدِيدَهَا وَبِالْقَضْمِ، حَتَّى تَدْرِكَ الْخَضْمَ بِالْقَضْمِ^(٣)

كان نظم الكلام أن يقول: وبالقضم الخضم^(٤)، حتى تدركه بالقضم، غير أنه حذفه من اللفظ في قوله: "بالقضم"^(٥) فلما كان كذلك لم يضمه فيقول: حتى تدركه؛ إذ كان يلتبس، ولا يُعلم؛ لأنه لم يتقدم ذكره، فأتى بالظاهر، وقال: "حتى تدرك الخضم" ودل به على المحذوف، الذي هو بإزاء "جديدها"^(٦) في النصف الأول.

فالمضاف المحذوف الذي هو كقولك: صاحب الصبابة -في بيت المتنبي- بمنزلة الخضم المحذوف في قوله: وبالقضم، إذ التقدير: وتَبَلَّغْ بِالْقَضْمِ الْخَضْمَ، وذكره "الخضم" بعد "تدرك" بمنزلة ذكره "ربها" في قوله: "برحمة ربها"، فهذا الظاهر -هنا- يدل على ذلك المحذوف، ولو قال: إنَّ المعين على صاحب الصَّبَابَةِ، أو ذي الصبابة، لما حسن أن

(١) أي في الوجه الثاني.

(٢) في الصحاح واللسان (قضم)، بلا نسبة.

(٣) ذكروا عدة فروق بين الخضم والقضم. ومما يلائم سياق البيت أن الخضم الأكل بأقصى الأضراس، والقضم بأدناها. وأن الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء القاسي. فالخضم كناية عن رغد العيش، والقضم كناية عن شدته وقسوته.

الخصائص ١٥٧/٢، النهاية في غريب الحديث ٤٤/٢، واللسان (خضم / قضم).

(٤) في الأصل (وبالخضم القضم) تقديم وتأخير مفسدٌ للمعنى.

(٥) في الموضع الأول.

(٦) في الأصل (الذي هو بأراحه يدها) تحريف.

يقول: "أولى برحمة ربها"، ووجب أن يقول: برحمته، كما أنه لو قال: وبالقضم الخضم، لوجب أن يقول: حتى تدركه. وهذا واسع في النظم، فاعرفه.

(٧) مَهْلًا، فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرْفُقًا، فَالَسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ

"مهلاً" بمنزلة رفقاً، فهو مصدر وقع موقع الأمر، كقولك: ضرباً زيداً. تريد: اضرب ضرباً زيداً، ويترك الفعل ويذكر المصدر ليدل عليه، فلذلك لا يتغير في جميع الأحوال؛ لأجل أن علامات الإضمار والتأنيث تلحق بالفعل المقدّر، فإذا قلت للثنتين: مهلاً، وضرباً، فالتقدير: أمهلاً مهلاً، واضرباً [ضرباً]، وكذا الباب. قال^(١):

أقول له: مهلاً، ولا مهلَ عنده ولا عند جاري دمعهِ المُتَقَتِّلِ^(٢)

فهذا بمنزلة أن تقول: أقول له رفقاً ولا رفقَ عنده. وأما قوله^(٣):

ولا مهْلُ بواعظة الجهول

فإنما أتت على معنى الكلمة؛ لأنّ هذه اللفظة لما شُهرت بالزجر والمنع صار كأنه قال: وما هذه اللفظة. ورفعُه وتنوينُه يدل على أنّ قولَ مَنْ قال: إنّه (مَهْ) رُكِبَ مع (لا) خطأ محال^(٤).

و"ترفقاً" بهذه المنزلة؛ لأن المعنى ترفقُ ترفُقًا.

(١) كتب فوق (قال) كلمة (شاعر) باللون الأحمر، كأنه ليس من صنيع الناسخ. وقائل هذا البيت هو:

جامع بن مرخية الكلبي، كما في إصلاح المنطق ٢٩٠، والتهذيب ٣٢٠/٦، واللسان (مهل).

(٢) في اللسان (المتهلّ). وفي الأصل (المتقبل)، وأثبت ما في إصلاح المنطق. والمتقتل: المذل المكدود.

(٣) هو الكميت بن زيد الأسدي، ديوانه: ٣٠/٣، وصدره:

وكنّا، ياقضاع، لكم فمهلاً

(٤) لم أقف على هذا القول.

ومعنى البيت: أنه يطلب من عاذله الإقلال من العذل، ويقول: إن الملامة أحد أمراضه التي تمكنت منه، والسمع أحد أعضائه، فإذا عزمت فيها، وأكثرتها عليه، ذهب سمعه، ففي ذهابه مضرّة عليك؛ لأنه يقطع عذلك، ويصرفك عن ما أولعت به من تعنيفه^(١). وهذا نوع من الرد لطيف، وهو كالاستهزاء منه بالعدول، والإخبار/ بأن عذله - وإن شقّ عليه، وكان أحد أمراضه - فإنه يصرفه عن هواه.

(٨) وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَيُكَايِهِ

"وَهَبْ" بمنزلة اجعل، و"الملامة" هي المفعول الأول، وقوله: "كالكرى" بمنزلة المفعول الثاني، فكأنه قال: اجعل الملامة - مطرودة بسهاده وبكائه - مثل النوم المطرود؛ في اللذاذة. فمطرودة نُصِبَ على الحال^(٢). والمعنى: اجعل عذلك إياه مُسْتَلْذًا عنده كالنوم؛ ليطرده بسهاده وبكائه، كما طرد النوم بهما. وذلك أنه إنما يَذُمُّ لومَه مادام كارهاً، فأما إذا استطابه، فإنك تنفيه عنه كما نفى الكرى، إذ مطلوبك فيه ما يوجعه ويؤلمه^(٣).

(٩) لَا تَعْذُرْ^(٤) الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

معنى البيت: أنك أيها العاذل سالم مما امتحن [به] هذا المشتاق، وجاهل بعذر الحب وعظم شأنه، ولو تصوّرت ذلك بأن تُبتلى بمثله لعذرت. كقوله^(٥):

وإنما يعذر المشتاق من عشقا

(١) وبهذا فسره ابن جني (الفسر ١/٤٩)، وصاحب معجز أحمد ٣/٣١٨. وفسّره الباقون على أن العذل يؤذي أذنه ويضعفها، وإن لم يفنها ويتلفها. شرح ابن الإفيلي ٢/١٢٥، وشرح الواحدي ٥٠٩، والتبيان ٥/١.

(٢) وأعرها ابن سيده مفعولاً ثانياً لـ "هَبْ"، أو بدلاً من موضع "كالكرى". شرح المشكل ٢٥٦.

(٣) هذا البيت مما أشكل على الشراح، واضطربت عباراتهم فيه.

(٤) ويروي (لا تعذل) على النهي. التبيان ٦/١، والوساطة ٣٠٢.

(٥) ورد هذا الشطر في الفسر ١/٥٠، ومعجز أحمد ٣/٣٢٠، بلفظ:

وإنما يعرف العشاق من عشقا

وكقول البحري^(١):

إذا شئت أن لا تعذل الدهر عاشقاً على كمدٍ من لوعة الحب فأعشق

وقال أيضاً^(٢):

يُؤدِّي لو يهوى العذولُ ويعشق فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق

ومثل هذا، قول ابن المعتز^(٣):

لا تلمني يا صاحٍ في حبٍّ (مكتو مة^(٤))، نفسي لها الفداء وأنتا
كفَّ عني، وقد بليت^(٥)، وخلاً لك بلأي - يا عاذلي - واسترحنا
أنت من حبها معافى، ولو قفا سيت ما بي من حبها لعذرتا

وكان ههنا مضافاً مقدراً، كأنه قال: حتى يكون حشاك في حال أحشائه، أي: تعشق
كما عشق. ويجوز أن يريد: أنك لا تعذره إلا بعد أن تودع حشاك أحشائه، فينالك من
حرارة شوقه ما يدلك على أنه يبدي ما يبديه من الجزع من أمرٍ عظيم. فاعرفه.

(١٠) والعشوق كالمعشوق يغذبُ قُرْبُهُ للمُبْتلى وَيَنَالُ مِنْ حَوَائِئِهِ^(٦)

الحَوَاءُ: النفسُ.

(١) ديوانه ١٥٠٥/٣.

(٢) ديوانه ١٥٣٠/٣.

(٣) ديوانه ٣٢٤/١.

(٤) لعله اسم محبوبته، بدليل منعه من الصرف.

(٥) في الديوان (فقد بليت).

(٦) زادت الشروح الأخرى والديوان قبل هذا البيت:

إن القتييل مضرَجًا بدموعه مثل القتييل مضرَجًا بدمائه

يقول: إن العاشق يقول: إن بقاء العشق واقتترانه مما يُستحبُّ ويُستطاب، وإن كان يضرُّ، ويأخذُ من النفس، وكذلك المعشوق؛ لأنه يُعذَّبُ وهو محبوبٌ مع ذلك! وأبلغ ما جاء في الوصف باستطابة العشق قوله^(١):

تشكَّى المحبون الصبا بـ، ليتني تحمَّلتُ ما يلقون من بينهم وخدي
فكانت نفسي لذة الحبَّ كلُّها فلم يلقها قبلي ولم يلقها بعدي^(٢)!!

(١) لَو قُلْتُ لِلدَّنْفِ الْحَزِينَ: فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ، لَأَعْرَتَهُ بِفَدَائِهِ

يقول: إن المحب - مع ما يلحقه من الجهد والضرر - لا يودُّ أن يُسلب العشق الذي هو جاني ذلك وجالبه؛ ضناً بمحبوبه، وخوفاً من أن يفوز به غيره، فإذا قيل له: إنك تتخلص من هذه البلية شقَّ عليه، وملكته الغيرة، حتى كأن الذي يُفدِّيه^(٣) قد طمع في حبيبته.

وعكس هذا قول نصيب^(٤):

أهيم بدعدي ما حييتُ فإن أُمْتُ أوكلُ بدعد من يهيمُ بها بعدي^(٥)

(١) هذان البيتان في زيادات ديوان المجنون ٩٢، وبلا نسبة في الحماسة (شرح المرزوقي ٣/ ١٢٦٨) والزهرة ٤٣٥/١، وقد سبق الأول منهما صفحة: ١٦٠.

(٢) رواية الشطر الثاني في المصادر السابقة:

فلم يلقها قبلي محبٌ ولا بعدي

وهي أدل على المعنى، وأحسن في التركيب.

(٣) في الأصل (يغريه) تحريف.

(٤) شعره: ٨٤. ورجح بعضهم أنه للنمر بن تولى، انظر: شعره ضمن كتاب (شعراء إسلاميون ٤٠٣).

(٥) رواية الشطر الثاني في السابقين (فوا حزنا من ذا يهيم ...).

لأنه سمَّح نفسه بأن يكون محبوبه لغير [هـ] في حال؛ فلذلك عيَّروه وهجَّـنوه. وحُكي^(١) أن عبد الملك بن مروان ذكر ذلك لجلسائه، فكلَّ عابه، فقال: فلو كان إليكم فكيف كنتم تقولون؟ فقال رجل^(٢): كنت أقول:

أهيم بدعدي ما حييتُ فإن أمتُ فواحرِباً^(٣) مَنْ ذا يهيم بها بعدي!

27ب/ فقال عبد الملك: ما قلت أسوأ مما قال! فقليل: فكيف كنت قائلاً يا أمير المؤمنين؟ فقال: كنت أقول:

أهيم بدعدي ما حييتُ فإن أمتُ فلا صلَّحتُ دعدي لذي خُلَّةٍ بعدي!

فقليل: أنت - والله - أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين! فهذا وفق لمقصود المتنبي؛ لأجل أن عبد الملك طلب أن لا يكون لها صديق غيره، وسأل ذلك في الدعاء، كما أن المتنبي نفى أن يكون راضياً بمفارقة حبه، وإن كان صعباً؛ لئلا يكون المحبوب لغيره، وبالغ في ذلك بذكر الغيرة: أن يقال له: فديتك من هذا الذي بك. وإنما استقبح عبد الملك قول القائل: "فواحرِباً من ذا يهيم بها بعدي": من حيث إنه مال إلى إثبات صديق لها، ثم تأسَّف عليه! وأثر عبد الملك نفى ذلك رأساً. وما قصده أشرفُ جوهرًا، وأحسن طريقًا، وأخص بالوفاء.

وقال ابن المعتز ما يكاد [يقرب] من قول نصيب المعيب^(٤):

هاك قلبي قطعهُ لومًا، فإن أنـ سبيته حبَّها فقد أحسنَّا

(١) الحكاية بكاملها في الشعر والشعراء ١/٤١٢، وعيون الأخبار ٤/١٤٦، والكمال ١/٢٣٦، والموشح ٢٤٧. باختلاف في ألفاظها.

(٢) هو الأقيشر، كما في الشعر والشعراء، والموشح.

(٣) في الكامل والموشح (فواحرِزنا).

(٤) ديوان ابن المعتز ١/٣٢٥.

فموضع العيب "فقد أحسنتا"؛ لأجل أنه أحب أن يكشف عنه بلاء العشق، وهذا غير حسنٍ، ولا ملائم لطريق القوم. غير أن لقائل أن يقول: إنه أتى به على سبيل الهزء والاستخفاف، لأنه يعدّ ذلك إحساناً في الحقيقة! وقد تقول للرجل - تتحقّق عجزه عن الأمر، وقصوره عن فعله: إن فعلت هذا فقد جودت، وأحسنّت إليّ، وإن لم يكن ذلك الفعل محبوباً إليك، وإنما تقصد أن تغمسه في الخجل، وتقطع علائق عذره! فلعله إن لم يفعل ذلك اعتذر، واحتجّ بأن كراهيتك له هي التي منعتك من فعله. فهذا هو وجهه. ولو قال: (فإن أنسيته حبها فقد أبدعنا)، أو ما يكون في هذا المعنى، لكان بريئاً من العيب. فاعرفه. وقوله: "بفدائه" المصدر مضاف إلى المفعول في المعنى، [وأصله] بفدائك إياه، وقد تقدم نظيره.

(١٢) وَفِي الْأَمِيرِ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِبَاسِهِ وَسَخَانِهِ

دعاه بالسلامة من الهوى، وذكر أنه ليس من الخطوب التي تدفع بالشجاعة والسماحة، وهو كقوله^(١):

يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك له^(٢) وهنّ أضعف خلق الله أركباً

وقد تقدم نظائره في قوله: "نفذت عليّ السّابريّ"^(٣).

(١٣) يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ^(٤) بِنَظَرَةٍ وَيُحَوِّلُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ

أسر واستأسر مثل عجب واستعجب^(٥). وفاعل "يستأسر" ضمير "هوى العيون".

(١) هوجري، ديوانه ١٦٣/١.

(٢) في الديوان (به).

(٣) في القصيدة الأولى.

(٤) الكمي: الشجاع الذي يسترنفسه بالدرع والبيضة. الصّاح (كمي).

(٥) قال ابن جني: "يستأسر، أي: يأسر". الفسر ٥٩/١.

(١٤) إني دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ

يقول: أنت أجلّ من أن تُخطب معونتك على النوائب؛ لأنك فوقها، وإنما يجب أن تُدعى إلى مَنْ يقارنك!^(١)

وقوله: "يدع سامعها" مثل ما مضى من وضع الظاهر موضع المضمّر، فكأنه قال: لم تدع أنت. ولا يجوز أن يكون تحوُّلاً من الخطاب إلى الغيبة؛ [إذ] أتى بعده بالخطاب، وهو قوله:

(١٥) فَاتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتَهُ مُتَصَلِّصاً، وَأَمَامَهُ وَوَرَائِهِ!

أي: عممت الزمان كلّه بسطوتك. والصلصلة كالحفيف، يعني شدة الإسراع^(٢).

(١٦) مَنْ لِلسُّيُوفِ بَأْنٌ تَكُونُ^(٣) سَمِيَّهَا فِي أَصْلِهِ وَفَرْنِيهِ^(٤) وَوَفَائِهِ

يقال: من لك بكذا، والمعنى: من لك يأتي لك بكذا، أو ما جرى ذا المجرى.

28/أ والتاء في "تكون" للتأنيث/[لا]الخطاب، وهنا كافٌ محذوفة أو مثل، كأنه قال: من للسيوف بأن تكون هي مثل سميها، مع ما له من الكرم والمكارم والوفاء؟ وكُنِّيَ بالفرند عن المعالي والمكارم.

(١) وبهذا المعنى فسّره أكثر الشراح. لكن الواحدي ذهب وجهة أخرى فقال: "دعوتك لدفع النوائب

عني دعوة، سامعها لا كفؤ له، فيدعى إلى قتاله أو مباهاته، يعني سيف الدولة" شرحه: ٥١٠.

(٢) قال صاحب معجز أحمد ٣/٣٢٢: (يقول: لما دعوتك للنوائب أجبتني في أسرع وقت، وأحطت بالزمان من جميع جهاته، وكأنك أتيت ولأسلحتك صلصلة لسرعتك).

(٣) رواية ابن الإفيلي (١٢٨/٢): (يكون سميها). ورواية الواحدي (٥١٠): (بأن تكون سميها)، وكذا في التبيان ٨/٨.

(٤) فرند السيف: جوهره، أو رونقه وما يظهر عليه مما يشبه الوشي. اللسان (فرند).

ونحو من ذا قوله^(١):

تظنّ سيوف الهند^(٢) أصلك أصلها وأنك منها! ساء ما تتوهّم!!

والوجه عندي أن يكون^(٣) كقولهم: (أبو حنيفة أبو يوسف)^(٤)، جعلوه إياه، بمعنى أنه يسدُّ مسدّه. فكأنه قصد أن ينفي قول من يقول: (السيف الممدوح)، فلا يكون في الكلام مضاف.

(١٧) طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلِيّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ

يقول: إن الحديد وإن طُبعت عنه السيوف فإنها حديدٌ على الجملة. واسمُ "كان" مضمراً؛ لأن في الحال ما يدلّ عليه، كأنه قال: فكان المطبوع من أجناسه، كقولهم: "من [كَذَبَ] كان شرّاً له"^(٥).

وعليّ هو المطبوع من آبائه فهو من الكرم والشرف. و"المطبوع" ليس بصفةٍ لعلّي، ولكن "علي" مبتدأ، و"المطبوع" خبره، فكأنه قال: وعلي هو الملك المطبوع من آبائه، كما تقول: زيد الضارب، تريد: (الإنسان الضارب). ويجوز أن يكون صفةً، ويكون [مِنْ] متعلّقاً بمحذوف هو خبر، فكأنه قال: وعليّ المطبوعُ كائنٌ من آبائه، ولا يجوز أن يتعلّق "من" "بالمطبوع" على هذا القول؛ لأجل أنه إذا كان كذلك [كان] من تمامه، فيبقى المبتدأ بلا خبر! ويكون كقولك: زيد البعيد منك، وأنت تجعل (البعيد منك)

(١) الديوان ٢٩٤، يمدح سيف الدولة.

(٢) في الديوان (أتحسب بيض الهند ...)، وكذلك الشروح.

(٣) الضمير في (يكون) عائد إلى قوله: (من للسيوف بأن تكون سميها).

(٤) هذا من أمثلة النحاة، انظر: أمالي ابن الشجري ٢٧٢/١، وأوضح المسالك ١٤٥/١. وسوف يتكرّر عند الشّارح في أكثر من موطن. والأصل أن يكون هكدا (أبو يوسف أبو حنيفة) لأنّ أبا يوسف هو المخبر عنه المحكوم عليه، وأبا حنيفة هو المثال المحكوم به. ولما كان المراد واضحاً ساغ التقديم والتأخير، فأبو حنيفة خبر مَقْدَم.

(٥) انظر: الكتاب ٣٩١/٢، والمسائل الحليّيات ٥١، والخزانة ١٢٠/١.

صفةً لزيدٍ ، وهذا بمنزلة أن تقول: زيدٌ، وسكتٌ ، لأن الصفة وما يتعلق بها كالجزم من الموصوف ، والجزء الواحد لا يتم به كلام. وإذا كان كذلك علمت أن الأمر على ما ذكرنا.

وهذا تجانسٌ حسنٌ: وذلك أن السيوف مأخوذة من الحديد، وراجعةٌ إليه، ولها - في الجملة - شرف على الحديد؛ لما فيها من الصنعة. وكذلك عليٌّ من^(١) آبائه الكرام، وأخذ طريقهم، غير أن له من المعالي والمفاخر ما ليس لأبائه. والواضح في هذا المعنى قوله^(٢):

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرَى فَبِنَفْسِهِ وَابْنُ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى أَسْرَاهُمَا

(١) في الأصل (ما).

(٢) بلا نسبة في التهذيب ٥٣/١٣، والصاح واللسان (سرا)، وعجزه في إصلاح المنطق ٢١٤. ورواية صدره في هذه المصادر:

تلقى السَّريَّ من الرجال بنفسه

والسري هو: السيد الشريف.

(٦)

قال: وتعتب عليه في قوله^(١):

ليت أنا إذا ارتحلت لك الخيـ — ل، وأنا إذا نزلت الخيام

ف قيل: جعلت الخيام فوقه! فقال مجيباً:

(١) لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَالَاءِ أَيْبْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ

(٢) وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَا وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلْسَمَاءِ

(٣) وَقَدْ أَوْحَشْتُ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتُ رُيُوعَهَا ثُوبَ الْبَهَاءِ

(٤) تَنْفُسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ فَتَعْرِفُ^(٢) طَيْبَ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ!!

المعنى: أن هذه الجبال^(٣) تعرف طيبَ نفسك، وبينك وبينها أرض تُقطع في عشرين ليالٍ!

وأما تقدير الإعراب، فقولك: ومسافة العواصم منك مسيرة عشر، فـ "مسافة" مبتدأ، وـ "مسيرة" خبره، ثم حذف المضاف من الموضعين، وأقيم المضاف إليه مقامه^(٤)، على العادة، ونحوذا غير عزيز.

(١) الديوان ٢٤٩، من قصيدة في مدح سيف الدولة.

(٢) هذه رواية معجز أحمد ١٤٤/٣. ورواية الفسر ٥٨/١ وشرح ابن الإفيلي ٢٠٣/١، وشرح الواحدي ٤٣٧، والتبيان ٤٥/١: (فَيَعْرِفُ).

وروى أبو اليمن الكندي (فنعرف) شرحه: ٤٧٠، وهي الرواية المثبتة في متن الديوان ٢٨٨.

(٣) قال ياقوت: "والعواصم: حصون موانع، وولاية تحيط بها، بين حلب وأنطاكية، وقصبتها أنطاكية، كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء، وأكثرها في الجبال، فسميت بذلك، وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي". معجم البلدان ١٨٦/٤.

(٤) في الأصل (مُضافه) تحريف.

ومن هذا النحو في المعنى قول البحري^(١):

لأَقِيْتُ جُودَكَ بِالسَّمَاعِ وَدَوَّنَا^(٢) شُغْلُ الْمَهَارِيِّ مِنْ فُضَاءٍ سَبَسَبِ^(٣)
وَرَأَيْتُ بِشِرْكَهِ وَالتَّنَائُفُ نَحْوَهُ^(٤) وَاللَّيْلُ يَكْشِفُ غِيهًا عَنْ غِيهِبِ
/وَتَبَسُّمَاتُكَ لِلْعَطَاءِ كَأَنَّهَا زَهْرُ الرِّيِّيعِ خِلَالَ رَوْضِ مَعْشَبِ

28/ب

(١) ديوانه ٢٨٤/١، يمدح أبا صالح الكاتب.

(٢) في الأصل (واننا)، والتصحيح من الديوان.

(٣) المهاري: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان، حي من اليمن. الصحاح (مهر). والسببسب: المفازة.

(٤) في الديوان (دونه).

(٧)

وقال يهجو السَّامِرِيَّ^(١):

(١) أَسَامِرِيَّ، ضُحْكَةً كُلَّ رَأٍ! فَطِنْتُ، وَأَنْتَ أَغْيَى الْأَغْيَاءِ!

قول الناس: (سامراً)^(٢) تخليط من العوام [لـ] (سُرمَ رأى)^(٣)، فَسَمِّيَ بالجملة المحكية، مثل: تَأَبَّطَ شراً، كأنه قال: سُرَمَ رأى هذا المكان^(٤)، ثم عُرف به، وصار اسماً. وقال البحترى^(٥):

وَنَصَبْتُهُ عَلَّامًا بِسَامِرَاءَ

وَعَلَيْطَ، وَلَعَمْرِي إِنَّهُ مَوْضِعُ ذَلِكَ!^(٦)

(١) تقول المصادر: لما أنشد أبو الطيب سيف الدولة ميميته (واحر قلباه...) وانصرف، اضطرب المجلس، فقال نبطي (وهو أبو الفرج السامري، أحد كتاب سيف الدولة): أتركني أسعى في دمه، فرخص له. فهجاه أبو الطيب بهذه الأبيات. انظر: شرح الواحدي ٤٨٦، ومعجز أحمد ٢٦٣/٣، وشرح الكندي ٥٢٥.

(٢) في الأصل (سامره).

(٣) سامراء: مدينة بين بغداد وتكريت، أول من بناها سام بن نوح، ثم خربت، فأعاد بناءها المعتصم، وفيها لغات: (سامراء) ممدود، (وسامراً) مقصور، و(سُرمَ رأى)، و(سُرمَ را) و(سام راه) أي طريق سام. وعندما خربت قيل لها: (ساء من رأى).

معجم ما استعجم ٧٤٣/٣، ومعجم البلدان ١٩٥/٣، ٢٤٣.

(٤) في الأصل (المكارم) تحريف.

(٥) ديوانه ٩/١، يمدح أبا سعيد الثغري، ويذكر قتاله لبابك الخرمي. وهذا عجز بيت وصدده: أخليت منه (البَدَّ) وهي قرأه

(٦) ظاهر السياق أنه يقصد بهذا البحترى، ولعله يرى أنه موضع الغلط؛ لأنه شاعر مولد محدث.

أو أن الضمير في (إنه) يعود للمكان (سرم رأى) أي: إن هذا الاسم مما يغلط فيه كثيراً.

وإذا نسبت إليه على الصواب فينبغي أن يقال: سُريُّ كما تقول -في تأبط شراً-
:تأبطي. والمتنبى أخذ هذا من أفواه الناس، وما كان يجب بذلك^(١)، غير أن الشعراء قد
يتسامحون في نحو هذا، وحسنَ عنده ذلك أن النسبة الصحيحة (التي هي السُريُّ) لا
يعرفها كلُّ أحدٍ.

(٢) صَغُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتَ أَهْبِجِي كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ!

قوله: "صغرت عن المديح" قريبٌ من قول البحري^(٢):

خطب المديح، فقلت: خلَّ طريقه ليجوزَ عنك، فليست من أكفائه

والنصف الثاني قريب من قوله^(٣):

وكم من لئيمٍ ودَّ أني شتمته وإن كان شتمي فيه صابٌ وعلقمٌ
وللَّغف عن شتم اللئيم تكزماً أضرُّله من شتمه حين يشتم

فكأنه قال: إنَّ هجاءَ مثلي لك فخرٌ وشرفٌ؛ لأنه أرفع منك. وقال بعضهم: الهجاءُ
أرفعُ ممن قدره يصغر عني! يقول: هجائي أرفعُ ممن [لا] يوازيه، ويصغر عني، فليس
من سبيلي أن أهجو إلا من يقارني. ونحوذا واسع.

(٣) وَمَا فَكَرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَدْتُ^(٤) سَيْفِي فِي هَبَاءٍ

(١) أي: وما كان يجب أن يستعمله اتباعاً للناس. ويبدو أن هذا نوعاً من التحكم من الشارح -رحمه
الله- فالمتنبى يهجو شخصاً تسمَّى بهذا الاسم وارتضاه لنفسه، فهل عليه أن يصحح هذه النسبة،
وهو يريد التشهير به؟ ثم إن قول الناس (سامراء) أو (سامرا) استعمال سائع مشروع، إما أن
يكون من باب النحت، وهذا باب واسع في العربية، وإما أن يكون من باب التخفيف، وهذا ما شرحه
البحري بقوله: (وقول العامة: "سامري" صواب، على أن (سا) فعل ماضٍ، أصله (ساء)، فترك
همزة لكثرة الاستعمال، وكذلك همز (رأى)، وأدغم النون في (راء) معجم ما استعجم ٣/ ٧٣٤.

(٢) ديوانه ٢٩/١، يهجو شخصاً لم يفصح عن اسمه.

(٣) المؤمل بن أميل المحاربي، شعره: ٢٠٣، مجلة المورد، م/ ١٧، ع/ ١.

وقد زاد بعضهم باللون الأحمر كلمة (أيضاً) ظناً منه أن البيتين للمتنبي أو البحري!

(٤) في الديوان والشروح (ولا جربت).

[قافية الألف الساكنة]

(٨)

وقال عند منصرفه من مصر، وتركه كافوراً:

(١) أَلَا كُلُّ مَاشِيَةٍ الْخِيزْلَى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةٍ الْهَيْذَى^(١)

"الخيزلى" مشيةٌ فيها استرخاءٌ وتفكّكٌ، وهي للنساء، ووزنها (فَيْعَلَى) وهو مأخوذٌ من الانخزال، وهو كالتأخر والتباعد، ويستعمل في موضع الاسترخاء؛ ولهذا يشبهون النساء بالظباء الخوازل وهي المتأخرات، يقال: ظبية خزول. والتثاقل في المشي من أوصاف النساء، ألا ترى إلى قولك: إِنَّ المرأةَ قيل لها أناةٌ، من الْوَنَى^(٢)؛ لأنها تُجعل كسولاً؟ وقال^(٣):

وكان عهدي بها والمشي يبهظها من القريب ومنها النوم والسأم^(٤)
وبالتكاليف تأتي بيتَ جارتها تمشي الهَوَينا، وما تبدولها قدم^(٥)

و"الهيدى" مشية فيها سرعة وحدة، من قولهم: أهدب الفرس إذا أسرع بالذال المعجمة، وقد يقال بالذال^(٦).

(١) في الديوان ٤٩٦ (الهيدى) بالذال، وهما لغتان، كما سيأتي.

(٢) الونى: الفتور والكلال، وامرأة وناة: فيها فتور، وقد تقلب الواو همزة فيقال، أناة. الصحاح (ونى).

(٣) البيتان من قصيدة طويلة أوردتها أبو تمام في حماسته، ونسبها لزياد بن حمل العدوي، أو زياد بن منقذ. (شرح المازوقي ١٣٩٦/٣)، (شرح الأعلام ٨١٢/٢)، وانظر حول الخلاف في نسبتها: (سمط اللآلى ٧٠/١).

(٤) يتعجب الشاعر كيف سرت إليه؟ يقول: "وكنّت أعدها تتعب من المشي اليسير، ومن شأنها الخلود إلى النوم والكسل!". (شرح الأعلام ٨١٢/٢).

(٥) التكاليف: المشقات. والهويناء: مشية فيها لين وسكون. وقوله: (وما تبدولها قدم) كناية عن أن ثوبها سابغ يسترقدميها عند المشي. (المصدر السابق).

(٦) الفسر ١٤٩/١، والقاموس المحيط (هدب / هذب).

يقول: كل امرأة متفككة في المشي فدى كل ناقه مسرعة. وإنما فضلها لأجل أنه
تخلص من مصر، وقصد كافور له، وإرساله من يتعرض له في الطريق ويأخذه.
وقريب من ذا قول أبي تمام^(١):

يرى بالكعاب الرود طلعة ثائرٍ وبالعزمس الوجناء غرة آيب^(٢)

(٢) وَكُلَّ نَجَاةٍ بَجَاوِيَّةٍ خَنُوفٍ^(٣)، وَمَا بِي حُسْنُ الْمَشَى

النجا: السرعة، والنجاة: السريعة، والبجاوية: منسوبة إلى بجاوة^(٤)، وهي قبيلة من
البربر. وحكى أبو الفتح عن المتنبي في وصفه [إبل] هذه القبيلة: أنهم يطاردون عليها في
الحروب، ووصف تعطفها على أربابها، / فإذا رمى الرجل بالحرية فإن وقعت في الرمية سار
الجمال إليها ليتناولها، وإن وقعت في الأرض ضرب بجرانه الأرض فيأخذها صاحبها^(٥)!

1/29

وقوله: "وما بي حسن المشى": لا أميل إلى ما يكون للنساء من الميس والتبخثر،
وإنما ميلي إلى كل ناقه على هذه الصفة.

ومشية ومشى مثل: قرية وقرب، والمشية مصدر كالجمية والدرية^(٦)، وليست
كالجلسة والركبة^(٧).

(١) ديوانه ٢٠٢/١، من قصيدة يمدح بها أبا دلف.

(٢) الرود - بفتح الزاء وضمها - الحسناء. والعزمس: الناقة الصلبة. والوجناء: الناقة الشديدة، عظيمة
الوجنتين. القاموس (رأد - عزمس - وجن).

يقول: إن هذا الرجل لحبه للأسفار، يرى الكعاب الحسناء مثل من يريد أن يثار منه، ويرى في الناقة
القوية طلعة قادم عليه، لأنه يبلغ بها أهدافه.

(٣) الخوف من قولهم: خنف البعير بيده في سيره خناً، إذا أمالها إلى شقة الأيسر. الفسر ١/١٥٢.

(٤) في الأصل (بجا) والتصحيح من الفسر ١/١٥١، وشرح الواحدي ٦٩٩.

(٥) انظر: الفسر ١/١٥٢.

(٦) الدرية - بكسر الدال وفتحها - أحد مصادر (درى)، يقال: أتى هذا الأمر من غير درية، أي: من غير
علم. اللسان (درى).

(٧) لأن الجلسة والركبة اسم هيئة. انظر: الكتاب ٤/٤٤.

(٣) وَلَكِنَّهُمْ جِبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ، وَمَيْطُ الْأَذَى

يقول ما أحبها لأجل المشي، ولكن بهذه الخصال. وجعلها جبال الحياة؛ لأنه يتخلص عليها من المهالك، واستعار الحبال، بمعنى أنها تمدها، وتطيل العمر، لكونها سبباً للنجاة والخلاص من المهلكات، ولأن العمر يتمسك بهن ويلجأ إذا قصده الأعداء بالقطع والفناء، فهن أسبابه وحباله.

"وكيد العداة" أي: يتوصل بها إلى قتل الأعداء.

"وميط الأذى": زواله، وانكشافه. على أن يكون ميط مصدر ماضٍ أي زال. وجعلهن الكيد والميط؛ إذ كانا يوجدان منهن، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(١).

(٤) ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَّةَ ضَرْبَ الْقَمَارِ، إِمَّا لِهَذَا، وَإِمَّا لِذَا

التية: الفلاة^(٢).

ضربت بالإبل كما يضرب القمار، إما أن يكون لي أو علي: فإمّا نيل المراد، وإمّا التلف. فقوله: "إمّا لهذا وإمّا لذا" حكاية حال القمار، وليس إشارةً إلى شيء حضره المتنبي.

(٥) إِذَا فَرَعَتْ قَدَمَتَهَا الْجِيَادُ وَبَيَضُ السُّيُوفِ وَسُمُّ الرُّقَا

إذا خافت يقدمها^(٣) من يدفع عنها من الفرسان؛ وذاك أنه كان مع الغلمان.

(١) الأنبياء: ٣٧. والمعنى: أن الإنسان جُبل على العجلة وطُبع عليها. تفسير الطبري ٢٦/١٧، والقرطبي ١٩١/١١، وابن كثير ١٨٢/٣.

وقيل: إن معنى (العجل): الحمأ والطين بلغة حمير القرطبي ١٩١/١١، ومفردات ألفاظ القرآن (عجل). وقيل: المعنى على القلب، أي: خلق العجل من الإنسان. مجاز القرآن ٣٨/٢، وتأويل مشكل القرآن ١٩٧.

(٢) وكذا فسره - على العموم - ابن جني (الفسر ١٥٣/١)، والواحدي (٦٩٩)، وفسره بعض الشراح بأنه: تيه بني إسرائيل، وهذا أولى؛ لأن المتنبي قد سلكه بالفعل. معجز أحمد ١٩٢/٤، والتبيان ٣٨/١.

(٣) قال ابن جني: ومعنى (قدمتها)، أي: تقدمتها. الفسر ١٢٦/١.

(٦) فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ، وَفِي رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى
نخل: ماء معروف^(١). يعني أنه لم يكن بهم حاجةٌ إلى آخر.

(٧) وَأَمَسْتُ تُخَيْرِنَا^(٢) بِالنَّقَا بِوَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى

النقاب: موضع يتشعب منه طريقان: أحدهما إلى وادي القرى، والآخر إلى وادي
المياه^(٣). فجعلها كأنها تخيرهم بسلوك إحدى هاتين الطريقين، وجعل لها تخيراً على
المجاز، كما قال^(٤):

يشكو إليّ جملي طول السُرى
صبراً جميلاً فكلانا مُبتلى

قال: وكان عبد الله [بن] المبارك يتمثل بهذا إذا ألحَّ عليه أصحابه، وكان ينشد أيضاً^(٥):

تسألني أم الخيار جَمَلا
يمشي رويداً ويكون أولاً!

والمعنى: أنها لو كانت تجد سبيلاً إلى ذلك لفعلت. كما قال عنتره^(٦):

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مُكَلَّمي

(١) قال ياقوت: "وهو موضع في طريق الشام من ناحية مصر، ذكره المتنبي، فقال: فمرَّت بنخل... البيت. معجم البلدان ٣٢٠/٥.

(٢) ويروى (تخيرنا) بالباء. معجم أحمد ١٩٢/٤، والنظام ق/٨٢.

(٣) انظر: الفسر ١٥٥/١.

(٤) لا يعرف قائلهما. وهما في الكتاب ٣٢١/١، ومعاني القرآن ٥٤/٢، والفسر ١٥٧/١، والمقتصد ٣٠٠/١. ورواية الكتاب والمقتصد: "صبر جميل".

(٥) في مجمع الأمثال ٢٤٨/١، وفيه (أم الوليد)، وثانيهما في المعاني الكبير ٧٥/١.

(٦) من معلقته المشهورة، ديوانه ٢١٨ (المكتب الإسلامي) ورواية الشطر الثاني فيه:

أو كان يدري ما جواب تكلّمي

وما ذكره الشارح موافق لرواية ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات ٤٤/٢ (بيروت).

تقديره: لو علم الكلامَ لكان مُكَلِّمي.

و"وادي المياه" منصوب الموضع. ولكنَّه أُسْكِنَ في موضع النصب لضرورة الشعر، كقوله^(١):

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ^(٢)

وكقوله^(٣):

وَأَنَا نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُتَوَّى، وَالسُّيُوفُ لَهَا شُهُودٌ^(٤)

وهذا في الياء كثير شائع، وقد جاء في الواو، نحو قوله^(٥):

فَمَا سَوَّدُونِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بَاءً وَلَا أَبِ

وليس يكثر كثرة الياء^(٦).

(١) هو رؤية بن العجاج، ملحقات ديوانه (مجموع أشعار العرب) ١٧٩.

(٢) القرق - بكسر الراء مع فتح القاف أو كسرها - : المكان المستوي، أو القاع الطيب، لا حجارة فيه. اللسان (قرق).

(٣) هو حيان بن ربيعة الطائي، انظر: شعري وأخبارها في الجاهلية والإسلام ٣٩٣/٢

وروايته (لنا شهود). أما رواية (لها شهود) فهي في المؤتلف والمختلف ١٣٧. والروايتان في اللسان (ملح).

(٤) يقول: وشهد الناس أنا نضرب الكتيبة الملحاء (وهي البيضاء: لكثرة سلاحها) حتى تهرب منهزمة، وأسيفنا تشهد - لنا أو عليها - لما فيها من الفلول لكثرة القراع.

شرح التبريزي للحماسة ١٠٣/١، واللسان (ملح)

(٥) هو عامر بن الطفيل، ديوانه: ٣٠ (طريفي). ورواية الشطر الأول فيه:

فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ قِرَابَةِ

وسياقي في صفحة: ٣٧٨ بلفظ الديوان.

(٦) في الأصل (الواو)، ولا يتفق مع قوله قبله: (وهذا في الياء كثير شائع). وانظر: الفسر ١٥٨/١.

(٨) وَقُلْنَا^(١) لَهَا: أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ؟ فَقَالَتْ - وَنَحْنُ بِتَرِيَّانَ: هَا^(٢)!

استعمال القول هذا مجاز، وحقيقته: أنا تأملنا الموضع الذي انتهينا إليه، وقدّرنا ما بيننا وبين / العراق، فاستقربناه لقوة رواحلنا، فكأننا قد سألناها، وقالت لنا: ها! كما أن قول ذي الرمة^(٣):

فَقُلْتُ لَصَيْدَحَ^(٤): انْتَجِعِي بِلَالاً

بمنزلة قولك: فحَنَنْتُهَا إِلَيْهِ. هذا هو الحقيقة.

و"ها" للتنبيه، مثله في قولك: هذا، وأراد: ها هي ذه، فحذف الجملة^(٥)، وإنما يحذف نحو ذلك لدلالة الحالة عليه، كما تقول في جواب من يسألك عن شيء: (لا) أو (بلى) ولا تقول: (لا، فعلت)، ولا (بلى، فعلت)، قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٦) ولم يقل: بلى، أنت ربنا؛ لأجل أن (بلى) يدلّ عليه، فاستغني عن ذكره. وأشدُّ من ذا بيت الكتاب^(٧):

(١) في الأصل (وقلن).

(٢) (تريان): اسم يطلق على عدّة مواضع، لعل المتنبي يريد به صقعا بين سماوة كلب والشام. قال ياقوت: قال شراح ديوان المتنبي. هو موضع من العراق، غرهم قوله (ها) للإشارة، وليس كذلك. معجم البلدان ٢/٢٤٤.

والذي قال: إن تريان من أرض العراق هو الواحدي (شرحه ٧٠٠).

(٣) ديوانه ٣/١٥٣٥، يمدح بلال ابن أبي بردة، وصدره:

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غِيثًا

(٤) صيدح: اسم ناقته.

(٥) انظر: الفسر ١/١٦١.

(٦) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٧) الكتاب ٣/٣٢١، والكامل ٢/٥٣١، والفسر ١/١٦٢، بلا نسبة. ونسب أبو زيد هذا الرجز للقيم بن أوس في النوادر ١٢٦.

بالخير خيرات، وإن شراً فـ
و[لا أريد الشر إلا أن تـ]

أراد: إلا أن تشاء، وإن شراً فشر.

وما ذكرنا أشبه بالموضع لأن (ها) حرف تحذف بعده الجملة، لدلالة الحالة عليها،
كما أن (بلى) و (لا) كذلك. فاعرفه.

(٩) وَهَبْتُ جِسْمِي^(١) هُبُوبَ الدَّبُورِ مُسْتَقْبَلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا

أي: أنها طارت كالريح، ومرت مرورها، والمعنى: أنه جنح بها من الغرب
إلى الشرق، وإنما خص الدبور لأنها تأتي من قبل المغرب في وجه الشرق، كما أن
هذه النوق تهبُّ من الغرب إلى الشرق، والصبا تقابلها؛ لأنها تأتي من الشرق،
بالعكس من الدبور.

(١٠) رَوَّامِي الْكِفَّافِ^(٢) وَكَبْدِ الْوَهَادِ^(٣) وَجَارِ الْبُؤَيْرَةِ^(٤) وَادِي الْغَصَى

"روامي" في موضع النصب على الحال، وأُسْكِنَ كما تقدّمه، وهذه كلها مواضع،
و"وادي" ينبغي أن يكون بدلاً من "جار البويرة".

(١) جِسْمِي: موضع ببادية الشام (معجم البلدان ٢/٢٩٨) وهو اليوم بالقرب من مدينة تبوك،
شمالي المملكة.

(٢) الكفاف: موضع قرب وادي القرى. معجم البلدان ٤/٥٣١.

(٣) كبد الوهاد: موضع بسماوة كلب. السابق ٤/٤٩٢. وفي الأصل: (كيد) تصحيف.

(٤) البويرة: موضع قرب وادي القرى بينه وبين بسيطة. السابق ١/٦٠٨.

(١١) وَجَابَتْ بُسَيْطَةٌ جَوْبَ الرَّدَا وَبَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا^(١)

"بسيطة": موضع^(٢). يريد أنها مرّت فيها مرّاً سريعاً حتى كأنها رداءٌ شُقّ. و"المها": بقر الوحش، واحداً مهاةً، ويقال: إنها البلّورة^(٣).

(١٢) إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ^(٤) حَتَّى شَفَتْ بِمَاءِ الْجَرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى

"الجرأوي" - بالجيم - منهل^(٥). قال^(٦):

ألا لا أرى^(٧) ماءَ الجراوِيِّ شافياً صداي، وإن رَوَى غليلَ الركائبِ

(١٣) وَلَاحَ لَهَا صَوْرٌ^(٨) وَالصَّبَّاحُ^(٩) وَلَاحَ الشَّغْوُورُ^(١٠) لَهَا وَالضُّحَى

(١) أراد بقوله: (بين النعام وبين المها) أن هذه الأرض بعيدة من الإنس، فتجتمع فيها الوحوش. شرح الواحدي ٧٠٠.

(٢) بسيطة: مدينة معروفة، شمالي المملكة.

(٣) وفي الفسر (١/١٦٣)، بلور، بفتح الباء وضم اللام مشددة. وفي اللسان: (البلور - على مثال عَجُول - المها من الحجر)، مادة (بلر).

(٤) عقدة الجوف: موضع آخر في سماوة كلب بين الشام والعراق. معجم البلدان ١٥٢/٤ وتعرف اليوم بأبارق، تبعد بما يقارب ثمانية أكيال في الشمال الغربي من دومة الجندل. انظر: المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ٩٢٩، للعلامة حمد الجاسر.

(٥) قال ياقوت: هي قُلب على طريق طيء إلى الشام. (معجم البلدان ١٣٧/٢)، وحدده العلامة حمد الجاسر: بأنه من أشهر مناهل وادي السرحان، يدعه الطريق المتجه إلى الجوف شماله بمسافة قصيرة. المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ٣١٥.

(٦) بلانسية في الفسر ١/١٦٦، وشرح الواحدي ٧٠١، ونسبة ياقوت إلى بعض الأعراب (١٣٧/٢)، وزاد بعده بيتاً آخر.

(٧) في الأصل (تري)، وهو خلاف ما في المصادر السابقة.

(٨) صور: ذكر أبو الفتح عن الجرهمي أنه (صوري) وهو اسم ماء (الفسر ١/١٦٦)، وقال المعري: "إنما أراد أبو الطيب (صوأن)، فألقى حركة الهمزة على الواو وحذفها". اللامع العيزي ٣٣/١.

وصوأن: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام. معجم البلدان ٤٩٠/٣.

(٩) يجوز في الصباح والضحي الرفع والعطف، والنصب على أنه مفعول معه. تفسير أبيات المعاني ٣٣.

(١٠) الشغور: تقول العرب: إذا وردت الشغور فقد أعرقت، وهو موضع أو ماء بقرب العراق في سماوة كلب. الفسر ١/١٦٦، ومعجم البلدان ٣٩٩/٣.

المعنى: أنها انتهت إلى الموضع الذي هو صَوْرٌ عند الصباح، وإلى الموضع الذي هو الشغور عند الضحى، وكأنَّ صَوْرًا والصباح لاحاً معاً، وطلعا مَطْلَعًا واحدًا، وكذلك الشغور والضحى!.

(١٤) وَمَسَّى الْجَمِيعِيَّ^(١) دِنْدَاؤُهَا وَعَاذَى الْأَضَارِعَ^(٢) ثُمَّ الدَّنَا^(٣)

الدَّنَاء: ضرب من الحَبِّ، ودأداً مثل دحرج، ألا ترى إلى الدأداة مثل الدحرجة؟
فالدأداء (فُعْلَال) وليس (بَقِيعَال).

وقال^(٤):

وَاغْرَوْتَ الْعُلْطَ الْعُرْضِيَّ تَرْكُضَهُ أُمُّ الْفَوَارِسِ بِالدَّنَاءِ وَالرَّيْعَةِ^(٥)

و"مَسَّى" فعل من المساء، كقولهم: مَسَّيتُهم أي: أتيتهم مساءً، وصَبَّحتُهم: أتيتهم صباحاً، كما قال هو^(٦):

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطَهُمْ تُرَابٌ

والمعنى: أن هذا السير (الذي [هو] الدَّنَاء) أضاف الجميعي مساءً؛ لأنها انتهت إلى الجميعي ليلاً، ثم غادى الأضرع - ثم الدنا بعد الأضرع - لأنها انتهت إلى الأضرع غُدُوَّةً.

(١) الجميعي: موضع: لم يزيدوا في التعريف به على ذلك.

(٢) الأضرع: اسم بركة من حضرة الأعراب، غربي طريق الحاج من العراق. معجم البلدان ٢٥٣/١ ويقول الشيخ حمد الجاسر: إنها جبال من أشهر أعلام الجوف تطل على دومة الجندل من الغرب. المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ٩٥.

(٣) الدَّنَا موضع فيه مياه، منها (عين التمر) بالقرب من العراق. الفسر ١/١٦٧، وشرح الكندي: ٧٩.

(٤) هو أبو دوداء الرؤاسي كما في اللسان (دأداً - ربع)، وبلا نسبة في التهذيب ١/٤٦٥، ٣/٣٧٢، والصَّاح (دأداً).

(٥) اعرورى البعير: إذا ركبته عربياً. والعلط: الذي لا خطام له. والعرضي: البعير الذي لم يذلل. والربعة: أشد عدو الإبل. (عن الصحاح).

(٦) سيأتي في قافية الباء.

(١٥) فَيَا لَكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكَشٍ أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَ الصُّوَى^(١)

"فيا لك" بمعنى: يا هذا أي إنسان أو أي شيء يقوم لك، أو يا هذا أعجب لك، وما جرى ذا المجرى؛ لأنه تعجب، فهو كقولك: يا للعجب تريد: يا قوم للعجب^(٢).

و"ليلاً" نُصِبَ على التمييز، كقولك: فيا لك رجلاً، وأكرم به رجلاً. وأنشد شيخنا -رحمه الله- عن الشيخ أبي علي^(٣):

أَرْقَنِي اللَّيْلَةَ بَرْقُ بَالْتَّهَمِ^(٤)
يَا لَكَ بَرْقًا مِنْ يَشْمِهِ^(٥) لَا يَنْمُ

أ/30

و"أعكش" موضع^(٦) و"أحم البلاد" نُصِبَ على الحال من أعكش وكذلك "خفي الصوى"، كما تقول: مسوداً بلاده خفياً صواه، ولا يجوز جر "أحم" على الصفة؛ لأن "أعكش" معرفة و"أحم" نكرة.

(١) الصوى: أعلام من حجارة تنصب على الطريق؛ ليهتدى بها. الفسر ١/١٦٨.

(٢) وانظر: الكتاب ١٣٣/٢، والمقتصد ٧٨٨/٢.

(٣) لم أجد ههما في ما بين يدي من مصنفات أبي علي. لكن ابن جني أنشدهما عن أبي علي في الخصائص ١١١/٢، والفسر ١٦٩/١، وهما في معجم ما استعجم ٣٢٢/١، واللسان (تهم) والخزانة ١٥٤/١. ولم ينسب هذا الرجز لأحد.

(٤) في الأصل (البهم) تصحيف، والتصويب من المصادر السابقة.

والتهم: بلد كما قال البكري، أو أن المراد به (تهامة) كأنه مصدر منها، أو تخفيف من لفظها. الصحاح واللسان (تهم).

(٥) وهذه رواية اللسان، وشام البرق: نظر إليه أين يمطر. وفي بقية المصادر (يشقه) من الشوق.

(٦) وهو بقرب الكوفة. معجم البلدان ١/٢٦٣.

(١٦) وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى

الرُّهَيْمَةُ: موضع بقرب الكوفة، وجوز الليل صدره، وليس بوسطه^(١)، ولهذا قال: "وباقيه أكثر مما مضى".

(١٧) فَلَمَّا انْخَنَّا رَكَزْنَا الرَّمَا حَ، فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْعَالَى

المعنى: إذا حللنا موضعاً حلّ فيه المكارم، وإذا كان كذلك كانوا قد ركزوا رماحهم فوق مكارمهم! وهذا قريب من قوله في كافور^(٢):

حَلَّ فِي مَنبِتِ الرِّيَاحِينَ مِنْهَا مَنبِتُ الْمَكْرَمَاتِ وَالْعَالَى

و"العلی" بمنزلة قولك: علانا، كقول عمرو بن كلثوم^(٣):

عَشَوُزْنَةُ إِذَا غُمَزَتْ أَرْنَتْ تَشْجُ قَفَا الْمُثَقَّفِ وَالْجَبِينَا^(٤)

فهو بمنزلة قولك: وجيئته، والتقدير في الإعراب: والجبين منه، فحذف؛ لأن الأول يدل عليه، كما تقول: زيدٌ منطلق وعمرُو.

(١) وقال ابن جني: "عنى (بالجوز) هنا صدر الليل" الفسر ١/١٣٥، وكذا في معجز أحمد ٤/١٩٥، وهذا بالنظر إلى سياق المتنبي، وإلا فإن الدلالة الأصلية للجوز هي: الوسط، كما بين ذلك ابن جني نفسه، واتفقت عليه معاجم اللغة. والذي حملهم على تفسير الجوز بالصدر هو تصحيح المعنى لأبي الطيب. فقد ذكر ابن فورجة أن القاضي الجرجاني غلط المتنبي في ذلك، فقال: (كيف يكون باقيه أكثر مما مضى، وقد قال: في جوزه، والجوز الوسط ١؟) الفتح على أبي الفتح ١٤٩، ١٥٠، وانظر: تفسير أبيات المعاني ٣٣، وشرح الواحدي ٧٠١.

(٢) سبق قريباً.

(٣) من معلقته، ديوانه ٩٠/.

(٤) العشوزنة: هي القناة الصلبة الشديدة. وأرنت: صوتت لتحركها وانقلابها. والمثقف: هو الذي يقوم الرمح بالثقاف. وهذا مثل ضربه، يريد: أن قناتهم لا تستقيم لمن أراد أن يقومها. انظر: شرح المعلقات لابن الأنباري: ٤٠٤، ٤٠٥.

(١٨) وَيَبْتَنَّا^(١) نَقَبُّ لُأَسْيَافَنا وَنَمَسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدا

ذُكِرَ أن كافوراً بعث في طلبه، وكتب إلى سائر عماله بجميع النواحي، وأن أبا الطيب لقيَه عند (نخل) طائفةً من جهة كافور، فقاتلهم، وأخذهم^(٢)، فلهذا قال: "ونمسحها من دماء العدا"، وأما تقبيلُ الأسياف فللإعظام لها، والتبجج بها، وشكرها على ما فعلته من صبِّ دم العدا.

(١٩) لَتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى

يعني أهل مصر، وقصد بذلك كافوراً، ويقولُه: "من بالعراق" أمير المؤمنين، و"من بالعواصم" سيف الدولة، وقولُه: "أني الفتى" أي: الفتى الكامل، كما يقال^(٣)، أي: هو الذي يستحق هذا الاسم على الحقيقة.

(٢٠) وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا، وَأَنِّي أَتَيْتُ، وَأَنِّي أَتَيْتُ، وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

(٢١) وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى وَمَا كُلُّ مَنْ سِيمَ^(٤) خَسَفًا أَبَى^(٥)

الخسف: الذلّ والضميم، وقال بعضهم: خير الرجال إذا سيم خطّة ضميم، قال: [لا] بملء فيه^(٦)!

(٢٢) وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى^(٧)

(١) في التبيان ٤١/١ (وثبنا)، أي: رجعنا.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ١٢٢/١.

(٣) لعلّ ههنا سقطاً.

(٤) سامه الأمر: كلفه إياه، وحمله عليه. القاموس (سوم).

(٥) رواية ابن جني (ولا كل) في الشطر الثاني. الفسر ١٧١/١، ورواية التبيان (ولا كل) في الشطرين ٤٢/١.

(٦) هذا القول مروى عن زياد ابن أبيه، أنساب الأشراف ٢٠١/٥، وكامل المبرد ٢٣٩/١.

(٧) التوى: الهلاك. الفسر ١٧٢/١.

"قلب" اسم^(١) و"له" خبره، و"كقلي" صفة لقلب النكرة. وأكثر الكلام: لزيد مالٌ، بتقديم الخبر على المبتدأ؛ [لأنك] إذا قلت: مالٌ لزيد، احتمل أن يكون (لزيد) صفةً للمال، ويكون الخبر غير مذكور، فإذا قدمت فقلت: لزيد مالٌ، لم يحتمل إلا أن يكون خبراً؛ لأن الصفة لا تتقدم على الموصوف. و"يشق" بفتح القاف على الجزاء، ويكون بمنزلة اشقُّ^(٢)، وأما من روى الرفع فإنما^(٣) حمله على بيت الكتاب^(٤):

يا أقرع بن حابس يا أقرع
إنك إن يصرع أخوك تصرع

التقدير: إنك تصرع إن يصرع أخوك، على التقديم والتأخير، وهذا قليل لا يكاد يوجد إلا في الضرورة، وإذا كان كذلك كانت هذه الرواية ضعيفةً؛ لا اضطرار ههنا. فهو بمنزلة ما ذكرت لك قبل []^(٥) لأجل الشعر. وغير الحسن أن تُسلك الضرورة من غير حاجة.

ومعنى البيت على وجهين:

أحدهما: أن يريد أن من كان مثلي لم يرص بالضم، وتوغل في المهالك، ليفوز بالعز، ويعرف سموهمته. وذاك أنه فارق كافوراً مع هجوه له بالقصيدة، وركب الخطر، حتى نال ما طلب، ويكون كقول أبي تمام^(٦):

(١) كذا بالأصل، كأنه يريد (اسم يك)

(٢) بمنزلة لأنه إذا فك الإدغام ظهر السكون، وإذا أدغم حرك بالفتح.

(٣) في الأصل (فأما).

(٤) الكتاب ٦٧/٣، ونسبه لجريز بن عبد الله البجلي، ونسبه البغدادي في الخزانة (٢٠/٨) لعمر بن خثارم البجلي. وبلا نسبة في المقتضب ٧٢/٢، وضرورة الشعر ١١٥، وأما ابن الشجري ١٢٥/١.

(٥) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٦) ديوانه ٢٣/٢.

30/ب

/لم تعطني الأيام نومًا مسكنًا أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بَنُومٌ مُشَرَّدٌ^(١)

والوجه الثاني: يريد أنه يتسارع إلى الهلاك أنفًا من الرضا بالذلّ والقسر، ليحصل له الذكر الجميل، كما قال^(٢):

أَكْرُ^(٣) عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمُّ سَوَاهَا

فيكون معنى الشق^(٤) على هذا الوجه: الدخول في الهلاك دون الخروج، بمعنى أنه لا يفكر في أن يقتل! وفي الوجه الأول أنه يخوض في الهلاك، ويخرج منه، ولا يقيم على سوء حال.

(٢٣) وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأْيٍ يَصْدَعُ صَمَّ الصَّفَا

أي: القلب، لا بد له من عزيمة ماضية، لا يمتنع من شيء، ولو كان كالصخر في الصلابة.

(٢٤) وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْقَتْلَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَا

هذا مثلٌ ضربه، وإنما أراد: كلُّ أحدٍ على مقدار همته يسعى، وخصَّ الرجلَ لذكر الخطأ؛ إذ كانت تحصل بها.

(٢٥) وَنَامَ الْخَوِيدُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى

يريد أنه لم يحسَّ بمفارقتنا وارتحالنا^(٥)، ويقول: ولا غرو فقد نام غباوةً وجهلاً لمقادير الأمور وأحكام النفوس، كقوله^(٦):

(١) في الأصل (يومًا ... بيوم) تصحيف.

(٢) هو العباس بن مرداس السلمي، ديوانه ١٦٢، (تحقيق: الجبوري).

(٣) رواية الديوان (أشد). وذكر محققه رواية (أكر) وروايات أخر.

(٤) الشق المذكور في بيت المتنبي

(٥) فهو يعني بالخويدم كافورًا.

(٦) هو محمد بن عمرو بن سعيد الحربي، كما في معجم الشعراء (٣٥٨)، وذكر أنه ينسب لأبي الصقر

وأخبرني البوّاب أنك نائمٌ وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائمٌ!

(٢٦) وَكَأَنَّ عَلَى قُرْبَيْنَا بَيْنَنَا مَهَامَهُ^(١) مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى^(٢)

المعنى: أنه مع قربه منّا كان غافلاً عنّا لجهله، حتى كأن بيننا وبينه مهامة، فكيف إذا بُعدنا عنه على الحقيقة! والقصد أنه لم يقف على ما كنّا فيه من الاستعداد للمفارقة.

(٢٧) وَقَدْ^(٣) كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيِّ أَنَّ الرُّؤُوسَ مَقَرُّ النُّهَى

(٢٨) فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهَى كُلَّهَا فِي الْخَصَى

المعنى: أني [لما] لم أراه عاقلاً قدّرتُ أن العقل في الخصى، وأنه قد ذهب عنه بذهابها!.

(٢٩) وَمَاذَا بِمِصْرٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ صَحِكَ كَالْبُكَاءِ

"ما" للنفي، و"ذا" إشارة إلى كافور^(٤)، وهو^(٥) مبتدأ، و"من المضحكات" خبره، و"بمصر" حال من "ذا"، كانه: وما [ذا] مُقيماً بمصر من المضحكات، ولا يجوز أن يكون "بمصر" متعلّقاً "بالمضحكات"؛ لأنه لو كان كذلك لما جاز تقديمه عليها، ألا ترى أنك لاتقول: بمصر المقيم، تريد: المقيم بمصر؛ لأن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول، والمضحكات بمنزلة: اللواتي تُضحك.

والمعنى: أن هذا المهجو، وإن خُلِقَ مما يُضحك - كما قال^(٦):

إسماعيل بن بلبل، ثم قال: والصحيح أنه للحري. والبيت بلا نسبة في الفسر ١/١٧٣، وشرح
الواحد ٧٠٢، والتبيان ٤٣/١.

(١) المهامة: جمع مهمه، وهو الفلاة الواسعة. الفسر ١/١٧٣.

(٢) رواية الواحد ٧٠٢: (والغى)، وهي رواية الديوان ٤٩٩.

(٣) في بقية الشروح والديوان (لقد).

(٤) قال ابن جني: يجوز أن يكون جعل (ماذا) اسماً واحداً، ويجوز أن يكون (ذا) بمعنى (الذي). الفسر ١/١٧٣.

(٥) في الأصل (ومن) تحريف. والضمير (هو) يعود إلى (ذا).

(٦) أي: المتنبي في كافور، ديوانه ٤٤٤.

ومثلك يؤتى من بلادٍ بعيدةٍ ليضحك ربّاتِ الحدادِ البواكيا

فإنّ الضحك منه كالبكاء؛ لأنّ مثله إذا كان والياً وجب أن يبكى على الدنيا، فالضحك منه بكاءً على الحقيقة!

(٣٠) بها نبطيٌّ من أهل السَّوَادِ يُدرّس أنسابَ أهلِ الفَلا

يعني بها ابنَ حنْزَبة^(١)، ودُكر أنه رجلٌ كثيرُ الكتب، يدرّس الأنساب، ويدّعي معرفتها. ويجوز أن يكون تعرّض له في شيء من شعره، فناسب الهجاء لذلك.

(٣١) وأَسُوذُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقالُ له: أَنْتَ بَذْرُ الدُّجَى!

جعل شَفَتَه من عِظْمِها كأنّها نِصْفُ جِسيده^(٢)!

(٣٢) / وَشِعْرٌ^(٣) مَدَحَتْ بِهِ الْكَرْكَدَنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى

أ/31

يقول: إني مدحتُ من لا أصل له، ولا يعرف، كما أن الكركدن كذلك^(٤)، ويقال: إنه

(١) ابن حنْزَبة هو جعفر بن الفضل، اشتهر بنسبته إلى (حنْزَبة) وهي جدته، من أهل بغداد، رحل إلى مصر، فاتخذَه كافور وزيراً له، له تآليف في الرجال والأنساب. توفي سنة ٣٩١ هـ. وفيات الأعيان ٣٤٦/١، والأعلام ١٢٦/٢.

(٢) قال في التبيان ٤٣/١: "جعل له مشافر لغلظ شفتيه، والمشافر تكون لذوات الخف، وإذا وصف الرجل بالغلظ والجفاء جعلوا له مشافر".

(٣) تُضبط هذه الكلمة - في الشروح - بالصَّم حِينًا وبالكسر حِينًا. قال ابن المستوفي: (من جرّه فبرب، ومن رفعه فعلى معنى: ولي شعر) النظام ق/٨٧. ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله: (نبطي... وأسود).

(٤) في شرح الواحدي (٧٠٣): شبهه بالكركدن؛ لعظم جثته وقلة مغناه.

شيء^(١) يكون في بلاد الهند، ويبلغ من عظمه إلى أن يرفع الفيل على قرنيه، ويقف به في الشمس حتى يذوب!^(٢)

وقوله: "بين القريض وبين الرق" يريد أن بعضه كان شعراً وبعضه كالرقية من الجنون! وكأنه يقصد نحو قوله^(٣): (يفضح الشمس ... البيت) لأجل أنه اغتره وخدعه، فظن أنه يمدحه، وهذا يسخر منه، والرُق قد يكون فيها ما يكون كالخديعة.

(٣٣) فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا لِلْوَرَى!

لم يكن مدحاً له، لأنه كان عارياً من الخصال التي توجب المدح، ولكنه كان ذمّاً للورى: من حيث إنه [إذا] كان يستحق التقريظ مع لؤمه ومناقضة طرده لطرق الناس، فإنهم يستحقون الذم؛ إذ ليس يليق بهم إلا ما يناقض ما يليق [به]، فلولاق به المدح، وجب أن يليق بالورى نقيضه وهو الذم.

ووجه آخر: وهو أنه إن كان كريماً مع ما فيه من الخصال المذمومة، فإن الناس ينبغي أن يكونوا لؤماء؛ إذ هم على خلاف منهاجه، والذم يليق بأهل اللؤم، فمدحه ذمٌ لهم على كل حال!

(٣٤) وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَضْنَاهُمْ وَأَمَّا بِزَقٍّ^(٤) رِيَّاحٍ فَلَا!

سمعتُ قومًا عبدوا الأصنام، وأتبعوها، ولم أسمع بأن مثل هذا يطاع! وجعله

(١) هو حيوان من ذوات الحوافر، ضخمة الجثة، قصير القوائم، غليظ الجلد، له قرن واحد فوق أنفه، ولذا يقال له: (وحيد القرن) ولبعض أنواعه قرنان. المعجم الوسيط (كرك) ٧٨٤. وسماء الدميري (الركند) حياة الحيوان الكبرى ٩٧/٢.

(٢) ذكر الجاحظ أن ذلك مما تزعمه العوام، وأنه أشبه بالخرافة. الحيوان ١٢٨/٧.

(٣) سبق في صفحة: ١٨٨، والبيت بتمامه:

يفضح الشمس كلما دزت الشمس — سُبُشْمِيسٍ مَنِيرَةٍ سَوْدَاءَ

(٤) الزق: جلد يجز شعره ولا ينتف، يعد للشراب وغيره. اللسان (زقق).

زَقًّا لانتفاخه^(١).

والفعل محذوف بعد (لا)، كأنه قال: وأما بزق رياح فلا يضلون، وأصل الكلام^(٢):
مهما يكن من شيء بزق رياح فلا^(٣).

(٣٥) وَمَنْ جَهَلَتْ قَدْرَهُ نَفْسُهُ^(٤) يَرَى^(٥) غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

يقول: إن الإنسان إذا لم يتصور مقداره، وظن نفسه فوق الرتبة التي يليق بمثله
- خفيت عليه معايبه، وانكشفت للناس؛ لأن إعجابه بنفسه وما يفعله يعمي قلبه عن
معرفة عيوبه.

(١) قال الكندي: "جعله زقاً لسواده، وانتفاخ بطنه، وأظن أنه رماه بتسريح الريح من غير إرادة، وذلك
مما يجوز أن يدل اللفظ عليه" شرحه: ٧٩٧.

(٢) يريد أن (أما) تقوم مقام (مهما يكن من شيء)، وهذا هو مذهب الجمهور.
انظر: الجنى الداني: ٥٢٢.

(٣) زاد الواحدي (٧٠٤) والتبيان (٤٤/١) بعد هذا البيت بيتاً آخر، هو:
وَتِلْكَ صَمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَزَّ كَوْهَ فَسَا أَوْ هَدَى

(٤) في بقية الشروح والديوان (نفسه قدره).

(٥) في بقية الشروح والديوان (رأى). وعلى رواية (يرى) - إن لم تكن تحريفاً من الناسخ - ينبغي أن تكون
(من) موصولاً.

[قافية الباء]

(٩)

وقال ينفي الشماتة^(١) عن بني عمّ محمد بن إسحاق التنوخي^(٢)، ويرثي محمداً (في الثاني من الطويل)^(٣):

(١) لَايُّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نَعَاتِبُ وَأَيَّ رَرَآيَاهُ بُوْثِرُ^(٤) نَطَالِبُ

اعلم أنّ من العرب من يقول: لزيدٍ ضربتُ، بمعنى: زيداً ضربت؛ وذلك أنه لما تقدّم المفعولُ على الفعل ضعف عنده عملُ الفعل لتأخره، فأدخل اللام^(٥)، تشبيهاً له بالأفعال التي تبني على غير التعدي؛ فتعدّى بحرف الجر، نحو "مر" و"ذهب" وما أشبههما، فعذاه باللام كما يُعدّى "مر" بالباء في قولك: مررتُ بزيدٍ، وعلى ذلك بيت الكتاب^(٦):

هذا سُراقَةٌ^(٧) للقرآن يدرسه والمرء عند الرُشا إن يلقها ذيبٌ^(٨)

والهاء في يدرسه للمصدر^(٩)، كأنه قال: هذا سراقَة يدرس القرآن الذي تعلم، ثم لما قدم المفعول ألحق اللام فقال: للقرآن، كقولهم: لزيد ضربت، فهو بمنزلة قولك: للقرآن يدرس.

(١) الشماتة: الفرح بالبلية. الصحاح (شمت).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) كُتِب ما بين القوسين، باللون الأحمر.

(٤) الوتر: الثأر.

(٥) هذه اللام مزيدة للتوكيد، انظر: الصاحبي ١٥٢، والجنى الداني ١٠٥، وسماها ابن هشام: (لام التقوية)، المغني ٢٨٦.

(٦) الكتاب ٦٧/٣، ولم ينسبه، ولا نسبه غيره.

(٧) لا يعرف سراقَة هذا على وجه التحديد، لكنهم قالوا: إنه رجل من القراء، ينسب إليه قبول الرشوة، والحرص عليها حرص الذئب على الفريسة. انظر: الخزانة ٣/٢.

(٨) في الأصل (الذئب)، وأثبت ما في الكتاب.

(٩) انظر: أمالي ابن الشجري ٩١/٢، والخزانة ٣/٢.

وكأنّ الذي حسّن لهم هذا أنّ معنى قولك: لزيدٍ ضربت: أنا لزيدٍ ضارب، وللقرآن دارس، فلما كان فيه هذا المعنى وكان الفعل قد تأخر عن المفعول أدخلوا اللام، كما يدخلون إذا أتوا بالاسم في قولك: أنا لزيد ضارب.

فقوله: "لأي صروف الدهر" بمنزلة قولك: أي صروف الدهر نعاتب فيه، كقوله: "وأي رزاياه" سواء، كما أن قولهم: لزيد ضربت، بمنزلة: زيدا ضربت.

[فإن قلت]: فهلاً ذهبنا إلى أن في الكلام مفعولاً محذوفاً، كأنه قال: لأي صروف الدهر نعاتب الدهر فيه، كما تقول: / لأي أفعال زيد أعاتبه، ويكون حذف لدلالة الحال عليه^(١)؟

31/ب

فالجواب: أن هذا جائز في الإعراب، غير أنه يضعف من جهة المعنى، وهو أنه لا يريد أن هذا المقصود قد أصابته صروف الزمان ومحضه كثيراً، حتى يقال: إن المعنى: لأي صروف الدهر نعاتب الدهر، وإنما يريد أنه أصابه الموت، لأنه كان من قبل ممتحناً، كيف وقد [وصفه]^(٢) بالغلبة والشجاعة والظفر فيما بعد؟ فالمعنى: أنه يتعجب من وصول المنية إليه^(٣)، فيقول: أي صروف الزمان فعلَ ذا، وأي أحداثه نعاتب في ذلك، مدعيًا أن موته خطب عظيم، فلا يدري ما يليق به فعله من صروف الزمان، فيعاتب عليه!

[كقوله]^(٤):

...ولم أخف من أن يكون على الحمام حمام

وهذا طريقة الشعر، ومقتضى ما بُني [عليه] من المجاز وضد الصدق.

(١) انظر: شرح الواحدي ١٢١، ومعجز أحمد ٢٦٦/١.

(٢) هنا بالأصل بياض بمقدار كلمتين أو ثلاث.

(٣) لم أجد هذا التحقيق عند غير الشارح. بل إن عباراتهم تشير إلى المعنى الذي ضعفه، وهو أن المراد:

كثرة المصائب والرزاياء، مما يحير المرء فلا يدري أيها يعاتب. انظر: شرح الواحدي ١٢١، ومعجز أحمد

٢٦٦/١، والتبيان ١٠٦/١، والتكملة لأي علي الصقلي ١٧٣/١ (تحقيق: أبو سويلم).

(٤) لم أقف عليه.

وهذا الذي أتى به من إدخال اللام قد جاء في التنزيل كقوله: ﴿يَنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١).

(٢) مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ وَقَدْ كَانَ يُعْطَى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَازِبٌ

قوله: "وقد كان يُعْطَى الصبر" يعني: يملك القوة والثبات. ويروى "يُعْطَى الصبر" - على فعل الفاعل - أي: يَرِدُ منه ذلك عند ظهور الخوف والعجز من كل أحد، كقوله^(٢):

إِذَا الْكَمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ^(٣) وصلناها بأيدينا

(٣) يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ

الإضافة من باب^(٤): خاتَمُ فضةٍ، وبابُ ساجٍ^(٥)، فكأنه قال: في سماء من عجاجة. وشبه الأسنه بالكواكب مع تشبيهه العجاج بالسماء ليلتقي طرفا التشبيه ويتقابل جانباه بالاستعارة. وقريب من ذا قول البحري^(٦):

فَكَانَ مَشِيَّتَهُمْ وَقَدْ حَمَلُوا الطُّبَا مِنْ تَحْتَ سَقْفِ الرُّخَاخِ^(٧) مُمَرَّدٌ^(٨)

لأنه جعل الرماح المشرعة بمنزلة الجذوع، واستعار السقف لما فوقها من العجاج، كما استعار المتنبي السماء. وقد شبه السنان بالكواكب - أيضاً - في قوله^(٩):

فَإِذَا الْأَسْنَةُ خَالَطَتْهَا خِلَّتُهَا فِيهَا خِيَالُ كَوَاكِبٍ فِي الْمَاءِ

(١) سورة يوسف: ٤٣.

(٢) هوبشامة النهشلي، من قصيدة له في الحماسة (شرح المازني ١٠٨/١)، والكامل ١٤٦/١، والتذكرة السعدية ٣٥.

(٣) ظلة السيف: حده.

(٤) يريد أن الإضافة - هنا - بمعنى: (من)، فقولك: خاتَمُ فضةٍ، أي: خاتم من فضة.

(٥) الساج: نوع من الشجر. القاموس المحيط (سوج).

(٦) ديوانه ٥٤٧/١، من قصيدة في مدح يوسف بن محمد الطائي.

(٧) الرخاخ: الطين، وأراد به الغبار. وفي الديوان (الزجاج).

(٨) ممرّد، أي: مملس. القاموس (مرد).

(٩) أي البحري، ديوانه ١١/١.

المعنى: أن الأسنة إذا خالطت الدروع بَيَّنَتْ لها أشباه الكواكب في الماء (لأن الدروع لامعة)؛ لأجل أن خيال الكواكب في الماء يكون مستطيلاً مثل السنان سواء. والمتني إنما قصد أن أطراف الأسنة تبرق في ذلك العجاج، وذلك يشبه النجوم في السماء.

(٤) فَتُسْفِرُ^(١) عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهُمَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ

قوله: "مما انفللن" (ما) فيه بمعنى المصدر، وكأنه قال: كأنما مضاربها من انفلالهن ضرائب. أنشد شيخنا -رحمه الله- عن أبي عثمان^(٢):

يسرُّ المرءَ ما ذهبَ الليالي وكان ذهابُهنَّ له ذهاباً^(٣)

قال: "ما ذهب الليالي" بمنزلة: ذهاب الليالي، وهو في موضع رفع يأسناد "يسر" إليه. والضريبة: الشيء المضروب، قال^(٤):

إذا مسَّ الضريبةَ شفرتهَا كَفَاكَ من الضريبة ما استطاعا

والمعنى: أن سيوفه كثيرة الفلول، وهو كقول الآخر^(٥):

وأسيافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بهما من قراعِ الدَّارعينَ فُلُولُ

(١) تسفر: أي تنجلي، والضمير يعود على العجاجة. الواحدي ١٢١.

(٢) هذه الكنية اشتهر بها المازني، بكر بن محمد، صاحب التصريف، وقد مضت ترجمته.

(٣) هذا البيت بلا نسبة في الجني الداني ٣٣١، وشرح المفصل ١٤٢/٨، ١٤٣، وشرح قطر الندى ٤٧، وهمع الهوامع ٨١/١.

(٤) هوجنادة بن عامر الهذلي، أو أبو ذؤيب. شرح أشعار الهذليين ٢٣١/١، ٢٣٢.

(٥) هو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، وينسب للسموأل بن عادياء اليهودي. انظر: الحماسة بشرح المرزوقي ١٣/١، ١٢٢، والأغاني ٣٢٢/٦، وسمط اللآلئ ٥٩٦/١. والسموأل: أخباره والشعر المنسوب إليه: ١٥١ (مختار الغوث). والحارثي: حياته وشعره: ٤٢-٥٠ (زكي العاني).

وأوضح المتنبي حيث قال ^(١):

قطعتُ نفوسَ العدا بالحديد سدّ حتى قطعْتُ ^(٢) بهنَّ الحديدِ

/ وقال أبو تمام في مرثيّه ^(٣):

وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه من الضرب، واعتَلَّتْ عليه القنا السُّمُرُ

أ/32

(٥) طَلَعْنَ شُمُوسًا، وَالْعُمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٌ، وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ

"شموساً" نصب على الحال، ويجوز أن يكون على التبيين ^(٤)، كقولك: أكرم به رجلاً، و"لهن" ضمير عائد إلى الشمس.

والمعنى: أن السيوف تسل من أعمادها مصقولة لامعة وتستتر في الهام، كما تغرب الشمس! وقال آخر ^(٥):

تخطو الغمود إلى رقاب عدوهم كالبرق يخطفُ خَطفَةً ويغيبُ

والتشبيه بالبرق أجود؛ لأجل أن مدةً بين طلوع البرق وغروبه قصيرةٌ، وإنما تكون قدر لمح العين بالعين، كما أنه ليس [بين] استلال السيف [و] إغماده في المضروب تطاولٌ وقت، [و] بين طلوع شمس وغروبها زمانٌ طويل! ^(٦)

(١) الديوان ١٢٤، يمدح بدر بن عمار.

(٢) في الديوان والشروح (قتلت) في الموضعين.

(٣) ديوانه ٨٠/٤ يرثي محمد بن حميد الطائي.

(٤) أي التمييز.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ثم إن بين السيف والبرق توافقاً في الشكل، فكلاهما مستطيل. ولا مشابهة بين السيف والشمس من هذه الناحية.

(٦) مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكْفِهَا، حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ

يقول: هذه مصيبة من عظمها وفظاعتها قد تنزلت منزلة مصائب، وقد ضمت إليها مصائب من نسبة العداة إيانا إلى الشماتة. وهذا نمط من قول أبي نواس^(١):

وليس لله بمُستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد

لأنَّ المصيبة إذا جرَّت مجرى مصائب كان الذي وقعت عليه^(٢) جاريًا مجرى خَلْقٍ! فاعرفه.

وفاعل "لم يكفها" ما في الكلام من المعنى، كأنه قال: ولم يكفها ذاك، أي: تجميعُ المصائب فيها، كقولهم: "مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ"^(٣).

والصواب في مصيبة: مصاوب^(٤)؛ لأن الياء منقلب عن الواو، وهو عين، فهو كالألف في مقامة، فينبغي أن تصحح الواو، كما تقول: مقامة ومقاوم، وإنما تكون الهمزة في نحو صحيفة وصحائف؛ لأن ياء صحيفة ياء فعيلة، وليس بأصل.

(٧) رَأَى ابْنُ أَبِيْنَا غَيْرُذِي رَحِمٍ لَهُ^(٥) فَبَاعَدَنَا مِنْهُ^(٦) وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ

الأب: كناية عن العم، ويريد أنه أبعدهم عنه، إذ نسبهم إلى الشماتة، ألا ترى إلى قوله:

(١) ديوانه ٤٥٤ (الغزالي).

(٢) في الأصل (عليها).

(٣) أي: من كذب كان الكذب شرًّا له.

(٤) في الأصل (صوايب)، لعله تحريف.

(٥) روى الخوارزمي (غير ذي رحم لنا) شرح الواحدي: ١٢٢، وهي رواية الديوان ٦٧.

(٦) عند الواحدي (عنه): ١٢٢.

(٨) وَعَرَّضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَرَارَتْ عَارِضِيهِ^(١) الْقَوَاضِبُ

في الكلام محذوف، كأنه قال: إن كان صدق وإلا فرارت عارضيهِ السيوف^(٢)، كما تقول: إن كان فعل كذا وإلا فلعلنة الله عليه، وهذا النحو شائع في الكلام؛ لأجل أن الحال يدلّ عليه، ألا ترى إلى قولهم: لا عليك، يريدون: لا بأس عليك. وكقولهم: إذا كان غدا فأتني، والمعنى: إذا كان ما نحن فيه من الخير والشر غدا فأتني.

واستعار الزيارة هنا بمعنى الإصابة به، فكأنه أصابه وجهُ السيف.

(٩) أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ بَيْنَ بَنِي أَبِ لِنَجْلٍ^(٣) يَهُودِيٍّ تَدِبُّ الْعَقَارِبُ^(٤) ۝

كان الذي أغراهم إلى السماتة يهودياً^(٥).

وقوله: "أن بين بني أب" اسم ليس، و"عجيباً" خبره، كقولك: أليس حسناً أنك فاعل كذا؟ والتقدير: أنه، يريد ضمير القصة والحديث، فحذف لأجل الشعر^(٦)، كبيت الكتاب^(٧):

فلو أن حُقَّ اليومَ منكم إقامةٌ وإن كان سَرَحٌ^(٨) قد مَضَى فَتَسَرَّعَا^(٩)

(١) العارضان: جانباً للحية. الفسر ٣٦٣/١. ويروى (أخذه). شرح الواحدي ١٢٢.

(٢) ويجوز أن يكون قوله: (وإلا فرارت عارضيهِ القواضب) حكاية لقول المعرّض، والمعنى: هم شامتون بموته، وإلا فرارتني السيوف. شرح الواحدي ١٢٢.

(٣) نجل الرجل: ولده.

(٤) ديبب العقارب: كناية عن النميّة.

(٥) أي: أنه يريد شخصاً يهودياً بعينه، وهذا ما تدل عليه عبارة ابن جني ٣٦٥/١، والواحدي ١٢٢، وقيل: إنما وصفه باليهودي؛ لذته وحقارته، أو لأن اليهود اشتهر عنهم عداوة المسلمين، والإفساد بينهم. معجز أحمد ٢٦٨/١، والتكملة للصقلي ١٧٥/١.

(٦) وانظر: الفسر ٣٦٣/١.

(٧) الكتاب ٧٣/٣، وهو للراعي النميري، ديوانه: ١٦٧.

(٨) السرح: المواشي التي تسرح إلى الرعي.

(٩) يقول: ليت إقامتكم تحققت لنا، وإن كانت مواشيكم قد أسرع بكم.

يريد: فـ[لو] أنه، ألا ترى أن (أن) لا تدخل على فعل، البتة؟ فكذا قوله: "أن بين بني أب" ظرف بمنزلة قولك: أن خلفك، و"تدب العقارب" مقدم في الرتبة، وأنت لا تقول: أن تدب العقارب، فتدخل [أن] على الفعل. وإذا كان كذلك لم يكن بد من تقديم الهاء، كما قُدِّم في بيت الكتاب. فالضمير المقدم اسم "أن"، و"تدب العقارب" جملة في موضع الخبر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾^(١) فمن يأت -إلى آخر الكلام- خبر إن. وإذا أردت توضيح المعنى فجئ بأن الخفيفة وهو كقولك: أليس عجيباً أن تدب العقارب؟!

32/ب

(١٠) /أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ وَقَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ

هذا البيت ليس فيه ما يُستنكر، إذا حَقَّقْتَ، لأجل أن الرجل إذا كان عظيمَ الرتبة ظاهرَ القدرة والسلطنة ثم جرى مجرى الضعيف العاجز في اخترام المنيّة له، كان ذلك دليلاً على أن حكم الله نافذ، وقضائه غالب. وإنما يُستنكر إذا قيل: إنه يعلم عند موت الإنسان قدرة الله، فأما أن يجعل ذلك من إحدى الدلائل الناطقة بأن الأمور تجري على حكمه فلا، وهو كما قال^(٢):

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ جَاهِدُ^(٣)
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ أَيْبَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ^(٤)

ووجه المدح ما ذكرنا من قصده التعظيم، حتى إنه آية من الآيات.

وقد جاء أبو تمام بما يجانس ذا، فقال^(٥):

رُؤْدُ^(٦) إِذَا جَرَدَتْ فِي حُسْنِهَا فَكَرَّكَ دَلَّتْكَ عَلَى الصَّانِعِ

(١) سورة طه: ٧٤.

(٢) هو أبو العتاهية، ديوانه: ١٠٤ (شكري فيصل).

(٣) في الديوان (الجاحد).

(٤) (في) أضيفت بخط مخالف. وفي الديوان (تدل) مكان (دليل).

(٥) ديوانه ٣٥٢/٢.

(٦) الرؤد: المرأة الشابة الحسنة. اللسان (رأد)، وكتبت في الديوان (رود) بتخفيف الهمزة.

(١٠)

وقال يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي العُمِّي، و"عَمُّ" قرية بين حلب وأنطاكية^(١):

(١) دَمْعُ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ، وَشَفَى، أَنَّى؟ وَلَا كَرِبا!

يقول: إن الدمع فاض في الربيع، فأدى حقَّ أهله الظاعنين، وشفى الغلَّة^(٢). ثم استرد هذا المعنى، فأنكر أن يكون ذلك كذلك، فقال: "أنى؟ ولا كريا"، واستفهم نفسه على سبيل [الاسترداد]، فكأنه قال: كيف يكون ذلك؟ ولا كريا" أي: ولا قارب الدمع القضاء والشفاء. ونحو ذا قول زهير^(٣):

قِفْ بِالْديَارِ التي لم يعفها القَدَمُ بلى، وَغَيْرَهَا الأرواحُ وَالْدَيَمُ^(٤)

وقول جرير^(٥):

غَدَاً بِاجْتِمَاعِ الحَيِّ^(٦) نَقْضِي لُبَانَةً وَأُقْسِمُ لَا تُقْضَى لُبَانَتُنَا^(٧) غَدَاً

فكل واحد منهما قد أعطى المعنى، ثم استردَّه وجحدّه.

(١) كُتِبَتْ هذه المقدمة كُلُّهَا باللون الأحمر.

(٢) الغلَّة: حرارة العطش أو الشوق. القاموس (غلل).

(٣) ديوانه ١٤٥.

(٤) لم يعفها: لم يطمسها. الأرواح: جمع ريح. والديم: جمع ديمة، أي: المطر الدائم في سكون.

(٥) ديوانه ٨٤٨/٢.

(٦) في الأصل (القوي) كأنه أراد: القوم، وأثبت ما في الديوان.

(٧) في الأصل (لبانته)، وأثبت ما في الديوان. واللبانة: الحاجة والغرض.

واعلم أنَّ الغرض في الاسترداد^(١) هذا التوكيد والتشديد، وذلك أن الإنسان إذا ابتدأ بذكر الشأن جاز أن يظن به الغلط، فأما إذا ذكر الشيء مثبتاً له، ثم أعرض عنه، وأتى بما ينافيه مستدركاً، كان أبعد من الظن من المبتدئ؛ إذ الشك بعيدٌ من الأمر المستدرك المرجوع إليه. فقول الرجل: ضربت [زيداً، بل] خالداً، أكد^(٢) في إثبات الضرب لخالد من أن يقول: ضربت خالداً، من غير أنه يحصل فيه استدراك. وإذا كان كذلك كان قول زهير: "غيرها الأرواح والديم" بعد النفي أشدَّ في إثبات الدروس والعفا من [أن] يقول ذلك مبتدئاً، كما قال لبيد^(٣):

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمَقامُها

فهذه طريقة العرب، مقصود لها ما ذكرت من التأكيد ونحوذا من المجاز الوارد للمبالغة، ألا ترى أن زهيراً لم يكن ذهب عنه بلى الديار ودروسها فيستدركه بقوله: بلى وغيرها الأمطار؟! وإنما هو توسع ومجاز. فاعرفه.

وقد قيل: إن القصد في مثل هذه الدلالة على أن الحبَّ قد حيرهم، حتى ليس يدرون ما يقولون، فينقضون صدرَ الكلام إلى عجزه، فَعَلَ المدهوش!

وكرب من أفعال المقاربة، كعسى، وكاد، وأوشك، يقال: كرب يفعل كذا، كما تقول: كاد يفعل، ففي قوله: "ولا كرباً" ضمير للدمع، وحذف الخبر، الذي هو يفعل، والتقدير: ولا كرب يقضي ويشفي، وهو ككاد سواء.

(١) مصطلح الاسترداد لم أجده في ما بين يدي من كتب البلاغة والبدیع. وقد سماه ابن المعتز (الرجوع)، البديع: ٦٠، وتابعه العسكري، الصنائع: ٣٩٥، ومنهم من يسميه (الاستدراك): قانون البلاغة ١١١، وتحرير التحبير ٢٣١، واستقر الاصطلاح على (الرجوع). انظر: شروح التلخيص ٤/ ٣٢١.

(٢) في الأصل (كز) تحريف.

(٣) هذا مطلع معلقته ﷺ، ديوانه: ٢٩٧، وعجزه: "بمنى، تأبد غولها فرجامها"

ويجوز أن يكون جعل (كرب) اسماً، كما يُفعل / ذلك [ب] الحروف، ونحو بيت الكتاب^(١):

أَلَمْ عَلَى لَوْ وَلَوْ كُنْتَ عَالِماً بِأَذْنَابِ لَوْلَمْ تَفْتَنِي أَوَانُلْهُ

فجعل [لو] اسماً للمعنى الذي وضع عليه في الكلام وهو التمني^(٢)، فكذلك يجوز أن يجعل (كرب) اسماً للمقاربة، حتى كأنه قال: وأنى، ولا مقاربة هنا؟ فيكون بالفتحة على [هذا] القول كفتحة رجل في قولك: لا رجل، ولا يكون فيه ضمير؛ إذ لا يكون فعلاً.

ويقوي هذا ما أنشده شيخنا من قوله^(٣):

ظَنُّ بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بِتَنُوفَةٍ^(٤) يَتَنَازَعُونَ جَوَائِبَ الْأَمْثَالِ

فأدخل عليه الجار، وجعله اسماً، فكأنه: ظنُّ بهم مقارب، فهو إذن اسم للمقاربة، فهذا عين ما نحن فيه. فاعرفه فإنه جلي.

(٢) عَجْنَا، فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا مِنْ الْعُقُولِ، وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا

معنى البيت: انعطفنا إلى هذا الريح، فسلبنا ما كان انفلت^(٥) من يد الفراق من عقولنا، ولم نسترجع ما كان أخذ! فكأنهم قدروا أن الوقوف بالريح مما يسكن جزعهم، ويشفي غليظهم، ولم يعلموا أنه مثل الفراق في إعانة الأسف على أفندتهم واغتصاب ألبابهم، فصاروا إلى قوله^(٦):

(١) الكتاب ٢٦٢/٣، بلا نسبة، وانظر: المقتضب ٢٣٥/١، وشرح المفصل ٣١/٦.

وقد استشهد به سيبويه على تضعيف (لو) عندما جعلت اسماً.

(٢) والأدلة على ذلك: التضعيف - كما ذكر سيبويه - والتنوين، ودخول حرف الجر عليه.

(٣) هوثيم بن مقبل، ديوانه: ٢٦١ (تحقيق: عزة حسن). وفي ألفاظ البيت روايات، استقصاها المحقق.

(٤) التنوفة: الأرض الواسعة التي لا ماء بها، ولا أنيس. القاموس (تنف).

(٥) في الأصل (انقلب)، لعله تصحيف لما أثبت.

(٦) بلا نسبة في الدر الفريد ٣٦/١١.

هربت من الأمطار كيلا تبُلّني فصرتُ بحمد الله تحت المِثاعِبِ!

وقال البحري^(١):

كم من وقوفٍ على الأطلال والدّمنِ لم يَشْفِ من برّحاءٍ^(٢) الشّوق ذا شَجَنِ

وقال أيضاً^(٣):

فالدار تعلم أنّ دمعِي لم يَغْضُ^(٤) فأروحَ حاملَ^(٥) مِنّةٍ من مُسْعِدِ^(٦)
ما كان لي جَلْدٌ فيودي إنمّا أودَى غداةَ الظّاعنينَ تجلّدي

فالبيت الأول: يشبه قول المتنبي: "دمع جرى"؛ لأجل أنّ كلّ واحد منهما قد أخبر بأن دمعَه كان باقياً بعد الفراق، فذكر البحري أنه [لم يقل] لخليله: أسعدني في البكاء، ولا يتقلد له منّة مع أن دمعَه لم ينفذ كلّهُ. وجعل الدار عارفةً بذلك. وكذا المتنبي ذكر أن الدمع فاض^(٧).

والبيت الثاني مفارق لقوله: "عجنا" لأجل أن البحري جعل^(٨) الفراق ذاهباً بالصبر كله، وقال إنه لم يبق لي جلدٌ تفنيه الدار؛ إذ كان الفراق قد استوعبه^(٩)، والمتنبي زعم أن الفراق لم يكن استلب جميعَ عقولهم، بل كان بقى شيئاً فازبه الربع! فإذا بيتُ

(١) ديوانه ٢١٥٨/٤.

(٢) البرحاء: الشدة والجهد.

(٣) ديوانه ٥٤٤/١.

(٤) لم يغض: لم ينقص.

(٥) في الديوان: (أحمل) وهما روايتان.

(٦) المسعد: المعين على البكاء.

(٧) أي: بعد الفراق، عندما وقف على ريع أحبته الراحلين.

(٨) في الأصل (جعل ان الفراق).

(٩) في الأصل (استوعب).

البحثري أبلغ؛ لأجل أنه بكى من غير طمع في استرداد الجلد، ولذا كان جزعُه من الفراق أشدَّ إذ ذهب جميعُ ما كان عنده، والمتنبى ذكر أن البكاء لأجل الرغبة في الشفاء، واسترداد العقول، ألا ترى أن قوله: "وما رد الذي ذهباً" شكايَةٌ واستزادة؟! إلا أن ذهبَ العقل أبلغ من إذهاب الجلد. فاعرفه، فإنَّ نحوذا من التفسير لا يُتصدى له في كل موضع؛ لأنك إذا عرفتَ نمطاً منه، استدللت به على ما سواه.

(٣) سَقَيْتُهُ^(١) عِبْرَاتِ ظَنِّهَا مَطَرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنِّهَا سُحْبًا

الهاء في "سَقَيْتُهُ" يعود إلى الربيع. وجعل الجفن كالغمام؛ لأنه يشتمل على الدمع اشتمالَ الغيوم على المطر.

والعبرات جمع عَبْرَةٍ، وإنما قيل ذلك لأنها تعبر الأوجفان، وكذا قولهم: عبرة الأمر، والاعتبار؛ لأن حقيقته أن تتجاوز بفكرك وتأمُلك من شيءٍ إلى شيءٍ، فلم يفرقوا بين الموضوعين إلا بالحركة، وهو أن المخصوص بالدمع مفتوح الفاء، والآخر مكسورُه. وقد قالوا: عَبْرًا مات^(٢)، وذلك أنه تجاوز الدنيا، وعلى هذا يجري الباب، فاعرفه.

والتضعيف في "سَقَيْتُهُ" للتكثير، نحو قَطَعْتَ وكَسَّرْتَ، وقد يكون سَقَيْتُ دعاءً بالسقيا.

(٤) دَارُ الْمَلَمِّ لَهَا^(٣) طَيْفٌ تَهْدَدُنِي لَيْلًا، فَمَا صَدَقْتَ عَيْنِي، وَلَا كَذَبًا

/ "دار الملم" خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو^(٤) دار الملم، وقد تقدم نظيرذا. والألف واللام في "الملم" موصول بمعنى التي، وهو للمرأة - كما أن (التي) يكون كذلك - والفعل^(٥) للطيف، واستقام^(٦) للصلة في "لها"، فهو بمنزلة أن تقول: دار الضارب غلامها عمرو.

33/ب

(١) (سقيته) يروي مخففاً ومشدداً. النظام ق/ ٣٦٤.

(٢) انظر: الصحاح (عبر).

(٣) في معجز أحمد ٣٤١/١: (بها) بدل (لها).

(٤) الضمير يعود على (الربيع).

(٥) الفعل هو (ألم) المفهوم من قوله: (الملم).

(٦) أي: واستقام هذا الأسلوب، أو هذا الأمر. وهو أن تكون كلمة (الملم) مشطورة بين المرأة والطيف.

و"تهدّني" مرفوع الموضع بأنه صفة "لطيف".

و"ليلاً" نصب على الظرف. وليس يريد ليلةً واحدةً، وإنما يعني أن الطيف كان يأتيه مرة بعد أخرى، ويُوّعه بالفراق، فهو مثل قوله^(١):

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلِيلٍ تَأْوُهُ أَهْلَةُ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

لأن المعنى أنه يرحلها ليلةً بعد ليلةٍ، فهو على العموم، وهذا هو الصحيح؛ لأن الليل اسم جنس.

ومعنى قوله: "فما صدقت عيني ولا كذبا": أن الخيال لا يكون له حقيقةٌ، فالعين -إذاً- غيرُ صادقةٍ، والخيالُ غيرُ كاذبه في وعده؛ لأنّه أوعَدَ بالبعدِ فرحلوا^(٢).

والتهدّد مأخوذ من قولهم: هددتُ الشيءَ، وذلك أن المُوعدَ كأنه يهدّد جانبَ مَنْ أوعَدَ بالتّخويف والإفزع!

(٥) نَأَيْتُهُ^(٣) فَدَنَا، أَذْنَيْتُهُ فَزَأَى جَمَشْتُهُ فَنَبَا، قَبَأْتُهُ فَأَبَى!

يقال: نَأَيْتُهُ عني مثل: نَفَيْتُهُ وأبعدته، ونَأَى هو بنفسه، فهذا مثل ما تقدم قبيل^(٤). وقد يقلب نأى، فيقال: ناءً، كما يقال: رأى وراء، ويقال: انتأى في مُطَاوَعِ نَأَيْتُهُ، وجميع^(٥)

(١) هو المثقب العبدى، ديوانه: ١٩٤ (الصيرفي).

(٢) في الأصل (فوجدوا) تحريف.

(٣) رواية الواحدى (١٥٤): (ناءيته) وكذا في معجز أحمد ٣٤٢/١، والتبيان ١١٠/١، وشرح الكندي ١٦٦. ويروى: أنأيته. معجز أحمد ٣٤٢/١.

(٤) يعني أن (فعل) مثل (نأى) جاء متعدياً ولزماً، مثل (صدّ) و(جبر) فيما سبق.

(٥) في الأصل (جمع).

هذا التركيب يفيد معنى النفي والإبعاد، ألا ترى إلى قولهم: النُّؤْي؛ لأنه ينفي الماء عن الخيمة، ويدفعه عنها، ويقال: نَأَيْتُ وَانْتَأَيْتُ إذا حضرتُ ذلك، قال^(١):

إذا ما التقينا سال من عبراتنا شأيب^(٢) نئأى سيلها بالأصابع

فهذا كقوله: ننفى ونبعد، فاعرفه.

والتجسيس: المغازلة والمداعبة.

وإنما أراد أن يصفه بقلّة مساعدته والنزول على حكمه، حتى إنه إذا أخذ به في طريقة عدل عنها إلى مناقضها.

(٦) هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ نَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْبًا

يقال: هَامَ الرجلُ على وجهه إذا مال عن القصد، والأصل في الهيام للعطش، ورجلٌ هَيَّمان، ثم يتعدى إلى العشق؛ لاجتماعهما في الحرارة وضد^(٣) الاستقرار والثبات.

وجعل المحبوبة كأنها نزلت في القلب لنزول حبها فيه. وذكر أن هذا البيت ليس كسائر البيوت؛ إذ لا طُنْب له^(٤). ونحوذا كثير، فمنه قول البحري^(٥):

كالبدر إلا أنها لا تجتألى والشمس إلا أنها لا تغرب

(١) في التهذيب ٥٤٢/١٥، ومعجم مقاييس اللغة ٣٧٨/٥، والصاحح (نأى)، ولم ينسبوه لأحد.

وفي هذه المصادر (ينأى سيلها) ببناء الفعل للمجهول.

(٢) الشأيب: جمع شؤبوب، وهو: الدفعة من المطر. القاموس المحيط (شأب).

(٣) كتب فوق (ضد) كلمة (هو) بخط مخالف، كأن من وضعها يريد أن يستأنف الكلام، فيقال: وهو ضد الاستقرار والثبات.

(٤) في الأصل (لها).

(٥) ديوانه ٧٢/١.

لَمَّا شَبَّهَهَا بِهِذِينَ ذَكَرَ أَنَّهَا تَفَارِقُهُمَا فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ، وَهُوَ أَنَّهَا تَبْقَى فِي كُلِّ حَالٍ،
كَمَا أَنَّ الْمُتَنَبِّيَ لَمَّا جَعَلَ قَلْبَهُ بَيْتًا لَهَا ذَكَرَ أَنَّهَا لَيْسَ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ الْبُيُوتِ الْمَضْرُوبَةِ^(١)،
وهذا واضح.

ويجوز فيه وجهان آخران:

أحدهما: أن يريد أن هذه الأعرابية امتلكت قلبي من غير تجشّم وفضل كُلفيّة؛ إذ
صادتني بلحظة واحدة، ولم تحتج إلى أن تتحمّل مشقّة فتكون بمنزلة من يهَيّ لنزوله
مكاناً، بل كان فؤادي لها كالخيمة المضروبة حتى نزلته^(٢).

والوجه الثاني: أن يريد أنها نزلت من قلبي بيتاً ليس له طنب؛ لأن الخيام إنما ينزلها
المسافرون - في الغالب - لا مَنْ يَسْتَوِطِنُ بِقَعَةٍ بَعِينَهَا. وهي نازلة فيه نزولاً لا ينقطع،
يدلّ به على رسوخ ودّها، وتمكّنه. وهذا مليح.

(٧) / مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنًا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ صَرِيًا

أ/34

يقول: قدّها أحسن اختياراً واعتدالاً من الغصن، وريقها أحلى من العسل الأبيض،
فإذا شَبَّهَا بِهِذِينَ فَقَدْ ظَلِمَا. وحذف الجارّ من قوله: "تشبيهه غصناً" والأصل:
بغصن، قال^(٣):

بأيديهم مَغَارِفٌ مِنْ حَدِيدٍ أَشْبَهُهَا مَقِيرَةَ الدَّوَالِي^(٤)

(١) انظر: شرح الواحدي ١٥٥.

(٢) ذكر هذا الوجه ابن جني. الفسر ٣٧٢/١.

(٣) هو مسكين الدارمي، ديوانه: ٦٦.

(٤) المقيرة: المطلية بالقار. والدوالي: جمع دالية، وهو وعاء من خوص وخشب يستقى به. اللسان (دلا).

وقال البحتري في ذا المعنى^(١):

خَوْذًا إِذَا مَا مَشَتْ^(٢) لَمْ تُلَفْ هِزَّتْهَا لِلخِيزَانِ، وَلَمْ تَوْجِدْ مَعَ الْبَانِ

وإذا كان فوق ذلك في الحسن كان تشبيهه^(٣) ظلماً، كما قال المتنبي.

(٨) بَيَّضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتَيْهَا^(٤) وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا

"مطلوباً" نُصب على التمييز^(٥)، فكأنه: ما أعزّه مطلوباً إذا طُلب، كما تقول: أكرمّ بزيدٍ جواداً إذا جاد. والتقدير: في "عزّ" فَعْلٌ؛ لأنه صدر مصدر التعجب، فهو بمنزلة قولهم: كَرَّمْ رجلاً زيد.

"فذلك" ليس بفاعل "عزّ" وإنما فاعله مضمير يفسره "مطلوباً"، كما أنك إذا قلت: نعم رجلاً زيد، كان كذلك، فالتقدير: وعزّ ذلك، فذلك بمنزلة (زيد) في قولك: نعم رجلاً زيد، والتقدير: وعزّ المطلوب ذلك^(٦). كقولهم: [....] ^(٧) في حكم إعراب هذا طول، وليس يسعُ الموضعُ لمثله.

وإن جعلت "ذلك" فاعلاً جاز، كما قال^(٨):

حُسْنٌ ذَا أَدَبٍ

(١) ديوانه ٢١٧١/٤.

(٢) في الديوان (مهزوزة إن مشت).

(٣) أي: إذا كانت في الحسن فوقهما، كان تشبيهها بهما ظلماً.

(٤) قال ابن جني: (ما تحت حلتها) يريد جسمها. الفسر ٢٥٣/١.

(٥) وهذا قول ابن جني. الفسر ٣٧٣/١. وقال الواحدي: (وانتصب مطلوباً على الحال) ١٥٥.

(٦) في الكلام هنا شيء من التكرار.

(٧) بياض بمقدار أربع كلمات أو خمس، وهو سقط لم يتبين لي وجهه.

(٨) هو سهم بن حنظلة الغنوي، والبيت بتمامه:

لا يمنع الناس مني ما أردت ولا أعطيهما ما أرادوا، حسن ذا أدب

الأصمعيات ٥٦، والخصائص ٤٠/٣، والخزانة ٤٣١/٩.

أراد: حَسَنَ، وجعل "ذا" فاعلاً، و"أدباً" تمييزاً. فكَذَلِكَ يجعل "ذلك" فاعل "عز" و"مطلوباً" تمييزاً. والأول أولى.

ولو كان قوله: "وعز ذلك" إخباراً، بمنزلة قولك: وأَعُوْزَ، لكان قوله: "إذا طلبا" محالاً؛ لأن "إذا" للاستقبال، وأنت لا تقول: أعوز هذا الشيء إذا طُلب، وإنما تقول: إذ طُلب! فاعرفه.

وقريب من ذا قول الآخر^(١):

يُحَسِّنُ مِنْ لَيْنِ الْكَلَامِ دَوَانِيَا وَيَصْدُھُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ

وتأويل الإطماع: أنها تُبدي من نفسها التَّحِبُّبَ والمواصلةَ، وتَعِدُ ذلك، فإذا طُلب منها امتنعتُ، ولم تَفِ بالموعود، كما قال ابن المعتز^(٢):

شَكَّكْتَنِي وَاللَّهِ حَتَّى لَقَدْ ظَنَنْتُكَ الْعَاشِقَ لِي حَقًّا

وكما قال البحري^(٣):

نَوَّلِينَا، وَأَيْنَ مِنْكَ النَّوَالُ ۱٩ وَعَدِينَا، وَوَعْدُ مِثْلِكَ أَلْ

ولآخر^(٤):

يَا بَدِيعَ الْحُسْنِ وَالْقُدُّ بِهِ وَجَدِي بَدِيعُ

يَا رِيْعَ الْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَعَى مَنِعُ

(١) لعبيد الله بن الحسين العلوي في شرح الواحدي ١٥٥، والتبيان ١١١/١، ورواية الشطر الثاني فيهما: ويهن عن رفث الرجال نفار

وينسب لبشار، ملحقات ديوانه: ١٩٢/٤.

(٢) ديوانه ٣٩٣/١.

(٣) ديوانه ١٨٠٧/٣. وعبارة (وكما قال البحري) كُتِبَتْ باللون الأحمر بخط مخالف.

(٤) لم أقف عليهما.

وقال ابن المعتز^(١):

تركن نفوساً نحوهن صواديا مُسرات داءٍ مالهنَّ شفاء
يرين حياض الماء لا يستطعنَّها وهنَّ إلى برد الشراب ظمءاء

(٩) كأنَّها الشَّمْسُ يُعْي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا، ويَراه الطرفُ مُقْتَرِبَا

يقول: إنها في رأي العين قريبةُ المتناول، غير أنك إذا طلبتها أعجزتك!، وقال البحري في هذا المعنى -إلا أنه وصف الممدوح-^(٢):

دانٍ على أيدي العُفاة، وشاسِعٌ عن كل نَدٍّ في النَّدَى^(٣) وضريب
كالبدر أفرط في العلو، وضوؤه للعصبة السارين جدُّ قريب

وما أخلق البحري بأن يجعل هذا البدر مثلاً لشعره! لأن من سهولته يترأى لك في معرض المطاوع، فإذا حاولت تناول عِنايه استعصى عليك أيَّ استعصاء! فهو السهل الممتنع.

(١٠) مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْيِيهَا، فَقُلْتُ لَهَا مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ^(٤) الْعَرَبَا؟

34/ب / "ترييها" لا يخلو من أحد أمرين: إمَّا أن يريد به الكثرة، كأنه ترَّب من يمينها، وترَّب من يسارها، كما قال^(٥):

(١) ديوانه ٣٠٧/١.

(٢) ديوانه ٢٤٨/١، يمدح إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت.

(٣) في الديوان (في العلى)، وأشار محققه إلى رواية (في الندى) عن أسرار البلاغة ١١٦.

(٤) الشادن: ولد الظبية إذا قوي، وطلع قرناه، واستغنى عن أمه. الصحاح (شدن).

(٥) هوجعفر بن علبة الحارثي، الخزانة ٣٠٧/١٠، نقلاً عن الحماسة، لكن ديوان الحماسة، وشروحه لم تذكر هذا البيت ضمن هذه القصيدة. ونسب صاحب الزهرة (٣٥٤/١) هذا البيت -مع أبيات أخرى- لبعض الأعراب، وكذلك الشريف المرتضى في طيف الخيال (١٩١)، وبلا نسبة في الفتح على أبي الفتح ٤٥.

عجبت لمسراها وسَرِب^(١) أتت به بُعيدَ الكَرَى، كادت له الأرضُ تشرقُ

فكأنه قال: بين أترابها. ويقرب من قوله^(٢):

بين رماخي ممالكٍ ونهشلٍ

يريد: رماحُ ههنا، ورماحُ ههنا، ثم ثنى.

وإما أن يريد أنها مرّت مع صاحبتيها^(٣)، فلا يريد الكثرة.

فإن أردت الأول كان الوجه أن يكون الهاء في "لها" عائداً إلى "تربيتها"؛ لأنه بمنزلة الأتراب. ألا ترى إلى قوله^(٤):

رأيتُ^(٥) أباك قد أطلَى^(٦)، ومالتُ عليه القشْعَمَانِ^(٧) من النسور

وأنت لا تقول: طارت نسران، البتّة. فيكون هذا بمنزلة أن تقول: مَرَّبِي الأمير في جنده، فقلتُ لهم: إلى أين قصده؟

وإذا أردت الوجه الثاني (وهو أن لا تكون التثنية بمعنى الكثرة)، وجب أن يكون الهاء عائداً إلى المرأة. ولم يجب أن يقول: من أين جانست العرب؟ إذ كان يريد أن يجعلها شادناً. هو بمنزلة أن تقول للرجل يقبل عليك: من أين طلع علينا هذا البدر المنير؟! وقد يقول الإنسان لولده: احتشم أباك، وما جرى ذا المجرى، ولا يقول: احتشمي،

(١) أراد بالسرب: جماعة النساء، وهو مستعار من سرب الأطباء والبقر والقطا. أساس البلاغة (سرب).

(٢) أبو النجم العجلي، ديوانه: ١٧٦.

(٣) في الأصل (صاحبتيها).

(٤) بلا نسبة في إصلاح المنطق ٢٥٢، والتهذيب ٢١/١٤، واللسان (طلى) و(قشعم).

(٥) في المصادر السابقة: (تركت أباك).

(٦) قال ابن السكيت: (يقال: قد أطلّى الرجل، إذا مالت عنقه لموت أو لغيره). إصلاح المنطق ٢٥٢.

(٧) القشعم: النسر الضخم المسنّ. اللسان (قشعم).

لانتفاء اللبس، وكأنه يقصد به التعظيم، فهذا نوع من وضع الظاهر موضع المضمّر. فاعرفه فإنه واضح.

(١١) فاستضحكت^(١) ثم قالت: كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل^(٢) إذا انتسبا!

حقيقة "استضحكت": طلب منها الضحك، والضمير فيه يجوز أن يعود على المرأة - في القول الأول - أنه قال: سألت صواحبها، فأجابتنني؛ إذ كان السؤال واقعاً عليها، كما تقول: قلت لزيد: متى جاء الرجلان؟ فقالا: جننا وقت كذا. ويجوز أن يعود إلى الأتراب، فكأنها احتجّت لها، وأجابت السائل عن حالها ووجه مجانستها للعرب مع أنها شادن. ولا يجوز أن يكون الضمير لغير المرأة في القول الثاني.

وتفصيل حجتها: أنها^(٣) قالت: لا غرو أن أعزى إلى العرب مع أي في صورة الشادن؛ ألا ترى أن هذا الرجل يرى ليثاً في الشجاعة والصولة وهو منسوب مع ذلك إلى عجل (وهي قبيلة)^(٤)؟ فالمشابهة الحاصلة بيني وبين الظبي لا تصرفني عن نجاري وأصلي.

وهذا تخلص لطيف، لا يكاد يوجد له نظير.

واعلم أن أبا تمام والبحري يغلب على أشعارهما ترك التخلص ومنج المدح بالتشبيب، والمثال من شعر أبي تمام^(٤):

(١) الرواية المشهورة - التي يذكرها الشراح - هي (فاستضحكت)، أي: ضحكت. أما رواية (فاستضحكت) فقد ذكرها الواحدي (١٥٥)، وقال: "وليس بصحيح"، لكن ابن المستوفي يرى أنها أولى بالمعنى، لأن المتنبي لما سألها استضحكها، أي: حملها على الضحك. النظام ق/٣٦٦، ٣٦٧. وهي رواية أثبتتها عدة نسخ من مخطوطات الديوان، كما ذكر محققه د. عبد الوهاب عزام، انظر: ديوان المتنبي: ٨٩.

(٢) عجل قبيلة تنسب إلى عجل بن لجيم، من بني حنيفة. جمهرة النسب ٥٤٤، جمهرة أنساب العرب ٣١٢.

(٣) في الأصل (أنها إذا قالت)، كأن (إذا) لا مكان لها في السياق.

(٤) ديوانه ٨/٣، يمدح المعتصم.

طَلَّتْ دَمَاءُ هُرَيْقَتْ عِنْدَهِنَّ كَمَا طَلَّتْ دَمَاءُ هَدَايَا مَكَّةَ الْهَمَلِ^(١)
هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ وَالْأَحْدَاجُ^(٢) وَالْإِبِلُ
بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلَفِ اطَّأَدَتْ^(٣) قَوَاعِدُ الْمَلِكِ وَامْتَدَّتْ لَهُ الطُّوَلُ^(٤)

ومن شعر البحري^(٥):

وَإِذَا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غَيْرِكَ رَدَّنِي وَلَهُ إِلَيْكَ وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ
وَأَعَزُّ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةً وَامِيقٍ^(٦) وَالْحَبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلُ
إِنَّ الرِّعِيَةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ عُمَرِيَّةٍ^(٧) مُذْ سَاسَهَا الْمُتَوَكَّلُ

ولقائل أن يقول: لهذه الطريقة معنى ليس لتلك: وذلك أن المدح إذا لم يمزج بالغزل كان مثل قصيدة تُبتدأ، وجرى ما يتقدمه مجرى كلامٍ بائن^(٨) مَنْزِلٍ [منزلة] المقدمة، يُستمال به الأسماع، ويؤنس^(٩) / الطُّبَاع. ولهذا قال أبو الحسن^(١٠): إن القافية إذا كُرِّرت في قصيدة فاختلف موضعها كان أحسن من أن تُكرَّر في نمطٍ واحدٍ، قال: لأن الخروج من صفةٍ إلى صفةٍ مشبَّهٌ بابتداء قصيدة؛ ولهذا يصرَّعون عند الخروج من النسب إلى المدح، والتصريع من حقه أن يكون في أول القصيدة؛ لأن الغرض في ذلك أن يعلم السامع

1/35

(١) طَلَّتْ: أهدرت. قال التبريزي: "أي إذا نظروا إلى الإبل وقد ركبها الجواري وعليها الهوداج، قتلهم ذلك".

(٢) الأحْدَاج: مراكب النساء على الإبل. الصحاح (حدج).

(٣) اطَّأَدَتْ: ثبتت كثبوت الطود وهو الجبل.

(٤) رواية الديوان (ممتداً لها). والطول: الحيل.

(٥) ديوانه ١٥٩٦/٣، يمدح المتوكل.

(٦) رواية الديوان (عاشق)، وهما بمعنى واحد.

(٧) عمرية: منسوبة إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٨) في الأصل (بين)، والباين: المنفصل.

(٩) في الأصل (يومن)، لعله تحريف لما أثبت.

(١٠) هو الأخفش الأوسط، وقد سبقت ترجمته. وقوله هذا في كتابه (القوافي) ٥٧.

وإذا كان الأمر على هذا [ف] قطع المدح من الغزل أحسن من مزجه به؛ لأنك إذا فصلته كنت كأنك تبتدئ بالمدح، هذا هو الواجب في قضية القياس، وقد ذكرنا نوعاً منه فيما تقدم، وأيضاً فإنه إذا أخذ الشاعر في المدح - كالمبتدئ - صار كأنه قد تنبّه لما قصده، وترك ما أجراه مجرى الافتتاح، وهذا [ك] - القرينة للشعر المدحي.

وإذا خلط أحد^(١) النوعين بالآخر، دلّ^(٢) على أنه لم يُعَنّ بتقديم المدح وجعله كاملاً برأسه، حتى كأنه يجوز أن [يؤخذ]^(٣) عليه، فيقال: إنك أتيت بهذا المدح اتفاقاً لا قصداً! وأنه كقولهم: "الحديث ذو شجون"^(٤). فهذه المنقصة منقبة على طريقة الرجلين.

وإنما يستحسن التخلص لأن الكلام يكتسي به البهجة، لأن فيه حكمةً معنوية.

والدليل على أنهم يجرون الغزل مجرى الافتتاح والاستمالة والتأنيس ما قال بعض أصحابنا؛ من أنهم يدخلون حروف العطف في أول القصيدة؛ لأجل أنها تُبنى على كلام يتقدّم، كقوله^(٥):

وقَاتِمِ الأعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرِقِ^(٦)

لأن التقدير: ورَبِّ. وكذا قولهم في الرسائل: أما بعد؛ لأن الضمة في (بعد) إنما تأتي بمعنى الإضافة، فكأنه قال: أما بعد ذلك، أي: بعد الحديث الذي كنا فيه فإن الأمر

(١) في الأصل (إحدى).

(٢) بعد (دل) أضيفت كلمة (ذلك) فوق الكلام بخط رفيع، والمعنى يتصل بدونها.

(٣) فراغ في الأصل بمقدار كلمة.

(٤) هذا مثل، انظر: جمهرة الأمثال ٣٧٧/١، ومجمع الأمثال ٣٥١/١.

والشجون: الطرق والفروع.

قال الميواني: (يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره).

(٥) هورؤية، ديوانه (مجموع أشعار العرب): ١٠٤، يصف مقارفة.

(٦) القاتم: هو الضارب إلى السواد، بسبب غبار أو نحوه. اللسان (قتم).

والمخترق: هو الممر في الصحراء.

كَيْتَ وَكَيْتَ^(١). فعلى هذا المعنى أجري هذا المذهب في الأصل، وإن كان ذلك لا يكون في كل موضع، إذ من شأنهم بناء الكلام على توهم الشيء وركوب طريقة المجاز،/ ألا ترى إلى ما رسموه من الاستهلاكات بوصف المنازل، وذكر الأجابة، وما جرى ذا المجرى، وإن كان لا يوجد له حقيقة، كالبيت الذي أنشدتك من قبل من قوله^(٢): "يقام بسلمى للقوافي صدورها"، فاعرفه، فإنه بين في معناه.

غير أن القلوب منصتة إلى طريقة المتنبي، [و] طريفها^(٣)، من حيث إن التخلص من بديع الصنعة، وعناية قارئ الشعر بصنعة أشد من عنايته^(٤) بتعظيم ممدوحه.

(١٢) جاءتْ بِأَشْجَعِ مَنْ يُسَمَّى، وَأُسَمِّحِ مَنْ أَعْطَى، وَأَبْلَغِ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا

الضمير في "جاءت" للمرأة، يقول: إنها جاءت في الجواب بمن هذه صفته. ويضعف أن يريد: جاءت عجل^(٥)؛ إذ هو في كلام المرأة. وقد وصفه بالشجاعة والسماحة والبلاغة.

وكأن المعنى في قوله: "من يسمى" من يعرف ويذكر اسمه، لا من يكون له اسم، فيقع على جميع الناس؛ لأجل أنه ما كل أحد يكون شجاعاً، وأفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعض منه، [لا] تقول: زيد أفضل الثلاثة، وأحدهم عارٍ من الفضل.

فإن قلت: فإنك قد تقول: فلان أشعر [الناس]، وإن لم يكن جميع الناس شعراء!

فالجواب: أن ذلك ضرب من التوسع، فكأنك تريد: أشعر شعراء الناس، أو تجعل الناس واقعاً على النوع الذي أنت ذاكره. هذا مما لا شبهة فيه.

(١) (كيت وكيت) كناية عن القصة أو الأحداث. اللسان (كيت).

(٢) انظر صفحة: ٧٧.

(٣) في الأصل (طريقها)، لعله تصحيف لما أثبت.

(٤) في الأصل (أشد بعنايته بتعظيم...).

(٥) ذكر هذا الوجه ابن جني (الفسر ٣٧٦/١)، وأكثر الشراح من بعده.

فكانه قال: جاءت بأشجع من يعرف بالشجاعة ويسمى في الخطوب، فمن "يسمى" لا يقع على جميع الخلق، كما أن "من أعطى" كذلك.

ولو أمكنه أن يقول: وأسمح من يُعطي، ويملي، ويكتب، لكان أليق بقوله: "يسمى"، غير أن معنى المضارع في نحو هذا الموضع يجري على أن الشيء كائنٌ وقد كان أيضاً؛ لأن المعنى: بين مَنْ شأئه أن يُسمى، ألا ترى أنك إذا قلت: فلانٌ أشعرُ مَنْ شَعَرِي هذه البلدة، فالمعنى: أشعر من عُرف بالشعر، وقاله قبل، وهو قائله الآن؟ ولا تريد أنه أشعرُ مَنْ هو شاعرٌ الآن، ولم يكن قطُّ قائلَ شعرٍ.

والماضي أيضاً لا يكون منقطعاً، نحو قوله عز وجل: (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)^(١). فقولك: هو أسمح من أعطى، حقيقته: هو أسمح من عرف بالعتاء، وهو يعطي الآن أيضاً. ولو كان يريد بلفظ الماضي هذا الانقطاع لكان غير^(٢) لائقٍ بالمدح؛ إذ ذاك ما يكون في المرتبة بجواب [مَنْ] يقول: هل هو أفضل من كتب (يريد أنه مات وانقطع)؟ وهذا اعتقاد فاسد!

(١٣) لو حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمْ شَىْ أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا، أَوْ آخِرِسٍ خَطَبَا

المقعد: الذي لا يستطيع القيام، فهو اسم المفعول من أقعد، كأنك قلت: أقعده الله فهو مُقْعَد.

ووصف خاطره بالحدّة والمضاء حتى إنه لو لابس مَنْ به هذه الآفات التي تضادّ النفوذ، لخلصهم منها، وأزالها عنهم، وصاروا إلى السلامة والصحة.

(١) النساء: ٩٦، ١٠٠، ١٥٢. والفرقان: ٧٠. والأحزاب: ٥، ٥٠، ٥٩، ٧٣. والفتح: ١٤.

(٢) في الأصل (غيره).

(١٤) إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنِيكَ هَيْبَتُهُ^(١) وَلَيْسَ يَجْبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَ

يقول: إن العيون لا تمتلئ منه، بفضل هيبته التي تُغضُّ النواظر، كما قال البحري^(٢):

إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ وَمَا لَوْا بِالْحُظِّ، خِلَتْ أَنَّهُمْ قُبُلُ^(٣)

/وكما قال الفرزدق في الحسين بن علي^(٤) رضي الله عنهما^(٥):

يَغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يَكَلِّمُ إِلَّا حَيْنَ بَيْتِ سُمِّ

ومن الحسن في نحو ذا قول الآخر^(٦):

كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمْ لَا خَوْفَ ظَلَمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وقوله: "ليس يحجبه ستر إذا احتجبا" يحتتم أربعة أوجه:

أحدها^(٧): أن يريد أنه سهل الجانب، كريم الأخلاق، فلا يُعجز من بعد حجابهِ^(٨)، كما يكون ذلك في اللئام وأهل الإعجاب، فيكون جملة البيت على ذا التأويل كقول البحري^(٩).

(١) في الأصل (بهجته)، وضرب عليها وكتب بإزائها في الحاشية (هيبته)، كأنه من صنيع الناسخ.

(٢) ديوانه ١٦٦/٣، من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان.

(٣) قبل: جمع أقبل، وهو الذي ينظر إلى طرف أنفه، وهو ضرب من الحول. الصحاح (قبل).

(٤) المشهور أن الفرزدق قال قصيدته الميمية في علي بن الحسين بن علي^t.

فلا أدري أهذا سهو من الشارح، أم أن الناسخ قد أسقط الاسم الأول.

(٥) ليس في ديوانه (شرح الصاوي)، ويرى أبو الفرج الأصفهاني أن نسبة هذا البيت للفرزدق خطأ، وإنما هو للحزين الكناني في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان. الأغاني ٣٢٥/١٥، ونسبه للحزين

القاضي الجرجاني في الوساطة ٢٩٦، والآمدي في المؤتلف ٨٨.

(٦) هذا أحد بيتين رواهما أبو تمام في حماسته، بلا نسبة. (شرح المروزي ١٦٢٤/٤).

(٧) أشار إلى هذا الوجه ابن جني، الفسر ٣٧٨/١.

(٨) أي: فلا يعجز أحداً يريد الوصول إليه، وإن احتجب.

(٩) قول البحري السابق، فيه بعد عن هذا المعنى، فلعله أراد بيتاً آخر، لكنه لم يذكره، أو أسقطه الناسخ.

والوجه الثاني: أنه يريد أنه وإن احتجب فإن عطاياه ونوافله لا تحتجب، فهي ناطقة بفضله، دالة عليه، حتى كأنه شاهد، كقوله^(١):

وَإِذَا كُتِمَتْ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ

وقد تقدم نظيرذا.

والوجه الثالث^(٢): أن يريد أنه وإن استترف إن شيئاً من الأمور لا يخفى عليه لذكائه ودهائه، فاحتجابه كلا احتجاب، كما قال البحري^(٣):

وَلَهُ -وَإِنْ غَدَتِ الْبِلَادُ عَرِيضَةً- طَرْفُ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُوَكَّلٌ

والوجه الرابع^(٤): أن يريد أن نور وجهه بحيث لا تخفيه الأشياء، كما قال^(٥):

تَكْشَفُ اللَّيْلُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرٍ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسٍ إِصْبَاحٍ

ويشهد به قوله بعد:

(١٥) بَيَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مُشْخَلِباً^(٦)

(١) أي: المتنبي، وقد سبق في صفحة: ١٥٩.

(٢) أشار ابن جني إلى هذا الوجه -أيضاً-، الفسر ١/٣٧٨.

(٣) ديوانه ١٧٥٢/٣، يمدح المتوكل.

(٤) أشار إلى هذا الوجه الواحد: ١٥٦، ومعجز أحمد ١/٣٤٦.

(٥) هو البحري، ديوانه ٤٤٣/١، يمدح الفتح بن خاقان.

(٦) (مشخلبا) هذه رواية ابن جني، الفسر ١/٣٧٩. وأشار إلى هذه الرواية الواحد (شرحه ١٥٦)،

والصقلي، (التكملة ١/٢٢٦)، وأبو العلاء المعري (اللامع العزيمي ١٨/أ). والرواية الأخرى هي

(مشخلبا) بتقديم الخاء على الشين، تذكرها جميع الشروح، وهي الرواية المثبتة في متن الديوان ٩٠.

وهذا يكون على وجهين:

أحدهما: أن يريد أن نور وجهه من إفراطه تصير عنده الشمس كالسودّ، وإن لم تكن كذلك.

والوجه الثاني: أن يريد أن الشمس إذا لقيت سناء وبهاء اسودت غمًا وحزنًا، وصارت حالكة على الحقيقة! كما قال: إِنَّ السَّحَابَ يُحْمُ لِقْصُورِهِ عَنْ نَدَاهُ وَنَوَالِهِ، في قوله^(١):

....وَأَنَّهُمَا حَمَّاتٌ بِهِ فَصِييُهَا الرُّحْضَاءُ

والمشخب: خرزديء^(٥). والمعنى فيه قريب من ذا؛ لأجل أن الدريصير بالإضافة إلى ألفاظه كالشيء الذي لا قيمة له.

وإنما حمل المتنبي على تناول هذه اللفظة المستنكرة حرصه على الغلو في الرداء، والاسم وضيع كسمّاه!

(١٦) وَسَيْفٌ عَزِمَ تَرْدُ السَّيْفِ هَبَّتُهُ (٣) رَطَبَ الْغِرَارِ (٤) مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبًا

ویروی (منخضبا) ^(۵) ولا فرق بینهما؛ اذ کل واحد مطاوع خضب.

والهبة: الاهتزاز، من قولهم: هبَّ، إذا انتبه، واستعاره للسيف؛ لأجل أنه مدام مغمدًا فهو ساكن كالنائم، فإذا سُلَّ وهُزَّ فكأنه بمنزلة من ينتبه ويهزُّ أعطافه.

والتامور: دُم القلب.

(١) سبق في صفحة: ١٦٣.

(٢) وقد يصنع من الليف، وهي كلمة أعجمية، يقابلها في العربية (الخضض)

الفسر ١/ ٣٨٠، والمغرب للجوالقي ٥٨١.

(٣) في الأصل (هيئته) تحريف، يدل عليه أن الشارح فسر الهبة لا الهيبة.

(٤) غرار السيف: حده. القاموس (غرر).

(٥) أشار إلى هذه الرواية صاحب التبيان ١١٤/١، وابن المستوفى في النظام ق ٣٦٨.

والمعنى: أن الممدوح إذا أيقظ عزمه، وأنفذه، صير السيف مخضوباً بدم القلب مبتلاً به، فجعل سيف اليد تابعاً لسيف العزم. ويوضح ذا قول البحري^(١):

يَقْلُ غَنَاءُ الْقَوْسِ، نَبْعُ نَجَارِهَا، وَسَاعِدُ مَنْ يَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ خِرْوَعُ^(٢)
وَلَا تُغْلِيَنَّ بِالسَّيْفِ كُلَّ غَلَائِنِهِ لِيَمْضِيَ، فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا السَّيْفَ يَقْطَعُ

ويقال: إن التامور الروح، والعقل. حكى^(٣) عن أبي عبيدة: عرفتُ ذاك بتاموري، أي: بعقلي. وقالوا: إنه خيس الأسد^(٤).

36/ب (١٧) / عُمَرُ الْعَدُوِّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَهْجٍ^(٥) أَقْلُ مَنْ عُمِرَ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا

يقول: إن العدو إذا لاقاه يوم اللقاء كان أقصر بقيّة عمرٍ من المال إذا احتواه وقت العطاء.

وجعل مرتبته في الجود فوق مرتبته في البأس من وجه، وهو أنه قاس عمر العدو على عمر النّشب. وأنت إذا فضّلت إحدى خصلتي الرجل على الأخرى، وجب أن تكون الخصلة المفضّل عليها أعرف عند الناس؛ لأنها إن كانت مجهولة لم يعلم مقدار الخصلة المفضّلة! مثال هذا: أن تقول: زيدٌ شعره أحسن من كتابته، وإنما يجوز هذا القول مع مَنْ يكون عرف كتابته، ولم يعرف شعره؛ لأنه لو كان غير عارفٍ لهما جميعاً لم يستفد شيئاً، غير أن المتكلم قد عرف تفاوتاً بين هذين النوعين من أدبه، وذا^(٦) ليس فيه مدح ولا فائدة ظاهرة، وإنما الواجب ما ذكرنا من أنه يجب أن تكون المفضّل عليها معروفة؛ ليتصوّر بذلك شرف المفضّلة.

(١) ديوانه ١٢٦٩/٢.

(٢) النبع: شجر صلب. والنجار: الأصل. والخروج: الرخو الضعيف.

(٣) حكاه ابن جني عن أبي عبيدة، الفسر ٣٨٣/١.

(٤) في الأصل (جنس إلا أنه) تحريف، صوابه من الفسر ٣٨٣/١، والتبيان ١١٣/١.

والخيس، بالكسر: الشجر الملتف، وموضع الأسد. القاموس (خيس).

(٥) الرهج: الغبار، وأراد غبار المعركة.

(٦) أي: جهل الخصلتين جميعاً.

والمتنبي جعل^(١) الممدوح مشتهراً في سرعة النوال؛ إذ كل أحد يصل إلى مجلس جوده، ولا يصل إلى مشهد بأسه وحربه^(٢) إلا الخواص. وإذا كان جوده أظهر وأشيع من شجاعته جاز أن يقيس عمر العدو على عمر النشب، ويفضل الأول على الثاني.

وجعل منزلته في الشجاعة وسرعة قتل من يلتقي به من الأعداء فوق منزلته في السماحة وتعجيل بذل ما يحويه، من وجه آخر؛ وهو أنه جعل عمر العدو أقل من عمر المال. وإذا وضعت هذا النقص بإزاء ذلك الفضل التقى طرفا المدح، وخرج منه حكمة عجيبة. وإذا أخذ ما يدل على شرف هذا الرجل ونجاسة طبعه^(٣).

(١٨) تَوَقَّه، فَمَتَى مَا شِئْتُ^(٤) تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ، أَوْ كُنْ لَهُ نَشَاباً

يقول: احذر؛ فإنه لا يجد السلامة من لا يتوقاه! ثم قال مقررًا له: إن أردت أن تعرف مصداق مقالي - بأن تحببه - فكن له عدواً أو مائلاً، فإن كنت مكاشحاً له أذاقك مرارة الهلاك، وإن كنت مائلاً له مدَّ إليك يد التفريق!

فإن قلت: فكيف لم يقل: فاحضر مجلس عطائه أو بأسه؛ لأنه إذا شاهد حربته مع غيره، وتفريقه لماله، كفاه؟

فالجواب: أن الإنسان بما يلحق نفسه أشدَّ معرفةً منه بما يلحق غيره! فإن قلت: فإنه إذا قتله سريعاً لم يبق له معرفة، وكذا إذا بدَّده وفرقه! فإن ذلك لا يلزمه؛ لأجل أنه إذا انبرى له، وتبين آثار نزاله وسطوته عرف عند ذلك، وكذلك إذا أنحى عليه بالبذل والتبديد تصوّر عاداته في الجود قبل أن يبده! فما ذكره صحيح، فاعرفه.

(١) في الأصل (فعل)، وكتب بإزائها في الحاشية بالأحمر (جعل)، وهو الصواب.

(٢) في الأصل (بؤسه وحبرته) تحريف.

(٣) أي المتنبي.

(٤) رواية ابن جني (٣٨٤/١): (فإذا ماشئت)، وكذا في معجم أحمد ٣٤٧/١.

وأما "تبلوه" فإن النصب فيه على تقدير (أن) وإضماره، فكأنه قال: متى ما شئت أن تبلوه. والأغلب في الفعل إذا حذف أن يرفع^(١)، نحو قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾^(٢) والأصل: أن أعبد، فحذف أن، ورفع الفعل. وكذا قولهم: "تسمع بالمعيدي خير من أن تراه"^(٣)، الأصل: أن تسمع، كقوله: أن تراه. هذا هو أحد قولي شيخنا رحمه الله. وحذف (أن) كثير.

والذي في بيت المتنبي إبقاؤه العمل مع حذف (أن)، وهذا جائز في القياس، موجود في الاستعمال، أما القياس فهو أنه إذا حذف (أن) وأبقى عملها كان ثبات عمل العامل دليلاً على سقوطه، فهو أوضح / من الرفع؛ لأن سقوط (أن) لا يعلم من لفظ تسمع في قولك: "تسمع بالمعيدي"، وإنما يعلم بشيء آخر، وهو أن الفعل لا يُخبر عنه، بدلالة أن أحداً لا يقول: ينصرف خير من أن يقوم. و"تبلوه" تعلم من لفظه سقوط (أن)^(٤) وتقديره، ولا شبهة في أن الدليل اللفظي أسبق إلى الفهم من الدليل المعنوي.

وإنما جاز رفع الفعل بعد حذف (أن) لأجل أن الحرف لا يبلغ من قوته أن يعمل مثل ما يعمل الفعل، وما يجري مجراه؛ لأنه^(٥) يعمل مظهراً أو مضمراً، فلما كان كذلك أحبوا أن يكون منحطاً الرتبة عن الأفعال، بأن يكون تصرفه من وجه واحد، وهو أن يعمل مظهراً ولا يعمل مقدراً كما يعمل الفعل في قولك: زيداً، تريد: ضربت زيداً، ألا ترى أنهم لما أعملوه مضمراً في جواب الأشياء الستة^(٦) [نحو]: اثنتي فأعرف لك^(٧) - لم يجوزوا فيه الإظهار؟! ليكون تصرفه من وجه واحد.

(١) هذا مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين هو جواز العمل مع حذف (أن)، كما سيوضحه الشارح.

انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٦٠/٢، ومجالس ثعلب ٣١٧/١.

(٢) الزمر: ٦٤.

(٣) هذا مثلاً، انظر: جمهرة الأمثال ٢٦٦/١، ومجمع الأمثال ٢٢٧/١، وهو من أمثلة النحاة.

(٤) بدلالة النصب.

(٥) الضمير عائد إلى الفعل.

(٦) الأشياء الستة هي: النفي، والأمر، والنهي، والاستفهام، والعرض، والتمني. الكتاب ٣/٣٣، ٣٤، ٩٧.

والمقتصد ١٠٦٠/٢.

(٧) هذا المثال في الإيضاح العضدي ٣١٢، والمقتصد ١٠٦١/٢. ولعل معناه: اثنتي فأعرف لك حقك أو

قدرك من الحفاوة والإكرام.

فلولا هذا المعنى لكان الوجه أن يبقى العمل؛ ليدلّ عليه.

وإذا كان كذلك لم يكن "تبلوه" بمردود؛ لأجل أن الشعر يجوز فيه ما لا يجوز في غيره، من صرف ما لا ينصرف، وقصر الممدود، وغير ذلك من الأنحاء الكثيرة، لاسيما وله وجه من القياس، كما ذكرنا.

وأما الاستعمال فهو أن طرفة قال^(١):

ألا أيُّ هذا الرَّاجِرِي أَحْضَرَ الوَغَى

قد روي بالنصب، كما روي بالرفع، وذاك وإن كان من روايات الكوفيين فإن أصحابنا قد أثبتوه، وأنشدوا^(٢) أيضاً:

.... تـلـومـانـي إـلـى طـلـل بـيـن النـقا والمنـحـى^(٣)

على أن يكون النون في "تلوماني" هو الذي في (ضريني)^(٤)، ويكون النون الذي هو للإعراب ساقطاً؛ لأجل النصب، وقد جاء في الإظهار والإضمار مع النصب، وهو قولك: جئتُكَ لتعطيني، ولأ[ن] تعطيني.

ومما يقوّي ذلك أن (أحمد) وما جرى مجراه إنما يمنع الصرف للمحافظة على اعتدال الألفاظ، وهو أنه لما شابه الفعل وجب أن يمنع التنوين؛ لأنه لا يكون في الفعل.

(١) من معلقته المشهورة، وقد مرّ مراراً.

(٢) أنشده بلا نسبة ابن جني في الفسر ٣٨٧/١، والواحي في شرحه ٤٩.

(٣) البيت بتمامه:

انظرا قبل تلوماني إلى طلل بين النقا والمنحى

وفي الفسر (بين النقا بالمنحى).

والنقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودة. والمنحى: منعرج الوادي.

القاموس (نقا/ حنا). ولعل الشاعر أراد بهما موضعين مخصوصين.

(٤) أي: نون الوقاية.

كما أنَّ [أَنَّ] لما حُذِفَ وجب أن يُرفع الفعل؛ كيلا يتصرف الحرف تصرّف الفعل. فكما يجوز أن لا يُعتدَّ^(١) بما أوجب منع الصرف؛ لأجل الشعر (فيصرف جميع الأشياء غير المتصرفة) - كذلك يجوز أن [لا] نحافظ فيه على المعنى الذي ذكرنا من منع الحرف أن يتصرف تصرّف الفعل، فيعمل مضمراً، فيقال: "تبلّوه".

هذا، وقد وجدناهم نصبوا من غير ضرورة، وهو قوله: "أحضر الوغى"، ولم نرهم صرفوا الاسم من غير سبب، ألا ترى أنَّ أحداً لا يصرف (حُبلى) في شعر؛ لأجل أنه لا يحتاج إليه الوزن، إذ لا يزيد ولا ينقص شيء بذلك؟! وإبقاؤهم النصب في اللفظ من غير ضرورة يدلُّك على جوازه عندهم. فاعرفه قولاً قاطعاً.

وإذا كان الأمر على هذا كان قول من يتعرض للمتنبّي في "تبلّوه" مُزيفاً مردوداً^(٢).

(١٩) تَحْلُو مَذَاقُهُ، حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ^(٣)، فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا

المذاقة مصدر، كالمصالة^(٤) والمقالة.

وقد بالغ في هذا؛ لأنّ الذوق حقيقة معرفة الطعم. وإنما يُجعل له حظٌّ من الحلاوة والمرارة لأجل ملابسة ما يُذاق ذلك منه، فكأنه قال: إنّ ذوقه حلوٌّ في حال الرضا، فإذا غضب انقلب، وصار مرّاً! وإذا كان الذوق يصير الماء من مرارته بحيث لا يُستطاع شربه فما ظنك بما يُذاق!

37/ب وجعل الذوق سائلاً في / قوله: "قطرت" على ما عرفت من مجاز الشعر، وقريب منه قول أبي تمام^(٥):

(١) في الأصل (لا يعتد) وكُتِبَ بإزائها في الحاشية بالأحمر (يعتد)، وهو أولى.

(٢) انظر: اللامع العيزري ١/١٢٥.

(٣) حالت: تغيرت وانقلبت. الفسر ١/٢٦١.

(٤) مصدر من صال يصول إذا سطا عليه وقاتله.

(٥) ديوانه ٣/١٦٨.

فكاد شوقي يتلو الدمع منسجماً إن كان في الأرض شوقُ فاض وانسجماً

فالشوق عين^(١)، كما أن الذوق كذلك.

ويجوز أن يكون "مذاقته" بمعنى المذوق، كقولهم: رجلٌ رَضاً أي مرضيٌّ، فكأنه قال: يحلو ما يذاق منه. والأول أبلغ^(٢).

(٢٠) وَتَغْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهَا^(٣) وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيَّهَا رَكَبَا

النصف الأول قريب من قول أبي تمام^(٤):

مضى طاهر الأثواب لم يبق بقعة^(٥) غداة ثوى إلا اشتهد أنها قبراً

إلا أنه راثٍ، والمتنبى ماح. وأبلغ من ذا كله ما أنشدناه فيما سلف من قول أبي تمام وهو^(٦):

تغايَر الشعرُ فيه إذ سهرت له حتى ظننتُ قوافيه ستقتلُ!!

لأن بين الحسد والتقاتل فرقاً عظيماً.

فإن قلت: هل في جعله الحسد للخيل دون الأرض معنى؟

(١) يريد: أن الشاعر جعل الشوق عيناً أي ذاتاً؛ لأنه وصفه بالانسجام. كما أن المتنبي جعل المذاقة ذاتاً لما وصفها بالقطر.

(٢) لأن الأول أعم وأكثر مبالغة. أما الثاني فهو متعلق بالأشياء الصادرة عنه كالعطايا أو العقوبات.

(٣) هذه رواية الفسّر ٣٩٠/١، ورواية الآخرين (حيث حل به).

(٤) ديوانه ٨٤/٤، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطائي.

(٥) في الديوان (روضة).

(٦) انظر صفحة: ١٥٠.

فالجواب: أنه يجوز أن يكون ذلك لأجل أن ملابسته للخيل أكثر من ملابسته للأرض، وإذا كان كذلك [كان] أحبَّ إليها منه إلى الأرض؛ إذ دوام الألفة والمهاجرة مما يؤكد أسباب المحبة، فإذا كثر شغف الخيل به أرادت كل واحدة منها أن يكون ركوبه لها خاصة. ويقوي هذا قوله^(١):

مَفْرَشِي صَهْوَةِ الْحِصَانِ

وقوله^(٢):

وَأَتَعَبُ بِالْمُنَاخَةِ^(٣) وَالْمُقَامِ

وإذا كان كذلك وجب أن يكون الحسد الذي هو أبلغ من الغبطة مخصوصاً بالخيل؛ التي هي^(٤) أشدَّ حباً له من الأرض^(٥).

فإن قلت: فإن الغبطة أن تريد حصول ما لصاحبك لك دون أن تزول تلك^(٦) عنه، وهذا إنما يتأتى فيما يكون له مثل، وهو لا يرضى بأن يحصل للممدوح مثل في بقعة من الأرض!

فالجواب: أن الغرض غير ما ذهب وهمك إليه؛ لأن كل بقعة من الأرض تحب أن يكون للممدوح نزول بها، حتى تتساوى جميع أجزائها في التباسها به، واكتسابها شرفه،

(١) أي: المتنبي، ديوانه ١٤، والبيت بتمامه:

مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي مسرودة من حديد

(٢) مضى بتمامه في صفحة: ١٢٧.

(٣) في الموضع السابق (بالإناخة) كما في الديوان والشروح.

(٤) في الأصل (الذي هو)!

(٥) قال ابن جني: "وإنما قال: (تغبط الأرض وتحسد الخيل)؛ لأن الأرض وإن كثرت بقاعها، فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض. والخيل ليست كذلك لأنها متفرقة..." الفسر ٣٩١/١

(٦) أي: دون أن تزول تلك النعمة عنه.

فالغرض المطلوب من الممدوح هو النزول، وذلك يتأتى في كل موضع! فإذا كل واحد من الخيل يريد أن لا يركب إلا إياه، وكل بقعة تريد أن ينزل الممدوح فيها كما ينزل في صاحبها. فقول أبي تمام^(١): "إلا اشتهد أنها قبر" معناه الحسد لا الغبطة، لأن الميت لا يصح كونه في كل موضع، وإنما يكون له قبر واحد!

واعلم أن قوله: "حيث حل بها" اسم مفعول به، مثل زيد^(٢)، وليس بظرف مثله في قولك: جلست حيث زيد جالس؛ لأجل أنها بإزائها؛ لأن "حيث" مفعول "تغبط"، كما أن "أيا" مفعول "تحسد"، فكأنه قال: وتغبط الأرض كل مكان حل به منها، ويوضح ذلك أنك لو قلت: وتغبط الأرض في كل مكان حل به، لم تجد له معنى! لأن تغبط ينبغي أن يكون له مفعول، ولا يجوز أن يكون مفعول الغبطة من غير الأرض، كما لا يجوز أن يكون مفعول الحسد من غير الخيل. قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣)، التقدير: علم حيث يجعل رسالاته، فهو كقولك: علم مكان رسالاته^(٤). وفي تقصّي ذلك طول.

(٢١) وَلَا يَرُدُّ بِفِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجْبَا^(٥)

/ هذا مثل ما تقدّم من قوله^(٦):

أ/38

يَا أَيُّهَا الْمَجْدَى عَلَيْهِ رَوْحُهُ

(١) أضاف بعضهم هنا كلمة (الأول) باللون الأحمر، ولا داعي لهذه الإضافة ما دام أنه نص على القول.

(٢) (مثل زيد) كذا بالأصل، ولعل صوابه (مثل أي) بدلالة قوله بعد: (لأجل أنها بإزائها ...) .

(٣) سورة الأنعام: ١٢٤. وهذه القراءة - أعني جمع (رسالاته) - هي قراءة أبي عمرو وحزمة والكسائي ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم (رسالاته) بالإنفراد. السبعة لابن مجاهد: ٢٤٦.

(٤) يريد أن (حيث) في الآية اسم، لا ظرف. انظر: البحر المحيط ٤/٢١٨.

(٥) الجحفل: الجيش العظيم، ولا يسمى جحفلاً إلا إذا كان فيه خيل. واللجب: ذو الأصوات المختلطة الشديدة. الفسر ١/٣٩٢، والتبيان ١/١١٦.

(٦) انظر صفحة: ١٤١.

إذ المقصود أنه مع تغلبه على^(١) العساكر العظيمة الخطب، يغلب عليه سائله حتى لو طلب نفسه لما خيب ظنه وأمله^(٢).

(٢٢) وكُلِّمَا لَقِيَ الدِّيَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ^(٣) افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا

وصفه بكثرة العطاء، وشدة الشغف به، حتى لا يجتمع في خزانته ديناران: إذا التقى أحدهما بصاحبه خرجا من ملكه قبل التصاحب، فيعطي كل واحد منهما سائلاً آخر^(٤).

واستعماله الافتراق مع نفيه الاصطحاب جائز؛ لأجل أنه لما حصل الالتقاء جاز استعمال الافتراق، من حيث كأنه [صحبته].

وإنما عني بالاصطحاب - في قوله: "من قبل يصطحبنا" - المماسّة^(٥).

وحذف^(٦)، وأعمل مع ذلك ألا تراه أسقط النون من يصطحبان؟ فهو مثل قوله: "تلوماني..."^(٧) سواء

ومثل ذا البيت في المعنى قوله^(٨):

(١) في الأصل (تقلبه مع)، لعله تحريف لما أثبت.
(٢) لم يتعرض الشارح - وكثير من الشراح - لدلالة القيد (بفيه)، إلا أن الصقلي تنبه لذلك، فقال: (وقوله: "ولا يرد بفيه كف سائله" معناه: لا يقول له: ليس لك عندي شيء، فيرده بالكلام عن نفسه، ولكن يرده بالعطاء والحباء) التكملة ٢٢٨/١.

(٣) الرواية بكسر الميم لا غير، انظر: حاشية الديوان: ٩٠. ويروى (في كفه) النظام ق/٣٧٢.

(٤) أي: يعطي أحدهما سائلاً، والآخر سائلاً آخر.

(٥) وقد أشار إلى هذا التناقض، وأجاب عنه بنحو مما هنا، ابن جني. الفسر ٣٩٢/١.

وانظر: المنصف لابن وكيع ٣٨٥/١.

(٦) أي: وحذف أن قبل الفعل (يصطحبنا).

(٧) سبق قريباً.

(٨) هو جؤية بن النضر، كما في الفسر ٣٩٢/١، والحماسة (شرح التبريزي ٣٤٤/٢) والمنصف لابن وكيع

٣٨٦/١، والحماسة البصرية ١٢/٢. أو النضر بن جؤية، كما في معاهد التنصيص ٢٠٧/١. أو الصلتان

العبيدي، كما في الأشباه والنظائر للخالدين ٨٣/١.

لَا يَأْلُفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ خِرْقَتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مَنْطَلِقُ^(١)

فهذا قد ذكر [ل]نا أن الدرهم لا يثبت في ملكه، بل إذا بدا من جانب الرّجل أُشير إليه أن يمتدّ إلى ناحية البذل، ولا يقف. وأما قوله^(٢):

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتَ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ

فلا يبلغ بيت المتنبي؛ لأنه [لم] يثبت للدينارين اجتماعاً واحداً، وهذا قد أثبت ذلك.

(٢٣) مَالُ كَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكُلَّمَا قِيلَ: هَذَا مُجْتَدٍ، نَعَبَا

يقال: نعب الغراب، إذا مدّ عنقه في الصياح، وإن صاح ولم يمدّ عنقه نَعَقَ^(٣)، وهذا مثل قولهم: نفق ومات^(٤)؛ لأنهم غيروا التركيب، وليس ثمّ كثير اختلاف، إذ الصياح حاصل في الموضعين، وإنما زاد في أحدهما مدّ العنق.

ومعنى البيت: أنه كلما ورد سائلٌ على الممدوح صاح الغراب بفراق المال.

فإن قلت: إن هذا البيت لا يتضمن الدلالة على دوام عطائه؛ لأجل أنه علّق صياح غراب البين بورود السائل المجتدي، حتى كأنه قال: أي وقت قيل: جاء سائلٌ، نعب الغراب ببين ماله، وذا لا يدلّ على استمرار سماحه؛ لأجل أنه يجوز أن لا يكون أبداً بين يديه عافٍ!.

(١) عند ابن جني (المصرور) بدلاً من المضروب.

(٢) أي جؤية.

(٣) ذكر هذا الفرق ابن جني (الفسر ٣٩٥/١) وتابعه صاحب معجز أحمد ٣٥٠/١، وصاحب التكملة ٢٢٩/١. وذكره صاحب اللسان (نعب).

ويقال: نَعَقَ - بالعين - ونَعَقَ - بالغين - قال ابن دريد: "وهو بالغين المعجمة أعلى وأفصح" الجمهرة ٩٤٣/٢.

(٤) يقال: مات الإنسان، ونفقت الدابة (الفرق لابن فارس ١٠١، وفقه اللغة للثعالبي ١٥٢).

فالجواب: أن موضع المدح أن فراق المال معلق بسؤال^(١) السائل، وهذا قد حصل، فإذا انقطع بذله لأجل انقطاع سائليه فذاك مما لا عيب فيه، وإنما العيب أن ينقطع النوال مع حضور السؤال، وأيضاً فإنه قد وصفه قبل بأنه لا يردّ السائل عن نفسه، ومن يكون بهذه المنزلة فإن العُفاة لا ينقطع عنه مدّهم، فيعلم بذلك أن الغراب أبداً في الصياح، والمال في تجرّع غصص الوداع!.

وقال: "يرقبه" وإن كان مراقبته للمجتدي في الحقيقة؛ إذ صياحه مسبب عن حضوره، بمعنى أنه يلزمه ملازمة من يحفظ الشيء، فيكون رقيباً عليه. وهذا بين، فافهمه.

(٢٤) بحرُ عَجَائِبُهُ لَمْ تُبْقِ فِي سَمَرٍ وَلَا عَجَائِبُ بَحْرِ بَعْدَهَا عَجَبًا

يقول: إن الناس كانوا قبله يتدارسون أخبار البحر، وما جرى ذلك المجرى، فالآن قد أنستهم عجائبه سائر العجائب، حتى صاروا لا يشتغلون بغيرها في أسماهم، ولا يتذكرون ما سواها، فهذا الممدوح قد أبدع على البديع! كما قال ابن المعتز^(٢):

قد كان غراً بقتلي ليس يحسنه فالآن^(٣) يبدع في قتلي على البدع

وهذا لطيف الموقع.

(٢٥) / لَا يُقْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَيْلُ مَكْرَمَةٍ^(٤) يَشْكُو مُحَاوَلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعَبَا

38/ب

يقول: إنه لا يرضى بأن يحوز مكرمة يثني طالبها العنان مُقْصِراً تعباً، بل إنما يحب أن يحوز ما لا^(٥) ترتقي همّة أحدٍ إلى محاولته!.

(١) في الأصل (بوسايل) تحريف.

(٢) ديوانه ٣٨٢/١.

(٣) رواية الديوان (فاليوم).

(٤) (مكرمة) هذه رواية الشارح وحده، ورواية الجمهور (منزلة).

(٥) في الأصل (يحوزه الا) تحريف.

(٢٦) هَزَّ اللِّوَاءُ بَنُو عَجَلٍ بِهِ، فَغَدَا رَأْسًا لَهُمْ، وَغَدَا كُلُّ لَهُ^(١) ذَنْبًا

الباء في قوله: "به" بمعنى الظرف، كأنه: هَزَّ اللِّوَاءُ بَنُو عَجَلٍ وهو فيهم، كما تقول: خرج بعشيرته، أي وهو فيها. وهذا الظاهر غير مستقيم؛ لأجل أنه جعل الممدوح تابعاً للقبيلة في هذه اللفظة، ألا ترى أن "به" بمنزلة (بعشيرته) في قولك: خرج بعشيرته؟! ولا يشك في أن العشيرة تابعة للخارج، فكأن الكلام صدر على القلب، كقولهم: هَزَّ هو اللِّوَاءُ ببني عجل، وذاك أن اللِّوَاءَ يكون للسَّيِّد، لا للقوم، فهو يهزه - إذاً - بعشيرته؛ لأن قولهم: هَزَّ اللِّوَاءُ بهم، بمنزلة أن تقول: خرج بهم. وقد قَدَّمنا طرفاً من القلب^(٢). وحسن ذلك أنه فسَّره، فقال: "فغدا رأساً لهم، وغدا كلُّ له ذنباً"، فهذا كقوله^(٣):

حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ^(٤) زَعِيمًا

فلا شبهة أن اللِّوَاءَ يكون للسَّيِّد. وأوضح البحري بقوله^(٥):

عَقَادُ أَلْوِيَةٍ تَظَلُّ لَهَا طَلَى^(٦) أَعْدَانِهِ وَكَأَنَّهُ لَمْ تَعْقِدْ

ويجوز أن يُحمل الكلام على ظاهره، ويُجعل اللِّوَاءَ بمعنى الألوِيَّة، فكأنه قال: هَزَّ بنو عجل ألوِيَتهم به، أي: بسببه، ولأجل نهضته، من حيث إنه رئيس. ويحسن؛ لأجل أن لكل واحد منهم سيادةً ولواءً، ثم إنهم تابعون له مع ذلك! فتكون اللام في "اللِّوَاءَ" للجنس والكثرة، كقولهم: أهلك الناسَ الدينارَ والدرهمَ.

(١) (له) هذه رواية ابن وكيع (المنصف ٣٨٧) ومعجز أحمد ٣٥١/١. والكندي ١٧٠. ورواية (لهم) عند ابن جني (الفسر ٣٩٦/١)، وهي رواية الواحدي (١٥٨)، والتبيان ١١٨/١، والتكملة ٢٣٠/١، والنظام ق/٣٧٣، والديوان ٩١.

ورواية (لهم) أبلغ؛ لأن فيها تفضيلاً للممدوح ولقبيلته على جميع القبائل.

(٢) انظر صفحة: ٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) هوليلى الأخيلية، ديوانها ١١٠.

(٤) الخميس: الجيش، لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة والميسرة، والساقة. الصحاح (خمس).

(٥) ديوانه ٥٤٥/١، يمدح يوسف بن محمد الطائي.

(٦) الطلى: الأعناق.

والرأس: السيد، سُمِّيَ به لأجل أنه المقدم من الأعضاء، كما سموا الطليعة عيناً؛
لأجل أنها مقدمة على سائر الجوارح في الرقبة ولولاها لم يعتد بشيء من ذلك فيها، كما
أن لولا الرأس لما كان شيء من الأعضاء مُعتدّاً في كلّ حال.

ولاستعارة الرأس للأمير؛ يستعار الذنب للتابع والرعية.

وأما رأسُهم فكان معناه: ملكت رؤوسهم، وصرت فوقهم.

(٢٧) التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا الرَّاكِبِينَ^(١) مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صَغَبَا

انتصاب "التاركين" على المدح، كأنه قال: أعني التاركين، كبيت الكتاب^(٢):

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعُدَاةِ، وَأَفَّةُ الْجَزْرِ^(٣)
النازلين بكل معركة والطيبين معاقِد الأزر^(٤)

يجوز فيه أربعة أوجه: نصبها جميعاً - كما كتبنا - ورفعها جميعاً على الابتداء،
كأنك قلت: هم النازلون والطيبون^(٥).

(١) في جميع الشروح والديوان (والراكبين) بالواو.

(٢) الكتاب ٢٠٢/١، ٥٧/٢، ٦٤، ونسبهما للخرنق القيسية، وهي أخت طرفة لأمه. والبيتان ضمن قصيدة لها في ديوانها: ٣٩ (تحقيق: واضح الصمد).

(٣) لا يبعدن: بفتح العين، أي: لا يهلكن، وهو دعاء جاء بلفظ النهي، والجزر: جمع جزور، وأصله بضمّتين.

(٤) رواية الديوان (معترك) بدل (معركة).

وقولها: والطيبين معاقد الأزر: كناية عن عفتهم. والأزر: جمع إزار وهو ما ستر النصف الأسفل من البدن.

(٥) بقي وجهان من الأربعة، أحدهما: نصب الأول ورفع الثاني، وثانيهما: رفع الأول ونصب الثاني. انظر: الكتاب (المواضع السابقة). والمحتسب لابن جني ١٩٨/٢، والخزانة ٤٤/٥.

ومعنى البيت: أنهم عظماء، فيتعاطون العظام من الخطوب، ويتحملون الجسام من النوائب، كقول أبي تمام^(١):

تَجَشَّم حَمْلَ الْفَادِحَاتِ، وَقَلَمًا أَقِيَمْتُ صَدُورُ الْمَجْدِ إِلَّا تَجَشَّمَا

(٢٨) مُبْرِقِي خَيْلِهِم بِالْبَيْضِ، مُتَّخِذِي هَامَ الْكُمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابَا
العذبة: ما يشدُّ على الرمح^(٢)، كالخرقة وما أشبهها. والمعنى: أنهم غَشَّوا وجوه خيلهم بالحديد مكان البراقع، فكأنه قال: بالسيوف البيض. وذلك [كـ] قوله^(٣):
رموا بنواصيها القسي ...

والمعنى: أن الخيل تقبل بالسيوف^(٤)، وهي تلبَّسُ بوجوهها وأعناقها، حتى كأنها براقع.

ويجوز فيه أحسن^(٥) من هذا، وهو أن يريد أنهم لا يحتاجون إلى ما يصون خيولهم من التجافيف^(٦) والبراقع؛ لأنهم يذبُّون بسيوفهم عنها^(٧)، ويدل ذلك على سرعة قتلهم لمن يحاربهم بالتغلب عليه، حتى إنه لا يصل إلى أن يضرب خيولهم. ومثل ذا أن الرجل يقول: السيفُ درعي، بمعنى أنه يدفع عنيَّ الضربَ، ولا يتمكن معه أحدٌ من جسمي. وألَّا يدَّرع^(٨) الإنسان [أظهر] في الشجاعة من أن يدَّرع ولا يُقتل. وهذا واضح.

أ/39

(١) ديوانه: ٢٤٤/٣، يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف.

(٢) وتكون على رأسه: انظر اللسان (عذب).

(٣) أي المتنبي، والبيت بتمامه:

رموا بنواصيها القسي فجئنها دوامي الهوادي سالمات الجوانب

انظر صفحة: ٣٧٢.

(٤) في الأصل (قابل السيوف).

(٥) في الأصل (آخر) تحريف، أو كأنه أراد أن يقول: ويجوز فيه وجه آخر أحسن من هذا.

(٦) التجافيف: أغطية من حديد أو غيره توضع على الخيول في الحرب. اللسان (جفف).

(٧) ذكر هذا الوجه المعري (اللامع العزيزي ١/١٢٩) والواحي (شرحه ١٥٨).

(٨) في الأصل (يخرج) في الموضعين، لعله تحريف عما أثبت.

ووجه اتخاذ الهام عَذْباً^(١) أن يشدوا شعورهم عليها، وإلا فالهامة إذا رفعت باللسان لم يكن بينها وبين العذبة مشابهة.

(٢٩) إِنَّ الْمَيِّتَةَ لَوَلَّاقَتْهُمْ وَقَفَّتْ خَرْقَاءُ^(٢) تَتَّهِمُ الْإِقْدَامَ وَالْهَرَبَا

يقول: إن الموت لو التقى بهم لفرغ، وصار يُجِيل^(٣) الرأي بين التقدم والهرب منهم، ثم يتهم كل واحد منهما وينكره! أما وجه إنكاره الإقدام فهو أنه يخاف الهلاك، وأما وجه اتهامه الهرب فذاك أنه يخشى العار والنقص، وأنه لا يدري أن الهرب ينجيهِ. ووجه استعماله التهمة في الإقدام والهرب أنه لا يثق بهما، ولا يعلم إلى محبوب يوصلانه أم مكروه؟

(٣٠) مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتْبَعُهَا فَجَازَ - وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا - الشُّهُبَا

يقول: هذه الرتب إذا شايعها الفكر وهي صاعدة جاز النجوم مصاحباً لها. والغرض أنها لا تقف عند الوصول إلى الكواكب، بل تجوزها وتعلوها. وقريب من ذا قوله^(٤):

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْقِعُهُ^(٥) فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ

(٣١) مَحَامِدُ تَزَفَّتْ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا فَعَادَ - مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ، وَلَا نَضَبَا^(٦)

نزفت الدمع وأنزفت: إذا نفذته^(٧)، ويقال: فلان لا يُنزف بجره، أي: لا ينفد ما عنده؛ لوفوره.

وقوله: "فعاد" - ويروي (فأل)^(٨) - فيه ضمير يعود إلى "شعري".

(١) في الأصل (ووجه الحال أن الهام عندنا) تحريف.

(٢) خرقاء: فرقة متحيرة. الفسر ٣٩٩/١.

(٣) في الأصل (بمثل)، لعله تحريف لما أثبت.

(٤) أي المتنبي، وقد مضى في صفحة: ١٦٧.

(٥) في الموضع السابق (موضعه)، وهي رواية الديوان والشروح.

(٦) رواية ابن جني (وما نضبا) الفسر ٢٦٩/١.

(٧) انظر: (فعلت، وأفعلت) للزجاج ١٢١ (مكتبة الثقافة الدينية).

(٨) (فعاد) أشار إليها ابن المستوفي في النظام، أما (فأل)، فهي رواية الديوان وعامة الشروح.

و"ما" في "ما امتلأت" للنفي، فهو بمنزلة قولك: فعاد غير ممتلئة منه المحامد.

والغرض: أني أردت أن أستغرق محامده بالشعر، فلم أقدر على ذلك، ورجع شعري قاصراً عن بلوغ الغاية. فهذا صحيح في الظاهر، إلا أن قوله: "وما نضبا" بمنزلة قوله: وما نَفَدَ، وقد قال: [نَفَت] وهي بمعنى أنفدت، ومن المحال أن يقال: أنفدت وما نَفَدَ! لأن ذا بمنزلة أن تقول: أنفَدَ وهو باقٍ مع الإنفاد! وإذا كان كذلك وجب أن يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يريد بقوله: "نفت شعري" أنفدت ما ملكته من حاضر شعري - كما تقول: استوفيت ما وصل إليه خاطري - ويريد بقوله: "وما نضبا" أنه لم يعجزني^(١)، بل كان القدرة على الشعر باقية غير ذاهبة، فكأنه قال: إني استفرغت الجهد في أن أحيط بمحامده وصفاً، وأنفت ما قدرت عليه - في حال الطلب - من الشعر، فلم أصل إلى ذلك، وأريت محامده، وغلبت، وأنا مع ذلك غير منقطع عن مدحهم، فَعَلَ مَنْ يَحْتَجُّ بَأْنَ مناقبهم لا ينال حصرها، وأن الشيء إذا لم يُقدر على وصفه لم يُشغل به؛ لأن ما لي عنده [و] ما له من الولاء، يحثني على مدحهم والتقرب إليهم، فلا أنقطع عن ذلك لأجل قصوري عن استغراق محامده، إذ كل نفس لا تكلف إلا وسعها.

والوجه الثاني: أن يريد أن المحامد قد استغرقت شعري، ولم/يستغرقها، وما نضب شعري قط! أي لم أقصّر عن مناقب أحد غير الممدوح، فيكون كقوله^(٢):

ونائلٌ دون نيلي وصفه زُحْلا

(١) في الأصل (لم يعجزني).

(٢) أي المتنبي، وصدره:

وأني غير محصٍ فضل نائله

وقد سبق في صفحة: ١١١.

وكقوله^(١):

رهنتُ يدي بالعجز عن شكرِ برِّه ... البيت

ألا تراه أنه أقرب بعجزه عن الإحاطة ببره شكراً مع أنه فوق مَنْ يُعرف بالشكر!

(٣٢) مَكَارِمُ لَكَ فَتَ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ فَا نِتَ طَلَبًا؟

اللام في "لأمر" لا يتعلّق بالطلب، وإنما حكمه على ما ذكرنا [في] "على الإله ثناء"^(٢).

والمعنى: أن ما ترك^(٣) أمر قد فات، وذهب عن الناس، وطلب الغائب لا يُستطاع.

(٣٣) لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ^(٤) اخْتَلَفْتُ إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرَّكْبَانُ فِي حَلَبَا

(٣٤) فَسِرْتُ نَحْوَكَ، لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي: الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا

ما ألويت عليه: بمنزلة ما عكفت وما عرجت عليه، وأنشد^(٥):

عَمَرْتُكَ اللَّهُ الْجَلِيلَ فَإِنِّي أَلْوِي عَلَيْكَ لَوَّانٌ تُبَكِّ يَهْتَدِي^(٦)

وإنما جعل الفقر راحلةً لأجل أنه بسببه يقصد الملوكة ويستمطر بأنواء جودهم، فكأنه يسير به سير الراحلة براكبها! وكذا الأدب لأنه أحد ما يدعوه إلى ذلك؛ إذ المدح يتأتى به، فهو أيضاً مما يوصله إلى الصدور.

(١) بعض الأعراب، وتمامه: وما فوق شكري للشكور مزيد

وقد سبق -مع بيت آخر- في صفحة: ١٥٤.

(٢) انظر صفحة: ١٦١.

(٣) في الأصل (سارك) تحريف.

(٤) ذكر ياقوت أن ياء أنطاكية مخففة (معجم البلدان ٣١٦/١)، فكان المتنبي شدّ ياءها ضرورة.

(٥) هو ابن أحمر الباهلي، ديوانه ٦٠ (عطوان).

(٦) عمرتك الله، أي: سألت الله تعميرك. وألوي عليك: أعطف عليك.

(٣٥) أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِيقَتْ بِهَا لَوْذَاقَهَا لَبَكَّى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا

قوله: "شرقت بها" وصف البلوى بالشدة، لأنها إذا لم تَسْغُ، ونشبت بالحلُق كان الضَّرَرُ أكثر. ثم قال: إن الزمان لو ذاق هذه المحنة وأصابته، بكى إلى أن ينقطع، ويفنى؛ لإفراط ضررها، وعظم أمرها.

(٣٦) وَإِنْ عَمَرْتُ^(١) جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا، وَالْمَشْرَفِيَّ^(٢) أَبَا

وإنما جعل الحرب كالوالدة بمعنى أنه لا ينقبض عنها، وينبسط إليها، كما أن الولد مع أمه كذلك، ومثل ذلك قولهم: من أبناء الحروب. وجعل الرمح [أخاً] بمعنى أنه يرافقه، ولا يجافيه. وجعل السيف أباً لأجل أنه يتوصل به إلى المطالب، وينال ما يريد من الغنم، فهو له كالأب في أنه يسبل عليه ظلَّ تعهده. ويوضحه قوله^(٣):

أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كَتْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرِكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ^(٤) ١٩

فجعل رزقه من السيف. وقال آخر^(٤):

فَتَى لَا يَحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْكَنْزَ^(٥) إِلَّا مِنْ قَنَا وَسَيُوفِ

(١) عمر - بفتح الميم وكسرهما -: عاش طويلاً. اللسان (عمر).

(٢) المشرفي: السيف المنسوب إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. كتاب السلاح: ١٧، والقاموس (شرف).

(٣) أي المتنبي، ديوانه ٣٠٢.

(٤) هي ليلي بنت طريف الخارجية، من قصيدة في رثاء أخيها الوليد.

الحماسة البصرية ٢٩٩/١، والأمال ٢٧٤/٢.

(٥) في السابقين، (ولا المال).

(٣٧) بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْحَرْبَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَا
قوله: "في قتله" بمنزلة قولك: في أن يُقتل، مثل قوله^(١):

الموتُ غايتهُ فلا قصروا عنه جمَاحُ
وكانمُ الورْدُ المنيَّ —————
عندنا ماءٌ وراحُ

وقال أبو تمام^(٢):

قومٌ إذا وعدوا أو أوعدوا [غمروا صدقاً ذوائب] ما قالوا بما فعلوا^(٣)
يَسْتَعِذُّونَ مِنَّا هُم كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

(٣٨) قَحٌّ يَكَاذُ صَهِيلُ الْجُرْدِ^(٤) يَفْذِفُهُ مِنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعَرِ^(٥) أَوْ طَرَبَا
القحّ: الخالص، يقال: أعرابي قحّ وقحاح، إذا كان خالص النجار.

"والجرد" جمع أجرد، وهو القصير الشعر.

يقول: إن الخيل إذا صهلت كاد يسقط من سرجه؛ ارتياحاً وفرحاً بالعزّ؛ وهو كونه في حومة الحرب، وإقدامه على الخطوب^(٦).

(١) هو سعد بن مالك البكري، كما في الخزانة ٤٧١/١، ويقول البغدادي إنهما ضمن قصيدة في حماسة أبي تمام. لكن ديوان الحماسة المطبوع، وشروحها، أخلت بهذين البيتين. ولم يذكرهما ديوان بني بكر في الجاهلية ضمن شعر سعد بن مالك.

(٢) ديوانه ١٧/٣، من قصيدة في مدح المعتصم.

(٣) في ألفاظ هذا البيت روايات ذكرها التبريزي (الموضع السابق)، كما أنه متأخر عن البيت الثاني في الديوان.

(٤) رواية الواحدي (شرحه ١٦٠)، والتبيان ١٢١/١ (الخيّل).

(٥) في الفسر ٤٠٥/١، وشرح الواحدي (١٦٠)، ومعجز أحمد ٣٥٥/١: عن سرجه.

(٦) قال الواحدي (١٦٠): "ويروي (بالغزو) وهو أجود". وقال صاحب التبيان: "وروى ابن جني

(بالغزو) وهو أحسن وأبين وأجود" ١٢١/١ والذي في الفسر (بالعزّ).

(٧) في الأصل (الحروب) وتحتها (الخطوب) وهو بخط الناسخ.

وقال صاحب^(١) في بعض كلامه: "فصرت لا تقلني كواهل الأرض فرحاً، ولا تحملني أعواد سرجي مرحاً"^(٢).

(٣٩) / المَوْتُ^(٣) أَغْذَرُني، والصَّبْرُ أَجْمَلُ بي، وَالْبَرُّ أَوْسَعُ، والدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا
يريد أن الشجاعة والإقدام على المنايا أعذرني، [أي] أشدُّ إيضاحاً لعذري، من قولك:
مَنْ عَذِرَني مِنْ فلانٍ؟ أي: مَنْ يَعْذِرُني منه.

فكأنه قال: إن الموت أقبل لعذري من الناس، والصبر على الشدائد ونوائب الدهر
أجمل بي. ثم قال: والبرُّ أوسع، أي: لا أقيم على الخسف ولا أراع بالضيم، فأنتقل من
مكان الظلّامة إلى غيره. والدنيا لمن غلب، كقولهم: "مَنْ عَزَبَ"^(٤).

(١) صاحب هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، وزير بني بويه، كان آية في البلاغة والإنشاء، من مؤلفاته: المحيط في اللغة، والكشف عن مساوئ المتنبي، توفي سنة ٣٨٥ هـ. معجم الأدباء ٢/٦٦٢، ووفيات الأعيان ١/٢٢٨.

(٢) لم أجد هذه العبارة في مظانها من رسائل صاحب التي أخرجها عبد الوهاب عزام، وشوقي ضيف. ووردت دون نسبة في كتاب الثعالبي (سحر البلاغة وسر البراعة) ١٨٠.

(٣) رواية الواحدي (١٦٠)، والتبيان (١٢١/١): فالموت.

(٤) هذا مثل، انظر: جمهرة الأمثال ١/٢٨٨، ومعناه: من غلب سلب.

(١١)

وقال يمدح عليّ بن منصور الحاجب:

(١) بِأَيِّ الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبَا اللَّابِسَاتُ مِنْ الْحَرِيرِ جَلَابِبَا

الباء في "بأي" يتعلّق بمحذوف، التقدير: فُديَ بأيّ، وقد تقدّم ذلك^(١).

وكئى عن النساء بالشموس. و"الجانحات" المائلات. و"غواربا" نُصِبَ على الحال،
وأراد بالغروب الفراق^(٢)، كما قال البحّري^(٣):

دَنَتْ عِنْدَ الْوَدَاعِ لَوْ شُكِّ بَيْنِ دَنَوُ الشَّمْسِ تَجْنَحُ لِلْأَصِيلِ.

والجلابب جمع جلباب، والأصل جلايبب، مثل قرطاس وقرطيس، وحذف الياء
لضرورة الشعر، كما قال^(٤):

وَالْبَكَرَاتِ الْفَسَجِ الْعَطَامِيسَا^(٥)

والأصل: العطاميس جمع عَيْطَمُوس. غير أنه هنا أقبح؛ لأجل أنهم يكرهون الجمع
بين مثلين، ألا ترى أنهم يقولون في النسب إلى شديدة: شديدي؟! ولا يحذفون الياء كما
يحذفون من خفيفة، حيث يقولون: حَنَفِي؛ لأنه يجب أن يقال: شَدَدِي، فيُجمع بين مثلين

(١) انظر صفحة: ٢٢٨.

(٢) وبهذا فسّره الواحدى (١٧٢). وفسّره ابن جني فقال: "وغواربا، أي: قد غبن في الخدور والهودج،
فكأنهن شمس قد غربن" الفسر ١/٤٠٧.

(٣) ديوانه ٣/١٧٣٢.

(٤) غيلان بن حريث الربيعي، الكتاب ٣/٤٤٥، والفسر ١/٤٠٨، وشرح شواهد الإيضاح لابن بري ٥٩٦.
وبلا نسبة في الخصائص ٦٢/٢، واللسان (فسج).

(٥) البكرات: جمع بكرة، وهي الفتية من الإبل. والفسج: جمع فاسج، وهي -هنا- الحائل السمينة.
والعيطموس: الناقة الفتية الحسنة. شرح شواهد الإيضاح ٥٩٦، واللسان (فسج).

مُظْهِرِينَ. فحذف الياء من جلابيب أقبح من حذفه في عطاميس، غير أنه ^(١) يجوز لضرورة الشعر، كيف ويظهر المثلان فيه! نحو ^(٢):

تَشْكُو الْوَجَى مِنْ أَظْلَلٍ وَأَظْلَلٍ ^(٣)

أراد أظْلَل وهو الْفَرَسُ ^(٤)، ففكَّ الإدغام. وقد أنشد أيضاً ^(٥):

وغيرُ سَفْعٍ مُثْلٍ يَحَامِمٍ ^(٦)

فهو جمع يَحْموم، والأصل في جمعه: يحاميم، فحذف، ولم يعتد بالتقاء المثليين، فيحامم مثل جلابب سواءً.

(٢) الْمُنْهَبَاتُ عَيْوَنًا وَقُلُوبَنَا ^(٧) وَجَنَاتِهِنَّ، النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا

أنهبت الرجل الشيء، أي: جعلته ينهبه ويأخذه كيف يريد، كما أن أحفرت الرجل البئر، معناه: جعلته يحفرها. "فعيوننا وقلوبنا" هو المفعول الثاني، بمنزلة (المال) في قولك: أنهبته مالا، و"وجناتهن" المفعول الأول بمنزلة الهاء في (أنهبت)، فترتيب الكلام: (وجناتهن عيوننا وقلوبنا)، بمنزلة قولك: المعطيات وجناتهن عيوننا، والممكنات وجناتهن من انتهاب عيوننا وقلوبنا ^(٨).

(١) أي: الحذف مع اجتماع المثليين.

(٢) قائلة العجاج، ديوانه ١٨٠ (تحقيق: عزة حسن).

(٣) قال الأصمعي شارح الديوان: "والأظلل ما تحت المنسم. والوجى: الحفى. وإنما هو الأظلل، ولكن أظهر التضعيف". وقوله: "ما تحت المنسم"، أي: باطن الخف، انظر: القاموس (ظلل).

(٤) في الأصل (الفرس) تحريف. والفرس للبعير: كالحافر للدابة. القاموس (فرسن).

(٥) قائلة غيلان بن حريث الربيعي، الكتاب ٤/٤٣٩، والفسر ١/٢٧٢، وسر صناعة الإعراب ١/٥٨، واللسان (حمم).

(٦) يصف الراجز أُنثافي قدر السفع: جمع سفعاء، وهي السوداء. والمثل: جمع مائلة، أي: قائمة منتصبه. واليحامم: جمع يحموم، وهو الأسود. اللسان (سفع/حمم).

(٧) رواية الواحدي (١٧٢)، والتبيان ١/١٢٢: (قلوبنا وعقلونا).

(٨) ويرى العكبري أن (عيوننا وقلوبنا) هو المفعول الأول، و(وجناتهن) هو المفعول الثاني. والمعنى: أن هؤلاء النساء قد يمكن عيوننا من النظر إلى وجناتهن. انظر: النظام ق/٣٧٧.

والمعنى: أنا [إذا] نظرنا إلى وجناتهن انتهبت عيوننا؛ لأ[نها] نصير موقوفةً عليها،
وتستهوي قلوبنا بما يحل فيها من العشق.

وقال البحتري في وصف فرس^(١):

مَلَكَ الْعَيُونُ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَتْهُ^(٢) نَظَرَ الْمَحَبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ

ومعنى قوله: "الناهباتِ الناهبا" أن هذه الوجنات ينتهبن الرجل المعروف بالنهب
والغارة، كما قال^(٣):

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظَرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فَوَّادِهِ وَعَزَائِهِ

وقال أبو تمام^(٤):

أَخْلَتْ رِيَاهَا كُلَّ سَيْفَانَةٍ تَخَلَّعَ قَلْبُ الْمَلِكِ الْخَالِعِ^(٥)
يَصْبَحُ فِي الْحَبِّ بِهَا^(٦) ضَارِعًا مَنْ لَيْسَ عِنْدَ السَّيْفِ بِالضَّارِعِ

/ فَنَهَبَ وَأَنْهَبْتُهُ^(٧) بِمَنْزِلَةٍ: حَفَرَ وَاحْتَفَرَ وَأَحْفَرْتُهُ.

40/ب

فإن قلت: كيف يزعم أن هؤلاء النسوان يُمكِّنَ وجناتهن من انتهاب العيون
والقلوب، والوجنات هي التي تمكُنهنَّ من التأثير^(٨) في الناس! إذ لو لم يكن حُسْنُ

(١) ديوانه ١٧٤٤/٣.

(٢) رواية الديوان (أعطيته).

(٣) أي المتنبي، وقد مرَّ في صفحة: ٢٢٥.

(٤) ديوانه ٣٥٢/٢.

(٥) السيفانة: الضامرة البطن. وتخلع: تنزع. والملك الخالع: الذي يخلع أميراً وينصب أميراً.

يقول: إن هذه الدارق خلَّت رِيَاهَا من كل غانية فاتنة تسلب فؤاد الملك الجبار. (أفاده شارحه).

(٦) رواية الديوان (لها) وهي أجود.

(٧) لو قال: (فنهَب وانتَهَب وأنهَبته) لكان أولى، لتكتمل المقابلة.

(٨) في الأصل (الناس) تحريف.

الوجنات لم يكن لهن عملٌ، فكان يجب أن يقول: إن الوجنات تمكّن النسوان من انتهاب عيوننا وقلوبنا.

فالجواب: أن مأخذ الكلام من غير هذا الوجه: وذاك أن النسوان يكشفن عن الوجنات ويعرضنها، ولو كتمن وجناتهن عن هؤلاء لم تقدر الوجنات على التأثير فيهم^(١)، وإذا كانت النسوان يكشفن عن الوجنات ويعرضنها على هؤلاء ثبت أنهن يمتكّن الوجنات من النهب، فكأنه قال: إنهن كلما أقبلن علينا قلن لوجناتهن: خذي عيونهم وقلوبهم! نحو قوله^(٢):

رمتني بطرفٍ لو كميّاً رمت به لبلّ نجيعاً تحرّه وبنائقه

ألا ترا [هـ] جعلها ممكنة للطرف، وإن كانت لا تقدر على التأثير إذا لم يكن الطرف.

(٣) النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيِيَا تُ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا

"القاتلات" بالصدّ، و"المحييات" بالوصال. والدلال والإدلال واحد، والمعنى في ذلك أن يدلّ المحبوب على معرفته بقوة حبك له فيتعاطم عليك، ففعل من ملك قلبك.

(٤) حَاوَلْنُ تَفْدِيَتِي وَخَفْنُ مُرَاقِبَا فَوَضَعْنُ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا

يقال: فدّيته، أي: قلت له: جعلني الله فداك، أو نحوذا، كما يقال: سقيته وحيّيته، أي: قلت له: سقاك الله، وحيّاك الله. فالمعنى: أنهن أردن أن يفصحن بتفديتي قولاً، فلمّا خشين الرقيب أقمن الإشارة باليد - ووضعنّها على الترائب وهي محالّ القلائد من الصدور - مقام اللفظ به، والإعراب عنه.

(١) في الأصل (فيهن).

(٢) هو ابن الدمينّة، وقد مضى في صفحة: ٩١.

(٥) وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذْيُبُهُ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي، فَكُنْتُ الذَّائِبَا!

شبه الأسنان بالبرد لبياضها. وذكر أنه خاف أن تذوب مما يتصاعد من حرارة الحزن والوجد في أثناء أنفاسه، فكان الأمر بالعكس مما ظن؛ لأنَّ حُسْنَ ذلك أذابه!.

(٦) يَا حَبَّذَا الْمُتَحَمِّلُونَ، وَحَبَّذَا

(٧) كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا^(٤) أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبَا^(٣)!

الظاهر في "تخلصاً" أنه منصوب "بالرجاء" كما تقول: كيف رجائك زيداً؟ وإعمال المصدر مع الألف واللام ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، وقد أنشد صاحب الكتاب بيتين، أحدهما قوله^(٤):

لقد علمتُ أولى المغييرة أنني
كررتُ^(٥) فلم أنكل عن الضرب مسمعا^(٦)

(١) المتحملون: الراحلون. وكنى بالغزاة: عن حبيبته. والكاعب: الفتاة التي بدا ثديها. انظر: الفسر ٤١٣/١، ومعجز أحمد ٢/٢٩.

(٢) رواية الواحدي (١٧٣)، وابن وكيع (المنصف ٤٢٤)، والديوان ١٠٠: من بعد أن. ورواية الكندي (شرحه ١٨٦): من بعد إذ، وأشار إليها محقق الديوان.

(٣) المعنى: كيف أرجو الخلاص من النكبات والخطوب بعد أن وقعت في شباكها، وعلقت في مخالِبها. انظر: الفسر ٤١٥/١.

(٤) الكتاب ١٩٣/١، ونسبه للمزار الأسدي، وهو في شعره ضمن كتاب (شعراء أمويون ٤٦٤/٢). ونسبه البغدادي لمالك بن زغبة الباهلي (الخزانة ١٣٢/٨).

وهو لهما في شرح شواهد الإيضاح لابن بري ١٣٦، وشرح المفصل ٦٤/٦.

(٥) في الكتاب (لقيت)، وهما روايتان.

(٦) أولى المغييرة، أي: أول الخيل المغييرة للقتال. والنكول: الرجوع جئناً. ومسمع: اسم رجل من بني قيس بن ثعلبة. يقول: لقد علم المغيرون أنني مقدم لا أرضى الفرار، فلم أزل أقاتلهم حتى لحقت كبيرهم فضربته بالسيف. الخزانة ١٣٢/٨، وشرح شواهد الإيضاح ١٣٨.

والشاهد: إعمال المصدر المقرون بأل (الضرب) في (مسمعا).

والآخر قوله^(١):

ضعيفُ النُّكَايةِ أعداءه يحالُ الفرارِ يراخي الأجلُ

فمسمع وأعداؤه منصوبان بالمصدرين مع دخول اللام عليهما.

ويجوز أن يكون "تخلصاً" نصب على فعلٍ مضميرٍ، كأنه قال: كيف الرجاء؟ وأعلم أنه راجٍ شيئاً [ف]قال: "تخلصاً"، على معنى: أرجو تخلصاً من الخطوب. كقول الله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ﴾ (٢) ﴿لَنْ قَدِّرِينَ عَلَيْهِ أَنْ سُئِيَ بَنَاهُ﴾ (٣)، التقدير: بلى نجمعها قادرين؛ لأنه لما قال: ﴿أَلَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ﴾ اكتفى بذلك، / فأضمر لدلالة الحال. هذا هو معنى قول أبي نواس (٣). وإنما حملنا على هذا قلة [إعمال] الداخل [عليه] الألف واللام نحو: عجبْتُ من الضرب زيِّداً. فاعرفه.

41/أ

(٨) أَوْحَدَنِي وَوَجَدَنُ حُزْنًا وَاحِدًا مُتَنَاهِيًا فَجَعَلَنِي لِصَاحِبَا

النون في "أوحدني" ضميرُ الخطوب. هو: أن النوائب فصلت بيني وبين أحبتي، وصيرتني فرداً، ثم صادفت غمًّا قد بلغ النهاية في العظم، فأقامته مقامَ الرفيق!.

(٩) وَنَصَبَنِي غَرَضَ الرُّمَاءِ^(٤) تُصِيبُنِي مَحْنٌ أَحَدٌ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبَا

الوجه أن يقول: ونصبني غرضاً للرماة، ولا يجوز أن تقدّر الانفصال في الاتصال في الإضافة إذا لم يكن المضاف اسمَ فاعلٍ، نحو قولك: مررت برجلٍ ضاربٍ زيدٍ، تريد:

(١) الكتاب ١/١٩٢، وشرح شواهد الإيضاح ١٣٥، والخزانة ٨/١٢٧، وهو من الأبيات التي لا يُعرف قائلها. والشاهد فيه نصب (أعداءه) بالمصدر المقرون بأل (النكايّة).

(٢) سورة القيامة: ٣، ٤.

(٣) كذا بالأصل، كأنه أراد أن يذكر بيتاً لأبي نواس مشابهاً لبيت المتنبي. أو أن الكلمة محرفة عن اسم شخص آخر.

(٤) الغرض: هو الهدف الذي ينصب للرمي.

(٥) رواية ابن المستوفي (غرض الخطوب) النظام ق ٣٨٠.

ضارب زيداً، أو صفةً مشبهةً أضيفت إلى فاعلها في اللفظ نحو: مررت برجلٍ حسنِ الوجه، والمعنى: حسنِ وجهه، ولا يجوز أن تقول: جاءني غلامٌ [زيد] وأنت تريد: غلامُ زيدٍ^(١).

وإذا كان كذلك كان "غرض الرماة" معرفةً في الظاهر؛ لأنه مضاف إلى ما فيه الألف واللام، والمعرفة لا تكون حالاً ولا تمييزاً، ألا ترى أنك لا تقول: مررت بزيدِ الضارب - كما تقول: ضارباً - ولا: عشرون الدراهم؟! غير أن هذا^(٢) يجوز فيه ذلك! لأن "الرماة" فيه إبهام، وليس لأقوامٍ بأعيانهم، وإذا كان كذلك كان المضاف^(٣) الذي هو "غرض" نكرةً، ألا ترى أن قوله: "غرض الرماة" بمنزلة: غرض كلِّ رامٍ؟ وهذا لا شبهة في تنكيره، فلما كان المعنى والتحقيق يفضي بك إلى [الإبهام]^(٤) والشياع؛ ساغ أن يكون حالاً أو تمييزاً، بمنزلة أن تقول: غرضاً للرماة، كما أن بيت الكتاب^(٥):

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نَعَصِ الدَّخَالِ^(٦)

لَمَّا كان العراك فيه لا يفيد إلا ما يفيد (تعترك)، جاز أن يكون حالاً مع دخول الألف واللام، حتى كأنه قال: فأرسلها تعترك.

فهذا وإن كان جائزاً في المعنى - أعني جعل "غرض" الرماة "بمنزلة غرضاً" - فإنه كلام لا يكاد يوجد في غير النظم؛ لأن قولك: غرضاً للرماة أوضح وأحسن أداءاً للمعنى.

(١) في الأصل (زيداً) خطأ.

(٢) أي قول المتنبي.

(٣) في الأصل (المضاف إليه) سهو.

(٤) هنا بياض بالأصل بمقدار كلمة.

(٥) الكتاب ٣٧٢/١، وهو للبيد، ديوانه: ٨٦.

(٦) معنى العراك: الازدحام. ولم يذدها: لم يمنعها. والنعص: ألا يأخذ الشارب كفايته من الماء. والدخال: هو مداخله الضعيف من الدواب بين الأقوياء.

يصف الشاعر حمار وحش بأنه أورد أثنه الماء دفعةً واحدة، ولم يمنعها، ولم يشفق على بعضها أن ينغص عند الشرب. الخزانة ٣/ ١٩٣، ١٩٤.

وكونه بمعنى: غرض كل رام لا يخرج "الرماة" من التعريف رأساً؛ لأن اللام تفيد تعريف الجنس.

ويجوز أن يقدر...^(١) فيكون نصب مصدر، أو يكون نصب "غرض" لقيامه مقامه. ثم يبتدئ فيقول "تصيني محن". فاعرفه.

(١٠) أَظْمَنِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا، مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا!

أظمتني هو الأصل، غير أن التخفيف قد استعمل فيه نحو: ظَمِيَ وَظَمًا، فجاء "أظمتني" على أظماء، ثم إن الألف التقى مع التاء فسقط لالتقاء الساكنين، كقولك: أعطتني^(٢).

و"مصائباً" نصب على التمييز، كقولك: فاضت السماء وُيلاً.

(١١) وَحَبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ^(٣) بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ، فَعَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا!

الدارش: جلد المعزى^(٤)، و"من خوص الركاب" بمنزلة قولك: من الظلام، في أن المعنى: مكان خوص الركاب، وقد تقدّم المثال فيه^(٥).

(١) السياق منقطع هنا: لعله أراد أن يقول: ويجوز أن يقدر (ونصبني غرضاً كغرض الرماة...) أو أن يقدر الفعل (نصبني) مضمناً معنى (غرضني)، أي: وغرضني غرض الرماة، أو غرضاً مثل غرض الرماة.

(٢) في الأصل (أعطيتني) تحريف.

(٣) الخوص من الركاب: الفائرة العينين، وهو من أمارات الكرم.

الفسر ٤١٦/١، ومعجز أحمد ٣٠/٢.

(٤) وقد يؤخذ من جلد الضأن. التبيان ١٢٥/١، وهو جلد أسود. (اللسان درش). وهو معرب عن الفارسية (المعرب للجواليقي ٢٩٩، وتفسير أبيات المعاني ٤٤).

(٥) عند قول المتن:

إذ حيث كنت من الظلام ضياء

في صفحة: ٧٥.

والمعنى: أن ما كنت أملكه من الرواحل قد ذهب عني، وآل الأمر إلى أن تكون راحلتي خُفّاً مُتَّخِذاً من جلود المعزى، فغدوتُ أمشي مع أني راكبٌ — لأن هذا المركوب مما لا يسيرُ — راكبٌ من وجهٍ وراجلٌ من آخر!

41/ب

(١٢) / حالاً متى عَلمَ ابنُ مَنْصُورٍ بها جَاءَ الزَّمانُ إلَيَّ مِنْها تَائِباً

نصب "حالاً" على إضمار فعلٍ يدل الحال عليه، كأنه قال: أَصِفُ حالاً، وأذكر، وما جرى ذا المجرى من الكلام، وكيبت الكتاب^(١):

ديار^(٢) مَيَّةَ إذ مَيَّ تُساعدني^(٣) ولا يرى مثلها عُجْمٌ ولا عَرَبٌ

التقدير: أَذكرُ ديارَ مَيَّةَ؛ لأنه لما وصف الديار والمنازل دل ذلك على هذا النحو من الفعل، فأضمره.

ولورفع فقال: حالٌ، على أن يكون مبنياً على مبتدأٍ محذوفٍ، حتى كأنه قال: هذه [حالٌ، لجاز]، وأنشد^(٤):

هل تعرف اليومَ رسمَ الدارِ والظَّلَلا
كما عرفتَ بجفنِ الصَّيْقِلِ الخِلا
دارٌ لمروءةٍ إذ أهلي وأهلُهُم
بالكانِسيَّةِ نرعى اللُّهُوَ والغَزَلا

أراد: هي، ونحوذا كثير في كلامهم.

ومعنى البيت: أن هذا الممدوح لا يرضى بأن يُمتحن الكرامُ، فلو أحسَّ بما عاملتني الأيامُ؛ صال عليها، وصرفها إليَّ معتذرةً من صنيعها، راجعةً عنه، كما قال أبو تمام^(٥):

(١) الكتاب ٢٨٠/١، وهو لذي الرِّمة، ديوانه ٢٣/١.

(٢) وفي الديوان روايتان أخريان (ديار مَيَّة) و(دار مَيَّة).

(٣) رواية الكتاب (مساعدة)، ورواية الديوان (تساعدنا).

(٤) لعمربن أبي ربيعة، ديوانه ٤٦٧ (شرح محمد محيي الدين عبد الحميد).

(٥) ديوانه ١٥٤/١، يمدح عياشاً الحضرمي.

تركتُ خطاً منكَبَ الدهر إذ نوى زحامي لَمَّا أن جعلتُك منكبي!

وقال أيضاً^(١):

كثرتُ خطايا الدهر في، وقد يُرى بنداكَ وهو إِيّ منها تائبُ

(١٣) مَلِكُ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارِيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبَا

"دَمًا" و"عُرْفًا" منتصبان على التمييز، و"سَاكِبًا" من سَكَبَ يسكب سكبوا، يقال: سَكَبَ وَسَكَبْتُهُ فهو مسكوب، وسَفَحَ وسَفَحْتُهُ فهو مسفوح، فهو من باب جَبَرْتُهُ فَجَبَرْتُ^(٢).

والمعنى: أن الممدوح جامعُ بين قتل الأبطال، وهدم أركانِ الأموال، فبنانه للعطاء، وسنانه للدماء، وكلُّ يساجلُ صاحبه في فيضه! ومعنى المباراة: أن يَبْرِي هذا ما يَبْرِي ذاك، كما أن معنى المساواة أن يسمو هذا مثل ما يسمو الآخر.

وكان يجب أن يقول: يتباريان دَمًا سَاكِبًا، أو دَمًا وَعُرْفًا ساكبين، غير أنه أضمر في الأول لدلالة الثاني، كبيت الكتاب^(٣):

نحن بما عندنا، وأنتَ بما عندك راضٍ، والرأيُ مختلفُ

(١) ديوانه ١٧٥/١، يمدح أبا سعيد الثغري.

(٢) بابه هو: الثلاثي الذي يأتي لازماً ومتعدياً.

(٣) الكتاب ٧٥/١، ونسبه سيبويه لقيس بن الخطيم، وهو في ملحقات ديوانه ٢٣٩.

وقد ردّ البغدادي هذه النسبة، ورأى أن الصواب أن البيت لعمر بن امرئ القيس الخزرجي، ثم أورده مع قصيدته ١٧٥/٤. ونسبة له كذلك في جمهرة أشعار العرب ٦٧٣/٢، وكذا في معجم الشعراء ٥٣ برواية (والأمر يختلف)، وكذلك في (من اسمه عمرو من الشعراء) لابن الجراح: ٧٦.

والتقدير: نحن بما عندنا راضون، فأضمر؛ لأن ذكره لراضٍ في خبر^(١) "أنت" يدلُّ على ذلك. وكذلك قولهم: ضربتُ وضربني عبدُ الله - بالرفع - يضمرون للأول مفعولاً، يدل على ذلك، وكذلك قولهم: ضربتُ وضربني عبدُ الله، غير أنه اكتُفي بذكره مرة^(٢).

وهذا بابٌ من الصناعة واسعٌ جداً.

والعُرفُ والمعروف واحد، والمعروف مثل قولهم: النجم؛ لأنه إذا [أُطلق] قُصد به الإحسان والبر، كما أن النجم يُراد به الثريا إذا أُطلق، وكل واحدٍ منهما شائع في أصله؛ لأن المعروف مثل المضروب، والنجم مثل الرجل. ومعنى ذلك: أن كل واحدٍ يحبه، ويعرفه، ويميل إليه. أما العُرفُ للأرجح فلأجل أنه يخبر بصاحبه ويعرفه.

(١٤) يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْ فِيهِ وَيُظَنُّ دَجَلَةً لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا

يُروى الخطر والخطر^(٣)، بكسر العين وفتحها، فإن كسرتها كان بمنزلة الخطير، فكأنه يستصغر العلق^(٤) الخطير الكبير لو فوده، وإن روي بالفتح لم يكن هنا موصوف مقدر، فيكون بمنزلة قولك: الأمر الكبير، أو القدر.

ومعنى البيت: أنه من إغراقه في الجود واعتياده لذلك يرى ما يَبْرِبُه وفودَه / صغيراً، وإن كان جليل القدر، ويبلغ من احتقاره الدنيا أن يظن دجلةً غير كافيةٍ شارباً واحداً! وقريب منه قوله في ابن العميد^(٥):

ظالمُ الجودِ كلُّ ما حلَّ ركبٌ سيم أن يحملَ البحارَ مزادَه^(٦)

(١) في الأصل (غير) تحريف.

(٢) ما زال في النفس شيء من استقامة هذه الجملة، وكأنَّ الشَّارح أراد أن يقول: (يضمرون للأول مفعولاً، [وعبدُ الله] يدل على ذلك، [والأصل]: ضربت [عبدَ الله] وضربني عبدُ الله، غير أنه اكتُفي بذكره مرة).

(٣) وذكره تاتين الروائتين المعري (اللامع العيزي ١/١١٤).

(٤) العلق: هو الشيء النفس. وفي الأصل: العلو.

(٥) ابن العميد: أبو الفضل، محمد بن الحسين، الوزير البويهى الشهير، أحد ممدوحى المتنبي.

(٦) الديوان ٥٤٤ هـ، والمزاد: جمع مزادة، وهي الراوية.

(١٥) كَرَمًا، فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَطَنًا كَاذِبًا

"كرمًا" منصوب على أنه مفعول له، كأنه: ويظن دجلة ليس تكفي شاربًا [كرمًا]

أي: لكرمه.

ومعنى البيت: أنه لا يعتد بمنحة وبعطية، وإذا لم يعتد الإنسان بالشيء ذهب عنه، ولم يضبطه، فإذا أخبرته شك فيه، واتهم المخبر في مقاله! وإنما جمل نسيان الصنائع لأجل أن في حفظها ما يدعوا إلى الامتنان، والمنة تسلب المبرة جمالها، وتبدل من بهائها غبرة ومن صفائها كدره، وقديماً قيل: "إن المنّة تهدم الصنيعة"^(١). وقال: قيس بن عاصم^(٢) - رحمه الله - في وصيته لقومه: يا بني تميم اصحبوا من يذكرا إحسانكم إليه، وينسى أياديكم، (فإنه نعم الصاحب)^(٣). ويليق بهذا ما رويناه عن أبي^(٤) العباس من جهة شيخنا - رحمه الله - أن ابن عباس قال: "لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه". قال^(٥): وأنشد^(٦) عبد الله بن جعفر^(٧) قول الشاعر^(٨):

(١) الكامل ٢٣٣/١، وانظر: مجمع الأمثال ٢/٢٨٧.

(٢) قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه، الصحابي، الجواد، المشهور.

(٣) ما بين القوسين - في الموضوعين - كتب بخط دقيق مخالف لخط الناسخ، ووصية قيس هذه في الكامل ١٣٣/١، ما عدا الجملة الأخيرة.

(٤) كشط بعضهم كلمة (أبي) ثم وضع عليها كلمة (ابن)، يظنه ابن عباس صاحب القول وهو أبو العباس المبرد، والقول في كتابه الكامل ١٧٩/١.

(٥) أي: المبرد، فقد ذكر هذه الحادثة بتفاصيلها، في الكامل ١٧٩/١، والفاضل ٣٥، ٣٦.

(٦) في الأصل (وأنشد شيخنا عبد الله ...)، وضرب على (شيخنا) بالأسود، كأنه من صنيع الناسخ.

(٧) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، صحابي، يسمى بحر الجود.

(٨) لم ينسبهما المبرد، ولفظ البيت الأول عنده:

فإذا أردت صنيعاً فاقصد بها لله، أولذوي القاربة، أودع!

ونسبهما المرزباني في معجم الشعراء ٤٠٥ إلى الهذيل الأشجعي. وروايته تشبه رواية المبرد.

الجِدُّ أَنهَضُ بِأَمْرِي فِي سَعْيِهِ فَانْهَضُ بِجِدِّ فِي الْحَوَادِثِ، أَوْدَعِ
إِن الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ الْمَضَرِّعِ

فقال: "هذا شعر رجل يريد أن يُبْخَلَ الناس! أمطر المعروف مطراً، فإن صادف موضعاً فهو الذي قصدت، وإلا كنت أحق به". فأمره بأن لا يُراعي مغرس الصنعة، ونهى عن الاعتداد^(١) بها، والإحصاء لها؛ لأن ذلك إنما يكون عند العناية بالِعَوْضِ. والكرم والجود^(٢) أن يفيض الإحسان رغباً عن الشكر والنشر، كما قال^(٣):

أَنَا بِالْوَشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى، وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ

فإذا قلت: فإنَّ قوله: "فلو حدثته عن نفسه بعظيم ما صنعت لظنك كاذباً" يحتمل أن يكون كقول البحري^(٤):

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ حَتَّى ظَنَنْتَ بِأَنَّهُ^(٥) مُوَضُّوعٌ

وإذا كان المعنى كذلك كان ذا نقصاً؛ لأجل أن الممدوح إنما يُنكر ما ينشره المادح من إحسانه، استعظماً لأن يكون ذلك، فيقدّر أن المادح يريد أن يفرط في التقريظ، ويكذب عليه! وليس ينبغي أن يكون كذلك؛ لأنه يجب أن لا يعتد به، ويقول: إنَّ مثل هذا لا عَظَمَ فيه. فهذا البيت لا يلائم ما قبله^(٦)!

فالجواب: أن هذا الذي ذكرته ظاهر، غير أنه جعل الإنكار لأجل نسيانه وذهابه عمّا اصطنعه من الجميل، دون أن يكون الممدوح مستعظماً لما يذكره، وشاكاً في مثل ذلك.

(١) في الأصل (وهي عند الاعتذار)، لعله تحريف.

(٢) في الأصل (العود)، وكتب بإزائه في الحاشية بخط مغاير (لعله: والمحمود).

(٣) أي: المتنني، ديوانه ٢٨٨، يمدح سيف الدولة.

(٤) ديوانه ١٣١٦/٢، يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل.

(٥) رواية الديوان (حتى ظننا أنه ...).

(٦) ذكر الواحدي ما يقارب هذا الانتقاد، قال: (وقد أساء في هذا لأنه جعله يستعظم فعله، وبضده

يمدح، وإنما يحسن أن يستعظم غيره ما فعل) ١٧٤.

لا يجوز أن يحصل منه، كيف وقد وصفه باحتقار العظيم^(١)؟! وفي هذا ضرب آخر من المدح، وهو أنه لا يحب أن تُذكر النعم التي^(٢) يُسديها؛ لأنه يمدح بها^(٣)، والولوع بالمدح لا يَجْمَلُ، فكراهيته الامتداح تحمله على تكذيب الذاكر لعطاياه السالفة.

(١٦) سَلَّ عَنْ شَجَاعَتِهِ، وَزُرَّهُ مُسَالِمًا وَحَذَارِثَمَ حَذَارِثَمُهُ مُحَارِبًا!

(١٧) / فَأَلَمُوتُ تُعْرِفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ^(٤) لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا!

42/ب

يقول: إذا أردت أن تتصور شجاعته فسَلْ عنه، واشهدُ مقامه^(٥)، ولا تتعرض لمحاربه قاصداً معرفة عيانه؛ فإنَّ مُحَارِبَهُ لا يَسْلَمُ منه. والإنسان [ليس] من حقّه أن يهلك نفسه لأجل أن يعرف أمراً^(٦). كيف، والموت يعرف بأن توصف أحواله؟! وضرب قوله: "لم تلق خلقاً ذاق موتاً آيباً" مثلاً له، أي: أن أحداً لا يذوق الموت قاصداً إليه وطالباً لمعرفة طعمه.

وكانَ هذا كلامٌ ينزل منزلَ خطاب مَنْ يُعنى بشأنه، وهو عكس قوله: "فكن معاديه، أو كن له نسباً"^(٧)؛ لأنّه عرّضه للهلاك، وأشار عليه بأن يعرف قدرته وسماحته بإهلاك النفس، وقد وّصاه -هنا- بأن يسأل^(٨) عنه، ولا ينجح إلى نزاعه فيهلك. وذا أحسن وأوضح، فاعرفه.

(١) في الأصل (باحقار التعظيم) تحريف.

(٢) في الأصل (الذي).

(٣) في الأصل (به).

(٤) في معجز أحمد ٣٢/٢: "وروي: (كالموت تعرف بالطباع صفاته)، أي: يعرف الموت طبعاً ومشاهدة، لا تجربة".

(٥) في الأصل (مقاومته)!

(٦) في الأصل (أمراً امراً)، لعله تكرر، أو أراد (أمراً إمراً)، أي: أمراً منكراً.

(٧) مضى في صفحة: ٢٨١.

(٨) في الأصل (يَصِل) تحريف.

(١٨) إِنْ تَلَقَّاهُ لَا تَلْقَ إِلَّا جَحْفَلاً أَوْ قَسْطَلاً^(١) أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا

(١٩) أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا

المعنى: أنه لا يخلو من هذه الأجناس في جميع أحواله: فهو بين جحفلٍ يحاربه، أو يحارب به، وقسطٍ يثيره، وطاعنٍ وضاربٍ يحاربان معه، وهاربٍ يهرب منه، وطالبٍ لعطائه، أو طالبٍ من عسكره للعدو، وراغبٍ في جوده، وهالكٍ من قبيله، ونادبٍ يندب عداه الذين أهلكهم. فاعرفه.

(٢٠) وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاصِبًا^(٢)

يقول: إذا تأملت الجبال المرتفعة عن السهول رأيتها مستورةً بعساكره، فهي تموج سيوفاً ورماحاً. "فعواسلاً" منصوبة على الحال من ضمير الجبال.

وإنما قيل: العواسل للرماح لاهتزازها^(٣)، من قولهم: عَسَلَ الذئبُ يَعْسُلُ، إذا مشى متميلاً^(٤)، قال: ^(٥)

لَذُنْ يَهْزَأُ الْكَفَّ يَعْسُلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقُ الثَّعْلَبُ

وكذا قولهم: المارن؛ لأنه من مَرَنَ يَمْرُنُ إذا لان، وقالوا: المَرَّانَةُ^(٦) أيضاً للقناة، فوزنها فَعَالَةً، لا فَعْلَانَةً.

(١) القسطل: الغبار.

(٢) بعد هذا البيت بيت في الديوان وبقية الشروح، وهو:

وإذا نظرت إلى السهول رأيتها تحت الجبال فوارساً وجنائباً
ولم يُشر إليه الشارح، فلعله لم يكن في نسخته.

(٣) كتاب السلاح: ١٩، والفسر ٢٨٤/١.

(٤) في القاموس (عسل): عسل الذئب: اضطرب في عدوه، وهز رأسه.

(٥) هو ساعدة بن جؤية الهذلي، شرح أشعار الهذليين ١١٢٠/٣.

(٦) المارن والمرانة: الرمح أو القناة التي فيها لين مع صلابة. المخصص ٣١/٦، والقاموس (مرن).

(٢١) وعجاجة تَرَكَ الحَدِيدُ سَوَادَهَا زَنْجًا تَبَسَّسُم، أَوْ قَدْ أَلَا شَائِبَا

المعنى: أن العجاجة سوداء، والسيوف مشرقة في أثنائها، فهي كجماعة من الزنج تبسم فيبدو بياض أسنانها، أَوْ قَدْ أَلَا قد ضحك فيه الشيب، ولاح، وباقي الشعر أسود.

والقذالان: ما اكتنفا فأس^(١) القفا يميناً وشمالاً^(٢).

(٢٢) قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرِّزَايَا عَسْكَرًا وَتَكْتَبْتُ فِيهَا الرِّجَالُ كَتَائِبَا

عَسْكَرَ، أي: جَمَعَ، يقول له: إن المصيبات قد أحدقت بهذه العجاجة، وأخذت بجوانبها: وذلك أن الممدوح يُضفي الهلاك على أعدائه بقتلهم، فكلُّ قتلٍ مصيبةٌ تتسارع إليهم من عسكره.

ويجوز أن يكون "عسكراً" كنايةً عن جيش الممدوح، والمعنى أن الرزايا قد استعانت بالممدوح وجيوشه؛ لتوصلها إلى مقاصدها، فهم أنصارها وعساكرها!

غير أنك تجعل الرزايا في الوجه الأول واصلهً جناح عجاجة، وكنايةً عن أشياعه، حتى إنها تجمع لنفسها عسكراً، كما أن [لـ] كلَّ قائدٍ من جيشه شيعَةً جنداً إذا صاحب الممدوح إلى النزال.

قوله: "وتكتبت فيها الرجال" أي: تجمعت، و"كتائباً" نصب على التفسير^(٣)، وجاز هذا وإن كانت الكتيبة بمعنى المجموعة؛ لأنه لو سكتَ على قوله: "وتكتبت فيها الرجال" / جاز أن يُظن أنها صارت جنداً واحداً، فلما قال: "كتائباً" أفاد وجرى مجرى أن يقول: وتكتبت أصنافاً وأنواعاً.

أ/43

(١) في الأصل (مابين) ولا يستقيم به السياق، فلعله تحريف لما أثبت من التبيان ١/١٢٧، والقاموس (فأس). وفأس القفا: العظم الناتئ فيه.

(٢) تذكر بقية الشروح والديوان بعد هذا البيت بيتاً آخر، هو:

فكأنما كُسي النهارُ بهادجى ليل، وأطلعت الرماحُ كواكباً

(٣) أي: التمييز.

(٢٣) أَسَدٌ فَرَأَسُهَا الْأُسُودُ يَقُودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأُسُودُ ثَعَالِبَا

"أَسَدٌ" خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هي أَسَدٌ، يعني بالضمير الكتابب المجتمعة في عجاجته.

يقول: إن الكمأة والأبطال ينقادون لهذا الممدوح؛ لأنه فوقهم في البأس والصولة، فكتائبه أَسُود تَفْرِسُ الْأُسُودَ، ومع ذلك فإنَّ هذا أَسَدٌ يَقُودُهَا!.

وقريب من قوله: "تصير له الأسود ثعالبا" ما قاله أيضاً^(١):

أَبَا الْغَطَارِفَةِ الْحَامِيْنَ جَارَهُمْ وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مَفْتَرَسٍ^(٢)

يعني أنه إذا شاهد غَنَاءَه ووصلته وسطوته^(٣)، صار كالكلب الذي [لم] يتعوّد الصيد؛ في الضعف والخضوع.

وليس بواضح أن يعني "بأسد" الرزايا المتقدم ذكرها؛ لقوله: "فرائسها الأسود"؛ لأجل أن المنية تلحق كلَّ أحدٍ!.

غير أنه لا يمتنع؛ من حيث إن الرزايا التي ذكرها حربيةٌ، وهو لا يصطاد غيراً لأبطال؛ إذ الضعفاء [لا] يتعرضون لغمار الحرب، ولا يردون حياضها^(٤)، فيكون جعل الرزايا تابعةً، كما ذكرنا قبل.

(١) الديوان ١٨، يمدح عبيد الله بن خراسان الطرابلسي.

(٢) (أبا) منصوب على النداء. والغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد. التبيان ١٨٩/٢.

(٣) الضمير في (غناءه، ووصلته، وسطوته) يعود إلى المفرد من الغطارفة، ولو جعله بصيغة الجمع لكان أوضح.

(٤) في الأصل (حياضاً).

(٢٤) فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا، فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الْحَاجِبَا

يقول: إنه فاز برتبة لم يرتق إليها أحد، فصار كأنه قد حجبهم عنها، وإن كان المانع في الحقيقة عجزهم، فسموه لهذا المعنى "علي الحاجب". وكان الوجه (عليًا الحاجبًا) بالتنوين غير أنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين، وذهب مذهب قولهم: حاتم الطائي، وخلف الأحمر، وذلك أن هذه الصفة قد لزمته - أعني الحاجب - كما لزم الطائي حاتمًا والأحمر خلفًا، والصفة كالجزم من الموصوف، فإذا بلغ من مرتبتها أن تلزم حُذِفَ التنوين من الموصوف؛ ليعلم بذلك شدة امتزاج أحدهما بالآخر، حتى لا يكون بينهما فصلٌ بالتنوين.

ولا يقولون: جاءني زيد العاقل بحذف التنوين؛ لأجل أن هذه الصفة لا تلزمه، فقد يقال: زيد الظريف، وزيدٌ، من غير العاقل، ولا يكاد يقال: حاتمٌ - في الغالب - ولا خلفٌ، اللهم إلا أن يكون في الكلام ما يدل على ذلك. فعليٌ قد عُرف بهذه الصفة - أعني الحاجب - كما عرف حاتم بالطائي. وإذا كان كذلك جاز حذف التنوين، لاسيما إذا كان في الشعر، وقد جاء فيما ليس بصفة، أنشد عن عيسى بن عمر^(١) قوله^(٢):

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَ رَأَى اللَّهَ إِلا قَلِيلًا

التقدير: ذاكرًا لله، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وشُبّه بحرف اللين؛ لما في النون من الغنة، فكما يقال: وما القوم؟ فتحذف الألف من اللفظ، كذلك يجوز حذف التنوين هنا، وهذا لا يكون إلا ضرورة؛ لأجل أن التنوين حرف صحيح قد يجيء لمعنى، فلا ينبغي أن يجري مجرى حروف اللين مع الاستغناء عنها^(٣). فهو نحو

(١) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، من نحاة البصرة، له بصر بعلل النحو وغريب اللغة، وهو شيخ الخليل وأبي عمرو. توفي سنة ١٤٩هـ. طبقات الزبيدي ٤٠، ونزهة الألباء ٢٨.

(٢) أي قول أبي الأسود الدؤلي، ديوانه ١٢٣.

(٣) في الأصل (عنه)، والذي يظهر أن الضمير عائد إلى (حروف اللين).

من الحذف، وأكثر ما يكون في الشعر، وأقل ما يكون في الكلام. فأما قراءة بعضهم^(١): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٢) فليس ذلك بالأكثر، وإنما هو محكي عن أبي عمرو، وفي بعض الروايات التي ما يكاد يأخذ بها أخذ^(٣). ونظيره ما حكى شيخنا -رحمه الله- عن أبي العباس من أن عمارة بن عقيل^(٤) قرأ: ﴿وَلَا إِلِلَ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٥)، فقال له: هلا قلت: سابق / النهار؟ فقال عمارة: لو قلته لكان أوزن يريد: أثقل^(٦). ونظيره عزيز، فاعرفه.

43/ب

(٢٥) وَدَعَوْهُ مِنْ قَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذَّرًا وَدَعَوْهُ مِنْ غَضَبِ النُّفُوسِ الْعَاصِبَا

(٢٦) هَذَا الَّذِي أَفْنَى النَّضَارَ مَوَاهِبًا وَعَدَاهُ قَتْلًا، وَالزَّمَانَ تَجَارِيَا

حَسَنَ التصريح هنا لأجل أنه مشبه للخروج من نمط إلى نمط، ألا تراه أعرض عن ذكر الجواب إلى غيره، وقال: "هذا الذي" كالمبتدئ؟

(١) أي: بحذف التثنيين من (أحد) تُروى عن عمر رضي الله عنه وجماعة، وهي إحدى الروايات عن أبي عمرو (مختصر الشواذ لابن خالويه ١٨٢، السبعة ٧٠١، والبحر المحيط ٥٢٩/٨).

(٢) سورة الإخلاص: ٢، ١.

(٣) أما الثابت عن أبي عمرو، فهما قراءتان:

إحداهما: (أحد. الله الصمد) يقف على أحد، ولا يصل، ثم يستأنف.

والثانية: (أحد. الله الصمد) يصل مع التثنيين، كقراءة الجمهور.

انظر: (السبعة ٧٠١).

(٤) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية اليربوعي التميمي، شاعر فصيح، أخذ عنه علماء البصرة، واتصل بالخلفاء العباسيين فمدحهم. توفي سنة ٢٣٩هـ.

طبقات الشعراء لابن المعتز ٣١٦، ومعجم الشعراء ٧١.

(٥) سورة يس: ٤٠.

(٦) الكامل ٣٢٨/١، ولفظه: (سمعت عمارة بن عقيل يقرأ: "ولا الليل سابق النهار"، فقلت: ما تريد؟ فقال: سابق النهار). ونقله أبو حيان عن المبرد، البحر ٣٢٣/٧.

على أنك لو لم تصرّع فنوّت "مواهباً" طاوعك الوزن. غير أن لقائل أن يقول: إن التصريع هذا حسنٌ جائزٌ، فلا يسوغ لك أن تصرف مواهباً؛ لأنك غير مضطر إليه، فالقياس يقتضي الإطلاق، فاعرفه.

والنصب في "مواهباً" و "قتلاً" و "تجارياً" على التمييز؛ لأجل أن الإفناء منهم يصح أن يكون بالعتاء، وغيره، وإذا حصل الإبهام افتقر للتوضيح، وتكون هذه المنصوبات مرفوعة في المعنى، فكأنه: هذا الذي أفنى النصار مواهبه، وعداه قتله، والزمان تجاربه.

فإن قلت: فما وجه إفنائه الزمان^(١)؟ فالجواب: أن الزمان من شأنه الانتضاء والزوال، غير أن الإنسان إذا ارتع طرف فكره في أحواله، وغمر بأنملة التأمل مفاصل أحداثه حصل له الرأي، والحصافة، والإحاطة بمقادير الخطوب والسياسة، وليس في مرور الأيام فائدة غير هذا، فإذا حصل للممدوح ما هو الفائدة والثمرة من الزمان صار كأنه يفنيه، ويبلّيه؛ إذ الشيء يفنى بأن يؤخذ منه ثمرته وحاصله، كالثوب الذي يخلق بالابتذال. وإن شئت قلت: إن الممدوح قد بلغ الغاية في كمال المعرفة والإحاطة بالآراء الصائبة؛ حتى لم يبق هنا شيء يتصور أنه يستفيد من الزمان في المستأنف^(٢)، وإذا كان كذلك صار كأنه قد باشر جميع أجزاء الزمان واستقراها عن آخرها، حتى كأنه أفناه كله، فلم يبق زمان أصلاً!

(٢٧) وَمُخَيَّبُ الْعَدَالِ مَمَّا^(٣) أَمَلُوا مِنْهُ، وَلَيْسَ يَرْدُ كَفًّا خَائِبًا

المعنى: أن العَدَال يطلبون منه الاقتصاد في البذل، فيخيّب ظنونهم، ويمنعهم مأمولهم، ولا يرد أحداً من عافيه خائباً.

(١) في الأصل (فما وجه إفنائه الزمان فالزمان).

(٢) أي: المستقبل. وفي الأصل (المنال)، وصححها بعضهم في الحاشية.

(٣) رواية الفسّر ٤٣٥/١: (فيما)، وكذا في معجز أحمد ٣٥/٢، والتبيان ١٢٩/١، والنظام ٣٨٤/١، وهي رواية الديوان ١٠١.

و"خائباً" يجوز أن يكون صفةً للمضاف المحذوف، فكأنه قال: ذا كفٍ خائباً. ويجوز أن يكون صفة الكف على الظاهر، وجاز تذكره؛ إذ كان تأنيث الكف غير حقيقي، وكان بمنزلة العضو^(١)، كقوله^(٢):

أرى رجلاً منهم أسيِّفاً^(٣) كأنما يضمُّ إلى كشَّيِّه كفاً مخضَّباً

وقد تقدم نظائره^(٤).

وقد جُوِّز في أبيات أبي عثمان^(٥):

ولاعبَ بالعَشِيِّ بني بنيهِ كفعل الهَرِّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا^(٦)

أن تكون الألف بدلاً من الهاء في عَظَايَةٍ؛ لأنه إذا وقف عليها أشبهت الألف بما يلحقها من الخفاء. غير [أن] الحمل على المعنى - نحو قوله: "كفا مخضَّباً" - أكثر، فالحمل عليه أولى من الحمل على هذا، فلا يجب أن يقال: إنه أراد كفاً خائبةً، ثم أبدل الهاء ألفاً.

(١) قال ابن جني: (والكف أنثى، ولكنه ذكر ضرورة، وأراد العضو... وقوي التذكير من هنا أيضاً؛ لأن الخائب في الحقيقة صاحب الكف، لا الكف). الفسر ٤٣٥/١.

(٢) هو الأعشى، الصبح المنير ٨٩. وروايته (منكم) بدل (منهم)، والأخيرة هذه في الكامل ٣٧/١، والفسر ٤٣٥/١، ومجالس ثعلب ٣٨/١.

(٣) الأسيف: الحزين.

(٤) انظر صفحة: ٧٩-٨١.

(٥) أي: المازني، أورده مع بيت آخر في تصريفه، انظر: شرحه (المنصف ١٥٥/٢)، ولم ينسبها لأحد. ونسب ابن سلام هذه الأبيات للمستوغر بن ربيعة التميمي. (طبقات فحول الشعراء ٣٤/١).

ونسب ابن بري هذه الأبيات لأعصر بن سعد بن قيس عيلان. اللسان (حما).

(٦) يحترش: يثير ويحرك، والعظايا: جمع عطاءة أو عظاية: دويبة صغيرة غبراء في طول الإصبع. المخصص ١١٧/١٥.

(٢٨) هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْهُ غَائِبًا
(٢٩) كَالْبَذْرِ مَنْ حَيْثُ التَّقَتِ رَأَيْتَهُ يَهْدِي إِلَيَّ عَيْنِيكَ نُورًا ثَاقِبًا

/شبهه بالبدر لأجل أنه لا يتغير باختلاف أمكنة التأمل، فحال رائيه ببغداد كحال رائيه بجرجان، وكذلك هذا الممدوح كأنه بحكم ما ينشر من مآثره يرى في كل مكان. وهذا يفسر البيت الأول؛ لأنه أراد أنه كانت تُرى وتُشاهد معاليه وفضائله في حال غيبته كما تراه الآن في حال حضوره.

(٣٠) كَالْبَحْرِ يَفْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا، وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
يعني أنه يعم الناس قاطبةً بخيره، كما أن البحر كذلك. وقوله: "ويبعث للبعيد سحابًا" من قول أبي ذؤيب: "شرين بماء البحر... البيت"^(١).

وقريب من ذا قول البحري^(٢):

إِنَّ الْعَرَبَ انْقَادَتْ إِلَيْكَ قُلُوبُهَا فَقَدْ جِئْتَ إِحْسَانًا إِلَى كُلِّ مُغْرِبٍ
وَلَمْ تَتَعَمَّدْ حَاضِرًا دُونَ غَائِبٍ وَلَمْ تَتَجَانَفْ مِنْ بَعِيدٍ لِأَقْرَبٍ

(٣١) كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضُوءُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا
المقصود العموم كما مضى. و"مشارقًا ومغارِبًا" نُصِبَ على التمييز، كما تقول: سرت البلاد شرقًا وغربًا. وإن شئت كان بدلًا.

(١) مضى، في صفحة: ١٦٣.

(٢) ديوانه ١٩٤/١، يمدح الفتح بن خاقان.

(٣٢) أَمَهَجَّنَ الْكُرَمَاءَ وَالْمُزْرِي بِهِمْ وَتَرُوكَ كُلَّ كَرِيمٍ قَوْمَ عَاتِبَا

يقول: إنك تضع من الكرام بما تتعاطاه من المراتب العلية والمناقب السنية، وتمحو آثار محاسنهم ومفاخرهم. وقريب من هذا قول أبي تمام^(١):

كَمْ مِنْ وَسَاعِ الْجُودِ عِنْدِي وَالنَّدَى^(٢) لَمَّا جَرَى وَجَرِيَتْ كَانَ قُطُوفَا^(٣)

وقوله: "وتروك كل كريم قوم عاتباً" المعنى فيه: أنه من قصوره عن فواضلك يعتب عليك ويلومك قائلاً: إنك قد أتعبت طلاب المجد، والمُقْتَرِينَ إلى عُرْفِهِ^(٤)! كما قال البحري^(٥):

يَا أَبَا جَعْفَرٍ لَقَدْ رَاحَ إِفْضَا لُكَ خَطْبًا عَلَى الْكَرَامِ جَلِيلَا

(٣٣) شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ، وَشَدَّتْ مَنَاقِبَا وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِيَا

يقول: إن مفاخرَك لما ظهرت وقويس بها، [صارت] مناقبهم بمنزلة المخازي والمناقص؛ لما بينهما من التفاوت العظيم.

(٣٤) لَبَّيْكَ غَيْظًا^(٦) الْحَاسِدِينَ الرَّاتِبَا إِنَّا لَنَخْبِرُ مِنْ يَدَيْكَ^(٧) عَجَائِبَا

صرَّحَ لانتقاله من نوع إلى نوع؛ لأن ما سلف مدح، وهذا إجابة.

(١) ديوانه ٣٨٣/٢، يمدح أبا سعيد الثغري.

(٢) في الديوان (في الندى).

(٣) القطوف: ضد الوساع، أي: المتقارب الخطى.

(٤) في العبارة شيء من الاضطراب، كأنه يريد (وأغْنَيْتِ الْمُقْتَرِينَ عَنْ عُرْفِهِ) والمُقْتَرُونَ: جمع مقتر، وهو الجائع المحتاج، والعرف: المعروف.

(٥) سبق ذكره في صفحة: ١٢٠.

(٦) في الأصل (غيض)، وصححت في الحاشية.

(٧) ويروى (نداك) حاشية الديوان ١٠٢.

ومعنى "لبيك" إجابةً بعد إجابة، وليس يراد بالثنية -هنا- غير الكثرة والعموم، كقول الفرزدق^(١):

فلو كنتَ مولى الظُّلم^(٢) أو في ظلاله ظلمتَ ولكنْ لا يَدِي لَكَ بِالظُّلَمِ

فكانه: ليس لك قدرة وقوة على ذلك بوجه، وليس يريد نفي قوة يدين فقط، وإنما قصد أن ينفي سائر القوى. والغرض في ذكر اليد القوة.

وحكى شيخنا -رحمه الله- أن عمر بن لجأ^(٣) استرقد الفرزدق بيتين؛ وهما^(٤):

لقد كذبت، وشراً القول أكذبُه، ما دافعتُ^(٥) بك عن أحسابها مُضِرُّ
ألستَ نَزوةَ خَوَارٍ على أَمَةٍ لا يسبقُ الحَلَباتِ اللُّؤْمُ والخَوَرُ^(٦)

فأدخلهما في قصيدة هجائه جريراً، فلما أنشدها إياه، وانتهى إلى هذا الموضع قال له جريز: ما هذا بشعرِكَ، يا ابنَ العيب! هذا شعراً لأكه حنظلي! فبلغ الفرزدق هذا الحديث، وسُرَّبه، فقال يهجو عمر بن لجأ^(٧):

(١) ديوانه: ٨٢٥.

(٢) رواية الديوان (مولى العز) -وسيعيد الشارح هذا البيت قريباً بها- ورواية (مولى الظلم) في طبقات ابن سلام ٤٣٣/١.

(٣) عمر بن لجأ التيمي، راجز شاعر، له نقائض كثيرة مع جريز. توفي نحو ١٠٥ هـ.

طبقات ابن سلام ٤٢٤/١، ٥٨٣/٢، والشعر والشعراء ٦٨٤/٢.

(٤) شعر عمر بن لجأ التيمي ٩٥ (تحقيق: الجبوري)، من قصيدة طويلة يهجو بها جريراً. وحادثة الاسترقاد هذه ذكرها صاحب الأغاني ٣٢٥/٢١ بنحو مما هنا.

(٥) رواية شعره المجموع (ما خاطرت).

(٦) رواية شعره المجموع (بل أنت نزوة... لن يسبق...)، وأشار محققه للرواية الأخرى.

والخوار: الضعيف الذليل. والحلبات: جمع حلبية: وهي خيل السباق والرهان.

(٧) ديوان الفرزدق ٨٢٥، ومرة الثاني منهما قريباً.

وما أنت -إن قرماً تميم تسامياً^(١) أخوا التَّيم إلا كالوشِيطة^(٢) في العَظْم
فلو كنتَ مولى العِزِّ أو في ظلاله ظلمت، ولكن لا يدَي لك بالظلم

44/ب

/قال: فتساقط الخبر إلى جرير، وفرح به، وقال: ما أنصفني الفرزدق في شعر غير هذا. وموضع الإنصاف أنه سوى بينه وبين نفسه: فقال: (قرماً تميم).

ونصب "غيظ الحاسدين" على النداء. والراتب: الدائم، والمدح فيه أنه يكون غيظاً أبداً؛ إذ لا يقلع عن المحاسن وفعل ما يغضبهم ويغيبهم.

(٣٥) تَدْبِيرُذِي حُنْكَ يَفْكَرُ فِي غَدٍ وَهَجُومٌ غَرًّا لَا يَخَافُ عَوَاقِبََا

الخبر محذوف، كأنه قال: [لك] تدبيرُذِي حُنْكَ. يقول: إنك محنك عارفٌ بمقادير الخطوب، غير أن إقدامك على الحروب والملمات إقدامٌ غرّاً لا يفكر في العواقب! كما قال^(٣):

أَكْرُعُ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا

وحكي^(٤) أن عبد الملك بن مروان سأل يوماً عن أشجع العرب شعراً؟ ف قيل: عمرو بن معد يكرب، فقال: كيف، وهو الذي يقول^(٥):

فَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ

(١) القرم: هو السيد المعظم، وأصله الفحل الذي يكرم ولا يحمل عليه ولا يذل، بل يترك للفحولة.

الصاح (قرم). وتسامياً: من المسامة وهي المباراة في السمو.

(٢) الوشيطة: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم. الصاح (وشط).

(٣) هو العباس بن مرداس، وقد مضى في صفحة: ٢٤٦.

(٤) أشار ابن عبد البر إلى هذا إشارة سريعة؛ إذ يقول: "وروي أن عبد الملك بن مروان قال يوماً، وقد ذكروا الشعراء في الشجاعة، فقال: أشجع الناس في الشعر عباس بن مرداس، حيث يقول: أقاتل في الكتيبة لأبالي..." الاستيعاب ٨١٨/٢.

وذكر هذه الحكاية - بنحو مما هنا - الأصبهاني في محاضرات الأدباء ٧٨/٢، إلا أنه لم يذكر عنتره في الشجعان.

(٥) شعر عمرو بن معد يكرب: ٧١. (الطرايشي).

فقليل: فعمر بن الإطنابة! فقال: كيف، وهو الذي يقول^(١):

وقولي كلما جَسَّأتُ^(٢) وجاشت مكانك تُحمدي أو تستريحي

فقليل، فعامر بن الطفيل! قال: كيف، وهو الذي يقول^(٣):

أقول لنفس لا يُجاد بمثلها أقلي مراحا إنني غير مُدبر^(٤)

قيل: فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين؟! قال: أربعة: عباس بن مرداس، وقيس بن الخطيم، وعنترة بن شداد، ورجل من مزينة، فأما عباس فقلوله: (أكر على الكتيبة ...)، وأما قيس بن الخطيم، فقلوله^(٥):

وإني لدى الحرب العوان^(٦) مُوَكَّلٌ بتقديم نفس لا أريدُ بقاءها!

وأما عنترة بن شداد، فقلوله^(٧):

إذ يتَّقون بي الأسنة، لم أخم عنها، ولكني تضايق مُقَدَمي^(٨)!

(١) شعره: ٩٤، مجلة المورد، م/١٤، ع/٢.

(٢) ارتفعت وثارَت.

(٣) ديوانه ٩٢.

(٤) رواية الديوان: (أقلي المراح إنني غير مقصر).

والمراح: هو الخفّة والبطر والتبختر.

(٥) ديوانه ٤٩، وروايته:

وإني في الحرب الضروس موكل بإقدام نفس ما أريد بقاءها

ثم ذكر محققه روايات أخرى تشمل ما أورده الشارح هنا.

(٦) العوان: هي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة. الصحاح (عون).

(٧) من معلقته المشهورة، ديوانه: ٢١٥.

(٨) لم أخم: لم أنكل، ولم أضعف.

وأما المزي (١) فلقوله:

دعوت بني قحافة فاستجابوا^(٢) فقلت: ردوا، فقد طاب الورود!

وإنما ذاك لأجل أن أولئك القوم عرّض لهم فتور، ثم كشفوه، وتكلفوا الإقدام والانغماس، وهؤلاء خاضوا الحرب طبعاً، ولم يدّر بنواحيهم الفترة بوجه.

والحنكة: التجربة، ويقال: حنكته التجارب واحتنكته، والمعنى في ذلك: إنها جعلت في حنكه حبل التذليل والتهذيب.

والجناك: الحبل الذي يُحنك به البيطار^(٣) الدابة. وكذا قوله عز وجل: ﴿لَا تَحْنَكَنَّ دُرَيْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) قالوا في تأويله: لأستأصلن^(٥). فكانه يجعل فيهم مثل الجناك يقتلعهم. ويقولون احتنكت السنة أموالنا، إذا استأصلتها، وأنشد أبو أسحاق^(٦):

نشكو إليك سنة قد أجحفت

جهداً على جهد بها وضعفت^(٧)

واحتنكت أموالنا وجلف^(٨)

(١) في الأصل (المزني) وكذا في محاضرات الأدباء. ولم أقف على اسمه.

ونُسب هذا البيت - مع أبيات آخر - لأنس بن مدرك الخثعمي في (فرحة الأديب ٩٢). وعنه الخزائن ٨٨/٣.

(٢) في الأصل (دعوت به مخافة ما استجابوا) تحريف وتصحيف، والتصويب من المصادر السابقة.

(٣) البيطار: معالج الدواب. القاموس (بطر).

(٤) الإسراء: ٦٢.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ١٢٧/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٩/٣، وتفسير الطبري ٧٥/١٥ (طبعة الحلبي) ونقل في اللسان (حنك) عن الأخفش، ولم أجده في كتابه: معاني القرآن.

(٦) أبو إسحاق الزجاج، أنشد هذا الرجز في كتابه معاني القرآن ٢٤٩/٣. وأنشده قبله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٨٤/١. وانظر: تفسير الطبري ٧٥/١٥. ولم ينسبوه لأحد.

(٧) في المصادر السابقة (بنا وأضعفت).

(٨) (جلفت)، أي: ذهبت بالمال وأضررت به، من الجلف وهو القشر والإزالة. اللسان (جلف).

ويليق بهذا قولهم: عَجَمْتُهُ^(١) الخطوبُ، كأنها أخذته بأسنانها وعَضَّتْه، وكذا أُنْجَذَتْه أي أخذته بنواجذها، ونحوذا كثيرٌ.

ويقرب من ذا البيت^(٢)، قولُ أبي تمام^(٣):

لهم جهلُ السَّبَاعِ إذا المنايا تمَشَّتْ في القَنَا، وحُلُومُ عادٍ^(٤)

أي: في غير الخطوب.

(٣٦) وَعَطاءُ مالٍ لَوُعَاذِهِ طَالِبٌ أَنْفَقَتْهُ فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِباً

يقول: [لو] أن الناس انقطعوا عن استماحتها، ولم يستسقوا غمامَ نواله، فَرَقَّ ماله في تحصيل مَنْ / يأخذ ماله، ويطلب أفضاله.

أ/45

وهذا من الوصف بحبّ البذل، وطِلاب السَّماح. وقد تقدّم نظائره.

وقال أبو تمام^(٥):

إذا ما أتاه سائلاً فكأنما أتاه بتخلييل من الله سائله^(٦).

(١) عجمه: إذا عَضَّه أو لأكه ليعرف طعمه. القاموس (عجم).

(٢) أي بيت المتنبي السابق.

(٣) ديوانه ٣٧٤/١، يمدح أحمد بن أبي دواد الأيادي، وقبيلته.

(٤) قال التبريزي: (جرت عادة العرب أن يصفوا عادًا بالحلم). (الموضع السابق).

(٥) لم أجده في ديوانه.

(٦) كأنه نصب (سائلاً) على الحال، ولورفعه على الفاعلية لكان أولى.

وقوله (بتخلييل) غير واضح، ولعله تحريف عن (تحويل).

(٣٧) خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ^(١) لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَ
قصر الممدود لأجل الشعر، كقول الآخر^(٢):

يسرُّ الفتى طولُ السلامة والبقا وكيف يرى طولَ السلامة يفعل!

ومعنى البيت: أنك لو طلبت الشكر على ما توليه من المبارك لفتني ما لا أطيع،
فأرض بالمقدار الذي يبلغه جهدي ويتسع له ذرعي.

و"أسطيعه" بمعنى أستطيعه، وحذف التاء^(٣)، قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَهُ
سَطَعَ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٤). وقال [لوا] أسطاعَ يُسطيعُ، حكاه صاحب الكتاب^(٥). وهو مثل: أطاق
يطيع، والسين جاء لمعنى^(٦)، كالهاء في أهراق، وليس هذا موضع الكلام في ذلك.

ويقال: استاعَ يستيعُ بمعنى استطاعَ يستطيعُ، فبدل من الطاء التاء^(٧)، قال^(٨):

وفيك إذا لاقيتنا عَجْرَفِيَّةٌ مَرَارًا، وما نستيع من يتعجرف

والدليل على صحة أهراق^(٩) قوله^(١٠):

(١) في الأصل (اسطعته) وصوبت في الحاشية.

(٢) هو النمر بن تولب، انظر: شعره المجموع ضمن كتاب (شعراء إسلاميون) ٣٦٩، وذكر جامع الكتاب
ومحققه عدة روايات في هذا البيت، من ضمنها ما ذكره الشارح.

(٣) هذا الحذف لكثرة الاستعمال، ولطلب الخفة. الكتاب ٤/٤٨٣، والفسر ١/٢٩٤.

(٤) سورة الكهف: ٨٢.

(٥) انظر: الكتاب ٤/٢٨٥، ٤٨٣.

(٦) هو أن السين في أسطاع - وكذلك الهاء في أهراق - جاءت عوضاً من سكون العين في (أفعل) الكتاب
٤/٤٨٣، واللسان (روق).

(٧) انظر: الإبدال لابن السكيت ١٢٩، والخصائص ١/٢٦٠.

(٨) هو جران العود، ديوانه: ١٧ (دار الكتب).

(٩) أراد أن يدل على صحة هذه اللغة لأن من العلماء من يستبعدونها، انظر: التهذيب ٥/٣٩٦.

(١٠) العدلي بن الفرخ العجلي، انظر شعره ضمن كتاب: شعراء أمويون ١/٢٩٦.

فكنت كمُهْرِيقِ الذي في سِقَائِهِ لِرُقْرِاقِ آلِ فَوْقَ رَايِيَةِ صُلْدٍ

ولو كان من هراق لوجب أن يقال: كمُهْرِيقِ، بتحريك الهاء^(١)، كقوله^(٢):

وإن شِفايَ عِبْرَةُ مُهْرَاقَةٍ

واستعمال أهراق واسعٌ في أشعارهم.

(٣٨) فَلَقَدْ ذُهِشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَذُونَهُ مَا يُدْهِشُ الْمَلِكَ الْحَفِيظَ الْكَاتِبَ^(٣)

يقول: إن أفعالك عجيبةٌ تحيرُ الأبصار والبصائر، فلا غرو أن أعجز عن وصفها وحصرها.

(١) قال في اللسان (روق): "ورجل مهريق وماء مهراق، على هرقت. ورجل مهريق وماء مهراق على أهرقت".

(٢) امرؤ القيس، من معلقته، ديوانه ٩، وتمامه:

وهل عند رسم دارس من معول

وروايته (عبرة إن سفتحها)، وأشار محققه إلى الرواية التي ذكر الشارح، ٣٦٨.

(٣) هذا المعنى من غلو المتنبي!

(١٢)

وقال يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي الطبرستاني، وهو على الشراب، وقد وضع النرجس في المجلس^(١):

(١) إِنَّمَا بَدْرُ بَنِ عَمَارٍ سَحَابٌ هَاطِلٌ، فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ

الهطل والهاتل: الفائض بتتابع.

وهذا نمط من قوله: "فكأنه السراء والضراء"^(٢).

(٢) إِنَّمَا بَدْرُ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطَعَانُ وَضَرَابُ

جعله من هذه الأشياء. وقريب منه قول البحري^(٣):

كَأَنَّكَ السَّيْفُ: حَدَاهُ وَرَوْنَقُهُ وَالْغَيْثُ: وَابِلُهُ الدَّانِي وَرَيْقُهُ^(٤)

فالسيف للأعداء، والغيث للأولياء.

(٣) مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ^(٥) إِلَّا حَمْدَتُهُ جُهِدَهَا الْأَيْدِي، وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ

الأيدي تحمد في كل لحظة مجتهداً؛ لأنه يمكنها من العطاء، وتذم الرقاب؛ لأنه يسلط عليها السيوف. والغرض أنه لا يعرى من الجود والبأس ساعة.

(١) هذه المقدمة كلها، مكتوبة باللون الأحمر.

(٢) انظر - ما سبق - صفحة: ١٣٥.

(٣) ديوانه ١٥٣٥/٣، يمدح أبا مسلم الكجي.

(٤) رونق السيف: ماؤه وحسنه وصفاءه.

وريق الغيث: أوله وأفضله. اللسان (رنق) و(ريق).

(٥) ويروى (الطرف) بكسر الطاء، وهو الفرس الكريم. معجز أحمد ١٥٧/٢.

(٤) مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزْجُو الذَّنَابُ!

إنه يستغني عن قتل الأعداء؛ لأجل أنهم لا يتجاسرون على منازعته، وليس يفتقر إلى أموالهم، ولكنه من تجنّبه لتخيب ظنون راجيه، وكراهية صرف آماله باديته^(١)؛ يراعي حظّ الذناب وأملها، فيقتلهم لتصلّ هي إلى المأمول منه.

(٥) فَلَهُ هَيْبَةٌ مَنْ لَا يَتَرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرَجَّى لَا يَهَابُ

45/ب

يقول: إن هيبتة في قلوب الناس. بحيث لا يجسر أحد أن يكلمه، إلا أنه يعمّ بجوده، ويوصله إلى كلّ أحد، فهو كمن لا يهاب إذ يصل الجميع إلى ما يلتمسون منه.

(٦) طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَحْدَاقِ شَزْرًا وَعَجَاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نَقَابُ

وصفه بحسن الاهتداء إلى الطعن حتى إنه يصيبُ الحَدَقَ في الظلمة، وعند انتقاب الشمس بالعجاج والغبار.

وأما "شَزْرًا" فإن جعلته من الطعن فهو كأن التقدير: طاعنُ الفرسان طعنًا شَزْرًا؛ لأن الإضافة منفصلة، والتقدير: طاعنُ الفرسان، فهو^(٢) يعمل عملَ يطعن.

يقال: طعن [شَزْرًا، أي]: يمينًا وشمالًا^(٣).

وإن جعلته للأحداق من قولهم: شَزَرَهُ يشزّره شَزْرًا إذا نظر إليه بمؤخّر عينه كان حالًا من الأحداق، بمعنى شازرة. والمعنى: أنه حاذق فيطعن في الحداق وهي غير مقابلة له.

(١) في الأصل (ولكنه من تحنّنه لحسب ظنون راجوه... الأمال باديته) لعله تحريف لما أثبت.

(٢) أي: اسم الفاعل (طاعن).

(٣) انظر: كتاب السلاح ٣٣.

(٧) بَاعْتُ النَّفْسَ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْتَ س^(١) لِنَفْسٍ وَقَعْتُ فِيهِ إِيَابُ

يقول: إنه يحث نفسه على التوغل في الأمور التي لا يرى الواقع فيها وجه النجاة والتخلص. وصفه بالإقدام والجرأة.

(٨) بِأَيِّ رِيحِكَ، لَا نَرْجِسُكَ ذَا وَأَحَادِيثُكَ، لَا هَذَا الشَّرَابُ

كان بين أيديهم نرجس وشراب، فقصد أن يفضّل ريحَه على النرجس في الطيب، وأحاديثَه على الشراب في إحياء السرور وإثارة الطرب.

(٩) لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ أَنْ بَرَزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعَرَابُ^(٢)

"أن برزت" اسمٌ ليس، و"بالمُنْكَرِ" خبره. وكان الوجه أن يقول: غير مدفوعةٍ عن السبق؛ لأجل أن التقدير: العرب غير مدفوعة، فهي وإن تأخرت في اللفظ فإنها مقدمة في المعنى؛ لكونها مبتدأة، وهي كقولك: غير حاجةٍ أفراسك. غير أنه ذكره اضطراراً؛ إذ كان المعنى: العرب شيءٌ غير مدفوع عن السبق، أو جمعٌ غير مدفوع، كما قال الأعشى (وهو من أبيات الكتاب)^(٣):

فإِذَا تَرَيْنِي وَلِي لَمَّةً فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا^(٤)

فذكر؛ لأن الحوادث والجذثان واحدٌ في المعنى.

(١) في الفسر ٤٥٣/١ (ما لنفوس)، وكذا عند الواحدي ٢٢٤، ومعجز أحمد ١٥٩/٢، والديوان ١٣٢.

(٢) العرب من الخيل والإبل: العربية الخالصة.

(٣) الكتاب ٤٦/٢، والصبح المنير: ١٢٠.

ورواية الشطر الأول في الكتاب: فإذا تري لمتي بدلت.

وروايته في الصبح المنير: فإن تعهديني ولي لمة. وفيه (ألوى بها) بدل (أودى بها).

ورواية الشارح موافقة لما في أمالي ابن الشجري ٣٤٦/١، والخزانة ٤٣٠/١١.

(٤) اللمة: الشعر الذي يلم بالمنكب. أودى بها: ذهب بها، والمراد: ذهب بمعظمها. (الخزانة ٤٣٢/١١).

ويجوز أن تكون "العرب" مرفوعةً "بمدفوع" على مذاهب أبي الحسن^(١)، ولا تكون النية بها التقديم على الابتداء؛ لأنه يجوز أن تقول: قائمٌ أخواك، كما تقول: يقومُ أخواك، فيعمل اسمُ الفاعل من غير أن يعتمدَ على شيء، فيكون قوله: "غير مدفوع" بمنزلة قولك: لا يدفع عن السبق العرب. والفعل إذا تقدّم في نحو هذا لم يجب إلحاقه علامة التانيث، ألا ترى أنك تقول: خرجَ الجمالُ، وخرجتُ جميعاً؟! "فغير مدفوع" مبتدأ، و"العرب" مرتفع به، كما يرتفع بالفعل^(٢) إذا قلت: لا يدفع ... ولا يكون له خبر؛ لأجل أن معنى الكلام: لا يدفع العرب، والفاعل قد قام مقام الخبر. ولا يجوز ذا عند صاحب الكتاب؛ لأنه لا يجوز: قائمٌ أخواك، وإنما يجوز عنده بعد أن يعتمد على شيء^(٣)، نحو قولك: قائمٌ أخواك؟ فيعتمد على الهمزة، ولو قال: إنك غير مدفوع عن السبق عربك، / جاز عنده؛ لأنه يعتمد اسمُ المفعول على اسم إن؛ هو الكاف في إنك، فاعرفه.

46/أ

(١) الأخفش الأوسط. ومذهبه: أنه يجوز أن يرفع الوصف فاعلاً أو نائب فاعل مكتفى به، وإن لم يعتمد هذا الوصف على نفي أو استفهام. وهو مذهب الكوفيين أيضاً. انظر: أوضح المسالك ١٣٥/١، وشرح الأشموني ١٩٢/١.

(٢) في الأصل (بالفاعل) تحريف.

(٣) نفي أو استفهام.

(١٣)

وقال فيه وهو يلعب بالشطرنج، وقد كثرا المطر^(١):

(١) أَلَمْ تَرَأَيْهَا الْمَلِكُ الْمُرْجَى عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ!

(٢) تَشْكَى الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ

"تشكى" على حذف التاء، نحو: تساءلون، ألا ترى إلى قوله: "ترشف" ولم يقل: رَشَفْتُ؟

(٣) وَأَوْهَمُ أَنَّ فِي الشَّطْرَنْجِ هَمِّي وَفِيكَ تَأْمُلِي، وَلَكَ انْتِصَابِي^(٢)

هذه القطعة متهمة، ولا توجد في جميع النسخ^(٣). وذكر أبو الفتح أنه لا يلائم كلامه^(٤). وليس هو بأعجب من قوله: (أنا عاتب لتعتبك)^(٥).

(١) كُتِبَت هذه المقدمة كلها باللون الأحمر، ويخط مخالف.

(٢) تزيد بقية الشروح والديوان بيتاً، وهو:

سأمضي والسلام عليك مني مغيبني ليلتي، وغداً أيابني

(٣) هذه القطعة موجودة في جميع الشروح التي بين يدي، فلعله يقصد نسخ الديوان المجرد التي كانت لديه. وذكر محقق ديوان المتنبي أن إحدى النسخ لم تثبت هذه القطعة.

(٤) عبارة ابن جني: (أنا أتهم هذه القطعة، ولم أقرأها عليه، وكلامه عندي أجود منها). الفسر ٣٠٢/١.

(٥) يشير إلى أبيات قالها أبو الطيب في صباه، مجيباً لإنسان، قال له: سلمت عليك فلم ترد علي

السلام. وهي: أنا عاتب لتعتبك متعجب لب لتعجبك

إذ كنت حين لقيتني متوجعاً لتغيبك

فشغلت عن رد السلام م فكان شغلي عنك بك!

انظر: شرح الواحدي ٦٠، والديوان ٣٥.

(١٤)

وقال يمدح علي بن محمد بن محمود بن سيار بن مكرم التميمي^(١)، وكان للمذكور وكيل يتعرّض للشعر^(٢):

(١) ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقُ ضُرُوبِا فَأَعَذَّرُهُمْ أَشْفُهُمْ حَبِيْبَا

أي: فنون الناس يحبون فنوناً من الناس، فأحقهم بأن يُعذّر في حبٍّ مَنْ كان محبوبه أكثر محاسنٍ وأثمر فضائل.

و"أعذرهم" جاء على عُذْرٍ، مثل شهر من كذا، ومُقيت فهو أمقت من فلان، وعُرف فهو أعرف من فلان، وجُنَّ فهو أجنُّ من فلان^(٣)، وقال الفرزدق^(٤):

وما قام منا قائمٌ في نديتنا فينطقُ إلا بالتي هي أعرفُ

وقد حكى صاحب الكتاب طرفاً من ذا النوع^(٥).

"وأشفهم" بمعنى أفضلهم، من الشَّفِّ وهو الفضلُ، ويقال: أشففت فلاناً على فلان، أي فضّلته^(٦). والشَّفُّ النقصانُ، فهو مثل الجَلَلِ للصغير والكبير^(٧).

(٢) وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا

يقول: إنَّ خليلي الذي أسكن إليه هو قتلُ العداة، فهل من زورةٍ أشتفي بها كما يشتفي المحبُّ بزيارة حبيبه؟! وتلك الزيارة هي المحاربة والمكافحة؛ لأنَّ المحبوبَ الذي

(١) لم يذكر شراح الديوان (محموداً) في سلسلة نسب الممدوح، إلا أن إحدى نسخ الديوان أثبتته: ١٧٩.

(٢) وهذه المقدمة مكتوبة باللون الأحمر، وبخط مختلف عن خط الناسخ.

(٣) انظر - ما سبق - صفحة: ٢٧٣.

(٤) ديوانه: ٥٦١.

(٥) انظر: الكتاب ٩٨/٤، ٩٩.

(٦) في الأصل (أشففت فلان على أن فلان أي فضله) تحريف.

(٧) انظر: الأضداد لابن الأنباري: ٨٩، ١٦٦.

هو القتل يُرى فيها! والمتنبى أعذرُ الناس؛ لأجل أنه يحبُّ ما يُورث الشرف، أو يثمر العلوَّ والظفر!

(٣) تَطَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَ

الضمير في "منها" يعود إلى الزورة. يقول: هل من كفاحٍ يكثر عنه قتل الأعداء، فتحتشدُ الطيور على القتلى، وتتغنى فوقها طرباً؟!

و"الصراصير" جمع صرصرة، مصدر صَرَصَرَ يَصْرَصِرُ، وهي للبازي والصقر، وقد تُستعمل للعصافير. والنعيب للغراب.

وقال: "في حديث" لأجل أن أصواتها بينها بمنزلة الحديث بين الناس.

وقال آخر^(١):

وأصَبَحْتُ^(٢)، والطيرُ لم تَكَلِّمْ

فاستعار لها التكلّم على معنى التصويت.

(٤) وَقَدْ لَبَسَتْ دِمَاءَهُمْ^(٣) عَلَيْهِمْ حَدَادًا لَمْ تَشَقَّ لَهَا جُيُوبًا

/ يقول: تصوّت فوقهم وهي منغمسة في الدماء التي عليهم، حتى كأنّ الدّم لاسوداده عليها لباسٌ حدادٍ. ثم قال: إنه حدادٌ فرحتُ به، ولم تحزن فتشقّ الجيوب.

ونصب "حدادًا" على الحال^(٤).

(١) بلا نسبة في الخصائص ٢٣/١، والصاحح واللسان (نعم).

وبعده: جايبة طُمّت بسيلٍ مفعم.

يقول: إنها بلغت هذا الحوض الذي أفعمه السيل مع الصباح، قبل يقظة الطيور.

(٢) رواية المصادر السابقة: (فصّحت).

(٣) ويروى (دماؤهم) الواحد ٢٩١، ومعجز أحمد ٣٣٦/٢، والتبيان ١٣٧/١.

(٤) في النظام ق/٣٩٠: "قوله: (حدادًا) انتصابه على التمييز، ويحتمل أن يكون حالاً، والأول أظهر، هذا

على رفع دماؤهم. وأما على نصبها، فيكون مفعولاً به).

"وعليهم" يجب أن يكون حالاً من الطير، فكأنه قال: وقد لبست الدماء واقعةً عليهم. ويجوز أن يكون (على) متعلقاً "لبست" تعلقَ زيد بضربت في قولهم: ضربتُ زيداً؛ لأنك تقول: لبست على السرير، فيجري مجرى قولك: لبست الثوب في الدار، في أن الجار يجوز أن يتعلق بنفس الفعل، ويوضحه قولهم: أكانَ على الطريق؟^(١).

وأما قوله: "لم تشقّ لها جيوباً" فإن الضمير في "لها" إن عاد إلى الطير [كان] حالاً، نحو قولك: قد لبست الطير دماءهم واقعةً عليهم غير شاقة لها جيوباً، كقولك: لبست من دمائهم جدّاً غير شاقة جيوباً لها. وإن عاد إلى الحداد -على المعنى، من حيثُ إنّه الدماء، كقولهم: إني امرؤُ أفعلُ، كما قال^(٢):

.... أَوْ كُنْتُ امْرَأً لَا أُطِيعُهَا

وقوله: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٣) - كان صفةً له. والأوّل هو المأخوذُ به.

(١) كان - هنا - تامة، والمعنى: أحصل هذا الأمر على الطريق، مثلاً.

(٢) ينسب للصمة القشيري، ديوانه ١١٣، أولقيس بن الملوّح (المجنون)، ديوانه: ١٩٥. أو لعبد الله بن المدينة، ديوانه: ٢٠٧. أو لإبراهيم بن العباس الصولي، زيادات ديوانه ضمن (الطرائف الأدبية ١٨٥).

(٣) الأنعام: ١٦٠ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. وذكر (عشر) وإن كان المعدود (أمثال) مذكراً، لأن المعنى: فله عشر حسنات أمثالها. انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٠٩/٢، والبحر المحيط ٢٦١/٤.

(٥) أَدْمَنَا طَعَنَهُمْ وَالْقَتْلَ^(١) حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمُ الْكُعُوبَا

"أدمنّا" يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون (فَعَلْنَا). والثاني: أن يكون (أَفْعَلْنَا). فإن كان (فَعَلْنَا) كان من أدمت الشيء آدِمُه، إذا جمَعْتُهُ، وكذلك الأذمة والإدام؛ لأنه يُجمع شيءٌ مع شيءٍ ويُصلح، كما قال^(٢):

إِذَا مَا الْخَبِرُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ فَذَاكَ - أَمَانَةُ اللَّهِ - الثَّرِيدُ

أي: يخلط أحدهما، ويضم كل واحد إلى صاحبه. فكأنه قال: خلطنا بين الطعن والضرب فيهم حتى كسرنا الرماح في عظامهم، وخلطناها بها، وهذا مما يفتخر به، ألا ترى إلى قوله^(٣):

وَنَجَرُ فِي الْهَيْجَا الرَّمَاحِ وَنَدْعِي

وقال البحتري^(٤):

قَوْمٌ إِذَا جَرَّوْا الرَّمَاحَ تَكْسَرُوا غِيْظًا إِذَا رَجَعْتَ وَلَمْ تَتَكْسَرْ

وإن كان (أفعلنا) كان من الدوام، فكأنه: ما زلنا نديم قتلهم وطعنهم حتى تكسرت الرماح في أجسامهم، واختلطت كعوبها بعظامهم. غير أن في الوجه الأول ضرباً من المشاكلة، وهو أن أدمنا معناه خلطنا بعظامهم الكعوب، غير^(٥) أنه لما كان المعنى:

(١) في الديوان ١٧٩: (أدمنّا قتلهم والطعن).

(٢) بلا نسبة في الكتاب ٦١/٣ والفسر ٤٦٣/١، واللسان (أدم).

(٣) هو الحادرة، ديوانه: ٥٢ (ناصر الدين الأسد).

وصدره: ونقي بأمن مالنا أحسابنا

قال شارحه: "الإجراز: أن يطعن الرجل الرجل ويدع الرمح فيه. وندي: نقول: يا فلان".

(٤) ديوانه ٩٥١/٢، يمدح محمد بن الأشعث.

(٥) في السياق هنا فجوة في نظري، كأنه أراد أن يقول: (وكان الظاهر أن يقول: خلطنا بعظامهم، غير...) لأن الحديث عنا عن حرف التعديّة.

أدخلناها فيها، جاز تعديته بفي، كما قالوا: أقمتُ بالبصرة، وفي البصرة، وجلستُ بمكان كذا، وفيه، إذ كان المقيم بالمكان ملتصقاً [به] وكان معنى الباء الإلصاق. وكثيراً ما تتناوب حروف الجر أيضاً.

وليس يجوز [أن يكون] "في عظامهم" بمنزلة (في الدار) في قولك: خلطت كذا في الدار؛ لأجل أنه لا يراد أن الكعوب جُمعت في نفوس العظام، وإنما المقصود أن الرماح كُسرت في أجسامهم، وجُمعت فيها، فصار بحيث كل [كعب] عظم واحد، حتى كأن لهم عظاماً من الكعوب، وهو الحسن الجميل! لأن الكعوب مشابهة للعظام. وأيضاً فلو كان الأمر على ذلك لوجب أن يكون خلطت في عظامهم الكعوب بشيء آخر، كما نقول: خلطت في الدار الحنطة بالشعير، مثلاً.

(٦) كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الْخَلِيْبَا

(٧) فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيْبَا

/ القحوف قحوف الرؤوس، واحدها قَحْفٌ^(١). والتريب جمع تريبة^(٢)، على حَدِّ تمرّة وتمير.

47/أ

يقول: إن أفراسنا لم يَعْرِها نِفَارٌ، ومَرَّتْ على القتلى تدوس رؤوسهم وصدورهم، حتى كأنها قد سُقِيَت اللبَنَ في قحوفهم؛ لأن الخيل لا تنفر من الأواني التي تُسقى فيها، ولا تمتنع أن تطأها؛ لإلفها لها.

(١) والقحف: أعلى الرأس، أو ما ضم الدماغ، ولا يقال له: قحف حتى يبين من الرأس، أو حتى ينكسر ويثلم. الفسر ١/٤٦٦، والقاموس (قحف).

(٢) التريب والترائب: موضع القلادة من الصدر. وكتب فوق كلمة (التريب): (سريانية، وهو شحم الصدر)، كأنه بخط الناسخ، ولم تؤيده معاجم اللغة ولا كتب المعرب.

(٨) يُقَدِّمُهَا -وَقَدْ خُضِبَتْ^(١) شَوَاهَا- فَتَى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا

يبعثها فتى كثير الممارسة للحروب، فكلما فرغ من حرب شبَّ نار حرب أخرى، فكان كل واحدة تقذف صاحبها به، ولا يعرى أبداً من القراع. والشَّوَى: القوائم، واحداً شَوَاةً، أي: قوائمها متخضبة من كثرة الدماء.

(٩) شَدِيدُ الْخُنْزَوَانَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أُصِيبَ؟

"الخنزوانة": الكِبْر والتَّيَهُ. ومعنى "تنمَّر" أي: جدَّ وصار كالنمر جُرأةً وقلةً احتشامٍ، كما قال^(٢):

قُومُوا إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ - سَدَّ تَنَمَّرُوا جِلْعًا وَقَدْ^(٣)

ولا يفكر قتل أم قُتل، كما قال^(٤):

ثُمَّ انصَرَفْتُ، وَقَدْ أَصَبْتُ، وَلَمْ أَصَبْ جَدَّعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْإِقْدَامِ^(٥)

[أي: قَتَلْتُ، وَلَمْ أَقْتُلْ]، ألا ترى أنه قال:

حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَفَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لَجَامِي

(١) قال الواحدي: (ومن روى خضبت، بفتح الخاء، كان الفعل للخیل). شرحه ٢٩٢.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب ٢ شعره: ٨٠.

(٣) الحلق: الدروع، نصب على البدل من الحديد. والقَد: اليلب، وهو شيء يشبه الدروع يتخذ من الجلود يوضع تحت البيض أو على الصدر. يقول: إنهم إذا لبسوا الدروع واليلب أصبحوا كالنمور في الحرب. انظر: شرح الحماسة للمرزوقي ١٧٦/١.

(٤) هو قطري بن الفجاءة، الحماسة بشرح المرزوقي ١٣٦/١، وديوان الخوارج ٤٥.

(٥) الجذع: الفتى الحدث. والقارح: المنتهى في السن. والمعنى أنه على بصيرته الأولى في الحرب لم يتزعزع، وأنه متناه في الإقدام. المرزوقي ١٣٨/١.

فلو كان يريد الإصابة غير القتل^(١) كان محالاً؛ لأجل أنه قد صرّح بأن الرماح قد أصابته، وأسالت دمه، والشجاعة التامة أن لا يفكر في القتل، فأما الجراحة فليست مما يعتد به القوم، كما قال^(٢):

ويعجبنا مسُّ الجراح جلودنا

فإذا هو كقوله^(٣):

ويَعْرِوِي ظَهْرَ المَهاَلِكِ

وقول الآخر^(٤):

وإنا لقوم لا نرى القتل سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

واعلم أنه أصدر الكلام أولاً على سبيل الطلب، ألا تراه قال: "فهل من زروة تشفي..." [ثم] انتقل به إلى سمت الإخبار عن الشيء الحاصل، فقال: "أدمننا" و"خلطنا" و"مرت"؛ لأنه لما طلب ذلك قَوِيَّ رجاؤه، وصار كأنه حصل ووُجِدَ، فأخذ يصف الحال على سَنَنِ الْمُضِيِّ والانقطاع. ونحوذا كثير، ألا ترى إلى قوله عز وجل:

(١) وهذا ما صرح به النمري؛ إذ قال: "يقول: انصرفْتُ وقد قَتَلْتُ ولم أَقْتُلْ"

معاني أبيات الحماسة: ٣١ (تحقيق: عسيلان).

(٢) لم أقف على قائله، ولا على تمامه.

(٣) هو تأبط شرّاً، ديوانه ١٥٢، والبيت بتمامه:

يظل بمومة ويمسي بغيرها جحيشاً، ويعروِي ظهور المَهاَلِكِ

المومة: المفازة. وجحيشاً: منفرداً. ويعروِي: من قولهم: ركب الفرس عرياً، أي: بلا سرج. يمدح الشاعر ابن عم له، فيقول: إنه يقطع الفلاة تلو الفلاة منفرداً، ويركب المخاطر وحيداً. (شرح المرزوقي ٩٥/١، ٩٦).

(٤) هو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، وينسب للسموأل، الحماسة بشرح المرزوقي ١١٤/١، وديوان السموأل ٩١، والحارثي: حياته وشعره: ٨٨.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَقِهِمْ ﴿١﴾ فَأَتَى "يَا ذ" وهو للماضي بعد "سوف" الاستقبال؛ وذلك أنه لما كان يوجد بغير شك صار يصدق الوعدُ به، كأنه قد كان! هذا قول أهل التحقيق من أصحابنا (٢).

وقريب منه قول الآخر (٣):

أَلْأَرْجُلُ أَحْلَوهُ رَحْلِي وَنَاقَتِي (٤) يَبْلُغُ عَنِّي الشَّعْرُ إِذَا مَاتَ قَائِلُهُ

يعني [ب]القائل نفسه! وقال "إذ" لأجل أن الموت لما كان متحققاً نزوله عليه صار كأنه قد وقع، فجاز أن يؤتى بلفظ الماضي قبل أن يحصل؛ للمبالغة. فالمعنى: يبلُغ إذا ... [] طالِبوه برده امتنع، فأخذوه قهراً، فهجاهم بأبيات، ورمى أمهم بذلك الكلب، فقال:

(١) غافر: ٧٠، ٧١.

(٢) انظر: الصحابي ١٩٦، والكشاف ٣/٣٧٨.

(٣) يفهم من سياق القصة التي سيذكرها الشارح أن هذا البيت لضائي بن الحارث البرجمي، وقد أشار إلى ذلك ابن بري كما في اللسان (حلا). ولكن هذا البيت بهذا اللفظ لعلامة بن عبدة، كما في ديوانه ١٣١، والصحاح واللسان (حلا). أما بيت ضائي فلفظه:

مَنْ قَافَلَ أَذَى الْإِلَهِ رَكَابَهُ يَبْلُغُ عَنِّي الشَّعْرُ إِذَا مَاتَ قَائِلُهُ

انظر: النقاظ ١/٢٢١، والخزانة ٩/٣٢٣.

(٤) رواية ديوان علقة: فمن رجل أحبه رحلي وناقتي

ويروى: فمن راكب أحلوه رحلاً وناقّة

التهذيب ٥/٢٣٤، واللسان (حلا).

ومعنى (أحلوه)، من قولهم: جعلت له حلواناً، أي: إذا وهبت له شيئاً على شيء يفعل له غير الأجرة. الصحاح (حلا).

(٥) حتى يتصل السياق ينبغي أن نزيد هنا: [والبيت من أبيات قالها الشاعر في سجنه؛ وذلك أنه استعار كلباً من قوم، فطال مكثه عنده] وهي زيادة ضرورية، مستفادة من قصة ضائي مع هؤلاء القوم، كما في النقاظ ١/٢١٩، وطبقات ابن سلام ١/١٧٣، والحيوان ١/٣٦٩، والشعر والشعراء ١/٣٥٠، وتاريخ الطبري ٤/٤٠٢، والخزانة ٩/٣٢٥.

فَأَمَّكُمْ لَا تَتْرَكُوهُمَا وَكَلَبَكُمْ فَإِنْ عَقَوْكَ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرٌ^(١)

واسم الكلب قُرْحَان. فَرُيَ^(٢) ذلك على عثمان t، فقال: ما سمعتُ أحدًا رمى امرأةً من المسلمين بكلبٍ غيرك، وإني أراك لو كنتَ على عهد رسول الله لأنزل الله فيك^(٣)/قرآنًا، ولو كان أحدٌ قطعَ لسانَ شاعرٍ لقطعْتُ لسانك، وحبسَه في السجن، ثم عَرَضَ السجنَ يومًا، فإذا هو قد أعدَّ حديدًا يَغتاله بها، فأحسَّ بذلك، ولم يعبأ به، فردَّه إلى السجن، فقال عند غلبة الناس عليه البيت الذي أنشدناه، وبعده:

فَلَا يَقْبَلُنْ بَعْدِي امْرُؤٌ صَيِّمٌ خُطَّةً^(٤) حِذَا رَلَقَاءِ الْمَوْتِ، فَالْمَوْتُ نَائِلُهُ

وفي قصته طول.

(١٠) أَعَزَّمِي: طَالَ هَذَا اللَّيْلُ، فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرُقُ أَنْ يُوَوِّبَا؟

عَظَّم أمرَ عزمه، وجعل كلَّ شيء يخافه، حتى كأنَّه ظنَّ أنَّ الصبح ليس يطلع خوفًا منه، فقال: تأمَّلْ، وإن كان الصبح يتخوَّفُكَ فأمْنُهُ: لِيَطْلُعَ، فيزول^(٥) الليل. وقد أفرط.

(١١) كَأَنَّ الْفَجْرَ حَبٌّ مُسْتَرَارٌّ يُرَاعِي مِنْ دُجَّتَيْهِ^(٦) رَقِيبًا

الحَبِّ والحبيب: مثل الخَلِّ والخليل، والمستزار: الذي طُلب منه الزيارة.

(١) رواية النقائض: فأمكم لا تسلموها لكلبكم. ورواية الجمهور (الوالدات) وروى ابن سلام والطبري (الأمهات).

(٢) أي: فرميت هذه القضية بين يدي عثمان، وقد تكون العبارة (فَرُفِعَ إلى عثمان) وعبارة المصادر الأخرى (فاستعدوا عليه عثمان...).

(٣) (فيك) سقطت من المتن، وهي مثبتة في التعقيبة في أسفل الصفحة السابقة.

(٤) هذه رواية النقائض، وعند ابن سلام (١٧٤/١): (لا يعطين...) وفي الخزائن (٣٢٣/٩): (سيم خطه...).

(٥) في الأصل (فصول)، لعله تحريف.

(٦) الدجَّة والدجَّة: الظلمة الشديدة.

والمعنى: أن الفجر لا يأتي إلا بعد أن يأخذ الظلام في الارتحال، فهو بمنزلة الحب الذي لا يزور إلا بعد أن يغيب الرقيب الذي يخافه، ويراعي مفارقتة.

ولقائل أن يقول: إن في هذا التشبيه تفاوتاً؛ وذلك أن الفجري يأتي ملاقيًا للظلام، ولا يكون بين انقطاع الظلام ومجيئه مهلة! كيف، ويمزج أحدهما بصاحبه؟ وإنما قيل: الفجر؛ لأنه يشق الظلام، من قولهم: انفجر الماء، وتفجر، إذا انشق من السحاب، فكأنه يشق الموضع الذي يخرج منه، ألا ترى إلى قولهم: العزالي^(١)؟! وذلك أن الماء إذا فاض من السحاب يُعزل بعضه عن بعض، ويُفصل جزء عن آخر. وكذا الفجر؛ لأنه خروج من الحدّ، وشقّ للأمر. ونظير الفجر قولهم: الصديق للصبح. فالفجري يأتي والظلام حاصل، والخل لا يأتي والرقيب ثابت! غير أن غرضه أن بين الفجر والظلمة مراقبةً، فلا يأتي الفجر إلا عند وقت ارتحال الظلام وزواله، كما أن الخل لا يجيء إلا بعد خروج الرقيب. فالمرعاة حاصلة في الموضعين.

(١٢) كَأَنَّ نَجُومَهُ خُلِيَّ عَلَيْهِ وَقَدْ خُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبَا^(٢)

يقول: إن النجوم مزينة ليل، فكأنها خليّ، وكأن قوائِمَ الليل قد أنعلت الأرض، فيبطؤ سعيها؛ لثقل الحذاء ولا يزول ولا يسير، كما أن الأرض ثابتة.

وإذا روي: "وقد خُذِيَتْ قَوَائِمُهَا"^(٣) كان للنجوم، والمعنى واحد؛ إذ الكواكب إذا ثبتت ثبت الليل. وهذا كله وصف طول الليل.

(١) أصل العزالي: هي مخارج الماء من أسفل المزادة، ثم استعيرت لشآبيب المطر. انظر: وصف المطر والسحاب ٣٣، والمخصص ١١٧/٩.

(٢) الجبوب: وجه الأرض، من الجب وهو القطع، فسميت الأرض بذلك لأنها تقطع بالسير، أو تحفر وتقطع صخورها. اللامع العزيزي ١/٣٧.

(٣) لم أجد هذه الرواية عند غير الشارح.

وقال ابن المعتز^(١):

أقول، وقد طال ليلُ الهموم وقاسيتُ حزنَ فؤادٍ سقيم^(٢)
عسى الشمس قد مُسختُ كوكباً وقد طلعت في عداد النجوم

وهذا أبدع ما يكون في هذا النحو.

وقوله: "كَأَنَّ نَجْمَهُ حَلِيٌّ عَلَيْهِ" عَارٍ مِنَ الْإِفَادَةِ فِي الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّ هَذَا^(٣) التَّشْبِيهَ إِنَّمَا يَأْتِي فِي غَيْرِ الْحَقِيقَةِ، نَحْوُ أَنْ تَقُولَ: أَسَدٌ^(٤)، وَلَا شَبَهَةً فِي أَنَّ النُّجُومَ زِينَةٌ، وَلَا ذَلِكَ بِمُسْتَعْرَبٍ فِي الْعَادَةِ؛ وَلَكِنْ^(٥) "قَدْ حُذِيتُ..." حَالٌ وَهُوَ مُسْتَعْرَبٌ، غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ! وَلَوْ قُلْتُ: كَأَنَّ نَجْمَهُ حَلِيٌّ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَانَ صَحِيحًا! كَمَا تَقُولُ: كَأَنَّهُ جَاءَنِي أَسَدٌ، فَتَأْتِي بِكَأَنَّ لِلْحَالِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ. فَتَخَلَّصَ مِنْهُ مِثْلُ قَوْلِكَ: كَأَنَّهُ فَرَسٌ حَلِيَّتُهُ / النُّجُومُ، وَنَعْلُهُ الْأَرْضُ.

48/أ

ويتضح هذا بقوله: إِنْ جِئْتَنِي جِئْتُ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ، فَالْجَوَابُ وَالشَّرْطُ فَعْلٌ وَاحِدٌ، لَكِنْ قَوْلُهُ: (بِغَيْرِ فَائِدَةٍ) لَمَّا تَعَلَّقَ بِهِ صَيَّرَهُ بِمَنْزِلَةِ جِنْسٍ آخَرَ! حَتَّى كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ جِئْتَنِي أَخْطَأْتُ. وَعَيْنُ هَذَا قَوْلُهُ^(٦):

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ تَعَلَّاءَةً^(٧) فَأَفْنَيْتُ عِلَاتِي، فَكَيْفَ أَقُولُ!؟

(١) ديوانه ٤١٤/١.

(٢) فِي الْأَصْلِ (سَلِيمٍ)، لَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ.

(٣) الْإِشَارَةُ هُنَا تَعُودُ لِلتَّشْبِيهِ مَطْلَقًا، أَيْ لِلْمَعْهُودِ فِي الذَّهْنِ.

(٤) أَيْ: هُوَ أَسَدٌ، وَهَذَا مِثَالٌ لِلتَّشْبِيهِ ذِي الْفَائِدَةِ، الَّذِي يَأْتِي فِي غَيْرِ الْحَقِيقَةِ، أَيْ: أَنْ مَبْنَاهُ عَلَى الْإِدْعَاءِ وَالتَّخِيلِ.

(٥) فِي الْأَصْلِ (وَلَكِنَّهُ).

(٦) هُوَ ابْنُ الطُّثْرِيَّةِ، دِيَاوَانُهُ: ٩٨ (نَاصِرُ الرَّشِيدِ).

(٧) فِي الدِّيَاوَانِ (بَعْلَاءَةً)، وَهِيَ أَوْضَحٌ.

(١٣) كَأَنَّ الْجَوَّ قَاسَى مَا أَقَاسِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا

يقول: إنَّ الهواءَ كأنَّه ابتلي بما^(١) ابتليتُ، فَشَحِبَ لونه من الغمِّ والترُّحة. وهذا تأكيدٌ لما قبله؛ لأنَّ الشحوبَ مما تطول مدَّتُهُ، فكأنَّه قال: إنَّ هذا السواد الذي تراه في الجوَّ كأنَّه ليس بسوادٍ ليلٍ، وإنما هو تغيُّرٌ لونٍ، إذ لا يكادُ ينقطعُ ويزولُ.

(١٤) كَأَنَّ دُجَاهَ يَجْذِبُهَا سَهَادِي فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَغِيْبَا

يقول: كأنَّ الظلامَ متعلِّقٌ بسُهادي، فكما أنَّه لا يفارقي، كذلك لا يفارقي الليلُ في الظلمة.

وقوله: "فليس تغيب إلا أن يغيبا" كان يجب أن يقول: فليست تغيب؛ لأنَّ الدُّجَى جمعٌ دُجِيَّة، ألا تراه قال: "يجذبها"؟ إلا أنه أضرَّ الأمر والشأن في ليس، كقولهم -وهو [من] مسائل الكتاب^(٢):- "ليس خَلَقَ اللهُ أشعرَ منه"، و"ليس قالها زيدٌ"، التقدير: ليس الأمرُ قالها زيدٌ، وكذلك التقدير: فليس الأمرُ تغيب. وهذا النحو كثيراً ما يمرُّ في كلام الناس، وإن كانوا لا يحسُّون^(٣).

(١٥) أَقَلَّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدُبُهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا

إنَّ الليلَ طويلٌ لا نهايةَ له، كما أنَّ ذنوبَ الدهرِ وافرةٌ لأحدٍ لها، فكانَ تقليبي الأَجْفَانَ عَدُّ لذنوبه! إذ ليس ينتهي كما لا تنتهي هي.

وقوله: "بها" أي بتقليبها، فحذف المضاف، ولو قال: أعدبُ به^(٤)، فأضرَّ المصدر لتقدُّم الفعل، جاز، كقوله: "مَنْ كَذَبَ [كان] شَرًّا له"^(٥). وقد فعل مثل هذا فيما مضى.

(١) في الأصل (مما).

(٢) الكتاب ١/١٤٧.

(٣) في الأصل (لا يحسنون)، لعله تحريف لما أثبت.

(٤) وهذه رواية التبيين ١/١٤٠.

(٥) سبق هذا القول مراراً.

وقد يجوز أن يترك الكلام على ظاهره، ويقال: إن المراد: أعد بنفس الجفون؛ لأن ذلك وإن كان يقع بالتقليب في الحقيقة فإن التقليب لما كان من الجفون جازاً أن يجعل العدُ حاصلًا بها.

(١٦) وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظُلُّ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا

يقول: إن نهارًا يكون فيه أعدائي وحَسَدِي أطولُ من كل ليل؛ لأجل أن الأيام إنما تطول عليك بأن تتضمن ما لا يوافقك، ولهذا قالوا: إن أيامَ الفُرقة طَوَالٌ، وأيام الوصال قصارٌ، كما قال^(١):

يَطْوِلُ الْيَوْمُ لَا أَلْقَاكَ فِيهِ وَخَوَّلَ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

وكقوله^(٢):

وَأَيَّامُ الْهَمِّ مَقْصَصَاتٌ وَأَيَّامُ السُّرُورِ يَطْرُنَ طَيْرًا

وهو إذا لم يحب ملاحظة الحساد طال نهاره، فهذا هو المعنى.

وأما الإعراب فإن قوله: "يَظُلُّ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا" يجوز أن يكون بلحظ حسادي إيائي، فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل، ويجوز أن يكون المعنى بلحظي لهم، ورؤيتي إياهم،/ فيكون المصدر مضافًا إلى المفعول. ويحصل من الوجهين: أن نهارًا يخالط نوره وقوعُ بصري عليهم ورؤيتي طلعتهم المنكرة ليس بخيرٍ من الليل.

ب/48

(١) هو ابن أبي دبال الخراعي، الحماسة بشرح المازوني ٣/١٣٥٣. وينسب لجميل، ديوانه ٦٩.

(٢) هو أبو بكر محمد الخالدي، ديوان الخالدين ٥٥.

(١٧) وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا

هذا البيت يؤكد المعنى الثاني^(١)؛ لأجل أنه وصف كراهية التلبس بشيء^(٢) يشاركونه فيه، حتى سَوَّى بين الموت والحياة، وكذلك يستطيلُ نهاراً مشتركاً بينه وبينهم، بمعنى: ينقضي بهم انقضاءه به.

و"أبغض" من بَغَضَ^(٣) فهو بَغِضٌ.

(١٨) عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى لَوِ انْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَسِيبًا^(٤)

يصف نفسه بكثرة الممارسة والتصرف في الخطوب والمعضلات، يقول: فلو كان بيننا انتسابٌ لكنت المتصدي لتحمُّظ أنسابها وقبائلها.

(١٩) وَلَمَّا قَالَتِ الْإِبِلُ امْتِطِينَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا!

يقول: إن النوائب والأحداث ساقتنا إلى جنبه، فكأنها كانت رواحلَ تسير بنا إلى فئائه. وهو قريب من قوله^(٥):

أَحْبَبْتُ رَاحِلَتِي: الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا

(١) أي: أن (بلحظ حسادي) من إضافة المصدر إلى مفعوله.

(٢) (بشيء) سقط من المتن، وأثبت في الحاشية، وهو ضروري؛ لاتصال المعنى.

(٣) بتثنية الغين، القاموس (بغض).

(٤) هذا البيت متقدّم على الذي قبله في الشروح الأخرى، وموضعه هنا محلّ بترتيب المعاني في القصيدة؛ فقد فصل ما بين حديث المطايا، وفي قول الشارح قبله: (إذ قال بعد) دليل لفظي على تعلّق ما قبله بما بعده. والأرجح أنّ هذا من أوهام الناسخ.

والحدثان: أراد به الدهر، وأصله: مصائب الدهر ونوبه. اللسان (حدث).

وقوله (نسيبا) رواية في إحدى نسخ الفسّر ١/٤٧٥، ورواية الجمهور: (نقيبا).

(٥) أي: المتنّي، انظر ما مضى في صفحة: ٢٩٦.

فإن قلت: هلاً ذهبت إلى أن الإبل لما قلت لإجحاف الزمان احتجنا إلى أن نقصد جنابه، فلمّا عرض لنا هذه العزيمة ذلّت لنا الخطوب فركبناها إليه! ويكون فيه مدحٌ بليغ؛ لأجل أن النوائب تليّن لهم جانبها إذا أرادوا [وا] قصده خوفاً منه.

فالجواب: أن هذه طريقة حسنة، غير أن المتنبي لم يسلكها؛ إذ قال بعد^(١):

(٢٠) مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا
[ف]قد وصفها بالشراسة والصعوبة!.

(٢١) وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الْأَرْضِ فِينَا فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيًّا
يقول: إن مطايا الناس ترتعُ النبات في أسفارهم، وهذه مطايا ترتعُ من نفسي، وتأكلني، لا جرم أن فارقتها وليس عليّ شيء، كالأرض المجذبة! واستعار [الجديب] لنفسه لذكره الرّتع. وهذا بيتٌ حسنٌ.

(٢٢) إِلَى ذِي شِيمَةٍ شَغَفَتْ فُؤَادِي فَلَوْلَاهُ^(٢) لَقُلْتُ لَهَا النَّسِيبَا
"شغفت فؤادي" أي: غلب الحبُّ عليه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾^(٣)، قرئ بالعين والغين^(٤)، ومعنى "شغفها" أي: أصاب شغافها وهو غلاف القلب، فهو

(١) قوله: (بعدُ) متعلّق بالبيت (مطايا لا تذللّ ...) ولكن حدث خلل في ترتيب الأبيات.

(٢) في الفسر (فلولاهو) ٤٧٧/١.

(٣) سورة يوسف: ٣٠.

(٤) القراءة بالغين المعجمة هي قراءة الجماعة، ومنهم السبعة. أما القراءة بالعين المهملة فقد قرأ بها من الأربعة عشر: الحسن، وابن محيصن (إتحاف فضلاء البشر ١٤٥/٢) وكذلك قرأ بها عليّ، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، والشعبي، والزهري، ومحمد بن السميع، وغيرهم. المحتسب ٣٣٩/١، والبحر المحيط ٣٠١/٥.

كقولهم: فَأَذَتْهُ، أي: أصبتْ فؤاده، وكَلَيْتُهُ، أي: أصبتْ كُليته، وما جرى ذا المجرى. فيقول: لولا جلالة الممدوح وعلوه عن أن يضمن ذكره غير الجدِّ لَنَسَبْتُ بشيمته كما يُنسب بالنساء؛ لأنِّي أعشقها.

(٢٣) تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ وَإِنْ لَمْ تُشَبِّهِ الرَّشَاءَ الرَّيْبَا^(١)

يقول: ما من أحدٍ إلا ويحب شيمة هذا الممدوح، فأنا مع كل أحدٍ في مجاذبةٍ ومنازعةٍ! ومع ذلك فإنها لا تشبه المحبوبين؛ لأنها خَلِيقَةٌ، وليس لها جسم وخلقَة. وقال أبو تمام^(٢):

وَالْفَجْعُ بِالْمَجْدِ غَيْرُ الْفَجْعِ بِالْقَزْلِ.

فكذلك عشق الشيم غيرُ عشق الأشباح.

(٢٤) /عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ أَتَى مِنْ آلِ سَيَارِ عَجِيبًا

أ/49

"عجيب" خبر^(٣) مبتدأ محذوف، كأنه قال: هذا عجيب، ثم استدرِك، وقال: [وما] عجيباً [أن] تأتي هذه القبيلة بعجيب؛ لأنها ينبوع الشرف والفضل ومعدن السؤدد. فقوله: "أتى من آل سيار" صفة العجيب الذي هو اسم [ما]، و"عجيباً" خبر ما، كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾^(٤).

(١) الرشأ: ولد الظبية، والرييب: المربي في البيوت، وهذا كناية عن الجواري الحسان. معجز أحمد ٣/٤٤٢.

(٢) ديوانه ٨٩/٣، يمدح أبا سعيد الثغري، ويذكر خروجه من عمورية إلى مكة. صدره:

نَايَ النَّدَى، لَا تَنَاقِي خَلَّةً وَهَوًى

يقول: إن نأي هذا الرجل نأي للكرم والمجد، لا رحيل أحبة وعشاق، فالفجعية برحيل المجد أعظم وأشد من الفجعية برحيل العاشقين.

(٣) (خبر) أضيفت بخط دقيق، ولا يصح الكلام بدونها.

(٤) سورة يوسف: ٣١. والمراد أن المتنبي استعمل (ما) هنا استعمال (ليس)، وهي (ما) الحجازية.

(٢٥) وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ، وَلَيْسَ شَيْخاً يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيبَ

يقول: إن اسم الشيخ ليس مما يخصُّ بارتفاع السن والكبر، بل هو صفة يستحقها من كان جزيل الحظ من الرزاة والوقار، فكم من بالغ المشيب لا يستوجب هذه اللفظة؛ لقلة حصافته. وأنشد شيخنا - رحمه الله ^(١):

وما كلُّ حزينٍ للشباب الذي هَوَى به الدهرُ عن طودٍ من الأُنسِ شامِخٍ ^(٢)
ولكن لقول الناس: شيخٌ، وليس لي على نائبات الدهر صبرُ المشايخِ

وقال البحتري ^(٣):

حَدَّثْتُ تَوْقَرَهُ الْجَبِي، فَكَأَنَّهُ أَخَذَ الْوَقَارَ مِنَ الْمَشِيبِ الْبَازِلِ ^(٤)

وقال أيضاً ^(٥):

وَفُتُوَّةٌ جَمَعَ التَّقَى أَطْرَافَهَا وَنَدَى أَحَاطَ بِجَانِبِيهِ السُّودُ
وَشَبِيبَةٌ فِيهَا النَّهْيُ فَإِذَا بَدَتْ لِدَوِي التَّوَسُّمِ فِيهِ شَيْبٌ أَسْوَدُ

ولولم يكن للبحتري إلا هذا البيت الواحد لكان فائزاً بالفخر الأغر المحجل، وعالياً أسنام السبق الأفضل، كيف ومحاسنهُ تُكِلُّ عوامِلَ الأقلام، وتتعبُ أناملَ الحُساب!

(١) قائلهما النامي، خاص الخاص للثعالبي: ١٨٠

(٢) رواية خاص الخاص: وما كان حزيناً للشباب وإن هوى به الشيب... .

(٣) ديوانه ١٦٤٦/٣، يمدح المعتز.

(٤) رواية الديوان (... يوقره... المشيب الشامل).

وأصل البازل: البعير الذي طلع نابه، وذلك عند السنة التاسعة. وهو غاية النضج والكمال. الصحاح (بزل).

(٥) ديوانه ٦٢٩/١، يمدح أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع.

(٢٦) قَسَا فَأَلْأَسَدُ تَفَرَّعَ مِنْ يَدَيْهِ^(١) وَرَقَّ^(٢) فَتَحَنَ نَفَرَعُ أَنْ يَذُوبَا

فهو لأعدائه غَلَطٌ وقسوةٌ، ولأوليائه تَعَطُّفٌ ورقَّةٌ. واستعمال لفظ الذوب مما يحمل على قصد المبالغة والتزيد^(٣)، كقوله^(٤): "ويريك الدرَّ مشخّلبا" ولكن نحو هذا مما لا يجب أن يؤخذ عليه^(٥)؛ لأنه هزءٌ، يدلّك على استجازته ذلك في هذا الممدوح ما ذكره في حديث الوكيل^(٦).

ومثل هذا المعنى:

مُمَقِّرٌ [مُرٌّ] على أعدائه وعلى الأدين حلّو كالعسل^(٧)

(٢٧) أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ الْهُوجُ بَطْشَا وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا

(٢٨) وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا فَقُلْتُ رَأَيْتُمُ الْغَرَضَ الْقَرِيبَا

يقول: إنهم شاهدوا رميَ أَثْمَلِهِ، واستعجبوا منه، فقلتُ: إن مَرَمَى يديه بالإضافة إلى مرمي هَمَّتِهِ قريبٌ! فجعله أبعدَ شأواً في العطاء من الرَّمَاءِ.

(١) ويروى (من قواه) شرح الواحدي ٢٩٤، ومعجز أحمد ٣٤٣/٢، والتبيان ١٤٢/١.

(٢) ويروى (ولان)، ومعناها واحد. معجز أحمد (الموضع السابق).

(٣) في الأصل (واستعمال لفظ الذوب بما حمل قَصْدُ المبالغة على التبريد)، ولم أستطع تقويم هذه العبارة بأفضل مما صنعت.

(٤) من بيت له، مضى في صفحة: ٢٧٨.

(٥) ذكر القاضي الجرجاني هذا البيت ضمن الأبيات التي عيبت على أبي الطيب -دون تعليل- الوساطة ٨٦، وكذلك البديعي في الصبح المنبي ٣٧٠. وقال ابن المستوفي: (وقوله: "أن يذوبا" كاد أن يلحق بالمرذول، إلا أنه تدارك بعض الوهن بقوله: فنحن نضرع). النظام ق/ ٣٩٦.

(٦) سيأتي بعد أبيات.

(٧) قائله لبيد، ديوانه ١٩٧. وممقر: حامضٌ أو مرّ، القاموس (مقر).

(٢٩) وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا؟

"بما ظن" بمعنى المصدر، فكأنه: بظنه الغيوب، على أن يكون نصب الغيوب "بيخطي". ويجوز أن يكون موصولاً، ويكون الراجع مقدراً، فكأنه قال: ولا يخطئ بالأمر الذي ظنه الغيوب، ويبين إذا أثبت بالضمير المنفصل، لأجل أن التقدير: بالذي ظن الغيوب إياه، كما تقول: أعجبي رجل ظننته زيداً، تريد: ظننت زيداً إياه، فيكون الهاء المقدر المفعول الثاني، والغيوب المفعول الأول. وإذا كان بمعنى المصدر لم / يجب تقدير هذا الضمير؛ لأنه لا يقتضي العائد، كما لا يقتضيه (أن) في قولك: أعجبي أن خرجت. فاعرفه.

ب/49

(٣٠) إِذَا نُكِبَتْ^(١) كِنَانَتُهُ^(٢) اسْتَبَّأ^(٣) لَأَنْصُلَهَا بِأَنْصُلِهَا^(٤) نُدُوبَا

(٣١) يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَتْ قَضِييَا

يقول: إنّه إذا رمى بسهم ثم رمى آخر أصاب فوق^(٤) ذاك الأول، فلو ثبتت ولم تنكسر بأن ينفصل بعضها من بعض لصار قضيباً واحداً.

وإذا أصاب ببعض النصال أفواق بعض كان بعضها جارحاً بعضاً. فالبيت الثاني يفسر الأول.

وذكر الكسردون السقوط وما أشبهه ليدلّ على شدة الاتصال.

(١) رواية ابن جني: (نُكِبَتْ) الفسر ٤٨١/١.

(٢) رواية المعري (كنانته) على الجمع (اللامع العزيزي ١٣٩/١).

(٣) في الشروح والديوان: (بأنصلها لأنصلها)، وهما متقاربتان.

والأنصل: جمع نصل، وهو حدّ السهم.

(٤) فوق السهم: هو موضع الوتر منه. كتاب السلاح ٢٤، ومعجز أحمد ٣٤٥/٢.

(٣٢) بِكُلِّ مَقْوَمٍ لَمْ يَعِصْ أَمْرًا لَهُ حَتَّى ظَنَّنَاهُ لَيْبًا

"بكل مقوم" أي: يصيب بكل مقوم^(١) معتدل مسدد، لا يخطئ قط مقصده، حتى ظننت^(٢) أنه عاقل عارف بأن طاعة السيد واجبة!

(٣٣) يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَيَبِينُ رَمِيَّةَ الْهَدَفِ^(٣) اللَّهْيَا

المعنى: أنه إذا نزع قوسه، وأرسل السهم، رأيتَه كالنار في السرعة، حتى كأنه شعله تخطف. وإذا قصد وصف الشيء بالإسراع شبه بالنار.

(٣٤) أَلَسْتَ مِنْ^(٤) الْأَلَى سَعِدُوا وَسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِبًا ١٤١

"الألى" - بالألف واللام - جمع الذي. وأولو جمع ذو^(٥)، [ك]قوله عز وجل: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٦)، ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾^(٧)، ونظيره هؤلاء في جمع هذا.

(١) أي: بكل سهم مقوم. شرح الواحدي ٢٩٥.

(٢) كذا بالأصل، و(ظننا) كما في البيت، أحسن.

(٣) رواية الفسر ٤٨٥/١ (رمية الهدف) فيكون الهدف بدلاً من رميه، وانظر: شرح الواحدي ٢٩٥، ومعجز أحمد ٣٤٥/٢.

(٤) رواية الشروح الأخرى والديوان (ابن الألي) و(من الألي) - إن كانت رواية صحيحة - أخف لفظاً، وأحسن معنى؛ لأن رواية الجمهور، يتكرر فيها ذكر البنوة في صدر البيت وعجزه، كما أنها لا تصرح بإشراك الممدوح في الوصف بالسعادة والسيادة؛ لأنهما من صفات الآباء، ولا يلزم أن يكون أبنائهم مثلهم، بخلاف رواية الشارح!

(٥) أي: جمعه من ناحية المعنى، وإلا فإن جمع (ذو): ذوو.

(٦) سورة النساء: ٥٩.

(٧) سورة النور: ٢٢.

(٣٥) وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْتَا وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلُهُمْ دَبِيبَا!

المعنى: أدركوا في الدعة والنعمة ما لم يدركه غيرهم في التعب والمشقة^(١)، وقريب منه قول الشاعر^(٢):

ولم أرمعشراً^(٣) كبني صريم تَلَفُّهُمْ التَّهَائِمُ وَالنَّجُودُ
أجل جلالته وأعزَّفَقْدَا وأقضى للحقوق^(٤) وهم قعود

(٣٦) وَمَارِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاها دَفْنُهُمْ فِي الثَّرْبِ طَبِيبَا

يقول: إن النسيم الذي يُشَمُّ [من] الرياض ليس أصلياً فيها، وإنما حصل لها من التباسهم بالأرض، إذا دُفِنوا. وهذا حسن؛ لأجل أن النبات إذا كان يطيب لامتزاج طيبهم بقمِّه^(٥) فذاك نهاية. قال^(٦):

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دَلَّ على القبر

(١) عبارة ابن جني: (ومعنى البيت: أنهم ينالون مرادهم على بعده وصعوبة مطلبه بأهون سعي حزمًا) الفسر ٤٨٧/١، وهي أوضح من عبارة الشارح.

وقال الواحدي: (... جعل الوحش مثلاً للمطلوب البعيد، وديبب النمل مثلاً لسعيهم هونًا، وإنما ذلك لحزمهم ولطف تأنيهم) شرحه ٢٩٥.

(٢) بلا نسبة في الأمالي ٢٣/١، والحماسة بشرح المرزوقي ٣/١٦٠٠، والزهرة ٢/٥٨٨، وأمالي ابن الشجري ٣٨٧/٢ (البيت الثاني).

(٣) رواية القاضي: (فلم أرها لكًا).

(٤) هذه الكلمة مطموسة في الأصل، لم يبق منها إلا اللامان، وما أثبت من المصادر السابقة ما عدا القاضي فروايتيه (للأمور).

(٥) في الأصل (يتفقه)، لعله تحريف لما أثبت. والقُفُّ: ما ارتفع من الأرض، والرياض والبساتين الطيبة أحسن ما تكون على الرُّبَى. انظر: القاموس (قف).

(٦) هو صريع الغواني مسلم بن الوليد، ديوانه ٣٢٠ (الدهان).

وقول المتنبي أبلغ؛ لأنه جعل الرياض طيبةً لأجل كونهم في بعض الأرض، وهذا جعل الطيبَ للموضع الذي دُفِنوا فيه.

(٣٧) أَيَا مَنْ عَادَ رُوحَ الْمَجْدِ فِيهِ وَعَادَ^(١) زَمَانُهُ الْبَالِي قَشِيْبَا

يقول: إنَّ المجد قد كان ميتاً فعاد روحه في الممدوح^(٢)، وصار الزمان الذي كان يليّ جديداً. والهاء في "زمانه" يعود إلى المجد، وقريب ممّا ذكره قول الآخر^(٣):

إِن الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمَهْلَبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادَا

(٣٨) / تَيَمَّمَنِي وَكَيْلَكَ مَا دَحَا لِي وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشُّعْرِ الْغَرِيْبَا^(٤)

1/50

أمّه، ويَمَّمَه^(٥). وكان وجّه إليه وكيلاً مدحه، قاصداً أن يتسوّق عليه. وهذا كالاستهزاء بهذا^(٦) الوكيل، كقوله^(٧):

فإنك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضع تمرّاً إلى أهل خيبر

(١) عند الواحدي (٢٩٥): وصار زمانه..

(٢) وبهذا فسّره ابن جني، الفسر ١/٤٨٨، وذكر الواحدي وجّهاً آخر، هو: (يامن عاد به روح المجد في المجد، يعني أن المجد كان ميتاً فعاد به حيّاً) شرحه ٢٩٦، ويقوي هذا رواية إحدى نسخ الديوان (أيا من ردّ روح المجد فيه) الديوان ١٨٢.

(٣) هو عمر بن لجأ، شعره: ١٣٨.

(٤) ذكر الواحدي بسنده أن هذا الوكيل أنشد المتنبي سبعة أبيات، أولها:

فَوَادِدِي قَدْ انْصَدَعَ وَضُرْسِي قَدْ انْقَلَعَ

وهي أبيات غثة سخيفة. انظر شرح الواحدي ٢٩٦.

(٥) أي: هما بمعنى واحد، أي: قصده.

(٦) في الأصل (أن هذا).

(٧) زميل بن أبير الفزاري، أو خارجة بن ضرار المزي، الحماسة بشرح المرزوقي ٣/٦٠٠، واللسان (بضع) و(حتك). وبلا نسبة في معجز أحمد ٢/٣٤٨.

وعجزه من الأمثال السائرة، انظر: مجمع الأمثال ٣/٣٩.

(٣٩) فَأَجَرَكُ^(١) الْإِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثْتَ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَيِّبًا!
(٤٠) وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيًّا!

يعني أن من يكون من أدباء الوكلاء فهو مَنِّي بمنزلة العليل من عيسى بن مريم؛ لأنني ينبوع الشعر، فإذا وافاني مثله بالشعر فهو كعليل يطبُّ للمسيح! لأن العليل يحتاج إلى طبِّ غيره، كما أن من كان كوكيلك فهو مفتقرٌ إلى أدب غيره، لنقصانه.

وقال أبو الفتح^(٢): حكى أن هذا الوكيل لما سمع قوله: "ولكن زدتنى فيها أديبًا" [قال]: إذاً قد اعترف لي بالأدب!.

(٤١) فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا ذَانِيَتْ يَأْشَمُسُ الْغُرُوبَا
دعاءً بالبقاء وامتداد العمر. وجعله كالشمس في منازلها لأنها تكون معمورةً بحياته، وإذا فقد خربت وأظلمت. وكُنِيَ عن الموت بالغروب. وقال البحري^(٣):

بَقِيَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّمَا بِقَاؤُكَ حُسْنٌ لِلزَّمَانِ وَطَيْبُ
وَلَا كَانَ لِلْمَكْرُوهِ نَحْوُكَ مَذْهَبُ وَلَا لَصُرُوفِ الدَّهْرِ فَيْكَ نَصِيبُ

(٤٢) لِأَصْبَحَ أَمْنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا أَمِنُ فِيكَ الْعُيُوبَا

(١) في الأصل (فأجزاك)، لعله تصحيف لما في الشروح والديوان.

(٢) الفسر ٤٩١/١.

(٣) ديوانه ٢٠٤/١، يمدح المتوكل.

(١٥)

وقال يمدح طاهر^(١) بن الحسين العلوي^(٢):

(١) أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرَدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ

المعنى الصحيح في هذا: أن يريد أن صباحي عند الكواعب فلا يعود إلا بعودهن، فردوا الكواعب لأشابهة غيري في دخول الصباح عليه، واهتدائه في نهاره إلى المطالب. ويجوز^(٣) أن يكون الصباح كناية عن^(٤) البيان، فكأنه قال: إن أبواب مقاصدي مغلقة لفراقهم، وآفاق مطالبي مظلمة بزيالهم، فردوهم^(٥)، يفتحوا ما انغلق ويضيئوا ما أظلم^(٦)!

(٢) فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْلَهَمَةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَابِ^(٧)

هذا يقوِّي الوجه الأول في "صباح" وهو [أن] يريد أن الصباح لم يتضح لي كما وضع للناس، لفراقهم، فنهاري ليل على الحقيقة. وتقدير الكلام: فإن نهاري ليلة مُدْلَهَمَةٌ على مقلةٍ تتقلب في غيابٍ من أجل فقدكم.

(١) لمدح المتنبي (طاهراً) بهذه القصيدة قصة طويلة. انظر: معجز أحمد ٢/٤٢٩، والتبيان ١/١٤٧؛ وشرح الكندي ٣٥٢.

(٢) هذه المقدمة كتبت بالأحمر، وبخط مخالف. وكتب في الحاشية (هذه القصيدة من الجياد).

(٣) هذا دليل على أن قوله: (المعنى الصحيح) المراد به: الأفضلية والرجحان، لا الصحة المقابلة للخطأ.

(٤) في الأصل (والبيان) تحريف.

(٥) في الأصل (فردوهم)، ولا ينسجم مع ما قبله وما بعده.

(٦) أما قوله: (وردوا رقادي فهو لحظ الحبايب)، فمعناه: رقادي هو رؤية أحبابي ولحظهم. شرح المشكل

لابن سيده ١٧١، ومعجز أحمد ٢/٤٣١.

(٧) ادلهمت الليلة: إذا كثف ظلامها واسود. والغياهب: جمع غيهب، وهي شدة سواد الليل. اللسان (دلهم/غهب).

وهم إذا قصدوا وصف الأمر بالعِظم وصفوه بالظلمة^(١)، كما أنهم إذا قصدوا الخير وصفوه بالضياء، وقد جمع المعنيين في قوله^(٢):

فالليلُ منذ قدمتَ فيها أبيضُ والصُّبحُ منذ رحلتَ عنها أسودُ

50ب/ التقدير: أسود فيها، أبيضاً، ألا ترى أنه لا يجعل سائر البلاد مظلمةً لأجل ارتحاله عن هذه البلدة؟ كيف، وذلك يتضمّن هجواً؛ إذ الممدوح في بلدةٍ من الدنيا لا محالة؟! فالبياض والسواد لهذه التي هو ذكر.

(٣) بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هذبٍ بحاجبٍ

المعنى: أن النوم قد طار عني، وبقيت أجفاني منفتحةً، حتى كأن الأحياء قد عقدوا أطراف أهدابها الأولى^(٣) بشعور حاجبي، فلا أقدر أن أغمض.

وأسكن الياء في موضع النصب في "أعالي"، كقوله^(٤):

كأن أيديهنَّ بالقاع ...

وقد تقدّم القول في ذلك. (حسنه)^(٥).

ويقارب هذا المعنى ما قال بشار^(٦):

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونَهَا عنها قصارُ

(١) انظر: الفسر ١/ ٣٣٣.

(٢) أي: المتنبي، ديوانه ٤٣، يمدح شجاع بن محمد الطائي.

(٣) أي: العليا.

(٤) رؤية، وقد سبق في صفحة: ٣٥٦.

(٥) كذا بالأصل.

(٦) ديوانه ٣/ ٢٤٩.

وبيت المتنبي أبلغ؛ لأجل أن أعالي الأهداب إذا عقدت بشعور [الـ] حاجب لم تقدر على التغميض بوجهه، وإذا قصرت الجفون فإنه قد يوجد ثم أدنى سترٍ للعين، وإن كان لا يلتقي الطرفان، فاعرفه.

(٤) وَأَحْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ لَفَارَقْتُهُ^(١)، وَالْدَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ

يقول: وقد بلغ من ولوع الزمان بمناكدي، وإبعاد ما أبتغيه وأحبّه عني، ما أظن معه أني لو أردتُ فراقكم وأحببته - مع أنه مما لا يَنَازَعُ فيه الإنسان؛ إذ لا نفع معه - لحال^(٢) بيني وبينه؛ شغفاً بمخالفتي! ثم أكد هذا المعنى فقال: "والدهر أخبث صاحب" أي: لا خير عنده بوجه.

وهذه شكايةٌ مليحة، ونمطٌ من قوله^(٣):

خُلِقْتُ أَوْفَا، لَو رَجَعْتُ^(٤) إِلَى الصَّبَا لِفَارَقْتُ شَيْبَى مَوْجَعِ الْقَلْبِ بَاكِيًا!

وذاك أن العادة جارية بأن الإنسان يحب الشباب، ويكره المشيب، والعود من المشيب إلى الشباب بمنزلة العود من الموت إلى الحياة مثلاً، ومن البؤس إلى الغناء والعز، وقد قال: إني من فرط الإلف أتأسف على المكروه إذا فارقتني المحبوب. وكذا المعهود من الأخلاق والمذاهب أن الإنسان لا يُنَازَعُ فيما يضرُّ به، ولا يُحَسَدُ عليه، وقد ذكر أن الزمان - من تناهي شغفه بمخالفته ومنازعتة على كلِّ حالٍ - لا يخلِّيه وملابسةً الفراق الذي يضره ويقتله!

(١) ويروي (لفارقتني)، أي: لا تبعد عني فراقكم ونفري مني. ويروي (لفارقتكم)، أي: لأعاني الدهر على ذلك. النظام ق/ ٤٠٥.

(٢) في الأصل (إذ لا يقع معه بحال) تصحيف وتحريف.

(٣) الديوان ٤٤٠.

(٤) في الديوان (رحلت)، وكذلك الشروح.

ولا يريد بقوله: "هويت فراقكم" حقيقة الهوى، وإنما المقصود: لو أني جنحتُ إليه، وتكلّفتُ ملابستَه؛ لأسلمَ من نكد الزمان، لما تخلصتُ من ذلك، ألا ترى أنه لو أراد الحبُّ الحقيقيُّ كان بمنزلة أن يقول: اتخذتُ حبيباً غيركم؟ وهذا ليس فيه مبالغة ولا إبداع، حتى يحتاج أن يقول: أحسب؛ إذ قد تحقق أن الدهر لا يبقيه على ما يوافقه. وإنما الشك في أنه هل يعانده في ما يضره إن اختاره؟! فاعرفه، فإنه واضح.

ففي هذا ضرب من التحرّز ليس فيما يظنه أهل الظاهر؛ وذاك أنه إذا قصد بقوله: "هويت فراقكم" أن يجعله بمنزلة المحبوب في تكلف الميل إليه، دون أن يجعله محبوباً على الحقيقة، كان قد أبعد نفسه من خيانة الأحباب بعداً لا يكون إذا قصد الهوى الطبيعي؛ لأنه يضرب في المثل، فيقول: لو جنحتُ إلى فراقكم -الذي هو أقتل^(١) الأشياء- لم يبعد أن ينازعني الدهر فيه! كما تقول: أظن أني لو أثرتُ تلفَ النفس لم يسلم لي؛ لقصد الزمان مخالفتي في كلِّ حالٍ. فاعرفه.

(٥) /فَيَأْتِيَتْ مَا يَبْنِي وَيَبْنِي أَحَبَّتِي مِنْ الْبُعْدِ مَا يَبْنِي وَيَبْنِي الْمَصَائِبِ

٥١/أ

"ما" في الموضعين موصول، الأول منصوب الموضع بأنه اسم "ليت"، والثاني مرفوع بأنه خبره.

والمعنى: أن المصائب قريبة مني، فإيا ليت المسافة الكائنة بيني وبين أحبابي مثلُ المسافة التي بيني وبين النوائب والبلايا؛ فكانوا يزوروني كما تزورني المصائب أبداً. وهو كقولهم: أبو حنيفة أبو يوسف^(٢)، في أن المعنى: يغني غناه، فكأنه هو هو، فكذلك يتمنى أن يكون بعدُ الأحباب مساوياً لبعده عن المصائب، حتى كأن هذا ذاك بعينه.

ويجوز أن يكون في الكلام مضافٌ محذوف، فكأنه قال: مثل ما بيني وبين المصائب. فاعرفه.

(١) في الأصل (اقبل)، لعله تصحيف لما أثبت، أو تحريف عن (أثقل).

(٢) انظر ما سبق في صفحة: ٢٢٧.

(٦) أَرَاكِ ظَنَنْتِ السَّلَكَ جِسْمِي فَعَقَّتِهِ عَلَيكِ^(١) بِدَرٍّ عَنِ لِقَاءِ التَّرَائِبِ!

يقول: إن جسمي قد دقَّ وصار من فرط النحول كالسلك، فأخالك قسَّته على السلك، فحُلَّتِ بالصدِّ بينه وبين ترائبك، كما حُلَّتِ بالدَّرِّ بين السلك الحقيقي وبينها!.

(٧) وَلَوْ قَلَمٌ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ^(٢) رَأْسِهِ مِنْ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ^(٣) خَطِّ كَاتِبٍ!

قد يجعل بين سَيِّ القلم -إذا أفرط التصاق أحدهما بالآخر- شيء قريب من السلك، وما أشبهه؛ ليحصل بينهما انفراج، فينطلق بذلك، ولا يتغير.

ويُسمى ذلك الشيء لِيْطَةً^(٤). فإن غلظت الليطة تنافر سِنَاهُ، وفسد الخط.

فالمتنبى جعل نفسه كالليطة الدقيقة التي لا يكون لها تأثير بوجه! ألا ترى أن الليطة إذا كانت على حدها كان لها أثر في الخط لا محالة، وهو قد نفى التأثير ألبتة؟! وقال: إنه لو لُيِّطَ به قلمٌ كان ذلك تلييطاً كلا تلييط؛ لعدم الأثر، ووُجدت الكتابة على سمتها. وهذا من الإغراق الذي يكاد يززع الجبال!.

ورفع قوله: "قلم" بعد "لو"، و(لو) لا يكون بعده الاسم المبتدأ، لا يقال: لوزيد أخوك لكان كذا وكذا، وإنما يقال: لوزيداً ضربته، على إضمار الفعل. فالحدُّ^(٥) أن يقول: ولو قلماً أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ، على تقدير: لو شَقَقْتُ قَلَمًا، [أَلْقَيْتُ] فِي شَقِّ رَأْسِهِ،

(١) قال الواحدي (٣٢٨): "وفي البيت تقديم وتأخير؛ لأن المعنى: فعقته بدر عليك". وقال ابن سيده (شرح المشكل ١٧١): "وقوله: (عليك) ظرف في موضع الحال". أي: حال من السلك، والتقدير:

فعقتي السلك -كأننا عليك- بدر عن لقاء الترائب.

(٢) ويروي أن المتنبي كان يفضل كسر الشين من (شق). وهو أكثر مبالغة.

انظر: اللامع العريزي ١/١٤٣، وشرح الكندي ٣٥٤.

(٣) عند الواحدي ٣٣٨: في خط ...

(٤) أصل الليطة: قشر القصبه والقوس ونحوهما. اللسان (ليط).

(٥) أي: فالوجه والقياس ...

غير أن الذي تكون ^(١) الابتداء أن المعنى على الفعل، نحو: ولو ألقيتُ في شقِّ رأس قليم. ولا يجوز ذلك ^(٢) في حال الاختيار ^(٣)، ويكون جميع ما يأتي من الأسماء المرفوعة بعد (لو) نحو: "[لو] ذاتُ سوارٍ لَطَمَتْنِي" ^(٤)، محمولاً على الفعل بلا خلاف بين الجميع.

(٨) تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارِشَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ

يقول: إن المحبوبة تحذّرني الهلاك من الإقدام على الحروب، ولا تخوفني ما اختارته لي وأمرتني به، وهو العار!، وأوضح هذا المعنى بقوله: "ولم تدر أن العار شرّ العواقب"، كما قال ^(٥):

وإن الذي خَوَّفَتْنَا مِنْ أَمَانِنَا يُصَادِفُهُ مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَلِّفُ ^(٦).

(٩) وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَمَ مَحْجَلٍ يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ

يقول: لا بدّ من يوم أقتل فيه أعدائي، ثم أصغي بعد انجلاء غبارهِ إلى مَنْ يبكي عليهم ويندبهم؛ فرحاً بذلك وسكوناً إليه. وجعل اليوم أغرماً محجلاً؛ إذ من السعادة قتلُ العداة، وإذا حصلتُ السعودُ فليس إلا البياض والإشراق ^(٧).

(١٠) /يَهُونُ عَلَيَّ مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً وَقَوُعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ

51/ب

يقول: إني لا أحيّد عن مطلوبي لوقوع الرماح والسيوف أمامه، بل يهون عليّ ذلك، وأخوض الحروب حتى أتوصل إلى مُلتَمَسي.

(١) هكذا في الأصل، كأنه يريد: غير أن الذي سهل الابتداء

(٢) أي: أن يقع الاسم مبتدأ بعد لو.

(٣) أي: النشر، أما في الشعر فقد ورد ذلك، وحملوه على الشذوذ، انظر: الجني الداني ٢٨٠، والمغني ٣٥٤، والخزانة ٥٠٨/٨.

(٤) قائله حاتم الطائي، المقتضب ٧٧/٣، والأصول ٢٦٩/١، والجني الداني ٢٧٩، ومجمع الأمثال ١٣٤/٣.

(٥) هو عروة بن الورد، ديوانه ١٠٧ (الملوحي).

(٦) رواية الديوان: (لعلّ الذي ... يصادفه في ...).

(٧) في معجز أحمد ٤٣٣/٢: يقال: (أغرّم محجّل): إذا كان مشهوراً كشهرة الفرس الأغرّم المحجّل.

إذا رمت إهلاك أعدائي فسلّاحهم [لا] يصدني عنه!

(١١) كثيرُ حياة المرء مثل قليلها يزول، وباقى عيشه^(١) مثل ذاهب

"يزول" يحتمل وجهين من الإعراب: أحدهما: أن يكون في موضع رفع. والثاني: أن يكون في موضع نصب. فإن كان مرفوع الموضع، كان على وجهين:

أحدهما: أن يكون خبراً للمبتدأ (الذي هو "كثير حياة المرء")، وكذا "مثل قليلها"، في كل شيء يكون مجزأً^(٢)، كقولهم: هذا حلو حامض، وذاك [أن] في "يزول" فائدة ليست في "مثل قليلها"؛ لأنه يبين أن المماثلة من جهة الانقضاء، وأنه ليس مثل قليلها في كل شيء، كما أن حامضاً فيه فائدة ليست في حلو، وهي أن يعلم أن حلاوته غير تامة، وإنما هي ممتزجة بمحوضة، فكل واحد من الخبرين الثابتين يفيد تخصيصاً، فالمماثلة مخصوصة، كما أن الحلاوة في المسألة كذلك.

والوجه الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، فكأنه قال: كثير حياة المرء مثل قليلها، فتم الكلام، ثم ابتداء فقال: هو يزول، كما يزول القليل، وهذا النحو واسع.

فإن جعلته منصوب الموضع، كان حالاً، كأنه قال: كثير حياة المرء مثل قليلها زائلاً، ألا ترى أنك لو قلت: كثير حياة المرء مثل قليلها في حال زواله كان حسناً جميلاً؟

وقوله: "وباقى عيشه مثل ذاهب" يجوز أن يقدر فيه الهاء، حتى كأنه قال: مثل ذاهبه، ويجوز ألا يقدر.

والمعنى: أن المترقب من العمر كالمُنْقِضِي في أنه لا يملك، كما قال^(٣):

(١) رواية التبيان ١٥٠/١: (وباقى عمره).

(٢) في الأصل (جزأً)، لعله تحريف لما أثبت.

والمراد أن الخبر مأخوذ من مجموع الجزأين، ولا يكون الواحد منهما خبراً قائماً بذاته.

(٣) هو بشار، ديوانه ٦٣/٣.

ترجو غداً، وغداً كحاملةٍ في الحي لا يدرون ما تلبسُ!

وما جاء في الخبر: "إنَّ أَمْسَكَ قَدْ مَضَى، وَغَدٌ لَيْسَ لَكَ، وَإِنَّمَا لَكَ يَوْمُكَ".

(١٢) إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى عَصَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ

إليك: اسمٌ للفعل، كَرُوَيْدٍ، والمعنى: تَنَحَّ.

والمعنى: أني لا أرضى بالعار مخافة الموت، فعل من يرضى بلسع العقارب خوفاً من عضاض الحيات؛ لأجل أن الإنسان إذا كان لا يتخلص من نوع من البلية فحقه أن يركب الخطب الأعظم؛ حتى يقدر على الهلاك، ويحصل له الثناء الجميل، ولا يقال: إنه للصغير من الخطوب انقاد، وصبر عليه عاجزاً.

(١٣) أَتَانِي وَعِيدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ أَعْدُوا لِي السُّودَانَ فِي كَفَرِ عَاقِبِ

"الأدعياء" جمع دعي، وهو الذي ليس له أصل، فكأنه يتصل بكل أحد، فيدعو هذا مرة ويدعو [ذاك] أخرى، فوزنه فعيل، مثل قَصِي، أو وزن رمي.

وصف قومًا قصدوه بمكرهه، وكفى عن المكائد بالسواد؛ لأنه مما لا يتفاءل به.

و"كفر عاقب" موضع^(١).

(١٤) وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ؟

يقول: لو كان ادعائهم أن علياً - عليه السلام - جدُّهم صدقاً، لخفت من إيعادهم، واعتددت بهم، ولكنهم أصحاب قول لا فعل! ثم قال: "فهل في وحدي قولهم غير كاذب؟" على طريق الإنكار، / كأنه قال: أكون قولهم في صدقاً إذا لم تتبين لنا قط حقيقة لأقوالهم؟

١/52

(١) قرية على بحيرة طبرية من أعمال الأردن: معجم البلدان ٥٣٤/٤.

(١٥) إِيَّيْ - نَعْمِرِي - قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ!

يقول: كأن العجائب لا يلحظن أعجب مني^(١)، وهي تتناوب من كل جانب لتشاهدني^(٢).
و"قصد كل عجيبة" مبتدأ، و"إلي" خبر مقدم.

(١٦) بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجَرِّ ذَوَائِبِي وَأَيِّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رِكَائِبِي^(٣)؟

الذوائب: جمع الذؤابة، وهي الجماعة من الناس^(٤).

يقول: ما من بقعة إلا وقد سحبت بها أذيال جيشي مقارعاً، أو وطئتها بقوائم ركابي مسافراً^(٥).

ويكون في "أي مكان"^(٦) الرفع، والنصب أحسن للاستفهام.

(١٧) كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ فَأَثْبَتَ كُورِي^(٧) فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ

يقول: كأن منشأ رحيلي وأخذي في اجتياح البلاد كان من كف الممدوح، فأركبني مواهبه حتى أوصلني إلى كل ناحية؛ إذ من شأنها أن لا تدع صُقعاً إلا وتُلم به.

وهذا تخلص لطيف.

(١) في الأصل (إلا بلحظ أعجبي).

(٢) ومراده أن "يعظم قدر نفسه، ويصف كثرة مصائبه" الفسر ١/٥١٠.

(٣) ويروى (وأية أرض لم تطأها ركابي) النظام ق/٤٠٨.

(٤) هذا المعنى الذي ذكره الشارح - علي بعده - مأخوذ من قولهم: هم ذؤابة قومهم، أي: أشرافهم. (اللسان - ذأب).

ويفهم من عبارات الشراح الآخرين أن المراد بالذؤابة المعنى الظاهر، وهو ما طال من الشعر أو اللباس.
(٥) قال ابن جني: "أي: لم أدع موضعاً من الأرض إلا جولت فيه، إما متغزلاً أو غازياً" الفسر ١/٥١٠، وتابعه الواحدي (٣٢٩)، وصاحب التبيان ١/١٥١، وأوضحه ابن سيده، فقال: "أما جره ذوائبه فكناية عن الغزل والتفتي... وأما وطء ركائبه المكان فكناية عن الغزو" شرح المشكل ١٧٢.

(٦) في الأصل (أي بلاد) سهو.

(٧) الكور: رحل الناقة بأداته. التبيان ١/١٥٢.

(١٨) فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فَنَاءَهُ - وَهَنَّ لَهُ شَرْبٌ - ^(١) وَرُودَ الْمَشَارِبِ

تقدير الكلام: فلم يبقَ خلقٌ لم يردن فناءه ورودَ المشارب، وهَنَّ له شَرْبٌ. "فورود" متعلق "بیردن"، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، والمعنى: ورودَ الناس المشارب.

يعني: أن هذه العطايا ترد فناء كل إنسان، حتى كأن أفنية الناس مشارب لها، وهي بمنزلة الواردين، وهذا بليغ؛ لأن العادة جرت أن يرد الإنسان موضع العطاء، ويطلبه، والمتنبى جعل النائل طالباً للناس، وواصلًا إليهم من غير كلفةٍ وتجشُّم.

وقال أبو تمام ^(٢):

فأضحت عطاياه نوازغَ شُرَدًا تُسائلُ في الآفاق عن كلِّ سائلٍ

وبيت المتنبي أبلغ من هذا؛ لأجل أنه ذكر أنها تردُ جناب كل أحد حتى كأنه مألَّف ومقصدٌ معلومٌ، وأبو تمام ذكر أنها تسألُ وتطلبُ مَنْ يريدها، وأيضاً فإن المتنبي جعل كلَّ أحدٍ محتاجاً إلى عطاياه، وذلك يدل على الجلالة وعظم القدر، ألا تراه قال: إنها تردُ كلَّ أحدٍ؟ ولا تردده إلا وهو يفتقر إليها، ويريدها، وأبو تمام أبهم، فقال: إنها لتطلبُ مَنْ يسألها، وليس يفيد هذا العموم؛ إذ يجوز أن لا يريدها كلُّ أحدٍ.

وأما قوله: "وهنَّ له شَرْبٌ" فإن الهاء في "له" يعود إلى "خلق" في قوله: "لم يبقَ خلق"، أي: إن هذه المواهبَ شَرْبُ ذلك الخلق، وهي مع ذلك تردُ عليه، ومن العجب أن يردَ الشَّرْبُ على الشارب! والمعهود أن الشارب يردُ ويقصدُ الشَّرْبَ.

(١) الشرب، بكسر الشين: النصيب من الماء. معجز أحمد ٢/٤٣٦.

(٢) ديوانه ٧٩/٣، يمدح المعتصم.

(١٩) فَتَى عَلَّمْتَهُ نَفْسَهُ وَجَدُوهُ قِرَاعَ الْأَعَادِي، وَابْتَدَالَ الرَّغَائِبِ

جعلَه كريمَ النفس والأصل جميعاً، وإن أردت الحقيقة فنفسه علمته؛ إذ متابعهُ الأجداد والأسلاف في المعالي لأجل أنَّ نفسه تتوقُّ إلى مذاهبهم، فهي الأصلُ في^(١) التعليم، غيرَ أنه أراد بذلك أنه فعلَ ما كان يفعلُه الآباء، وأبدعَ من عنده أيضاً، وأبرَّ عليهم.

وقريب منه قول البحري^(٢):

وأرى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب

/ لأنه إذا كان كذلك أخذ بمذاهب أسلافه، وطلب الفضل عليهم، وإذا لم يكن له سلفُ كان ما يفعله من عند نفسه، واختراعُ النفس الذي يكون له أصلٌ يُقاس عليه أقوى من اختراع الشيء لا أصلَ له بوجهٍ، فلا يكون الخارجيُّ في فضله وأدبه بمنزلة من ورثَ ذلك عن سلفٍ، وجرى على عرقه.

52/ب

(٢٠) فَقَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ

يقول: إن هذا الممدوح -من إفراط جوده ونواله- قد رغبَ من كان يتعظَّمُ عن الاستمache في أن يسافر إليه مُستميحاً^(٣)، هذا معنى قوله: "فقد غيَّب الشَّهاد عن كل موطن" فاعرفه.

وقريب منه قول البحري^(٤):

كَرُمَ الْأَمِيرُ ابْنَ الْأَمِيرِ فَأَقْبَلَ الْـ مُجْدِي عَلَيْهِ وَهُوَ عَافٍ مَجْتَدٍ

(١) في الأصل (فهي في الأصل في ...).

(٢) ديوانه ٢٤٨/١، يمدح ابن نوبخت.

(٣) في الأصل (مستمحنا) تحريف.

(٤) ديوانه ٥٤٥/١، يمدح يوسف بن محمد.

ومعنى قوله: "وردّ إلى أوطانه كل غائب" أنه أغنى مَنْ كان من شأنه طيُّ الأرض لطلب الثروة، فاستغنى وصار مُستماحاً - مثلاً - كقوله^(١):

يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهِ يَدِهِ اللَّهُ

أي: يصير غنياً، فيُطمع في سماحه. فهذا بيتٌ حسن؛ لأنه جمع المعنيين فيه بأوضح لفظٍ وأحسنِ نظم.

(٢١) كذا الفاطميون، الندى في بنائهم^(٢) أعزّ أمحاء^(٣) من خُطوطِ الرّواجب

يقول: إنّ أناملهم وأصابعهم لا تعرّى من العطاء، ولا يزولُ هو عنها، كما أن الخطوط الكائنة في الرواجب لا تمّحى قط، بل جعل أمحاء الندى من بنائهم أبعدَ وجوداً من ذلك، ألا ترى إلى قوله: "أعزّ؟ وهو من قولك: عزّ الشيء إذا لم يوجد، وكذا إذا قلت: إنه من العزاز، وهو الأرض الصلبة، فيكون بمنزلة قولك: أشدّ أمحاء، والأصل واحد، وهو البعد من الحوز^(٤)، والامتناع من الطالب.

و"الرواجب" جمع راجبة وهي [المفصل]^(٥) في الإصبع.

و"الفاطميون" مبتدأ، و"كذا" خبره. وقوله: "الندى في بنائهم" كلامٌ مقطوعٌ جاء للبيان والإيضاح.

(١) سبق في صفحة: ١٣١.

(٢) في الفسر ٥١٣/١: في أكفهم، وانظر: التبيان ١٥٢/١.

(٣) في معجز أحمد ٤٣٨/٢: وروي (أشدّ أمحاء).

(٤) في الأصل (... المطالب)، لعلهما تحريف لما أثبت.

(٥) مكان هذه الزيادة بياض - في الأصل - بمقدار كلمة أو كلمتين، وما أثبت مستفاد من الفسر ٥١٣/١،

ومعجز أحمد ٤٣٨/٢، والتبيان ١٥٣/١، وزادوا في معنى الرواجب: أنها قصب الأصابع، أو بواطن

مفاصل أصول الأصابع، أو ظهور السلاميات.

(٢٢) أناس إذا لاقوا عدى فكأنما سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب

يقول: إن أسلحة أعدائهم عندهم بمنزلة غبار الخيل السريع في [الخفة]؛ لأنهم لا يعتدون بها، ويمزقونها عليهم؛ شق الغبار.

و"السلاهب" جمع سلهب: وهو السريع^(١)، وإنما خص السرعة لأجل أن الفرس إذا كانت سريعة لم يقو وطء قوائمها الأرض، فلا يلتف الغبار عليه. يدلُّك على ذلك أنهم يشبهون إصابة القوائم بتجلة اليمين، كما قال^(٢):

يُخْفِي التُّرابَ بأُظْلَافِ ثمانية في أربع مَسْهَنَ الأرض تحيل^(٣)

المعنى: أن القوائم لا تتشبَّث بالأرض، وإنما يكون مسها لها كالخطف والفعل السريع، وذلك مقدار أن تحلَّ يمين!

والرواية (يُخْفِي) -بفتح حرف المضارعة- من خَفَى، وهذا أحسن من (يُخْفِي)؛ لأجل أن خَفِيَتْ في كلامهم [ل]ما لا يتضمَّن قوَّة فعل، كقوله^(٤):

وإن تكتموا الداء لا تخفه^(٥)

(١) قال ابن جني: "والسلاهب، جمع سلهب وسلهبة، وهو الطويل والطويلة من الخيل وغيرهما ... وخص السلاهب، لأنها أسرع، فغبارها أدق وألطف" الفسر ١/٥١٣.

(٢) هو عبدة بن الطبيب، شعره ٧١.

(٣) يُخْفِي: يظهر، من قولهم: خَفَى الشيء: إذا ظهر، وخَفِيَتْه أنا: إذا أظهرته وكشفته، وخَفَى البرق، إذا لمع وظهر. أضاء ابن الأنباري ٩٦، واللسان (خفى).

والتحليل: القليل اليسير، كما يحلف الإنسان على الشيء، أن يفعله فيفعل منه اليسير يحل به يمينه.

(٤) ينسب لامرئ القيس بن عابس الكندي، أخبار المراقسة وأشعارهم، مع شرح ديوان امرئ القيس ٣٧٣ (السندوي). ووقع هذا البيت ضمن قصيدة لامرئ القيس بن حجر، ديوانه ١٨٦، وانظر الخلاف في تخريج القصيدة ٤٢٩.

وهذا صديريت، عجزه: وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

(٥) في المصدرين السابقين (فإن تدفنوا).

وكذا قول امرئ القيس^(١):خَفَاهَنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ، كَأَنَّمَا خَفَاهَنَّ وَذُقَّ مِنْ سَحَابٍ مُرْكَبٍ^(٢)

المعنى: أنَّ الفرس من شدة جريه على الأرض، قد أفرغ الفأرحى خرجت من أنفاقها (وهي الجحرة، واحدها نفق) حتى كأنَّ مطراً جاءها؛ لأنه إذا نزل القطر في أجحارها برزت منها. / فهذا وإن كان فيه قوةٌ من حيث إن قوائمه تطاء الأرض فإن القوة لا تتعلق بالفعل الذي هو "خفاهن"؛ لأجل أن الذي أظهرها هو خوفها من حفيف جريه، وذاك ليس يتعلق بجارحة. وهذا بمنزلة أن تقول: أقرزيت في الضرب، فلا بدَّ [من] كون الفعل الذي هو الضرب قوياً، على أن الفعل الذي هو الإقرار قويّاً أيضاً.

وقالوا: المُخْتَفِي لِلنَّبَاش^(٣)؛ لأجل أن [له] قويٌّ يكون [ب]الجوارح، فزادوا المعنى بزيادة اللفظ، كما قالوا: قَطَعَ وَقَطَعَ، فكان معنى المضعف أشدَّ من معنى غير المضعف، وهذا هو الأصل في كلامهم، وكانوا لا يراعون ذلك في بعض المواضع.

وإذا كان خفيت لا نقاً بالأضعف وجب أن يكون فتح الياء أحسن؛ لأنه يقصد خفة الفعل^(٤)، وأن قوائمه لا تتعب لسرعة التأثير. ومثل ذا مثل^(٥) السيف المشحوذ؛ لأنَّ الضرب به يخفُّ على صاحبه، ويجري مجرى الفعل الخفيف. فاعرفه.

(١) ديوانه ٥١.

(٢) الودق: المطر، والمركب: الكثيف الثقيل. ورواية الديوان (من عَشْيٍ مُجَلَّبٍ)، وأشار محققه إلى رواية (سحابٍ مُرْكَبٍ).

(٣) وهو الذي ينش القبور، ويأخذ الأكفان. الصحاح (خفا).

(٤) في الأصل (القول) تحريف.

(٥) في الأصل (ومثل ذا مثل مثل السيف) تكرار، أو تحريف عن (... فعل السيف) أو (سل السيف).

(٢٣) رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسْيَ فَجَنَّتْهَا — دَوَامِي الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ^(١)

يقول: أقبلوا بنواصيها على القسي، وجعلوها بإزائها، حتى كأنهم يزجون القسي بها. وهذا كما تقول: رمى السيوف بنفسه.

ومعنى "فجننتها": بلغتها^(٢)، ووقف بإزائها.

"دوامي الهوادي" أي: الأعناق.

و"سالمات الجوانب" أي: الأعطاف.

والغرض أنها لم تُعَرِّد^(٣)، ولم تُحْد، فتُجرح جوانبها، وإنما جُرحت أعناقها؛ لإصرارها على الإقدام، كما قال^(٤):

فليست على الأعقاب تَدْمَى كُلُّوْمُنَا — ولكن على أقدامنا يَقْطُرُ الدِّمَاءُ^(٥)

وهذا مدح لهم؛ لأجل أن خيولهم إنما ثبتت مقبلةً على الرمي إذ ثبتوا هم، فكأنه دلّ على أنها قد تعودت المصاع^(٦) والقراع، فلا تنفثل عن السهام، فتصيبها الجراحات في الأعجاز. وإنما تتعود الخيل ذلك بأن يعوِّدها أصحابها. وهذا يُعَيِّرُ وجهَ عنترَةَ!:

فازور من وقع القنا بلبانه — وشكا إلي بعبرة وتحمحم^(٧)

(١) في معجز أحمد ٤٣٩/٢: (وروي: سائلات الجوانب، أي: بالعرق)، ولا يخفى أنها توهن المعنى.

(٢) في الأصل (بالنفس بها)، لعله تحريف لما أثبت.

(٣) التعريد: الهرب والفرار. الصحاح (عرد).

(٤) هو الحصين بن الحمام المري، شعره: ١١٥، مجلة المورد، م/١٧، ع/٣.

(٥) في شعر الحصين: (فلسنا) بدل (فليست). والدماء هو الدم، جاء على لغة القصر.

(٦) المصاع: الضرب بالسيف. الصحاح (مصع).

(٧) من معلقته المشهورة، ديوانه ٢١٧ بشرح الأعلام.

لأجل أنها لو كانت ^(١) معودة لما شككت، ولما جَنَحَتْ. والمتنبى لم يثبت لها ميلاً ^(٢) بوجه، ألا تراه جعلها سالماً الجوانب، وذلك لا يتأتى إلا بانتفاء الأزوار.

و"دوامي" منصوب على الحال، وأُسكن للشعر.

وقال آخر ^(٣): قَرَحَى الصدور سِوَالَمَ الأكفالي.

(٢٤) أَوْلَيْكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَا [دة] وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهورِ الشَّبَابِ ^(٤)!

(٢٥) نَصَرْتُ عَلِيًّا - يَا ابْنَهُ - بِبَوَاتِرٍ مِنْ الْفَعْلِ لَا قُلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ ^(٥)

المعنى على وجهين:

أحدهما: أن يريد: أنك تعاطيت من الفعال الجميل والمكارم العجيبة ما دلّ على شرف جدك أمير المؤمنين علي - عليه السلام - كقولهم: "إن العروق عليها تنبت الشجر" ^(٦)، فكرم الفعل دليل على كرم الأصل، وإذا أظهرت جلالة قدره، وأحييت محاسنه، كنت ناصراً أو معيناً له على الحقيقة.

والوجه الثاني: أن يكون معنى "نصرت" على أصله: وهو الميل، كقولهم: نصرت المكان إذا أتيتَه، قال ^(٧):

(١) أي: فرس عنتره، ولا يخفى أن عنتره يصف جواده الأدهم!

(٢) في الأصل (مثلاً) تصحيف.

(٣) بلا نسبة - مع بيت آخر - في الفسر ١/٥١٦، وشرح الواحدي ٣٣٠، ٣٣١، والتبيان ١/١٥٤، والأشباه والنظائر للخالدين ٢/٣٦١. وهذا عجز بيت صدره:

فجزتك صبراً في الوغى حتى انشنت

(٤) الشبائب: جمع شبيبة. يقول: إنهم في القلوب أحلى موقعاً من الحياة التي عادت بعد فقدانها، وإن ذكرهم على الألسنة أكثر وأحسن من ذكر أيام الشباب. شرح الواحدي ٣٣١، ومعجز أحمد ٢/٤٣٩.

(٥) في الأصل (في مضارب) خلافاً لما في المصادر.

(٦) المستقصى ١/٤٠٨، والموازنة ١/٣٥٤، (الخانجي).

(٧) هو الراعي: ديوانه ١٣٣.

إذا دخل^(١) الشهر الحرام فودّعي بلاد تميم، وانصري أرض عامر

أي: اجنحي إليها. وكذا النصرة؛ لأنك تميل [مع] من تميل إليه. فكأنه قال: إنك ملت إليه / بمشابهتك له في أفعالك ومذاهبك. وهذا أولى؛ لأجل أنه يكون جعل الممدوح تابعاً لجده^(٢).

وفي الأول إغراق ما؛ لأنه جعله معيناً^(٣) له، ومنوّهاً بذكره، وليس في ذلك متابعة وافتخار بمكانه، بل هو إشارة إلى أنه فخرٌ لجده!

وقوله: "لا فلّ لها في المضارب" بمعنى أنها غير ناقصة، وأن أحداً لا يقدر على معارضتها وفلّها بمثلها كما يُفلّ السيف بالسيف.

(٢٦) وَأَبْهَرِ آيَاتِ التَّهَامِيِّ أَنَّهُ^(٤) أَبُوكَ، وإحدى^(٥) ما لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ

يعني "بالتهامي"^(٦) النبي صلى الله عليه وسلم. يقول: إنك فخرٌ له، وكونه أباً لك إحدى فضائلك!

(١) رواية الديوان (انسلخ).

(٢) في الأصل (لجذك)!

(٣) في الأصل (معياً) تحريف.

(٤) وروي: وأكبر آيات التهامي آية أبوك ...

"يعني بقوله: "أبوك" عليّاً رضي الله عنه، وكان آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم". الفتح

على أبي الفتح لابن فورجة ٢٧٩، وشرح الواحدي ٣٣٢، وشرح الكندي ٣٥٧، والتبيان ١٥٥/١.

(٥) في الأصل (وأجدي) بالجيم، هذه رواية الواحدي ٣٣١، والتبيان ١٥٤/١. ورواية الآخرين (إحدى)

بالحاء. وفي كلام الشارح ما يدل على أن روايته بالحاء - وهي رواية الجمهور - فلعل الناسخ كتبها

بالجيم تصحيحاً.

(٦) نسبة إلى تهامة، وهي ما انحدر من أرض الجزيرة نحو البحر الأحمر، واختلف في تحديدها، وقد عدوا

مكة من أرض تهامة. معجم البلدان ٧٤/٢.

فأقول: قَبَّحَ اللهُ وَجَهَ مثله، فقد ألبس هذا الرجل من المدح ما غَسَّلَهُ بماء الشرف والمعالي، ثم كَرَّرَ عليه بما غَمَسَهُ في بحر المخازي! وَحَقُّ لِمَن يَقصد المدح بمثل هذا أَنْ يُنشد فيه قَوْلُهُ^(١):

وَالشَّعْرُ لَا يَسْتَطِيعُهُ^(٢) مَنْ يَظْلِمُهُ

يُرِيدُ أَنْ يَعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ^(٣)

والعجبُ أَنَّهُ لم يقنعه جعله فخرَ النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قال: إنه إحدى مناقبَ لكم، وقال: "التهامي" كما يقال في الرجل المجهول! ومثل هذا مثل^(٤) من يقول عكس قولنا: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ البرية، ومن قال ذلك فقد خالف قول الله عزَّ وجلَّ! وما هذه إلا صفة المُلجِد! ولو يُخَلَّص قصيدته من وصمة هذا البيت الذي قَدَّ أديمه من جِلدة الشقاوة، وتناول معناه من يد الضَّعة والخساسة، لكانت مقدَّمةً في حلبة المراهنة، ومحكوماً [لها] بالغَلَب في ميدان المسابقة، لكن بسببه عَفَى على محاسنها تَعْفِيَةَ السيل لوشي الأقدام^(٥)!.

ولولا أَنَّ امرأَ القيس يُفسِّرُ شعره، ويُدرس مع كفره، لكان كُلُّ مسلم جديراً بأن يعرض عن كلام هذا الرجل لأجل هذا البيت الواحد!.

(١) ينسب هذا الرجز للحطيئة، ديوانه ٢٩١ (الحاشية)، وينسب لرؤبة، ملحقات ديوانه (مجموع أشعار العرب) ١٨٦.

(٢) في الأصل (لا يستطيعه) ولا يستقيم به الوزن.

(٣) بعده في الأصل (والمدح لا يستطيعه) وضرب عليه بالأسود، ولا مكان له في السياق.

(٤) (مثل) الثانية أضيفت بخط دقيق، والسياق لا يقتضيها كل الاقتضاء.

(٥) قال ابن جني: "قد أكثر الناس القول في هذا البيت، وهو في الجملة شنيع الظاهر، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعاً، فأضربت عن ذكره، ومع ذلك فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعور داءته؛ لأن كلاماً منفرداً من صاحبه" الفسر ١/٥٩٦. وقد دافع أبو الفضل العروضي عن بيت المتنبي هذا، وقال: "هذا بيت حسن المعنى، مستقيم اللفظ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في شعره لم أبعد عن الصواب، ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه..." ثم اعتذر له باعتذار طويل، انظره في شرح الواحدي ٣٣١، والتبيان ١/١٥٤، ١٥٥.

وحكى شيخنا - رحمه الله - عن الشيخ أبي علي: أن المتنبي كان ينشد قول الشاعر^(١):

فلا لغو ولا تأثيمَ فيها وما فاهوا به لهم مقيم

ويقول: إن لفظ القرآن قد جاء في الشعر، وأنتم تقولون: إنه لا نظير له! قال: وكان يتلأحد. وهذا البيت الذي أفضنا فيه يقرر ذلك، ويؤكد^(٢)، وليس يصدر مثله عن صدر مؤمن، ولا يشبهه، ألا تراه شربها من منهل الكفر؟! على أن العقائد لا يتوصل إلى حقائقها^(٣).

هذا، وهو كثير القصد للهزة^(٤)، والشاعر عادثه التهور، ولكن هذا عظيم الصناعة!

وقد نعى الناس على أبي نواس قوله^(٥):

كيف لا يدينك من أمل [مَنْ] رسول الله من نفره؟!

واستهجنوه؛ لأجل أنه أضاف رسول الله ﷺ، وقالوا: الواجب أن يضاف إليه ﷺ، لا أن يُضاف إلى غيره؛ إذ فخر العالم به^(٦). وبينه وبين المتنبي ما بين العيوق ووجه الثرى؛ لأنه جعل كون رسول الله ﷺ أباً له أبهر آياته، ثم جعل ذلك واحدة من مفاخره^(٧)،

(١) هو أمية بن أبي الصلت، وهذا البيت ملحق من بيتين، أحدهما:

وفيهالحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم

وبعده بأبيات:

ولا لغو ولا تأثيمَ فيها ولا غول ولا فيها مليم

ديوانه ٤٧٥، ٤٧٧.

(٢) في الأصل (ويؤكد).

(٣) لأن القول قد يكون كفراً، وصاحبه ليس بكافر، لأنه لا يعتقده، أو لأنه جاهل، أو لغير ذلك.

(٤) هذا هو الوجه الذي يميل إليه الشارح في تفسير هذا البيت، وسيؤكد بعد صفحات (انظر: ٥٤٥).

(٥) ديوانه ٤٣٠ (الغزالي)، يمدح العباس بن عبيد الله.

(٦) هذا قول المبرد في الكامل ٥٢٨/٢.

(٧) ما بين القوسين ورد هكذا: (لأن جعل كون رسول الله ﷺ، ثم جعل ذلك، أبهر آياته، وجعل كون النبي عليه السلام أباً له، واحدة من مفاخره) تكرار وخطأ!

وأيضاً فإن بيت أبي نواس، لو حُقِّقَ لم يقبح؛ لأنه كقولك: كفى فخراً لقرشي أن النبي ﷺ منهم، وقد تقول: كفاك فخراً أن رسول الله شفيعك يوم القيامة؛ لأن الغرض الافتخار والانتهاء، وهذا طريقة غير منكرة، وإنما القُبْحُ في اللفظ، وهو أنه قال: "من نضره" كما نقول: فلان من قبيلة كذا؛ لأن العبارة مستعملة فيمن يكون تابعاً، وإنما الواجب أن يقال: من هو من نضر رسول الله ﷺ. وشبَّهَ [هـ] أبو العباس^(١) بقول حسان^(٢):

وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ دعائهم عزلاً يُنال^(٣) ومفخر
بهايل^(٤)، منهم جعفر، وابن أميه علي، ومنهم أحمد المتخير

لأنه قال: "منهم"، كما قال أبو نواس: "من نضره"، غير أن بيت حسان أشْفُ^(٥) قليلاً؛ لأنه قصد أن يذكر فضل القبيلة، فقال: منهم فلان، وفلان، وأبو نواس قصد أن يذكر فضل واحد، والواحد يمكن إضافته، وهو أن يقول: من هو من نضر رسول الله ﷺ. فاعرفه.

وأما تقديم حسان لجعفر على رسول الله ﷺ فليس يحتمل القدح^(٦)؛ لقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٧) وقوله: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(٨) وقوله: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٩)؛ وذلك أن الواو لا يدل على الترتيب، فكما أن ذكر الكافر -مقدماً على ذكر المؤمن- غير معتد به في الحقيقة، كذلك يكون تقديم حسان لجعفر

(١) انظر: الكامل ٥٢٩/٢.

(٢) ديوانه رضي الله عنه ٩٨/١، ٩٩ (وليد عرفات).

(٣) في الديوان (لا يزول)، وفي الكامل (لا ترام).

(٤) بهايل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. القاموس (بهل).

(٥) أي: أفضل وأحسن.

(٦) في الأصل (... نفر من رسول الله ...).

(٧) وانظر: الكامل ٥٢٩/٢.

(٨) سورة التغابن: ٢.

(٩) سورة الرحمن: ٣٣.

(١٠) سورة آل عمران: ٤٣.

وعلياً غير مقدوح فيه؛ لأن الغرض في الواو الجمع، لا الترتيب، فذكر رسول الله ﷺ مقدّم في النية.

(٢٧) إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ^(١) كَأَصْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي كِرَامَ الْمَنَاصِبِ؟

يقول: الإنسان إذا لم يُخلق كريماً في نفسه لم ينفعه كرم آبائه وأجداده؛ لأن ذلك لا يكمل إلا بهذا، ومثله مثل غصن يابس على أصلٍ مورقٍ نضير. وقال^(٢):

وَإِنِّي إِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدٍ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْذَبِ^(٣)
فَمَا سَوَّدْتَنِي عَامِرٌ عَنْ قَرَابَةٍ أَبِي [اللَّهِ] أَنْ أَسْمُو بَأَمٌ وَلَا أَبِ^(٤)
وَلَكِنِّي أَحْمِي حِمَاها، وَأَتَّقِي أَذَاهَا، وَأَرْمِي مِنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ^(٥)

وعكس هذا محمودٌ على كل حال، وهو أن يكرم الفرع مع لؤم الأصل، وإذا كان كذلك قلماً يكمل، كما قال البحري^(٦):

وَأَرَى التَّكْرُمَ فِي الرِّجَالِ تَكَارُماً^(٧) مَا لَمْ يَكُنْ بِمَنَاسِبٍ وَمَنَاصِبِ

(١) النسب: ذو النسب الشريف. الفسر ١/٤٦٠٣.

(٢) هو عامر بن الطفيل، ديوانه ٣٠-٣١، ١٧٥-١٧٦. (طريفي).

(٣) في السر منها: أي في أكرم موضع من نسبها وشرفها، من سرا الوادي وهو أكرم موضع فيه. والصريح المهذب: الخالص النقي من العيوب. رغبة الأمل ٢/١٧٦.

(٤) سبق هذا البيت في صفحة: ٣٥٧، بلفظ (فما سودوني ... عن وراثته).

(٥) المقنب: الجماعة من الخيل والفرسان.

(٦) ديوانه ١/١٦١.

(٧) في الأصل (كرامة) وصححت في الحاشية بما يوافق الديوان.

والتكريم: هو تكلف الكرم والتظاهر به.

(٢٨) وَمَا قَرِبتُ أَشْبَاهَ قَوْمِ أَبَاعِدٍ وَلَا بُعَدْتُ أَشْبَاهَ قَوْمِ أَقَارِبِ

يقول: لو كان ذلك ^(١) متعلقاً بالنسب لوجب أن لا يقارب الرجل صاحبه البعيد منه نسباً في خلائقه وطرقه، وأن لا يفارق الواحد أقاربه، إما في اللؤم وإما في الكرم.

ونظم هذا البيت لا يليق بما قبله، فكأنه حذف جملةً، فالتقدير: لولا [أن] الأمر على ما ذكرتُ لما وُجد التفاوتُ، وما قريتُ أشباه قوم

وقد يُحذف نحوذا كثيراً من الكلام؛ إذا دلّ الدليل عليه، كقوله عز وجل: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ^(٢). قالوا: التقدير: فيعلمان فيتعلمون ^(٣)، فحذف؛ لأن الحال يدلّ عليه؛ إذ لا يُقدر على التعلم ^(٤) إلا بعد التعليم. وكقول رؤية ^(٥):

كالشمس، إلا أن تمدّ الإصبع.

المعنى: لا تدرك منها إلا مقدار أن تمدّ، فتقول: ها هي الشمس.

(٢٩) إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ ^(١)

(٣٠) يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ؟

(١) أي: كرم النفس.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/١٨٥، ومشكل إعراب القرآن للقيسي ١/٦٤، والبيان لابن الأنباري ١١٤/١. وذكرها أوجهاً أخرى.

(٤) في الأصل (على التعليم إلا بعد التعليم).

(٥) البيت من أرجوزة طويلة في ديوانه (مجموع أشعار العرب) ٩٣، يتمدح بقبيلة تميم.

(٦) قال الواحدي (٣٣٢): "يعني بالنواصب الخوارج، الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: إذا لم يكن العلوي تقياً ورعاً مثل طاهر كان حجة لأعداء علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه".

54/ب كأنه جعله مالكا للكواكب، حتى كأنه يؤثر فيها^(١). ويجوز أن يريد أن الكواكب تخجل من نور وجهه، / فيؤثر ذلك فيها، وأنه يفيض من العطاء ما لا يكون من الأنواء؛ لأن [لـ] جميع هذه الأشياء تأثيراً فيها، وقد تقدّم نظائرها^(٢).

وقوله: "تأثيره في الكواكب" جملة في موضع الحال، حتى كأنه قال: فما باله مؤثراً في الكواكب.

(٣١) عَلَا (٣) كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بَرَاقِبِ

ركب منكب الدنيا، وذلكها، فهي تفضي به إلى كل غاية يقصدها. والمقصود أنه يملك ناصية الدنيا، فيتصرف فيها كيف شاء!
والكتد^(٤): ما بين الكاهل^(٥) والظهر.

(١) هذا المعنى تدور حوله عبارة أكثر الشراح، انظر: الفسر ١/٥٢٢، وشرح الواحدي ٣٣٢، ومعجز أحمد ٤٤١/٢، والتبيان ١/١٥٧.

وقال ابن فورجة: "تأثيره في الكواكب أنه يثير الغبار بجيوشه حتى يحجب الشمس، فتظهر الكواكب. الفتح على أبي الفتح: ٦٣.

وقال ابن سيده: "أثر فيها باعتلائه عليها... يذهب إلى تكذيب المنجمين فيقع في ما هو أوحش وأفحش من قولهم، وهو قوله: "إن هذا الممدوح أثر في النجوم بفضلها عليها!". شرح المشكل ١٧٦.
(٢) انظر صفحة: ١٩١.

(٣) في الفسر ١/٥٢٣، والتبيان ١/١٥٧، وشرح الكندي ٣٥٨ والديوان ٢١١: (على) قال صاحب التبيان: "من روى (علا) فعلاً ماضياً، نصب به (كتد الدنيا) ومن خفض (كتد) بعلی الجارة، فهي متعلقة بمحذوف، تقديره: ركب على كتد".

(٤) قال ابن جني (١/٥٢٣): "الكتد والكتيد، لغتان، وهو أصل العنق، ويقال: هو مجتمع رؤوس الكتفين من الفرس".

(٥) يرى الأصمعي أن الكاهل هو الكتد، وهو موصل الظهر في العنق. خلق الإنسان (الكنز اللغوي ٢١٠).

(٣٢) وَحَقُّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُدْرِكَ مَا لَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبٍ!

يقول: إنه خَلِيقٌ بأن يحوزَ في الدَّعة من المكارم ما يفوتُ به الناس، وأن تأتيه المفاخرُ من غير أن يطلبها.

(٣٣) وَيُخَذِّي عَرَانِينَ الْمُلُوكِ، وَإِنَّهَا لَمِنْ قَدَمَيْهِ فِي أَجَلِّ الْمَرَاتِبِ!!

"يخذي": تجعل له حذاء، ثم قال: إِنَّ مَسَّ قدميه أَنافَهُم شَرَفٌ لهم وفخر، فهم في قدميه في أعلى مراتبهم!.

(٣٤) يَدٌ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

يقول: إِنَّ جمع الزمان بين الممدوح وبينني يدٌ عندي؛ لأنه فَرَّقَ بيني وبين الحوادث والبلايا، إما لأنها خائفةٌ فلم تتجاسرْ على مخالفتي^(١) وملابستي بعد اتصالي به وتمسكي بخدمته، وإما لأنني كنتُ مفتقراً فأعطاني من المال ما حسرتُ به البلاءَ عني. وهو من قول أبي تمام^(٢):

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا ذُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

(٣٥) هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ وَشَبَّهَهُمَا. شَبَّهَتْ بَعْدَ التَّجَارِبِ

"هو" مبتدأ، و"ابن رسول" خبره، و"ابن وصيه" معطوف على الخبر، وكذا "شَبَّهَهُمَا" فهذا كلامٌ تامٌّ، ثم ابتداءً: "شَبَّهَتْ بعد التجارب"، أي إنما قلتُ: إنه جارٍ على سننهما بعد أن سبرته وخبرته، ولم أطلق هذا القول عن غير علم.

(١) أي لاتخالفني في شيء أريده. وأخشى أن تكون هذه الكلمة محرفةً عن (مخالطتي) بدلالة قوله بعدها: (وملابستي).

(٢) ديوانه ٢٠٣/١

فهذا مدحٌ، وأنى يليق بالبيت الذي تقدم^(١)! وما أظنه قال ذلك إلا هزواً بالمدوح،
كما قال لكافور^(٢):

.. بشمس منيرة سوداء

ولو كان ذلك مدحاً، لكان قولك لحارس عامي: أفقه من الشافعي وأبي حنيفة،
وأنجي من سيبويه والخليل مدحاً أيضاً!!

(٣٦) يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبٍ

قوله: "أن" فيه ضمير الأمر، وحُذف كما حُذف في بيت الكتاب^(٣):

إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بَنَاتٍ حَسَا نَأْلَمُهُ وَأَعْصِيهِ فِي الْخَطُوبِ

التقدير: إنه من لام؛ لأجل أن الشرط والجزاء لا يقعان إلا في صدر الكلام، فلو لم
يقدر إن[له] لوجب أن يكون "مَنْ" اسم "إن"، وإذا كان اسمه لم يكن مرفوعاً بالابتداء،
وذلك لا يجوز، وإذا قدرت الهاء للأمر والشأن كان^(٤) اسم "إن"، وكان "من لام" مبتدأً
مستأنفاً. كما أن (أبوه) في قوله: إِنَّ زَيْدًا أَبَوْهُ يُطْلَقُ - كذلك.

والتقدير: أن[له] ما [ما] بان منك، و"ما" الأولى نافية، والثانية موصولة، فكأنه قال:
يرى أنه ما الشيء الذي بان منك لضارب بأقتل من الشيء الذي بان^(٥) منك لعائب.

(١) يعني قوله: وأبهر آيات التهامي... الذي مرقبياً.

(٢) تقدم في صفحة: ٢٩٤، والبيت بتمامه:

يفضخ الشمس كلما ذرت الشمس — سس بشمس منيرة سوداء!

(٣) الكتاب ٧٢/٣، وهو للأعشى، الصبح المنير: ٢١٩، وروايته: (من يلمني على بني ابنة حسان... ولا
شاهد فيها).

(٤) أي: الهاء.

(٥) (الذي بان) سقط من المتن، وكتب في الحاشية بخط دقيق مخالف.

ومعنى "بان": ظهر.

أ/55

يريد: إن لم يظهر لمن يضرب بالسيف في المحاربة موضع منك يمكنه انتهاز الفرصة فيه، وكذا لم يظهر للعائب وللقادح موضع يقدر على أن يقدح فيه.

وإذا كان من رأي الممدوح أن قدرة الضارب عليك ليست بأقتل من قدرة العائب - كان تجنبه لمكان العيب أشد من تجنبه لمكان الضرب، وذلك أن كَلَمَ السنان يؤسَى فيزول، وجرح اللسان لا يزول، كما قال هو^(١):

والعارُ يبقى، والجرح يلتئم

وقال: "منك" ولم يقل: منه؛ لأنه لا^(٢) يحب أن يضيف العيب إلى الممدوح بوجه، فغير العبارة، وجودها.

ونحوه أن تقول: أرى أن الرجل إذا عيب فذاك شر من أن يجرح، فتدل بذلك على أنك تستعظم العيب.

وقد يوجد في بعض النسخ، "يرى ... ما ما بان منه"^(٣)، وليس يحسنُ حُسْنَ الأول؛ لما ذكرتُ أن فيه إطلاقاً لفظ العيب في الظاهر، وأن لا يكون ذاك في اللفظ أمدح. فهو في الاحتراز قريب من قوله^(٤):

ولجذت حتى كدت تبخل....

(١) الديوان ٨٦، وصدره:

هم لأموالهم، ولسن لهم

يذم البخلاء والئام، فيقول: هم عبيد لأموالهم، وليست هي خاضعة لهم.

(٢) (لا) أضيفت بخط دقيق.

(٣) أشار إلى هذه الرواية ابن المستوفي في النظام ق/ ٤١٧، وذكر روايات أخرى.

(٤) سبق في صفحة: ٢٥١، وهو بتمامه:

ولجذت حتى كدت تبخل حانلاً للمنتهى، ومن السرور بكاء

(٣٧) أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَارَهُ^(١) تَعَزَّرَ، فَهَذَا فِعْلُهُ بِالْكَتَائِبِ

نادى المفقود على المجاز، كما يُنادى الميت، ألا ترى إلى قوله: "أباره" من البور؟!

ويجوز أن يكون نادى الموجود، ويكون المعنى في "أباره" أنه قرّقه، وبدّده في الناس، فهو موجودٌ عندهم.

ثم قال: "تعزّر" أي: لا تجزع؛ فإنه كذا يفعل بالجيوش، أي: يبدّدها، ويهلكها. فالبناء^(٢) على قولهم: "التكلى تحبُّ التكلّى"^(٣).

(٣٨) لَعَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤَادَهُ عَنِ الْجُودِ، أَوْ كَثُرَتْ جِيْشَ مُحَارِبِ

لعلك في يوم صرفت قلبه عن الجود، بأن حَسُنْتَ في عينه، أو قوّيت أعداءه، فأراد الانتقام منك، فأخذ في إهلاكك.

(٣٩) حَمَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الْحَبِجِي سَقِي الرِّيَاضِ السَّحَابِ

شبه القسيده بالروضة، وجعل العقل ساقياً؛ لأنه يُسْتَنْبَطُ منه، وهو الذي يلبسها الجمال والكمال.

(١) في الأصل (أباهه) بالذال، ويبدو أنه وهم من الناسخ؛ لأن في كلام الشارح ما يدل على أن روايته (أباره) بالراء، وهي رواية ابن جني ٥٢٦/١، والكندي ٣٥٩، وأشار إليها صاحب معجز أحمد ٤٤٣/٢.

أما (أباهه) بالذال، فهي رواية الأكثرين.

(٢) أي: بناء المعنى.

(٣) مجمع الأمثال ٢٧٠/١، واللسان (نشد).

وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، وهو قبيحٌ بالقياس جدًّا، [قليلٌ] في الاستعمال^(١)، وأنشد بعضهم^(٢):

فَرَجَّجْتُهَا بِمَرْجَّةٍ^(٣) رَجَّ الْقُلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ^(٤)

وقد أنكر بعض النحويين^(٥)، وردَّ قراءة ابن عامر^(٦): ﴿[قَتَلَ] أَوْلَدِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾^(٧)، وفي اقتضاء^(٨) ذلك طول.

(٤٠) فَحَيَّيْتُ^(٩) خَيْرَ ابْنٍ لَخَيْرِ أَبٍ بِهَا أَشْرَفَ بَيْتٍ فِي لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ

"خير ابن" نُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِ^(١٠)، و"أشرف بيت" بَدَلٌ مِنْ "خَيْرِ أَبٍ"، وَكَرَّارِ الْعَامِلِ عَلَى الْعَادَةِ.

(١) اتفق النحاة على أنه يجوز للشاعر أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف أو بالجار والمجرور، أما الفصل بغيرهما فقد منعه البصريون واستقبحوه، وأجازه الكوفيون؛ لضرورة الشعر. انظر: ضرورة الشعر ١٧٨-١٨١، والإنصاف في مسائل الخلاف ٤٢٧/٢، والخزانة ٤١٤/٤-٤١٨.

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ٣٥٨/١، ومجالس ثعلب ١٢٥/١، والخصائص ٤٠٦/٢، والإنصاف ٤٢٧/٢، والفسر ٥٢٨/١.

(٣) رواية معاني القرآن، ومجالس ثعلب، والفسر: (فزججتها متمكناً).

(٤) الزج: هو الطعن والدفع. والمزجة -بكسر الميم-: حديدة كالرمح يطعن بها. ويفتح الميم: الموضع الذي يزج فيه. والقلوص: الناقة الشابة.

(٥) هذا الإنكار ينسب للبصريين، ضرورة الشعر ١٨١، والإنصاف ٤٣٦/٢، وأنكرها الفراء من الكوفيين، معاني القرآن ٣٥٧/١، ٨١/٢، وأنكرها الزمخشري، الكشاف ٤٢/٢. وانظر ما ردَّ به أبو حيان على هؤلاء في البحر المحيط ٢٣١/٤، ٢٣٢.

(٦) السبعة ٢٧٠.

(٧) سورة الأنعام: ١٣٧.

(٨) في الأصل (اقتصار).

(٩) ويروى (فَحَيَّيْتُ)، شرح الواحدي ٣٣٤، ومعجز أحمد ٤٤٤/٢، والديوان ٢١٢.

(١٠) وعلى الرواية الأخرى يكون منصوبًا على النداء.

(١٦)

(١) *لَعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحْيَرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عَجَابٍ

(٢) حِمَالَةٌ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى السَّحَابِ!

السحاب الأول: هو سحابُ السماء، والثاني: الممدوح، والوجه أن يقال: (على سحاب)، بغير اللام؛ حتى يكون مشاكلاً لقوله: "على حُسَام" (٢).

و"حمالة (٣) ذا الحسام" خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل له: ما هذا الحظُّ؟ أو ما هذا الأمر العجيب؟ قال: هو موقعُ حمالةِ ذا الحسام. ثم حذف المضاف، /يدلّ على ذلك أن تعجبه ليس من الحمالة على الإطلاق، وإنما من كونها على الممدوح؛ إذ كل واحدٍ منهما حسام، ولذا قال: "وموقع ذا السحاب".

ب/55

وقريب من معنى قوله: "وموقع ذا السحاب على السحاب" ما حُدِّثَ من أن أبا بكرٍ العلاف (٤) -وهو رجل من الأدباء- صاحبُ الموفق (٥) في هودجه، فقال له الموفق: قد فُتِحَ أبوابُ السماء بالمطر، أما ترى الغيثَ قد تدفق؟ فقال أبو بكرٍ: كأنه راحةُ الموفق! وهذا توفيق عجيب.

(١) * قال هذه الأبيات يخاطب سيف الدولة، وهو سائر يريد الرقة، وقد اشتد المطر بمكان يعرف بالثديين. الفسر ١/١٧٩، شرح الواحدي ٤٣٤، والتبيان ١/٤٦.

(٢) هذا نصّ على أنّ رواية الشّارح (السّحاب) بالألف واللام، وفي بقية الشروح والديوان (سحاب).

(٣) الحمالة: ما يحمل به السيف.

(٤) هو أبو بكر الحسن بن علي النهرواني، المعروف بابن العلاف، شاعر مجيد، عاش في بغداد، ونادم المعتضد بالله. توفي سنة ٣١٨ هـ.

وفيات الأعيان ١٠٧/٢، ونكت الهميان ١٣٩، وطبقات ابن المعتز ٣٥٨.

(٥) الموفق العباسي، طلحة بن جعفر (المتوكل)، أمير حازم شجاع، لم يتولّ الخلافة، وله اهتمام بالأدب والأنساب، توفي سنة ٢٧٨ هـ.

تاريخ بغداد ١٢٧/٢، والكامل لابن الأثير ٧/٤١-٤٤١.

ومثل ما روي من أن ابن المعتز رأى امرأة في الطريق، فقال: ما وقوف الغزال وسط الطريق؟! فقالت: طمعا في صديقة أو صديق!

وحكى^(١) شيخنا -رحمه الله- أن الحارث بن حلزة اليشكري قال له امرؤ القيس: تعال حتى أقول أنصاف أبيات^(٢) وتكملها أنت، فقال امرؤ القيس:

أحار أريك برقاً هبَّ وهناً^(٣)

فقال الحارث: كنار مجوس تستعراستعاراً

فقال امرؤ القيس: أرقبتُ له ونام أبو شريح

فقال الحارث: إذا ما قلتُ قد هدأ استطاراً

فقال امرؤ القيس: كأن هديره^(٤) بوراء غيث^(٥)

فقال الحارث: عشارُ ولَّه^(٦) لاقت عشاراً

(١) هذه الحكاية في ديوان امرؤ القيس ١٤٧، وإعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٥٤)، والعمدة ٣٦٨/١، ومعجم البلدان ٢٥٢/١. وأشار إليها عبد القاهر في رسالته الشافية (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ١١٨).

(٢) في الأصل (أنصاف بيت).

(٣) رواية المصادر السابقة -ما عدا الشافية- (أحار ترى بريقاً...)، وما ذكره الشارح هو موافق للفظ الشافية.

وهب وهناً، أي: لمع وبدأ بعد هدوء من الليل. (عن الديوان).

(٤) في المصادر السابقة (هزيره)، والهزير: صوت الرعد.

(٥) رواية الديوان، والخطابي (غيث)، وهي إحدى روايتي العمدة. أما (غيث)، فهي رواية معجم البلدان، وإحدى روايتي العمدة.

(٦) العشار: النوق التي بلغ حملها عشرة أشهر، وربما سميت عشاراً بعد ذلك. والوله: التي تحن وتضج لفقدائها أولادها (عن الديوان).

فقال امرؤ القيس: فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَيْفِي^(١) أَضَاخ^(٢)

فقال الحارث: وَهَتَّ أَعْجَازُ رِيْقِهِ فَحَارَا^(٣)

فقال امرؤ القيس: فَلَمْ يَتْرِكْ بِيْطُنَ [السَّرَّ]^(٤) نَخْلَا^(٥)

فقال الحارث: وَلَمْ يَتْرِكْ بَجْلَهْتَهُ^(٦) حِمَارَا.

فقال امرؤ القيس: لَا أُمَاتِنُكَ^(٧) بَعْدَ هَذَا!

فالحارث باني، كما أن أبا بكر كذلك، غير [أن] امرأ القيس كان نبهه، ولم يكن الموقف نبه أبا بكر، ولا ابن المعتز الجارية. فاعرفه^(٨).

(٣) تَحِجُّفُ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ وَيَخْلُقُ^(٩) مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ

(٤) وَمَا يَنْفُكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَمَا يَنْفُكُ غَيْثُكَ فِي أَنْسَكَابِ

"الرَّباب": السَّحَابُ متعلِّقٌ دُونَ سَحَابٍ، وواحدُه رِيَابَةٌ، وقال^(١٠):

(١) في الديوان (دنا لقفا)، وعند الخطابي وياقوت (شرجي)، وفي العمدة (كنفي)، وأشار محقق العمدة إلى رواية (كتفي).

(٢) أضاخ: موضع باليمامة، أو جبل (معجم البلدان ٢٥٢/١)، وفي الأصل (اصحاح) تصحيف.

(٣) أي: استرخت مآخير السحاب فسالت. وريق المطر: أوله. وحرار: أي: رجع.

وعند الخطابي وياقوت (فخارا) بالخاء. وفي الأصل (رتقه) تصحيف.

(٤) في الديوان والعمدة (بذات السر)، والسرأ وذات السر: موضع.

(٥) في المصادر السابقة (ظبيًا) وهي أوضح.

(٦) في الديوان والعمدة (جلهتها) وعند الخطابي (عرصتها) وعند ياقوت (قاعته). والجلهه: ما يواجهك من الوادي إذا أتيتته.

(٧) المماتنة: هي المعارضة والمطالبة بأن تفعل كما يفعل صاحبك. العمدة ٣٣٠/١.

(٨) هذه القضية التي مثل لها الشارح سماها البلاغيون بالإرصاء والتسهيم (شروح التلخيص ٣٠٥/٤)، وهي ما يعرف اليوم بالتداعي.

(٩) عند الواحدي -٤٣٤- (يُخْلَقُ)، وفي التبيان -٤٦/١- (وَيُخْلَقُ). وخلق الثوب -من باب سمع ونصر

وكرم- بلي، ومثله (أخلق)، انظر: القاموس ومختار الصحاح (خلق).

(١٠) هو عبد الرحمن بن حسان، شعره: ٣٤ (العاني).

كَأَنَّ الرَّيَّابَ دُوَيْنَ السَّمَاءِ^(١) نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ

فإن قلت: كيف قال: "ويخلق ما كساها" وهو يشير إلى الرّباب الذي أصابهم مطر[ه]، وإنما يكتسي البلدُ النباتَ بعد أن يعلق^(٢) السّحابُ، فكان يجب أن يقول: ويخلق ما يكسوها من نبات؟

فالجواب: أن القطر إذا حلَّ الأرضَ تبين أثره في النبات الظاهر على وجهها.

وقال المتنبي هذا بعدما زاد المطرُ. فكأنه أراد: [أن] ما أحدثه من النضارة في العشب لا يبقَى، ويزول، وما تلبس أنت الدهرَ بفضلِكَ لا يبلى بوجهٍ، وهو ينقطعُ وغيثُك لا ينقطعُ البتّةَ.

(٥) تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي مُسَايِرَةَ الْأَجْبَاءِ الطَّارِبِ

"الطارب": جمع طَرِبٍ^(٣)، ككريم وكرام. و"السواري": جمع سارية. و"الغوادي": جمع غادية^(٤).

والمعنى: أنها تحبّ مصاحبتك، وتأنس بمرافقتك.

(٦) تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَعْجِزُ عَنْ خَلَائِقِكَ الْعِذَابِ!

"تفيد" بمعنى تستفيد. يقول: إنها تشاهد جودك فتفعلُ مثله، ولا تقدر أن تكون عذبةً كخلائيقك.

(١) رواية شعره (كأن السحاب دوين السماء). وأشار محققه إلى رواية: (كأن الرباب دوين السحاب).

(٢) لعله يقصد بقوله: (يعلق السحاب)، أي: يمكث ماؤه، ويلبث في الأرض مدة ثم يظهر البقل.

(٣) ومثله (طروب، وطريب)، وكأن الشارح أراد هذا، كما يوحى بذلك تمثيله بكريم.

(٤) السحابة السارية هي التي تسير بالليل، والغادية هي التي تغدو مبكرة في النهار. الفسر ١/١٤٠،

والبيان ٤٧/١.

وأحسنُ من هذا في الإفادة والتعليم قولُ^(١) ابن المعتز^(٢):

وزائرةٌ تستعجلُ المشيَ طارقَه
أَتْنِي مِنَ الْفَرْدُوسِ لَا شَكَّ أَبَقَه
/إذا ما تَنَّتْ، قالَ للريحِ قَدْهَا
كَذَا حَرَكِي الْأَغْصَانِ، إِنْ كُنْتُ صَادِقَه
نَأْتُ، فَمَلَأْتُ الْعَيْشَ بَعْدَ فِرَاقِهَا
وَقُلْتُ لِرُوحِي: إِذْهَبِي، أَنْتِ طَالِقَه^(٣)!

56/أ

(١) أضيفت (هو) باللون الأحمر، والسياق متصل بدونها.

(٢) ديوانه ٣٩٢/١.

(٣) رواية الديوان (وقلت لنفسِي أنتِ مني طالقَه) وعلى رواية الشارح يجب تحقيق الهمزة من (أذهبي) للوزن.

(١٧)

(١) ^(١)فَدَيْنَاكَ، أَهْدَى النَّاسَ سَهْمًا إِلَى قَلْبٍ ^(٢)وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِإِلَاحَرِبِ

(٢) تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِهِ الْهَوَى فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكُذْبِ

"فديناك، أهدي" منصوب الموضع على النداء، كأنه قال: يا أهدي، وكذا نصب "أقتلهم". وكان يجب أن يقول: أهدي الناس بسهم، غير أنه مثل قول الآخر^(٣):

أَكْرَوْا حَمَىً لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرِبْ مِنَّا بِالسَّيُوفِ الْقَوَانِسَ^(٤)

نصب القوانس بفعلٍ مضمرٍ، كأنه قال: نضربُ القوانسَ، وكذلك يكون "سهماً" منصوباً بفعلٍ مضمرٍ، فكأنه قال: تهدي سهماً؛ وذاك أن (أفعل) لا يعمل عملَ الفعل، وكذلك فعل التعجب، لا تقول: ما أضربك عمراً، وإنما تقول: بعمرٍ؛ لأن فعل التعجب موضوع على منع التصرف، ألا ترى أنه لا يكون له (يفعل)، ولا (فاعل)؟ فلما كان كذلك وجب أن لا يكون له قوةُ الفعل العاري من معنى التعجب، فصيّر بمنزلة الفعل الذي لا يتعدى، وأوصل إلى المفعول باللام. ولهذا نظائر في كلامهم، ويرجع في الحقيقة إلى باب تغيير اللفظ لتغيير المعنى.

(١) * قال المتنبي هذه الأبيات نزولاً عند رغبة سيف الدولة في إجازة بيت عمر بن أبي ربيعة:

خرجت غداة النَّفْرَ اعترضُ الدَّمَى فلم أر أحلى منك في العين والقلب

الفسر ١/١٤١، والواحد ٤٣٨، والتبيان ١/٤٧، ومعجز أحمد ٣/١٤٦.

(٢) في شرح الواحدي (٤٣٨) ومعجز أحمد ٣/١٤٧، والتبيان ١/٤٧: قلبي، بالياء.

ورواية الشارح توافق ما في الفسر ١/١٨٣، وشرح ابن الإفيلي ١/٣٠٦، وشرح الكندي ٤٧١، وهي أعم معنى.

(٣) هو العباس بن مرداس السلمي، ديوانه: ٩٣، من قصيدة منصفة.

(٤) القوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة والرأس. قال المرزوقي: "المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه، وهم بنو أسد، والمصراع الثاني إلى عترته وأصحابه. والمراد: لم أر أحسن كراً، وأبلغ حمايةً للحقائق منهم، ولا أضرب للقوانس بالسيف منّا". شرح الحماسة ١/٤٤١.

ولا يجوز أن يكون (سهماً) نصباً على التمييز؛ لأجل أن السهم إذا كان تمييزاً، وجب أن يكون فاعلاً في المعنى، بمنزلة أن تقول: أضرب الناس غلاماً، وهذا لا يتأتى هنا؛ لأجل أن السهم لا يكون هادياً، وإنما يكون مهدياً.

وقد روى بعضهم: (هَدَى) ^(١) غير متعدي، فإن صحّ جاز أن يكون الفعل للسهم، كقولك: أحسنُ الناس وجهًا. وكذا إن حملته على حذف الزيادة من (اهتدى).

والكاف في "فدينك" لمن قصَدَ التشبيبَ به، دون الممدوح.

"تفرد بالأحكام": يقول: إن للمُحبِّ مذاهبَ مفارقةً لسائر المذاهب، ثم بين، فقال: من ذاك أن الخلف فيه جميل، وكذا الكذب! وأوضح البحري حيث قال ^(٢):

يُكَاذِبُنِي، وَأَصْدُقُّهُ وَدَادًا وَمِنْ كَلَفٍ مُصَادِقَةُ الْكَذُوبِ!

وقال بعضهم ^(٣): فكلُّ شيءٍ من المحبوب محبوبٌ.

فإن قلت: فإن في كون الخلف جميلاً عند المحبوب ما يدلُّ على ضعف حبه؛ إذ لو كان صادقُ الودِّ لكان الإخلافُ في المواعِدات قبيحاً عنده!

فالجواب: أنَّ المقصود غيرُ ما ذهب إليه وهمك، وذاك أنَّ الحُسْنَ من حيث إنه إذا أخلف لم يَعْزِل، ولم يُعْنَف - كما لا يَفْعَلُ إذا كان جميلاً ^(٤) - انقياداً وطاعةً ورَضَى بما يفعله؛ لأنَّ ذاك مما يحبه في الحقيقة. وهذا كما قال البحري ^(٥):

(١) من ذلك قولهم: هَدَيْتَ هَذِي فلان، إذا قصدت قصده وسرت سيرته. وكذلك قولهم: هَدَى

الوحش، إذا سار وتقدم. الفسر ١/١٨٣، وشرح الواحدي ٤٣٨.

(٢) ديوانه ١/٩٨.

(٣) بلا نسبة في الفسر ١/١٨٤، ولم أعثر على قائله، ولا على تمامه.

(٤) أي: كما لا يعذل الإنسان ولا يعنف على الفعل الجميل.

(٥) ديوانه ٣/١٨١٩.

تُعَذَّبُ مهجتي، وأقول زيدي^(١) وهل يزداد من قتلٍ قتيْلُ؟!

والغرض: فرط الانقياد والذل لسلطان الهوى.

وأبين من ذا قول أبي فراس^(٢):

وحجَّته العليا على كلِّ حالة فباطله حقٌّ، وحقِّي باطلُ!

(٣) / وإني ممنوع^(٣) المقاتل في الوعى وإن كنتُ مَبْذُولَ المقاتل في الحُبِّ

56/ب

هذا نمط من قوله: "المنهبات عيوننا ..."، وقد تقدّم بيانه وأمثاله^(٤).

والمقاتل: مواضع القتل من الإنسان وغيره.

(٤) وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ أصاب الخدور^(٥) السَّهْلَ في المَرْتَقَى الصَّغْبِ

يقول: مَنْ شابهك في إصابة العين أصاب الانحدار السهل في المصعد الشاق الصعب، يعني أنه يسبي الرجال، ويصغرُ عنده ذو الخطب العظيم. وهذا يبين ما قبله.

وقوله: "من خلقت عيناك بين جفونه" من باب:

يَأْبَى الظَّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفُلُ الرَّقْرُ^(٦).

في أنه غير المخاطب، وفي المعنى هو.

(١) رواية الديوان: (أقول: أزيد من سقم فؤادي؟).

(٢) الحارث بن سعيد الحمداي التغلبي، ابن عم سيف الدولة. والبيت في ديوانه ٢/٩١١ (الدهان). وروايته (فحجتها ... فباطلها حق ...).

(٣) في الشروح الأخرى والديوان: (وإني لممنوع).

(٤) في صفحة: ٣٠١

(٥) الحدور - بفتح الحاء - ما انحدر من الأرض، والحدور - بالضم - الانحدار والهبوط. القاموس (حدر).

(٦) شطر بيت لأعشى باهلة، وقد سبق في صفحة: ١١٨، والباب الذي يعنيه هو ما يعرف بالتجريد.

(١٨)

(١) ^(١) لَا يُحْزَنُ لِلَّهِ الْأَمِيرَ فَإِنِّي لَأُخْذُ ^(٢) مِنْ خَالَاتِهِ بِنَصِيبٍ

ترك التصريح، فهذا كقوله: ضربت زيداً أو عمراً من غير إمام ^(٣)، لأنه [لا] يُعلم الشعرُ من أول البيت، كما لا يُعلم الشكُّ من أول الكلام. وقد قدّمنا قول أبي الحسن في ذلك ^(٤).

ومعنى البيت: أنه دلّ على صدق موالاته، وكونه مغموراً بنعمه، وإذا كان كذلك، وجب أن يأخذ من جميع أحواله بالنصيب المشاكل لاختصاصه به، سروراً كان ذلك أو ضدّه.

(٢) وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبٍ

إن قلت: كيف أسند المسرة إلى العيون وهي من أفعال القلوب؟

فالجواب: أنه يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فعل ذلك لأجل أن القرة والمسرة تصطحبان، كلٌ واحدةٍ منهما تتولد من صاحبتهما، وكذلك الحزن والسُّخْنة، فلما كان كذلك، جاز أن يستعمل السرور في العين تَوْسُعًا. ونظير ذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ ^(٥) أوقع الذوق على اللباس؛ إذ كان المعنى المقصود: المخالطة، فكأن الذائق يباشر ما يذوقه كما يباشر اللابس ما يلبسه. وأنشد الشيخ أبو علي - رحمه الله - ^(٦):

(١) * قال هذه القصيدة يعزي سيف الدولة في وفاة عبده (يماك) التركي.

(٢) قال الواحدي - ٤٦٧-: "وروى ابن جني: سأخذ". والذي في الفسر المطبوع (لأخذ) ١٤٢/١.

(٣) في الأصل (إنما) تحريف. وبعد (غير) بياض بمقدار كلمتين.

(٤) انظر صفحة: ٢٧٢.

(٥) سورة النحل: ١١٢.

(٦) في الحجة للقراء السبعة ٨١ / ٥ بلا نسبة. وهو مع أبيات أخرى في الوحشيات ٥١ منسوباً لعامر بن خالد بن جعفر، بلفظ: دونك ما استسقيته فأحس وذُق.

دُونَكَ مَا جَنَيْتَهُ، فَاحْسُ وَذُقْ

كَأَنَّهُ [هـ] قَالَ: فَقَاسِيهِ وَلَا يَسْهُهُ.

واللباس يجوز أن يكون المراد به ما يُلبس، فكأنه قال: فأذاقها الله مقارنة^(١) الخوف ومباشرته، كما قال: ﴿هَٰؤُلَاءِ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُمْ﴾^(٢)؛ إذ كانت المرأة تخالط وتتخذ فراشاً، ولذلك قالوا: إزار، للمرأة. ونحو ذا واسع.

ويجوز أن يكون اللباس مصدرًا على الحقيقة بمنزلة الملابس، ألا ترى أنك تقول: قاسيت ملابس الشدائد، وذقت ذلك؟! وهذا أوضح، والله أعلم.

وكما^(٣) جاز إيقاع الإذاعة على اللباس كذلك يجوز إيقاع السرور على العين؛ على سبيل الاستعارة والاتساع. فاعرفه.

ويجوز^(٤) أن يكون مضافاً^(٥) محذوفاً، كأنه قال: سرّاً أصحابها، كقوله تعالى: ﴿وَسَّكِلَ الْقَرْيَةِ﴾^(٦) سواءً، وهذا أوضح.

وعطف القلوب على العيون -مع أن البكاء لا تصح إضافته إلى القلب- كقوله^(٧):

شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقْظ.

(١) في الأصل (بمقارنة).

(٢) سورة البقرة: ١٨٧.

(٣) (وكما) أضيفت بخط مخالف، وهي ضرورية للسياق.

(٤) هذا هو الوجه الثاني.

(٥) أي: أن يكون في الكلام مضاف محذوف.

(٦) سورة يوسف: ٨٢.

(٧) بلا نسبة في الكامل ٤٣٢/١، والمقتضب ٥١/٢، والإنصاف ٦١٤/٢.

وقول الآخر^(١):

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

فكأن التقدير: وَحَزَنَ بقلوبٍ، كما أن المعنى في الشاهد: وَأَكَلَ تَمْرًا وَقَطِ، /وَحَامِلًا رَمَحًا.

1/57

ويجوز أن يكون القلبُ باكيًا على التوسع، بمعنى أن الدمع الفائض من العيون غير حقيقة، وإذا كان كذلك كان القلب كئيبيًا، وذاك هو بكاؤه! ويوضحه قول البحتري^(٢):

وَمَا كُلُّ حَظٍّ الْعَيْنُ فِي ذَاكَ مَذْهَبِي وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْعَيْنَ بَابًا إِلَى الْقَلْبِ

وكذا قول أبي تمام^(٣):

لَرُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا أَرْجِيَّةٌ مِنَ الشَّوْقِ، وَادِيهَا مِنَ الدَّمْعِ مُتَرَعٌ

فأضاف الدمع إلى الشوق، وذاك بمنزلة إصافتك له إلى القلب؛ لأنه موضعه ومنبعه.

وقد جَوَزَ النحويون أن يكون اسْتُعِيرَ الشَّرْبُ للأقط، والتقلد للرمح أيضًا؛ إذ كان المأكول والمشروب مما يُسْتَعْمَلُ على الفم، والسيف والرمح يحملان على كل حال^(٤). فاعرفه.

ومعنى البيت: أنهم يقاسمونه السراء والضراء، فإذا بكى بكوا، وإذا سُرُّوا، حتى كأنه يبكي بعيونهم، ويفرح بقلوبهم.

(١) ينسب لعبد الله بن الزبير، شعره: ٣٢.

(٢) سبق في صفحة: ٢٠٩.

(٣) سبق أيضًا في صفحة: ٢٠٩.

(٤) انظر: المقتضب ٥١/٢.

والباء^(١) مثله في قولهم: كتبت بالقلم، وقوله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ﴾^(٢)، ونظير ما تقدّم من قوله^(٣):

مَا الْخِلُ إِلَّا مَن أَوْدُ بَقَلْبِهِ

في أحد الوجهين.

(٣) وَإِنِّي، وَإِنْ كَانَ الدَّيْنُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي

يقول: محبتي للمتوفى وجزعي عليه لأجل أنه حبيب الممدوح، وهو حبيبي. وهذا هو صدق الولاء؛ إذ الولي من يحب حبيبك ويبغض عدوك، وإن لم يكن بينهما وبينه ما يوجب المحبة والبغض.

وأبلغ من هذا قول الآخر^(٤):

أَحَبُّ الْأَرْضِ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارِثُهَا الْجُدُوبُ^(٥)
وَمَا دَهْرِي بِحَبِّ تَرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ!

وأغرب منه قوله^(٦):

أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصَرْتُ أَحْبَهُمْ أَنْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ!!^(٧)

(١) في قوله: (بعيون).

(٢) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٣) انظر صفحة: ٣٢٨.

(٤) بلا نسبة في الحماسة (شرح المرزوقي ١٢٧٩/٣) والتذكرة السعدية ٢٩٦.

(٥) توارثها، أي: تتوارثها، والجدوب: جمع جذب، وهو انقطاع الغيث، يقول: أحب ديار هذه المرأة وإن توالى عليها أيام القحط والجذب (انظر: شرح المرزوقي).

(٦) هو أبو الشيص، ديوانه: ١٠٢.

(٧) في الديوان: (إذ كان ...).

لأنه إذا كان هذا القدر من الملابس يُصيرُه مُحباً للعدو، ويقلبُ البغضُ إلى المحبة
فذاك مرتبةٌ لا مَصْعَدَ فوقها!

وأما قول الآخر^(١):

فأقسمُ لو أني أرى نَسَبًا لها ذئابَ الفلا حُبَّتْ إلي ذنابُها!

فقاصرٌ عن هذه الرتبة؛ لأجل أن ذئابَ الفلا ليس في محبتها قلبُ الشيء إلى
نقيضه، وإنما هو حُبٌّ لما [لا] يكون فيه بغضٌ ولا حُبٌّ، فهو كبيت المتنبي سواء؛ لأنه
ذكر أن المتوفى ليس ممن يحبه، ولكنَّ حُبَّ المتنبي له من أجل [حُبِّ] حبيبه إياه، كما أن
ذئابَ الفلا ليس مما يُحبُّ هذا المتكلم، ولكنه إنما يحُبُّها لما يكون بينها وبين محبوبه من
الالتباس والتناسب. فاعرفه، فإنه نمطٌ من الصنعة شائع.

(٤) وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْبَى دَوَاءَ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبٍ

(٥) سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا، فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُبَغِّنَا بِهَا مِنْ جِنَّةٍ وَذُحُوبٍ

يقول: إن الدنيا مبنيةٌ على الكون والفساد، ولم تختصَّ بواحد من هذين، فلو لم
ينقرض من سلف منّا لما قَدَرْنَا على المجيء إليها؛ لأنَّ الكون قرينُ الفساد فيها، فلا
يكون أحدهما إلا بصاحبه. ولو بقي أهلها الماضون لم يتناولهم الفناء لم يحصل الكونُ،
وإذا لم يحصل الكون لم نحصل نحن.

ويجوز أن يريد أن ما تقدّم لو كان باقياً لما أمكننا التقلُّبُ في الدنيا، ولضاقَت الأرض؛
لفرط التراحم. والأول أجود؛ لأن الله عز وجل كان قادراً على إزالة الزحام مع / انتفاء الفساد،
وحصول الكون والازدياد^(٢). غير أنه بناها على ما أراد من الحكمة.

ب/57

(١) بلا نسبة في الحماسة (شرح المرزوقي ٣/١٣٣٠)، والأشباه والنظائر للخالدين ١/١٠١.

(٢) في الأصل (الازيداد).

وقال ملكُ الفرس: ما أطيبَ الملكَ لو دام! فقال وزيره: لو دام لم يصلْ إليك!

(٦) تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلُّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ

(٧) وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرَ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ

قد بينَ بهذا البيت المعنى الأولَ الذي أثراه؛ لأنه يقصد أن الله عزَّ وجلَّ لو بناها على الكون متجرِّداً من الفساد لما كان للشجاعة فضلٌ؛ إذ كان كلُّ أحدٍ يَتَيَقَّنُ بقاءه وتخلُّصه مما يخوض فيه، بل ما كان نحو الإقدام والمخاطرة محموداً؛ إذ كان الناس يتساوون في ذلك، ألا ترى أن الجبانَ يحيد خوفُ الهلاك، ولولم يخفْ لكان كالشجاع المُقَتِّل^(١)؟ فاعرفه.

فإن قلت: فكيف عطف الندى على الشجاعة، وفضل الجود لا يتبيَّن بالموت وتيقُّنه؟ لأجل أن الإنسان إذا علم أن الموت يختبرُهُ فإنَّ ذلك يحثُّه على البذل والتفريق؛ ليحصل له الذكرُ الجميل بعد موته؛ إذ لو أذخره لا تنفع به غيره، كما قال^(٢):

أَرِني جَوَادًا مَاتَ هُزْلاً لَعَنَّي أَرى مَا تَرِينِ، أَوْ بَخِيلاً مَخْلَداً

فهذا بالعكس مما قصد؛ لأنه لو كان كلُّ أحدٍ يعرف الدوامَ والخلودَ لكان الندى^(٣) ظاهراً الفضل؛ إذ كان البذل يتناول [ما] لو بقَّاه لكان له دون غيره! وهذا أبلغ، ألا ترى أن الإنسان إذا سمح بما يكون له من اليسير الذي ينتفع به في ساعته كان أفضلَ ممن يُعطي وعنده ما يُغنيه عن المبدول، كما قال^(٤):

ليس العطاءُ من الفضولِ سماحةً حتى تجودَ وما لديك قليلُ

وإذا كان الأمر ما أوضحت كان ذكرُ الندى عارياً من الفائدة، ومُعَارضةً لذكر الشجاعة!

(١) في الأصل (المعتل)، لعل صوابه ما أثبت. والمقتل: هو الذي يتعرض لمواضع القتل كثيراً.

(٢) هو حاتم الطائي، ديوانه ٢١٨، وينسب لحطائط بن يعفر، كما بينَ محقق ديوان حاتم، انظر: ٣٦٨، ٣٦٩ منه.

(٣) في الأصل (الشجاعة) سهو.

(٤) سبق في مقدمة الشارح.

فالجواب عنه: أن الإنسان لو كان يخلدُ لكان لا يفكر كلُّ أحد في بذل المال^(١)؛ إذ كان يثقُ بأن الموت لا يدركه لأجل انقطاع الرزق عنه، كما أنه لا ينجح عن^(٢) الحروب، ويُقدِّم على الخطوب؛ لثقته بأنه يسلم ولا يهلك^(٣).

و"شعوب" اسم للمنية، وقد يدخله الألف واللام، فيقال: بسطته شعوب، والشعوب. وإنما قيل ذلك لأنها تشعبُ المجموع وتفرقه. فهو (فَعول) من شَعِبَتِ العصا وغير ذلك.

(٨) وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لَصَاحِبِ حَيَاةِ امْرِئٍ خَاتَمَهُ بَعْدَ مَشْيِبِ

"حياة الغابرين" يراد بها العموم، كقولك: أوفى أعمار الغابرين.

يقول: إن الإنسان [إذا بلغ] الشيبَ ثم مات، فذاك الوفاء الكامل من حياته معه! والخيانة العظيمة أن تنقطع قبل المشيب.

والغابر: الماضي، وهو الباقي^(٤)، كالجلل للصغير والكبير.

والحياة مصدرٌ فلذلك جاز أن يضاف إليه أفعل، كما تقول: أشدُّ ضرب الرجل ضرباً من شأنه كذا. فاعرفه.

(٩) لَأَبْقَى يَمَاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةً^(٥) إِلَى كُلِّ تُرْكِي النَّجَارِ جَلِيْبِ

النَّجْرُ وَالنَّجَارُ: الْأَصْلُ.

(١) أي: لا يأبه بالمال، وإنما يبذله كيفما اتفق.

(٢) في الأصل (على).

(٣) انظر مزيداً من التفسيرات والاعتذارات لهذا الإشكال في النظام ق/٢٩١، وتفسير أبيات المعاني ٥٣، ومعجز أحمد ٢١٨/٣.

(٤) الأضداد لابن الأنباري: ١٢٩.

(٥) ويروى (جراحة) معجز أحمد ٢١٨/٣.

واللام في "لأبقى" لجواب قسمٍ محذوفٍ، كأنه: أُقَسِّمُ لأبقى، أو والله لأبقى، كقول امرئ القيس^(١):

حلفتُ لها بالله حلفَةً فاجرٍ

ولا يجوز أن يكون اللام في "لأبقى" لامَ الابتداء في قولك: لزيدٌ منطلق؛ لأنه لا يدخل إلا على /الاسم، أو ما يضارعه من الفعل، والماضي لا يضارع الاسم، فلا تقول: لقام زيدٌ، هذا مما لا خلاف فيه، وقد نصَّ [عليه] صاحب الكتاب^(٢).

والمعنى: رجع إلى ما تقدّم: من أنه يحبُّ ملابسته، فكما أنه يحبُّ يماك؛ لأجل أنه حبيبٌ حبيبٍ، كذلك يحبُّ كلٌّ من كان تركياً؛ لأنه من جنسه. "وجليب" مثل قتيل^(٣).

(١٠) وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَيْبُضَ بِمَبَارِكٍ وَمَا كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٌ^(٤) بَنَجِيْبٍ

يجوز أن يكون المضاف محذوفاً، فكأنه قال: وما كل ذي وجهٍ أبيض؛ ولا ذي جفنٍ ضيق.

أي: ما كلٌّ من يجانسه في الخلق يجانسه في الخلق.

ويجوز أن يكون الكلام على ظاهره، فكأنه جعل البركة للوجه، والنجابة للجفن، وذاك أن هذين مما يقصد من الإنسان في الغالب، فيقول: ليس كل وجه حسن يصاحبه السعادة، ولا [كل] جفن ضيق تلوح منه النجابة.

(١) ديوانه ٣٢، وعجزه: لناثوا فما إن من حديث ولا صال

والشاهد في قوله (لناثوا) اللام فيه هي لام القسم.

(٢) قال سيبويه عن المضارع: "وتلحقه هذه اللام، كما لحقت الاسم، ولا تلحق (فَعَلَ) اللام" ١٤/١.

(٣) في أنه فَعِيل بمعنى مفعول، وأنه وصف يستوي فيه المذكر والمؤنث.

والجليب: هو المجلوب من بلد إلى بلد، يباع ويشترى.

(٤) ضيق الجفن من الصفات الغالبة في الترك. النظام ق/ ٢٩١.

(١١) لَإِنْ ظَهَرْتُ فِينَا عَلَيْهِ كَابَةٌ لَقَدْ ظَهَرْتُ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيْبٍ

التقدير: فوالله لقد ظهرت، أي: اجعل هذا بإزاء ذاك، كما تقول: إن بكيت بكى الجميع.

(١٢) وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلِّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ وَفِي كُلِّ طَرْفٍ كُلِّ يَوْمٍ رُكُوبٍ

قوله: "ظهرت" ماض، وقوله: "كل يوم تناضل" مستقبل، فكأنه قال: لقد ظهرت في كل قوسٍ في جميع ما يستقبل من الزمان، فهو -إذا- على إجراء المنتظر مجرى ما وُجد؛ لقوة العلم وتحقق المذكور، كما ذكرت لك^(١) في قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾^(٢)، وهو أوضح؛ من حيث إن طرفاً من ذلك قد حصل، حتى كأنه قال: لقد ظهرت الآن وتظهر كل يوم، إلا أن ذلك لا يقدر البتة؛ لأجل أن الصنعة لا تقتضي إطلاقاً لفظ الماضي على ذلك لتحصيل المبالغة، وإنما أردت أن أقول: إن جزءاً من المذكور إذ كان حاصلًا، كان أدلّ على المقصود، وكان جعل ذلك المنتظر ماضياً أولى.

(١٣) يَعِزُّ^(٣) عَلَيْهِ أَنْ يُخْلَ بِعَادَةٍ وَتَدْعُو^(٤) لِأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ

يقول: عزيزٌ على هذا المتوفى أن لا يجري على عادته في خدمتك، وتدعو أنت لأمرٍ ولا يجيب هو.

وليس يجب [تقدير] مفعول "تدعو" ضميراً له؛ لأنه لا يدعوه لخطبٍ بعد موته، وإنما يريد الدعاء العام، تقول: يا غلام، ويا رجل، فيجيبك من يختص بخدمتك. فإذا يريد: أنه يعزّ عليه أن يجيبك غيره عند دعائك.

(١) انظر صفحة: ٣٩٠.

(٢) سورة غافر: ٧١.

(٣) رواية الديوان (عزيز) ٣١٦.

(٤) رواية الديوان (ويدعى).

ويجوز أن يكون الغرض في الدعاء أن يعرض^(١) فيدعوه على سبيل التفجع عليه، كما يقال: يا فلان تعال، فالشأن شأنك. والمقصود ذكره، وإظهار استقلاله بذلك أيام حياته. فيكون الهاء مقدراً على هذا التأويل، كما قيل في قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ هُوَ أَضَلُّلُ الْبَعِيدِ﴾^(٢) يَدْعُوا ﴿٣﴾: إن التقدير (يدعوه)^(٣)، ويكون الهاء راجعاً إلى الموصول في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^(٤).

(١٤) وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبِ

لبدة الأسد: ما يتلبّد من شعره بين كتفيه، كأنها بإزاء البرائل^(٥)، تنتصب عند احتياجه. ويقال: أسد ذو لبدة، وذو لبدي، أنشدنا شيخنا -رحمه الله^(٦):

لِللّهِ دُرْهُمٌ، أَغْضَابُ^(٧) أَلْسِنَةٍ لَا السَّيْفُ يَغْنِي وَلَا الصَّمَامَةُ الْقَرْدُ
/ لو أن ذا لبدي هموا بحبسته^(٨) لظلل يرُسُفُ في أقياده الأسدُ

ب/58

(١) أي: يعرض ذكره. أو يعرض أمراً أو حاجة من الحوائج التي كان يقوم بها.

(٢) سورة الحج: ١٢، ١٣، وتام الآية: ﴿يَدْعُوا لِمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾

(٣) هذا التقدير ذكره الزجاج في معاني القرآن ٤١٥/٣، ٤١٦. وفيه وجوه أخرى، انظر: معاني القرآن للأخفش ٦٣٥/٢، ومشكل إعراب القرآن للقيسي ٩٣/٢، والبيان لابن الأنباري ١٧٠/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٩٣٥/٢، وتفسير القرطبي ١٤/١٤، والبحر المحيط ٣٣١/٦.

(٤) سورة الحج: ١١.

(٥) البرائل: هي الريش الذي يستدير حول عنق الديك أو الحباري، ينتفش عند الاحتياج.

الصباح (برأل) وفقه اللغة للشعالبي: ١٢٠.

(٦) البيت الأول -مع ثلاثة أبيات أخرى- في حلية المحاضرة ١٧٠/٢ ونسبه لأحد اللصوص في قوم شهدوا عليه. ورواية الشطر الأول فيه (لله درهم أبطال محنية). والبيت الثاني لم أجده عند أحد. ويبدو أن هذه الأبيات لوبرة السارق؛ إذ تورد له المصادر أبياتاً شتى تشبه هذين البيتين وزناً وقافية ومعنى. انظر: المخصص ١٣٣/٤، واللسان (حمض) والشعر لأبي علي ٢٥٩/١.

(٧) في الأصل (أعطاك) لعله تحريف.

(٨) في الأصل (بتحبسه).

وصف أقواماً شهدوا عليه في حكومة.

وقال: "أديب" ليعلم أنه أسد أديب؛ إذ الشجاعة من غير تمييز لا تعظم موقعاً،
كما قال^(١):

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

(١٥) فَإِنْ يَكُنْ^(٢) الْعَلَقُ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَعْرَوْهُوْب

في "يكن" ضمير (يماك). وقوله: "فمن كف متلاف" أضمر لدلالة ما تقدم (من) قوله: "فقدته" (عليه، كقولهم: "من كذب كان شرّاً له"^(٣)). ففقدته مبتدأ، و"من كف متلاف" خبره، كما تقول: خروجه من دار يزيد. وقلما يستعمل الأصل في نحو هذا؛ لأجل الاختصاص وإيضاح دليل الحال، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْصَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٤) التقدير: فلينكح مما ملكت.

(١٦) كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ^(٥) عَلَى كُلِّ مَا جَدٍ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوب

التعويذ من العوذة، وهي ما يُعلق على الصبي وغيره؛ للعين^(٦). يقول: إن البلاء تعدو على النجيب الماجد إذ لم يجعل على مجده من النقص عوذة تصرف البلاء والإصابة.

(١) أي: المتنبي، ديوانه: ٤١٢.

(٢) قال الواحدي: "ومن روى (تكن) بالتاء، فهو على مخاطبة سيف الدولة، وينصب العلق بفعل مضمير مثل الذي ظهر، على تقدير: فإن تكن فقدت العلق" شرحه ٤٦٩.

(٣) سبق مراراً.

(٤) سورة النساء: ٢٥.

(٥) ويروى (غاد) من الغداة. معجز أحمد ٢٢٠/٣.

(٦) أي: لدفع العين. وهي عادة جاهلية حرّمها الإسلام.

و"عادٍ" من قولهم: عدا عليه، إذا ظلمه. والمعنى: أن سيف الدولة خالصُ الشرف، كاملُ المجد، فالزمان يعدو عليه ويظلمه بأن يخترمَ مَنْ يحبه من أصحابه وخدمه.

ويجوز أن يريد "بالمجد" المتوفى، ويكون معنى "عادٍ" أنه يعدو عليه فيتناوله، كقولهم: عدا عليه الأسدُ، والمعنى: أن المنايا مشغوفة بالنجباء وأهل الجبى والكمال، دون من يكون فيه نقص، كما قال^(١):

وسهمُ المنايا بالذخائرِ موع

وكأنه أخذ المعنى من قوله^(٢):

شخص الأنام إلى كمالك^(٣) فاستعدَّ من شر أعينهم بعيب واحد!

ومثله قول الآخر^(٤):

ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى عيبٍ يُوقِيهِ مِنَ العَيْنِ!

(١٧) وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ

يقول: لو لم يحسن الدهر إلينا - بأن يجمع بيننا - لما عرفنا له ذنباً؛ إذ الجزع على الموت لأجل ما حصل من ألفة الاجتماع، ولو لم يجمع لم يحصل ذلك، وإذ عديم^(٥) عديم التفريق الذي نعدُّه ذنباً. فمعرفة إساءة الدهر نتيجة ما نحبُّه (وهو الاجتماع) من يد الدهر^(٦).

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي، ديوانه: ٤٣ (الظاهر). وصدره:

وأعدته ذخراً لكل ملمة

(٢) هو كشاجم، ديوانه: ١٠٤ (النبوي شعلان).

(٣) في الديوان (جمالك).

(٤) هو كشاجم أيضاً، ديوانه: ٣٨٦.

(٥) أي: الجمع.

(٦) في الأصل (من يد الأمر)، لعل صوابه ما أثبت.

وكأنه قد نظر في معنى هذا البيت إلى بيت البحتري^(١):

ننسى أيادي الدهر^(٢) فينا فما نذكر من دهرنا سوى نُوبه

إلا أنه على عادته نقله من حدٍّ إلى حدٍّ، وأجراه في أسلوب آخر، كما يوجبه جذفه، والتقاؤهما من حيث إنَّ كلاهما يعتذر عن الدهر، ويذكر أياديّه وإحسانه.

(١٨) وَلَلَّتَرْكُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِّمُحْسِنٍ إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رِيْبٍ^(٣)

يقول: إنه لا ينبغي أن يبتدئ الأمر من لا يعتزم إتمامه والمحافظة عليه في كلِّ حال. فترك الفعل الكائن على هذه الصفة خيراً. ومقصوده أن جمعاً يعتقبه تفريقٌ لو لم يكن لكان / خيراً؛ لأنه إذا لم يحصل لم ينتظم أمر الائتلاف^(٤)، وإذا لم يوجد السرور بأمر لم يوجد الغم بزواله.

أ/59

وأوضح المعنى في قوله^(٥):

أبداً تستردُّ ما تهبُّ الدُّنْوَ
يا فيا ليت جودها كان بُخْلاً
فَكَفَّتْ كَوْنُ فَرْحَةٍ تَوْرَثُ الْغَمَّ
وَخِلًا^(٦) يُغَادِرُ الْوَجْدَ خِلًا

ولولا هذا البيت لكان البيت الأول اعتذاراً عن الدهر حسناً، ألا تراه زعم أن الدهر تلقاه بما يكره (وهو التفريق) بعد أن أتى بما يحب (وهو نقيضه)؟ فلو لم تحصل هذه المضرة لم توجد تيك المعرفة، غير أنه ردُّ هذا العذر بما قال بعد!

(١) ديوانه ٢٤٢/١.

(٢) الصواب (الزمان) كما في الديوان، أما لفظة (الدهر) فيها ينكسر البيت لأنه من المنسرح. وقد يكون هذا سهواً من المصنّف.

(٣) ريب، أي: مربوب، من ربي النعمة إذا نماها وأتمها وحافظ عليها. اللسان (رب-ربا).

(٤) أي: لو لم يحصل هذا الجمع - بهذه الصفة - لم يحصل الائتلاف أصلاً.

(٥) أي: المتنبّي، ديوانه ٤٠٠، من قصيدة يعزي بها سيف الدولة في وفاة أخته الصغرى.

(٦) (خلا) معطوف على (كون)، ورواية الديوان (خلّ) بالعطف على (فرحة).

ولقائل أن يقول: إنه لو [لم] يأتِ بالتفريق لما عرفوا إحسانه في الجمع، كما قال (١):
وبضدّها تتبين الأشياء.

وقد استمرّ البحري على تحقيق العذر للدهر، وأكّده بالحثّ على الشكر، فقال بعد البيت الذي أنشدتك:

هَلَّا شَكَرْنَا الْأَيَّامَ جُودَ أَبِي عَيْسَى، وَمَا قَدْ أَرْثَهُ مِنْ عَجَبِهِ!

وقد فعل كلُّ واحدٍ منهما ما أوجبه الغرض الذي له وضع الشعر، فلما كان البحري مادحاً، وكان غرضه [من] الاعتذار عن الدهر أن يتوصل به إلى الممدوح - لم يكن له إلا أن يستمرّ على [ما] بدأ، ويخرج إلى ما يؤكّده ويحقّقه؛ ليتكامل مدحُه. وأما المتنبي فإنه مُعَزِّزٌ، ومن حقّ المعزّي أن يراعي جهتين: جهة التسلية والحث على الصبر، وجهة التعظيم للمصاب وإظهار ما يدلّ على ثقل وطأته.

فهو في الحالة الأولى يذكر ما يجري مجرى الاعتذار عن الدهر، وفي الثانية ما يكون ذمّاً لحوادثه وتصاريفه، فينقضّ ذلك العذر أو يضعفه.

ولو لزم إحدى الطريقتين خرج عن أدب التعزية، وصار إمّا إلى الإغراء بالجزع والتهالك، وإمّا للاستخفاف بالميت!

(١٩) وَإِنَّ الَّذِي أَمَسَتْ نِزَارُ عَيْبِدَهُ غَنِيٌّ عَنْ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبٍ

الموصول كناية عن سيف الدولة.

يقول: إن الذي تجري له هذه القبيلة مجرى العبيد مستغن عن أن يستعبد غريباً لا يناسبه، يعني يمالك. أي: ليس هو ممن يفتقر إلى مثل المتوفّى. وإن غمّ بموته فليحَقّ الخدمة واشتباك الألفة.

(١) سبق في صفحة: ٢٠٩.

(٢٠) كَفَى بِصَفَاءِ الْوُدِّ رَقًّا لِمِثْلِهِ وَيَا لِقُرْبٍ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِ^(١)

يقول: إذا أصفيت الودَّ له فذلك هو الرقُّ؛ لأنه يسوق إليك من النعم ما يسترقُّك، إذا تحقق خلوص عقيدك^(٢). وإذا دنوت منه فذاك هو الفخر الكامل؛ لأن العزَّ في الاختصاص به.

وكأنه استدرك إطلاقه لفظ العبيد على نزار بهذا الكلام، فذكر أن وجه العبودية من هذا النمط؛ وذاك أن نزاراً قبيلة الممدوح، فلا يرسل عليهم لفظاً وضيع المعنى.

(٢١) فَعَوَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْأَجَرَ، إِنَّهُ أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ

الهاء في "إنه" يحتمل أمرين:

أحدهما: [أن] يعود إلى "سيف الدولة".

والثاني: أن يعود إلى "الأجر".

فإن عاد^(٣) إلى الممدوح كان بمنزلة أن تقول: إنَّه أَجَلٌ مُأْجُورٌ^(٤) من أَجَلٍ أَجِرٍ، وهو المثيب، يعني الله عزَّ وجلَّ. فهو كقولك: إنَّه هو أَجَلٌ مَنْ أُثِيبَ من عند الله عزَّ وجلَّ.

وإن عاد إلى "الأجر" كان الوجه في "مثاب" أن يكون اسم المفعول، فكأنه قال: إنَّ /الأجر أَجَلٌ مُعَوَّضٌ^(٥) من مُعَوَّضٍ، ويشهد بهذا قوله: "فعوَّض". فإن جعلت مثاباً مصدرًا بمنزلة الإثابة لم يمتنع، فكان بمنزلة أن تقول: أَجَلٌ عِوَضٍ.

ب/59

(١) رواية الواحدي (٤٧٠): لنسيب.

(٢) عقدك: أي ما عقد عليه قلبك.

(٣) في الأصل (عاد).

(٤) فيكون (مثاب) على هذا اسم مفعول.

(٥) أي: معوض به.

ويكون (مُفْعَل) مصدرًا مطردًا، فتقول: أدخلته مُدْخَلًا، وأخرجته مُخْرَجًا، وتقول: جبر الله مُصَابِكَ، أي: مُصِيبَتَكَ، فهو مصدر.

[و]على هذا يجري جميع ما يتجاوزُ الثلاثة في اللفظ من الأفعال، يكون لفظ المفعول منها واقعًا موقع المصدر، قال الله عز وجل: ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾^(١)، وقد قرئ: ﴿وَمَنْ يَنْهَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾^(٢)، أي: إكرام. وأنشد^(٣):

وما هي إلا في إزارٍ وعَلَقَةٍ مُغَارِابِنِ هَمَامٍ عَلَى عِيٍّ خَنْعَمَةٍ^(٤)

"فمغارابن همام" بمنزلة خفوق النجم^(٥)، [أي] وقت خفوق النجم، ثم حُذِفَ المضاف.

وعلى هذا يجري الباب.

وأن يكون "مثاب" اسمَ مفعولٍ بمنزلة معوِّض أحسنُ عندي. فاعرفه.

(١) سورة سبأ: ١٩.

(٢) سورة الحج: ١٨.

(٣) نسب سيبويه هذا البيت لحميد بن ثور الكتاب ٢٣٤/١، وتابعه السيرافي في شرح أبيات سيبويه ٣٤٧/١، ولا يوجد في ديوانه. وردَّ هذه النسبة الغندجاني في فرحة الأديب ٨٤، وقال: البيت للطماح بن عامر العقيلي، ثم أورد ثمانية أبيات، منها هذا البيت. وانظر: شعراء بني عقيل وشعرهم ١٨٣/٢.

(٤) ورد البيت في الأصل محرَّفًا. والعلقة: قميص بلا كمين، وهو أول ما يتخذ للوليد. الصحاح (علق). والشاعر يذكر صغر محبوبته زمن تلك الإغارة. وحول إغارة ابن همام، وملايساتها، انظر: شعراء بني عقيل وشعرهم (الموضع السابق).

(٥) من قولهم: جئتُكَ خفوق النجم. انظر: الأصول ١٩٣/١، والمقتصد ٢٤٣/١.

(٢٢) فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ^(١) نُحَوَّرَهَا تَطَاعَنُ^(٢) فِي ضَنْكَ الْمَقَامِ عَصِيبُ^(٣)

"تطاعن" أي: تتطاعن، وجعل التطاعن للخيال على التوسع؛ إذ يعلم أن ذلك لأصحابها.

وَالضَّنْكَ: الضيق. والعصيب: الشديد، كقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾^(٤). وعَصَبُصَبٌ بهذا المعنى. فعصيب يجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول، كأنه ذو علامة وشيء عَصَبَ به لعظمته.

وعصبُصَبٌ من غير بناء عصيب؛ لأن هذا من الرباعي المضاعف.

ولا يبعد أن يكون بمعنى مُفْعِلٍ، كأنه على تقدير: مُعَصَّبٍ من قولهم: عَصَبَ الرِّيقُ^(٥)، فيكون مثل سميع بمعنى مُسْمِعٍ.

(٢٣) يَعَافُ خِيَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غَبَارُ حُرُوبٍ

"يعاف" يكره. و"الرَّيْطُ" جمع رَيْطَةٍ، وهي الملاءة^(٦). والخيمُ: جمع خَيْمة، وهو من باب تمرّة وتمرٍ.

(١) النجيع: دم الجوف خاصة، وقيل: هو الدم كله، وقيل: هو الدم الطري. الفسر ١/١٩٦.

(٢) في الواحدي (٤٧٠)، والتبيان ١/٥٣: (يطاعن) وهي إحدى روايتي معجز أحمد ٣/٢٢٢.

(٣) المعنى: هو الفتى المشهور في الشجاعة، الذي يطعن في ضنك المقام، عند اشتداد القتال، وابتلال نحور الخيل بالدم. معجز أحمد ٣/٢٢٢.

(٤) سورة هود: ٧٧.

(٥) إذا جف ويبس في الفم.

(٦) خصها ابن جني بالبيضاء، الفسر ١/١٩٧، وكذلك الأزهري في التهذيب ١٤/١٥، وقيل: إن الرَيْطَةُ هي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن ملفقة. والملاءة: ثوب لين رقيق.

اللسان (ريط - ملاء).

يقول: إنه مقدمٌ غير مُعَرِّدٍ، فلا يحيد عن حومة الحرب، و[لا] ينزل في الخيام كما يفعل الجبان، والغبارُ المستدير فوقه بمنزلة الخيمة. كما قال لكافور: إن الجياد لك بمنزلة الجنان، في قوله^(١): وبساتينك الجيادُ

(٢٤) عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ - إِنْ كَانَ نَافِعًا - بِشَقِّ قُلُوبٍ، لَا بِشَقِّ جُيُوبٍ

أُسْعِدْهُ وَسَاعِدْهُ بِمَعْنَى .

يقول: قد وجب علينا مساعدتك فيما يلمُّ بك؛ لما في رقابنا من المِنَنِ العظام بما أوليتنا من النعم الجسام، غير أن البكاء والجزع لا ينفع، ولو أجدى شيءٌ من ذلك لشققنا القلوبَ مكان الجيوب؛ توخَّيَّا لما ينفَعُك .

وقوله: "إن كان نافعاً" اعترض بين الإسعاد ومعموله الذي هو "بشق".

(٢٥) فَارُبَّ كَثِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ كَثِيبٍ

يقول: ليس كل من يبكي يكون حزيناً، وليس كل من لا يوجد منه البكاء لا يكون صاحبَ كآبة؛ إذ يتكلف البكاء، وقد يمتنع على من يقصده.

و"غير" صفة "لكثير"، كأنه قال: ربَّ إنسانٍ كثيرٍ دمعُه غير كَثِيبٍ، كما تقول: ربَّ إنسانٍ خاشعٍ من كثرة البكاء وقلة الحزن.

ويجوز نصب "غير" على^(٢) الحال من الضمير في "كثير"، كأنه: ربَّ إنسانٍ يكثر دمعُه غير كَثِيبٍ^(٣).

(١) سبق في صفحة: ١٨٢.

(٢) في الأصل (نصب على غير الحال) تقديم وتأخير.

(٣) وضبط (غير) بالضم عند ابن الإفيلي ١٢/٢، وفي معجز أحمد ٢٢٢/٣، والتبيان ٥٤/١، ووجهه أن يكون خبراً.

(٢٦) / تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَبِيكَ^(١) فَإِنَّمَا بَكَيْتَ فَكَانَ الضَّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ

يقول: فُكِّرْ في والديك لتسلو؛ لأنك ضحكتَ بعد موتهما عن قريب، مع جلالة قدرهما عندك؛ وذلك أن المصائب لا تُوقَفُ عليها القلوبُ أبداً الدهور، وإنما يكون تأثيرها أياماً. وقال البحري^(٢):

صُعُوبَةُ الرُّزْءِ تُلْقَى فِي تَوْقَعِهِ مُسْتَقْبَلًا، وَانْقِضَاءُ الرِّزْوِ أَنْ يَقْعَا
وَفِي أَبِيكَ مُعَزٌّ عَنْ أَخِيكَ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ، وَفِي الْوَفْدِ الَّذِي تَبْعَا
هُمْ وَنَحْنُ سَوَاءٌ، غَيْرَ أَنَّهُمْ أَضْحَوْا لَنَا سَلَفًا نَمْسِي لَهُمْ تَبْعَا

وقال لبيد^(٣):

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسَبْ لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

وقال آخر^(٤):

فَبَعْضُ^(٥) الْأَلُومِ عَاذِلْتَنِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي

وقد أحسن في الجمع بين التجربة والانتساب؛ لأنه إذا انتمى إلى آبائه ولم يسلك منهاج التجارب فيما أصابهم لم يُعَدَّ^(٦) ذلك سُلوًا واصطبارًا.

(١) ويروي (أبيك)، فيكون مفردًا على اللغة المشهورة، أو جمع (أب) على لغة من يقول (أبون، وأبين).

شرح الواحدي ٤٧١، ومعجز أحمد ٢٢٣/٣، وشرح الكندي ٥٠٧.

(٢) ديوانه ١٣٢٦/٢.

(٣) ديوانه ٢٥٥.

(٤) بلا نسبة في الفسر ١٥٤/١، والتبيان ٥٤/١، والمعاني الكبير ١٢١١/٣.

(٥) في التبيان (ففضي).

(٦) في الأصل (يعده).

وقال: "أبيك" فلم يردَّ اللام في التثنية، كما يقال: دَمان ويَدان، والأكثر الرُدُّ في الأخ والأب، نحو: أبوان وأخوان، وقد جاء ذلك أيضاً، أنشد صاحب الكتاب^(١):

[فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصَوَاتُنَا بِكَيْنٍ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْنَا]

وقرأ بعضهم^(٢): ﴿تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾^(٣)، [و] على هذا^(٤) حمله شيخنا رحمه الله، فهو مثل آبائك، فهذه الأسماء الثلاثة مبدلة من (أبيك)، كما كان في القراءة المشهورة.

وقال أبو إسحاق^(٥): إنه على الأفراد، قال: وَمَنْ قرأ هذه كره أن يطلق لفظ الأب على العم^(٦)، "فإبراهيم" بدل من "أبيك"، و"إسماعيل" معطوف على "أبيك"، لا على "إبراهيم"، فهو بمنزلة أن تقول: والدك إبراهيم، وإسماعيل. فهذا غير ممتنع في الإعراب والمعنى.

ومثل هذا قوله عز وجل: (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ)^(٧) فكما أن "عبدنا" هنا مفرد، وقوله: "وإسحاق" معطوف عليه دون إبراهيم، وهو منصوب كائن في موضع الجر^(٨) - كذلك يجوز أن يكون "أبيك" مفرداً في الآية الأخرى. والله أعلم بكتابه.

(١) الكتاب ٤٠٦/٣، وقد سقط هذا البيت من يد الناسخ، واستشهد به في هذا الموضع ابن جني (الفسر ٢٠٠/٨)، والواحد ٤٧١، وصاحب التبيان ٥٤/١، نقلًا عن سيبويه، ولذلك رفعته إلى المتن.

والبيت لزياد بن واصل السلمي، كما في الخزانة ٤٧٦/٤.

(٢) قرأ بها ابن عباس، والحسن، ويحيى بن يعمر، وعاصم الجحدري، وأبو رجاء.

المحتسب ١١٢/١، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٩/١، والبحر المحيط ٥٧٣/٨.

(٣) سورة البقرة: ١٣٣، والآية بتمامها: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدْرِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

(٤) أي: على أن (أبيك) جمع (أب).

(٥) أي: الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢١٢/١.

(٦) لأن إسماعيل عليه السلام عم يعقوب عليه السلام.

(٧) سورة ص: ٤٥. والآية بتمامها: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ وقراءة الأفراد قرأ بها: ابن كثير من السبعة، انظر: السبعة ٥٥٤، وهي مروية عن ابن عباس ومجاهد وحמיד وابن محيصن، تفسير القرطبي ١٤١/١٥.

(٨) المراد هنا (إسحاق) في آية البقرة، وعبر المصنف بالنصب عن الفتحة الظاهرة.

(٢٧) إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا بِحُبٍّ، ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطَيْبٍ

كنى [عن] الجزع بالخبث^(١)، وعن الصبر بالطيب.

يقول: إن الإنسان إذا جزع من المصيبة عند وقوعها فإنه يصير بعد ذلك إلى الصبر، ويزول غمه وهلهه.

والمصاب - كما مضى^(٢) - وقع على المصيبة^(٣)، كما وقع عدلٌ على عادلٍ، والدليل على ذلك ما أنشدته شيخنا - رحمه الله -:

[أَظْلَمُومٌ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلُمٌ]^(٤)

فرجل نُصب بمصابكم، بمنزلة أن تقول: إن إصابتكم رجلاً، و"ظلم" خبر إن.

وذكر^(٥) أن قَيْنَةً غَنَّت^(٦) الواثق بهذا البيت، وابن السكيت^(٧) حاضر، فقال: إن مصابكم رجلاً، بالرفع، فلم تقبل الجارية، وقالت: قد قرأت هذا الصوت على عالم البصرة أبي عثمان المازني، فلم يقلع يعقوب عن تخطئتها، وأصر على قوله، إلى أن أمر الواثق بإشخاص أبي عثمان

(١) في مواجهة الممدوح بلفظ (الخبث) نوع من النبوءة والاستهجان. انظر: الفتح على أبي الفتح ٧٧، والنظام ق/٣٠٠.

(٢) في صفحة: ٤٧٣.

(٣) أي: أنه مصدر عبري عن الاسم، مثل (عدل)، وهو مصدر يعبر به عن (عادل)، وهو اسم مشتق.

(٤) هذا البيت سقط من الأصل، وما بعده يدل عليه.

وهو للحارث بن خالد المخزومي، شعره: ٩١ (الجبوري).

(٥) هذه القصة في أخبار النحويين البصريين ٨٥، وطبقات الزبيدي ٨٧، ٩١، والأغاني ٩/٢٣٤، ونزهة الألباء ١٤١، ١٤٣، وإنباه الرواة ١/٢٨٤، ووفيات الأعيان ١/٢٨٤. مع خلاف في بعض مقاطعها.

(٦) في الأصل (فيه عتب) تحريف وتصحيف، والتصحيح من المصادر السابقة.

(٧) يعقوب بن السكيت، أبو يوسف، من أكابر أهل اللغة، صاحب (إصلاح المنطق).

وفي أخبار النحويين البصريين، ونزهة الألباء، وإنباه الرواة: أن الذي رد على الجارية هو (التوزي).

وفي طبقات الزبيدي: أنه (الواثق) ووافقه ابن السكيت. وفي وفيات الأعيان: أنه (الزبيدي).

60/ب

من البصرة، فلما وفد بسرّ من رأى، وحضر مجلسه، سأله عن البيت، فصوّب الجارية، ولجّ يعقوب، وأخذ يدافع، إلى أن قال أبو عثمان للوائق: هذا بمنزلة قولك: ضربني زيداً حسن، ففطن الواائق للصواب، وقرّب أبا عثمان. / وجعل يعقوب يقدر في النحو ويطلع على النحويين. فقال الواائق لأبي عثمان: سلّه مسألة، فاستعفى، فألحّ عليه، فقال: ما وزن "نكتل" من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتِلْ﴾^(١)؟ فقال يعقوب: وزنه (نفع)، فقال أبو عثمان: فما ضيه إذا كتل! فتنبّه الخليفة لما قال، وضحك. ثم قال لأبي عثمان: من خلفت بالبصرة؟ فقال: بنية أخ لي، فقال: ما قالت لك حين فارقتها؟ قال: أنشدت^(٢):

أبانا فلا رمّت من عندنا فإنّا بخير إذا لم ترم (٣)
أرانا إذا أضمرت كالبلا دُجُفَى، وتقطع منا الرّحم

فقال: ما قلت لها؟!

قال أنشدتها^(٤):

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: لا جرم لأردنك إليها مُنجحاً!. فوصله ثلاثين ألف درهم، وأمر بأن يُوقر زورقه من التّحف والطّرف، ويعاد إلى أهله.

وهذه الحكاية يرويها شيخنا -رحمه الله- عن أبي عبيد الله المرزباني^(٥).

(١) سورة يوسف: ٦٣.

(٢) الشعر للأعشى ميمون، الصبح المنير: ٣٣.

(٣) قال شارح الديوان: (لم ترم: لم تبرح).

(٤) البيت لجرير، من قصيدته المشهورة في مدح عبد الملك بن مروان، ديوانه: ٨٩/١.

(٥) وهذه الحكاية في (نور القبس) لليغموري ٢٢٠، وهو مختصر المقتبس للمرزباني.

وكان الصواب ليعقوب أن يقول في جواب أبي عثمان: وزن (نكتل) نفتعل، على المعنى؛ لأنه من اکتال، وإنما سقطت الألف المنقلبة عن [عين] الفعل لالتقاء الساكنين، والأصل: نكتال، كما أن أصل لم يبع (لم يبيع). أو كان يجب أن يقول: نفتل، فيمثله على اللفظ؛ لأن الكاف فاءٌ، والعين ساقطة، والتاء تاء (افتعل)، واللام^(١)، فيقال في تمثيله: نفتل، كما يقال في تمثيل قل: قل. فاعرفه.

(٢٨) وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سَكُونٌ عَزَاءٍ أَوْ سَكُونٌ لُغُوبٍ^(٢)

يقول: إن الحزين يسكن، إما اصطباراً، وإما عجزاً وقصوراً.

(٢٩) وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ^(٣) فَلَمْ تَجْرِ فِي آثَارِهِ بِغُرُوبٍ

الغروب: مجاري الدمع، واحدها: غَرْبٌ. والغرب: الحد، ومنه يقال: غرب السن، لطرفها الرقيق، يُشَبَّهُ بحد السيف لرقته، قال عنترة^(٤):

إِذْ تَسْتَبِيكُ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ عَذْبٌ مُقْبَلُهُ^(٥)، لذيذ المطعم

والمعنى: أن الشيء إنما يفكر [فيه] إذا كان حاضراً، فأما إذا غاب فإنه لا يُعْبَأُ به، فكما أنك لم تبك على أجدادك الذين لم تشاهدهم، كذلك يجب أن تتسلى عن يماك؛ لأنه قد ساواهم الآن في العيبة والانقطاع عن البصر.

(١) واللام لام الكلمة.

(٢) الواجد: الحزين. واللغوب: الإعياء. الفسر ٢٠٥/١.

(٣) رواية الكندي (مثله) ٥٠٨، وهي رواية إحدى نسخ الديوان: ٣١٧.

(٤) من معلقته، ديوانه ١٩٤، ورواية الصدر فيه: إذ تستبيك بأصلي ناعم.

ولفظ الشارح موافق لما في شرح المعلقات لابن الأنباري ٣٠٧، وجمهرة أشعار العرب ٤٧٦/١.

(٥) في الأصل (عذب مقالته). وأثبت ما في المصادر السابقة.

فإن قلت: فإن فيه تنافراً؛ لأن البكاء على الميت يكون لأجل الألفة، ولا ألفة مع من لم يشاهده! فكيف قاس هذا على ذلك؟^(١).

فالجواب: أن المقصود في ذلك ما ذكرت من أنه ساواهم في الغيبة، فقال: هب أنه جدُّ من أجدادك الذين كانوا قبلك فمضوا. يريد أن يسلي به ذلك. وأيضاً، فإن قوله: "فلم تجر في آثاره بغروب" يتلافى هذا الالتباس الذي ذكره السائل؛ لأنه يقول: إذا لم تبك على الجدِّ - مع حصول المناسبة - لأجل أنك لم تشاهده، فأقل ما يكون من الواجب في هذا المملوك أن تسلو عنه، ولا تديم الجزع عليه.

(٣٠) فَدَتِكَ نُفُوسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّهَا مُعَذِّبَةٌ فِي خُضْرَةٍ^(٢) وَمَغِيبِ

(٣١) وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسُ نُورَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبِ

/يقول: إن طالب ما لا يُنال في تعبٍ على كل حال.

61/أ

وما أحسن ما قطع بالمدح!

(١) كأنَّ الشَّارحَ يردُّ على من قال: "هذا المعنى مدخولٌ؛ لأن أولئك الأجداد لم يرههم، وهذا قد رآه، ثم فقده، فبطل التمثيل بهم" ويبدو أنَّ هذا من تعليقات الوحيد على كلام ابن جني. حاشية الفسر ٢٠٧/١.

(٢) الحضرة، بفتح الحاء وكسرهما: قرب الشيء. ويرى ثعلب: أن كسر الحاء أجود. الفسر ٢٠٨/١.

(١٩)

وقال يمدح سيف الدولة، ويذكر بناءه مرعش^(١)، سنة إحدى وأربعين وثلاثمئة:

(١) قَدَيْنَاكَ مِنْ رَيْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرِبَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا

"من ريع" تمييز؛ لأنه يجوز أن يفدِّي ويخاطب غير الريع.

كُنَى عن المحبوبة بالشمس، وجعل الريع شرقاً وغرباً؛ لأنها تخرج منه وتعود إليه.

(٢) وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسَمَ مَنْ لَمْ تَدْعُ^(٢) لَنَا فُوَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَا؟

تعجّب من معرفة الرسوم مع ذهاب الفؤاد.

وَأَنْتَ الْفَعْلُ - أعني "لم تدع" - لأن "من" كناية عن المرأة، كقراءة من قرأ^(٣):

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٤)، ومثله قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾^(٥)، فجَمَعَ،

حيث "من" كناية عن الجمع. وهذا مطّرد في كل موضع.

(٣) نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رُكْبَا

يقول: إنا مشينا في هذا الريع خُفَاءً، ولم نستحسن أن نطأه رُكباناً؛ إجلالاً وإعظاماً

لصاحبه، وهو من بان عنه.

(١) مرعش: مدينة في النغور بين الشام وبلاد الروم. معجم البلدان ١٢٦/٥.

(٢) ويروى (يدع) بالياء. شرح ابن الإفيلي ١٧/٢، والتبيان ٥٦/١.

(٣) قراءة شاذة، تروى عن الجحدري، والأسواري، ويعقوب، وابن عامر، وأبي جعفر، وشيبة، ونافع.

إعراب القراءات السبع لابن خالويه ١٩٨/٢، وتفسير القرطبي ١٧٦/١٤، والبحر المحيط ٢٢١/٧، ونسبها

صاحب التبيان في شرح الديوان ٥٦/١ لحمزة والكسائي! وهو خلاف ما في كتب القراءات والتفاسير.

(٤) سورة الأحزاب: ٣١.

(٥) سورة يونس: ٤٢.

وذكر ههنا على الظاهر^(١)، إذ لم يقدر أن يقول: بانت^(٢).

(٤) نَذَمُ السَّحَابَ الْغُرِّي فِي فَعْلِهِا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا - كُلَّمَا طَلَعَتْ - عَتَبَا

يقول: قد محت آثاره، وكرّث عليه باليلي، من كثرة ما فاضت به. فجعلنا نذمها لهذا الصنيع المستنكر، ونزوي عنها وجوهنا إذا ظهرت؛ لعتب عليها.

وذكره العتب في العجز لا يليق بذكر الذم في الصدر؛ لأجل أن العتاب يكون فيما تلابسه المودة، والذم فيما يلابسه البغض! ألا ترى إلى قولهم^(٣):

ويبقى الود ما بقي العتاب.

وبعد، فإن السحاب لا ينبغي أن يكون محبوباً^(٤) إليه مع استقباحه فعله بالريع، وأطراده على ذلك الصنيع، غير أنه قصد الإعراض، وتسامح في اللفظ؛ إذ كان المقصود بيئاً.

ويلزمه أمر آخر، وهو أن العتب على كل حال دون الذم، في ذكره بعد ذكر الذم خروج من الأعلى إلى الأدنى، وانحدار بعد تصعد! والصواب الخروج من الأدنى إلى الأعلى، ومن الأقرب إلى الأبلغ^(٥).

(١) أي: على ظاهر لفظ (من).

(٢) إذ لا يطاوعه الوزن.

(٣) هذا من قول علي بن الجهم:

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

انظر: بهجة المجالس ١/ ٧٢٨. ولم أجده في ديوانه (بتحقيق: خليل مردم).

(٤) لأنه وصفه بالغر.

(٥) كذا في الأصل، كأنه يريد (الأبعد).

(٥) وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا

يقول: إن الإنسان إذا طال مصاحبته للدنيا انقلبت على بصره، فصار ما كان منها صدقاً كذباً، أي: يصير الحسن إلى القبح، والصحة إلى السقم، والسلامة إلى الفناء.

وغرضه أن أحوال الوصال قد تقضت، وأخلق العيش بعد جدته، وتوحشت ديار الأوبة بعدما كانت أهلة بهم.

(٦) وَكَيْفَ التَّيْذَانِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ تُعَدِّ ذَاكَ النَّسِيمَ الَّذِي هَبَا!

كيف أستطيع هذه الأوقات إذا لم تعد النسيم الذي عهدته؟ يعني نسيم الأحباب.

(٧) /ذَكَرْتُ بِهِ وَضَلًا كَأَنْ لَمْ أَفْزِبْهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا

61/ب

يقول: أيام السرور قصار، والوصل الذي عهدته كان بمنزلة المعدم؛ لسرعة انقطاعه، وكأن ترجيتي^(٢) للعيش بمنزلة الوثب في السير سرعة.

و"وثباً" مصدر وقع موقع الحال، كقوله - وهو من أبيات الكتاب^(٣):

وَمَنْ هَلٍ وَرَدُّتْهُ التَّقَاطَا^(٤)

فكأنه قال: وعيش كأني أقطعه واثباً، كما أن المعنى في البيت: وردته ملتقطاً. وذا النحو كثير.

(١) رواية الفسّر ١/٢١٢، وشرح الواحدي ٤٧٢، ومعجز أحمد ٣/٢٢٨، والتبيان ١/٥٧، والنظام ق/٣٠٣: (إذا لم يعد ذلك النسيم ...).

ورواية الشارح موافقة لرواية ابن الإفيلي ٢/١٩، والكندي ٥١٠، والديوان ٣١٨.

(٢) ترجية العيش: تمضية أوقاته.

(٣) الكتاب ١/٣٧١. وقائله هو: نقادة الأسدي، كما في اللسان (لقط) و(فرط).

(٤) يقال: لقيته التقاطاً، أي: صدفة ومفاجأة. اللسان (لقط).

وقال بعضهم في قصر أوقات السرور^(١):

ويوم كإبهاام القطاة مُحَبَّبٍ^(٢) إني صباه، غالب لي باطله

وقال آخر^(٣):

ظللنا عند دار أبي نعيم يوم مثل سالفه الذباب

وهذا في المبالغة مثل قول الآخر^(٤):

ولو أن ما أبقيت مني معلقُ بعود ثمَام ما تأوَدَّ عودها

وكقوله^(٥):

ولو قلمُ ألقيت في شقِّ رأسه

ومن الاختصار قول الآخر^(٦):

يطول اليومُ لألقاك فيه وحولُ نلتقي فيه قصيرُ

(١) هو جري، ديوانه ٩٦٤/٢.

(٢) رواية الديوان (مزين).

(٣) بلا نسبة في الفسر ٢١٣/١، والواحد ٤٧٣، وأسرار البلاغة ١٢٨، والتبيان ٥٨/١.

(٤) وقع هذا البيت ضمن قصيدة في الحماسة البصرية ١٩٣/٢، قال صاحبها: "وقال أبو العوام بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، ومنهم من ينسبها للحسين بن مطير، وبعضها لكثير، والأول أصح" ومثله عند العيني في المقاصد النحوية ٤٥٧/٤. ويرى محقق البصرية أن القائل هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير، وأن نسبتها لأبي العوام وهم.

ووقع البيت ضمن قصيدة في ديوان المجنون ١٠٧. وبلا نسبة في الكامل ٣٨٤/١. وقصيدة العوام وردت بعض أبياتها -دون هذا البيت- في الحماسة (بشرح التبريزي ١٦٧/٢)، ومعجم الشعراء: ١٤، والأشباه والنظائر للخلالدين ١٩٧/١. وقد نازعه في كثير من أبياتها عدد من الشعراء، انظر: سمط الأئلي ١٧٨/١، ٣٧٣، وديوان كثير ٢٠٣، وديوان ابن الدمينه ٥٠، ٢٢٨.

(٥) أي: المتنبي، وقد مضى في صفحة: ٣٦٢.

(٦) سبق في صفحة: ٣٤٧.

(٨) وَقَتَانَةَ الْعَيْنَيْنِ، قَتَالَةَ الْهَوَى إِذَا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوَانَحَهَا شَبَا!

"نفحت" مثل ضاعت^(١)، والأصل: نفحت لشيخ، فحذف اللام، كما يقال: كَسَبَنِي، والأصل: كَسَبَ لي، وبغيته شيئاً، أي: بغيته له^(٢). قال^(٣):

لَنَنْ لَبَنَ الْمِعْزَى بِمَاءٍ مُوَيْسِلٍ^(٤) بَغَانِي دَاءَ إِنْنِي لَسَقِيْمُ

ويجوز أن يكون "نفحت" محمولاً على ما علقه^(٥).

وقوله: "قَتَالَةَ الْهَوَى"، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الهوى مرفوعاً في المعنى، كالعينين، فكأنه قال: وَفَتَانُ عَيْنَاهَا قَتَالُ هواها، كما تقول: مررت برجلٍ حسنِ الوجه، فيكون الوجه مرفوعاً في المعنى. وهذا هو مقتضى الظاهر.

والوجه الثاني: أن يكون الهوى في موضع نصب على المفعولية، كأنه قال: وَقَتَالَةَ الهوى، ثم حذف التنوين، كقوله عز وجل: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌّ﴾^(٦) والمعنى في ذلك: أنها قد سَلِمَتْ من الحب، فهي تقهرُ الهوى، ويهلكُ على مغالبتها!. ومثل ذا في نسبة القتل وما أشبهه إلى الهوى قوله^(٧):

(١) ضاعت رائحة الطيب: فاحت وانتشرت.

(٢) بغاه الشيء، وبغاه له، أي: طلبه له.

(٣) واقد بن الغطريف الطائي. انظر: شعر طيء وأخبارها ٧٧٥/٢.

(٤) مويسل: ماء في بلاد طيء.

(٥) أي: أنه ضمن (نفح) معنى (علق)، فيكون متعدياً بنفسه. وانظر: شرح الواحدي ٤٧٣، والنظام ق/٣٠٥.

(٦) سورة الأحقاف: ٢٤.

وموضع الاستشهاد أن (مطرنا) من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله، كما أن (قَتَالَةَ الْهَوَى) كذلك، على الوجه الثاني.

(٧) للمعلوط السعدي، من قطعة له في الحماسة (شرح المازني ١٢٨٣/٣).

بل لو يساعفنا الغيورُ بداره يوماً، لقد مات الهوى، وحيينا

وأيضاً، فكثيراً ما يُراد بالقتل التذليلُ وإزالةُ الشدة، ألا ترى إلى قوله ^(١):

فقلتُ اقتلوها عنكم بمزاجها وخُبَّ بها مقتولةٌ حين تُقتلُ

المعنى: أذهبوا جدَّتَها وشِرتَها، وليُنُوها بالمزاج. وقال شيخنا -رحمه الله- في قولهم: قتلته علماً: كأنه قد حقَّقه، وأكثر الممارسة فيه حتى ذلَّ له، وصار كالمقتول الذي لا غلبة له ولا قدرة. فاعرفه.

وقوله: "شبا" ^(٢) يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يريد أن الشيخ يرتاح لها ويطرب، كما يكون ذلك في الشاب، بأن تعدلَ به عن سَنَنِ الوقار والرشاد اللذين يكون عليهما المشايخُ في الغالب، كما قال أبو تمام ^(٣):

إذا زهدتني في الهوى خيفة الردى جَلْتُ لي عن وجهه يزهد في الزهد

والثاني: يريد أنها تُعيد إليه الشبابَ على الحقيقة، كما يقال: إنَّ الهمَّ يشيِّبُ، قال أبو تمام ^(٤):

غدا الهمُّ مُخَنَّطاً بِقُودِي خَطَّةً طريقُ الردى منها إلى النفسِ مهيعٌ ^(٥)

/يريد الشيبُ.

أ/62

(١) هو الأخطل، ديوانه ٢٣.

(٢) في الأصل (شيخاً) سهو.

(٣) ديوانه ٦٢/٢.

(٤) ديوانه ٣٢٤/٢.

(٥) الفودان: جانباً الرأس. وطريق مهيع: واضح بيِّن. القاموس (فود - هيع).

فكأنه قال: إنَّ الشيخَ يَطْرَبُ لِسَمِّ رِوَاغِهَا؛ فيعود إليه شبابُه لفرحه ونشاطه.

ونحو ذا من الكذب غيرُ مستبدعٍ في الشعر!

(٩) لَهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرِ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشَّهْبَا

النصف الأول معناه: أن المرأة مشابهة [للدر] وللبدر في الرونق والنور، واللائي عليها بمنزلة النجوم.

[والثاني معناه:] وليس بمعهودٍ أن يُقْلَدَ البدرُ النجومَ، فهذا يكون على وجهين:

أحدهما: أن يريد أنه لولا ما عليها من القلائد المنظومة من الجواهر لقلت: إنها بدرٌ على الإطلاق، كقول أبي تمام^(١):

وَجُوهٌ لَو أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبُ تَوَقَّدُ لِلْسَّارِي، لَكَانَتْ كَوَاكِبَا!

المعنى: أنه لا فضلَ بينهم وبين الكواكب، غير أنها في الأرض وتيك في السماء. ونحو ذا كثيرٌ.

والوجه الثاني: أن يكون قال ذلك على طريق الإنكار، فكأنه قال: إن هذه المرأة تجلُّ عن الجواهر؛ لأنها مثلها، بل فوقها، كما أن البدر من نمط النجوم وهو فوقها في الجلالة، فكما أن البدر لا يقلد النجوم كذلك يجب أن لا تقلد هذه الجواهر. ويشهد بذا قوله^(٢):

..... زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عَقُودُهَا

(١) ديوانه ١٣٩/١.

(٢) هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير، الحماسة البصرية ١٩٢/٢، ووقع ضمن قصيدة في ديوان المجنون ٨٤.

وتمامه في البصرية: (مخصرة الأوساط ...)، وفي ديوان المجنون: (مبتلة الأوساط...).

فجعل العقود آخذة الزينة منها، فهي أنور، كما أن البدر أنور من الكواكب.

(١٠) فَيَا شَوْقٍ^(١) مَا أَبْقَى وَيَا لِي مِنَ النَّوَى وَيَا دَمْعَ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَ مَا أَصْبَى!

أراد الكاف في "ما أبقى"، و"ما أجرى"، و"ما أصبى"، أي: ما أبقاك، وما أجراك، وما أصباك، من بقي، وجرى، وصبا، على التعجب، وجاز حذفه لدلالة الحال عليه؛ لأنه إذا خاطب الشوق، ولم يذكر مفعولاً لما "أبقى"، علم أنه يريد ضميره. وقريب منه قولك: رماه فأصاب القلب، ولا تقول: منه؛ لأنه يُعلم ذاك. وإذا جاز حذف جملة من الكلام -كقوله عز وجل: ﴿فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾^(٢) التقدير: فصرهن إليك، وقطعهن، ثم اجعل؛ لأن معنى صرهن: أملهن^(٣) - كان هذا غير منكر أيضاً. وهذا النحو واسع، لاسيما في الشعر، ومثله قول الشاعر^(٤):

أولئك قومي بارك الله فيهم على كل حالٍ ما أعف وأكرما

يريد: ما أعفهم، وما أكرمهم.

وأما قوله: "ويا لي" فقد قيل: إن اللام للاستغاثة، كما تقول: يا لزيدٍ للخطب الجليل، فكأنه استغاث بنفسه، حتى أدخل اللام على النفس^(٥). فهذا صحيح في المعنى.

(١) (يا شوق... ويا دمع... ويا قلب) على حذف ياء المتكلم، ويجوز الرفع في ثلاثتها على نداء المفرد. معجز أحمد ٢٣٠/٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) هذا هو المشهور، وقيل: قطعهن.

غريب القرآن لابن قتيبة ٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٥/١، وتفسير القرطبي ٤٩٦/٥، ومفردات القرآن (صور، صير).

(٤) هو شقران مولى بني سلامان، كما في الحماسة (بشرح المرزوقي ١٦٠٢/٤).

ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ٣/٣٠٩ إلى ثروان مولى بني عذرة.

(٥) فتكون اللام داخلية على المستغاث به، وعلى هذا حملة ابن جني (الفسر ١/٢١٥)، وصاحب معجز

أحمد ٢٣٠/٣، والكندي (شرحه: ٥١٠). ويجوز أن تكون اللام داخلية على المستغاث من أجله

(اللامع العريزي ٥٧/١)، وعنه تفسير أبيات المعاني ٥٧، وانظر: التبيان ٥٩/١.

وهذا الوجه سيرجحه الشارح في النهاية.

ووجه الاستغاثة أن يقول لنفسه: أغثنى من هذه البليّة (وهي النوى). وانصرني عليها بالصبر على الفراق، والإصرار على قطع المفاوز إلى الحبيب. ويكون رجع إلى نفسه في الاستغاثة، لأنه لا يجد أحداً يُغيّثه، فهو نحو مما تقدم من قوله^(١):

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلُ الْكَمِيَّ ...

إذ الغرض أن حديث الأحباب ليس مما تغني فيه معونة ناصرٍ، أو قوةً بأسلٍ، ويكون استغاثة بنفسه إجلالاً للحب من أن يقول لصاحب: أغثنى منه! كما قال^(٢):

لَوْ قُلْتُ لِلدَّيْفِ الْحَزِينَ: قَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ، لَأَغَرَّتْهُ بِفِدَائِهِ

فلم يحب أن يعرض صحيفة المحبة على غير نفسه.

فهذا التقدير ليس يرده المعنى، وإنما يرده حكم الإعراب. وأنا أشرحه لك، وإن كان يطول: اعلم أن / (يا زيد)، و (يا عبد الله) أصله: يا أدعو زيدا، ويا أدعو عبد الله، ثم ترك هذا الفعل، وجعل (يا) النائب عنه^(٣)؛ لأنه يدل على أنك تريد الدعاء، وإذا كان الأمر على هذا كان عبد الله في قولك: يا عبد الله، منصوباً بالفعل الذي دلّ (يا) عليه، وناب عنه، وكان اللام في قولك: يا لزيد متعلقاً به، كما يتعلق بالفعل في قولك: نصحت لك، فكان الأصل: يا أدعو لزيد، بمعنى دعوت زيدا، على أن يكون اللام مُعَدِّياً للفعل، ودليلاً على الاستغاثة. وجاز ذلك، وإن كان لا يقال: دعوت لزيد - بمعنى دعوت زيدا - لأجل أن الفعل لما أضمر، وأقيم (يا) مقامه لدلالته عليه ضَعْفٌ، فجاز أن يعدى باللام،

62/ب

(١) أي: المتنبي، انظر صفحة: ٢٢٥.

(٢) أي: المتنبي، وقد سبق في صفحة: ٢٢٣.

(٣) وقد حصل الجمع بين النائب والمنوب عنه في مثاليه السابقين، ومثله وقع عند سيبويه ٢٩١/١ - كما سيأتي - قال عبد القاهر تعليقا على مثال سيبويه: "وكانه جمع بين (يا) و (أعني) ليجعل (يا) دليلاً على كون المتكلم في حال الدعاء، وتنبهها على ذلك". المقتصد ٧٥٤/٢.

كما يقال: لزيدٍ ضَرَبْتُ^(١)، فهو مثل (ضَرَبْتُ) عُدِّي إلى زيد باللام، سيما وقد جُعِلَ اللامُ عَلَمًا للاستغانة.

وإذا كان كذلك علمت أن قولك: يا عبد الله، ويا لعبد الله، بمنزلة أن تقول: أدعو عبد الله.

فبعد هذا الأصل يردُّ على هذا التأويل سؤالان:

فالأول: كيف قال: "يا لي" والعرب لا تعدِّي فعل الضمير^(٢) في غير بابٍ علمت؟! لا يقال: ضربتك، ولا: ضربتني، وإنما الكلام: ضربتَ نفسَكَ، وضربتُ نفسي^(٣)، وقد ثبت أن (يا لعبد الله) بمنزلة: يا عبد الله، فكما لا يجوز أن يقال: ياي، كذلك يجب أن لا يجوز: ياي؛ لأن الكلام موضوع على أدعو، ولا يقول أحدٌ: أدعوني!

فالجواب: أنهم قد رفضوا ذلك في المتعدي بغير حرف الجر - نحو: ضربت - دون المتعدي بحرف الجر؛ لأنه يجيء في كلامهم، نحو: أحسنتَ إليك، وإن كان لا يشيع بشياع النفس، أعني أن تقول: أحسنتَ إلى نفسك، فمن ذلك قوله^(٤):

فقد كان أوصاني أبي أن أضيفكم إليّ وأنهى عنكم كلَّ ظالم

فعدَّى فعلَ ضميره (وهو أضيف) إلى ضميره (وهو الياء في إليّ)، إذ كان الفعل يتعدى بالجر، فلم يقل: إلى نفسي. فكما جاز هذا، كذلك يجوز للمتنبي أن يعدي (يا) إلى ضميره باللام، تشبيهاً بما ذكرت، وإن كان لا يجوز: ياي، وأدعوني.

(١) تقدم الكلام على هذا القول في صفحة: ٣٧٤.

(٢) أي: لا يتعدى الفعل إلى ضمير فاعله، إلا إذا كان من أفعال القلوب.

(٣) قال المبرد: (فعل الرجل لا يتعدى إلى نفسه، فيتصل ضميره، إلا في باب ظننت وعلمت ... فأما (ضربتني) و(ضربتكَ) يا رجل، فلا يكون). المقتضب ٢٧٧/٣.

(٤) هو حريث بن عتاب، كما في الحماسة (شرح المرزوقي ٢٥٧/١) وشعرطية وأخبارها ٥٨٥/٢.

فإن قلت: فإن الفعل الذي هو (أدعو) موضوع على التعدي بغير حرف الجر، وإنما يعدى باللام -هنا- لأجل أنهم قصدوا الدلالة على الاستغاثة، ولضعفه بالإضمار، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الحمل على الأصل، دون العارض من حاله. والفعل الذي هو (أضيف) مبني على التعدي بحرف الجر في الأصل، ولا يقول أحد: أضيفك زيّداً. فكيف جاز هذا التشبيه؟!

فالجواب: أن الأمر على ما قلت غير أنهم فرّقوا بين: ضربتك، وأحسنّت إليك، فجوّزوا الثاني، ولم يجوّزوا الأول؛ لأجل أن حرف الجر حينئذ يعمل في الضمير، ولا يكون الفعل الذي قد عمل في الضمير الأول عاملاً في الثاني، وقد حصل هذا المعنى في قولك: يالي. وكيف تصرف الحال فإنه غير حسن!.

السؤال الثاني: أن تقول: إن المنادى لا يكون إلا اسماً ظاهراً، ألا ترى أن صاحب الكتاب قال ^(١): إن الأصل: يا إياك أعني، في قولك: يا زيد، إلا أنه ترك الأصل، ووضع الظاهر موضع المضمّر، وكذلك بُني منادى المفرد؛ لأنه وقع / موقع ما يكون مبنياً (وهو: أنت، وإياك، والكاف في أدعوك).

63/أ

وإذا كان كذلك علمت أنه لا يجوز إيقاع النداء على الضمير بوجه ^(٢)! والاستغاثة نداءً بلا خلاف. ألا ترى إلى قوله ^(٣):

(١) الكتاب ٢٩١/١، ١٨٢/٢.

(٢) ورد نداء الضمير عند العرب بقلّة، انظر: الكتاب ٢٩١/١، والخزانة ١٣٩/٢.

(٣) هو المهلهل، في الكتاب ٢١٥/٢، والخزانة ١٦٣/٢.

والبيت بتمامه:

يا البكر أنشروا لي كليباً يا البكر أين الفرار؟!

والشاهد، قوله: (يا البكر)، جعل سيبويه هذه اللام للاستغاثة، قال: (فاستغاث بهم، لينشروا كليباً. وهذا منه وعيد وتهديد).

وقيل: إن هذه اللام داخلة على المنادى المهّدد، قال البغدادي: (وهذا المعنى هو الجيد، ومأخذه من البيت واضح لا خفاء به، ولا معنى للاستغاثة فيه).

وهذه اللام تكتب متصلة بمجرورها، ومنفصلة عنه، كما بين ذلك ابن جني في الخصائص ٢٩١/١.

يَا لَ بَكَرٍ أَنْشُرُوا ...

خاطبهم، كما تفعل ذلك في قولك: يا قوم افعلوا؟ فكما لا يجوز أن تقول: يا كَ افعل، كذلك لا يجوز: يا لَكَ افعل كذا.

وإذا صحَّ هذا، كان السؤال مبطلاً للتأويل الذي حكيناه؛ لأنه لو جاز: يا لي، بمعنى: يا لنفسي، جاز: يا لكم، ويا لكنَّ، بدل قولك: يا لَ قوم افعلوا، و"يا للدَّواهي" ^(١)، [أي] تَعَالَيْنَ فإنه من زمانكن، ولجاز أن تقول: يا لك ربَّنَا للمسلمين، مكان قول عمر رضي الله عنه "يا لله للمسلمين" ^(٢). وهذا مما لا يُشكُّ في عدمه وفساده.

وأما قولهم: "يا لك رجلاً" فقد ذكرنا أن التقدير: يا أعجبُ لك ^(٣)، وذا قولُ جميع النحويين.

فإن قلت: فما وجهُ (يا لي) بعد تصوّر فساد هذا الوجه؟

- فالجواب: أنَّ المنادى محذوفٌ، وأن (لي) مدعوٌ إليه، كما حكى من قولهم: "يا للعجب ويا للماء" ^(٤)، يريدون: يا قوم للعجب. فكأنه قال: يا قوم ويا أصحاب لي.

والدليل على أن المنادى يحذف لدلالة الحال عليه، بيت الكتاب ^(٥):

يا لعنةُ الله والأقوام كلَّهُمُ والمسلمين ^(٦) على سَمْعان من جارٍ

(١) قال سيبويه ٢/٢١٧: "ومثل ذلك قولهم: يا للدَّواهي، أي: تعالين فإنه لا يستنكر لكن، لأنه من إبانكن وأحيانكن".

(٢) قاله عمر - رضي الله عنه - عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي. انظر: الكامل ٣/١١٩٩، والمقتصد ٢/٧٨٨.

(٣) انظر ما سبق في صفحة: ٢٤٢.

(٤) الكتاب ٢/٢١٨، والكامل ٣/١١٩٩، والأصول ١/٣٥٤.

(٥) الكتاب ٢/٢١٩، والكامل ٣/١١٩٩، وأما لي ابن الشجري ٢/٦٩، والإنصاف ١/١١٨، ولم ينسبوه لأحد.

(٦) في المصادر السابقة (والصالحين).

التقدير: يا قوم لعنةُ الله، "فيا لعنةُ الله" [غير منادى]، يدلُّك على ذلك أنه رفعها،
والمنادى المضاف لا يكون مرفوعاً قط؛ لأنه لا يقول أحد: (يا عبدُ الله) بوجهٍ.

فهذا أولى بالحمل عليه؛ لأنه موجودُ النظر، حسنٌ في القياس.

وإنما أوضحتُ المسألة، وأطلتُ؛ لأجل أن هذا النحو لا يوجد في موضع آخر، فنحريك
عليه في التفسير، كما فعلتُ ذلك في مواضع، فلو تركناه لذهب المعنى.

(١١) لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِهَا وَيِي وَرَوَدُنِي فِي السَّرِيرِ مَا رَوَدَ الضَّبَّ

يقال: شَتَّ الشيء بنفسه يَشْتُ شَتَاتًا، وَشَتَّتُهُ فهو مشتوتٌ. وَالشَّتِيْتُ في الأسنان؛
لأنفصال بعضها من بعض، فهو مثل قَتِيلٍ. ويقال: أَشَّتَهُ، كما يقال: شَبَّتِ النَّارُ،
وَشَبَّبْتُهَا فهي مشبوبةٌ، وَأَشَبَّبْتُهَا.

والباء في "بها" متعلق "بلعب"، فكأنه قال: لقد لعب البين -الذي من شأنه
التفريق- بها.

ومعنى "ما رَوَدَ الضَّبَّ": أنه أورثه الصَّدَى والعطش^(١)؛ وذاك أن الضَّبَّ لا يَرِدُ الماءَ قط.

ويقال^(٢): إِنَّ الْحَوْتَ قَالَ لِلضَّبِّ: رُدِّ، فقال الضَّبُّ في جوابه:

(١) أي: لم يزوده بعد فراقها شيئاً، كما أن الضب لا يتزود بشيء في سيره. وهذا ما ذكره ابن جني (الفسر
٢١٧/١)، والواحدي (٤٧٤)، وابن سيده (شرح المشكل ٢٤٢)، وابن الإفيلي (٢٢/٢)، وصاحب معجز
أحمد (٣/٢٣٠)، وصاحب التبيان (١/٦٠)، ورجحه ابن المستوفي (النظام ق/٣٠٦).

وقيل: إن المراد بقوله: (ما رَوَدَ الضباً): الحيرة والضلال والتلفت؛ لأن الضب إذا فارق جحره لا يكاد
يهتدي إليه. ذكر هذا الوجه أبو العلاء المعري (اللامع العزيزي ٥٧/١)، ونقله الواحدي عن ابن
فورجة (٤٧٤)، واختاره أبو اليمن الكندي (شرحه ٥١).

(٢) هذه الحكاية في الحيوان ١٢٥/٦، وحياة الحيوان الكبرى ٤٦٦/١، وإصلاح المنطق ٣٩٤، والفسر ٢١٧/١،
والخصائص ٣٦٥/٢، واللسان (عرد) و(عنكث) إلا أنها عند الجاحظ بين الضب والضفدع

أصبح قلبي صَرِدَا^(١)
لايشتهني أن يـردَا
إلا عَرَادَا^(٢)
وصلياً أنا بـردَا
وعنك ثَمَلْتِ دَا

وفي المثل: "أروى من ضبب" (٣).

(١٢) وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا، وَمَطْعَمُهُ غَضَبًا^(٤)

(١٣) وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِذْ رَاكِيَ الْعُلَا أَكَانَ تَرَانًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسَبَا

معنى البيت: أنه استدرك قوله: "مطعمه غصبا"، فقال: إذا حاربت، أو أغرت، فليس لِرغبةٍ في المال وما يُمهّد من أمن المعيشة، وإنما الغرض نيلُ العُلا بدركِ الثأر، ونفي العجز والعار.

وقريب منه قول الآخر^(٥):

فَتَى لَا يَحِبُّ الزَادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْمَالَ^(٦) إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفٍ

لأن حبّه المالَ [و] الاستلابَ دليلٌ على حبّه المحاربةَ وإدراكَ الشرفِ بإضافة

الظفر،/ولو كان يحب المالَ لوجب أن يحبّه وهو من غير القنا والسيوف.

63/ب

(١) الصرد: الذي يشد عليه البرد، ولا يطيقه. اللسان (صرد).

(٢) العراد: ضرب من النبت، وكذلك الصليان والعنكث. اللسان (عرد - صلا - عنكث).

والعرد: الشديد الملتف. إصلاح المنطق ٣٩٤.

(٣) الحيوان ١٢٨/٦، وجمهرة الأمثال ٤٩٨/١.

(٤) الضاري: الذي تعود أكل اللحوم. وقوله: (يكن ليله صبحاً)، أي: يجعل الليل كالنهار، يقضي فيه

مطالبه ولا يرتاع منه. الفسر ٢١٨/١.

(٥) ليلى بنت طريف، كما سبق في صفحة: ٢٩٧.

(٦) في الموضع السابق (ولا الكنز).

(١٤) قَرَبَ غُلَامٌ^(١) عَلَّمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ كَتَّعِلِيمَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الدَّوْلَةَ الصَّرِيَّا

ليس يجب أن يكون التقدير: كتعليم سيف الدولة أهل الدولة، لأجل أن التعليم ينبغي أن يحصل من الممدوح لنفس الدولة؛ لأن الدولة معنى متعلق بالممدوح فهو يهديها، ويعلمها المضاء والضرب من عند نفسه، كما أن الغلام يستنبط المجد من نفسه، ويحصله من غير معلم وهادٍ إليه.

فعلى [هذا] الترتيب يلتقي طرفا التشبيه.

(١٥) إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مِلْمَةٍ كَفَّاهَا، فَكَانَ السَّيْفُ وَالْكَفُّ وَالْقَلْبُ

جمع^(٢) هذه الثلاثة لأن الأمر يتم باجتماعها، ألا ترى أن السيف يؤخذ بالكف، ثم أن كل واحدٍ منهما يحتاج إلى مضاء القلب ومعاونته؟

كما أنشدتك من قول البحري^(٣):

بَأَنَّ الْقَلْبَ لَا السَّيْفَ يَقْطَعُ

وجعله هذه الثلاثة؛ لأنه سيفٌ، فكان لها السيف والكف والقلب.

وكان يجب أن يقول: استكفته؛ لأن استكفى مثل استعطى، إذ المعنى: سألته أن يكفي، غير أنه سلك به مسلك استغاثت، فأدخل الباء. ونحوذا كثيرٌ.

(١) يعني بالغلام نفسه. شرح الواحدي ٤٧٤.

(٢) في الأصل (جمع مع هذه الثلاثة) كأن (مع) مقحمة.

(٣) انظر صفحة: ٢٨٠.

(١٦) تَهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا؟

يقول: إن السيوف المصنوعة من الحديد تُهاب، فكيف ظنُّكَ بمن كان مثل سيف الدولة وأوليائه، فهم سيوفٌ من نِزار^(١)؟

(١٧) وَيَرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَخَدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبَا؟

يقول: إن الأسد يُحذر جانبُه وهو منفرد، فكيف الظن إذا كان حوله أسوداً؟ لأنه إذا حَفَّ به أشكاله كان ذلك زائداً في هيبتِه. وجعل سيف الدولة ليثاً وعساكره ليوناً حوله، كما يحيط الأسود بالأسد الأعظم. وقريب منه قوله^(٢):

أَسَدُ فَرَانِسْهَا الْأَسْوَدُ يَقُوذُهَا أَسَدُ تَصِيرُ لَهُ الْأَسْوَدُ تَعَالِيَا

وقول البحري^(٣):

فَإِذَا لَقِيَتْهُمْ فَمَوَكِبُ أَنْجَمٍ زَهْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بِدَرُ الْمُوَكِبِ

وهذا أحسن؛ لأنه فضله عليهم، وبين أنهم أتباع له، والمتنبي أطلق لفظ الليث على الجميع، غير أن قوله: "صحبا" يدل على أن الليوث أتباع، إلا أنه ليس في الموضع كقول البحري.

وصَحْب: اسم جمع صاحب، كَرَكِبٍ وراكِبٍ، فإن صحبته^(٤) قلت: صَحِيبٌ، كما قالوا في رَاكِبٍ^(٥): رَكِيبٌ.

(١) نزار بن معد بن عدنان، وتغلب - قبيلة سيف الدولة - تتصل به.

انظر: جمهرة أنساب العرب ٩، ١٠، ٣٠٣.

(٢) أي: المتنبي، وقد سبق في صفحة: ٣١٦.

(٣) ديوانه ٢٨٣/١، يمدح أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد.

(٤) أي: كنتما في حال اللقاء والاقتران.

(٥) في الأصل (كب).

(١٨) وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ^(١) فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا؟!

يقول: إن البحر إذا هاج^(٢) كان يُخاف موجّه، وهو فيه غير متحوّل عنه، فكيف لا يُخاف هذا الممدوح، مع أنه يدور^(٣) البلاد إذا هاج، ولا يثبت في مقره؟!

وكي عن غضبه بالعُباب. وينبغي أن يقدّر مضافاً؛ ليتشاكل الطرفان^(٤)، فكأنه قال: فكيف بعباب من يغشى البلاد إذا عبّ؟.

والضمير الذي هو في قوله: "وهو مكانه" للبحر؛ لأنه جعل البحر في حال الموج باقياً في مكانه، وجعل الممدوح بالعكس من ذلك.

/ ويجوز ألا يقدر هذا المضاف، لأن معنى قوله: "ويخشى عباب البحر": ويخشى البحر في حال العبّ، أو إذا عبّ. وإذا كان كذلك، جاز أن تقول: فكيف بمن يغشى؟ من غير أن تذكر العباب. وقريب منه: ضربك زيداً قائماً، ومروك بكرة مُسرّعاً، فيستقل الكلام، وإن لم يكن للمبتدأ - الذي هو ضربك - خبر؛ إذ المعنى: ضربك في حال القيام، أو إذا كنت قائماً. وكذا قولهم: أقائم أخواك؟؛ لأن (قائم) مبتدأ وليس له خبر؛ لأن (أخواك) مرفوعان به^(٥)، غير أن الكلام تمّ؛ لأجل أن المعنى: أيقوم؟ فيجري مجرى جملة؛ وإن كان في اللفظ خبراً واحداً؛ إذ كان يؤدي معنى الجزأين (الفعل والفاعل). والحمل على المعنى كثير في كلامهم.

١/64

(١) رواية الواحدي: (ويخشى عباب البحر والبحر ساكن) شرحه: ٤٧٥.

وعباب البحر: تراكم أمواجه وهيجانها. الفسر

(٢) في الأصل (خاف).

(٣) في الأصل (يثور).

(٤) في الأصل (طرفان).

(٥) أي: أنه فاعل سدّ مسدّد الخبر.

(١٩) عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتُ تَفْصُحِ النَّاسِ وَالْكَتَبَا
(٢٠) فَبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيَبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصَبَا^(١)

خاطبه فقال: بُورِكْتَ من غيثٍ. وجعله كالمطر، وجعل المستمنحين بمنزلة الأرض، فذكر أنه غيثٌ تنبت عنه الحللُ والديباج، يعني ما يكسوهم من الخلع والملابس التي تزيّنهم تزيين الغيث للأرض. فذاك هو زهرُ جلودهم الناشيء من مطر كرمه!.

وهذا نمط من قوله^(٢):

وترتُعْ دون نبتِ الأرضِ فينا فمافارقتُها إلا جديبا

في أنه جعل نفسه موضعاً للرعي والنبات، كما جعلها مسقطاً للغيث، ومنبتاً للوشي. غير أن ذاك في الشدة، وهذا في النعمة.

(٢١) وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلاً وَمِنْ زَاجِرٍ هَلًّا وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعًا وَمِنْ بَاتِرٍ^(٣) قُضْبَا

"هلاً" ليس من (هَلْ)؛ لأن الألف من أصل الكلمة، وهو من باب رُوِيْدٍ^(٤)، فإذا نَكَّرْتَ نَوْنَتْ، فقلت: هلاً، وإذا قصدت المعرفة لم تنوّن، تقول: هلا يارجل، فيكون بمنزلة قولك: افعل عجلةً، وإذا قلت: هلا، فالمعنى: افعل العجلة، كما أنك إذا قلت: إيه، كان المعنى: هات حديثاً، وإذا قلت: إيه - بلا تنوين - [فكأنك] قلت: هات الحديث، كقول ذي الرمة^(٥):

(١) الوشي: كل ما كان فيه ألوان مختلفة. التبيان ٦٢/١. والعصب: يرود اليمين. الفسر ١٦٧/١. والديباج:

أعجمي معرب، وهو ثوب سداه ولحمته من الحرير. المصباح المنير (ديج) والمعرب ٢٩١.

(٢) أي: المتنبي، وقد مر في صفحة: ٣٤٩.

(٣) (باتر) هذه رواية التبيان ٦٢/١ وإحدى روايتي معجز أحمد ٢٣٤/٣، وهي رواية الديوان ٣١٩.

والرواية التي عليها الجمهور هي (ناثر).

(٤) أي: أنه اسم فعل. و(هلا) كلمة تستعمل في زجر الخيل. الفسر ٢٢٣/١.

(٥) ديوانه ٧٧٨/٢.

نزلنا فقلنا: إيه عن أم سالم وكيف بتكليم الديار البلاقع؟^(١)

وأما (حيَّهْل) فإنه (حيّ) و(هَلْ) جُعلا شيئاً واحداً، ألا ترى أنك تقول: حيّ على الصلاة، فتُسقط (هل)؟ والمعنى في قولك: حيَّهْل الصلاة، بالفتح: أنت الصلاة. فاعرفه. والقُصْبُ: المعى، وجمعها أَقْصَابٌ.

والمعنى: أنك تجزل العطاء، وتمزق الدروع، وتبت الأمعاء.

وليس يراد بلفظ الواحد -هنا- إلا الكثرة والعموم، كما يقال: هو أول فارس، ولا شبهة في أن المعنى: أول الفرسان.

(٢٢) هَنِيئاً لأهلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ جِزْبَ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ جِزْباً

اعلم أن معنى (هنيئاً لك كذا): [هناك هنيئاً]^(٢)، والفعل مضمرٌ، وهنيئاً قائم مقام المصدر^(٣)، حتى كأنك قلت: هناء لك كذا، كقولك: إنما أنت سيرا^(٤)، أي: تسير سيرا.

"فراييك" مرفوعٌ بالفعل المضمر الذي دلَّ عليه "هنيئاً"، وهو فاعل.

يقول: ليهنيئ لهم تدبيرك ورأيك فيهم؛ لأنك أسبغت / عليهم جلايب العدل، وعممتهم بأنواع الفضل.

64/ب

"وأنت" مرفوع الموضع بأنه معطوف على "رأيك". و"حزب الله" منصوب على النداء، فكأنه قال: وكونك حزباً، حزب الله.

(١) (أم سالم) نوع من الطيور الجميلة. والبلاقع: الأرض المقفرة.

(٢) هذه الزيادة مستفادة من كلام ابن جني ٢٢٥/١، والواحي ٤٧٥، وصاحب التبيان ٦٢/١.

(٣) لأنه حال وليس بمصدر، انظر: المصادر السابقة.

(٤) انظر: الكتاب ٣٦٠/١، والكمال ١٣٥٦/٣، وأوضح المسالك ٤٢/٢.

(٢٣) وَأَنْتَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَبَّيْهُ وَإِنْ شَكَّ^(١) فَلْيُحَدِّثْ بِسَاحَتِهَا حَظَبًا!

الضمير "فيها" يعود إلى الأرض، وأضمر لدليل الحال، كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٢). وغير ذلك.

والمعنى: أنك خوَّفتَ الزمانَ وربَّيه في الأرض، ثم استدرِك، فقال: فإن شكَّ الزمان فيما ذكرتُ فلينزل نائبةً في عَرَصَةِ الأرض، فيلقى حينئذٍ ما يُزِيلُ شَكَّهُ!

فإن قلت: فكيف لم يقل: وأنت رعتَ الدهرَ فيه؟ على أن يعيد الضمير إلى الثغر، فيكون أحسن؛ لأنه سلك في البيت الأول طريقة التخصيص، فقال: "رأيك فيهم"، ولم يقل: فيها، يريد الأرض.

فالجواب: أن ما ذكرته صحيح، وإن شئتَ حملتَ عليه التفسير، وجعلتَ التأنيث في "فيها" للثغر، على معنى البلدة. غير أن^(٣) ما قاله أمدح، وذاك أنه إذا كان قد عجز الزمانُ عن أن ينتج خطباً بوجه الأرض جميعاً، فما ظنُّك بأهل الثغر^(٤)؟ إذا الزمان امتنع من الشرِّ في سائر البلاد، فامتناعه من بلدته وثغره الذي بناه أشدَّ.

وجاز هذا وإن كان قد قال قبل: "رأيك فيهم"، فخصَّ؛ لأن العموم والإغراق بعد الاقتصاد حسن؛ لأنه ازدياد في الصعود، وإنما المستقبح أن ينحدر بعد التصاعد، كقوله: "كلما طلعتُ عتبا"، بعد قوله: "ندمُ"^(٥). ومثلُ هذا مثلُ من يأخذ في صناعته، فيصادف مستزيداً كلَّ وقتٍ في مراقبيها، كالتعلُّم وما أشبهه، فهذا هو المحمودُ. فاعرفه.

(١) رواية ابن الإفيلي (فإن شاء) شرحه ٢٦/٢. وفي الديوان (فمن شكَّ) ٣١٩.

(٢) سورة النحل: ٦١.

(٣) (أن) أحيل عليها في الحاشية.

(٤) في الأصل (الأرض) لعله سهوً.

(٥) انظر ما سبق في صفحة: ٤١٩.

(٢٤) فَيَوْمًا يَحِيلُ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا يَجُودُ تَطْرُدُ^(١) الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا

ذكر نتائج رأيه فيهم، واعتنائه بشأنهم، فقال: إنك تدفع عنهم الأعداء تارة بالخيول، وتنفي عنهم الفاقة أخرى بالنوال.

(٢٥) سَرَايَاكَ تَتَرَى، وَالْدُمُسْتُقُ^(٢) هَارِبٌ وَأَصْحَابُهُ قَتَلَى، وَأَمْوَالُهُ نُهَبَى^(٣)

السرايا: جمع سريّة، وهي القطعة من العسكر.

المعنى: أن جنودك متواترة، واحدة بعد واحدة، لا تنقطع -و- تترى "فعلَى من المواثرة، والتاء بدل من الواو- وهذا العدو منهزم، وأوليأؤه مقتولون، وأمواله منهوبة.

وذكر في البيت الأول بأسه وجوده، ثم أقبل على وصف أحوال الناس دون الجنود؛ لاقتضاء الحال لذلك، فقال:^(٤)

(٢٦) أَتَى مَرَعَشًا يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلًا وَأَذْبَرَ إِذَا أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا!

المعنى: أنه لما أقبل كان فرحاً، يرى البعيد قريباً، ولما أدبر كان وجلاً حزيناً، فكان الأمر بالعكس من ذلك.

وإيقاعه الاستقراب على البعد، والاستبعاد على القرب، صدّره على حذف المضاف، فكأنه قال: يستقرب المكان ذا البعد، ثم حذف الموصوف فصار (ذا البعد)، ثم حذف المضاف فصار (البعد)، ومثل ذا سواء: "أنت واحدة"^(٥)، يريدون أنت ذات تطبيقية

(١) رواية التبيان ٦٣/١ (يطرد) بإرجاع الضمير على الجود.

(٢) الدُمُسْتُقُ: قائد جيوش الروم. انظر: الإمبراطورية البيزنطية ١٧٧، وفي التبيان ٦٣/١: أنه اسم للملك الروم!

(٣) نُهَبَى: فُعلَى من النهب، أي: منهوبة.

(٤) (فقال) زيدت باللون الأحمر، وهي قلقة؛ لأن مراد الشارح يتجه إلى البيتين السابقين.

(٥) الإيضاح العضدي ١٦٨، والمقتصد ٥٨٩/١.

65/أ

واحدة؛ لأنه حُذِفَ شيءٌ بعده شيءٌ: حُذِفَ المضاف، الذي هو (ذات)، / وأُقيم (تطبيقاً) مُقامه، فصار: أنت تطبيقاً واحدة، ثم حُذِفَ الموصوف، فصار: أنت واحدة.

ألا ترى أنك إذا قلت: استقرت الشيء فالمعنى: وجدته قريباً؟ وأنت إذا قلت: إنه كان يستقرُّ البعد، كان بمنزلة أن تقول: يجد البعد قريباً منه، وهذا مناقضٌ للمعنى المقصود.

ويجوز أن يكون أوقع المصدر على العين، فيكون بمعنى البعيد والقريب، كقولهم: رجل عدلٌ، أي عادل. يدلُّك على كثرة إيقاع المصدر على الجوهر ما حكاه أبو حاتم^(١): "امرأةٌ عدلةٌ"^(٢)، فأجروه مجرى اسم الفاعل سواءً، وألحقوا علامة التأنيث، كما تقول: عادلةٌ.

(٢٧) كَذَا يَشْرِكُ الْأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَاءَ وَيَقْضِلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُغْبًا!

يقول: مَنْ لا يصبرُ على الطَّعانِ يَسْتَوْجِمُ مراتعَ الحربِ، فكأن غنائمه الفَرْغُ من الأعداء، وكأنَّ مفارقتَهُ لهم ورجوعَهُ عنهم على هذه الصفة.

(٢٨) وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَقُوفُهُ صُدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةِ الْقُبَا^(٣)؟

"اللَّقَان": موضع ببلد الروم. والباء في "باللقان" متعلق "برد" دون المصدر، والتقدير: هل ردَّ عنه باللَّقان وقوفُهُ بها، فحذف؛ لأن الحال يدلُّ عليه.

(١) السجستاني، من كبار العلماء باللغة، له مصنفات كثيرة، منها: المذكر والمؤنث، والأضداد.

(٢) انظر كتابه: المذكر والمؤنث ٦٧ (عزة حسن). وحكى الأزهرى هذا القول عن يونس (التهذيب

٢١١/٢، ٢١٢) وانظر: الخصائص ١/١٥٤، ٢/٢٠٥.

(٣) المطهمة: الخيل التي يحسن منها كلُّ شيء على حدته. والقَب: الضامرة البطون. الفسر ١/٢٢٨.

والمعنى: أنه كيف لم يقف ليردّ عن نفسه الرماح والأفراس التي تسرع خلفه؟! ^(١) والاستفهام على سبيل الهزة، كما تقول: هل خرج زيد؟ وأنت تعلم أنه لم يخرج، فيكون كقولك: ما خرج زيد في الحقيقة.

(٢٩) مَضَى بَعْدَمَا تَلَفَ الرَّمَا حَانَ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرُّفْدَةِ الْهُدْبَا

قال: "الرماحان" على معنى: [رماح] من ذا الجانب، وأخرى من ذلك، كما قال ^(٢):

بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشِلٍ

أي: رماح لهذه القبيلة، ورماح لتلك.

يقول: إن الحرب جالت جولةً، واختلط رماح هؤلاء [وهؤلاء]، وكان ذلك الالتقاء مقداراً أن يلتقي الهدب بالهدب في النومة الواحدة، يريد سرعة الانهزام، ولا يريد تشبيه اختلاط الرماح باللقاء الأهداب فقط، ألا ترى إلى قوله: "وهل ردّ عنه وقوفه"؟ فذكر أنه مضى ولم يقف، والتشبيه من حيث إنّ عساكره انهزمت وانفصلت عن عساكر الممدوح، وما كان اجتماعها إلا مثل لمح العين بالعين. وأيضاً فإن الهدب الأعلى لا يلتف بالهدب الأسفل ولا يختلط أحدهما بصاحبه، وإنما يكون هدب فوق هدب، وليس كذا الرماح، لأن بعضها يختلط ببعض. فالمشابهة من حيث الانفصال لا الاتصال، فاعرفه.

(٣٠) وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلَلْطَغْنِ سَوْرَةٌ ^(٣) إِذَا ذَكَرْتَهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا

كأنه قال: ما انفتل عن قُدره، ولكنه ولّى وهذه صفته.

(١) لا يثبت الشارح - رحمه الله - بقوله هذا وقوفاً ما، خلافاً لبقية الشراح الذين فسّروا البيت على ظاهره، أي: أنه وقف، ولكن وقوفه لم يغن شيئاً، فانهزم وهرب. وما ذكره الشارح لا يسعفه السياق، لأن الأبيات القادمة تشير إلى حصول تشاجر بالرماح، وطعن شديد، ووقوع أسرى، وهذا لا يكون إلا باللقاء بين الجانبين. اللهم إلا أن يقصد أنه هرب وحده، وترك عساكره وأتباعه.

(٢) هو أبو النجم العجلي، وقد مرّ في صفحة: ٣٩٩.

(٣) السورة: الارتفاع والحدة والقوة.

وقوله: "لَمَسَ الجنبَا" على وجهين:

أحدهما: أن يريد أنه طُعن، غير أنه مما به من الخوف لا يحسّ بذلك، فإذا اشتعلت جِدَّة الطعن، وتذكّر ذلك، لمس جنبه ليعرف أيّ موضع أُصيب منه، أو كيف وقع الطعنة؟.

والثاني: أن يريد أنه شاهد الطعان، فكلما تذكر سورتَه التي رآها عند الالتقاء لمس جنبه؛ ليعرف هل أصابه شيء منه؟!

وهذا نهاية في الوصف بقوة الروع والفرع.

(٣١) / وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقُرَى وَشُعْتَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا^(١)

65/ب

"القرايين" جمع قُربانٍ، وهو المختص بالملك، وقال^(٢):

صَفِيَّانِ قُرْبَانَانِ عَاشَا خِلَالَهُ وَمَاتَا مَعَا فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ خَامِلٍ

فهو فُعلان من القُرب.

و"الصُّلب" جمع صليبٍ، كَرغيفٍ ورُغْفٍ، والأصل التثقيْلُ، والإسكان جائز.

والمعنى: أنه انهزم منفردًا، وضَيَّعَ عساكره وممالكه وبيَّعَه؛ حتى تُسلَّطَ عليها.

(٣٢) أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ^(٣) حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًا

(١) العذاري: جمع عذراء، وهي البكر من النساء. والبطاريق: جمع بطريق، وهم أمراء الجيوش وفرسانها. وشعث النصاري: الرهبان. التبيان ٦٤/١.

(٢) هو عامر بن الطفيل، كما في الفسّر ٢٣١/١، ولم أجده في ديوانه.

(٣) رواية ابن الإفيلي ٣١/٢: (بسعيه)، وكذلك في معجز أحمد ٣/٢٣٨، وشرح الكندي ٥١٤، وأشار إليها صاحب النظام ق/٣١٢، وهي رواية الديوان ٣٢٠.

ويروي (بجهد) معجز أحمد ٣/٢٣٨. ويروي (لسعيه) النظام ق/٣١٢.

(٣٣) فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرَى

ورجع إلى الحكمة فذكر أن كل أحد يسعى لحياة نفسه، فالجبان يتوقى الحرب لأن يَبْقَى، والشجاع يخوض فيها لئلا يلحقه خوف العار، فهو طالب حياة الذكر الجميل، عاش أوقتل. مثل ذا قول الآخر^(١):

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ!

فهذا يعني حياة الثناء والمدح. وقال أبو تمام^(٢):

أَبْقَى يَزِيدُ وَمَزِيدٌ وَأَبُوهُمَا وَأَبُوهُ رُكْنُكَ فِي الْفَخَارِ شَدِيدَا
سَلَفُوا يَرُونَ الذِّكْرَ عَقْبًا صَالِحًا وَمَضُوا يَعْدُونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا

فهذه الطريقة التي جرى عليها أبو الفتح في تفسير هذا البيت^(٣)، وههنا طريقة أسهل منها، وأقرب إلى القلب، وهي أن تجعل الحياة التي يطلبها الجبان هي الكون في الدنيا، وتفسر على أن الشجاع يريد بخوضه غمرات الحرب أن يدفع العدو عن نفسه^(٤)، أو أن يحسم الأسباب القادحة في الحياة، ويرى أنه [إن] قرأ الفراق هلك؛ من حيث إن العدو يطمع فيه، ويقف على ضعفه وعجزه، فيقع بذلك في عين المكروه.

وعلى هذا قالوا^(٥): إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ.

(١) هو الحصين بن الحمام، شعره: ١١٤، مجلة المورد، م/ ١٧، ع/ ٣.

(٢) ديوانه ٤٢٠/١، يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني.

(٣) الفسر ٢٣٢/١، وعبارته: "أي: يرد الشجاع الحرب: إما ليبيلى بلاءً يشرف به في حياته، وإما ليقتل، فيذكر بالصبر والأنفة بعد موته".

(٤) ذكره هذا المعنى الواحدي (٤٧٧)، وصاحب معجز أحمد ٢٣٨/٣، ولعل عبارة ابن جني -السابقة- ليست بمعزل عنه.

(٥) هذا من أمثالهم، وهو من قول الشاعر:

لَقَدْ عَرَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ

انظر: جمهرة الأمثال ١١٤/١، ومجمع الأمثال ١٤/١، واللسان (حتف).

ويوضح هذه الطريقة ما حكى: أن يزيد بن المهلب^(١) قال يوماً لجلسائه^(٢): أراكم تعنفوني في الإقدام! قالوا: لأجل أنك تلقي نفسك في المهالك! فقال: إني [إن]^(٣) لم آت الموت مُسترسلاً أتاني^(٤) مُستعجلاً، إني^(٥) لستُ آتي الموت من حبه، إنما آتيه من بغضه. ثم تمثل بقوله: "تأخرتُ أستبقي الحياة... البيت".

(٣٤) وَيَخْتَلِفُ الرَّزْقَانِ وَالْفَعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ تَرَى إِحْسَانَ هَذَا لَذَا ذَنْبًا

يقول: إن الرجلين يسعيان في نمطٍ واحدٍ، ثم يفوز أحدهما بالمطلوب، ويُحرم الآخر. مثاله: أنك ترى رجلين قد تساويا في الفتاء والقوة، وربما يتصرفان في التجارة، فينال أحدهما الرخَّ الكثير، ولا ينال صاحبه شيئاً، ويخسر. فعلهما متشاكلٌ، ورزقُهما بالعكس. فإذا كان الأمر على ما وصفت كان إحسانُ أحدهما ذنباً للآخر؛ لأنَّ العطاء يكون للمحسن^(٧)، والحرمان يكون للمذنب، فشيءٌ واحد ذنبٌ وإحسانٌ في موضعين.

ومثل ذا قول الآخر^(٨):

يَخِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى^(٩) مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ

(١) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أمير، من القادة الشجعان الأجواد، تولى إمرة (خراسان) ثم (العراق، وخراسان) ثم (البصرة)، قتله مسلمة بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ.

وفيات الأعيان ٢٧٨/٦، الكامل ٢٣/٥، ٢٩، ٧٩، الأعلام ١٨٩/٨.

(٢) هذه الحكاية في: نثر الدر للآبي ٧١/٥ (الهيئة المصرية للكتاب)، ومحاضرات الأدباء ٧٨/٢، ٧٩.

(٣) زيادة من (نثر الدر).

(٤) في الأصل (باني آتي مستعجلاً)، وأثبت عبارة (نثر الدر).

(٥) في الأصل (أي) وهذا ليس بشرح لعبارة يزيد، بل هو من تمامها.

(٦) في التبيان ٦٥/١ (يُرى).

(٧) في الأصل (للإحسان).

(٨) أبو الشيص، ديوانه ٣٢.

(٩) ويروى (المُنَى) كما في الفسر ٢٣٤/١، والواحد ٤٧٧، والتبيان ٦٦/١.

إذا محاسني اللَّائِي أدلُّ بها كانت ذنباً فقل لي: كيف أعتذرُ؟
أهزُّ بالشَّعرِ قَوْماً من ذَوِي وَسَنِ في الجهل، لو ضُربوا بالسيف ما شَعروا!

يقول: إنَّ ما هو إحسانٌ لديَّ ذنبٌ عند هؤلاء. فمشابته لبيت المتنبي من هذا الوجه: وهو أن شيئاً واحداً ذنبٌ وإحسانٌ. وإنما يليقُ به البيتُ الأول. وكذا قوله^(٢):

فكم من موقفٍ حسنٍ أُحيلتْ محاسنُه، فعَدَّ من الذنوب!

والفرق بين الموضعين أنَّ المحرومَ يَرَى ما يفعله حسناً، وكذا المجذودُ، فكلُّ واحدٍ منهما قد عمِلَ، وليس كذا بيت البحري؛ لأنَّ مقصوده أنه صنع شيئاً كان عنده حسناً وغيرَ حسنٍ عند مَنْ يأتيه به، فالفعل ههنا لواحدٍ. فاعرفه.

فهذا تلخيصُ ما ذكره أبو الفتح في تفسير هذا البيت^(٣)، وهو يُخَرِّجُ - إذا ذكرتُ به^(٤) طريقةَ المعنى الثاني الذي ذكرته في قوله: "فحبُّ الجبان ... - على معنى يصله بما قبله، وهو أن كل واحد من الجبان والشجاع يطلب الحياةَ، ويبغض الموتَ، ويروم دفعه عن نفسه، إلا أن هذا يظنُّ أن الخلاصَ في الهرب والتوقي، وذلك يرى أنه في الإقدام ودفع العدو قبله، ثم يختلف رزقهما في ذلك، فيهلكُ أحدهما، وينجو الآخرُ، ويصير حبُّ الحياة التي طلبها كلُّ واحد منهما إحساناً للسالِمِ وذنباً للهِالكِ.

(١) ديوانه ٩٥٤/٢، ٩٥٥.

(٢) بلا نسبة في الفسر ٢٣٣/١، والنظام ق/٣١٣.

(٣) يقصد أن ابن جني فسَّره على العموم، وعبارته: "إن الرجلين ليفعلان فعلاً واحداً، فيرزق أحدهما ويحرم الآخر، فكان الإحسان الذي رزق به هذا هو الذنب الذي حرم به هذا". الفسر ٢٣٣/١.

(٤) في الأصل (ذكرت به في طريقة ...).

(٣٥) فَأَضَحَّتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقُ بَدْوُهُ^(١) إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتَّرْبَا

"فأضحت" يعني: مرعش، كأن السور من فوقها، ابتدأه قد شقَّ الكواكب، أي بلغها بسموه، وثبت أصله في الأرض. وكأن التقدير: قد شقَّ الكواكب إلى السماء، والترب إلى الأرض.

وأخذه من قوله^(٢):

لَنَا جَبَلٌ يَحْتُلُّهُ مَنْ نُجَيْرُهُ مَنِيعٌ، يَرُدُّ الظَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ

(٣٦) تَصُدُّ الرِّيَّاحُ الْهُوجُ^(٣) عَنْهَا مَخَافَةٌ وَتَفْرَعُ فِيهَا^(٤) الطَّيْرُ أَنْ تَلْقَطَ الْحَبَا

صدَّ غير متعدٍّ. أي: تعدل عن الموضع من خوف الممدوح، ولا تجسر الطير على التصرف فيه. أراد: كلُّ شيء يخافه.

(١) قوله (فوق)، أراد: من فوقه، فحذف المضاف إليه، وبنى (فوق) على الضم، مثل: قبل وبعد. ثم استأنف، فقال: (بدؤه...)، انظر: الفسر ٢٣٥/١.

وهذه رواية ابن جني وأكثر الشراح من بعده. وخالفهم الواحدي (٤٧٨)، فروى (من فوق بدئه) على الإضافة، أي: من أعلى ابتدائه، وفضل هذه الرواية على رواية ابن جني التي قال عنها: "وعلى هذه الرواية لا يستقيم لفظ البيت ولا معناه" وتابعه الكندي (شرحه ٥١٥)، وصاحب التبيان (٦٦/١). ورد ابن المستوفي على الواحدي ورجح رواية ابن جني، فقال: "الرواية التي تؤدي المعنى تأملاً، وفيه المقابلة، ما رواه أبو الفتح، ومعناه: كأن السور بدئ بناؤه من فوق إلى الأرض، فقد شق الكواكب والترب. فقابل فوق بالكواكب، وقابل الأرض بالترب... ومن روى (من فوق بدئه) بالجر ففيه تكلف في تأويله، وذلك أن المعروف أن يقال في الشيء العالي: (من أعلاه) ولا يقال: (من أعلى ابتدائه) فهو كلام ضعيف" النظام ق ٣١٤.

(٢) هو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، أو السموأل، على الخلاف المشهور في هذه القصيدة، الحارثي حياته وشعره: ٨٨، وديوان السموأل ٩٠.

(٣) الهوج: جمع هوجاء، وهي التي لا تهب على سمت واحد، بل تأتي من هنا تارة، ومن هنا تارة أخرى. الفسر ١٧٥/١.

(٤) في التبيان ٦٧/١: (منها).

وهذا مثل قوله في كافور^(١):

إذا أتنَّها الرياحُ النُّكْبُ من بلدٍ فما تهبُّ لها إلا بترتيب

وذاك أنَّ الرياحَ الهوجَ تخشى أن يحصلَ منها ما ينكره الممدوح، فلا تدنو من ذا الموضع، فتدنو نفسها للمخافة^(٢)، كما أن النُّكْبَ^(٣) إذا أتت بلدَ كافور فعلت ما يريد، فقد حصل أنها تتجنبُ مخالفةَ الممدوح، وتقصد ما يصرف إنكاره.

وإن أنعمتَ النظر وجدتَ بيتَ سيف الدولة أعلى منزلة؛ لأنه إذا ذكر أنها تجنح عن موضعه مخافة أن يبدّر منها شيء؛ كان ذلك أبلغَ من أن يقول: إنها تأتيه، وتجري على طريقة السَّواء^(٤) في الهبوب؛ لأنه إذا كان هنا رجلاً، وأنت لا تحسن أن تخاطب واحداً بوجه، وتجسر أن تخاطب الآخر من غير تخليط - علم أنَّ الأولَ أعظمُ هيبةً من الثاني! - فاعرفه. فإن نحوذا [لا]/يمكن الإتيان به في كل موضع، غير أنَّنا ننبّه على بعض الطريقة في المواضع لتقيس على ذلك.

66/ب

وقيل^(٥): إن المعنى في البيت منقول عن بيت أبي تمام^(٦):

فقد بثَّ عبدُ الله خوفَ انتقامه على الليل حتى ما تدبُّ عقاربُه

(١) سيأتي - إن شاء الله - لاحقاً.

(٢) في الأصل (تدنو نفسها المخافة)، لعل صوابه ما أثبت.

(٣) النكب: جمع نكباء: وهي الرياح التي تعدل عن مهاب الرياح القويمة. الصحاح "نكب".

(٤) في الأصل (الشرار)، لعله تحريف لما أثبت.

(٥) لعله يعني القاضي الجرجاني، انظر: الواسطة ٢٣٨.

(٦) ديوانه ٢٢٩/١، يمدح عبد الله طاهر.

(٣٧) وَتَرْدِي الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبُرُ فِي طَرَقِهَا الْعُطْبَا

"تردي": تَجِيءُ وتذهب، قال الأصمعي: الرَّدْيَانُ عَدُوُّ الْحِمَارِ بَيْنَ أَرِيَّهِ وَمُتَمَعِّكَه^(١).
"والجرد": جمع أجرد، وهو القصير الشعر، ويقال: إنه الذي ينجردُ من الخيل، ويفوتها،
فكأنه ينجردُ منها وينفرد^(٢)، ولذا قالوا: الخارجيُّ: للشيء الفائق؛ لأنه قد خرج [من]
جملة أشكاله، وانفرد.

والمعنى: أنَّ خيوله تجولُ في تلك الجبال، وقد نزل بها الثلجُ المشبهُ للقطن المندوف.

و"الصنبر": البردُ، والعُطْبُ: القطن.

(٣٨) كَفَى عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرْعَشًا، تَبًّا لَأَرَائِهِمْ تَبًّا!!

يقول: تعجَّبُ الناس من بَنائه مَرْعَشًا فعجَبٌ؛ لأجل أن مثله لا يستبدعُ منه بناءٌ
موضع، ثم قال: "تَبًّا لَأَرَائِهِمْ تَبًّا"، فدعا عليهم، يريد أن ذلك لأجل جهلهم، وضعف
أرائهم، إذ لا يعرفون أنَّ العظيمَ منه صغيرٌ! وهذا عكس العادة؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يقول في
الشيء الموصوف بالعظم إنه يجب أن يُقضى منه العجب، إلا أنه أثراً أن يترفع عن هذه
الطريقة، ويجعله بحيث لا تعظم منه العظائم، كما قال^(٣):

وتصغر في عين العظيم العظائم

ونعم الطريقة هذه!

(١) في إصلاح المنطق ٢٠٢، والفسر ٢٣٨/١، والصحاح (ردى). والآري: مجبس الدابة. والمتمعك:
المكان الذي تتمرغ فيه الدابة. وفُسِّر الرديان: بأنه ضرب من العدو، ترجم فيه الجياد
الأرض بحوافرها.

(٢) ذكر كلا المعنيين ابنُ جني في الفسر ٢٣٨/١.

(٣) الديوان ٣٧٥، من قصيدته المشهورة في مدح سيف الدولة. وصدره:

وتعظم في عين الصغير صغارها

(٣٩) وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ الْمَخْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا؟!

"ما" تحتل أمرين:

أحدهما: أن تكون مزيدةً، مثلها في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾^(١)، فكأنه قال: وما الفرق بين الأنام؟

والثاني: أن تكون بمنزلة "ما" الأولى، فكأنه قال: أي شيء الفرق، أي شيء بين الأنام وبينه؟ فأبدل الجملة الثانية من الجملة الأولى، كقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلَقَ أَثَامًا﴾^(٢)، فهذه جملة من فعل وفاعل، وما نحن فيه جملة من مبتدأ وخبر.

فإن قلت: فما مثال هذا البديل من الاسم؟

فالجواب: أنه بمنزلة قولك: مررت بزيد أبي عبد الله، وبعمرو غلام بكر؛ لأن في الثاني بياناً، وهو أن يعلم أن الممرور به ليس زيداً الذي يكنى أبا عمرو -مثلاً- كما أن [ما] في قوله: "ما بين الأنام وبينه" دليل على أن المراد بقوله: "ما الفرق" أو أي شيء الفرق، السؤال عن الفرق بينه وبين الأنام؛ إذ الفرق يكون بينه وبين غير [هـ]، هذا هو حكم الظاهر.

ويجوز أن تقول: إن قوله: "ما الفرق؟" لا يحتاج إلى دليل؛ إذ يُعلم من الحال أنه يريد الفرق بينه وبين الأنام. وإذا كان كذلك كانت الجملة الثانية مشبهةً لبديل التكرير باختلاف اللفظ، كقولك: مررت بزيد نفسه؛ لأن لفظ قوله: "ما بين الأنام وبينه" [مخالف] للفظ قوله: "ما الفرق"، والمعنى واحد، كما أن نفسه مخالف لزيد لفظاً، وموافق له معنى، فاعرفه.

(١) سورة البقرة: ٢٦. وما ذكره الشارح أحد ثلاثة أوجه في إعراب (ما) في الآية، انظر: معاني القرآن للزجاج ١٠٣/١، والبيان ٦٥/١.

(٢) سورة الفرقان: ٦٨. والشاهد في الآية التالية: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَذُّ فِيهِ مِهْنًا﴾ فجملة (يضاعف ...) بديل من (يلق ...).

"فما" على القول الأول تكون للاستفهام^(١).

(٤٠) لِأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَى وَسَمَّتهُ ذُوْنَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا

/يقول: لأمرٍ ولأه أمير المؤمنين، ولقبه سيف الدولة.

أ/67

ونسب الفعل إلى الخلافة مبالغة.

(٤١) وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَسَمَّتهُ ذُوْنَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا

(٤٢) وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ^(٢) كَرِيمُ النَّثَا مَا سَبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا

يقول: إن الرماح لم تتباعد عنه، ولم تعدل العداة عنه، ولم يخلوا له الشام؛ رحمةً عليه لضعفه، أو حباً، بل هزَمَهم، وكَسَرَهم.

وقوله: "غير كريمة" حال من الضمير المنصوب في "نفاها"، وهو للأعادي.

"وكريم النثا" هو الممدوح، وهو فاعل نفى، والنثا هو الخبر - بالقصر - يقال: نثا الحديث ينثونثوا، والنثا الاسم^(٣).

"وعنه" يعود إلى الشام.

ووصفه بالكرم والجلالة، أي: ليس هو ممن يلفظ بالخنا، ويُسابُّ غيره، أو يُسبُّ.

(١) ذكر في (ما) الثانية ثلاثة أوجه:

(١) أن تكون مزيدة. (٢) أن تكون هي وجملتها بدلاً من جملة ما الأولى. (٣) أن تكون هي وجملتها توكيداً معنوياً - يسميه بدل التكرير - لجملة (ما) الأولى.

وعلى هذا فهي للاستفهام في الوجهين الأخيرين، وليست للاستفهام في الوجه الأول.

(٢) ويروى (غير حميدة) النظام ق/٣١٦.

(٣) انظر: المقصور والممدود لابن ولاد: ١١١، والفسر ١/٢٤٢.

ومثل هذا المعنى قول الآخر^(١):

وما أحجم الأقوام^(٢) عنك بقيّةً عليك، ولكن لم يروا فيك مَطْمَعاً

وكقول المتنبي فيه أيضاً^(٣):

وما تركوك معصيةً ولكن يُعاف الورْدُ والموتُ الشَّرابُ!

وهذا أحسن؛ لأن [بين] المعصية والبقية فرقاً عظيماً، غير أن ذلك يليق بموضعه؛ لأنه جعله كالعذر لهم.

(٤٣) وَجَيْشٌ يُثْنِي كُلَّ طُودٍ كَأَنَّهُ خَرِيقٌ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ^(٤) غُصْنًا رَطْبًا

أي: نفاها جيشٌ يصرف الكتائب كأمثال الجبال^(٥)، ثم يكون معها مثل ريح شديدة لاقت غصناً لطيفاً ناعماً.

والخریق: الريح الشديدة التي تخرق الأرض.

وإتيانه بالغصن الضعيف في مقابلة الطود حسنٌ جداً.

(١) هو مروان بن أبي حفصة، شعره: ٤٣، يمدح معن بن زائدة الشيباني.

(٢) رواية شعره: الأعداء.

(٣) سيأتي قريباً.

(٤) رواية الكندي (صادفت) شرحه: ٥١٦.

(٥) جعل الشارح الطود كناية عن الكتيبة العظيمة، خلافاً لبقية الشراح الذين فسّروا البيت على ظاهر لفظه.

قالوا: هذا الجيش لكثرتِه وقوته يدك الجبل العظيم ويهده ويعطفه، كفعل الريح الشديدة بالأغصان الضعيفة. شرح ابن الإفليلي ٣٦/٢، والنظام ق ٣١٦. وهو المفهوم من شرح ابن جني ٢٤٣/١. وذهب الواحدي إلى أن معنى (يثنى)، أي: يجعله اثنين، قال: "وجيش إذا مروا بجبل شقوه لكثرتهم بنصفين، فجعلوه اثنين يسمع حسيسهما كالريح إذا مرت بأغصان رطبة" شرحه ٤٧٩، وتابعه الكندي ٥١٦، وصاحب التبيان ٦٩/١. وهو معنى بعيد، كما يقول صاحب النظام ق ٣١٦.

والإضافة من باب (خاتمُ فُضّةٍ)، والمعنى: الخريق من الرياح، فالضمير في "واجهت" للخريق، لا للرياح.

والجملة -أعني "واجهت"- في موضع رفع بأنها صفة لخريق، وليس موضعها مجروراً بأنها صفة لرياح، فكأنه قال: خريقُ رياحٍ مواجهةٌ غصناً رطباً، وهذا بمنزلة أن تقول: جاءني كريمٌ قومٍ راکبٍ، فتصفه بالنكرة؛ لأن المضاف إلى المنكور منكور.

(٤٤) كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجَبًا

يقول: لم تأمن الكواكبُ أن تفضي إليها غارةُ هذا الجيش، فاكتنمت تحت العجاج والغبار، وجعلته بينه وبينها حواجزاً وسُتوراً؛ لتسلم.

وقريب من ذا^(١):

طَلَبَتْهُمْ عَلَى الْأَمْوَاهِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفْتَشَّهَ السَّحَابُ

فقد جعل النجوم كأنها خائفة من إغارة جيشه، كما جعل السحاب تَمَّ كذلك.

والضمير في "عليها" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون عائداً إلى النجوم، حتى كأنه قال: فمدت على أنفسها، فيكون من نمط قوله: "أضيفكم إليَّ"^(٢) في تعدية فعل ضمير الشيء إلى ضميره، وقد قالوا^(٣) في قوله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٤) إن التاء في (تطهرهم) للصدقة، حتى

(١) هو للمتنبى، سيأتي قريباً.

(٢) يشير إلى بيت حريث الطائي الذي سبق في صفحة: ٥١٣

فقد كان أوصالي أي أن أضيفكم إلي وأنهي عنكم كل ظالم

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/٦٧، ومشكل إعراب القرآن ١/٣٦٩، والبيان ١/٤٠٥.

(٤) سورة التوبة: ١٠٣.

كأنه: تطهرهم بنفسها. والوجهُ الجيد أن تكون التاء للخطاب، كقولك: خُذْ من أموالهم صدقةً مطهرًا أنت لهم بها.

والوجه الثاني: أن يكون في "عليها" عائداً إلى السماء، وجاز ذلك لدلالة الحال، كقوله عز وجل: ﴿مَاتَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(١) فكأنه قال: فمدّت على السماء حجباً.

والمُغار كالإغارة سواء، وقد تقدّم ذكر "مغار ابن همام"^(٢)، وغير ذلك. فاعرفه.

٦٧/ب (٤٥) / فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللّوْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ فَهَذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرِّبَا

قد كان من مقتضى اللفظ والنظم أن يقول: فهذا الذي يرضي ملكه المكارم والإيمان؛ ليكون بإزاء الكفر، كما أن المكارم بإزاء اللؤم، غير أنه قصد إلى المعنى، وذاك أن حقيقة النصف الأول: فمن كان يلؤم ويكفر، وإذا كان كذلك جاز أن يترك اللفظ المجازي في المقابلة، فيقول: "يرضي الربا"؛ لأن معنى قولك: يرضي الإيمان راجعٌ إلى ذا، غير أن في لفظه مجازاً، ولفظ هذا حقيقي.

وكذا جاز ترك ذكر ملكه؛ لأن حقيقة قوله: "يرضي ... ملكه" أنه يرضي في حال مملكته، فلا يمتنع أن يأتي بالمقابلة بالملك دون المُلْك.

و"هذا" هو إشارة إلى الممدوح^(٣)، وهو الملك المرضي.

"وهذا" مبتدأ، والموصول خبره، فكأنه قال: فهذا هو الإنسان الذي يرضي. ولا يجوز أن يكون "الذي" صفة "لهذا"؛ لأن الكلام لا يتم بجزء واحد.

(١) سورة النحل: ٦١.

(٢) انظر صفحة: ٤٠٩.

(٣) جعل ابن الشجري الإشارة إلى الملك لا إلى الممدوح؛ لأمرين:

أحدهما: أنه لو أراد الممدوح، لقال: (فأنت الذي يرضي ...)، ولفظ الخطاب في مثل هذا أمدح.

والثاني: أنه أسند الإرضاء - في صدر البيت - إلى المُلْك. أماليه ١٠٣/٣.

ويجوز أن يقدّر حذف المضاف؛ فيحصل انتظام اللفظ، فكأن التقدير: فهذا الذي يرضي ملكه المكارم وتوحيد الربّ. ومثل ذا ما تقدم من قوله^(١):

ويخشى عباب البحر...

والإتيان بهذه المجانسة مما لا يحسن تركه في صنعة الشعر. ومما يدلّك على هذا أنهم يحافظون على الألفاظ كما يحافظون على المعاني، ألا ترى أنهم قالوا: زيد خرج هو وعمرو، وخرجت أنت وزيد، كقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢)؛ لأجل أن الضمير مستكنّ في الفعل، فلا يكون له لفظ في قولك: زيد خرج، ويتصل به اتصال الجزء بالاسم^(٣) في قولك: ضربت^(٤)، وإذا كان كذلك كان هذا في اللفظ عطفَ اسم على فعل، فلما كان كذلك كرهوا ذلك، فأتوا بالضمائر المنفصلة؛ ليُشاهد في اللفظ عطفَ الاسم على الاسم، فقالوا: زيد خرج هو وعمرو، ولو قالوا: زيد خرج وعمرو لم يختلّ شيء من المعنى، فهذا نصيب اللفظ. وكذا قولهم: أمّا زيد فمطلق، وفي شرحه طول^(٥).

وإذا كان الأمر على هذا علمت أن تضييع حظّ اللفظ، وترك الاعتداد بتجانسه غير محمود، ألا ترى أن قوله^(٦):

ثم انصرفْتُ، وقد أصبْتُ، ولم أصبْ جَدَعَ البصيرة قارِحَ الإقدام

(١) انظر ما سبق في صفحة: ٤٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٣٥.

(٣) كذا بالأصل، ولو قال: اتصال الجزء بالكل، أو بالكلمة، لكان أوضح.

(٤) كذا بالأصل، ولو قال: (خرجت) مراعاة للمثال المذكور لكان أولى، أو لعله محرف عنه.

(٥) انظر في ذلك: الجني الداني ٥٢٢، ٥٢٣.

(٦) هو قطري بن الفجاءة، انظر: صفحة: ٣٤٠.

لو وضع مكان "قارح الإقدام" متناهي الإقدام، أو بليغ الإقدام، لكان غير مستحسن، وإن كان التناهي أقرب إلى الحقيقة؛ لأجل أن المجاز يحسن بالمجاز^(١)، وكذا قول أبي تمام^(٢):

إِنَّ الْحِمَامِينَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ دَلُّوا الْحَيَاتِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ^(٣).

لو قال مكانه: دلوا الماء والعشب. لأنحط من قمة النجم إلى الحضيض، وحكم الصنعة إنما يتم بوضع الحياة في مقابلة الحمام، وعلى ذلك يجري النظم والنثر. فاعرفه حُكْمًا من أحكام الصنعة.

(١) فالشاعر وضع (قارح) في مقابلة (جذع)، وكلاهما مستعار.

(٢) ديوانه ٦١/١، من قصيدته في عمورية.

(٣) يقول: إن السيوف والرماح التي يكون بها الموت هي سبب استجلاب التلذذ بالحياة بالماء والحياة بالنبات؛ إذ الصبر والثبات في الحروب سبب للظفر غالبًا.

شرح مشكلات ديوان أبي تمام: ١٤، وشرح التبريزي (الموضع السابق).

(٢٠)

وقال مستعتباً لسيف الدولة من القصيدة التي أولها:

واحِرَّ قلباه ممن قلبه شيم^(١):

٦٨/أ (١) / أَلَا مَا لِسِيفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا فَدَاهُ الْوَرَى، أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا

"ألا" يجيء لافتتاح الكلام. و"ما" للاستفهام. و"عاتبا" نصب على الحال. فكأنه قال: ألا أي شيء لسيف الدولة اليوم عاتبا؟!

وقوله: "أَمْضَى السُّيُوفِ" يحتمل أمرين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون في موضع جرّ بأنه صفة لسيف الدولة، كقولك: مررت بزيد - وقاه الله - أفضل الناس.

والجملة من الحال إذا كانت مؤكدة لمعنى الكلام، جاز الفصل بها، كقوله^(٢):

وقد أدركتني - والحوادثُ جمّةٌ - أسِنَّةٌ قَوْمٍ لَا ضِعَافَ وَلَا عُزْلَ

ففصل بقوله: "والحوادثُ جمّةٌ" بين الفعل والفاعل، وهما كالصفة والموصوف في شدة الاتصال. "فداه" تأكيد لما يقصده من المدح، كما أن قوله: "والحوادثُ جمّةٌ" تأكيد للمعنى الذي ينتجه من إصابة الأسنة.

(١) ديوانه ٣٢٢. وعجزه: ومن بجسمي وحالي عنده سقم.

(٢) هوجورية - أو حويرثة - بن بدر، كما في النقائض ٣٠٩/١، وشرح شواهد المغني ٨٠٧، وشرح أبياته ١٨٣/٦. وبلا نسبة في الخصائص ٣٣١/١، وسر صناعة الإعراب ١٤٠/١، والمقتصد ٤٢٧/١، وأمالى ابن السجري ٣٢٨/١، واللسان (هيم).

والوجه الثاني: أن يكون منصوب الموضع على المدح، فكأنه قال: أعني أمضى السيوف^(١). و"مضارباً" نصب على التمييز، والألف للإطلاق؛ إذ لا تنوين فيه، فيكون مثل: "اليوم عاتبا".

(٢) وَمَالِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لَا أَشْتَاقُهَا وَسَبَابًا

يعني أنه إذا أحبب أن يحضر مجلسه حُجِبَ، فكُنِيَ عن المسافة بينه وبين الممدوح بالتنايف، وهي جمع تنوفة، وهي المفاضة. والسبب: الأرض السهلة المستوية.

وهذا حسن؛ لأجل أنه يرى القدر الذي بينهما مفاوز؛ لشدة شوقه وفرط كراهيته البعد عنه، وأكد ذلك بقوله: "لا أشتاقتها".

واعلم أنك إذا قلت: مالي أراك كذا؟ فإنه كقولك^(٢): ما لك تكون على هذه الصفة؟ فكأنك تريد أن تسأله عن تغير حاله، فتقول: ما وقع لي، فقد تغير رأيي لك وحالي معك؟ لأن تغيرك يدل على تغيري [ي].

وقريب من ذا قوله عز وجل: ﴿وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غَضَةً﴾^(٣)، فهذا في اللفظ للكفار، ولكنه في الحقيقة للمؤمنين؛ إذ المعنى: فأغلظوا عليهم. ونحو ذا كثير في العربية.

فكما أن الكفار لم يؤمروا بشيء في الحقيقة، كذا ليس قول الرجل لصاحبه: ما لي أراك ضاحكاً؟ بسؤالٍ عن حال نفسه، وإنما هو سؤال منه عن حال صاحب، حتى كأنه قال: ما لك تضحك؟ وكأنه يكون في الغالب إذا قصد تعظيم المسؤول. فاعرفه أصلاً.

(١) وقال الواحدي: (وأمضى خبر ابتداء محذوف، تقديره: هو أمضى ...) ٤٨٦.

(٢) في الأصل: (فإنه قوله: ما لك ...).

(٣) سورة التوبة: ١٢٣.

(٣) وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أَحَادِثُ^(١) فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَ!

قد صرف عنان الكلام إلى المعنى، فقال: "يدني"، ولم يقل: أدنو؛ إذ كان قوله: "مالي...؟" بمنزلة أن تقول: ما له؟ على ما فصلت لك.

والمعنى: أنه كان يقربني، ويصدُّ عني الحشمة^(٢).

وليس يعني بقوله: "بدرها" الممدوح، كيف وقد جعل له سماء، فتكون هي فوق البدر؟! والغرض: أي كنت أنبسط وأسترسل^(٣).

(٤) حَنَانِيكَ مَسْؤُولًا، وَلَبِيكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا، وَحَسْبُكَ وَاهِبًا

حقيقة "حنانيك"، أي: تحنُّنا بعد تحنُّن، قال الخليل: معناه: كلما كنت في خير ورحمة فلا تنقطعن، وليكن موصولاً بأخرى من رحمتك^(٤).

ومعنى "لبيك": إجابة بعد إجابة، / وفي حكم إعرابها طول^(٥)، وليس ذا موضع ذكره.

68/ب

و"مسؤولًا" نصب على الحال، كأنه قال: أرحم مسؤولًا، وأجيبك داعيًا.

(١) رواية ابن الإفيلي ٥٩/٢ (أحدث).

(٢) حشمة الرجل - وحشمه -: خاصته الذين يغضبون له، من أهل وعبيد أو جيرة. القاموس (حشم).

(٣) فسّر الشراح الآخرون البيت على ظاهر لفظه، فقال ابن جني: "شبه مجلسه بالسماء رفعا له، فجعله كالبدن، وجعل خصاله وفعاله كالكوكب. كما قال أيضًا:

أقلب منك طرفي في سماء وإن طلعت كواكبها خصالا "الفسر ١/٢٤٦.

وقال الواحدي: "وجعله كالبدن، وندماء وأهل مجلسه كالكوكب حوله". شرحه: ٤٨٧. ولا تخرج عبارات الباقيين عن عبارتي ابن جني والواحدي.

(٤) نقله عن الخليل سيبويه في الكتاب ١/٣٤٩.

(٥) حول إعراب (لبيك) وما أشبهها، انظر: الكتاب ١/٣٥٣، وأوضح المسالك ٢/١٨٧، وشرح الأشموني ٢/٢٥٢.

قوله: "وحسبي" فإنه جاء به مصدرًا، كقولك: الكفاية، وأضافه إلى الفاعل، كما تقول: ضرب زيد قائمًا، فكأنه قال: كفايتي لك موهوبًا، على أن تكون (كفايتي) مبتدأ، و(لك) خبره، و(موهوبًا) حال من الضمير الذي هو مرفوع في المعنى. والمعنى على قولك: أكفيك أنا موهوبًا.

والأكثُر في (حسب) أن يستعمل بمعنى كافيك^(١)، فيقال: حَسْبُكَ درهمًا^(٢)، أي: كافيك درهمًا، غير أنه لو استعمله بمعنى كافيك لم يمكنه إضافته إلى نفسه؛ إذ لا يقال: ضاربي^(٣) لك، تريد: أنا ضارب؛ لأن اسم الفاعل هو الفاعل في المعنى، والشيء لا يضاف إلى نفسه. فلما كان كذلك أجراه على المصدر، ولا شبهة في أن أصل (حسبك) المصدر. وقولهم: حسبك درهمًا - أيضًا - مثل قولك: تكفيني أنت واهبًا.

ويجوز أن يكون المفعول محذوفًا، ويكون "واهبًا" و"موهوبًا" حالين سداً مَسَدَ خبر^(٤) المبتدأ، كقولك: كفايتك إياي إذا كنت واهبًا.

(٥) أَهَذَا جَزَاءُ الصَّدَقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا؟ أَهَذَا جَزَاءُ الْكَذِبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا؟

يقول: إِنْ كُنْتُ كَذِبْتُ^(٥) فلا أَسْتَحِقُّ حَقًّا بوجه، وَإِنْ كُنْتُ صَدَقْتُ^(٦) فلا أَسْتَحِقُّ الحِجَبَ وَالرَّدَّ^(٧).

(٦) وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلِّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ^(٨) مَنْ جَاءَ تَائِبًا

يقول: ليس بعد التوبة عقوبة، وإن عظم الذنب وجل.

(١) أي: أنه يستعمل اسمًا مشتقًا، لا مصدرًا.

(٢) لعل صوابه (حسبك درهم) بالرفع، كما في الكتاب ٣/٢٦٨، والقاموس (حسب).

(٣) في الأصل (ضارب لك)، ولا يحصل به ما يريد.

(٤) في الأصل (الخبر).

(٥) في الأصل (صدقت)، وكتب فوقها (كذبت)، وهو الصواب.

(٦) في الأصل (كذبت)، وكتب فوقها (صدقت)، وهو الصواب.

(٧) قال الواحدي (٤٨٧): "أي إن كنت صادقًا في مديحك، فليس ما تعاملني به جزاء لصدق، وإن كنت كاذبًا

فليس هذا - أيضًا - جزاء الكاذبين؛ لأنني إن كذبت فقد تجملت لك في القول، فتجمل لي - أيضًا - في المعاملة".

(٨) ويروي (محا الذنب كل الذنب ...). النظام ق/٣١٩.

(٢١)

قال: وعرضت على سيف الدولة شروخ^(١) فوجد فيها شرخاً واحداً غير مذهب، فأمر بإذهابه، فقال أبو الطيب:

(١) أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيَّتُهُ^(٢) النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ!

"خاضبيه" مجرور بأنه معطوف على "ما يخضب"، فكأنه قال: أحسن الخضاب والخاضبين: النجيع والغضب؛ لأن الغضب يحمل على القتال وسفك الدماء التي هي خضاب السيوف ونحوها. فهذا بمنزلة أن تقول: أكرم الرجال والنساء: زيد ودعد؛ لأن (أفعل) إذا أضيف إلى جنسين كان التفضيل لاثنيين لا محالة؛ إذ يكون من كل جنس واحداً. هذا هو غاية ما يمكن. فأما قولهم: فلان أشعر الإنس والجن، فالغرض فيه الإيغال والمبالغة.

(٢) فَلَا تُشَيِّنُهُ بِالْغَضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ

يقول: إن رَوَّقَ الحديد لا يبقى مع لون الذهب، فهو شينٌ له.

(١) الشرح: هو النصل الذي لم يسبق بعد، ولم يركب عليه قائمه. (الصحاح / شرح).

وحاول بعض المطلعين على الأصل تعديل (شروخ) إلى (سروج) باللون الأحمر!

(٢) ذكر الواحدي -نقلاً عن ابن فورجة- "وقد صحت الرواية عن المتنبي (وخاضبيه) على التثنية، كأن النجيع خاضب، والذهب خاضب، وأحسنهما الدم"، شرح الواحدي ٥٠٥.

(٢٢)

وتشكى من دمّل، فقال فيه:

(١) أَيَذْرِي مَا أَرَابِكَ مَنْ يَرِيبُ^(١) وَهَلْ تَرْقِي إِلَى فَلَاكِ الْخُطُوبُ؟!

٦٩/ رآبني الرجل: إذا عرفت منه الريبة، وتحققتُها. وأرأبك: إذا ظننت به ذلك، وقال / شيخنا -رحمه الله-: إن من أوضح ما يدل على الفرق بينهما قول الشاعر^(٢):

أخوك الذي إن رُبَّته قال: إنما أَرَبْتُ وإن عَاتَبْتَهُ^(٣) لَأَنْ جَانِبُهُ

المعنى: إن الأخ الصافي الودّ هو الذي إن حققت الريبة منك عنده قال: إنما ظننت بك ذلك، ولم أتحقق. فيحمل أمرك على الأجمل، ويطلب ما يمحو سمة الذنب، كما قال^(٤):

إذا ما أَتَتْ من صاحبٍ لك زَلَّةٌ فكن أنت محتالاً لزلّته عذرا

وهذا هو الخلق الشريف الكريم، والطريق الواضح المستقيم. وناهيك شرفاً بما يَعِدُ الله عليه الجنة، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَظِطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾ وقال أيضاً: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٦﴾،

(١) سيأتي -بعد قليل- أن الرواية عن المتنبي هي فتح الياء من (يريب). وقد ضبط بالضم في شرح الواحدي (٢٥٣)، وابن الإفليلي (١٧٢/٢)، ومعجز أحمد (٣/٣٥٦). وفي التبيان (١/٧٢) أنهما روايتان، وكذلك في الديوان ٣٥٣.

(٢) هو المثلّس، ديوانه ٢٦٨ (مما نسب له)، ووقع ضمن قصيدة لبشار، ديوانه ٣٠٨/١.

(٣) في ديوان المثلّس (لايته).

(٤) هو سالم بن وابصة الأسدي، الحماسة (شرح المزوقي ٣/١١٤٣)، والأمازي ٢/٢٢٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

(٦) سورة فصلت: ٣٤، ٣٥.

ونحوذا كثير في التنزيل. ولله در البحري حيث قال ^(١):

تناسَ ذنوبَ قومك إنَّ حفظَ الذنوبِ إذا قَدُمْنَ من الذنوبِ

فتتبعُ الجنايات وسلوكُ طريقِ التعنّتِ مع من يحبّ مصادقتك سجيةً نازعة إلى
نصاب اللؤم، وخليقة راجعة إلى عرق الضعة، والكريم من يعفو عند المقدرة، ويريح
قلبه من شغل الضغينة، كما قال ^(٢):

مستريح الأعضاء ^(٣) من كل ضغينٍ بارد الصدر من غليل الحقود

وقال بعضهم ^(٤):

لَمَّا عفوتُ، ولم أحقدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي من همّ العداواتِ

فهذا شيء عارض، ونعود:

وقال بعضهم ^(٥): إن رابه وأرابه معناهما واحدٌ، وهو إيقاع الريبة من غير [شكّ].

ورواية أبي الفتح عن المتنبي بفتح حرف المضارعة من "يريب" ^(٦)، فكأنه قال: أتعرف
ماذا أوقع لك الريبة من غير ^(٧) توقع ذلك وتحققه؟ لأن الإنسان إذا كان يفعل ما يُوقع
تُهمّةً، فينبغي أن تكون هادية ^(٨) إلى معرفة أسباب الريبة، فكأنه قال: أيدري ما شكّك؟

(١) ديوانه ١٠٣/١.

(٢) أي: البحري، وقد مر في صفحة: ١٥١.

(٣) روايته في الموضع السابق (الأحشاء).

(٤) للإمام الشافعي، ديوانه ٢٨ (الزعمي). أو لَهلال بن العلاء الرقي كما في بهجة المجالس ٦٧٥/١.

(٥) نسب ابن دريد هذا الرأي لأبي زيد وأبي عبيدة (الجمهرة ١٢٥٨/٣)، وحكاه ابن جني عن أبي زيد
أيضاً (الفسر ١٨٤/١)، لكن الأزهرى حكى عن أبي زيد التفريق بينهما (التهذيب ٢٥٢/١٥). وانظر:

فعلت وأفعلت لأبي حاتم ١٦٧، وفعلت وأفعلت للزجاج ٨٠.

(٦) قال ابن جني: "وقال لي: كذا أنشده بالفتح". الفسر ١٨٤/١.

(٧) في الأصل (عند) تحريف.

(٨) في الأصل (هداية).

ثم فسّر ذلك، فقال: وهل ترقى إلى الفلك الخطوب ؟! أي: إنك مثل الفلك، فلا ينبغي أن تصيبك الأدوية، فأنت مرتابٌ فيما أصابك. لأجل هذا فأراب وراب بمعنى واحد^(١).

وقد يقال: أراب الرجل، إذا جاء بريبة، فلا يتعدى، كما يقال: ألام، إذا جاء بما يُلام عليه. ولا يقال: أرابك، ولا يقال: ألامك.

واعلم أن [ل] تخصيص (أراب) بإيقاع^(٢) الريبة على شكٍّ معنيٍّ: وهو أنك إذا قلت: أربتُ زيداً، فكأنك قلت: أوقعتُ له تهمةً غيرَ صادقة، أي: لا يعرف أي فعل ما لا يجب أو ما يجب، وإذا قلت: ربتُهُ، فكأنك قلت: قد عرف أي فعل ما لا يجب من غير شكٍّ. فكأن المعنى الأول لِمَا كان ضعيفاً قريباً من الزوال، إذ المشكوكُ فيه كالتحقّق انتفاؤه، ألا ترى أنك إذا ظننتُ بزيد الخروجَ، ولم تتحقّقه، كنت قريباً ممّن لا ينسبه إلى ذلك بوجه، ولا يظنّه؛ إذ كل واحد منكما إذا سئل عنه لم يقدر على إثباته، بل قال: لا أعرف ؟! وإذا كان معنى (أربتُ) قريباً من إزالة الريبة جازاً أن تجيء الهمزة فيه على معنى /أضعفتُ الريبةَ، كما تجيء للسلب في قولك: أعجمتُ الكتابَ، وأشكيتُ زيداً، أي: أرضيتُهُ، وأعتبتُهُ إذا قطعْتَ عتابه بالإرضاء، وغير ذلك. لأنَّ ضَعَفَ الشيء لِمَا كان قريباً من زواله جازاً أن يأتي فيه ما يفيد مجردَ الزوال.

69/ب

ونظيره أنهم قالوا: رَمَلْتُ الحَصِيرَ، إذا نسجته على العادة في استيفاء شرائط النسج، وأرملته، إذا أوهيتُ نسجه^(٣)، وكفى دليلاً عليه قولُ العجاج^(٤):

كَأَنَّ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُزْمَلِ

(١) أي في استعمال المتنبي.

(٢) في الأصل (بارتفاع)، لعله تحريف لما أثبت.

(٣) تذكر المعاجم وكتب اللغة أن رَمَلَ النسج وأرمله بمعنى واحد، أي: رَفَقَهُ، فكأن التفريق رأيٌ للشارح.

(٤) أبو ربيعة عبد الله بن ربيعة التميمي، من أشهر الرجاز العرب.

وهذا الرجز في ديوانه ١٨٢. وجَرَّ (المرمل) وحَقَّه النَّصَب؛ للضرورة.

ألا ترى أنه لو كان "المَرَمَل" غير موضوع لما ذكرنا من تضعيف النسج، كان هذا بمنزلة أن تقول: كأنَّ نسجَ العنكبوت المنسوج^(١)؟! وذا محالٌ لا يقوله عاقل! وإنما المعنى: كأن نسج العنكبوت الضعيف الواهي. فجاءت الهمزة في أرملت على معنى أوهنت الرمل (وهو النسج). [و]إذا كان وَهْيُ الشيء مقارناً لزواله صار قولك: أرملت الحَصِيرَ بمنزلة قولك: أزلتُ نسجَ الحَصِيرِ؛ لأنك لما لم تحكم صرتَ كأنك قد سلبته نسجاً؛ لما ذكرتُ من قرب الضعف من العدم والزوال. فهذا هو حكم من فرّق بين الموضعين، وفائدة تخصيص الهمزة بأضعف المعنيين.

وأما قول مَنْ جعلهما بمعنى فلا كلامَ فيه، وإنما مثل: قُلْتُ البيعَ، وأَقْلَته، ولا فصل بينهما. ويقويه قول أبي ذؤيب^(٢):

كُنْتُ إِذَا أَتَيْتُهُ مِنْ غِيَبِ
يَشْمُ عَطْفِي، وَيَبْرُثُوِي^(٣)
كَأَنَّمَا أَرَيْتُهُ مِنْ رِيَبِ^(٤)

(١) (المنسوج)، أي: المحكم.

(٢) هذا الرجز ليس في ديوان أبي ذؤيب، ولم أر من نسب له، والصحيح أنه لابن عمه خالد بن زهير الهذلي، كما في شرح أشعار الهذليين ٢٠٧/١، واللسان (ريب). يوضح ذلك قصة هذا الرجز، وهي أن أبا ذؤيب لما كبر، كان يرسل خالدًا هذا إلى صاحبه التي يشبب بها، فتوطدت العلاقة بين صاحبه وهذا الغلام، فاستراب منه أبو ذؤيب. فقال خالد:

يا قوم ما بال أبي ذؤيب... الأبيات.

فَنَسَبْتُهُ لأبي ذؤيب سهو، ولا يبعد أن يكون من أوهام الناسخ، فلعلّه مزج بين عبارة الشارح ومطلع الرجز، فيكون صواب العبارة -أعلاه- (ويقويه قوله: يا قوم ما بال أبي ذؤيب).

(٣) في شرح أشعار الهذليين: يمس رأسي ويشم ثوبي.

وفي الفسر ٢٥٣/١: يشم عطفِي ويمس ثوبي.

وفي الأصل (ويين) وأثبت عبارة اللسان (ويين): أي يجذب بقوة.

(٤) رواية شرح أشعار الهذليين: كأنني أتوته بريب.

ورواية الفسر واللسان: كأنني أريته بريب.

ألا ترى أنَّ استقصاءه في البحث يدلّ على تحقّقه الريبة منه؟

وأكثر الناس على الفصل، والبيت الذي أنشدتُ قد رواه أبو زيد^(١)، وهو مما يقطع بالفصل، وليس هنا شيءٌ يقطع بالتسوية به. فاعرفه، فإنه يُفتقر إليه.

(٢) وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةٍ كُلِّ دَاءٍ فَقَرَبَ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبٌ!

يقول: جسمك أعلى مرتبةً من أن تسمو له همّةُ الأدواء، وتتجاسرُ على ملابسته، فدنوا أقلّ الأدواء منه عجيب.

وأضمر الأدواء^(٢)، وإن لم يجز ذكرها؛ لأن قوله: "كل داء" بمنزلة أن تقول: الأدواء، كما أنك إذا قلت: جاءني كلُّ رجلٍ فالمعنى: جميع الرجال، فصار كأنه قال: وجسمك فوقَ همّةِ الأدواء.

(٣) يَجَشُّمُكَ^(٣) الزَّمانُ هَوًى وَحُبًّا وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ الْمَقَّةِ^(٤) الحبيبُ

يقول: إن الزمان يؤدّك، فيكلّفك تحمّل الأذى عنه، وربما أذى المحبّ الحبيب، وأتعبه، كلّفًا به وشغفًا.

فإن قلت: فأى حبٍّ في إذائه بما يضره؟ وإنما يحسن ذلك إذا كان المؤذي ينتفع بذلك، وليس بحبيبٍ من ينتفع بمرضك!

فالجواب: أن الممدوح بحيث لا تسمو همّةُ الزمان لاصطناع يدٍ عنده؛ إذ كل أحدٍ يأوي إلى طلب فضله، ويدرّع ملابس طوّله، وإذا كان كذلك لم يكن للزمان سبيلٌ إلى ملابسته بالإحسان، فيأتيه ببعض العلل ليتوصّل بذلك إلى ممازجته لحبه.

(١) لم أجده في نوادر أبي زيد، لكن الأزهرى أنشده عن أبي زيد (التهذيب ٢٥٢/١٥).

(٢) في قوله (أقلها).

(٣) (يجشمك) هذه الرواية مذكورة في معجز أحمد ٣٥٧/٣ والنظام. ورواية الشروح الأخرى والديوان (يجمشك) من التجميش وهو المداعبة والمغازلة.

(٤) المقة: المحبة.

وأحسنُ من ذا، قوله أيضاً^(١):

شائقُ أنت الرجالَ وشائقُ علّاتها

فجعل العِلَلَ تشتاق إلى الدنوّ منه .

ولو وضع السّقامَ موضعَ الزمان لكان أوضح؛ لأجل أن الزمان يحصل منه الملابس بالآذى وغير الآذى، وإذا توصلت إلى ملابس الحبيب بغیر ما يؤذيه^(٢) كان تعرّضك لما يؤذيه ولا يوافقُه / غيرَ حسن، وليس كذا السقام؛ لأنه لا يكون له سبيل إلى ملابسك من غير آذى، هو ذاك بعينه. إلا أنه قصد ما ذكرتُ لك من أن الممدوح أجلُّ من أن يدنو الزمان بإحسان إليه، فيلبسه بأن يناله ببعض ما يؤذيه ليقضي وطره من مقاربته.

ويجوز أن يكون المعنى: أن الزمان يحبك، فيعاتبك في بعض الأحوال بأن يأتيك بشكاة، وقد يكون المحبُّ ممن يؤمن الخيانة^(٣)!

(٤) وَكَيْفَ تُعَلِّك الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ بِعِلَّةٍ^(٤) الدُّنْيَا طَبِيبٌ؟

يقول: ليس هذه الشكاة من إعلال الدنيا لك، وقصدها إيذاءك؛ على الحقيقة، وإنما هو - كما ذكرنا - من اشتياق الزمان إليك. وكيف يكون ذلك وأنت طبيب الدنيا تعالجها أبداً؟ وهل يعمل العليلُ الطبيب؟ لأنه إذا كان عالماً بمصالحه كان بمصالح نفسه ودفع الذي يردُّ إليه من جهته أعلم.

(١) سيأتي في قافية التاء.

(٢) في الأصل (ما ينفيه)، لعله تحريف لما أثبت.

(٣) كذا في الأصل، كأنه يريد: وقد يكون المحب ليس ممن يؤمن الخيانة.

(٤) رواية الفسّر ٢٥٥/١: (لعله)، والروايتان في الديوان ٣٥٣.

(٥) وَكَيْفَ تَتُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنْوُبُ!؟

يقول: إن النوائب كلها تُكشف بك، فكيف يجوز أن تأتيك النوائب!؟ فهذا تأكيدٌ للأول، أي ليس هذا الداء لقدرة الأحداث منك، وإنما هو لحبّ الزمان لك، وإرادته ملابستك.

(٦) مَلَيْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طَعَانٌ صَادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبٌ

يقول: إنك لا تلبس بغير الحرب، فلا تعجبك الملاهي، وإنما تعجبك الصوارم والمداعس^(١).

و"مقام" يجوز أن يكون مصدراً كالإقامة، المعنى: مللت مقامك في يوم من شأنه كذا، كما أن قوله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٢). تقديره: بل مكرّم في الليل والنهار، غير أنهم يتوسعون في الظرف، فيجعلونه بمنزلة المفعول الصحيح، ويضيفون المصدر إليه، فمكر الليل والنهار بمنزلة أعجبي ضربُ زيد - وزيد مفعول - فكذاك يضاف المقام إلى اليوم، كما يضاف الضرب إلى المضروب في قولك: أعجبي ضربُ زيد عمرو^(٣).

ويجوز أن يكون المقام اسمَ مكان، حتى كأن قلت: مللت محضَر يومٍ من شأنه كذا.

(٧) وَأَنْتَ الْمَرْءُ^(٤) تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهَمَّتِهِ، وَتَشْفِيهِ الْخُرُوبُ

يقول: إنك أفلعت عن المحاربة والقتال، ولازمت الفراش، فأضرّ بك ذلك، وأمرضك؛ لأجل أنك قد تعوّدت التصرف في الحروب. والانتقاضُ من المتعَوّد من جوالب الضرر.

(١) المداعس: الصم من الرماح، من الدعس: وهو الطعن، وشدة الوطء. كتاب السلاح ٢٠، والقاموس (دعس).

(٢) سورة سبأ: ٣٣.

(٣) (عمرو) فاعل المصدر (ضرب)، كما روي بيت الأخوص:

فإن نكاحها مطر حرام

برفع (مطر) على أنه فاعل المصدر (نكاح). انظر: شرح الأشموني ٢/٢٧٩، والخزانة ٢/١٥٣.

(٤) هذه رواية الفسر ١/٢٥٥، والتبيان ١/٧٣، والنظام ق/٣٢٢، ورواية الشروح الأخرى والديوان: (وأنت الملك).

ومثل ذا قوله^(١):

وما في طَبِّهِ أَنِّي جَوَادُ أَصَرَّ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجَمَامِ

وقوله^(٢):

وَأَتَعَبُ بِالْمُنَاخَةِ وَالْمُقَامِ

وقد أتينا على ذا المعنى في قوله^(٣):

وضرّه في تركه لو تفتن الأعداء.

(٨) وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعَثِيرَهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيْبُ.

"ما" للنفي. يقول: ليس بك شيءٌ غيرُ شوقك للحرب واشتهائك أن ترى الخيل تعثر في العثِير (وهو الغبار).

و"جنيب" بمعنى: مَجْنُوب، من قولك: جنيبٌ، للفرس، كأنَّ حقيقته: أَنَّهُ يُسَدُّ بجنب صاحبه، ولذا قال^(٤):

/هَوَايَ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُضْعِدُ جَنِيْبُ، وَجُثْمَانِيْ بِمَكَّةَ مُوْثِقُ

70/ب

أي: جيّ منوطٌ بهم.

(١) من قصيدة الحمى، الديوان ٤٧٨.

(٢) من نفس القصيدة. وفي الديوان (بالإنابة) بدل (المنابة) وانظر صفحة: ٢١٥.

(٣) انظر صفحة: ١٢٥.

(٤) هو جعفر بن غلبة الحارثي، من قصيدة له في الحماسة (بشرح المروزقي ٥١/١)، والأغاني ٥١/١٣، والخزانة ٣٠٧/١٠.

ويقال: جَنَبَ يَجْنُبُ جَنْبًا، وقال النبي ﷺ: "لَا جَنْبَ، وَلَا جَلْبَ، وَلَا شِغَارَ؛ فِي الْإِسْلَامِ"^(١)، وهو أن يجعل أحد المتسابقين فرساً إلى جنب فرسه الذي ركبه، حتى إذا وَنَى الذي ركبه انتقل إلى الْمُجَمِّ، وفات صاحبه. فهذا هو الأصل في الجنيبة. وأنشد أبو الفتح عن أحمد بن يحيى قوله^(٢):

وَنَيْبَةٌ قَطَعَتْهَا بَنَيْبَةٌ حَرْفٍ^(٣) يُعَارِضُهَا جَنْبٌ أَدْهَمُ

قال: الجنيب: الظلّ، والثنية: الناقة^(٤)، والأولى: الفلاة^(٥). وليس الجنيب اسماً للظل، وإنما عني أن الظلّ بهذه الناقة بإزاء الجنيب، وقال: "أدْهَمُ" لِيَنْبُتَهُ^(٦) على قصده الظلّ. ويقوّيه قول الآخر^(٧):

يُرَى ظِلُّهَا عِنْدَ الرِّوَاكِ كَأَنَّه إِلَى جَنْبِهَا رَأَى^(٨) يُخْبُ جَنْبُ

فكذلك المتنبي جعل الغبار كالفرس الذي يكون بجانب الآخر.

(١) أخرجه أبو داود (حديث ٢٥٨١) والترمذي (حديث ١١٢٣) والنسائي (حديث ٣٣٣٧) وهذا لفظ الأخيرين، وتمامه: "... ومن انتهب نهبة فليس منا".

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) والجلب (يكون في شئئين: في الزكاة: وهو أن المصدق لا ينبغي له أن يقيم بموضع، ثم يرسل إلى أهل الزكاة فيجلبوا إليه مواشيهم، ولكن يأتيهم على مياههم وأماكنهم. والثاني في السباق: وهو أن يتبع الرجل فرسه فيزجره ويصيح ويجلب عليه؛ ليسرع. (النهاية في غريب الحديث ٢٨١/١).

(٣) الفسر ٢٥٧/١ بلا نسبة.

(٤) ناقة حرف، أي: ضامرة، كأنها حرف الجبل. الإبل للأصمعي (الكنز اللغوي ١٠٣) والصاح (حرف).

(٥) وهي التي ألفت ثنيتها، وذلك في السنة السادسة. فقه اللغة للثعالبي ١١٤، والقاموس (ثني).

(٦) في الفسر ٢٥٧/١: الثنية الأولى: الطريق. وتزيد المعاجم بأنها: العقبة، أو الطريق الصاعد في الجبل. الصاح، والقاموس (ثني).

(٧) في الأصل (للتنبه) تحريف.

(٨) أنشده ابن جني عن ثعلب (الفسر ٢٥٧/١)، وانظر اللسان (دفع).

(٩) الرأل: ولد النعام.

وأضمر الخيل^(١) قبل جَرِي ذكرها لدليل الحال، كما تُضمر الأرض^(٢)، ونحو ذا واسع.

وأما الهاء في "عثيرها" فيجوز أن يعود إلى الحروب؛ لأنه يَهْتَاج عنها، وكثيراً ما يقال: عجاجُ الحرب. ويقال: عَثِيرَةٌ وَعَثِيرٌ، كعجاجةٍ وعجاجٍ، والياء زائدة، ووزنه (فُعِيل)؛ لأنه مما يُعَثِرُ فيه.

(٩) مُجَلَّحَةٌ^(٣)، لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَلِلْسُمَرِ الْمَنَاجِرُ^(٤) وَالْخُوبُ

"مجلحة" منصوب على الحال من الخيل، أي: مصممة نافذة. وجعل أرض الأعادي لها بمعنى أنها مهيأة لقصدها.

"وللسمر المناحر والجنوب" أي: تطعن فيها، وتخرق.

(١٠) فَقَرَطَهَا الْأَعْنَةَ^(٥) رَاجِعَاتٍ فَإِنْ بَعِيدَ مَا طَلَبْتُ قَرِيبُ

قَرَطَ الْعِنَانَ فَرَسَهُ: إذا طرحه على رأسه، أو تمدد بعنانه يدك حتى تضعها في قذاله^(٦)، وكأنه أراد أن العنان جعل في موضع القُرط منه.

وأما قولهم: قَرَطَ عليه، إذا أعطاه قليلاً، فمأخوذ من القِرَاط الذي هو أصل القيراط (لأن الياء فيه بدل من الراء الأولى).

(١) في قوله: (... أن تراها).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿مَاتَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ وقد مضى تفصيل ذلك في صفحة: ٦١٤.

(٣) رواية الواحدي (مجللة) قال: "مجللة من نعت الخيل، وهي حال لها، وروى الخوارزمي (محللة)، أي: قد أحلت لها أرض الأعداء فهي تطوؤها". شرحه: ٥٢٤.

قال ابن المستوفي: "وفي قوله: (مجللة) زيادة ليست في قوله: (مجللة) على أن لفظة المجلحة وحشية نافرة" النظام ق/ ٣٢٣.

(٤) عند الواحدي ٥٢٤ (المنابر) بالخاء، وكذلك لدى ابن الإفيلي ١٧٤/٢، والتبيان ٧٣/١.

(٥) رواية الخوارزمي (فقروطها الأسنة). النظام ق/ ٣٢٤.

(٦) انظر الفسر ٢٥٨/١، والجمهرة ٧٥٧/٢.

والمعنى: أرسلُ أَعْنَتَهَا راجعاتٍ إلى عادة الحرب، ألا ترى أنه كان انقطع عنها لتَشْكِيهِ؟

وذكر أن المسافة البعيدة قريبةٌ على خيوله، لسرعتها ومضائها، كما قال في الكلب^(١):

يخال طول البحر طول^(٢) الجدول

ولا يشقُّ هذا كله غبارَ قوله^(٣):

أربعها قبل طرفها تصل.

(١١) إِذَا دَاءٌ^(٤) هَفَا بِقِرَاطٍ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرْيبٌ

ويُروى: (فلم يوجد)^(٥).

وفي هذا البيت ثلاث مسائل:

إحداها: قوله: "إذا داء هفا بقراط عنه"، وذلك أن (إذا) هذه لا يكاد يقع بعدها الاسم مرفوعاً بالابتداء، نحو أن تقول: إذا زيدٌ خارجٌ فأكرمه، كما تقول: إذا يخرج زيد، وإذا خرج زيد. وإن وقع بعدها اسم مرفوع حُمِلَ على إضمار فعل يفسره ما بعده، نحو

(١) يصف كلب صيد: ديوانه ١٢٢.

(٢) في الديوان (عرض الجدول).

(٣) أي المتنبي، من قصيدة في مدح بدر بن عمار، ديوانه ١٢٦، وصدره:

يقبلهم وجه كل ساجدة

(٤) رواية المعري: (أذا داء) الهمزة للاستفهام، و(ذا) اسم إشارة. اللامع العزيري (٧١/١)

ويروى: (أذا داء) الهمزة للنداء، و(ذا) بمعنى صاحب. التبيان ٧٤/١، وشرح الكندي ٥٧١.

(٥) هذه رواية ابن جني، الفسر ٢٥٩/١.

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١)، التقدير: إذا انشقت السماء انشقت، ثم ترك الأول؛ لأن الثاني يفسره، كقوله عز وجل: ﴿أَبشِرْنَا وَحْدًا نَبَعُهُ﴾^(٢)، أراد نتبع بشراً نتبعه، وكذا (إن) كقوله^(٣):

لا تجزعي إن منفساً^(٤) أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

/التقدير: إن أهلكت منفساً أهلكته.

١/71

فكان الوجه للمتنبى أن ينصب، فيقول: إذا داء هفا بقراط؛ لأن (هفا) متعدي بحرف جر، والمتعدي بحرف الجر بمنزلة الناصب عند الإضمار، ألا تراهم يقولون: إن زيدا مررت به، فينصبونه بفعل مثله في المعنى، نحو: جُزْتُ زيدا؟ قال الله عز وجل: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٥)، وذلك أن "أعد" وصل إلى ضمير "الظالمين" بحرف الجر، كما أن مررت وصل إلى زيد به. فكَذلك "هفا" وصل إلى ضمير الداء "بعن"، فلو نصب كان جيداً، وكان المعنى: إذا نسي بقراط داء هفا عنه؛ لأن (نسي) قريب^(٦) من (هفا عنه)، كما أن (جُزْتُ) قريب من (مررت).

غير أن رفعه جائز مع ذاك، ممكن حمله على إضمار فعل يرفعه، كأن قال: إذا ذهب عن بقراط داء هفا بقراط عنه، وقريب من ذا رواية من روى في بيت الكتاب: "إن منفساً

(١) سورة الانشقاق: ١.

(٢) سورة القمر: ٢٤.

(٣) هو النمر بن تولب، انظر شعره ضمن كتاب (شعراء إسلاميون): ٣٥٧، وهو من شواهد الكتاب ١٣٤/١ كما سيذكر الشارح.

(٤) المنفس: الشيء النفيس الذي يرغب فيه من مال وغيره، والشاعر يخاطب امرأته بألا تجزع لهلاك شيء من المال، فإنه يعود، لكن الرزية التي تدعو للجزع هي هلاك شخصه وموته. الخزانة ٣١٦/١.

(٥) سورة الإنسان: ٣١.

(٦) في الأصل (قرب).

أهلكته" فرفع^(١)؛ لأن المعنى: إن هلكَ منفسٌ؛ وذاك أن (أهلكته) قريب من (هلك) إذ يؤدي إليه، وللمناسبة يجيء إليه، نحو قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(٢)؛ لأن أنبتكم يعلم منه معنى نَبَتَ. والأكثر الماطر - قياساً واستعمالاً - أن يكون المضر من جنس المظهر، إن كان ناصباً فناصب، وإن كان رافعاً فرافع. وهذا الآخر قليل غير مقبول عند صاحب الكتاب.

وإن رفع بالابتداء، وترك إضمار هذا الفعل كان قريباً من ذا في القبح^(٣)، وقد روي^(٤):

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَالًا بَلَّغْتَهُ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصَلَيْكَ جَاوِرُ

بالرفع^(٥)، وليس بالأعرف. ولو كان شيئاً يُضطر إليه لكان أحسن، ولكن الضرورة لا سبيل لها إلى هذا؛ لا فضل بين أن ينصب وبين أن يرفع في الوزن.

وقد يكون (إذا) مبتدأ ما بعده، إذا كان ظرف مكان^(٦)، كقولهم: مررتُ فإذا به عبداً، إنما هو كقولك: فإذا هو عبداً. والحديث يطول في ذلك.

والمسألة الثانية: أن يقال: كيف قال: "إذا داء هفا بقراط عنه" فجازى بالماضي؟ لأن بقراط لم يكن حاصلاً إذ ذاك، فيقال: إن المعنى إن يهف عن داء!

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا كالمثل، فكأنه نَزَلَ بقراط منزلة الحي؛ إذ كان غرضه أن يصف الشيء بالعظم، فكأنه إذا وقع مثل ذا.

(١) انظر: الخزانة ٣١٤/١.

(٢) سورة نوح: ١٧.

(٣) انظر: الكتاب ١٣٣/١، ١٣٤.

(٤) قائله ذوالرمة، ديوانه ١٠٤٢/٢، يمدح بلال بن أبي بردة.

(٥) برفع (ابن) و(بلال)، انظر: الديوان (الموضع السابق) والخزانة ٣٢٢/٣.

(٦) أي: إذا كانت فجائية.

والثاني: أنَّ حملَه على الظاهر جائزٌ، وذاك أن معنى (إذا هفا بقراط عن داء) إن عُرِف ذلك؛ لأنَّ الهفوة إذا لم تُعلم صارت كأنها لم توجد، وقد يقول لك القائل: قد غلِطَ فلانٌ في مسألة كذا، فتقول: إذا غلط فيها فالأمر كذا وكذا؛ لأنَّ المعنى: إن صحَّ ما تقوله.

ولا يَقْوَى أن تقول: إنَّ المضمَر (وُجِدَ) حتى كأنَّك قلت: إذا وُجد داءٌ هفا بقراطٌ عنه؛ لأنَّك حينئذٍ تضمَرُ فعلاً من غير مفسر، وذلك لا يكاد يُظفر به، ألا ترى أنك إذا أضمرت (وُجِدَ)، كان قوله: "هفا بقراط عنه" في موضع الصفة "لداء"، ولم يكن تفسيراً، إذ ليس فيه معنى وُجِدَ البتة! فإن بنيتَ على الظاهر وهو أن تضمَرَ فعلاً يكون له تفسير [كان] أولى على كل حال؛ إذ قد ثبت أنَّ الجزءَ بنحو ذا يكون كثيراً.

والمسألة / الثالثة: أنه قال: "فلم يوجد"، فأدخل الفاء، و"لم يوجد" للماضي^(١)، والماضي لا يكون جزاءً، ألا ترى أنك لا تقول: إن تخرُج فلم أخرج أمس.

وقد قيل: إنه نَزَلَ [لم] منزلة (ما)^(٢)، كقول الآخر^(٣):

أَجِدَّكَ^(٤) لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً فَتَرْقُدَ هَامِعَ رُقَادِهِا.

أراد (ما تغتمض). فكأنه قال: فما يوجد، وذلك صحيح؛ لأنه مستقبل، ألا تراك تقدر أن تقول: فما يوجد غداً مثلاً؟!

والقول فيه أن يُحمل الكلام على المعنى، وهو أن قولك: لم يوجد - وإن كان ماضياً - فإنَّ الغرضَ فيه الإخبارُ بعظم الشأن، فلما كان كذلك جاز أن يجري قوله: "فلم يوجد" لصاحبه ضريب "مجرى قولك: عَظَمَ قدره، كما قال^(٥):

(١) لأن (لم) إذا دخلت على المضارع قلبت زمنه إلى الماضي.

(٢) انظر: الفسر ٢٦٠/١.

(٣) هو الأعشى، ديوانه (الصباح المنير): ٥٠.

(٤) قال شارحه: أجدك، معناه: أجدُّ منك.

(٥) هو زائدة بن صعصعة الفقعسي كما في حاشية الأمير على المغني ٢٥/١. وبلا نسبة في المقتصد

١٠٩٦/٢، والمغني: ٤٠، وشرح شواهد: ٨٩.

زاد بعضهم هنا عبارة (رحمه الله) باللون الأحمر.

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمَةً ولم تجدي من أن تُقرِّي به بُداً

لأن "لم تلدني" ماضٍ البتة، إلا أنه لما كان المقصود: عرفتِ أصالتي وصفو نصابي حَسَنَ، وكفى قوةً لذلك عطفه قوله: "ولم تجدي"، ولا يجوز إلا أن يكون مستقبلاً؛ لأن الإقرار لم يحصل بعد، بلا شبهة. ولا تمنع الفاء عن هذا التقدير، ألا ترى أنه لو قال: فلم تلدني، كان مثل ذا؛ لأن المضيَّ موجود في كل حالٍ. ويوضحه قول الآخر^(١):

فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفوداً

وذلك أن قوله: "ربما" ماضٍ البتة، ألا ترى أن قيام الوفود ليس كائناً بعد وفاته؟! غير أنه لما كان المعنى على قولك: إن يمس كذا فليُجعل ذاك بإزاء هذا، حَسَنَ. فهذا بعد الفاء، كما أن "لم يوجد" كذلك. فلا تأثير للفاء في حديث الحمل على المعنى.

ونحوذا كثيراً في الكلام، ألا ترى أنك تقول: إن غلبي زيدٌ جلّ قدره^(٢)، فتأتي بالماضي، والمعنى في ذلك أنك تجوز أن يكون لزيدٍ جلاله، غير أنك لا توجب له ولا تصحّحه، فإذا قلت: إن غلبي فقد جلّ قدره، جاز؛ لأن المعنى: إن غلبي اعترفت بجلالته في الأصل. ولو قلت: إن غلبي جلّ قدره، كان الظاهر أنك لم تثبت له الجلالة في الأصل، وإنما تخبر أن ذلك يحدث بالغلبة.

وكذا قوله: إذا زلّ بقرط عن داءٍ فلم يوجد لصاحبه ضريب، فقد تضمّن جواز كون صاحب الداء منقطع القرين في الأصل، وتعلّق^(٣) حصوله وصحته بأن تُعرف زلّة بقرط، فإذا عُرف ذلك حصل له الجلالة وانقطاع القرين وجوباً، بعدما كان جوازاً. فاعرفه، فإنه موضع لطيف، و[أحسن] من الالتفات إلى ذلك الوجه البعيد من الأس^(٤).

(١) هو أبو عطاء السندي، يرثي يزيد بن هبيرة الفزاري، انظر شعره: ٢٨٢ مجلة المورد، م/٩، ع/٢.

وينسب لعن بن زائدة الشيباني: أمالي المرتضى ٢٢٣/١، والخزانة ٥٤٠/٩.

(٢) في الأصل (إن غلبي زيد فقد جل قدره) فتكون العبارة تكراراً لما بعدها.

(٣) معطوف على (جواز...).

(٤) لعل الشارح يشير إلى تلك الروايات والتفسيرات السابقة. أو تنزيل بقرط منزلة الحي الحاضر. وهو

بعيد فعلاً.

(١٢) بِسِيفِ الدَّوْلَةِ الوُضَاءِ تُمَسِّي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ

المعنى: بُرُوءِة سيف الدولة أرى شمساً دائمةً الإشراف لا تغرب، يعني وجهه. وهذا كقول البحري^(١):

كالشمس إلا أنها لا تغرب.

وقال: "تمسي" ليكون موافقاً لقوله: ما تغيب الشمس، [أي] لا يرى الليل، فهذا جائز، وإن كانوا يقولون: يمسي ويصبح، ولا يريدون الحقيقة، وإنما يكون مثل (كان).

فإن حملته على /الوجه الأول (وهو أن يريد بالإمساء الدخول في الليل) كان الظرف الذي [هو] "تحت شمس" حالاً من الجفون؛ لأن أمسي إذا كان حقيقياً كان تاماً، ولم يكن له خبر، كما لا يكون لكان الكائنة بمعنى وُجِدَ، ووَقَعَ، في نحو قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُوعُسْرَةً﴾^(٢)، فأمسي في ذا الوجه بمنزلة التام^(٣) في تعزیه من اقتضاء الخبر، فكأنه قال: توجد جفوني تحت شمس.

والوجه الثاني: يكون "تحت" خبر "تمسي"، وهو أن يكون بمنزلة قولك: تكون جفوني تحت شمس. فاعرفه.

ويجوز أن يكون "تحت شمس" -في القول الأول- متعلقاً "بتمسي" الحقيقي، كما تقول: ينام في الدار زيد، ويوجد تحت السرير كذا، ولا يكون فيه تقدير محذوف، هو حال من الجفون، كقوله: لم توجد^(٤) جفوني كائنةً تحت. فاعرفه.

(١) سبق في صفحة: ٢٦٥، بلفظ (والشمس).

(٢) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٣) في الأصل (تام).

(٤) (لم توجد) كذا بالأصل، ولو عري من النفي ليوافق ما في البيت لكان أولى، لكن المراد التوضيح والتمثيل.

و"الْوَضَاءُ" فَعَّالٌ، وهو مثل الوضيء، كما أن الطَّيَّابَ مثل الطَّيِّبِ^(١)، وكُرَّامَ مثل كريمٍ، وحُسَّانَ مثل حسنٍ^(٢). قال^(٣):

أَيَّامٌ^(٤) سَلِمَى غَضَّةُ الشَّبَابِ
تَضْحَكُ عَنْ مَفْلَاحِ طَيَّابِ

ومن أبيات الكتاب^(٥):

(١٣) فَأَغْزَوْ مِنْ غَزَا وَبِهِ اقْتِدَارِي وَأَرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ

أَقْصَدُ مِنْ قَصْدِي، وَأَرْمِي مِنْ رِمَانِي، وحذف لدليل الحال^(٦). وتقدير الكلام على الاستقبال، كقولك: أضرب من يضربني، فكأنه قال: فأغزو من يغزوني، وأرمي من يرميني. وجاز الإتيان بالماضي لما في الكلام من معنى الجزاء، وذلك يردُّ الماضي إلى المستقبل، كقولك: إن فعلتَ فعلتُ، فهو مثل قول الآخر^(٧):

وَلَكِنِّي أَحْمِي جِمَاهَا وَأَتَّقِي أَذَاهَا، وَأَرْمِي مَنْ رِمَاهَا بِمِقْنَبِ

وجعل الممدوح كهفًا يلتجئ إليه في جميع الأحوال.

(١٤) وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا

التقدير: وللحساد عذرٌ في أن يشحوا.

(١) انظر: معاني القرآن للقرطبي ٣/٣٩٨، والفسر ١/٢٦١.

(٢) ذكر هذين سيبويه، الكتاب ٣/٦٤١.

(٣) بلا نسبة في الفسر ١/٢٦٢.

(٤) في الفسر (أزمان).

(٥) كذا بالأصل، ولعله يقصد بيت الكتاب ٢/١١١، ٣٦٢:

قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ فِتْيٍ أَيْضَ حُسَّانَا

(٦) يعني أنه حذف ياء المتكلم.

(٧) هو عامر بن الطفيل، وقد مضى في صفحة: ٣٧٨

و"على" متعلق "بيشحو"؛ لأنه يقال: شَحَّ على كذا، قال الله عز وجل: ﴿سَلَفُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾^(١)، يريد بالخير: المال. وجاز: شَحَّ [عليه] - وإن كان الباء مستعملاً في نظائره، نحو: بخل به، ونفس به، وضنَّ به، وكذا نقيضه، نحو: جاد وسمح به - لأن المعنى يعود إلى قولك: حافظ عليه.

ولا يجوز أن يقال: إن التقدير: أن يشحو وأن يذوبوا على نظري إليه، فيكون "على" متعلقاً بـ"يذوبوا"؛ لأجل ألا يتقدم عليه^(٢) ما يكون في صلته. ألا تراه لم يَجْز: ذَكَرًا أَنْ تُنتَجَ نَاقَتُكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَنْتِ^(٣)؟ على معنى: تُنتَجُ ذَكَرًا نَاقَتُكَ.

(١٥) فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْقُلُوبُ

وجه حسد القلوب^(٤): أنها^(٥) تصل إليه، وتحيط بمحاسنه، والقلوب لاحظ لها في ذلك.

فإن قلت: فإن القلوب تشتمل على جميع ذلك من طريق العلم، ولها مزية ليست للعيون، وهي أن التصور والمعرفة تبقى لها، والرؤية لا تبقى للعيون في حال الغيبة!

فالجواب: أن الأمر على ما زعمت، غير أن القلوب فيما قصده تبع للعيون؛ لأن الجمال وما أشبهه لا تصل إليه القلوب إلا بعد وصول العيون، وإذا كان كذلك كان حظ العيون أوفر، / فتصح نسبة الحسد إلى القلوب؛ لقصورها عن رتبة العيون. فاعرفه.

ب/72

وقال العباس بن الأحنف^(٦):

(١) سورة الأحزاب: ١٩.

(٢) أي: على المصدر المؤول من (أن) والفاعل.

(٣) انظر: الكتاب ١/١٣٢.

(٤) أي: حسد القلوب العيون.

(٥) أي: العيون.

(٦) ديوانه: ٩١.

إِذَا زَرْتِ حَفْصًا تَسْتَنِيءُ بِشَمْسِهِ فَقَلْبُكَ مَغْبُورٌ وَطَرْفُكَ رَاجٍ.

فإن كان المتنبي لاحظ هذا المعنى في بيته فقد تَلَطَّفَ في الأخذ، وأخفاه، حتى صار كالمخترع. ومثله قول الآخر^(١):

إِنْ كَانَ غَاظَ أَنَا سَأَنْ أَصَاحِبَهُ فَقَدْ تَنَازَعَ فِيهِ الْقَلْبُ وَالْبَصَرُ

(١) لم أقف عليه.

(٢٣)

قال^(١): وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي "بالس"^(٢) فسار سيف الدولة خلفهم، وأبو الطيب معه، فأدركهم بعد ليالٍ، وأوقع بهم ليلاً، فقتل، وملك، وأبقى، وأحسن إلى الحرّم. فقال أبو الطيب بعد رجوعه في جمادى الآخرة^(٣) سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمئة:

(١) بَغِيرِكَ رَاعِيًا عِبْتَ الذَّنَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا تَلَمَّ الضَّرَابُ

نَضَب "راعيًا"، يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون تمييزاً، كما يقولون: لي مثله رجلاً، فيعود المعنى إلى قولك: براع غيرك عبث الذناب، كما أن الأصل ثَمَّ: لي رجل مثله، ثم لما تقدم ذكر (مثله)، وكان مبهمًا، احتاج إلى التفسير، وكشف الإبهام، فقلت: (رجلاً)، كما يقولون: عشرون درهماً، وهذا سبيل "غيرك" لأنه مبهم، كمثلك، ألا ترى أن كلَّ مَنْ غير^(٤) المخاطب فهو داخل تحته؟!

والوجه الثاني: أن يكون حالاً من "غيرك"، كأنه قال: بغيرك في حال الرعي عبث الذناب، وإذا كان حالاً كان الضمير "لغيرك" دون الكاف، حتى كأن سائلاً لو طلب منك إبراز الضمير لقلت: بغيرك راعياً هو، ولم تقل: راعياً أنت. ولا يجوز أن يكون حالاً من الكاف؛ لأجل أن الكاف لا حظَّ له في الفعل، وإنما وقع العبث على عين الغير، ألا ترى أنه بمنزلة قولك: يانسان غيرك عبث الذناب في حال الرعي؟! وإذا كان الفعل غير واقع على الكاف لم يعمل في حاله. ولهذا لم يَجُزْ: مررتُ بجارتك راضياً عن جاريتك، ولو قلت: مررتُ بجارتك راضياً أنت عنها - جاز؛ لأجل أنك حينئذ تجعله حالاً للجارية. ويجوز إبرازك الضمير من أجل جري اسم الفاعل على غير مَنْ هو له؛ إذ هو للمخاطب وقد

(١) (قال) أضيفت باللون الأحمر.

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة. معجم البلدان ١/٣٩٠.

(٣) في الأصل (الآخر)، وجمادى مؤنث، انظر: الأيام والليالي والشهور للفراء: ٤٢.

(٤) في الأصل (من عند غير...).

جرى حالاً على الجارية، وجاز أن يكون حالاً للجارية لأن الذكر قد عاد إليها وهو الهاء في (عنها). فهو نوع مما تقدّم من قوله^(١):

مُسْنَدًا فِي نَيْهَا

ولا يجوز هذا التقدير في البيت، حتى إنه لو أبرز الضمير وعلّق "براعياً" ذكراً يعود إلى "غيرك" — نحو أن يقول: بغيرك^(٢) [راعياً] أنت له عبث الذئب - لانقلب المدح إلى الهجو!

وهذا الوجهان جائزان في قوله: "وغيرك صارماً"، فإن جعلته تمييزاً كان بمنزلة قولك: صارماً غيرك ثلم الضراب، وإن جعلته حالاً كان بمنزلة أن تقول: وغيرك في حال المضاء ثلم الضراب.

وإنما قوي التمييز في ذا؛ لأجل أن "غيرك" نكرة^(٣)، والحال من النكرة قليل، ألا ترى [أنك] لا تقول: جاءني [رجل] راكباً؟ غير أن اعتقاد الحال فيه جاز جوازاً حسناً؛ لأمرين:

أحدهما: أن "راعياً"، وإن جرى مجرى الأسماء في استعماله غير جار على موصوف، وجمعهم له على رُعيان، فإن الوصفية باقية فيه، والوصفية بالحال أليق منها بالتمييز - يراد به تمييز الجنس - والحال ما يتحوّل، وينتقل، / وذلك^(٤) يتصور فيما كان وصفاً لا اسمَ جنس. بهذا احتج شيخنا في تجويزه الحال في قولهم: (لي مثله فارساً)، واستحسانه له. ولا يجوز ذلك في قولهم: لي مثله رجلاً؛ لأنه اسمٌ محض، ولما ذكرت لك، لا يقولون: جاءني عشرون عاقلاً، وعشرون حسناً وثلاثة قرشين^(٥).

(١) انظر صفحة: ٩٨.

(٢) في الأصل (لغيرك).

(٣) لأن غير لا تكتسب التعريف وإن أُضيفت إلى معرفة.

(٤) في الأصل (في ذلك).

(٥) انظر: المقتصد ٦٧٦/١.

والوجه الثاني: أنَّ الوصف هنا أشيعُ، ألا ترى أنك لا تقدر على أن تقول: بغيرك راعٍ؛ لأنك [إذا] قصدتَ الوصفَ وجب أن تقول: براعٍ غيرك، ومتى امتنع الوصفُ حسنَ الحال، ألا تراهم لما قدّموا الصفة على الموصوف نصبوها على الحال، نحو^(١):

لعزّة موحشاً طاللاً قديم

وليس كذلك جاء في رجل راكباً؛ لأن الوصف ممكن، وهو أن تقول: رجلٌ راكبٌ، فالنصب على الحال ضعيفُ الوجه. فاعرفه، فإنّه قويٌّ. وكان الشيخ -رحمه الله- يستحسن الحال في قولهم: لي مثله فارساً، وهذا يقطع بصحة رأيه.

فقوله: "بغيرك راعياً" مثل: بمثله فارساً؛ لأن فارساً صفة في الحقيقة، إلا أنه^(٢) استعمل استعمالَ الأسماء، كما أن الراعي كذلك. وقد حمله صاحب الكتاب على التمييز^(٣)؛ لجريه مجرى الأسماء، حيث لم يجر على موصوف في الأكثر، نحو أن يقال: مررت بفارس، من غير أن يذكر (رجل)^(٤) وما أشبهه. ولكن الراعي أبقي على الموصوف بالوصفية من فارس، ألا تراهم جمعوا فارساً على فواعل المختصّ بالأسماء، نحو حائط وحوائط، ولم يفعلوا ذلك في راع، لم يقولوا: رواع، كفارس، فراعٍ إلى الحال أقرب، واعتقاده فيه أحسن.

وقوله: "وبغيرك صارماً" مثل (فارساً) سواء؛ لأنهم قالوا: صوارم.

فاعرفه، فإن الغالب على من ينظر إلى هذا من أهل زماننا أن يقول: إنه حالٌ من الكاف، وذلك خطأ عظيمٌ!

(١) لكثير، وقد تقدم مراراً.

(٢) في الأصل (أنها).

(٣) الكتاب ٢/١٧٣، ١٧٤.

(٤) كأن يقال: مررت برجلٍ فارس.

(٢) وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا فَكَيْفَ تُحَوِّزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ؟!

إذا ملكت الجن والإنس فكيف تمتنع عليك هذه القبيلة الواحدة؟ وكيف تملك أنفسها وتحوزها؟ من الحوز الذي هو الضبط والملك، ألا تراهم يقولون: هذا في حوزته، أي في ملكه؟

(٣) وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً، وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ!

هذا البيت الذي قبله عذر لفرارهم. يقول: لم يعرضوا عنك لقدرة على التمتع والإباء، ولكن الخوف ألجأهم إلى الهرب.

و"معصية"^(١) على المفعول له.

(٤) ظَلَبْتُهُمْ عَلَى الْأَمْوَاحِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفْتَشَّهُ السَّحَابُ

هذا من الصنعة الغريبة. وإنما خاف السحاب بحته لتضمنه الماء.

وتقدير الكلام: حتى تخوف السحاب أن تفتشه، وجاء به على إعمال الأول من الفعلين، كقوله^(٢):

وَلَمْ أَمْدَحْ، لِأَرْضِيهِ بِشَعْرِي لَنِيْمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

نصب لنيماً "بلم أمدح"، وهو قبل "أرضيه"، ولو قال: لم أمدح لأرضي لنيماً بشعري لكان على إعمال الثاني^(٣)، كقولك: ضربني وضربت عبد الله. فتخوف هو العامل في

(١) أي: نصبه على المفعول له.

(٢) هو ذوالرمة، ديوانه ١٥٣٤/٣.

وزاد بعضهم هنا عبارة (رحمه الله) باللون الأحمر.

(٣) لكن الشاعر لم يفعل ذلك لعل بلاغية، وهي أنه لا يريد أن يوقع فعل الرضا على صريح لفظ اللئيم. انظر: دلائل الإعجاز ١٧٠.

"السحاب"، وهو الأول من الفعلين، وأبعدهما منه. ولو أعمل الثاني لكان: حتى تخوّف أن يُفتّش السحاب، بأن يريد: حتى تخوّف أن /تُفتّش السحاب، فيُضمّر الأولُ بدليل الثاني.

وكلُّ عربيٍّ جيدٌ، غير أن أعمالَ الثاني أكثر وأجودُ.

(٥) فَبِتَّ لِيَا لِيَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُّ بِكَ الْمُسَوِّمَةُ الْعَرَابُ^(١)

التقدير: لا نوم لك فيها، ألا ترى أنه لا ينفي النومَ عن جميع الخلائق. ويجوز أن تكون جاريةً على المبالغة، حتى كأنه للذي بَعْدَ من الخلق، ومَن تحت رايته من العساكر، فإذا لم يناموا فَقَدْ قَدَّ النومُ البتّة. ويلائمه قوله^(٢):

عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَاءُ

ويجب بك: مثل يسرع بك، يقال: خَبَّ وَأَخَبَّ، قال^(٣):

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخْبُونُ هَلْ لَكُمْ بَسَيْدٌ أَهْلِ الشَّامِ تُحِبُّوا وَتَرْجِعُوا^(٤).

(٦) يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ^(٥) جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ

التقدير: يهزّ هزّاً كنفض العقاب جناحيها، فالكاف صفة لمحدوف، و"ما" بمعنى المصدر. وشبه الممدوح بجسم العقاب، والجيش بالجناحين، فإذا اهتز الميمنة والميسرة صار ذلك كاهتزاز جناحي العقاب. وهو من التشبيه المليح.

(١) المسومة: الخيل المعلمة. والعرب: الخالصة التي ليس فيها عرق هجين.

(٢) أي: المتنبي، وقد مضى في صفحة: ٢٦٩.

(٣) بلا نسبة في البيان والتبيين ٣٩٦/١، والكامل ٢٣٤/١.

وزاد بعضهم هنا عبارة (رحمه الله) باللون الأحمر.

(٤) تحبوا: من الإحباء وهو: العطاء والإتحاف.

(٥) ويروى (كما هزت). النظام ق ٣٢٧.

(٧) وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بَعْضُهَا، وَهُمْ الْجَوَابُ

جعل طلبه إياهم في المفاوز سؤالاً لها. ولما استعار السؤال عارضه بالإجابة، فقال: "حتى أجابك بعضها".

وقوله: "وهم الجواب"، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الجواب مصدراً للإجابة، فكأنه قال: وهم الإجابة، بمعنى أن ظفرك بهم وإنافتك على مكانهم هو إجابة الفلوات.

والثاني: أن يكون الجواب اسماً لما وقع به الإجابة، كما تقول: هذا جواب المسألة، ويقويه الجمع على أجوبة. ونظيره السماع بمعنى المسموع، كقوله^(١):

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدْنٍ^(٢) إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَدْنٍ

إن همِّي في مسموع واستماع، بمنزلة قولك: إن همِّي في غناء واستماع.

فكأنه لما كان جعل الممدوح سائلاً للفلوات؛ لأجل طلبهم فيها، ثم ظفر بهم، صار ذلك المكان كأنه أجاب سؤاله بهم، فهم جوابه.

وقريب من ذا في جعل الجواب عبارة عن قطع المفاوز والسير فيها، قوله^(٣) - أنشده الشيخ أبو علي:

حَتَّى اسْتَبْنَتْ الْهُدَى، وَالْبَيْدُ هَاجِعَةٌ^(٤) يَخْشَعْنَ فِي الْآلِ غُلْفًا، أَوْ يُصَلِّينَا^(٥)

(١) هو عدي بن زيد العبادي، ديوانه ١٧٢.

(٢) الددن: اللهو واللعب.

(٣) هو ابن مقبل، ديوانه: ٣٢٣.

(٤) في الأصل (في البید هاجمة) تحريف.

(٥) الآل: السراب. غلُفًا: عليها أغلفة.

وذلك أن الهدى عبارة عن النهار؛ لما بينهما من التناسب، وهو الواضح. والغرض في قوله: "والبيد هاجعة"، أي: مُطْرِقة لا تجيب، فسير السائر فيها لطلب الحاجة سؤالاً لها، وامتدادها امتناعاً عن الجواب وإطراق، وجوابها انقطاع ونفاذ. وقوله: "يخشعن في الآل غلماً"، فالمعنى: أنها لاضطراب السراب فيها بمنزلة من يضع رأسه للخشوع. وكذا "يصلينا"؛ لأن السراب يضعهن، ويرفعهن أخرى، فهي كالمصلّي الذي له انتصاب وانخفاض.

(٨) فَقَاتِلْ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَفَرُّوا نَدَى كَفَيْكَ وَالنَّسَبُ الْقُرَابُ^(١)

/ترتيب الكلام: فقاتل عن حريمهم ندى كفيك والنسب القرب، وفرّوا. بمعنى: أنك لم تستبح حرمهم، وأبقيت على محارمهم، مراعاة لتواشج الأنساب، وانقطاع الأسباب^(٢) حتى صار النسب كأنه قد قاتل الممدوح، من حيث إنه ردّه، كما يردّ المقاتل الذابّ عن الحريم.

والمعنى في قوله: "ندى كفيك" أنه قد تعودّ السماحة، فالذي في طبعه من الجود دعاه إلى الإبقاء وترك الاستباحة، وجعل ذلك سخاءً من حيث إنه وإن لم يكن مما اشتمل عليه خزانته فهو بمنزلة الحُوز من جهة القدرة. والندى هنا يجوز أن يكون مصدرًا على الأصل، نحو: نَدَى يَنْدَى نَدًى، فكأنه قال: فقاتل عن حريمهم سماحةً كفيك. ويجوز أن يكون بمعنى العطية، فيجري مجرى قولك: أَهْلَكَ مَالَ زَيْدٍ عَطِيَّةً وَلَدِهِ، فكأن للولد عطايا تدعوه إلى إتلاف المال، فذلك يجعل لكفيه عطياتٍ توجب له بذل الأموال والسخايا، مثل ما أمكنه الاستيلاء عليه من نعم هؤلاء المذكورين.

(١) حريم الشيء: حقوقه، وما يحرم إضاعته من الأهل والنساء.

والقرباب: أبلغ من القريب. معجز أحمد ٤٠٧/٣.

(٢) انقطعت أسبابهن بفرار أهلهن؛ فلم يبق لهن سبب إلا من جهة الممدوح.

(٩) وَحَفْظُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدٍّ^(١) وَأَنَّهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ

"أنهم" يحتمل وجهين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون في موضع نصب، على [أنه] معطوف على "سلفي معد"، كأنه: وكونهم العشائر^(٢).

والثاني: أن يكون في موضع رفع، عطفاً على "حفظك" كأنه: فقاتل عن حريمهم النسب ومراعاتك الأسلاف وكونهم العشائر. فيكون "أنهم العشائر" - في كونه فاعل "قاتل" - بمنزلة "النسب القرب" .

(١٠) تُكَفِّفُ عَنْهُمْ صَمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِطُعْنِهِمْ^(٣) الشَّعَابُ

المعنى: أنك لم تؤثر قتلهم، مع أنهم قد ركبوا ظهر الهزيمة، واستتروا في الشعاب، وتزاحموا فيها، حتى كأنها قد شَرِقَتْ بهم؛ لفرط التضايق .

يؤكد ما ذكره من أن الذي زهد في أن يسقيهم كأس الردى حرمة التناسب. وقوله: "شرقت الشعاب" استعارة لطيفة!

"والعوالي": وإن كانت جمع عالية: وهي أول الرمح، فإنها تقع على الرماح، فلذلك جاز أن يضيف الصم إليها، على معنى الصم من العوالي، ولا شبهة أنه بمنزلة: صم الرماح؛ إذ لا يريد أن الصم صفة أعالي الرماح دون سائر الكعوب. ولو قدرت، صرت إلى قولك: تكفكف رماحاً صم العوالي، بمعنى عواليها، وذا ساقط؛ لما ذكرنا من أن الوصف لكافة الكعوب.

(١) يقصد بسلفي معد: ربيعة ومضرا بن نزار بن معد بن عدنان. لأن سيف الدولة من ربيعة، وبني كلاب من مضر. شرح الواحدي ٥٤٤، وانظر: جمهرة أنساب العرب ١٠.

(٢) في الأصل (عشائر).

(٣) الظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة مادامت في الهودج، فإن لم تكن في الهودج فليست بظعينة. الفسر ١٩٢/١. وقد كثرت استعمال ذلك حتى سميت المرأة ظعينة، وإن لم تكن في هودج. التبيان ٧٧/١.

ونظير العوالي، وكونها واقعةً على الرماح، قولهم: الصَّوَارِمُ للسيوف، وذاك أنها صفاتٌ غالبيةٌ، فالأصل: الرماح العوالي، ثم [تطلق] بمعرفة المعنى. كما أن الأصل: السيوف الصوارم، ويطلق كثيراً، فيقال: الصوارم، على ما [لا] يخفى.

وكثرت استعمال السيوف الصوارم، ولا يكاد يوصف الرماح بالعوالي؛ لأن السيف قد يفارقه القطع بأن يكلّ، والرمحُ معه علوه، فإذا انكسرو صار قطعاً صغيراً لم يكُ ذلك رمحاً، كما يكون السيفُ سيفاً إن كلَّ.

(١١) وَأَسْقَطَتِ الْأَجِنَّةُ فِي الْوَلَايَا وَأُجْهِضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ

74/ب /يصف شدة الأمر، فيقول: إن النساء أسقطت أولادها في البراذع^(١)، والنوق رمت بأولادها الذكور والإناث؛ لأن الحوائل جمع حائل، وهي الأنثى من ولد الناقة، والسَّقَاب جمع سَقَب وهو الذكر.

ويجوز أن يقال: إنه ذكر الذكور من حيث إنها تكون أقوى، فإذا أسقطت زاد في الدلالة على عظم الشأن.

(١٢) وَعَمَرُوا فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعَبُ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ

قصد بها الوصف بالتفرق والتبدد، فقال: كأن الذي يُسمى عَمراً قد صار أفواجاً، يُسمى كلُّ واحدٍ عَمراً، وكذا كعب، وإذا كان كذلك، صار عمرو عموراً، وكعب كعاباً.

[وقال الشاعر:

فَأَمْسَى كَعْبُهَا كَعَبًا وَكَانَتْ مِنْ الشَّانِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابًا] ^(٢)

(١) أو هي أكسية توضع تحت البراذع، تُطرح على ظهر البعير تلي سنامه. الفسر ٢٦٩/١. والتبيان ٧٧/١.
(٢) سقط هذا البيت من الأصل، وكلام الشارح يدل عليه -وسيورد قطعة منه بعد أسطر- كما أن ابن جني استشهد به هنا، والشارح يتابعه كثيراً. فالظاهر أن هذا سهو من الناسخ. والبيت لمعاوية بن مالك في الفسر ٢٧١/٢، وفي شعربي عامر ٨٣/٢.

أي: أنهم انتظموا وعادوا إلى اتفاق الكلمة، بعد الانشعاب، حتى كان يقال: وهنا كعبٌ، وهناك كعبٌ آخر، وثَمَّ كعبٌ ثالث، والآن يقال لهم: كعبٌ واحد؛ لزوال الافتراق. فأما بيت الكتاب^(١):

إِنَّ نِزَارًا أَصْبَحَتْ نِزَارَا
دَعْوَةً أَبْرَارٍ دَعَا أَبْرَارَا

فقوله: "أصبحت نزارا"، بمعنى: أنها كانت تغيّرت أحوالها حتى كأنها لم تكن لتلك القبيلة المشهورة، والآن عادت إلى الحالة المعهودة. كما تقول: أصبح زيدٌ زيدًا، فهو كقوله:

فَأَمْسَى كَعْبُهَُا كَعْبَا

واعلم أن هنا معنى لطيفاً من الإعراب، وهو أن قوله: في ميامنهم ومياسرهم، يقتضي ما يتعلق به، ومقتضى الصنعة أن يكون متعلقاً بما في "عمور" و"كعاب" من معنى الفعل، وذلك أن المعنى: وعمرهم متفرّق في ميامنهم، وكعبٌ متبدّد في مياسرهم، ومن شأن الظرف أن يتعلق أبداً بمعنى الفعل، ألا تراك تقول: كأنّ زيداً الأسد يومَ الجمعة، فيعمل في (يوم الجمعة) ما في (كأنّ) من معنى التشبيه. وينصب به الحال أيضاً في نحو قوله^(٢):

كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ

فقوله: في ميامنهم عمور، متعلق بنفس "عمور"، كما يتعلق بقولك: يتفرقون. وجاز تقديمه على العامل المعنوي؛ لأن الظروف يُتجوّزُ فيها، ألا تراك تقول: كلّ يوم لك ثوبٌ، فيعمل في (كل يوم) ما في (لك) من معنى الفعل. وتقديمه هذا منصوص لا شبهة فيه.

(١) الكتاب ٣٨٢/١، ونسبه لرؤبة، وليس في ديوانه.

(٢) للناطقة، وقد مضى في صفحة: ١٣٩

فإن قلت: هلاً زعمت أن التقدير: وعمرو مثل عمرو، كما تقول -مثلاً- واحدٌ مثل ثلاثة، فيكون في الظرف معنى المماثلة، كما تقول: زيدٌ عمرو يوم الجمعة، تريد: مثل عمرو، فتحذف لدليل الحال عليه.

فالجواب: أن ذلك ليس بمردود، ولكن الاختيار الأول؛ لأنك [إذا قلت] ^(١): وعمرو مثل عمرو - بمنزلة أن تقول: واحد مثل جماعة - كان ذلك تقريباً لا تقديرًا، ألا ترى أنك إذا قلت: أبو يوسف أبو حنيفة، لم تجعله إياه تحقيقاً وإنما تقربه منه؟! وهو لا يريد أن يقرب عمرو من عمرو، وإنما يحقق التفريقَ عليهم، فيقول: إن قبيلةً واحدة قد صارت قبائل، فهذا عمرو، وذاك عمرو، وهناك عمرو. ووجه ما قصدته أن يريد بقوله: وعمرو عموررجلاً واحداً، فيكون حينئذ مثل عمرو، بمعنى: أن التفريق من الإفراط، بحيث الرجل الواحد كأنه صار أفراداً؛ للخوف. فأما إذا جعلت عمراً قبيلةً فلا يكون ذلك. وما أظن المتنبي قصد غير الأول؛ لأنه بناه على البيت الذي أنشدت:

فأمسى كعبها كعباً...

وقد ذكر القبائل بعد.

(١٣) / وَقَدْ خَذَلْتُ أَبُوبَكْرَ بَنِيهَا وَخَذَلَهَا قَرِيْطُ وَالضَّبَابُ ^(٢)

1/75

"أبو بكر" اسم قبيلة، وجعل هذه القبيلة الإمام والسيد، وجعل الباقيين كالأبناء؛ لأن السيد يحافظ على [المسود] محافظةً الوالد على الولد.

(١٤) إِذَا مَا سِرْتُ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَذَلْتُ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ!

ذهب بعضهم ^(٣) إلى وجهين في هذا:

(١) مكان هذه الزيادة بياض بمقدار كلمتين.

(٢) أبو بكر وقريط - بالطاء والظاء - والضباب: قبائل ترجع كلها إلى كلاب بن ربيعة.

انظر: جمهرة النسب ٣٢٢، ٣٢٩، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٢.

(٣) ذكرهذين الوجهين ابن جني، الفسر ١٩٥/١.

أحدهما: أن يكون التخاذل معناه التأخر، من نحو قولهم: ظبيةٌ خذولٌ، والمعنى أنك إذا سعت في أثرهم لم يُعجزوك، وتأخرت رؤوسهم وأعناقهم، وإذا تأخر الرؤوس تأخر أصحابها^(١). وليس يراد بالتأخر التحقيق، ولكن المقصود أنهم وإن أسرعوا في الفرار فإن إسرعهم [كلا إسرعا]، حتى كأنهم تأخروا.

والثاني: أن يكون المعنى في تخاذلت الرقاب: أنها تساقطت لما ضربت بالسيوف.

وأجمل من ذلك كله - إن حقت - أن يكون المعنى: أنك إذا سرت في أثار قوم [خذل] بعضهم بعضاً، وتفرقوا؛ خوفاً منك. ونسب الفعل إلى الأعناق والجماجم إغراقاً، فكأنه قال: لا غرو أن تخذل بعض القبائل - التي ذكرها - بعضاً، فإنك إذا سعت في أثر قوم خذل رأس كل واحد منهم رقبته، مع ما بين هذين من الاتصال، فكيف الأشخاص؟! ويتجاذب هذا معنيان:

أحدهما: أن يريد أن هيبتك قد استولت على الأشياء، فلا يجسر أحد على إغاثة عدوك، حتى يكاد الرأس يرغب عن صاحبه (الرقبة) خوفاً منك، كما قال^(٢):

أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه وينقد تحت الذعر منه المفاصل

والثاني: أن يريد أنك إذا قصدت قوماً فإن سعادتك تهب عليهم ريح الشقاوة، حتى يتبرأ بعض أجزائهم من بعض^(٣)! وأوضح أبو بكر^(٤)، حيث قال^(٥):

(١) في الأصل (صاحبها) وكتب فوقه (أصحابها).

(٢) أي: المتنبي: ديوانه ٣٦٥، يمدح سيف الدولة، ويذكر رسول ملك الروم إليه.

(٣) ذكر هذا الوجه الواحدي: ٥٤٥.

(٤) هو الخوارزمي، محمد بن العباس، أحد أئمة الكتاب، وأحد الشعراء العلماء، له ديوان رسائل مطبوع. توفي سنة ٣٨٣ هـ.

يتيمة الدهر ١٩٧/٤، وفيات الأعيان ٤٠٠/٤، معجم الأدباء ٢٥٤٣/٦.

(٥) البيتان مع بيت ثالث في شرح الواحدي ٥٤٥، والتبيان ٧٨/١.

تَبَرَّاتِ الْحَيَاةَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ وَجَاءَ إِلَيْكَ يَعْتَذِرُ الْحَدِيدُ
وَوَلَّيْتَ الْجَمَاجِمُ كُلَّ قَحْفٍ^(١) وَأَنْكَرَ صُحْبَةَ الْعَنْقِ الْوَرِيدُ

فإن قلت: إنَّ ذا أحسنُ من قول المتنبي؛ لأنه إذا قال: "وولَّيت الجماجم" فقد جعلها تاركَةً للقحف، وذا هو الوجه؛ لأنَّ الأول هو الجماجم، فهو الذي يضع^(٢) ما يكون له كالرعية، والمتنبي سوَّى بين الرقاب والجماجم، فجعل كلَّ واحد يخذل الآخر!

فالجواب: أنَّك ذهبتَ عن حكمة المتنبي، وقصدُه أنَّ كلَّ جزء يتبرأ من الذي يليه، فإذا الرقاب -مع كونها بعد الجماجم- تروم التخلص، وتترك الذي هو قبلها كالأمير لها كان أبلغ؛ لأجل أنَّ الرعية والأمير إذا اشتركا في خذل أحدهما صاحبه، دلَّ على أن ليس هناك قوة في واحد منهما. وإذا خذل الأمير الرعية، ولم تتعرَّض هي لخذله، لم يدلَّ على أنَّ كلَّ واحد يهْمُه نفسه. فاعرفه.

ولو سكَّتَ على "الجماجم" -على ذا- لم يَجْزُ؛ لأنه بمنزلة أن تقول: تخاذلت جمجمةً، وهذا ناقص؛ لاقتضاء (تفاعل) فاعلين.

(١٥) فَعُدْنَ كَمَا أَخَذْنَ مُكْرَمَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ وَالْمَلَابُ

الضمير في "عُدن" يعود إلى النساء، وإن لم يجر لها ذكر؛ لدليل الحال عليه، كقوله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَلَيَّهَا / مِنْ دَائِبَةٍ﴾^(٣)، وإضمارهم الخيل من [غير] أن يسبق الذكر^(٤).

(١) القحف: ما انفلق من الجمجمة فبان، ولا يدعى قحفاً حتى يبين، أو ينكسر منه شيء. القاموس (قحف).

(٢) أي: يتركه ويتخلَّى عنه.

(٣) سورة النحل: ٦١، والآية بتمامها: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ دَائِبَةً وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾

(٤) انظر صفحة: ٦١٤.

والمعنى: أن النساء، وإن سُبِيت وأزعجت من أماكنها، فإنها لم تُقَرَنَّ على الذلِّ، بل أكرمت، وعادت إلى الصورة التي كانت عليها في الملابس وغيرها.

والملاب: ضربٌ من الطيب، وهو فارسي^(١).

(١٦) يُثَبِّنَكَ بِالَّذِي أُولَيْتَ شُكْرًا وَأَيْنَ مِنَ الذِّي تُولِي الثَّوَابُ؟

إنما ألبسناه رداء الشكر من حيث إنه ألبسهن رداء التكريم والبر، وصانهن عن الإذلال.

(١٧) وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ^(٢)

يروى: "سَبِيًّا" و"شَيْنًا"^(٣) من شان يشين، والمعنى واحد؛ لأن السبي شينٌ.

والمقصود أن عودها إلى جملة الممدوح فخرٌ لها وعزٌّ.

(١٨) وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابٌ

هو تأكيد لما تقدّم قوله.

(١٩) وَكَيْفَ يَتِمُّ بِأَسْكَ فِي أَنْاسٍ تُصِيبُهُمْ فَيُؤْلَمُكَ الْمُصَابُ؟

"المصاب" على وجهين:

أحدهما: أن يكون مصدرًا كالإصابة، والثاني: أن يكون مفعولاً^(٤)، أي: يؤلمك الذي تصيبه، كقوله^(٥):

(١) انظر: المعرب ٥٨٤، والصاح (لوب).

(٢) العاب: العيب.

(٣) تشير أغلب المصادر إلى هاتين الروايتين.

(٤) أي: اسم مفعول.

(٥) هو القتال الكلابي، من أبيات يتحسر فيها على قتله قريباً له. ديوانه: ٨١.

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْتَنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمَ

والمعنى كقوله^(١):

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ^(٢) أَخِي فَلَمَّا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَنْ عَفْوَتُ لَأَعْفُونَ جَلَّالًا وَلَنْ سَطَوْتُ لَأَوْهَيْنَ عَظْمِي

(٢٠) تَرَفَّقُ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرُّفُقَ بِالْجَانِي عِتَابُ

ترفق عليهم: مثل تعطف عليهم، وترحم.

(٢١) وَإِنَّهُمْ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدَعَوْ لِحَادَثَةٍ أَجَابُوا

(٢٢) وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطُئُوا فَتَابُوا

ذكر في البيت الأول أنهم عادوا إلى الطاعة، ثم أكد ذلك بالبيت الثاني، لذكر الخطأ.

وخطئ، هنا - على إعراب الوجهين^(٣) - : عمد الفعل القبيح، لا من قوله^(٤):

(١) هو الحارث بن ولة الذهلي، من أبيات يتحسرفيها على مقتل أخيه. الحماسة (بشرح المرزوقي

٢٠٤/١)، والتذكرة السعدية ٦٤، والأشباه والنظائر للخالدين ٥/١ والفسر ١٩٦/١.

(٢) أميم: منادى مرخم.

(٣) لا أدري ما الوجهان، وكأن في الكلام سقطا.

(٤) هو امرؤ القيس، ديوانه ١٣٤، من أرجوزة يتوعد فيها بني أسد عندما قتلت أباه.

والشارح يريد أن يقرر أن (خطئ) الثلاثي، معناه: تعمد الخطأ، بخلاف (أخطأ) المزيد، فإنه لا يكون عمداً. أما امرؤ القيس فقد استعمل (خطئ) بمعنى: (أخطأ).

وقيل: إنها بمعنى واحد. وقيل: أخطأ في الحساب ونحوه، وخطئ في الدين.

انظر: الفسر ١٩٧/١، وفعلت وأفعلت لأبي حاتم ١٧٣، وفعلت وأفعلت للزجاج ٧١، والصاح (خطأ).

يَا لَهْفَ هَنَدٍ إِذَا خَطِنَ كَاهِلًا^(١).

فإن قلت: وكيف قال: "وعين المخطئين" ثم قال: "خطئوا"؟

فالجواب: أنهم، وإن تعمّدوا ما فعلوا، فإنهم لم يعرفوا قصدهم إليه، كما لا يعرف المخطئُ عدولَه عن الصواب حالَ الفعل.

وقوله: "عين المخطئين" خبرٌ، و"هم" مبتدأ، فكأنه: هم عين المخطئين؛ لأن الضمير أذهب في التعريف، [و]أولى بأن يكون مبتدأ.

ولم يقل: أعيان المخطئين؛ إيقاعاً للواحد موقع الجمع.

(٢٣) وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمْ عِقَابٌ

إن قلت: كيف قال: "وهجر حياتهم"، والهجرُ بُعْدٌ، والحياة إذا بعدت بطلَ صاحبها! فعلى أي شيء يقع العقاب؟! وذا وإن كان استعارةً فإنه كلما كان أثبت على طريقة المشبّه به كان أذهب صنعةً في الكمال، فكان يجب أن يقول: وسُخط حياتهم، وما يشاكل ذلك.

/فالجواب: أن الأمر كما زعمت، إلا أنه لما قدّم الغضب، علّم أن الهجرَ يراد به الإعراض، لا البُعد والانقطاع، فكان التلاقي بين الحياة وبينهم موجوداً، إلا أن النفع قد قلّ، فذاك هو عقابٌ. فهذا [من] حيث المعنى.

1/76

وأما الإعراب، فإن قوله: "غضبت" لا يخلو من وجهين:

أحدهما: أن يكون حالاً من الحياة، على تقدير (قد)، كأنه: وأنت حياتهم ساخطة عليهم، وإذا قدرت ذلك وجب أن يكون العامل [ما] في الجملة من معنى الفعل، الذي

(١) قال شارح الديوان: "قوله: 'إذا خطن' يريد: إذا خطنت الخيل كاهلاً - وهو حي من بني أسد - وأصابته غيرهم. وخطن في معنى أخطأ، وأكثر ما يقال في الخطأ: أخطأت، وفي الخطيئة: خطنت، إلا أنه استعمل هنا (خطن) مكان (أخطأ)؛ لأنه احتاج إليه لإقامة وزن الشعر".

هو المماثلة، كأنه قال: وأنت تشابه حياتهم ساخطةً، كما تقول: هذا زيد واقفاً، فيعمل معنى الإشارة في الحال.

وذا لا يقبله المعنى إذا حُمِلَ على ظاهره؛ ألا ترى أنك إذا قلت: أنت تُشابه حياتهم ساخطةً عليهم، كنت جعلته حياتهم في حال كونها ساخطةً، لا في جميع الأحوال؟ وذلك غير طريق المدح^١.

وإن قدرت: وأنت الآن حياتهم ساخطةً جاز، وجرى مجرى: أنت الآن لهم حياةً ساخطةً.

والثاني: أن يكون (غضب) كلاً ما منقطعاً، كأنه قال: أنت حياتهم، ثم قال: وقد غضبت عليهم الآن. وذا هو الأحسن. فاعرفه.

(٢٤) وَمَا جَهِلْتُ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ

أي: أن الإنسان قد يعمى في حال الاغترار، فيخفى عليه وجه الرشد.

(٢٥) وَكَمْ ذَنْبٍ مُؤَلَّدُهُ دَلَالٌ^(١) وَكَمْ بُغْدٍ مُؤَلَّدُهُ اقْتِرَابُ

قوله: "مولده دلال" خبر "كم"، وليس بصفة المجرور، كأنه قال: كثير من الذنوب مولده دلال. وكذا ما بعده.

(٢٦) وَجُرْمٌ جَرَّهُ سَفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

(٢٧) فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مِنْ يَهَابُ

الباء في "بجرمهم" للتعليل، كأنه قال: لأجل جرمهم، وقوله: "يرجو علياً من يهاب" على معنيين:

أحدهما: أن يصفح عن الجاني، فيصير إلى أهل الخير، والذين يرجون العطايا.

(١) الدلال والإدلال: هو الثقة بالمحبة، فيؤدي ذلك إلى الإفراط والتجاوز. اللسان (دل).

والثاني: أن يريد: إنه لمعروف بالكرم، فالذي يهابه لا يقطع وفد الرجاء منه رأساً، بل يرجو منه العفو والإحسان مع الخوف. فاعرفه.

(٢٨) وَإِنْ يَكُ سَيْفٌ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ^(١) فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالتِّيَابُ!

اعلم أن (سيف الدولة) بمنزلة زيد وعمرو، في كونه علماً بعد التلقيب به. فهذه الإضافة بمنزلتها في قولك: مررت بأبي بكركم، فكأنه قال: فإن لم يكن سيف الدولة^(٢) هو من قيس. كما تقول: إن لم يكن زيدكم فإنه كذا وكذا. وإذا كان الاسم مضافاً، ثم قصد إضافته أضيف الثاني؛ لاتصاله به، ويحذف الألف واللام؛ لأنه لا يجتمع مع الإضافة، كما تقول: جاءني عبدُ إلَهِنا، فالإضافة -هنا- ليست بمنزلتها في قولك: جلَّ إلَهِنا؛ لأنك تريد إضافة المسمى (عبد الله)، كما أنك إذا قلت: حَبُّ رَمَاني، قصدت إضافة الحبِّ، لا الرَّمان، فكذلك -هنا- تريد إضافة (سيف الدولة) إلى "غير قيس" لا إضافة (الدولة).

وإن حملت الكلام على ظاهره لم يجز؛ لأمرين:

أحدهما: أنه بعد أن غلبَ وصار اسماً لا يُراعى فيه حكمُ الحال الأولى، كما أن العباس / إذا أضيف، فقيل: جاءني عباسُكم، لم يقصد به الدلالة على الصفة، وإنما يراد به الدلالة على الشخص، وإن كان صفةً في الأصل.

والثاني: أن المعنى في (سيف الدولة) الخليفة، وإذا قلت: وإن يك سيفاً لدولة غير قيس، كان بمنزلة قولك: وإن لم يكن سيفاً لدولتهم، وذا يفيد أنه لم^(٣) يكن راعياً

(١) يقصد: قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أما سيف الدولة فهو من تغلب، ومرجعهم إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٤٣، ٣٠٣. ومعجز أحمد ٤١٤/٣.

وقال ابن الإفليلي: "إن كان سيف الدولة منسوباً إلى بني العباس بالخدمة، ومآلهم إلى خندف، وإلى بني تغلب بالنسبة، ومآلهم إلى ربيعة، وقيس بين القبيلتين، فقد قربت منه قيس بإحسانه إليهم...". شرحه ٢٣٩/٢.

(٢) في الأصل (سيف دولة)، وهو غير مضاف، فلا وجه لحذف الألف واللام.

(٣) في الأصل: (وإذا يفيد أنه وإن لم يكن...) لعل صوابه ما أثبت.

لدولتهم، وعوناً لهم، وهو لا يليق بقوله: "فمنه جلود قيس والثياب"؛ لأنَّ حفظه لهم، ومراعاته أحوالهم هو كونه ناصراً لدولتهم وسيّفاً لها، أو لا ترى إلى قوله:

(٢٩) وَتَحْتَ رَبَّابِهِ نَبَتُوا وَأَثُوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا

(٣٠) وَتَحْتَ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمُ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ

فذكر أنه عضدهم، وجعل لهم دولةً، حتى تمكّنوا، وصادموا الأعداء. وإن كان الأمر على ذا عرفت أن الأول هو الوجه، فكأنه قال: إن لم يكن يعدُّ من هذه القبيلة فإنه طالما أعانهم، وحافظ. فاعرفه.

و"أثوا" - في البيت - من أثَّ النبت^(١). وما أحسن ما ركَّب! حيث قرن "أثوا" إلى "نبتوا"^(٢).

(٣١) وَلَوْغَيْرُ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شَمْسِهِمْ ضَبَابُ

"غير" مرفوعٌ بفعلٍ مضمر يفسره المظهر، كأنه قال: ولو غزا غيرُ الأمير غزا، كقولهم: لوزيداً ضربته؛ لأن (لو) يختصّ بالفعل، وإن كان المتنبي قد ترك ذلك^(٣) في نحو قوله^(٤):

ولو قلم ألقيتُ في شقِّ رأسه

وقد ذكرنا أنه قبيح، فلا يحمل عليه مع الاستغناء، ولا يكاد يوجد ذلك في شعر العرب. وقد نصبوا على اختصاص لو بالفعل، وليس ذا موضع الدليل؛ لطوله.

(١) إذا كثروا والتف. الصحاح (أثَّ).

(٢) فدل على تعاهده لهذا النبات حتى اشتداده ونضجه، ولم يكتف بمجرد الإنبات، فهذا أبلغ في المدح. كما أن (أثوا) ترشيح يجعل الاستعارة أكثر بعداً وإغناً. وبين (نبتوا) و(أثوا) ما يسمى بمراعاة النظر.

(٣) أي: ترك استعمال هذه القاعدة، فلم يكن المضمر من جنس المظهر في قوله: (ولو قلم ألقيت في شقِّ رأسه ...) على ما سبق بيانه.

(٤) انظر صفحة: ٣٦٢.

ومعنى قوله: "ثناه عن شمسهم ضباب" - فيما ذكروا - أن الشمس كناية عن النساء^(١)، ولما عبر بها عنهن، وضع الضباب للمحامية والدفع؛ ليحصل التعارض. ويجوز فيه وجهان آخران:

أحدهما: أن تكون الشمس عبارة عن رؤسائهم وأكابرهم^(٢)؛ وذلك أن السيد يوصف أبداً بالضياء، ألا ترى إلى قولها^(٣):

وإن صخرًا لتأتَمَّ الهداةُ به كأنه عَلمٌ في رأسه نارٌ

ويكون الضباب عبارة عن الدفع أيضاً^(٤).

والثاني: أن تكون الشمس عبارة عن ما لهم من العز والتمكّن، فكأنه قال: لو قصدَ غيره لم يصل إلى انتزاع عزهم، وإخفاء شمسهم الطالعة المنيرة.

(٣٢) وَلَاقَى دُونَ ثَائِهِمْ طِعَانًا يَلَاقِي عِنْدَهُ الذُّنْبَ الْغَرَابُ

الجيد في ذلك أن يكون الثائي جمع ثاية، وهي مأوى الغنم، والثاية تجعل علماً للراعي فيهددي به إلى مكانه^(٥)، فكأنه قال: لو قصدهم غير الممدوح لدافعوا عن منازلهم وحدودهم، فيكون من الثائي الذي هو جمع ثاية، للعلم، أو من المأوى، ألا ترى أنه ذكر عنهم الفرار وتضييع الديار؟! فيقول: لولاه لما أهملوا أماكنهم، ولطاعنوا عنها طعاناً يستفيض عنه القتل، حتى يتلاقى الذنب والغراب، ويجتمع في النبل من القتل.

(١) هذا قول ابن جني (الفسر ١/٢٨٢).

(٢) ذكر هذا الوجه الواحدي (شرحه ٥٤٧).

(٣) أي الخنساء، ديوانها: ٣٨٦.

(٤) أو عبارة عن الرعاع، أي أنه يلقي من رعاعهم ما يشغله عن الوصول إلى ساداتهم. شرح الواحدي ٥٤٧.

(٥) انظر: التهذيب ١٥/١٦٤، واللسان (ثوا).

وليس المشهور^(١) الثَّأْي، بإسكان العين، وإنما هو من الثَّأْي، كقوله^(٢):

ولقد رأيتُ ثأْيَ العَشِيرَةِ

(٣٣) وَخَيْلاً تَغْتَذِي رِيحَ الْمَوَامِي وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ!

"خَيْلاً" عطفًا على "طعانًا"، كأنه: لَلَأَقَى خَيْلاً غَذَاوْهَا رِيحُ الْفَلَا، وماؤُهَا الْآلَ فِيهَا،

أي: صابرةٌ / عريقةٌ في مقاساة الحروب.

فإن قلت: فإنه إذا قال: لو قصدهم للاقى خَيْلاً هذه صفتها، كان المعنى: أن هذه الخيل لم توجد معهم لَمَّا قصدهم الممدوح، كما لم يوجد الطعان، وليس الخيل مما يحدث من الإنسان حتى يتمتع وجودها لسبب.

فالجواب: أنه لم ينفِ الخيلَ عنهم، ولكن المعنى أنهم وإن كانوا مُطَاعِينَ وأصحابَ خيولٍ ممارسةٍ، فإن ذلك لم يغني، حتى كأنه لم يكن. ولو عمَدَ لهم^(٣) غيره لأصابه وقع الجميع.

(٣٤) وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ

(١) هذا يقابل قوله سابقاً: (والجيد في ذلك أن يكون ...)، كأن هذا إشارة منه لرواية من رواه بالهمز. انظر: الواحدي ٥٤٧، وابن الإفليلي ٢/٢٤٠.

(٢) هو سُلمي بن ربيعة الضبي، كما في الحماسة (شرح المرزوقي ٥٤٦/٢)، والأُمالي ٨١/١، والنوادر ١٢٠، وشعر ضبة وأخبارها: ١١٥. أو علباء ابن أرقم، من قصيدة له في الأصمعيات ١٦٢. والبيت بتمامه:

ولقد رأبت ثأْيَ العشيرة بينها وكفيت جانبيها اللتيا والتهي

الرأب: الإصلاح. والثأْي: الفساد. وجعل (اللتيا، والتي) اسمين للصغيرة من الدواهي والكبيرة. (أفاده المرزوقي).

(٣) في الأصل (عهدهم له) وكتب فوق (عهد): عمد، وهو أقرب.

(٣٥) وَلَا لَيْلٌ أَجَنٌّ، وَلَا نَهَارٌ وَلَا خَيْلٌ حَمْلَنَ، وَلَا رِكَابٌ!

يعني أنه لما كان سيدهم لم يقوموا لمنازعته، ولم يمتنعوا لا حرباً ولا هرباً، بل أدركهم. وهذا يؤكد أن يكون عني بالشמוש الرؤساء؛ ألا تراه ذكر أنه لم ينفع خيلٌ؟ ومعلوم أن الرجال كانوا يهربون، فأدركهم، وإلا فليس في إدراك النساء كبير عمل! فكأنه قال: لو قصد غيره لما تمكّن منهم، ولكنّه لما أتاهم لم يخلصوا منه بوجه.

وأما إعرابُ قوله: "ولا ليل أجن"، فعلى وجهين:

أحدهما: أن يكون^(١) صفةً لليل، ويكون الليل معطوفاً على "الذهاب"، فكأنه قال: ولا نفع ليلٌ أجنّ، ولا نهارٌ، وكذا يكون "حملن" صفةً لخيل.

والوجه الثاني: أن يكون قوله: "ولا ليل أجن" كلاماً مستأنفاً، فيكون "ليل" مبتدأ، و"أجن" خبره، حتى كأنه قال: ولا سترهم ليلٌ ولا نهارٌ، ويكون قوله: "ولا خيل حملن، ولا ركاب" كذلك: تجعل خيلاً مبتدأ، و"حملن" خبراً، كما تقول: لا رجلٌ خرج ولا امرأة.

وفيه مبالغة؛ وذاك أنه إذا جعل خيلاً مبتدأً و"حملن" خبراً - ولم يجعله صفةً، بمنزلة قولك: ولا نفع خيلٌ حاملة - كان قد نفى الحمل رأساً.

فكأنه قال: ولا حملٌ خيلٌ بوجه، أي: أن الحمل لم ينتفع به، فصار كالمعدوم، كما تقول: تكلمت ولم تتكلّم. وكذا [يكون] "لا ليل أجن" نفيّاً عاماً، كأنه لم يكن هناك سترٌ بوجه. وفي الأول ثبت حملًا، إلا أنك تقول: إنّه لم ينفع.

والثاني أبلغ، والأول أوضح.

فعلى الوجه الأول لا يحتاج إلى أن تقدّر بعد نهار شيئاً.

(١) أي: (أجن).

وعلى القول الثاني يكون الأصل: ولا ليل أجنّ ولا نهار أجنّ، فحذف، كقوله: زيد منطلق وعمرو. وعلى القول الأول يقدر: ولا ركاب حملن، على الصفة، وعلى الثاني تقدره خبراً.

ولا يجوز أن تقول: ولا نهار أجنّ، على الصفة؛ لأنك لا تقول: ولا نفع نهار أجنّ، تجعل النهار مظلماً! وإذا قلت: ولا أجنّ نهار جاز؛ لأنك تنفي السترة عن النهار، ولا تثبتته، كما تثبت إذا جعلته صفةً.

ويكون المعنى في ذلك: أن الليل كان كالنهار في عدم الإجنان منه؛ لأن النهار [لا] يجنّ على حالٍ. ومثله قوله: ما أغنى عنه الصديق ولا العدو، يريد: كان الصديق في عدم الغناء عنده كالعدو ممّن [لا] يُغني، و[لا] يُطلب ذلك منه.

(٣٦) رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفُهُمْ عِبَابٌ.

شبه الجيش بالبحر؛ لأن بريق الحديد يتموج فيه كالبحر.

وقوله: "... خلفهم عباب " يعني به / أن ذلك البريق يفيض على البر، فيكون كال موج الذي يمتدّ في الجوانب. ونحوذا من قول البحري^(١):

يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ^(٢) كَأَنَّ مُتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتَوْنُ نِهَا^(٣)

وهذا النحو كثير.

(١) ديوانه ١١/١، من قصيدة في مدح أبي سعيد الثغري.

(٢) الزغف: الدروع اللينة الواسعة. كتاب السلاح ٢٨.

(٣) النهاء: جمع نهى، وهو الغدير. القاموس. القاموس (نهى).

(٣٧) فَمَسَّاهُمْ وَبَسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَفَرَّشَهُمْ^(١) تُرَابُ

يعني: أنهم قتلوا فتعفروا، وصار التراب مفارشهم بعد الحرير.

وقد تحوّل من الخطاب إلى الكناية^(٢)، فلم يقل: مَسَّيْتَهُمْ؛ حملاً على قوله: "ولكن ربهم أسرى إليهم".

(٣٨) وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَآةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ

المعنى: أن الرجال بمنزلة النساء في قلة الغناء.

و"منهم" يتعلق بما في قوله: "في كفّه" من معنى الفعل، كأنه: والذي استقرّ في كفّه قنّاة منهم كالتّي استقرّ في كفّها خضاب منهم. كما تقول: جاءني الذي عرفته منهم، فتعلّق بنفس الفعل الظاهر.

وبعد، فإنّ الجملة التي هي قوله: "وبسطهم تراب" حالٌ من الضمير المنصوب في "صبحهم"، فإذا كان قوله: "ومن في كفّه" البيت، جملةً معطوفةً على هذه التي هي: "وبسطهم تراب" كان حالاً، فيجري مجرى قولك: وصبحهم و[من] في كفّه منهم قنّاة كمن في كفّه منهم خضاب.

فإن قلت: إنك فسرت قوله: "وبسطهم تراب" على القتل، والمقتول لا يكون في يده القنّاة!

(١) في الديوان والشروح: (وبسطهم تراب).

وفي معجز أحمد ٤١٧/٣: (روي "فرشهم" بدل "بسطهم" في الموضعين).

ويظهر من شرح البيت التالي أن رواية الشارح (وبسطهم تراب). وانظر - ما سبق - صفحة: ٢٦٤

(٢) أي: الغيبة.

فالجواب: أن قوله: "صبحهم" يقع على الكل، ثم يكون كل واحد من قوليهِ:
(و) بسطهم تراب)، (ومن في كفه قناة كمن في كفه خضاب) حالاً من الجميع، على معنى
أن بعضهم قُتلوا، [وبعضهم] بقوا ضعفاء صاغرين.

وجاز أن يقول: "بسطهم تراب" فيعيد الضمير إلى الكل، مع جعله بعضهم مقتولين،
كما تقول: قتلناهم وقتلونا، والمعنى على البعض، كقوله^(١):

سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبِرَا

فأطلق؛ وذلك لأجل أنه إذا أصاب ذلك مَنْ يتصل بهم ويُعدُّ في جملتهم، فقد أصابهم.

فلما كان هذا هكذا جاز أن تقول بعد: [من] في كفه منهم قناة، فتثبت مَنْ لم
يدركه القتل. كما يجوز أن يقول هذا القائل: سَقَوْنَا كَأْسَ الْمَوْتِ، ثم عدنا وحالنا كذا
وكذا؛ لما تقرّر في العادة من أن القصد أن الفعل أصاب البعض. وفيه وجه آخر، وهو
أن "بسطهم تراب" يجوز أن يعود إلى الجميع، على معنى أنهم ذلّوا، فالأحياء منهم قد
لصقوا بالتراب، وأزعجوا من أماكنهم، كالقتلى. وإذا كان كذلك كان الأمر واضحاً.

هذا، وليس في الأول تعسف.

(٣٩) بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ

يعني: أن أباه حارب القرامطة^(٢)، وكان بعض بني كلاب معهم.

والتقدير: هم بنو قتلى أبيك.

(١) هوزفر بن الحارث الكلابي، شعري عامر ٢/٢٤٢.

(٢) كان لوالد سيف الدولة (أبي الهيجاء) وقائع كثيرة مع القرامطة، ادّعى المتنبي أنه انتصر فيها. انظر:

الكامل ٨/١٧٢.

والباء في " بأرض نجد " يتعلق بنفس "قتلى"، كأنه: بنو الذين قتلهم بأرض نجد.
وأما "من أبقى" فيجوز أن يكون مرفوعاً على العطف على "بنو"، كأنه: هم بنو المقتولين
والسالمون. ويجوز أن يكون في موضع جر.

وقوله: و"أبقته الحراب" على معنى: وأبقته حراؤه، فأق بالالف واللام على تقدير:
والحراؤه منه؛ لدليل الحال على ذلك — كما قال^(١):

فمنه جلود قيس والثياب.

والمعنى: والثياب منهم، بمنزلة قوله: وثيابهم — / ألا ترى أنه لا يقول: هم أبقتهم^(٢)
الحراب، على الجنس؛ إذ كم قوم سلموا من الحروب غير هؤلاء؟! وأيضاً فإنه يقصدُ
أن يذكر أباه بالحرب مع بني كلاب، ولا يقصدُ حديث غيره؛ فيصح حمل الحراب على
العموم. كما لا يريد بقوله: "والثياب" ثياب كل قبيلة، فيجعل جنساً. فاعرفه.

(٤٠) عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صَغَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سَخَابٌ^(٣)

يؤكد بهذا قوله: "بنو قتلى أبيك"، أي: أنهم كانوا إذاً أطفالاً، فرغب عن قتلهم.
فإن قلت: فإنه قال: أعتقهم صغاراً، وقد جُوزت في قوله: "من أبقى الحراب" عطفاً
على قوله: "بنو قتلى"^(٤) فالجواب: أن ذلك لا يمتنع من أن يكون المرغوبُ عن قتله
كان صغيراً؛ لأنه يجوز أن يقول: بنو المقتولين، والصغار الذين سلموا، كأنهم بنوهم وبنو
بنينهم. فاعرفه.

(١) هو البيت (٢٨) من هذه القصيدة.

(٢) في الأصل (أبقته).

(٣) السخاب: قلادة من سك وقرنفل ومحلب، بلا جوهر. القاموس (سخب).

(٤) في الأصل (قولك: بنو من أبقى) تحريف شنيع.

(٤١) وَكُلُّكُمْ^(١) أَتَى مَا أَتَى أَبِيهِ فَكُلُّ^(٢) فِعَالٍ كُلُّكُمْ عَجَابٌ

يعني أنهم شاكلوا آباءهم في الخضوع لك، والانقياد لبأسك، وشاكلت أنت أباك في الإبقاء على حريمهم، والرغبة عن قتل بعضهم.

وأخذ أبو بكر الخوارزمي هذا البيت فجعله نثراً، في كتاب كتبه إلى الصاحب، وقال: "فسيَهْزِمُ ابنُ رجلٍ طالما هَرَمَ، وَيَنْهَزِمُ ابنُ رجلٍ طالما انْهَرَمَ، ومن أشبه أباه فما ظَلَمَ" (٣). وحدثت عن الصاحب أنه كان يستحسن هذا منه، ويذكره في المجلس.

وقال: "فكلكم"، فغلب لفظ الخطاب على الغيبة، وأدخل الغائبين في خطاب الممدوح، حتى كأنه خاطبهم؛ لأنه جعلهم شركاء له في مشاكلته الأب وتَقْيِيلِهِ^(٤)، كقوله تعالى: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥)، والمعنى: منك ومنهم، إلا أن لفظ الخطاب غلب.

وإنما غلب الخطاب على الغيبة من حيث إن الكلام للمتكلم، ثم للمخاطب، ثم للغائب.

ولما كان كذلك، غلب التذكير على التأنيث، حتى كان مقدماً في المرتبة، في نحو: زيدٌ وهندٌ ذهباً، والأخوان دعدٌ وزيدٌ.

وقال: "كلكم أتى ما أتى أبيه"، فأفرد على الظاهر، ولم يقل: أتوا ما أتى أبيهم^(٦) حملاً على المعنى، كقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ﴾^(٧)، والمعنى: كل واحدٍ منكم أتى ما أتى أبيه. ويجوز - إذا جمعت - أن تقول: كلكم أتيتم ما أتى آبائكم، فتعيد الضمير إلى (كل)، على الخطاب؛

(١) عند الواحدي ٥٤٨: (فكلكم)، وفي الديوان ٣٧٣: (وكلهم).

(٢) عند الواحدي ٥٤٨ (وكل) وكذلك في النظام ق/ ٣٣٥.

(٣) رسائل أبي بكر الخوارزمي ٧٧ (بيروت)، وفيها: (سيهزم من رجل...)، لعله تحريف.

(٤) تقيل فلان أباه، أي: أشبهه. الصحاح (قيل).

(٥) سورة الأعراف: ١٨.

(٦) في الأصل (أبيهم).

(٧) سورة النمل (٨٧).

لأنه بمنزلة أن تقول: كلكم أتيت مأتى أبيك. وإذا^(١) أفردت لم يجز أن تقول: كلكم أتيت مأتى أبيك؛ لأن الأفراد يجيء على قولك: كل واحد منكم، وأنت لا تقول: كل واحد منكم أتيت مأتى أبيك. وذاك أنك إذا قلت: كلكم فعلتم، فإنَّ كلاً يعتبر فيه ما له من التأكيد في الأصل، نحو: أنتم كلكم فعلتم، وأما إذا قيل: كل واحد منكم، فليس لكل حظ في التأكيد؛ إذ لا يكون - على ذا الوجه - تأكيداً، فلا يمكنك أن تقول: إن أنتم كل واحد منكم فعلتم كذا، وإذا لم تقدر على أن تذكر (أنتم) مع (كل)، لم يجز أن يعود إليه الضمير على لفظ الخطاب، كما لا يجوز أن يعود إلى قولك: واحد منكم - مثلاً - أعني أن كلاً اسمٌ مظهرٌ كواحد.

ب/78 ويزيده وضوحاً أنك لو قلت: كل واحد منهم فعلوا، لم يجز، كما يجوز: كلهم^(٢) فعلوا؛ لأجل أنك لا تقدر على أن تقدري / (كل واحد) التأكيد، نحو: هم كل واحد فعلوا كذا، كما^(٣) تقدر أن تقول: هم كلهم فعلوا.

فالجمله أنه يجوز ثلاثة أوجه: كلكم أتى مأتى آبائهم، وكلكم أتيتم، وكلكم أتوا^(٤). فاعرفه.

وقوله: "أتى مأتى أبيه" من قوله: أتيت كذا، بمعنى فعلته، والأصل في ذلك الإتيان (الذي هو القصد)، ولما^(٥) كان الفاعل للأمر قاصداً إليه أطلق أتى على معنى فعل، كما قيل: تعاظى الشيء، إذا فعله، والمعنى: أنه يتكلف أخذه وتناوله؛ لأنَّ فاعل الشيء كالمتناول له. وكذا قولهم: آتاه الله مالاً؛ إنما هو على قولك: جعل المالَ آتياً إليه، كقولك: أنزل به نعمةً.

(١) في الأصل (وذاك).

(٢) في الأصل (كلكم)، ولا تستقيم به الجملة.

(٣) في الأصل (لما).

(٤) في الأصل (أتى)، وهو تكرار للوجه الأول.

(٥) في الأصل (وإنما).

و"مأني" يجوز أن يكون مصدرًا، فيكون كقولك: قصد قصْدَ أبيه. ويجوز أن يكون اسم مكان، يجري مجرى قولك: قصد مقصِدَ^(١) أبيه.

(٤٢) كَذَا فَلْيُسِّرْ مَنْ طَلَبَ الْأَعَادِي وَمِثْلُ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطَّلَابُ

الكاف في "كذا" في موضع الحال من الموصول، الذي هو "من طلب"، كأنه قال: مشابهاً لك فليسِّرِ طالبُ الأعداء. ويضعف أن يكون (كذا) مصدرًا، حتى كأنه قال: مثلَ سُرَاكَ فليسِّرِ مَنْ يطلبُ الأعداء؛ لأجل أنه قال - في المصراع الثاني -: "ومثل سراك فليكن الطلاب"، فإذا حملت ذا على المصدر كنت قد جعلت الثاني تكريراً، وذهبت بجمال الصنعة، وإذا جعلته حالاً كان ذاك من نمطٍ على انفراده.

وأصحابنا يقولون: إنَّ الكاف في (كذا) قد خُلع منه التشبيه^(٢). ولا يصح حمله على الإطلاق، وإنما يكون ذلك في العدد، نحو: كذا وكذا درهمًا. فأما في نحو قولك: كذا فافعل، فالتشبيه ظاهر، والفاء زائدة، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٣)، وهي عندنا زائدة، وغير زائدة معنى.

(١) في الأصل (قصد).

(٢) انظر: المقتصد ١/٤٤٥.

(٣) سورة المدثر: ٥.

(٢٤)

قيل: وَرَدَ المستنفرون على سيف الدولة يذكرون إحاطة الدُّمُسْتَقْ وجيوش النصرانية بَطَرْسُوس^(١)، واستسلام أهلها إن لم يغاثوا، وكان في بقية علة عرضت له. فبرز للوقت، وسار. وكان الدمستق قد شحن الدرب الذي بين الثغور والشام بالرجال، فلما اتصل بالدمستق خبره أفرج عن منازل طرسوس، وولّى على عقبه قافلاً إلى بلده، ولم يظفر بشيء.

وكتب سيف الدولة إلى أبي الطيب يستدعيه، فأجابه في شوال من سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة:

(١) فَهَمَّتِ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ فَسَمِعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ

(٢) وَطَوَّعًا لَهُ، وَابْتِهَاجًا بِهِ، وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجِبَ^(٢)

قوله: "وإن قَصَّرَ الفعل عما وجب" من قولهم: قصرت في الأمر، ويعدّى بعن حملاً على المعنى، نحو عَدَلَ عَمَّا وَجِبَ.

ولم يقل: وإن قَصَّرَ الفعل عما وجب بالتخفيف؛ لأنه إذا قال: قَصَّرَ الفعل، احتمل وجهين:

أحدهما: أنه لم يقدر البتّة.

والثاني: أن سوء الظنّ بالوشاة عاقه، حتى صار كالعاجز.

وإذا قال: قَصَّرَ، لم يحتمل إلا أن يكون المعنى: أنه كان قادراً، إلا أنه عدل عن الواجب تحامياً؛ لأن المقصّر هو التارك عن [غير] عجزٍ. / وكأنّ (قَصَّرَ) في الأصل بمعنى: عَجَزَ

١/79

(١) طرسوس: مدينة بثغور الشام بين حلب وأنطاكية وبلاد الروم. معجم البلدان ٣٢/٤.

(٢) ويروى (عما يجب) الفسر ٣٢٨/١.

نفسه، وتكلف القصور. فلما كان قصده حديث الوشاة والتخبيب^(١) لأجل أقوالهم، اختار التضعيف.

(٣) وما عاقني غيرُ خوفٍ^(٢) الوُشاة وَأَنَّ الوُشَايَاتِ طُرُقُ الكَذِبِ^(٣)

(٤) وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيْبِهِمْ بَيْنَنَا وَالخَبَابِ^(٤)

الظاهرُ جرّ "تكثير" وما بعده، على قولك: ما عاقني غيرُ قولِ الوشاة، وكونِ الوشايات طرق الكذب، وتكثيرِ قوم، يجري مجرى قولك: وما عاقني غيرُ تكثيرِ قوم، فيكون التّكثيرُ عائناً، كما أنك إذا قلت: ما جاءني غيرُ زيدٍ وعمرو، كان بمنزلة قولك: ما جاءني غيرُ عمرو، في كون المجيء ثابتاً لعمرو.

وإذا رفع^(٥) "تكثيرِ قوم" كان على حذف المضاف، يجوز أن يكون الأصل: وغيرُ تكثيرِ قوم، ثم حذف المضاف (الذي هو غير) ^(٦)، وأقيم المضاف إليه (الذي هو تكثير) مقامه، فاكتسب إعرابه (الذي هو الرفع) والفعل (الذي هو نفي العوق لقربه) ^(٧) في الظاهر^(٨).

ولا يجوز أن لا يقدر المضاف، ويجعل "تكثير" معطوفاً على نفس "غير... الوشاة"؛ لأنك إذا فعلت ذلك، كان بمنزلة أن تقول: ما جاءني غيرُ زيدٍ وأخوك، ترفعُ (أخوك) بما

(١) في الأصل (النحيب)، لعله تصحيف.

(٢) ويروى (قول الوشاة) النظام ق/ ٣٤٩، وفي كلام الشارح ما يدل على هذه الرواية.

(٣) ويروى (وطرق الوشايات طرق الكذب)، النظام ق/ ٣٤٩، وحاشية الديوان ٤٣١.

"وقال أبو الفتح: ويجوز (أن) بالفتح، على معنى: عاقني أن الوشايات، وبالكسر على الاستئناف. والذي سمعته فتح الهزمة" الفسرا/ ٣٣٠

(٤) التقريب والخب: ضريان من عدو الفرس، والتقريب أشد من الخب. فقه اللغة للشعالبي ٢٠١.

والمراد بقوله: (تكثيرِ قوم وتقليلهم) تكثيرهم معايينا وتقليلهم مناقبنا. شرح الواحدي ٦١٨.

(٥) الرفع هو رواية الديوان وسائر الشروح.

(٦) في الأصل (غير قائم)!

(٧) في الأصل (القريه)، لعله تحريف لما أثبت.

(٨) أي: في ظاهر اللفظ، أما في المعنى فالعوق واقع على التكثير؛ إذ هو من العوائق.

جاءني، وزا يفيد ما يفيد قولك: ما جاءني أخوك. فيجب أن تقول على هذا المثال: وما عاقني غير الوشاة، وما عاقني تكثير قوم، والمعنى يرغب عن هذا التقدير؛ ألا ترى أنه يجعل تكثير القوم من العوائق؟.

ويجوز أن يقال: إن الرفع في "تكثير" على المعنى، وهو أن (غير) فرع^(١) على (إلا)، وقول الوشاة، وإن كان مجروراً في اللفظ، فإنه مرفوع في المعنى، نحو: ما عاقني إلا قول الوشاة، وإلا تكثير قوم، فلما كان كذلك حُمل العطف على المعنى، كما تقول: ليس زيد منطلقاً ولا ذاهب - بالجر - لأنه يكثر في كلامهم نحو: ليس زيد بمنطلق، فجري^(٢) العطف على المعنى.

أنشد صاحب الكتاب^(٣):

بدالي أفي لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً.

وفي كل حكمة، وذاك أن الأصل: ما جاءني إلا زيد، و(غير) فرع على (إلا)؛ لأن أصله أن يكون صفة، كقولك: مررت برجل غير زيد، فإذا قالوا: ما جاءني غير زيد وعمرو، [كان] عوداً إلى حكم إلا؛ إذ كان شبيهاً له، على أن (إلا) هو الأصل والأكثر. كما أن الأكثر: ليس زيد بمنطلق، على أن إيراد الباء لتأكيد النفي، فإذا قيل: ليس زيد منطلقاً ولا ذاهب - فيُجر - كان دليلاً على أن الباء هو القوي في نفوسهم^(٤).

والاختيار - في الكلام - أن لا يُفعل ذلك؛ لأن اللفظ بآلا والباء ممكن.

(١) في الأصل (مرفوع) تحريف، تصحيحه من سياق الكلام بعده، وسيوضح الشارح المراد بهذه الفرعية.

(٢) في الأصل (فحذف)، لعله تحريف.

(٣) الكتاب: ٣٠٦/١، ٢٩/٣، وفي مواضع كثيرة.

والبيت لزهير، ديوانه بشرح ثعلب ٢٨٧. ونسبه سيبويه في موضع واحد ٣٠٦/١ لصرمة الأنصاري،

"قال ابن خلف: وهو الصحيح" الخزائن ١٠٥/٩.

وينسب لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، ديوانه ١٦٦.

(٤) في الأصل (تقويتهم)، لعله تحريف لما أثبت.

(٥) وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبُ

المعنى: أنه كان يصغي إليهم، فكان إصغاءؤه يجسرهم على الإصابة^(١) في أقوالهم، وذلك نصره لهم، وكان قلبه لا يتلقى دعواهم بالقبول، ولا يقصدي بسوء الاعتقاد، فهو ناصري.

و"سمعه" يحتمل وجهين:

أحدهما: [أن] يكون مصدراً صراحاً، بمنزلة الاستماع، فكأنه قال: وكان ينصرهم سماعه.

والثاني: أن يكون واقعاً على الجارحة؛ لأنه إذا سمع، فقد أمال إليهم أذنه، / حتى كأنها نصرتهم.

ويصح أن تقول - على القول الأول - : ينصرهم بسمعه أقوالهم. ولا يجوز ذلك في الثاني. وهذا أذهب في المشاكلة، وهي أن يضع الأذن بإزاء القلب، والأول أقوى من جهة المعنى، وهو أن يجعله متكلفاً للسمع، بدلالة ادعائه أن قلبه لم يكن يساعدهم، فكأن إصغاءه غرهم حتى قدروا أنهم يبلغون المني في المتنبي. وإذا قال: ينصرهم السمع، فإن ظاهره يدل على أن ذلك لم يكن تكلفاً، بل ترتاح الأذن له، وليس هذا بالمقصود، إلا أن وجهه أنه إذا تكلف ذلك مال بسمعه، فيصير في الظاهر كأن السمع يلتذّه.

وأما وجه نصره الحسب فهو أن شرفه يحمله على مراعاة خدمته السالفة، والامتناع من إضاعته بقول حساده وعداته.

(٦) وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجِينُ وَمَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ

(١) أي: على النيل مني في أقوالهم، كما سيأتي بعد أسطر.

(٢) رواية الأكثرين: (ولا قلت للشمس)، ورواية الشارح توافق رواية الكندي، شرحه ٦٧٣.

(٧) فَيَقْلَقُ مِنْهُ الْبَعِيدُ^(١) الْأَنَاءُ وَيَغْضَبُ مِنْهُ الْبَطِيُّ الْغَضَبُ

ضرب قوله: "وما قلت للبدر أنت اللجين..." مثلاً، يعني أني لم أشبه الممدوح بغيره ممن يشاركه في لفظ الملك، كما لا يقال للبدر: أنت الفضة؛ لتفاوت المثليين مع تقارب اللونين، وكذا الشمس، فإن كانت كالذهب في اللون، فإن قياسها عليه^(٢) حطُّ لها من موجب الاستحقاق. ويقوي ذا، قوله^(٣):

وما قستُ كلَّ ملوكِ البلاد

ويجوز أن يريد بقوله: "وما قلت للبدر أنت اللجين" أني [لم] أصف الممدوح بما لا يليق به من الأوصاف؛ فأستحقَّ لوَّماً. والأوَّل هو الوجه.

وقوله: "البعيدُ الأناة" بمنزلة قولك: البعيد الغور^(٤)، أي: أنه ليس ممن تجني الخفة على وقاره، ويضطرب باليسير، فعل النَّزَقِ والطَّيَّاش، بل هناك عقلٌ رصين وحلمٌ [وأكدّه]^(٥) بقوله: "البطيء الغضب".

(٨) وَمَا لَاقَنِي بَلَدٌ بَعْدَكُمْ وَلَا اغْتَضَتْ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبِّ

يقول: ما لاقني البلد، بمعنى [ما] أعجبني، فأستقرَّ فيه، وآلفه، قال^(٦):

(١) في الأصل (بعيد الأناة... بطيء الغضب)، وهو مخالف لرواية الديوان والشروح الأخرى، وسيرد في كلام الشارح بالآلف واللام.

(٢) في الأصل (عليها).

(٣) هو البيت العاشر من هذه القصيدة.

(٤) أصل الغور: القعر والقاع. الصحاح (غور)

(٥) في الأصل هنا كلمة صورتها هكذا (عودا السم)، كأنه يريد: ثم أكدّه.

(٦) بلا نسبة في التفسير ٣٣٤/١، ومعاني القرآن للفراء ٢٧/٢، وضرورة الشعر ١١٣، وأما ابن الشجري (٢٨٩/٢، واللسان (ليق)).

كَفَّاكَ: كَفُّ لَا تَلِيْقُ دَرَهْمًا جَوْدًا، وَأُخْرَى تَعَطُّ^(١) بِالسَّيْفِ الدِّمَا.

أي: ما تألف درهمًا، فتمسكه.

والأصل في هذا وقوع الائتلاف بين الشيئين، وإن كانوا يفسرونه على معنى جانس، وذلك أن الإلف مقصورٌ على الإلف، قالوا: هذا يليق هذا، أي: يجانس، ويصلح أن يكون له إلفًا ينضم إليه ويتعلق به.

والمقصود من البيت: أنه لا يستطيع مكانًا بعدهم، ولم يعر من أعباء الشوق إليهم.

وقوله: "وَلَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نَعْمَايَ رَبِّ" فيه ثلاثة أوجهٍ من الإعراب:

أحدها: أَنَّ المَنْوْنَ في حال النصب يبدل من تنوينه الألف في الوقف، نحو: رأيت زيدًا، ولكنه يجوز ترك ذلك في الشعر، كقوله^(٢) (أُنشِدْ شَيْخَنَا رَحِمَهُ اللَّهُ):

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أَطِيلُ السُّرَى وَأَخْذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَصْمٌ^(٣)

الأصل: (عُصْمَا)، وَتُرِكَ للشعر.

والثاني: أنه خَفَّفَ، فحذف واحدًا من حرفي التضعيف، "فرب" وزنه (فع)؛ لأن الباء التي هي لام قد سقطت، وهكذا العادة في التضعيف إذا وقع في آخر الشعر المقيد، كقولهم: (من سرَّ وضرَّ)^(٤)؛ وذلك أن المضاعف حرفان، الأول منهما ساكن، فإذا

(١) تعط، أصله: تعطي، حذفت الباء تخفيفًا اكتفاء بالكسرة. انظر: ضرورة الشعر (١١٣).

(٢) هو الأعشى، ديوانه (الصباح المنير) ٢٩، من قصيدة مدح بها قيس بن معديكرب.

(٣) العُصْم: جمع عصام، وهو العهد.

(٤) كذا بالأصل، ولعله من قول طرفة:

فَفَدَاءُ لَبْنِي قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُرُوضٍ

ديوانه ٧٢، واستشهد به ابن جني في هذا الموضع (الفسر ٣٣٦/١).

80/أ

وقفت / على الثاني أسكنته، فيجتمع ساكنان، فيثقل اللفظ به جداً، حتى لا يكاد يسلم الحرفان كلَّ السلامة، فيحذف أحدهما، لاسيما في الشعر^(١)، ليعذب اللفظ به. فقوله: "ي رَبِّ" بمنزلة "غضب" فيما قبله.

والثالث: أن الإضافة في قوله: "رَبِّ نعماي رب"، تحتل وجهين:

أحدهما: أن تكون بمنزلة قولك: صاحب حالي، ومعطي نعمتي، أي: هو ربَّ النعم التي عندي في الأصل.

والثاني: أن تكون من باب (حَبَّ رَمَاني)، وذلك أن السيد يكنى عنه بوليَّ النعم، ولا يراد بذلك نِعْمٌ واحدٍ دونَ واحدٍ، وإذا كان كذلك، كان الأصل: رَبِّ النُّعْمِ، فيكون القصدُ إضافةً (رب النعمي) إلى نفسه، لا النعمي وحدها، فكأنه: وما اعتضتُ من وليَّ النعم، الذي بمنزلة قولك: من السيد^(٢)، كما أن قولك: حَبُّ رَمَاني، بمنزلة: حَبُّ من الرمان^(٣)، فالرمان، وإن لم يكن جنساً في اللفظ بمنزلته في قولك: أخذتُ رَمَاني^(٤)، فإنه في المعنى جنس، كما يكون إذا قلت: حَبِّي، دونَ غيره. [و] بمنزلته إذا قلت: رَبِّ النُّعْمِ.

فكلُّ حسنٌ، وهذا أقوى؛ لما ذكرنا من أنهم يقولون: أولياء النعم.

(٩) وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوِّ دَأْنَكَرَ أَظْلَافُهُ وَالْعَبَبُ^(٥)

المعنى: أن سائر المملوك بالإضافة إلى سيف الدولة بمنزلة الثور إذا قُرن إلى الجياد، فكما أن مُعتاد ركوب الجياد لا تطاوعه النفسُ على ركوب الثور، كذلك الواصل جناح عزَّه ومُلكه لا يعرَّجُ على غيره^(٦).

(١) انظر: ضرورة الشعر ٨٠.

(٢) في الأصل (... السيد الذي كما ...).

(٣) لوقال: (حي من الرمان)، لكان أوضح.

(٤) لوقال: (أخذت رماناً)، لكان أوضح.

(٥) الغيب: ما تدلُّ تحت حنك الثور أو الديك، ومثله: الغيغيب. الصحاح (غيب).

(٦) هذا البيت وإن كان مثلاً، إلا أن بعضهم استثقل لفظ الركوب في مواجهة الممدوح به. انظر: التبيان

٩٨/١. وحواشي الفسر ٣٣٧/١.

ويجوز أن يكون تعريضاً بكافور.

(١٠) وَمَا قَسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ^(١) - قَدَعْتُ ذَكَرَ بَعْضٍ - بِمَنْ فِي حَلَبٍ!

"قدع ذكر بعض" أي ذكر بعضهم. وكلُّ وبعضٌ يحذف منهما المضاف، ويراد، نحو: مررت بكلِّ قائماً وبيعُ قاعداً، تريد: (كلهم وبعضهم).

وقد زعم بعض النحويين أن دخول اللام على كل وبعض لا يجوز^(٢)، وأن ما يستعمله الكتاب^(٣) من الكل والبعض غير مستقيم. فقد أجري على الظاهر، وهو أنهم يقولون: إنك إذا قلت: مررتُ بكلِّ وبعضٍ، فأنت تريد: بعضهم وكلهم، فكما لا يجوز أن تقول: الكلهم والبعضهم، كذلك لا يجوز البعض والكل.

والصحيح جواز ذلك^(٤) قياساً واستعمالاً، أما الاستعمال فهو أن شيخنا - رحمه الله - حكى عن الشيخ أبي عليٍّ - رحمه الله - عن أبي الحسن: "مررت بهم كلاً"^(٥)، وقرأت

(١) ويروى (ملوك الزمان)، الديوان ٤٣٢، والنظام ق/٣٥١.

(٢) المنع هو مذهب الجمهور. حاشية الصبان على الأشموني ٢/٢٥٠.

(٣) لعله يقصد كتاب سيبويه كما سينص عليه في خاتمة هذا المبحث. أما إن كان المراد الكتاب جمع كاتب، فالأمر واضح.

(٤) وممن جوز ذلك أبو علي الفارسي، نص على ذلك في كتابه (كتاب الشعر ١/١٦٨)، ونقل ذلك عنه ابن الشجري في أماليه ١/٢٣٣، والكندي في شرحه ١٨٤.

وممن أجازه الجوهري، حيث قال: "وكل وبعض معرفتان، ولم يجئ عن العرب بالألف واللام، وهو جائز" الصحاح (كلل).

ويقال: إن الجواز هو قياس مذهب سيبويه. انظر: أمالي ابن الشجري، وشرح الكندي (الموضعين السابقين).

والشارح - رحمه الله - قد بحث هذه المسألة بحثاً مفصلاً، لم أره عند غيره.

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مصنفات أبي علي، والأخفش، وقد نقل ذلك ابن الشجري عن أبي علي عن أبي الحسن، في أماليه ١/٢٣٤.

ذلك عليه في حاشية الكتاب^(١) -أيضاً-: أن (كلاً) نُصب على الحال. والحال لا يكون إلا نكرة، وإذا ثبت^(٢) أن كلاً مستعملٌ نكرة، فإن دخول الألف واللام فيه حسنٌ، جارٍ مجرى دخوله في رجل وفرس.

وأما القياس فهو أن كلاً وبعضاً ليس إذا استعملّا [بالألف واللام] في موضع على تقدير الإضافة، ويجري مجرى قولك: أخذت الثلث من كذا، والنصف، والجميع^(٣).

ويزيد في وضوح ذلك أن هذا المدعي لا يخلو من أمرين: إما أن يقول: إن كلاً وبعضاً على أن [لا] يستعملّا إلا مضافين لفظاً، نحو: كلهم وبعضهم، أو تقديرًا، نحو: مررتُ بكلّ قائماً وبعضٍ قاعداً. أو لا يقول. فإن قاله: تلقاه بالردّ قولهم: / "مررت بهم كلاً"، واستعمالهم له نكرة؛ إذ لو كان مضافاً في التقدير لم يجز أن يكون حالاً، كما لا يجوز: مررتُ بهم كلّهم البتّة. ثم يأتيه ما هو أشدّ من ذلك، وهو أنك تقول: أخذت بعضاً من الدراهم، ويزيده ردّاً أنك تقول: هذا بعضٌ من كلّ، بمنزلة قولك: هذا قليلٌ من كثير، ولا يتصور فيه تقديرٌ إضافة.

80/ب

وإن لم يقل: إنهما ألزما الإضافة، قيل له: فلا وجهَ للامتناع من اللام، فهما -إذا- كالنصف والثلث والجميع. ومما يدل على ذلك أنك تقول: بعضٌ وأبعضٌ، فتكسّره، كما تقول: ثلث وأثلث، ونصف وأنصاف. فإذا تصرفَ البعض تصرفَ النصف والثلث، فما الذنب الذي له حتى يجب أن يُمنع اللام، ولا يُمنع نظيره؟!

ثم إن تقدير الإضافة في نصف وثلث جائز، ألا ترى أنه لو قيل: أخذت النصف من المال وتركت نصفاً، كان جائزاً؟

(١) الظاهر أن حاشية الكتاب هذه هي كتاب لأبي علي الفارسي، ولعلها كتابه الذي ظهر قريباً باسم (التعليقة على كتاب سيبويه)، لكنني لم أجد هذا القول في مظانه منها. ويحتمل أن تكون هذه الحاشية لشيوخه محمد بن الحسين، إلا أن الذين ترجموا له لم يذكروا هذه الحاشية ضمن مصنفاته.

(٢) في الأصل (اثبت).

(٣) في الأصل (الجمع).

وأما كلٌّ، فلا يدلّ امتناع الجمع فيه على أنه ليس كبعض؛ لأجل أنه اسمٌ وُضِعَ^(١) للإحاطة والعموم، فلم يبق شيءٌ لم يدخله تحته حتى تجمعه، فإذا قلت: كلٌّ، [ما] جاز أن يكون في الدنيا شيءٌ إلا وقد دخل تحته، وليس كذلك البعض؛ لأنه ليس موضوعاً على العموم، بل يصلح لكل جزء من الشيء، فيحتمل الجمع كما يحتمله الجزء^(٢). فإذا قلت: جاءني كلُّ القوم كان كقولك: جاءني الجميع. فاعرفه.

وإنما ذكرت هذه المسألة، وإن كان البيت لا يفتقر إليها كل الافتقار؛ لأنها تتعلق بحديث الكتاب. وهذا الكتاب أسبق إلى أيديهم من غيره^(٣).

(١١) فَلَوْ كُنْتُ سَمَيْتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشَبَ

يقول: لم أقسه بغيره من الذين يطلق عليهم لفظة الملك، ثم لو أجريتهم مجراه، حتى أبلغ في القياس أن أسميهم باسمه الذي هو سيف الدولة لكان التفاوت بينه وبينهم هو التفاوت بين الخشب والحديد، وكان السيف له حقيقة، ولهم كذباً.

وهذا مثلٌ، وإنما الذي دعاه إلى ذكر الحديد والخشب أن اسمه سيف الدولة.

(١٢) أَفِي الرَّأْيِ يُشَبَّهُ، أَمْ فِي السَّخَا ء، أَمْ فِي الشَّجَاعَةِ، أَمْ فِي الْأَدَبِ؟

هذا كله تأكيدٌ لنفي المشابهة.

(١٣) مُبَارَكُ الْإِسْمِ، أَعَزُّ الْقَلْبِ كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ، شَرِيفُ النَّسَبِ.

(١) (وضع) أضيف بخط دقيق.

(٢) في الأصل (الخبر)، لعله تحريف لما أثبت.

(٣) لعلّه يعني كتاب سيبويه، وسيبويه لم ينقل عن العرب استعمال الكل والبعض، ولم ينص على جوازه، وكل ما هنالك أن العلماء قالوا: إن الجواز هو قياس مذهبه. بقي شيء آخر: هل استعمل سيبويه (الكل والبعض) في أسلوبه؟ وجدت لديه موضعين استعمل فيهما (البعض)، ويحتمل أن يكونا مما يقصده الشارح، انظر: الكتاب ١/٥١، ٢/٣٤٨.

أي: هو مبارك الاسم، والبركة أنه من العلو. واللقب (سيف الدولة) أغر. و"الجِرْشَى": النفس. ولا أدري ما الذي دعاه إلى أن رمى بهذه الفُهيرَة مع هذه الألفاظ العذبة، التي لها سلاسة الماء، ولطافة الدَر^(١)؟!

وقد يعتاد الإنسان اللفظ الذي يُستوحش منه في العادة، فيمتزج له بكلامه؛ لجري طبعه عليه. ونوعٌ منه أن أبا عثمان^(٢) قال في رسالة الشراب: "مُسْتَرَّاحُ رُوحِكَ"^(٣)، وافتتح بما لا يُستحسن من جهة الاعتیاد^(٤)، وإن كان هذا اللفظ حسنَ المعنى في التحقيق؛ لأن عادة الفصيح/تجري بما هو الأصل، فيغفل عن مراعاة العادات.

81/أ

وهذا النحو يقلُّ في شعر المتنبي، وإنما يغلب فيجيء الوحش مع المؤلف في كلام أبي تمام، كما لا يخفى.

(١٤) أَحْوَ الْحَزْمُ^(٥) يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى قَنَاهُ، وَيُخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ.
"قَنَاهُ" فاعل "سبى".

إنه يفرِّق مَنْ يسببه من أولاد الأعداء على أوليائه وعسكره؛ حتى يستخدموهم. وكذلك يصلُّهم بما يستولي عليه من أموال العدى وأصناف تُحْفَهم ويخلع منها عليهم. و"يخدم" يتعدى إلى مفعولين، كقوله: وأخدمته عبداً، أي: جعلتُ عبداً يخدمه. فكَذلك^(٦) التقدير هنا: يخدم أوليائه أولادَ أعدائه، لكنه لم يذكر المفعولين معاً؛ ليحصل

(١) يتفق الشارح في نقده هذا مع ابن سنان الذي يرى أن هذه اللفظة مما يكرهه السمع. سر الفصاحة ٦٣. وكذلك أشار إلى هذا المأخذ صاحب النظام.

(٢) أي: الجاحظ.

(٣) رسالة مدح النبيذ، رسائل الجاحظ ١١٩/٣ (عبد السلام هارون). وفيها (مستراح قلبك).

(٤) لأن العادة جرت على استعمال (المستراح) لبيت الخلاء.

(٥) رواية الديوان والشروح (أخو الحرب). وقد أورده الشارح بهذه الرواية في صفحة: ٢١٨

(٦) في الأصل (فذلك).

حقَّ العموم والشياع. كما تقول: زيد يعطي، ولا تذكر مفعولاً؛ لأنك لا تقصد واحداً مخصوصاً من السؤال، ولا شيئاً مقصوداً من النوال.

فكذلك لما [لم] يقصد هنا إلى تخصيص^(١) واحدٍ من الأولياء الذين يجعل لهم خدماً من السبي، ولا تخصيص بعض من المجعولين خدماً، كان الوجه أن يسكت على الفعل، فيقول: يُخدم مطلقاً.

وكذا كل موضع قُصد فيه تركُّ التخصيص ذكر الفعل غير متعدي إلى المفعول^(٢). فاعرفه.

(١٥) إِذَا حَازَ مَا لَا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسَرُّ بِمَا لَا يَهَبُ

دلَّ على أنه لا تقوى رغبته في جمع الأموال، بل تسمح نفسه ببذلها، ويعدّ المبذول ماله على الحقيقة.

(١٦) وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ تَذَكُّارَهُ صَلَاةَ الْإِلَهِ وَسَقْيَ السُّحْبِ

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون في الكلام مضافٌ محذوف، كأنه قال: وأتبع^(٣) ذكرَ صلاةِ الإله وسقي السحب، فيجري مجرى قولك: أقول: صلى الله عليه، وسقته السحب.

والوجه الثاني: أن يقوِّي الرجاء في وصول الخير إلى الممدوح واستجابة الدعوات له، حتى كأنه أتبع ذكره صلاةَ الإله وسقي السحب على الحقيقة، وعرف أن ذلك حاصلٌ موجود، ويكون ضرباً من قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٤) فأني

(١) في الأصل (لما يقصدها إلى تخصص).

(٢) انظر الدلائل: ١٥٤.

(٣) أي: وأتبع تذكاره ذكر صلاة الإله

(٤) سورة النمل: ٨٧.

بلفظ الماضي مبالغة وإخباراً بأن ذلك كأنه قد حصل؛ لانتفاء الشك عنه. كما يقول القائل - لمن يقول: زيد يخرج؟ - قد خرج، يريد الإفراط في التقرير^(١).

ونحوذا مستقر في العادة، إذا تأملت من [أن] الفعل في ذلك موضوع على غلبة الظن في الأصل. وهو كقوله^(٢):

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُتُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

فَأَسْقِيهِ بمعنى قلت له: سَقَيْتُ، وهو من قولهم: سَقَاهُ وَأَسْقَاهُ، بمعنى واحد^(٣)، كقول الشاعر^(٤):

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ، وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هَالِدٍ

فجاء أسقيته بمعنى أني لما دعوت له بالسقيا، صرت كأني سقيته على الحقيقة؛ قصداً للمبالغة.

ويعضده قوله: حَيَّيْتُهُ، أي قلت له: حَيَّاكَ اللهُ، فحَيَّيْتُ لفظ واحد، كما ترى، فلما كان الدعاء له بأن يحييه الله [...] (٥) لذلك - مثلاً - وأريد المبالغة أطلق فقيل: حَيَّيْتُهُ، حتى كأن ذلك قد وجد منك. كما قالوا: غَفَرَ اللهُ لزيدٍ، في الدعاء - بمنزلة / ليغفر الله تعالى [له] - باللفظ الذي يوجب المضي والوجوب، حتى كأن ذلك قد حصل. فاعرفه.

81/ب

و"تذكاره" على وجهين:

(١) أي: تقرير خروجه وتأكيده. وفي الأصل (التقدير) لعله تحريف.

(٢) هو ذوالرمة، ديوانه ٨٢١/٢.

(٣) انظر فعلت وأفعلت للزجاج ٨٨.

(٤) هولبيد، ديوانه ٩٣.

(٥) مكان هذه النقط - بالأصل - بياض بمقدار كلمتين أو ثلاث، كأنه يريد (كالحاصل أو كالمحقق).

أحدهما: أن يكون على معنى: تذكاري إياه، بمنزلة قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(١)، والمعنى: دعائه.

والثاني: أن يكون على العموم، كأني: كلما سمعتُ ذكره، دعوتُ له، سواء كنتُ الذاكر، أو غيري. فيجري مجرى قولك: لأتبع اسمه إذا ذُكر.

وإن أخذتَ التذكّارَ من ذكر القلب لم يَجُزْ إلا الأول؛ لأنك إنما تعرف بذُكرِكَ دون تذكّر غيرك.

(١٧) وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِآلَائِهِ وَأَقْرُبُ مِنْهُ: نَأَى أَوْ قَرُبُ

الباء في "بآلائه" على وجهين:

أحدهما: أن يكون بمنزلته في قولك: أثني عليه بما هو أهله، وأثني عليه بصالح، فيكون المعنى: أثني عليه بذكر آلائه - كما تقول: أمدحه بمناقبه ومحاسنه - وأقربُ منه في كلِّ حالٍ؛ لقرب القلب وصدق الولاء.

والثاني: أن يكون الباء بمنزلته في قوله^(٢):

مُرَّايَ عَلَى أَمٍّ جُنْدُبٍ.

أي: أثني عليه مع آلائه، فيجعل الآلاءَ مُثْنِيَّةً، أي: أنا أنشر مدحه، ونعمه تساعدني على ذلك وتصدقني. كما قال أبو تمام^(٣):

(١) سورة فصلت: ٤٩.

(٢) هذه عبارة من بيت امرئ القيس (ديوانه ٤١):

خَلِيلِي مُرَّايَ عَلَى أَمٍّ جُنْدُبٍ نَقَضِي لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمَعَذِبِ.

(٣) في الأصل (كما قال وقال أبو تمام) والبيت في ديوانه ١١٦/٢.

أَلَيْسَ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي!^{١٩}

فكما جعل النعم رادةً عليه هجوه، ومكذبةً له فيه، كذلك يجعلها مشاركةً له في القول الجميل والثناء، وناطقةً بصحة ادّعاءه. فاعرفه.

ويجوز أن يريد بقوله: "وأقرب منه" أن قرّبه منه هو كونه في خدمته وجملته، وإذا كان نعمه لأئحة الآثار، كان معدوداً في أوليائه، بعيداً كان أو قريباً.

(١٨) وَإِنْ فَارَقَ ثَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُذْرَانِهَا مَا نَضَبَ

وهذا مثل، أي: أن نعمه وإن قطعت الآن، فما أولانيه قديماً أكثره باقٍ.

(١٩) أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ، لَا خَلْقَهِ وَيَا ذَا الْمَكَارِمِ، لَا ذَا الشُّطْبِ^(١)

(٢٠) وَأَبْعَدَ ذِي هَمَّةٍ هَمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُتْبَةٍ بِالرُّتْبِ

(٢١) وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً^(٢) وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبَ

(٢٢) بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ

أي: أنهم أرسلوا إليك وفد الغوث، فأغثتهم، والسيوف قد علّت مفارقهم. و"القضب" جمع قضيب، يقال: سيفٌ قضيبٌ، أي: قاضبٌ. ويجوز أن يكون جمع قاضب، كباترٍ وبُترٍ، وقاتلٍ وقُتلٍ، وأنشد شيخنا رحمه الله^(٣):

إِنَّا لَأَمْنَا لَكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتْلُ.

(١) يقول: أنت سيف الله، لا سيف الخلق. وأن تسمى: ذا المكارم، أولى من أن تسمى: ذا الشطب (وهي الطرائق التي في متن السيف). معجز أحمد ٣/٥٩٨، وشرح الواحدي ٦٢٠.

(٢) الخطية: الرماح المنسوبة إلى الخط وهي أرض بشرق الجزيرة. انظر: كتاب السلاح ٢٠، ومعجم البلدان ٤٣٢/٢.

(٣) قائله الأعشى، ديوانه (الصباح المنير): ٤٧، وصدره:

كلا زعمتم بأننا لا نقاتلكم

وقوله: "والهام تحت القضب" جملةٌ في موضع الحال، والتقدير على وجهين:

أحدهما: أن يكون حالاً من "أهل الثغور"، [أي] مقارنين للقتل، فأجبت.

والثاني: أن يكون حالاً من مفعول "لَبَّيْتَ"؛ لأنه ثابت في المعنى، وإن كان قد حذف في اللفظ، فكأنه قال: فأجبتهم في الحال هذه. وهذا أقوى من جهة الإعراب، وهو أن "لَبَّيْتَ" / أقرب إليه من "ناداك"، والأقرب أولى بالعمل.

1/82

وأما سقوط ذي الحال من اللفظ فلا تأثير له؛ لثباته في المعنى، ألا تراك تقول: الذي ضربت قائماً زيداً، فيكون (قائماً) حالاً من الضمير المقدّر في قولك: ضربته، وإن كان ساقطاً من اللفظ؛ لأن المعنى إذا تقاضاه، صار كأنه منطوقٌ به.

والأول أقوى من جهة المعنى، وهو أنه أراد وصف أحوالهم بالشدة، وقوله: "والهام تحت القضب" من أعلام ذلك. فأن يكون مع الاستغاثة والنداء أولى - في المعنى - من أن يكون مع "لَبَّيْتَ".

ويزيد في وضوحه أن إجابته مما يقوي قلوبهم، واقتران حال الشدة بفعل الإجابة لا تقبله الصنعة كلّ القبول، ألا ترى أن الأحسن أن يقال: إنهم لما نادوك ضَعَفَ العدو بذكرهم اسمك، كما قال^(١):

ودعوت جيشاً بالثغور محلهم والجيش باسم أيهم يستهزم

(٢٣) وَقَدْ يُسَوِّمُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَعَيْنٌ تَعْوُرُ، وَقَلْبٌ يَجِبُ^(٢)

(١) لعمري بن حني التغلبي في الأضمعيّات ١١٦، ولخزربن لوزان في الوساطة ٣٦٤.

(٢) غارت العين: انخسفت. ووجب القلب: خفق.

التقدير في نحو هذا: اللذيد من الحياة، وليس اللذيدُ بصفةٍ للحياة المذكورة، على ما
يُظنُّ أهلُ السلامة^(١).

فإن قلت: إنك إذا قلت: خرجوا فرجلٌ يُقتلُ ورجلٌ يُقتلُ، كان قصدك أن هاتين
الصفتين قد استغرقتا القومَ على الانفراد، لا الاشتراك، كقولهم: هم بين قاتلٍ ومقتولٍ.
وقوله: "فعين تغور وقلب يجب" يفيد في الظاهر أن بعضهم تغور عينه، وبعضهم يجب
قلبه، وإذا يدل على أنَّ الوجيبَ والتغورُ لم يجتمعا في كلِّ واحدٍ منهم، والواجب أن يقول:
العيون غائرة والقلوب واجبة.

فالجواب: أن هذا لا يجب؛ لأجل أنه يجوز أن تقول: إن الخوف لما شملهم، كان أثره في
بعضهم على العين وفي بعضهم على القلب، كما أنه لو قال: فهم بين غائرٍ عيناً وواجبٍ
قلباً، كان حسناً جميلاً.

وأما إعراب "عين" [ف] على الابتداء، و"تغور" صفة، والخبر محذوف، كأنه قال:
فمنهم عينٌ تغورُ ومنهم قلبٌ يجبُ، فيجري مجرى قولك: فمنهم ذو عينٍ غائرة، وذو
قلبٍ واجبٍ، كما قال^(٢):

غداةً غدوا: فسالك بطن نخلية وأخرُ منهم جازعٌ تجد كَبْكَب^(٣).

لأن التقدير: فمنهم سالكٌ.

وإن أردت أن تحمله على العموم، فتجعل كلاً غائرَ العيون واجبَ القلب، فقدَر: فلهم
عينٌ تغور وقلبٌ يجب، ويكون وَضَعُ الواحدَ موضعَ الجمع؛ لأمرين:

(١) يقصد أصحاب الغفلة الذين يكتفون بالظاهر، ولا ينعمون بالنظر. وقد استعمل عبد القاهر هذا

الوصف في كتابه: المقتصد ١٠٣٣/٢.

(٢) هو امرؤ القيس، ديوانه ٤٣، ٣٨٣، وفي البيت روايات.

(٣) كبكب: اسم جبل.

أحدهما: أن الغرض الدلالة على الجنس، وبذكره الواحد يُعرف ذلك؛ إذ يعلم أنه لا يريد عين واحد، البتة. والثاني: أن المعنى: فلكل واحد عين تغور وقلب يجب. وإن قدرته لم يصدك عنه أمر.

(٢٤) وَغَرَّ الدُّمُسْتُقُ قَوْلُ الْوُشَاةِ (١) : إِنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِرْبٌ

(٢٥) وَقَدْ عَلِمْتُ خَيْلَهُ أَنَّه إِذَا هَمَّ وَهُوَ عِائِلٌ رَكِبَ

/رؤي: "قول العداة" (٢) أيضاً.

82/ب

والوشاة أولى؛ لأن المعنى: أنه أحس بمرضه، والواشي هو الذي يخبر، [و] في ضمن الوشاة معنى العداة، وليس في العداوة معنى نقل الخبر، الذي هو الأهم في المقصود.

وقوله: "إِنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبٌ" بمنزلة (مريضٌ وصبٌ).

أي: أنه اغتربما كان تراه من خبر اعتلاله، ولم يعلم أنه لا يجيد عن القتال لأجل المرض.

وقال بعضهم (٣): إن ذكر الوشاة تقصير بالممدوح؛ لأنه يقال: وُشيَ بفلانٍ إلى السلطان، فبدل على أن قدر الذي وُشي به أقل من قدر الموشى إليه ١. وزعم أن الوجه: أن يحمل على أن الوشاة الذين بعثهم الدُمستق في البحث عن أحوال الحصون، فجاءوا، وأخبروه بضعف أهلها، فيكون الموشى به أقل من الموشى إليه، ولا يكون وضعاً من الممدوح.

(١) في الأصل (العداة) وكتب بإزائها في الحاشية بخط مخالف (الوشاة) وهو الموافق لمراد الشارح.

(٢) الروايتان في الديوان ٤٣٣. والعداة: رواية الفسّر ٢٣٨/١، والواحد ٦٢٠، والتبيان ١٠١/١، والكندي ١٧٥، والنظام ق/٣٥٤.

والوشاة: رواية معجز أحمد ٥٩٩/٣، والموضح ٣٩/ب، والوساطة ٤٧٧، وقد أنكر هذه الرواية ابن فورجة في كتابه: الفتح على أبي الفتح ٨٧.

(٣) انظر: الوساطة ٤٧٧، والفتح على أبي الفتح ٨٧، والصبح المنبي ٣٨٤.

وهذا تعسفٌ ظاهرٌ، وذاك أنَّ الوشاية: في نقل الأخبار على وجهٍ قبيحٍ والزيادة فيها أكثرُ من استعمالها بمعنى السَّعاية، أتراه قال^(١):

نعم، صدَّق الواشون أنتِ كريمةٌ علينا

قاصداً أنهم يسعون به إلى سلطانٍ، أو إلى مَنْ هو أعلى مرتبةً منه؟! وهل أراد إلا نقل الخبر إلى كلِّ واحدٍ، والزيادة فيه؟ وإنما الوشايةُ بمنزلة التَّهمة. ولو قيل لسيِّد: فلانُ وشى غلامك، بمعنى أنه ينقل الأخبارَ من حضرتك إليه، لم يدفعه مميراً!

ثم إذا اعتبر في (وشى) ما ذكره من حديث السَّعاية، وجب أن يكون إخباراً بجناية، أو شيءٍ يعنفُ عليه صاحبه، أو يُلام. وليس يكون ضعُفُ أهل الحصون جنايةً لهم عند المستق، وهل يلومهم على تَواكلهم وفتورهم؟! لو جاز ذلك، لجاز أن تقول لمن يصف إنساناً بالإذعان لمن يحاربه والإعراض عن المحاربة، قد سعى به إلى خصمه! وذلك لا يقوله أحد يعرف أحكام العادة!

فإذن، قد أنكر شيئاً ثم أثبتَه؛ لأنه إذا لم يكن في نقل أخبار أهل الحصون ووصفهم بالضعف سعايةً، فمن أين يمنع أن يكونوا نقلوا خبر الممدوح، كما صرح به في قوله: "إنَّ علياً ثقیل وصب"؟!

وهذا واضحٌ لمن كحلَّ عينَ فهمه شعاعُ العقل، ووَضَعَ عِنانَ قلبه في يد الإنصاف!

(٢٦) أَتَاهُمْ بِأَوْسَعِ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبِيْبِ قِصَارَ الْعُسْبِ^(٢)

"السبیب": شَعْرُ الْعُرْفِ وَالذَّنْبِ. والعسب: قضیبُ الذنب.

(١) هو جميل، وقد سبق في صفحة: ٢١٣.

(٢) يستحب في الفرس طول سببيه، وقصر عسبيه. الفسر ٣٤٦/١، والخيل لأبي عبيدة ٩١.

ولم يقل: طوال^(١) الأسبّة؛ وضْعاً للواحد موضع الجميع؛ لما تقدّم^(٢) من أن الغرض الدلالة على الجنس، لاسيّما هنا^(٣).

و"أوسع من أرضهم" صفة الخيل، كأنه قال^(٤): بخيل أوسع من أرضهم.

فإن قلت: هلاً قال: طوال السبب قصار العسب، بالجر على الصفة؛ إذ قولك: (بخيل) نكرة، والحال من النكرة مُنكرة؟!

فالجواب: أنّ "طوال السبب" حال من الضمير في "أوسع"، لا من (خيل)، والضمير معرفة. ألا تراه قال: مررت برجلٍ معه صقرٌ صائداً به غداً^(٥)، فتجعله حالاً من الضمير في (معه)؟. وتقول: مررت برجلٍ، ثم لقيته واقفاً بباب داري؛ لأنك لما أضمرته صار معرفة. وفي ذلك كلام طويل.

فكأنه قال: أتاها بخيل تفضل أرضهم، طويلاً سببها قصيراً عسيبها، كما تقول: بخيل تضيق أرضهم [بها]، وهي طوال السبب.

وطوال / السبب وإن لم يكن يتحوّل كل ساعة - كالقيام والقعود - فإنّ نحوذا يجيء حالاً، ألا تراك تقول: جاءتك الخيل جرداً ضوامر، كما تقول: الخيل الجرد الضوامر كانت في حال المجيء. كذلك لما كان زيد راكباً حيث [جاء] قلت: جاء زيد راكباً. وأما لزوم الأول وانتقال الثاني فلا يمنع.

ولو جرّ فقال: طوال السبب، كان صفة، كما قال: مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدٍ به غداً، على أن [لا] يكون محمولاً على الضمير في (معه)^(٦).

(١) في الأصل (قصار) وهم.

(٢) انظر صفحة: ٣٣٠.

(٣) ويرى أبو العلاء أن الأفراد هنا للضرورة. اللامع العزيزي (١/١٩٨).

(٤) قال: أضيفت بخط أحمر مخالف.

(١) انظر: الكتاب ٤٩/٢.

(٦) انظر: الكتاب ٤٩/٢.

(٢٧) تَغِيْبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِيْبْ

الهاء في "جيشه" يعود إلى الدمستق. والمعنى: أن جيشه من الوفور بحيث إنه يعمّ الجبال، ويسلبها الأبصار، مادام عليها^(١)، وإذا تباعد عنها فإن الشوامخ منها تُرى صغاراً بالإضافة إلى حال العسكر.

(٢٨) وَلَا تَغْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهٍ إِذَا لَمْ تَخْطُ الْقَنَا أَوْ تَثْبُ

الهاء في "جوه" يعود إلى الجيش، والمعنى: ما فوقه من الهواء، وإنما قصد إفراط طول القنا، فزعم أن الريح تقصر عن أن تجول في الهواء الذي لهذا العسكر. ويكون معنى قوله: "إذا لم تخط القنا" أنها تجد مجالاً إذا ارتفعت عن القنا، وتخطتها. ويكون "ثب" على وجهين:

أحدهما: أن يكون منصوباً، كأنه قال: لا تعبر إلا أن تثب، ومعنى الوثوب: أنها تقتصر على أن تثب من قناة إلى قناة؛ لأن الوثوب عند عدم الاستمرار والاستواء.

والثاني: أن يكون مجزوماً بالعطف على "تخط"، فكأنه قال: إذا لم تخط القنا، أو لم تثب، أي: لا يكون لها عبور إلا في أحد حالين: إما أن تعبر مجاوزةً للرماح، أو يكون عبورها على الوثوب.

ويجوز أن يكون المعنى في قوله: إلا أن تثب، أي: تتجاوز حدود العسكر، فتظفر^(٢) بالمسافة العارية من الرماح.

ولكن الأول أقوى؛ من حيث إنه إذا قال: إنها تثب من رمح إلى رمح لم يدل على قلة العساكر، وإذا قلت: إلا أن تثب وتجاوز حد الجيش، كان أقل حظاً من المبالغة، من حيث إنه يجعل مسافته على قدر تتجاوزه الريح لوثوبها!. فاعرفه.

(١) أو أن ذلك بسبب كثرة الرماح، وارتفاع العجاج. النظام ق/ ٣٥٤.

(٢) في الأصل (فظفر).

فإن قلت: فكيف قدرْتَ: ولا تعبر في جوّ العسكر إلا أن تشبَّ، فتجاوزَ حدودَه، وما تجاوزَ العسكرَ لا يكون من هوائه؟!١

فالجواب: أنه يجوز إضافة الجوّ إلى العسكر، بمعنى الهواء الذي يكون في تلك الناحية، فلا يجب أن يكون واقعاً على القدر الذي يظله. ويزيده وضوحاً أن الهواء عام له؛ من حيث إنه يسير، فيكون جميع أبعاض^(١) الجوّ مظلاً له. فيجوز أن يكون القصد بجوه: ما يظله وما لا يظله مما يتصل بالمُظَلَّ ويكون من ناحية مسيره.

(٢٩) فَغَرَّقَ مُدْنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ

غَرَّقَ بلادهم بالكتائب، وغمرها، كما يُغرقُ الموجُ الغريقَ.

(٣٠) فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِبًا قَتَلَهُمْ^(٢) وَأَخْبِثْ^(٣) بِهِ تَارِكًا مَا طَلَبَ

"طالبًا" و"تاركًا" نُصب على الحال، كأنه قال: ما أخبثه في هذه الحال، كما يقال: ما أحسنه راكبًا.

(٣١) / نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ

83ب

أي: أنك لما تباعدت عنهم قاتلهم بالدنو منهم، والإقبال عليهم، ولما جئت قاتلهم بالهرب والإعراض عنهم. فاللقاء يجوز أن يكون على الأصل، الذي هو الملاقاة، ويجوز أن يكون بالحرب. ومقاتلته بالهرب، على وجهين:

أحدهما: أن يكون به، على سبيل الهُزء، والمراعاة لمقتضى الصنعة من المعارضة. فكأنه قال: قتاله كان الهرب^(٤). كما قال^(٥):

(١) في الأصل (جمع انعاض) تحريف وتصحيف.

(٢) في التبيان ١٠٢/١: قهرهم.

(٣) في هذه الكلمة - في الموضوعين - روايات انظرها في الديوان ٤٣٣، وشرح الواحدي ٦٢١، والنظام ق/ ٣٥٥.

(٤) في الأصل (قتاله كان قتاله)!

(٥) أي: المتنبي، وقد مضى في صفحة: ٤٣٩.

ويفعلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُغْبًا.

فجعل الرعبَ غنيمةً له، ومن ذا قولهم: "عتابك السيِّف، وحديثك الصمم"^(١)، إذ إنَّ الصمم يجيء بدل الحديث، فهو حديثك! فكذلك الهرب قتاله!

والثاني: أن يكون صدرَ مصدر التحقيق، ويكون المعنى: أنه دَفَعَ [عن] نفسه بالفرار، فيُنزَلُ هربه منزلة القتال الذي يَذْبُ عن صاحبه، فيكون كقوله^(٢):

أَحَدٌ سَلَّحَهُمْ فِيهِ الْفِرَارُ.

فاعرفه.

(٣٢) وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى وَكَنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبَ

أي: أن الذين قصدهم كانوا فخرًا له، من حيث كان يقول: إني استوليتُ على أعدائي. وكنْتَ له العذرَ؛ لأجل أنه ليس ممن يُقرنُ إليك ويكون له قبلٌ بك.

(٣٣) سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَابِيَهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْغَوِثِ قَبْلَ الْعَطَبِ

أي: أنك أدركتهم قبل أن تدركهم المنايا، فأنت -إذا- سابقها، وإنما تنفع الإغاثة قبل إلام وفد الردى.

"فمنفعة الغوث" مبتدأ، و"قبل العطب" مستقر^(٣)، نحو قولك: يكون قبل العطب. ولوتعلق "قبل العطب" بالغوث لاحتاج إلى خبر؛ لأنه يجري في كونه معمولاً للمصدر مجرى أن تقول: منفعة الغوث زيادًا وزياد قائمٌ. يجوز ذلك إذا قيل: منفعة الغوث قبل العطب عظيمة، وليس المعنى كذلك، وإنما الخبر هو: "قبل".

(١) مضى هذا القول في صفحة: ٢١٧

(٢) أي: المتني، ديوانه ٣٩٣، وصدره: فلزهم الطراد إلى قتال.

(٣) الظرف المستقر: هو الظرف الذي حذف عامله، وكان عامله كونهً عاملاً، وذلك بأن يقع خبراً أو صفة أو حالاً. وضده: الظرف اللغو. معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ١٨٥، ٢٠٤.

ووصف العدو فيما مضى من قوله:

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعِ مِنْ أَرْضِهِمْ

إلى ما بعده، بالقوة واشتداد الشوكة؛ لأنه إذا كان عظيم الشأن، ثم قُهر، كان دليلاً على علو القاهر.

(٣٤) فَخَرُّوا لَخَالِقِهِمْ سُجَّادًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ

أَنْ كَانَ يَأْسُرُهُمْ، فيكلفهم التنصير.

(٣٥) وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّدَى وَكَشَفَتْ مِنْ كُرْبٍ بِالْكَرْبِ

يقول: طالما دفعت عنهم ردى أظلمهم من الأعداء، بأن أحللت الردى بهم^(١)، وكذا كشفت عنهم الكرب بأن صببت بأسك على الذين كانت تلك الكُرب منهم، حتى شغلوا بأنفسهم، ووقعوا بالكُرب.

و"كم" ظرف، ومميزه محذوف، كأنه: وكم مرة ذُذَّتْ عنهم.

(٣٦) وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدْ يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبُ

(٣٧) وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ

(٣٨) وَيَذْفَعُ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِلرَّجَالِ لِهَذَا الْعَجَبِ!

/المعتصب: هو المتتوِّج، ويعني ملك الروم؛ لأن التاج للعجم، والعمامة للعرب. أي: كانوا يزعمون أن الدمستق إن يعُد [يعُد في] صحبتته ملك الروم، ويستنصران عيسى عليه السلام^(٢) مع اعتقاد النصرى فيه القتل والصلب!

١/84

(١) أي: بالأعداء.

(٢) * مكان هذه الزيادة في المواضع الثلاثة بياض بمقدار كلمتين.

ومعنى قوله: "ويدفع ما ناله عنهما": أن عيسى عليه السلام (*) ينصرهم. والهاء في "ناله" يعود إلى الممدوح^(١)، أي: أنه ينفي ما نال الممدوح منهم من الإذلال والقهر. ويجوز أن يكون الهاء عائداً إلى عيسى عليه السلام (*)، بمعنى: ويدفع ما ناله — على قول النصارى — وهو القتل.

ثم تعجب من هذه المناقضات بقوله: فيا للرجال لهذا العجب!

(٣٩) أرى المسلمين مع المشركين — من إمام عجز وإماماً رهب
(٤٠) وأنت مع الله في جانب — قليل الرقاد كثير التعب
(٤١) كأنك وحّدك وحّدته — ودان البرية بأبني وأب

هذه غاية الوصف بمتانة الاعتقاد، وفراط التعصب للدين، وما يسطع من شعاع كماله، ونعته من حلي^(٢) التقريظ والمدح.

وقوله: "وأنت مع الله" بمنزلة قولك: أنت مع زيد، أي: معينه وناصره، فكأنك: أنت مع دين الله. "فمع" خبر "أنت". وقوله: "قليل الرقاد" خبر ثان، كأنه قال: أنت ناصر دين الله، وقليل الرقاد فيه.

ويجوز أن يكون "مع" حالاً، كأنه: أنت قليل الرقاد كثير التعب كائنًا مع دين الله وناصرًا له.

ولا يجوز أن يتعلق "مع" بقليل الرقاد وكثير التعب؛ لأنك إذا قلت: أنت خارج مع زيد، على أن تعلق (مع) بخارج، كان المعنى: أنه يشاركك في الخروج، كما أنك إذا قلت: خروجك مع زيد حسن، كان بمنزلة قولك: خروجك بزيد حسن، ونعوذ بالله من المشاركة في قوله: "قليل الرقاد كثير التعب"، وليس إلا أن يكون "مع" مستقراً، على أن يكون خبراً، نحو: أنت كائن مع دين الله قليل الرقاد.

(١) في الأصل (والهاء في ناله يعود إلى ما وفي نال الممدوح)، لعل صوابه ما ذكرت.

(٢) في الأصل (... كمالها ونعتها عن جلا التقريظ ...)، لعل صوابه ما أثبت.

ولو نصب "قليل" [فقال]: وأنت مع الله في جانب قليل الرقاد كثير التعب، كان أجود؛ لأنك إذا قلت: أنت مع زيد قليل الرقاد، [احتمل] أن يكون المعنى النصر، واحتمل أن يريد أنه شريك له في قلة الرقاد، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وإذا قلت: أنت مع زيد قليلاً رقادك، لم يحتمل إلا أن يكون مختصاً بك الرقاد، حتى كأنك قلت: أنت مستقر مع زيد، وناصر له، قليلاً نومك. فاعرفه.

(٤٢) فَلَيْتَ سَيْوْفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِ ^(١) كَيْبٍ

(٤٣) وَلَيْتَ شَكَاتِكَ فِي جِسْمِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبٍ

(٤٤) فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نَلْتُ مِنْكَ أَمْ أَضَعَفَ حَظٌّ بِأَقْوَى سَبَبٍ

و"ليت سيوفك في حاسد" الظرف فيه خبر ليت، كأنه قال: ليت سيوفك واقعة في نفس حاسد، إذا غلب عليه حزنٌ واكتئاب.

"وظهرت عليه" بمنزلة غلبت عليه؛ لأن الغالب لقرنه متميز منه، غير مستتر أمره في أمره. ولم يقل: ظهرت منه؛ لأن المعنى: غلبت، /فِيُعَدَّى بَعْلَى.

وكذا قوله: "ليت شكاتك في جسمه"، أي: ليتها وقعت في جسمه.

وهذا كله استعطاف وإظهار للودِّ والولاء، ثم جنح إلى ناحية التعريض، فقال: "وليتك تجزي ببغض وحب". والضمير في قوله: "لو كنت تجزي به" عائد إلى ما دلَّ عليه الكلام، فكأنه: لو كنت تجزي بما ذكرت من البغض والحب. ومعنى "نلت منك أضعفَ حظَّ بأقوى سبب" يقول: إن ودِّي ليس له نهاية، فلو كان الجزاء يصدر عنك على أقدار المودات، لما كان يؤدِّي عنك ما يوازيه، وكان أعظم ما أناله منك أضعفَ حظَّ نيلَ بأقوى

(١) في الفسرا ٣٥٣ / (إذا ما سللن عليه)، ورواية الديوان وبقية الشروح (ظهرت عليهم)، أي على المستق ومن معه. وأشار محقق الديوان إلى رواية (ظهرت عليه).

سبب^(١)، والسبب هو الودّ. وإذا سلك الممدوح طريق المجازاة بالودّ على العدل ثم كان الذي يُنيله ضعيفاً بالإضافة إلى ودّه - فما ظنّك إذا لم يجاز على مقدار الودّ؟!

فإن قلت: إن (لو) معناه: امتناع الشيء لامتناع غيره، فإذا قلت: لو جئتني أعطيتك، كان الإعطاء ممتنعاً لامتناع المجيء، وإذا كان كذلك كان المستفاد من قولك: لو جزيّت بالودّ نلت منك أضعف حظّ بأقوى سبب، أن نيل أضعف حظّ بأقوى سبب، قد امتنع [لامتناع] الجزاء، وليس كذلك؛ لأنه يزعم الآن أنه ينال أضعف حظّ بأقوى سبب، ولو جزيّت على مقتضى الاستحقاق لكنت أيضاً نائلاً أضعف حظّ بأقوى سبب. فالغرض^(٢) أن يخبر بامتناع نيل أضعف حظّ بأقوى سبب مقترناً بكون الممدوح مجازياً بالودّ والبغض.

ونظيره أنك تقول: خرجت من غير زيد، ولو خرج زيد لخرجت، فلا تريد أن خروجك امتنع، ولكنك تقول: إن خروجك مقترناً بخروج زيد امتنع.

ويجوز أن يكون "أضعف" على حذف الزوائد من تضاعف، كأنه قال: أتمّ حظّ بآتمّ سبب، أي: لكان الحظّ مقارناً للسبب.

وحذف الزوائد كثيراً في الشعر، حتى قد يؤتى به من غير حاجة إليه^(٣) كقول^(٤):

ولكن إذا ما حلّ كُرهُ^(٥) فسامحت به النفس يوماً كان للكُرهِ أذهباً

(١) قال أبو الفضل العروضي: وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه أول من هودونه! فكيف ينسب المتنبّي مثل سيف الدولة إلى أنه لواحتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ١٩. شرح الواحدي ٦٢٣.

(٢) هذا جواب الاستشكال السابق.

(٣) انظر: المقتصد ٣٧٩/١.

(٤) بلا نسبة في اللسان (سمح).

(٥) في اللسان: (إذا ما جل خطب ...).

فأذهب من أذهبتُ، ولكن^(١) عدّاه [ب]اللام حتى كأنه: أشدّ إذهاباً للكره، ولو كان:
(بالكره أذهبا)^(٢)، لم يمتنع الوزن، فحذف وأجراه مجرى قوله: ما أعطاه، وما أولاه،
فهذا يدلّك على قوة ذا في نفوسهم.

هذا، والأوّل هو الوجه؛ لأمرين:

أحدهما: السلامة من التعسّف، والثاني: أنه أبلغ، ألا تراه يقول: إنك لو تحرّيت
العدلَ في الجزاء وبالغتْ؛ لما كان لك قدرةٌ على ما يوازي ودي؛ إذ الدنيا كلّها مستصغرةٌ
تحت قدرته! وعلى ذا القول^(٣) يقول: ولو جزيت بالودّ نلت أتمّ حظّ بأتّم سبب، فيرضى
بأن يكون لودّه نظيرُ في العطاء والبرّ. وبينهما ما بين السُّها والشَّهب السبعة^(٤)!

وقد اختلف التوجيه^(٥) في هذه القصيدة، نحوقوله: "وصب" و"يجب" مع "الغضب"
و"حُب" مع "رَب"، وذلك معيبٌ، ومثله قول رؤبه^(٦):

أَلَفَ شَيْئٌ لَيْسَ بِالرَّاعِي الْحَمِيقِ.

مع قوله: خاوي المُخْتَرِقُ^(٧).

وهو عند الخليل عيب^(٨)، [لا] عند أبي الحسن^(٩). والكلام فيه يطول.

(١) لوقال: (ولذلك عداه ...)، لكان أوضح.

(٢) فيكون من الثلاثي، لأنك تقول: ذهب به.

(٣) أي القول الثاني، وهو حذف الزوائد من (تضاعف).

(٤) السها: كوكب خفيّ في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم. الصحاح (سها).

(٥) التوجيه هو: حركة ما قبل الروي المقيّد. صنعة الشعر ٢٩٢، والكافي ١٥٨.

(٦) ديوانه (مجموع أشعار العرب): ١٠٤. يصف ثوراً وحشياً بحسن رعاية قطيعه.

(٧) الشطر بتمامه: وقاتم الأعماق خاوي المخترق.

(٨) في الأصل (عن حليل اعتب) تحريف وتصحيف.

(٩) انظر: القوافي للأخفش ٣١، والعيون الغامزة على خبايا الرامزة ٢٦٣، واللسان (وجه).

وحجة الأخفش: أن اختلاف حركات التوجيه قد كثرت في شعر العرب الفصحاء.

(٢٥)

وتوفيت أخت سيف الدولة الكبرى بميفارقين^(١)، فقال يرثيها ، وأملى هذه القصيدة ببغداد:

٨٥/أ (١) /يَا أُخْتَ خَيْرٍ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرٍ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
الضمير "بهما" يعود إلى "خير أب" ^(٢).

ونصب "كناية" على المصدر، كأنه: كنى بهما كناية عن أشرف النسب، ثم حذف الفعل، واكتفى بالمصدر، كما تقول: إنما أنت سيراً^(٣)، تريد: تسير سيراً، وما أنت إلا ضرباً الناس، أي: إلا تضرب الناس ضرباً.

(٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمِّيَ مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ
"مؤبنة" على وجهين:

أحدهما: أن يكون حالاً من الضمير في "تسمي"، كأنه قال: أجل قدرك عن أن يذكر اسمك في حال التأبين^(٤)، فإن ذكر الصفة يغني عن الاسم؛ من حيث إن ما لك من المحاسن ليس لغيرك، فيفتقر إلى الدلالة عليه بالاسم الذي يُعرف به الشيء.

والثاني: أن يكون "مؤبنة" مفعولاً، بمنزلة: (ظريفاً) في قولك، سميت زيداً ظريفاً، أي: قلت: إنه ظريف، وعددته في جنس الظرف^(٥). فيكون المعنى حينئذ: أن النفس تمتنع من أن توصف بالهلاك، فيقال: مؤبنة أو ميّنة، كما قال أبو تمام^(٦):

(١) ميفارقين: مدينة قديمة، بديار بني بكر في الجزيرة. معجم البلدان ٥/٢٧٣.

(٢) وإلى (خير أخ) معاً.

(٣) انظر - ما سبق - صفحة: ٤٣٦.

(٤) كتب بإزائه في الحاشية (التأنيث) بخط مخالف، كأن كاتبه ذهب إلى رواية (مؤنثة) المكتوبة في الديوان.

(٥) الظرف - بضمّتين - جمع ظريف، مثل ظرفاء وظراف. القاموس (ظرف).

(٦) تقدم في صفحة: ٢٤٢، وزاد بعضهم هنا عبارة (رحمه الله) باللون الأحمر.

مَتَى تَأْتِيكَ الْأَقْدَارُ لَا تُدْعِ هَالِكًا وَلَكِنَّ دَهْرًا غَالٍ مِثْلَكَ هَالِكٌ

سَيِّمَا والعادة قد جرت بأن لا يذكر اسمك الذي وسمت به أوَّلًا؛ لكونك مشهوراً بالأفعال الشريفة، وإذا امتنع ذلك، فأن لا تختار لك اسماً لا يليق بك (وهو حديث الهلاك) أوَّلَى وأجدر.

فهذا سديد، والأوَّل أصح.

و"سماك" هنا بمنزلة: ذكر اسمك. و(سميت) على وجهين:

أحدهما: أن تقول: سمَّيته زيداً، أي: عرَّفته بهذه اللفظة، وتقول على ذا: سمَّيته يزيد.

والثاني: أن تقول: سميت زيداً، بمعنى ذكرت اسمه، وكنَّيته: ذكرت كنيته، فهذا يتعدَّى إلى مفعول، والأوَّل إلى مفعولين.

واللام في "للعرب" لا يخلو من أمرين:

أحدهما: أن يكون متعلِّقاً "بسماك" تعلَّقه بذكرت إذا قلت: ذكرت اسمك لزيد، أي: عرَّفتك إليه، ويكون التقدير: ومن يصفك للعرب فقد سمَّاك للعرب، ولكنه أسقط الأوَّل لدليل الثاني عليه، كما تقول: ضربت وضربني أخوك، تريد: ضربت أخاك وضربني أخوك، ومررت ومرَّبي أخوك، فتحذف الأوَّل لتفسير الثاني له، ويكون المعنى: أنها من العرب، وأنها مشهورة بخصائص أوصافها، فإذا وُصفت لهم ينزل ذلك منزلة التسمية.

والوجه الثاني: أن يكون بمنزلة قولك: دُعيت لفلان، [أي]: نُسبت إليه، وذكرت بأني له، كما قال^(١):

فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ إِنْ تَفَقَّأْتُ عَلَيْهَا دِمَامِي لُاسْتِهِ وَحُبُونُهَا

(١) لأدهم بن أبي الزعرار الطائي: في الحماسة بشرح المرزوقي ١٠٣٢/٣.

كانه: لست للأب الذي أسمى له، وأعدّه^(١)، وأنسب إليه. ويكون المعنى: أن كل من وصفك فقد ذكر اسمك، وذكر أنك من العرب، وعرف بصفاتك كونك من العرب؛ لأنه ليس في العجم -أيضاً- مثلك، كما يُعرفُ به اسمك، من حيث إنه ليس أحد له هذه الأفعال.

85/ب ويكون هذا أبلغ في الظاهر؛ لأنه يجعل كل أحد مذهولَ الفؤاد بمصيبته^(٢)/عربياً أو عجمياً.

فإن قلت: فكيف أجزت القول الأول وهو منخفض؟ لأنك إذا قدرت: ومن يصفك للعرب فقد سمّاك لهم، دلت على أن العجم لا تعرفها!

فالجواب: أن فيه معنى آخر ينزع إلى عرق المدح^(٣)، وذاك [أن] صفاتها إذا أغنت عن ذكر اسمها للعرب، كان ذلك نهايةً في التفرد بالصفة، من حيث إن من يناسبها ويجانسها أقرب إلى مشاركتها في المحاسن من الأجانب نسباً وجنساً، وإذا لم يحصل في من يشاركها في الشرف شيء من محاسنها، كان من حصوله في غيره أبعد. ويكون هذا تنويهاً للعرب.

(٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْمَحْزُونُ مَنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهُمَا فِي قَبْضَةِ الطَّرِبِ

الطَّرِبُ: القلق في الأصل يتناولُ المسرورَ والمحزونَ. يقول: إن الحزن إذا دبَّتْ سورتُه في الإنسان لا يملك عنانَ مقالِه، ولم ينقدحْ جمرُ الإصابة من زندي رأيه، ولم يقدر على منع دموعه عن الهملان.

وقوله: "وهما في قبضة الطرب" كلامٌ لطيف، والجملة في موضع الحال من المنطق والدمع، كأنه: لا يملكهما كائنين في يد الطرب.

(١) في الأصل (ولاجده)، لعل صوابه ما أثبت.

(٢) في الأصل (ما هول الفؤاد يصيبها)، لعل صوابه ما أثبت.

(٣) في الأصل (المدوح).

(٤) عَدَرْتُ يَا مَوْتَ! كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ بِمَنْ أَصَبْتُ، وَكَمْ أَشَكَّتَ مِنْ لَجَبٍ
(٥) وَكَمْ صَحِبْتُ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلْتُ، فَلَمْ يَنْخَلْ، وَلَمْ تَحِبْ

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون قوله: "بمن أصبت" عائداً إلى الممدوح^(١)، كما تقول: أصبت زيداً بابنه، ويكون المعنى أن يقول للموت: إن الممدوح طالما أغاثك على هلاك النفوس، وإخفات الأصوات، ثم تعرّضت لمن يتصل به، فأسأت إلى المحسن! ويكون قوله: "وكم صحبت أخاها" ضرباً من وضع الظاهر موضع المضمّر؛ لأنه إذا عاد [...] ^(٢).

[والثاني: أن يكون] "من أصبت" عائداً إلى المرأة، حتى كأنه قال: بمن أصبتها؛ لأن الإصابة تطلق على الردى، ويكون المعنى: أن هذه المرأة كانت لها من السياسة والرئاسة والعز والمنعة ما يضافر الموت على الإلمام بمشاريع المَهْجِج^(٣). ويقويه قوله ^(٤): كأن فعله لم تملأ مواكبها. (البيت).

فأثبت لها ما يكون للرجال.

فعلى الأول، يكون قوله: "وكم صحبت أخاها" تحوُّلاً من الخطاب^(٥)، الذي هو قوله: "يا أخت خير أخ". وعلى القول الثاني، يكون عائداً إلى "من أصبت" لأنه يكون^(٦) التقدير: وكم صحبت أخاً من أصبتها، فيؤنث.

(١) أشار إلى هذا الوجه الواحدى، شرحه: ٦٠٧.

(٢) هنا سقط يمكن تصوّره هكذا [إلى الممدوح، ينبغي أن يقول: وكم صحبت به].

(٣) المهج: النفوس والأرواح. والمشارع: طُرق الورد إلى الماء.

(٤) هو البيت التاسع من هذه القصيدة.

(٥) أي: التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة.

(٦) في الأصل (لا يكون)، ولا يستقيم به المعنى.

والأول أقوى في المعنى؛ لأن الحرب بالرجال أليق. والثاني أقوى من جهة اللفظ، وهو أن حكمه أن يقول - إذا كان "من أصبت" الممدوح-: وكم صحبتته، ويحتاج إلى أن يضع الظاهر موضع المضمّر. وأرجح الجانبين ما نصره المعنى.

(٦) طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

(٧) حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرفت بالدّمع، حتى كاذ يشرق بي

86/أ / "خبر" مرفوع "بجاءني"، وقد أضمر "لطوى" [فاعلاً] على شريطة التفسير، كأنه قال: طوى الجزيرة خبر حتى جاءني خبر، ثم أضمر الأول استغناءً بالثاني، كما تقول: ضربوني وضربت قومك.

فإن أعلمت الأول، فرفعت "خبر" بطوى "كان في" جاءني "ضمير، وكان "طوى" فارغاً، حتى كأنك قلت: طوى الجزيرة خبر حتى جاءني. وهذا الذي يسبق إلى أفئدة الناس أصحاب الظاهر. والأول هو الأجود عند ذوي التحقيق^(١).

وقوله: "فزعت فيه بآمالي إلى الكذب"، على وجهين:

أحدهما: أن تكون الباء بمعنى التعليل، كقولك: بك وصلت إلى كذا، فكأنه قال: فزعت إلى الكذب بما ترسخ من أُملي، فجعل الآمال معينةً على الميل إلى الكذب والتعريج عليه، ويقويه قوله:

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً

ألا تراه دلّ على أن الأمل لما زال بالصدق، فرغ إلى البكاء واستسلم للجزع؟!

والوجه الثاني: أن تكون الباء بمعنى المصاحبة، كقوله: (مُرّاي)^(٢)

(١) وهو مذهب البصريين، والثاني مذهب الكوفيين.

(٢) في الأصل (لقوله مراني) تحريف وتصحيف.

وهذه عبارة من بيت لامرئ القيس، وقد مرّ قريباً.

فكأنه جعل الآمالَ فِرْعَةً معه إلى الكذب، حتى كأنه قال: حدوثُ آمالي إلى ناحية الكذب؛ أحفظُها في جماء، وأصونها، حتى جاء الصدق، فتبدّد^(١) شملها.

(٨) تَعَثَّرْتُ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا وَالْبُرْدُ فِي الطُّرُقِ، وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ

الضمير في "به" يعود إلى الخبر. ولم يشبع الكسرة فتنشأ الياء على العادة، كبيت الكتاب^(٢):

فَمَا لَهُ مِنْ مَجْدٍ تَلِيدٍ، وَمَالِهِ مِنْ الرِّيحِ حَظٌّ لَا الْجَنُوبِ وَلَا الصَّبَا^(٣)

وَالْآخِرُ^(٤):

فَإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِينًا فَإِنَّنِي سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا^(٥).

وروي [بك]^(٦) على أن يخاطبَ الخبرَ، ويعدلَ عن الكناية.

وجعل الألسنةَ في عُقْلَةِ الْعَنَارِ، وكذا البردُ والأقلامُ؛ تنبيهًا على فظاعته، فكأنه قال: ما كانت هذه الأشياءُ معتادةً للتصرّف في مثله، فتعثّرت فيه.

(٩) كَأَنَّ فَعْلَةً^(٧) لَمْ تَمْلَأْ مَوَاكِبُهَا دِيَارَ بَكْرِ، وَلَمْ تَخْلَعْ، وَلَمْ تَهَبْ!

(١٠) وَلَمْ تَرُدْ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَّةٍ^(٨) وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيَا يَالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ!

(١) في الأصل (فقد بدد).

(٢) الكتاب ٣٠/١، وهو للأعشى، ديوانه ٩٠، برواية "وما عنده مجد تليد ولا له من الريح فضل ...".

(٣) الشاهد فيه على رواية الكتاب "له" الأولى، حيث حذف واو الإشباع. انظر: ضرورة الشعر ٢١٩.

(٤) هو مالك بن حريم - أو خريم - الهمداني، كما في الكتاب ٢٨/١، والأصمعيات ٦٧.

(٥) الشاهد في قوله (لنفسه) بترك الإشباع. انظر: ضرورة الشعر ٢١٧.

(٦) هذه الزيادة مستفادة من سياق كلامه، ومن شرح الواحدي ٦٠٨، ومعجز أحمد ٥٦٦/٣.

(٧) رواية الديوان ٤٢٣ (خولة)، وكذلك في شرح الكندي ٦٥٩.

(٨) أي: ترد حياة من أشرف على الهلاك بإجارة أو بذل أو نحو ذلك. الفسرا ٢١١/١.

كَيَّ "بفعلة" عن خَوْلَة، ولمَّا وضعَهَا موضعَ خولة لم يصرفَهَا؛ لأنها صارت عنده
عَلَمًا، فحصل فيه التعريف والتأنيث.

ومثل ذا في الكناية [ما] حكى شيخنا رحمه الله عن الفضل بن حُباب^(١) أنه كان
يقول لجارية له: يا فَعْلَة من زَهْرْتُ أعطيني فَيَعْلاني من طَلَسْتُ^(٢). قال^(٣): وكتب أبو
الحسن^(٤) إلى المعتدل بن غيلان^(٥):

أريد الخروجَ إلى حاجةٍ فمُرِّي بفاعلةٍ من دَيْبَتِ

فأجاب:

بُرَيْدِينَا يَا أَخِي غَامِرٌ^(٦) فكُنْ أَنْتِ لِي فاعلاً من عَذْرَتْ!

وكأنَّ الذي دعاه إلى هذا أنه ذكر في أول القصيدة إجلالَهَا عن التسمية، فلما كان
كذلك أتى بما ليس بصريح اسمها؛ ليكون جامعاً بين أطراف الصنعة.

"ولم تردَّ حياة بعد تولية" من قولهم: وئى، / إذا انصرف.

86/ب

(١) الفضل بن الحباب الجمحي، من العلماء بالحديث والأنساب واللغة والشعر. توفي سنة ٣٠٥ هـ.

طبقات الزبيدي ١٨٢، وبغية الوعاة ٢/٢٤٥، ومعجم الأدباء ٥/٢١٧٢.

(٢) أي: يا زهرة أعطيني طيلساني..

(٣) انظر: جمع الجواهر للقبرواني: ١٨١. والجليس الصالح للمعاني ٢٩١.

(٤) (أبو الحسن): الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة. قال المرزباني في ترجمة المعتدل: "وكان سعيد

بن مسعدة الأخفش يؤدب ولده". معجم الشعراء ٢٧٣، ونحوه في معجم الأدباء ٣/١٣٧٥. والذي في

(جمع الجواهر): أبو الحسن علي بن سليمان، أي: الأخفش الأصغر!

(٥) المعتدل بن غيلان العبدي، أديب شاعر، كان له من الولد أحد عشر ابناً، كلهم أديب شاعر، توفي نحو

٢١٠ هـ. معجم الشعراء ٢٧٣، والأغاني ١٣/٢٢٦.

(٦) بريدين تصغير برزون.

وقوله: "بالويل والحرب" جرُّ على الظاهر، وينشدون^(١):

تَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ غَدًا^(٢) وَفِي تَرَحُّلِهِمْ نَفْسِي

بالنصب على إضمار الفعل، والرفع على قولك: الرحيلُ يومَ الجمعة، والقتالُ غداً^(٣). فكَذلكَ قوله: "بالويل والحرب" أوردته في إعراب كلامه، فجرّ لما ذكر الباء، ولم يتبع فيه غيره، فيحكيه.

(١١) أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيْتُ فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفُتَيَانِ فِي حَلَبٍ؟

الوجه أن يكون جعل للعراق ليلاً طويلاً، بمعنى: أن جميع أهله في همٍّ وحزن^(٤). فلما كان المعنى على قولك: طال ليلنا بالعراق، جاء في المعارضة بالتصریح، فقال: "فكيف ليل فتى الفتیان في حلب"، ولم يقل: فكيف ليلُ حلب، ولا يقتضي السياق^(٥) ذلك؛ لأن المقصد أن يذكر الممدوح، فلا وجه أحسن من هذا.

و"فتى الفتیان" بمنزلة قولهم: هو الرجل، يريد: أنه الذي يستحق هذا الاسم؛ لأن فيه غنى الجنس كله، فكذلك فتى الفتیان بمعنى: الفتى من الفتیان. وقد يقولون: ولا أحد الأَحْدِيْن، بمعنى: أنه واحد من المذكورين. ويوضحه ما حكاه شيخنا -رحمه الله-

(١) أنشده ابن جني في الفسر ٣٠١/١، وسر صناعة الإعراب ٢٣٢/١، وانظر: الخزانة ١٨٢/٩.

(٢) في الأصل (قالوا: الرحيل غداً)، وهو خلاف ما في المصادر السابقة، كما أن الوزن يختل به. ولذلك أثبت ما في تلك المصادر.

(٣) قال ابن جني: أجاز أبو علي في (الرحيل) ثلاثة أوجه: الجرباء، والرفع والنصب على الحكاية، فكانهم قالوا: الرحيلُ غداً، أو نجعل الرحيلُ غداً، فحكى الشاعر ما سمع.

انظر: سر صناعة الإعراب، والفسر (الموضعين السابقين).

(٤) هذا بخلاف من جعل طول الليل -في العراق- خاصاً بالشاعر، كما في معجز أحمد ٥٦٧/٣.

(٥) في الأصل (الحياة)، ولعل ما أثبت أولى.

من أن قتادة^(١)، قال: سألت الفرزدق عن شعراء الإسلام؟ فقال: أنا والأخطل. فقلت: أو هناك بعيث^(٢)؟ قال: هو أحد الأحدين. أي: واحد ممن يُعتدُّ به، وليس بذلك المشار إليه.

ولست أختار -هنا- أن يكون فتى الفتيان بمعنى واحد من الذين يقال لكل واحد: هذا هو الفتى، ويقال لهم: هؤلاء الفتيان؛ لأن فيه تسويةً بينه وبين الفتيان، وذاك ضعيفٌ. ولكن إذا جعلت الفتيان بمعنى الأفراد كأنك قلت: الفتيان على الحقيقة، ثم جعلته أعلى منزلةً منهم، فقلت: هو الفتى في هؤلاء الأعلام -أيضاً- تجعله أوحداً الآحاد ورئيس الأفراد، كان أحسن وأبلغ. فاعرفه.

(١٢) تَظُنُّ^(٣) أَنَّ فَوَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبٍ وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبٍ

(١٣) بَلَى، وَحُرْمَةٍ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقَصَادِ وَالْأَدَبِ^(٤)

جاء "بلى" تقريراً لنفي ما جُوزَ عليه [من] سوء الظن من الممدوح، وكأنه قال: بلى بكيث، وجزعت. ثم أقسم.

(١) لعله قتادة بن دعامة السدوسي، المفسر المشهور، العالم بالحديث والعربية وأيام العرب، توفي سنة ١١٨هـ.

طبقات ابن سعد ٢٢٩/٧، ووفيات الأعيان ٨٥/٤، وميزان الاعتدال ٣/٣٨٥.

(٢) البعيث المجاشعي، واسمه: خدّاش بن بشر، شاعر خطيب، ناقض جريراً، فغلبه جرير وأخمله.

طبقات فحول الشعراء ٥٣٣/٢، ٣٣٥، والبيان والتبيين ٣٧٤/١، والشعر والشعراء ٥٠٤/١.

(٣) ويروى (يُظَنُّ) و(يُظَنُّ). قال صاحب التبيان ٨٩/١: "يريد: أظن، فحذف همزة الاستفهام وهو يريد بها. وروي (بالتاء) على الخطاب، و(بالياء) على الإخبار عن سيف الدولة، يريد: أظن أني غير حزين؟ وليس هذا مليحاً في حق امرأة أجنبية أن يخاطبها بمثل هذا فرواية الياء أحسن، وهي روايتي عن شيعي "أبي الحرم، وأبي محمد".

وعلى هذا تكون الرواية بالبناء للمجهول أحسن من البناء للمعلوم.

(٤) ويروى: (لحرمة المجد والإسلام...) التبيان ٨٩/١.

(١٤) وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَاتُهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّسَبِ

"غير موروثة" حال من الضمير في "مضت"، و[هو] فعلُ الخلائق، كما تقول: مررتُ بزيد قائماً غلامه، فعلُ ما هو من سببه حالٌ له. وقد تقدّم نحوذا^(١).

أي: سجاياها لا تنتقل إلى غيرها انتقالَ الأعلاق والأموال.

(١٥) وَهَمَّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهِوِ وَاللَّعِبِ

الجملة التي هي: "وهمها في العلى والملك ناشئة" حال من الضمير في "مضت"، كأنه قال: ومن مضت وهمها ناشئة في المفاخر والمعالي. وكذا "وهم أترابها" حال ثانية، كأنه قال: ومن أتها المنية مشغوفة بالمعالي، مولعاً أشكالها بالملاهي.

فإن قلت: أتقول: إن هذه الحال مصاحبة، وإن التقدير: ومن مضت مصاحبةً للمعالي، كما يقال: إن المجد دُفن مع فلان؟

فالجواب: أن الذي انتحيته شائعٌ، غير أن/اللفظ لا يطاوع عليه هنا، ألا ترى أنه قال: "وهمها في العلى والملك ناشئة" فذكر الهم والنشأ، وليس في العادة أن يوصف بالهم والنشأ بعد الموت، والصحيح أن هذه حالٌ وجدها المنونٌ عليها، كما تقول: مضى شاباً، تريد أن الموت أدركه وهو في هذه الصفة، ولا تقصد بقاء تلك الحالة.

(١٦) يَغْلَمَنَّ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِيهَا وَلَيْسَ يَغْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنَبِ

وصفها بالسيادة والسياسة، وأنها لم تكن من اللواتي تُبَاسِطُهَا النظائر، فيُعرف شيءٌ من أسرار الخَلْقَة، وإنما كانت النساء تعرف ما يدركه النواظر فقط.

(١) في صفحة: ١٧٦.

(٢) رواية الفسر ٣١٢/١: (في العلى والملك) وكذا في معجز أحمد ٥٦٩/٣، والتبيان ٨٩/١، والموضح ٣٤/ب، وشرح الكندي ٦٥٩، والنظام ق/٣٤١، وجرى الشارح عليها في شرحه كما ترى. ورواية (المجد) في شرح الواحدي ٦٠٩، والديوان ٤٢٤.

و"الشنب": ماء الأسنان^(١).

وجود في هذا، حيث ذكر الشنب مع ذكره أن التحية تأتيها من النساء، وإذا لم تعرف ذلك الإناث فهو نهاية في الحشمة.

وقال آخر^(٢):

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها، ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

فهذا في الظاهر مثل بيت المتنبي، وإلا فإنه من نمط آخر؛ إذ هو من باب الهوى والحب، والمتنبي يضرب في الهيبة والاحتشام.

وقد ذكروا في هذا البيت شيئاً، نذكره فيما بعد.

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرُقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

"اليلب": جلود تقصر على صورة الدرع، ويقال: إنها جلود تكون تحت البيض. والمعنى: أن الطيب في فرج بمفرقها؛ لأنه يحل به، والبيض واليلب يتجرع غصص الحسرة؛ لأنها لا تلبسهما. والجيد - هنا - أن يريد باليلب ما يكون تحت البيض؛ لأجل أنه ذكر المفرق، ولم يذكر شيئاً آخر.

و"حسرة" معطوف على "مسرة"، فكما أن الذي يسرفؤاد العطر هو المفرق، كذلك يجب أن يكون الذي يحدث الحسرة في قلب البيض واليلب إياه.

وحكى القاضي أبو الحسن -رحمة الله عليه- في كتاب (الوساطة)^(٣) عن بعض من جاره إنكار استعارة أبي الطيب للقلب للطيب والبيض، وأنها واقعة على خلاف

(١) أو بردها، أو وحدة أطرافها. الفسرة ٣٠٤/١، ٣٠٥.

(٢) هو جميل، ديوانه ٨٩.

(٣) الوساطة: ٤٢٩ وما بعدها.

ما ينبغي أن تكون عليه الاستعارة، من حسن المناسبة، وقرب الشبه. ثم ذكر أنه ألزمه بيت ابن أحمر^(١):

وَلَهَيْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مُعْصِفَةٍ هَوَجَاءٍ لَيْسَ لِلْبَّهَّازِ زَنْزُرٌ^(٢).

وقال له: ما الفصل بين مَنْ جعل [للريح] لبًّا، ومن جعل للطيب قلبًا؟! وحكى عنه -أيضًا- الإنكار في جعله للزمان فؤادًا في قوله^(٣):

مَلَأَ فُؤَادَ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا.

وألزم عليه قوله^(٤):

هَمَّ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُكَفٍّ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدٍ

وَقَوْلَ شَاتِمِ الدَّهْرِ^(٥):

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَعَرًّا سَيْلُهُ وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبَّ مُسْلَعًا^(٦)
وَطَلْعَةً^(٧) قَرْدٍ كَالشَّرَاكِ ضَيْالَةً وَصَعَرَ خَدَيْهِ، وَأَنْفًا مُجَدَّعًا

(١) عمرو بن أحمر الباهلي، له شعر جيد، كثير الغريب، توفي نحو ٦٥هـ.

طبقات ابن سلام ٥٨٠/٢، ومعجم الشعراء ٢٦. والبيت في ديوانه: ٨٧ (عطوان).

(٢) ولهت: حنت. والمعصفة: الشديدة العصف. والزير: التماسك.

(٣) ديوان المتنبي ٥٥٥، يمدح عضد الدولة. وصدرة:

تجمعت في فؤاده همم

(٤) هو الأشهب بن رميلة، شعره ضمن كتاب (شعراء أمويون) ٢٣٢/٤.

(٥) شاتم الدهر أحد شعراء عبد القيس (الموازنة ٢٧٤/١) ولم أجد مَنْ ذكر اسمه، ولا سبب تسميته بهذا اللقب، ويبدو أن ذلك لكثرة تبرمه من الدهر.

والبيتان في الموازنة ٢٧٤/١، والصناعتين ٣٠٣، والوحشيات ٢٢٠.

(٦) الأجب: المقطوع السنم. والمسلع: المشقق.

(٧) في المصادر السابقة (وجبهة قرد).

87/ب

قال القاضي: قلت له: فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصاً متكامل الأعضاء، تآمر الجوارح، فكيف أنكرت على أبي الطيب أن جعل للزمان فؤاداً؟! فلم يُجِر جواباً! غير أن قال: إني إذا استبرت^(١) نفسي وجدت بين استعارة ابن أحمر للريح لباً، واستعارة أبي الطيب [للطيب] قلباً - بؤناً بعيداً. وكذا أجد بين جعل ابن رميلة^(٢) للدهر ساعداً، وجعله للزمان فؤاداً - فصلاً جلياً، وأن اللسان ربما قصّر عن مجازاة الخاطر. وذكر الحكاية عن الشافعي - رحمة الله عليه - أنه سُئل مسألة، فقال: إني لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطق بها لساني.

ثم قال القاضي: [وقد أجد^(٤)] لما ذكر بعض البيان: وهو أن الريح لما خرجت بعصفوها عن الاستقامة، وزالت عن الترتيب، شُبِّهَتْ بالأهوج الذي لا مُسَكَّةَ في عقله، ولا زَبَرَ لَبَّه، ولما كان مدار الأهوج والثبات على العقل^(٥) حسن من هذا الوجه أن يجعل للريح عقلاً، وليس للطيب والبيض واليلب ما يُشَبُّه القلب، ولا ما يجري مع هذه الاستعارة في طريق^(٦).

واعلم أن هذا فصلٌ لطيف في علم الصنعة، ولكن في نفسي [أن] ما احتج به لابن أحمر حجةٌ لأبي الطيب: وذاك أنه إذا جاز وصف الريح باللب لوجود ما فيها من الأهوج الذي مداره على العقل، كذلك يجوز لأبي الطيب [أن يجعل للطيب] قلباً بعد أن ثبت له المسرة التي مدارها على القلب، ولا فصل!

فإن قلت: إن صفة الأهوج التي حقيقتها الخروج عن الاستقامة موجودة في الريح، مشاهدة، وليس في الطيب والبيض صفة مضمونها المسرة على الحقيقة، فابن أحمر بنى مجازاً على حقيقة في استعارة اللب لها، وبنى أبو الطيب مجازاً على مجاز.

(١) استبر الشيء وسبره: اختبره ليعرف ما غوره؟ الصحاح (سبر).

(٢) زيادة من الوساطة.

(٣) الأشهب بن رميلة النهشلي من المخضرمين. توفي بعد ٨٦ هـ.

ألقاب الشعراء (نوادير المخطوطات ١/٣٠٥)، وسمط اللآلئ ١/٣٥، والأغاني ٩/٢٦٩، والأعلام ١/٣٣٣.

(٤) زيادة من الوساطة.

(٥) في الوساطة: (ولما كان مدار الأهوج على التباس العقل ...).

(٦) هنا ينتهي النقل عن الوساطة.

فالجواب: أن هذا انفصال مقبول ما دمنا ننظر إلى ظاهر الحال، ونميل نحو ما هو في العرف أثبت، وإلى الإلف أقرب. ولكننا إذا التفتنا إلى سعة المجاز، واستقرينا عادات الشعراء في الاستعارة، وجدناهم قد أعطوها مجاًلاً أفسح مما ذكرت، وبسطوا عنانها بسطاً يفيض^(١) عن قبول ما أوردت، ألا ترى إلى ابن المعتز كيف قال^(٢):

فكابدنا السُرى حتى رأينا غراب الليل مقصوص الجناح

فاستعار الغراب لليل، ثم لما جعله غراباً أثبت له جناحاً، وجعل ظهور الصباح فيه قصاً له، فهم أبداً يستعيرون ابتداءً، ثم يثنون على تلك الاستعارة غيرها مما يصاحبها ويقتضيها. فإن تعللت بحديث السواد في الليل، وموافقته الغراب في ذلك، وقلت: إنه أصل بني عليه، وتكلفتم الاحتجاج به - على فساد - اختصرت الطريقة في مناقضتك، وقلت: خذ إليك قول أبي تمام^(٣):

فما بال وجه الشعر أغبر قاتماً وأنف العلى من عطلة الشعر راغماً

/ وقوله^(٤):

إن تنفلي، وأنوف الموت راغمة فاذهب، فأنت طليق الركض يا بُد

ألا تراه لما وجد جائزاً في العادة أن يقال: فعل كذا رَغِمَ العلى، ونجا على رَغِمَ الموت؛ استجاز استعارة الأنف لهما، إتماماً للسَّعة ١٩ ومعلوم أن صفة الراغم غير مشاهدة في العلى والموت، نعم! ولا شيء يوجب إثبات الأنف لهما على حد ما قال في إثبات اللب للريح. فالأنف هنا بإزاء القلب هناك، والرَّغْمُ في مقابلة المسرة، حذو النعل بالنعل.

(١) في الأصل (تعويض)، لعله تصحيف لما أثبت، أو ليعويض من العوض.

(٢) ديوانه ٢٤٤/١.

(٣) ديوانه ١٨٢/٣.

(٤) ديوانه ١٥/٢. يخاطب شخصاً هرب من المعركة، وشبهه بلبد، وهو آخر نسور لقمان، وكان أطولها عمراً. (من شرح التبريزي).

وكذا قوله^(١):

أَلَا إِنَّ فِي ظَفَرِ الْمَنِيَّةِ مُهْجَةً تَظَلُّ لَهَا عَيْنُ الْعُلَى وَهِيَ تَدْمَعُ

وقوله^(٢):

فِي شَرِّ^(٣) الضُّحَى غَدَا لَهَنَ مُضَاحِكُ وَجَنِبُ النَّدَى لِيَأْ لَهَنَ مُضَاجِعُ

وأوضح من الجميع قول أبي نواس^(٤):

فِي مَجْلِسِ صَحَاكَ السَّرُورُ بِهِ عَنِ نَاجِدِيهِ، وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

لأنه إذا جاز أن يكون للعلی عينٌ، وللندی جنبٌ، وللسرور ناجدٌ، فما المانع من أن يكون للطيب قلبٌ؟! وهل إثبات البكاء للعلی إلا كإثبات المسرة للطيب؟ فقد بُني في هذا كله مجازٌ على مجازٍ، فلم ينتج إلا ما هو حقيقة الحسن والإحسان! ولم يُفد إلا ما يُفترُّ النفوس^(٥)، ويخلب القلوب!

وقد ختم القاضي كلامه، في هذا الفصل^(٦)، بما دلّ على أن الجملة التي حكيتها عنه في بيت ابن أحمر غير معتمدة في كل موضع، وأنها شيء ذكره على سبيل الصلة لكلام ذلك المجاري الذي حكى عنه ما حكى من وجوده بين استعارة اللب للريح واستعارة القلب للطيب بونا.

(١) ديوان أبي تمام ٩٧/٤، يرثي إدريس بن بدر القرشي.

(٢) ديوانه ٥٨١/٤.

(٣) رواية الديوان (فوجه).

(٤) ديوانه: ٤٧٨ (الغزالي).

(٥) أي: يجعلها تسكن وترتاح. القاموس (فتر).

(٦) انظر: الوساطة ٤٣٣.

ولعمري إنا إذا استشهدنا الطبعَ على بيت المتنبي وجدنا فيه ما لا نجد في بيت ابن أحمر، ولكني لست آمنُ أن يكون ذلك من غير الجهة التي أنكرها^(١)، وأظن السبب فيه: أنه جعل نفسَ مفرقها مسرَّةً وحسرةً، والمفهوم أن مباشرةً الطيب لمفرقها هي التي تحدث المسرةَ في قلبه، وتوجب له صفة السرور، وجعل المتنبي المفرقَ نفسَه مسرَّةً، وهذا وإن كان جائزاً من جهة، وذاهباً في طريق المبالغة المعتادة، فليس كلُّ ما يجيزه الإعرابُ يقبله الشعراء، ألا ترى أن قولك: كفى فخراً [للطيب] أنه تبدَّى في مفرقك، وشرفاً للخزْ أنك لابسُه أحسنُ وأعذبُ من أن تقول: مفرقك فخرٌ للطيب، وجسدك شرفٌ للخزْ؟ وأظن -أيضاً- أنه لو أفرد القلبَ، فقال: في قلب الطيب، لكان أحلى من الجمع. وكذا في تكرير لفظ القلوب في موضعين ما يكسب بعض الاستكراه.

وشيء آخر: وهو ما أنكر^(٢) عليه من أنه خرج من حكم الأدب، وقَدَحَ الحِشمةَ، بذكر الشَّنَب والمفرق، فإنه لا يَعدم من هذه الجهة ما يورث بعضُ الهُجنة، ويبعث الطباعَ على القدح في عاجل الأمر، إلى أن يُنظر إلى ما بعده من العذر، وحسن التلمس من الطَّيَّة^(٣).

هذا، والشعرُ يلحقه الاستكراهُ بأيسر شيء، وإنه لكالزهرة^(٤) الناعمة، تُخلَعُ نضارتُها بأدنى تأثير! نعم، وربَّ استعارةٍ حسنت في موضع، وفقدت الحسنَ في موضع آخر، [لا] لتغيّر الطريقة، ولكن لشيء يلحقها من الألفاظ المجاورة لها، وسوء نظم يتفق في جملة البيت. وها هو الشاهد حاضرٌ لك / من بيتي أبي تمام، إذا قايست بينهما وجدت بيت

88ب

(١) الجهة التي أنكرها القاضي: هي أنه ليس في الطيب والبيض واللبب صفة أوجز يشبه القلب.

(٢) شرح الواحدي ٦٠٩، وقال أبو بكر الخوارزمي: "لوعزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها، وضربت عنقه على قبرها"!! يتيمة الدهر ١٦٨/١.

(٣) الطية والطوية: النية. القاموس (طوى).

(٤) في الأصل (لكان الزهرة).

العلی يدغدغ^(١) طبعك، ويوسعك اهتزازاً، ويملاً قلبك أريحيةً، ولا تجد للبيت الآخر إلا
دونَ تلك الهرة، ثم إن جئتَ إلى قوله^(٢):

فاخطم بأضلّبهِنَّ أنفَ الشَّمَالِ

تلقتك الكراهةُ، وليس ذلك لاستعارة الأنف وأن العلى أولى بها من الموت أو الموت من
الشمال، بل لشيء عرض لجملة الكلام، والشرُّيعدي، والفتى بابن عمّ السوء مأخوذ^(٣)!

وقد استعار المتنبي القلبَ في غير هذا الموضع، كقوله^(٤):

وحقوقُ تَرْقُّ القلبَ للقاءِ ————— ب ولو ضُمَّنتَ قلوبَ الجمادِ

وقوله^(٥):

ثمّ اثنوا ولو أنّ حرّ قلوبهم ————— في قلب هاجرة لذابّ الجلمدُ

فوقع من الحلاوة بحيث ترى.

وقال أبو تمام^(٦):

قلبُ الثرى القاسي عليها قاسي ————— ولا

(١) يدغدغ) مهملة في الأصل.

(٢) ديوان أبي تمام ٤٥/٣، صدره: فلديك آلاتٌ جنوب كلها

(٣) تضمين لقول الشاعر:

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به ————— إن الفتى بابن عمّ السوء مأخوذ!

(التيبان ٨٢/١).

(٤) ديوانه: ٤٦٣.

(٥) ديوانه ٤٣.

(٦) ديوانه ٢٤٨/٢، والبيت بتمامه:

لا تهجر الأنواء منبتها ولا ————— قلب الثرى القاسي عليها قاسي

قال التبريزي: "أي لا يخطي الغيث منبت هذا الغرس، ولا يبس الثرى الذي غرس فيه ولا يجف، بل
تجده ثرياً ندياً أبداً".

فوقع متوسّطاً بين المستحسن والمستهجَن.

هذا، ولا يمكن أن يدعى أنّ في الجماد والثرى والهاجرة معنيّ يوجب لها استعارة القلب ليس في الطيب والبيض. بلى، يمكن أن يقال شيء واحد: وهو أن قوله أولاً: "ترقق القلب للقلب"، وقوله: "ولو أنّ حرّ قلوبهم"، يمهد لهذه الاستعارة، ويؤسّس لمطلعها؛ لأن عجز الكلام يبني على صدره، كقوله تعالى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾^(١).

فإن قلت: ذكر المسرة هناك مُمهدٌ، كما مهد ما ذكرتَ هنا! قلنا: هو ما ذكرت، إلا أنه يبقى لهُذين البيتين بعدُ فضلٌ، وهو أن ذكر الرقة والحرّ فيهما بإزاء المسرة هناك، وتقدّم ذكر القلب الحقيقي سببٌ ثانٍ، وممهدٌ آخر ليس هناك.

فهذا وما أشبهه من التعليل ممكن في أشباه هذه المواضع، ولكن لا يمكن التعويل عليه، وجعله أصلاً وقانوناً يستمرّ في كل حال. ألا ترى أنّ بيت أبي نواس:

ضحك السرورُ به عن ناجذيه

ليس لإتيان الناجذ فيه سببٌ وممهدٌ غير ذكر الضحك، ثم هو أعلى من كل ما يجري في طريقه، وأعذب، وأفتن! وكذا قال^(٢):

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم

فوقع الموقع الذي لا يخفى.

(١) سورة آل عمران: ٥٤.

(٢) قريط بن أنيف العنبري، الحماسة (بشرح المرزوقي ٢٧/١)، والتذكرة السعدية ٣٨، والخزانة ٤٤١/٧. وعجّزه:

طاروا إليه زرافات ووحدانا

فجملة القول أن ما تجد للشعر من الحلاوة والعدوبة وحُسن الموقع، وأضداد هذه الأوصاف، سرُّ تنمُّ به الطباع التي جُبِلت على معرفته، وهُيئت لتصوره، ولا يمكننا أن نضرب لذلك حداً، ولا أن نفرِّض له قياساً، وليس إلا ما يرفُّ عليه رِيحانُ القلوب.

وعلى هذه النُكْنة وضع القاضي كتاب (الوساطة)، وعليها أجرى قضاياها فيه، فإنه يقول أبداً: إن الشعر لا يحسن بالمحاجة^(١). وكتابه هذا من محاسن الشعر، ثم من مفاخر المتنبي، ولو أن أبا الطيب لم يكن قد أفاد جملة الأدب وأهل الفضل إلا أنه كان سبب هاتيك المحاسن التي تضمَّنْها، لقد كان أفادهم عظيماً، وفتح لهم عن كثير جليل.

وأما بيت الفؤاد، أعني قوله:

تَجَمَّعت في فؤاده هممٌ ملء فؤاد الزمان إحداها

فلا شك في برده وبعده عن مواقع الإحسان! ولكن لا يمكن الإحالة بالذنب على استعارة الفؤاد؛ فقد حصل فيه من السبب والمهمد ما تقدّم في قوله:

ثم اتثنوا ولو أن حرقلوبهم في قلب هاجرة لذاب الجلمد

وقوله:

ولو ضمّنت قلوب الجماد

لأن الهمم تقتضي الفؤاد، كما تقتضي الرقّة - هناك - ذكر القلب وقد جرى ذكر الفؤاد هنا حقيقة في قوله: / "تجمعت في فؤاده ... " كما جرى هناك ذكر القلب في قوله: "ترقق القلب للقلب"، ولكنَّ الشان في الطبع، فإنه ضنينٌ عليه، فلم يكسبه ديباجته،

٨٩/أ

(١) يقول القاضي: "والشعر لا يحجب إلى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلّ في الصدور بالجدال والمقايسة ...". الوساطة ١٠٠.

ثم ما أخذ به نفسه من التعمق في المعنى، وجمع^(١) زواياه، أسلمه إلى التكلف حتى سلبه الجمال. وكان في لفظ "ملء" ما رآه يملأ القلب هزّة. على أن القصيدة كلّها منحوسة الحظ من مساعدة الطبع، وأثر التكلف فيها بئس.

وقال أبو تمام^(٢):

والوقت بسّامٌ يُخبرُ أنه من خيرِ عُضْوٍ في الزّمانِ ومفصّلٍ.

فجعل للزمان عضواً ومفصلاً من غير سبب دعا إلى ذلك - على حدّ ما مضى من نحو اقتضاء المسرة للقلب - ثم حسن، وجاء مقبولا سهلاً كما ترى. وإذا كان قد قال^(٣):

غَصَبَ الدهرَ والملوكَ عليها فبناها في وجنة الدهرِ خالاً

فجعل للدهر وجنةً، ثم صير ذلك البلد العظيم خالاً فيها، وكان البيت مع ذلك كلّهُ فتنة العالم؛ فأى شكّ يعرّوك في أن لا معنى لتتبّع أمثال التعليقات التي مضت، وأن لا اعتماد عليها؟! فاعرفه^(٤).

(١٨) إِذَا رَأَى -وَرَأَاهَا- رَأْسَ لَابِسِهِ رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ

التقدير: إذا رأى رأس لابسها ورأها، رأى المقانيع أشرف منزلة، لالتباسها برأس هذه المرأة.

وهذا وإن كان في الظاهر وضعاً من الممدوح، من حيث إنه يفضلها على الرجال، وهو منهم، فإن المدح إذا انساق إلى مرثية من عنصره لم يُعتدّ بمثل ذلك، سيّما وليس فيه تصريح بالتفضيل على الممدوح، وإنما قصد الجنس، فيجوز أن يكون أخرجه من البين^(٥).

(١) في الأصل (يمنع)، لعله تحريف عما أثبت.

(٢) ديوانه ٤٦/٣.

(٣) أي: المتنبي، ديوانه ٤٠٦، يمدح سيف الدولة.

(٤) رحم الله الشارح، فإنه إذا بحث قضية استوفاهما بأدلتها وتعليقاتها. وهذا نص عزيز في بحث الاستعارة خاصة، والشعر بعامة. يؤكّد فيه على أمرين مهمّين: نظم الكلام، وذوق الناقد.

(٥) أي: من بين المفضل عليهم.

وقال: "رأى"، ولم يقل: رأت، على وجهين:

أحدهما: أن يعود إلى اليلب؛ لأجل أنه إذا عاد إلى أحدهما، دلّ على عوده إلى الثاني، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) فعاد إلى الفضة، ويُنزل منزلة العود إلى الذهب لاشتراكهما في الكنز الذي هو سبب نفي الإنفاق.

والثاني: أن يُعيده إلى البَيض؛ لأجل أن اليلب إذا كان شيئاً يلبس تحت البيض بمثله، كان من جملته، فيجريان مجرى واحداً.

ويكون التذكير لأجل أن البَيض من باب ثمرة وثمر^(٢)، والتذكير والتأنيث جائزان فيه، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(٣)، وفي موضع آخر: ﴿خَاوِيَةٍ﴾^(٤).

(١٩) فَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْثَى فَقَدْ خُلِقْتَ شَرِيفَةً^(٥) غَيْرَ أَنْثَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ

ينفي صفة التأنيث وإن وُجدت في خلقها عن عقلها ومفاخرها، بل لها العقل الرصين والحسب الفذ.

"غير أنثى العقل والحسب" [الأصل] فيه: غير مؤنثٍ عقلها وحسبها؛ لأن الفعل^(٦) للعقل، كما تقول: مررتُ بامرأةٍ حسنٍ وجهها، ثم لما نُقل الفعل إلى صاحبة العقل - كما

(١) سورة التوبة: ٣٤.

(٢) وهو كل ما يفرق بينه وبين مفردة بالتاء.

ولو قال: ثمرة وتمر - ليوافق بيضة وبيضاً في الوزن أيضاً - لكان أحسن.

(٣) سورة القمر: ٢٠.

(٤) سورة الحاقة: ٧ ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَنَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

(٥) في الديوان والشروح (كريمة).

(٦) (الفعل) أضيف بخط دقيق، وهو ضروري لاتصال السياق، ويدل عليه ما بعده.

يُنقل إلى صاحبة الوجه^(١) - وجب أن يقال: غير مؤنثة العقل والحسب، إلا أن الأنثى قام مقام المؤنثة؛ لأنه بمعناها. والألف فيه عَلمُ التأنيث.

(٢٠) وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصَرَهَا فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ

"تغلب" اسم القبيلة^(٢)، و"الغلباء" صفة لها، تأنيث الأغلب، الذي هو القوي الرقبة. والمعنى: أن هذه المرأة وإن كانت من نصاب هذه القبيلة، فإنها قد انفردت بفضائل، كما أن الخمر فرع من العنب، ثم إن لها خصلاً ليست للعنب^(٣). وهذا من أحد ما أبدع فيه.

وأعجب منه قوله^(٤):

فإِنْ تَفُقِ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ!

غير أن الأول في مراعاة الحسب^(٥) أعجب، وهو أن القصد أن يثبت للأصل فضلاً وللفرع أزيد منه، وذلك موجود بين العنب والخمر. لأن العنب شريف، كما أن تغلب كذلك. وفي قوله: "فإن تفق الأنام" يقصد العموم، ولم يجر ذكر قبيلته، ألا تراه أنه قدّم ذكر الملوك فقال:

رَأَيْتُكَ فِي الذِّينِ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ!

(١) فيقال: مررت بامرأة حسنة الوجه.

(٢) وهي قبيلة سيف الدولة تغلب بن وائل بن قاسط ... بن نزار بن معد بن عدنان.

جمهرة أنساب العرب ٣٠٣.

(٣) قال الواحدي ٦٠٩: "وفي هذا البيت تفضيل هذه المرأة على آبائها".

وقال صاحب التبيان ١٩١/١ "وعجز هذا البيت من الكلام الجيد، وما في القصيدة مثله".

(٤) ديوانه: ٢٥٨، يمدح سيف الدولة ضمن مرثية والدته.

(٥) في الأصل (الحب)، لعلّه تحريف عن الحسب، أو تحريف عن (الحظ)، أي: حظ الأصل والفرع في

الفضل، كما يدل عليه آخر كلامه في شرح البيت.

فلما كان كذلك، أتى بما لا قيمة له، وهو ما سوى المسك من دم الغزال، ألا ترى أن منزلة من المسك ليس كمنزلة العنب من الخمر؟ لأن العنب ظاهر الشرف، ودم الغزال الذي ليس بالمسك لا يُعد شيئاً. فكذا هو لا يُعتد بما عداه من الملوك بوجه. ومثل الأول قوله^(١):

فإن يك سياربن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

لأنه مدح الأصل والفرع، إذ الورد جليل، كما أن ماءه كذلك.

فانظر إلى جذق هذا الرجل، ورفعة رتبته في العلم والحكمة!

قد أخذ بعضهم هذا منه، فقال^(٢):

أبوك حوى العليا، وأنت مبرر عليه إذا نازعته قصب المجدي
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله وللنار نور ليس يوجد في الزند
وخير من القول المقدم - فاعترف - نتيجه، والنحل تكرم للشهد

فهذا، وإن كان لطيف السرقة، فإنه قصر بالأصل، حيث ذكر الكرم والزند، إذ لا قيمة لهما، فراعى حظ الفرع دون الأصل، والمتنبى راعى حظهما، إلا أنه جلى عن وجهه صداً التقصير بما قدمه من قوله: "أبوك حوى العليا"^(٣). وبعد هذا فللمتنبى فضيلتان:

إحداهما: السبق.

والثانية: أنه أخذ بخطوة ما أخذ هذا بثلاث^(٤).

(١) أي المتنبى. ديوانه ١٨٦، يمدح محمد بن سياربن مكرم التميمي.

(٢) هو أبو الفتح البستي، ديوانه ٢٤١ (دمشق).

(٣) في الأصل (أبوك كريم غير أنك سابق)، وهو انتقال نظر للأبيات الآتية.

(٤) أي: عدد الأبيات.

وقال هذا -أيضاً- فأحسن^(١):

أبوك كريمٌ، غير أنك سابقُ أباك بلا صيمٍ عليه ولا ذيم^(٢)
فلا يعجبُ الناسُ ممَّا أقولُـهُ وأقضي به، فالغيثُ أُنْدَى من الغيمِ!

(٢١) فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغِبْ
جعل المرأة شمساً. ثم قال: ليت هذه الشمس التي طلعت -يعني شمس النهار- غابت، ولم تغب الشمس التي هي شمس المكارم.

(٢٢) وَلَيْتَ عَيْنَ الْبِئْرِ الْيَوْمَ فِدَاءُ عَيْنِ الْبِئْرِ زَالَتْ وَلَمْ تَوْبْ
هذا تأكيد لما قبله.

وجعل النهار أعَمَّ من الشمس، حتى قال: "آبَ النهارُ بها"، كما تقول: آبَ زيدٌ بعمرو، وذلك أن النهار أولُّه طلوع الفجر، والشمس بعده، وإن كان من الشمس، كقولهم: ابنُ ذُكَاء^(٣)، فالنهار في الظاهر كأنه بساطُ الضوء للشمس.

(٢٣) فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشَبَّهَهَا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيِّيَةِ الْقُضْبَ
المعنى: أنها لم يكن لها نظيرٌ في النساء ولا في الرجال؛ لأن قلائد الياقوت للإناث، والسيوف / للرجال. وهذا كقوله^(٤):

مُتَفَلَّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِي كَالْقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يَرْضَعُ^(٥)

(١) ديوانه: ١٦٦.

(٢) الذيم: العيب والذم. القاموس (ذيم).

(٣) ابن ذُكَاء: الصبح، وذُكَاء: الشمس. ثمار القلوب ٢٦٤، والمرصع لابن الأثير: ١٥٠.

(٤) هو أبو ذؤيب، شرح أشعار الهذليين ٣٥/١.

(٥) الأنساء: جمع نَسَاء، وهو عرق في الفخذ. قاني: أحمر. صاوٍ: ضامر. والغُبْر: بقية اللبن. يصف الفرس باكتناز اللحم؛ لأنها لم تحبل (المصدر السابق).

المعنى: ليس له غبرٌ فيُرضع، وكذلك المقصود: لم يكن لها مشبهٌ فيقلد بالياقوت أو بالسيوف، لا أن لها مشبهًا إلا أنه لم يتقلده، كما لا يكون المعنى هناك أن له غبرًا إلا أنه لا يُرضع.

(٢٤) وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا إِلَّا بِكَيْتٍ، وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ

[إن قلت]: كيف لم يقل: جميلة^(١)؟ لأن المعنى: صنعةٌ جميلةٌ من صنائعها، حتى كأنه قال: واحدةٌ من صنائعها.

فالجواب: أن التذكير جائز على المعنى، وهو قوله: ولا ذكرت شيئًا جميلًا، أو صنعًا جميلًا. وإذا جاز نحو ذلك في التأنيث الحقيقي نحو قوله^(٢):

رَأَتْنِي وَمِنْ لُبْسِي الْمَشِيبُ فَأَمَلْتُ غَنَائِي، فَكُونِي أَمَلًا خَيْرَ أَمَلٍ

لأنه حمل على قوله: فكوني إنسانًا أملًا — كان هذا أولى؛ لأجل أنه لم يتقدم "جميلًا" مؤنثٌ يجب أن يجري عليه، فيؤنث، كما تقدم التأنيث في قوله: [رأيتني، فأملت].

"ولا ودَّ بلا سبب" تأكيد لصدر البيت. والغرض: أن البكاء إنما استدعاه الودّ؛ لما لها من الصنائع.

و"لا" بمنزلة ليس، كقوله^(٣):

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحٍ.

فكأنه قال: وليس ودَّ بلا سببٍ.

(١) في الأصل (أي كيف لم يقل: جميلة) وبإزائها في الحاشية بخط مخالف: (لعل العبارة هكذا: فإن قلت: كيف لم يقل: ولا ذكرت جميلة).

(٢) هو الكروّس بن زيد الطائي، شعره ضمن (شعر طيء وأخبارها) ٦٧٢/٢.

(٣) هو سعد بن مالك البكري، شعره ضمن (ديوان بني بكر في الجاهلية) ٥٤١.

وقد ذكروا في قوله: وليس يعلمُ إلا الله بالشَّنبِ

أن ذاك يدلّ على حِذْق المتنبي؛ لأنه ذكَرَ الشَّنبَ من النساء، ثم تَخَلَّصَ منه^(١).
كما قال^(٢):

وقد يُلقَبُه المجنونُ حاسدُه

فأتى باللقب المستنكر، ثم كَرَّفَ جَذَبَه إلى ناحية الإحسان بالصنعة، فقال:

إذا اختَلَطَنَ، وبعضُ العقلِ عُقَّالُ^(٣).

قالوا^(٤): ولهذا قال^(٥):

لا تجسرُ الشعراءُ^(٦) تنشدُ ههنا بيتاً، ولكيَّ الهزيرُ الباسلُ.

وأنا أقول: إن هذا الكلام بهذه الأبيات أليق؛ لأجل أن قوله: "ولا ودّ بلا سبب" موهمُ الظاهر جذاً، وليس قبله إلا ما يؤنسُ بِالظَّنَّةِ، من قوله: "ولا ذكرتُ جميعاً من صنائعها"، ثم خلع نفسه من سوء الظنِّ الطَّفَّ خلع، بقوله: "قد كان...".

(١) كأن الشارح يعني ابن جني، حيث قال: "وكان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جذاً، ألا تراه يقول لفاتك، يمدحه: (وقد يلقبه المجنون حاسده) ألا ترى كيف ذكر لقيه على قبحه وتلقاه به، وسلم مع ذلك أحسن سلامة، ولولا جودة طبعه وصحة صنعته ما تعرض لمثل هذا. وكذلك ذكره مبسمها وحسنه وشنبه ومفرقها في البيت الذي يتلوه، ومن ذا الذي كان يجسر على سيف الدولة ويذكر مثل هذا من أخته، وآل حمدان أهل الأنفة والإباء؟ ... وأكثر شعره يجري هذا المجرى من إقدامه وتعاطيه، فإذا تفتنت له وجدته على ما ذكرته لك". الفسر ٣٠٦/١، ٣٠٧.

(٢) ديوانه ٥٠٤، يمدح فاتك الرومي.

(٣) إذا اختلطن، أي: الرماح والسيوف. والعقال: داء يأخذ الدواب في أرجلها، يمنعها من المشي. التبيان ٢٨٣/٣.

(٤) ممن قال ذلك ابن جني، الفسر ٢١٦/١.

(٥) ديوانه ١٦٦، من قصيدة في مدح القاضي أبي الفضل الأنطاكي.

(٦) في الديوان (الفصحاء).

(٢٥) قَدْ كَانَ كُلُّ جَبَابٍ دُونَ رُؤْيَيْتِهَا فَمَا قَنِعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْجُجْبِ
(٢٦) وَلَا زَائِلَتْ غُيُونُ الْإِنْسِ تَدْرُكُهَا فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ^(١)

فذكر أنها كانت ممنوعةً عن الأبصار، لا تراها إلا النجوم.

ولم يرضَ بذلك حتى صرَّحَ بذكر نفسه، فقال:

(٢٧) وَهَلْ سَمِعْتَ سَلَامًا لِي أَلَمَّ بِهَا فَقَدْ أَطْلَعْتُ، وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كُتْبِ.

أي: بسطتُ باع القول في ذكرها الآن، ولم يكن بيني وبينها قدرُ تسليمةٍ من الانبساط. وأما قوله:

يَعْلَمَنَّ حِينَ تُحْيَا حَسَنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنْبِ.

فليس فيه شأنٌ عظيم؛ لأنه ذكر أن النساء يحيينها ويحتشمنها، وليس في اللفظ ما يريب ظاهره البتة.

(٢٨) وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَخْيَانِنَا الْغَيْبِ

هذا تعريض بسيف الدولة^(٢).

يقول: كيف يبلغُ ذكرى إلى الأموات المغيبة في التراب، وهو ربما لم يصل إلى الأحياء إذا حصل غيبة^(٣)!

(١) سقط هذا البيت من الأصل، وكلام الشارح يدل عليه، ولذا رفعته إلى المتن.

(٢) وهذا ما ذهب إليه ابن جني ٢٢٠/١، وأنكره ابن فورجة، قال: "هذا على العموم، أي: أن السلام قد يقصر عن الحي الغائب، فكيف عن الميت، وليس في الكلام ما يدل على التعريض بسيف الدولة".

شرح الواحدي ٦١١، والتبيان ٩٢/١.

(٣) في الأصل (إلى الاحشا إذا حصل غيظه)، تحريف وتصحيف.

ولله دُرّه فما أقدره على مراعاة الغرض!

90/ب

/وقال بعضهم^(١): "وما سلّمت من كذب": إنَّ الميّت بعيدٌ، فالذي أقوله ليس عن قريبٍ. وهذا ساقط، وإنما استهواه هو البيت الثاني، فكأنه قد رَأَى قصده أن يقول: سلامي الآن ليس عن قريبٍ، وكيف يقرب منها وهو قد لا يبلغ الأحياء الغيب؟ والمعنى يتلقّاه بالردّ؛ لأنه قال:

وهل سمعتِ سلامًا لي ألم بها؟

فأنكر أن يكون سلّم عليها في حال الحياة، ثم أخذ يؤكّد ذلك الكلام ويفسّره، ويقول: قد أطلتْ مباسطةً تقتضي حلَّ عقال الشعر في مَرثِيَّتِها، كيف ولم أسلم قطّ عن قريب؟ وليس هذه الإطالة الآن للسلام أيضًا^(٢)، فكيف يصل السلام إلى الأموات، وهو يقصّر عن الأحياء؟ وليس ذكرُ محاسنها إلا مراعاةً لحقّ الممدوح، أولحقّ الشرف والفضل، كما قال^(٣):

بلى، وحرمة من كانت مراعيةً لحرمة المجد والقصد والأدب.

(٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرُ زُرْ أَوَّلَى الْقُلُوبِ بِهَا وَقُلْ لِصَاحِبِهِ: يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ^(٤).

(١) في عبارة الواحدي ما يشبه هذا القول. شرحه ٦١٠.

(٢) ينفي الشارح - رحمه الله - تسليم الشاعر على المريثة في حياتها، وبعد مماتها، ففسّر (أطلت) بإطالة التأبين والثناء، خلافاً للشرح الآخرين الذين فسّروه بإطالة السلام الآن.

انظر: الفسر ٢٢٠/١، والواحدي ٦١٠، ومعجز أحمد ٥٧٣/٣.

والذي دعا الشارح إلى ذلك هو الاجتهاد في تبرئة ساحة الشاعر من سوء الأدب. فقد قال منتقده عند هذا البيت: "ما باله يسلم على حرم الملوكة؟! انظر: الوساطة ٤٧٦، وبيمة الدهر ١٦٧/١.

(٣) هو البيت الثالث عشر من هذه القصيدة.

(٤) جعله أنفع السحب؛ لأن عطائه مهناً بلا من ولا أذى، والسحاب يؤذي سيله، وتهلك صواعقه! الفسر ٣١٦/١.

(٣٠) وَأَكْرَمَ النَّاسِ، لَا مُسْتَثْنِيًّا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجَبِ

الضمير في قوله: "وقل لصاحبه" يعود إلى "أولى القلوب". وأراد أن يسليّه، فأبدع في الصنعة، واخترع طريقةً مليحةً.

وأما قوله: "مستثنياً" فيجوز أن يكون حالاً من الصبر، كأنه قال: قل له: أنا أقول لك: يا أكرم الناس غير مستثنٍ أحدًا سوى آبائك. فيكون العامل في الحال القول الذي يتصوره من الكلام، لا "قل" في قوله: "وقل لصاحبه"؛ لأنه لو كان كذلك، لوجب أن يقول: قل له: يا أكرم الناس لا مستثنياً أحدًا سوى آبائه؛ لأنّ خطابه مع الصبر، لا معه.

والثاني: أن يكون حالاً من المتنبّي، كأنه لمّا [قال: يا] أحسن الصبر قل له: يا أكرم الناس، علم أن ذلك من قبَله، وأنه تلطف في اللفظ، فكأنه قال: يا أكرم الناس، أقول ذاك لا مستثنياً^(١) أحدًا.

فيكون هذا من إضمار الفعل الذي ينصب الحال، كقولهم: صادقاً والله، أي قلت صادقاً والله، وكقوله عز وجل: ﴿بَلْ قَدَرِينَ﴾^(٢)، أي: نجمعها قادرين.

واستثنى آباءه، جرياً على موجب العقل؛ لأنه وإن كان يُوصف الفروع بالفضل على الآباء، فإنّ تقديم الآباء هو الأجود، فكأنه قال: إني أفضلك على كل أحدٍ إلا على آبائك، أخذاً بالأدب.

والوجه الثالث: أن يكون حالاً من الممدوح، فكأنه قال: يا أكرم الناس غير تاركٍ أحدًا سوى آبائك، أي: أنك لا تستثنيه في حال الظهور عليهم. فيكون العامل في الحال ما في "أكرم" من معنى الفعل، حتى كأنه قال: يا من فضّل الناس غير مستثنٍ أحدًا غير آبائه. ويكون أمدح؛ من حيث إنه يتواضع من ذكر آبائه، فلا يظهر نفسه عليهم، بل

(١) في الأصل (مستثنياً)، وكتب بإزائه في الحاشية (غير) بخط مخالف، وأثبت لفظ البيت.

(٢) سورة القيامة: ٤.

يقبض من عنان مكارمه أن تستطيلَ على مكارمهم استطالَتْها على مكارم الناس . فلا يكون فيه دليل على أنه ينقصُ عن درجة الآباء، ولا ينفرد بما لم يكن لهم، على ما جَرَتْ به العادة في الشعر، كما قال^(١):

وإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرَها ...

ومثل ذا في كونه حالاً، قولك: يا أكرم الناس مسؤولاً، / فيكون (مسؤولاً) حالاً من الموصوف بأكرم، فتكون منادياً مَن كرمه يبين عن الناس في حال كونه مسؤولاً. فاعرفه، فإنه أحسنُ الوجوه معنىً ولفظاً.

وبعدُ، فانظر كيف ذهب بهذه الطريقة المعروفة!

(٣١) قَدْ كَانَ قَاسِمَكَ الشَّخْصِينَ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِي بِالذَّهَبِ

يعني أنَّ الدهر أخذ إحدى الأختين، وأبقى على الأخرى، وكانت المتوفاة أوَّلًا الصغرى، فلهذا [قال]: "دَرُّهُمَا المَفْدِي بالذهب"؛ لأنَّ الذهبَ دُونَ الدَّرِّ في الرتبة، كما أن الصغرى دُونَ الكبرى، وقد حصلَ تَشَاكُلٌ حَسَنٌ، وهو أن الدَّرَّ يُشْتَرَى بالذهب في العادة، لا الذهب بالدرّ، وكذا الكبرى كأنها كانت اشترت من المنيّة بالصغرى.

(٣٢) وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ!

لم يقل: في طلب المتروكة؛ حملاً على الجنس، نحو: الشيء المتروك.

ومعنى قوله: "إنا لنغفل والأيام في الطلب" أن الأيام التي تنقضي هي أعمارنا، فكأنها في طلب الآجال حتى تنتهز الفرصة مرةً. وأوضح البحري، حيث قال^(٢):

(١) هو البيت العشرون من هذه القصيدة.

(٢) ديوانه ١٧٢٧/٣.

وكانت حياة الحيّ سَوْقاً إلى الرَدَى وأَيامُهُ دُونَ المَمَاتِ مَرَجِلُ.

(٣٣) مَا كَانَ أَقْصَرُ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرْبِ

"القرب": سَيْرُ اللَّيْلِ لَوُرُودِ الْغَدِّ، وَكَأَنَّهُ لِأَجْلِ قَرَبِ الْمَسَافَةِ مِنَ الْوُرُودِ.

المعنى: أَنَّ الْمَدَّةَ بَيْنَ وَفَاةِ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ كَانَتْ قَصِيرَةً جَدًّا.

و"كان" الأولى زائدة، وقد زعموا أن (كان) في قولهم: ما كان أحسن زيدًا مزيدةً، غير أن هذه أذهبُ في الزيادة، ألا ترى أنك إذا قلت: [ما] أقصر وقتًا كان بينهما، عرفت الماضي، ولم تحتج إلى كان الأولى في ذلك؟ وأنت تعرف الماضي في قولك: ما كان أحسن زيدًا، من كان، ولو أسقطتها فقلت: ما أحسن زيدًا، لم تدلّ على الماضي. فكأن "كان" التي في بيت المتنبي أوفر حظًا من التأكيد والجري الساقط^(١) من التي في قولك: ما كان أحسن زيدًا، وإنما هذه زيادةٌ حكمًا، وهو أن الأصل: ما أحسن زيدًا، وكان وقعت^(٢) بين [ما] وفعل التعجب لتدل على معنى الماضي.

ومثل هذه التي جاء بها في كونها غير مؤثرة إلا تأكيدًا حكاية أبي عبيدة^(٣):

"وَلَدَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرْشَبِ^(٤) الْكَمَلَةَ مِنْ بَنِي عَبَسٍ، لَمْ يَوْجَدْ كَانَ^(٥) مِثْلَهُمْ".
(فلم يوجد) يدلّ على الماضي، كما دلّ "كان" الثانية - التي بعد "أقصر وقتًا" - عليه، في البيت، وفاعله (مثلهم)، ودخلت (كان) مؤكدةً للماضي.

(١) في الأصل (الكلمة) تحريف.

(٢) المراد أن (كان) في بيت المتنبي جيء بها لتوكيد الماضي، مع إمكان الاستغناء عنها وسهولة إسقاطها من الكلام.

(٣) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، من أشهر علماء اللغة ورواة الأخبار والأيام. وهذه الحكاية في كتابيه مجاز القرآن ٨/٢، والديباج ٧٤.

(٤) فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، من غطفان. زوج زياد بن سفيان العبسي، والدة الكملة الأربعة: الربيع الكامل، وعمارة الوهاب، وقيس الحفاظ، وأنس الفوارس.

(٥) في الأصل (مكان) تحريف.

ولا يجوز أن تجعل الثانية زائدة حتى كأنه قال: ما أقصر وقتاً بينهما؛ لأمرين:

أحدهما: أنَّ الزائدة تجيء بين ما وفعل التعجب كثيراً، فالأولى أولى.

والثاني: أن "كان" الثانية إذا جعلتها زائدة، كانت كقولك: ما كان أقصر وقتاً بينهما، فلا يكون للظرف عامل، وإذا احتاج الظرف إلى "كان" لتعمل فيه، لم يجوز أن تكون زائدة؛ لأن الحكم بزيادة شيء يقتضيه المعنى مُحالاً، ففي "كان" ضمير الوقت، ألا ترى أنك إذا قلت: ما أقصر وقتاً بينهما، طالبك المعنى بتقدير فعلٍ يتعلّق به البين، ومن المحال أن تقدّر الزيادة في المذكور، ثم تضمّره.

(٣٤) / جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأَحْزَانِ مَغْفِرَةً فَحُزِنُ كُلُّ أَخِي حُزْنٍ^(١) أَخُو الْعَصَبِ

91/ب

يقول: إنَّ الحزن مناسب للغضب، من حيث كل واحدٍ يعدل بصاحبه عن سَنَنِ الوقار، ويغمز^(٢) عِظْفَ الحِلْم.

فإن قلت: [كيف] قال: جزاك ربك مغفرةً بالحزن، مع جعله الحزن غضباً؟ وهل يجوز أن تقول: جزاك ربك بالغضب غفراناً، وبالإساءة إحساناً؟

فالجواب: أن ذلك لا يمتنع، على أنه يقصد - هنا - شيئاً آخر، وهو أنه يقول: جزاك ربك بتحمّل أعباء الأحزان مغفرةً، بمعنى أنه لا يخلع عذار الصبر والوقار، بل يطوي القلب على غرار^(٣) الوجود، ويتجرّع مرارة الاضطبار، وذلك من التعب المفرط؛ لأن الإنسان إذا لبى داعية الجزع، وألقى بيده إلى زَنْدِ الهلع؛ كان ذلك أسهل عليه من أن يقرباً الكمال في إزجاء^(٤) الفؤاد جرئياً على سَمْتِ الحِلْم.

(١) هذه رواية الشروح، وفي الديوان ٤٢٥: (فإن حزن أبي حزنٍ ...).

(٢) في الأصل (يعمر)، لعل صوابه ما أثبت.

(٣) غرار السيف: حده.

(٤) الإزجاء: السوق والدفع.

ثم لما دعا له بأن يُثاب على ما يتجشّمه من إخفاء جمرة الأحزان، أخذ يذمّ الحزن،
ويقبّحه إليه، وينسبه إلى عرق الغضب الذي يثمر المقاح.

(٣٥) وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ^(١) تَسْخُونُ^(٢) نَفُوسَكُمْ بِمَا يَهَبْنَ، وَلَا تَسْخُونَ^(٣) بِالسَّالِبِ

هذا كالاعتذار لجزعه. فيقول: إن من شيمتكم أن تطيبوا نفساً بما يُلتمس منكم
سؤالاً، والامتناع إذا طُلبَ اغتصاباً، فإذا غصّبك الدهرُ على شيءٍ شقَّ عليك.

وقال: "تسخو نفوسكم"، ولم يقل: نفوسهم، فإنه يجب أن يعود الضمير إلى
"معشر"، وهم اسم ظاهر؛ لأجل أنّ معشراً ليس شيئاً غير "أنتم"، فلما كان كذلك أخذ
بمقتضى المعنى.

وذكر عن المتنبي أنه كان يختار لفظ الخطاب ليكون أمدح^(٣).

ومثله في الحمل على المعنى (قول المجنون)^(٤):

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ فَتَبْتَغِي بِهِ الْجَاةَ، أَمْ كُنْتُ أَمراً لَا أُطِيعُهَا.

لم يقل: لا يطيعها؛ لأنّ (امراً) هو المتكلم في الحقيقة.

والحمل على اللفظ أقوى وأحسن على كلّ حالٍ. وهذا نوع أكثر ما يكون في الشعر.

(١) (معشر) هذه رواية الفسر ٣١٩/١، والنظام ق/٣٤٦. ورواية الديوان وبقية الشروح (نفر).
(٢) قال أبو العلاء المعري: "يجوز (يسخون) بالياء، وهو أجود الوجهين؛ لأنه يعود إلى النفوس. وإن
رويت (تسخون) بالياء، فهو وجه جيد، ويكون (تسخون) مخاطبة للممدوحين". اللامع العززي
٩٠/١، وذكر الروايتين ابن المستوفي في النظام ق/٣٤٦. واقتصر الديوان وبقية الشروح على الياء.
(٣) الفسر ٣٢٠/١.
(٤) سبق هذا البيت والخلاف في قائله، صفحة: ٣٣٧.
وعبارة (قول المجنون) أضيفت باللون الأحمر.

(٣٦) حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ.

هذا كقوله^(١):

لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشَبَ.

وأما إتيانه بالجمع في قوله : "أنتم" و"حللتم"، فعلى وجهين:

أحدهما: أن يكون قصد الممدوح وقبيلته، ثم غلب الخطاب، كما مضى، ويقويه ذكره المعشر.

والثاني: أن يقصد الممدوح وحده، ويجمع اللفظ تعظيماً، نحو: فعلنا وصنعنا. والأول أجود.

(٣٧) فَلَا تَنَلْكَ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا صَرْنَنَ كَسْرَنَ النَّبْعِ بِالْغَرْبِ.

"الغرب": شجروضيع^(٢). و"النبع": شريف^(٣). يعني: أن من شأن الليالي ضرب الشريف بالوضيع، ونيل الإنسان من حيث لا يحتسب.

(٣٨) وَلَا يُعِنَّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ فَإِنَّهُمْ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرْبِ^(٤)

هذا تأكيد للنبع والغرب؛ لأن الصقر فوق الخرب. فالمعنى: أنها تهجم على الأكابر بالأصاغر. وهذا -لعمري- كلام لطيف، قد سقاه العقل من أعذب موارده حتى ارتوى!

(٣٩) وَإِنْ سَرَرَنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَنَ بِهِ وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ

(١) مَرَّ فِي صَفْحَةِ: ٥٢٥.

(٢) وهو ضعيف، أكثر ما ينبت على الأنهار. التبيان ٩٤/١.

(٣) وهو صلب، ينبت على رؤوس الجبال، تتخذ منه القسي. الفسر ٣٢١/١، ومعجز أحمد ٥٧٦/٣.

(٤) الخرب: ذكر الحبارى.

92/أ

/أي: أن الليالي لا تستقر على نوع واحد، بل لكل فرحةٍ ترحةٌ، وقد أتينك في الحاليين بالعجب، أي: أتاك العجب من المكروه والمحبوب. ويدل به على أن الأمور تأتيه على قدره، فكل شيء منه بديع.

واعلم أن عادة الشعر قد جرت بإطلاق الليالي والأيام، والمراد الدهر، لا تخصيصُ السواد والبياض. وذلك صحيحٌ على العرب، وقد قال صاحب الكتاب: إنهم يستعملون اليومَ على معنى الزمان، ويكون اسماً لوضوح النهار، فمن ذلك قوله^(١):

ولولا يومٌ يومٍ ما أردنا جزاءك والقروض لها جزاء

المعنى: لولا زمان نهار، وإلا فالشيء لا يضاف إلى نفسه، ألا ترى أنك لا تقول: ولولا نهار نهار. فكذلك يقع الليل على الزمان عموماً.

(٤٠) وَرَبِّمَا اخْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرِ غَيْرِ مُحْتَسَبٍ

يريد أن الإنسان ربما قدّر الوقوفَ على غايةِ أمور الليالي، وقتلها علماً وتحصيلاً، ثم يتلقاها من جهتها ما لم يكن في حسابه.

(٤١) وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَاتَتَهُ وَلَا اتَّهَى أَرَبٌ إِلَّا إِلَى أَرَبٍ

يعني: أن أحداً لم ينل مطالبه من الزمان، ولم يستكمل الغنى؛ إذ ما من حاجة إلا وتليها أخرى، وإذا كان كذلك كان المرء أبداً في افتقار واستنجاز حاجة. يدل بذلك على نقص الدنيا^(٢) وتعريها من شرف الكمال.

(١) الكتاب ٣/٣٠٣. والبيت للفرزدق، ديوانه: ٩.

(٢) في الأصل (الزمان) وكتب فوقه (الدنيا) بخط دقيق.

ويجمع من هذا [و] قول الآخر^(١):

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

نصاب واحد^(٢).

(٤٢) تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ

"الشجب": الهلاك. يقول: إن الناس تجاذبوا الخلاف في المذاهب، وقد اتفقوا على الهلاك -الذي البلية فيه- ثم اختلفوا في الشجب أيضاً! فذاك الذي وقع الاتفاق عليه، فيه الخلف!

(٤٣) فَقِيلَ: تَخَلَّصَ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً وَقِيلَ: تَشْرَكَ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ

إن فريقاً زعموا أن النفس (وهي الروح) لا يدركها الموت، وقال آخرون: إنها تشارك الجسم في الموت.

(٤٤) وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ يِنَّ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

أي: أن أحداً لا يتوصل إلى الأسرار، والفكر يفضي به إلى القصور والعناء.

وهذا كلام نشأ عن عقل مهذب.

(١) هو الصلتان العبدى، كما في الحماسة (بشرح المرزوقي ٣/١٢١٠) وعيون الأخبار ٣/١٣٢، وبلا نسبة في التفسير ٣٢٤/١.

(٢) ضرب على هاتين الكلمتين باللون الأحمر، ولا مبرر لذلك!

(٢٦)

وقال يمدح كافوراً^(١):(١) مَنِ الْجَادِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرُ الْحَلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ^(٢)؟

قصد ذكر نساء العرب، فيقول: مَنْ الظُّبَاءِ التي لها زِيُّ الأعراب؟

وجعل الحلى والجلابيب حمراً، وكذا المراكب من النوق؛ وذاك أَنَّ الحمرة مختصةٌ
بالجسان من الإبل، ثمَّ الحمرة من زِيِّ أهل الشباب^(٣).

ورفع "حمر الحلى" على وجهين:

أحدهما: أن يكون بدلاً من "الجادر"، حتَّى كأنه قال: مَنْ حمر الحلى؟

92/ب والثاني: أن يكون خبر مبتدأ، حتَّى كأنه قال: هي حمر الحلى، ويكون فيه ضربٌ /
من المدح.ولو نصب - على المدح - لجاز^(٤).ولا يجوز أن يكون "حمر الحلى" صفةً للجادر؛ لأجل أنها نكرة^(٥)، و"الجادر" معرفةٌ
بالألِف واللام. فلو كان صفةً لوجب أن تقول: من الجادر الحمر حُلاها؟ جاءني النساءُ

(١) يرى الواحدي أن هذه القصيدة من محاسن شعر أبي الطيب. ٦٣٣.

(٢) الجادر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية. والأعاريب: جمع أعراب، وهذا جمع أعرابي.
والجلابيب: الملاحف والملابس. الفسر ٥٣٣/١.

(٣) ومن زي الملوك وأهل الثراء. شرح الواحدي ٦٣٣.

والمрад بالحلى الحمر: الذهب (المصدرين السابقين)، والياقوت (معجز أحمد ٤/٤٢).

(٤) في معجز أحمد ٤/٤٢: "وقد روي، برفع الراء ونصبها، فالرفع على الاستئناف... والنصب
على الحال".

(٥) وإن كانت مضافة لما فيه (ال)؛ لأن هذه الإضافة غير محضة، فهي في تقدير الانفصال.

الحَسَنُ وجوهُهُنَّ، والحِسانُ وجوهُهُنَّ، ولا تقول: جاء في النساءُ حسانُ الوجوه. كما تقول: حسان^(١).

والظرفُ الذي هو "في زي الأعراب" في موضع حال، كأنه: مَنْ الجاذرُ كائنةً في زي الأعراب؟

فإن قلت: فكيف البدلُ في "حمر الحلى" والمبدلُ^(٢) عندكم في تقدير الساقط - فإذا قلت: سُلِبَ زيدُ ثوبه، كان المعنى: سُلِبَ ثوبه، وكان زيد بمنزلة ما لم يُلْفَظْ به - وهو لا يريد أن يسقط الجاذر^(٣)؛ لأجل أنه قصد أن يصفها بمشابهة الأطباء؟

فالجواب: أنا إذا قلنا: إن المبدلَ منه في حكم الساقط، فالمعنى: أن الكلام يتمُّ دونَه. ولا يقصد المتكلمُ إذا قال مرَّةً: مَنْ الجاذرُ في زي الأعراب، ثم عدلَ إلى: حمر الحلى، أنه قصد تركَّ الأول إلى الثاني، حتى كأنه لم يُردَّ أن يصفها بالجاذر، وكان قوله: حمر الحلى هو المقصود، وإنما كان الجاذرُ مقصوداً في حال الذكر، لا بعد الميل إلى البدل. كذلك إذا قلت: سُلِبَ زيدٌ، كان زيدٌ من قصدك، ثم بدا لك أن تعدلَ إلى ما هو أوضح، فقلت: ثوبه، وسقط الأول، وصار المعنى إلى قولك: سُلِبَ ثوبُ زيدٍ.

يدلك على أن المبدلَ منه لا يكون ساقطاً في أول الكلام، وإنما سقط بعد القصد إلى غيره أنك لو [قلت]: خِيطَ زيدُ ثوبه، لم يجز؛ لأنَّ الخياطَ مما لا يُسندُ إلى نحو زيد، فلو كان المبدلَ منه ساقطاً في أول الأحوال، لوجب أن يجوز هذا. فلو أنك تقول: سُلِبَ زيدٌ، لما جاز أن تقول: سُلِبَ زيدُ ثوبه. فاعرفه أصلاً من الأصول، وقس عليه جميع ما يردُّ عليه في هذا الباب.

(١) كذا بالأصل، ولعله يريد: (كما تقول: جاء في نساء حسان الوجوه).

(٢) أي: المبدل منه.

(٣) في الأصل (لا يريد أن يسقط منه في حكم الساقط الجاذر) حشو سببه انتقال النظر إلى العبارة الآتية.

(٢) إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبٍ؟!

إن كنت تشك في معالم هذه الطباء، حتى تفتقر إلى الاستفهام فمن الذي كحل عينك بالسُّهاد، وجعلك رهين الأسف؟! يعنف نفسه على السؤال. وفيه تنبيه على أن هذه المسألة صدرت استعذاباً لذكر المحبوب، وانخراطاً في سلك الشوق، كما قال^(١):

أطويلُ طريقُنَا أم يطولُ^(٢)

وكثيرُ مَنْ السُّؤالِ اشتِياقُ وكثيرُ مَنْ رَدَّه تعليلُ

و"شكاً" نُصب على المفعول له، كأنه قال: إن تسأل عن معارفها لشك في معارفها، ثم حذف الأول لنيابة الثاني عنه. ويجوز أن يكون حالاً، نحو: شاكاً في معارفها.

والمعارف: كالمعالم، وقد تقع على الوجوه، وقالوا في الوجه: مَعْرِفٌ؛ لأنه الموضع الذي تقع فيه المعرفة.

(٣) لَا تَجْزِي بَضْنِي بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبٍ

ترتيب الكلام: لا تجزني بقر تجزي دموعي مسكوباً بمسكوبٍ بضني بي بعدها. وقوله: "لا تجزني" جزم؛ لأنه صدر على لفظ النهي بمعنى الدعاء، كما تقول: لا ينلك شرٌ.

والغرض: أنه يظهر الإشفاق عليهن، فيقول: أسأل الله ألا يكون من هذه النساء مقابلةً في مجازاتي بالمرض الذي أصابني/ بعدها، كما يُجَازينَ بالدموع. وذلك أن الدموع قد توجد ولا ضرر لاستدعائها تكلفاً، وليس كذلك الضنى والدَّفْن؛ لأن ذلك إذا وُجد أثر وضرر.

1/93

(١) أي المتنبي، ديوانه ٤٢٨.

(٢) صدره: نحن أدري وقد سألنا بنجد

و(جزيت) يتعدى إلى مفعولين في قولهم: جَزَيْتُ زَيْدًا خَيْرًا بخير، بمنزلة قولك: أعطيتُ زَيْدًا خَيْرًا بدلَ خيرٍ. وقد يتعدى إلى مفعول واحد، نحو قولك: جزيت واحدًا بواحد، بمنزلة قولك: جازيت واحدًا بواحد، وقابلَ خيرًا بخير.

فقوله: "لا تجزني بضئى" قد حذف فيه المفعول الثاني، كأنه قال: لا تجزني ضئى بضئى بعدها.

وأما قوله: "تجزى دموعي مسكوبًا بمسكوب" فعلى وجهين:

أحدهما: أن تكون "دموعي" بمنزلة زيدٍ في قولك: جزيت [زيدًا] خيرًا، فكأنه جعلها هي التي تأخذ الجزاء والعوض، كما يأخذ زيدُ الخير^(١)، فكأنه قال: إذا أظهرتُ دموعي مسكوبًا جَرَّتْهَا بمسكوب.

والوجه الثاني: أن يكون "مسكوبًا" بدلًا من "دموعي"، فيكون جَرَى متعديًا إلى مفعول واحد، فكأنه: تجزى دموعي مسكوبًا منها بمسكوب، كما تقول: تجزى دموعي بدموع، فكأنه قال: تجزى مسكوبًا من الدموع بمسكوب، كما تقول: ضربت زيدًا اليدَ والرجلَ، تريد: اليدَ والرجلَ منه، فيجري مجرى قولك: ضربت اليدَ والرجلَ من زيد.

ويجوز أن يكون قوله: "لا تجزني" نهياً صريحاً، ولا يكون على الدعاء، فكأنه قال لبقر تجزى دموعه^(٢): لا تجزيني نصبًا بعدك. ويكون جعلها قادرةً على مُلابسة الضئى والدخول في عنائه، ثم قال مع ذلك: إِيَّاكَ وَأَنْ تَحْمَلِي مَا يَضُرُّكَ؛ تحريًا لمجازاتي. وهذا أبلغ في الإشفاق.

(١) في الأصل (كما يأخذ زيدًا بخير)، لعل صوابه ما أثبت، وغير بعيد أن يكون أصل العبارة هكذا: (كما يأخذ زيد الخير، في قولك جزيت زيدًا بخير)، فحدث سقط.

(٢) في الأصل (يجزى دموعي)، لعل الصواب ما أثبت.

ويوضح هذه الطريقة قول البحتري^(١):

أُعِيذُكَ أَنْ تُضَيَّ بِشَكْوَى صَبَابَةٍ وَإِنْ أَكْسَبَتْكَ مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ
وَيَحْزِنُنِي أَنْ تُغْرِفِي الْحَبَّ بِالْجَوَى وَلَوْ نَفَعْتَنَا مِنْكَ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ

ألا تراه أحبَّ أن لا يصيبها ما يُورث ضيَّ، وإن كان ذلك التعبُ مما يقربها إليه،
ويمكِّنه من نيل المطلوب من وصالها؟ فاعرفه فإنَّه واضحٌ.

وليس^(٣) يناسب هذا البيت قوله^(٤):

أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتَ مِنْ جَزَعٍ وَلَمْ تُجَيِّ الَّذِي أَجَنَنْتَ مِنَ أَلَمٍ

لأجل أن القصدَ فيما نحن فيه الإشفاقُ عليهن، والتمني ألا تكون مقابلةً
بالضنى بإزاء المقابلة بالدموع. وأما الأول فإنه ردُّ عليها، وضربٌ من العتاب، فكأنها
ادَّعت أنها تعاني ما يعانيه المتنبي من الوجد والكمد، فقال: إنكِ شاكِلتني ظاهراً
وخالفتِ باطناً.

وليس "أبديت" على الدعاء، ألا ترى أنه قال: و"لم تجي"؟ وذلك لا يصلح للدعاء،
وإنما يختصُّ بالدعاء (لا)، وذلك أن الأصل أن تقول: لا يفعل الله كذا، فإذا قيل: لا فعلت،
ولا فعل، فنقل إلى لفظ الماضي، كان مجازاً. فلما كان كذلك بنوا^(٥) على الحرف الذي هو
عَلِمَ النَّهْيُ؛ مراعاةً للأصل، وامتناعاً من أن يُرى قصوره من كلِّ وجه^(٦).

(١) ديوانه ١/١٠٥.

(٢) رواية الديوان (تمني).

(٣) كأنه يرد على ابن جني وابن فورجة اللذين جعلاه مثله. الفسر ١/٥٣٥، والفتح على أي الفتح ٦٤.

(٤) ديوان المتنبي ٣١.

(٥) أي: جزموا. وفي الأصل (سواً)، لعل صوابه ما أثبت.

(٦) أي: جزم الفعل والمراد به الدعاء؛ مراعاةً لأصل (لا)، ولكي لا يقصر حرف النهي عن عمله
ومعناه معاً.

(٤) سَوَائِرُ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَاجِهَا مَنِيْعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبٍ
(٥) وَرُبَّمَا وَخَدَتْ^(١) أَيْدِي الْمَطِيِّ بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَضْبُوبٍ
/ "سوائر" صفة "بقر".

93/ب

والمعنى: أنهن كرائم، وليس من اللواتي يُوصل إليهن، بل لها من يدفع عنها،
ويُطاعنُ دونها، حتى قد جَرَتْ رواحِلُها على دم فرسانٍ تعرّضوا لها.
وهذا معنًى قد كرّره المتنبي في شعره، كقوله^(٢):

عَدَوِيَّةٌ^(٣) بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ

ووجهُ الحكمة في اشتراط ذلك أنه إذا تعرّضَ للممنوعة الشريفة دلّ على الكرم
من وجهين:

أحدهما: أنه لا يعرّج على اللئيمة المبتذلة. والثاني: أن قصده لكل ما [لا] يتوصّل
إليه إلا بالخطر من الجسارة.

(٦) كَمْ زُورَةٌ لَكَ فِي الْأَغْرَابِ خَافِيَةٍ أَذْهَى، وَقَدْ رَقَدُوا، مِنْ زُورَةِ الذُّيُبِ!

أخذ يخاطب نفسه، فيقول: كم قصدت الحبيب الذي هذه صفته في عز أصحابه وقوة
الدافعين دونه.

وجعل الزورة أذهى [من] زورة الذئب؛ لأن الذئب كثير المكر والهجوم على مغافصة^(٤).

(١) الوحد سيرسريع. الفسر ٣٥٦/١.

(٢) ديوانه ٤٢.

(٣) عدوية: منسوبة إلى بني عدي.

(٤) يقال: غافص الرجل مغافصة: أخذه على غرة فركبه بمساءة. اللسان (غفص).

وأما إعراب البيت فهو: أن "لك" صفة "لزورة"، و"في الأعراب" متعلق بما في "لك" من معنى الفعل، كأنه: كم من زورة وقعت لك في الأعراب خافية. و"أدهى" خبر، كقولك: كم غلام لك أفضل من زيد.

وأما "[و] قد رقدوا" فحال، عامله "أدهى"، فكأنه قال: كم زورة لك خافية في الأعراب هي أدهى عليهم راقدين من زورة الذئب. ولا يكون فصلاً بين "أدهى" وصلته التي هي "من"؛ لأنه إذا كان معمول "أدهى"، كان من تمامه، فيكون بمنزلة قولك: زيد أقوى سائراً من عمرو، فيكون (سائراً) حالاً من (أقوى)، ويكون (أقوى) في رتبته.

ولا يجوز أن يكون "وقد رقدوا" حالاً من "لك" حتى كأنه: كم زورة كانت لك في الأعراب راقدين أدهى من زورة الذئب؛ لأن [نك] تفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي من وجهين:

أحدهما: أن "قد رقدوا" إذا كان معمول "لك" كان أجنبياً من "أدهى" فإذا أوقعته بين "أدهى" و"من" فصلت بين الشيء ومعموله بالأجنبي، ثم إن (من) أشدّ المعمولات اتصالاً؛ إذ لا يتم (أفعل) إلا به، فالفصل أقبح. وأما قولك: هذا خير - والله - من زيد، فليس فصلاً بالأجنبي؛ لأجل أن ([و] الله) جملة غير معمولة لشيء، وإنما جاءت تأكيداً لما قصدت من الكلام، فهي في المعنى ملابسة، فيجوز الفصل بها؛ إذ لا تكون أجنبياً على الإطلاق.

والوجه الثاني: أن "أدهى" ليس من "لك" في شيء؛ لأنه خبر "كم" ولا عمل لقول [له] "لك" فيه، فإذا جعلت "قد رقدوا" معمول "لك" كان "أدهى" فصلاً بين العامل والمعمول بالأجنبي!

فإن قلت: إن المعمول جملة لا يظهر فيها الإعراب، فهو ضعيف!

فالجواب: أن العامل -أيضاً- معنى فعل، وليس بفعل صريح، وقد تساويا.

ولا يجوز أن يكون "وقد رقدوا" حائلاً من "زورة الذيب" [أي: زورة الذئب] لهم راقدين؛ لأن ما يتعلق بالمصدر لا يتقدم عليه. ولا معنى للحمل على هذا مع وجود الطريق اللاجب.

(٧) أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتَنِي وَيَبَاضُ الصُّبْحُ يُغْرِ بِي^(١)

قال: "أزورهم" حملاً على الأعراب.

والمعنى: أن وفد الليل إذا نزل أسبل أستار الجفون على الأبصار، ثم إن أدرك جلابب الظلام، فتخفى معالي، فهو -إذا- شفيعي وناصري في حال القصد، فأما في المنصرف فإن الصبح تفتراً أو ضاحه، فتهدى النواظر إليّ، وتمكنها من أن تتصرف في. فهو كالخصم الذي يحث على طلبي، وينبّه العدة على مكاني!.

وقد أعاد هذا المعنى، / فقال^(٢):

٩4/أ

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ تخبرُ أن المانوية تكذبُ

(١) إلى يسار هذا البيت حاشية بخط مخالف، أنقلها -هنا- لقيمتها:

هذا البيت أحسن ما اخترع في هذا المعنى، وقد أتى به جماعة ممن تقدمه، فلم يوفوه حقه، وذلك أنه استوفى الغرض، بأحسن لفظ، وأعذب عبارة، فجعل سواد الليل شفيعاً له، وبياض النهار مغريباً به. وقد قال الأول إلا أنه لم يأت به على هذا الكمال، فإنه اقتصر على ذكر الليل، فقال:

قالت الليل موعداً لك منا فارقب الليل إن أردت اللقاء

وجاء ابن المعتز، فجمع بينهما، فقال:

والشمس نامة والليل قواد

إلا أن في لفظه سخفًا. وأما المتنبي فإنه تناول هذا المعنى من الحضيض، فعلاً به على السماء، وفاق على كل أحد.

(٢) سيأتي قريباً، ويوضح معناه البيت الذي بعده:

وقاك ردى الأعداء تسري إليهم وراك فيه ذو الدلال المحجب

وقال^(١):

وكنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرِيْتُ، وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ

وحكى أبو الفتح^(٢) عن المتنبي أنه قال: قال ابن حنابلة^(٣) وكان رجلاً كثيراً الكتب لما قلت هذا البيت: أخذت أنا وأصحابي نفثش الكتب؛ لنعثر على ما انتزعته منه، فلم نظفر به. قال^(٤): وجدت لابن المعتز مصراعاً:

فَالشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ

تمامه^(٥):

لَا تَلِقَ إِلَّا بَلِيلَ مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ

وهذا المعنى شائع فيهم، وقد ضربوا المثل فقالوا: "أقود من الليل"^(٦)، لكن المتنبي قد أفرغه في قالب عجيب الاستواء، وألبسه حلياً موفوراً البهاء، ثم لما كرّره أخذ به في طريقة لم يعرها من حلة الإبداع، وأوضحه بقوله: "فكنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ".

(٨) قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيْبٍ^(٧)

(١) للمتنبي، ديوانه ٢٤٨، من قصيدته الأولى في مدح سيف الدولة.

(٢) الفسر ٥٣٨/١.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) أي: أبو الفتح، وعبارته -كما في الفسر-: "فوجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين ضعيف جداً، فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالته لفظه وحسن تأليفه".

(٥) ديوانه ٣٤٢/١.

(٦) جمهرة الأمثال ١٣٢/٢، ومجمع الأمثال ٥٣٢/٢.

(٧) التقويض: حط الخيام، والتطنيب: هو شد الأطناب عند البناء.

السُّكْنَى مصدرٌ كالبُشْرَى والرُّجْعَى. فكأنه قال: قد وافقوا الوحش في أن سكنوا مراتعها. والفصل أنهم أهل بادية، فمنازلهم منازل الوحش، وإنما ترتفع المشاكلة بينهم وبين الوحش من جهة أن لهم خياماً تُقلع مرة وتُضرب أخرى، وليس ذلك للوحش.

(٩) جِيرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِلِهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصْحَابِ

أي: أنهم وإن كانوا في صفة الجيران فهم شرّ جيران؛ لأنهم لا يحافظون عليها، ويصيّدونها. "وجيرانها" خبر مبتدأ، كأنه: هم جيرانها. وقوله: "وهم شرّ الجوارلها" على وجهين^(١):

أحدهما: أن يكون بمنزلة قولك: شرّ جوارهم لها، بمنزلة قولك: ومجاورتهم لها شرٌّ، "فلها" معمول الجوار، بمنزلة أن تقول: شرّ جوارهم إيّاها.

والثاني^(٢): أن يكون الجوار وقع على المجاورين، على تقدير المضاف، نحو: جيرانها وهم شرّ ذوي الجوارلها، ويكون "لها" -أيضاً- متعلّقاً "بالجوار"، إلا أن الجوار لا يكون مرفوعاً على المعنى؛ إذ يكون المعنى: وهم الأشرار من ذوي الجوارلها، ومن الذين يجاورونها.

والوجه الثالث: أن يكون وهم شرّ الناس لها، فلا يدل حينئذ على جوارها دون جوار غيرها؛ إذ لا يريد أن يقول: هم الأشرار من ذوي جوارها^(٣)، وإنما يريد: هم الأشرار لها من بين ذوي الجوار^(٤). [ويكون "لها" متعلّقاً "بشر"] كما أن قوله: "وهم شرّ الأصحاب" [أي] لها، على أن يكون "لها" معمول "شر"، بمنزلة أضرب في قولهم: هم أضرب الأصحاب لها.

(١) ذكر ثلاثة أوجه.

(٢) الفسر ٥٤٠/١، وشرح الواحدي ٦٣٥.

(٣) في الأصل (جوارهم).

(٤) أي: من بين الناس.

ويجوز - على الوجه الأول - أن تقدّر: وهم شرّ الأصحاب لها. على أن يتعلق لها بالأصحاب؛ لأن فيه معنى الفعل؛ إذ هو كقولك: وهم شرّ المصاحبين لها. والجار من عادته التعلّق بكل شيء تضمّن معنى فعلٍ.

وقريب من ذلك قوله ^(١):

قد كان سيرُ فحلّوا عن حمولتكم إني لكلّ امرئٍ من جاره جارٌ ^(٢)

وذلك أن جاراً في حكم الأسماء، ولكنه لما تضمن معنى الفعل نُزِلَ منزلةً معينٍ وحافظ في تعلّق (من) به. كذلك صاحب، قد غلبَ، وصار بمنزلة الأسماء، لكنه لم يتجرد من معنى الفعل، فتعلّق الجار به وبجمعه حسنٌ.

فإن قلت: فأَيُّ الوجهين أحسن؟

94/ب فالجواب: /أنك إذا قلت: "وهم شرّ ذوي الجوار لها، وشرّ الأصحاب لها" على أن يكون بمعنى: شرّ من يجاورها، ومَن يصاحبها، على أن تعلّق (لها) بالجوار والأصحاب، كان في الظاهر بليغاً؛ لأنه يجعلهم أحضّ سكّان البادية على الصيد. وإذا قلت: "شرّ الجوار لها وشرّ الأصحاب" - على أن تعلّق (لها) بنفس (شرّ) بمنزلة أن تقول: شرّ مجاور في الدنيا، وشرّ من يجاور سيئاً لها - كان أبلغ من الأول؛ لأنه يجعلهم لها شرّاً من كلّ من يوصف لها بالمجاورة في الدنيا.

(١٠) فَوَادُّ كُلِّ مُحِبٍّ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَالٌ كُلُّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبٍ ^(٣)

(١) هو أبو حنبل الطائي، شعرطي وأخبارها ٣٨٣/٢.

(٢) الحمولة: الإبل التي يحمل عليها.

(٣) المحروب: المأخوذ الحربية، وهي ماله وذخيرته. الفسر ٥٤٠/١.

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون جعل المحبوب فؤاداً؛ لأجل أنه بلقائه ووصاله يستقرّ، وإذا كان المحبوب فؤاداً جازاً أن يقال: "فؤاد كلّ محبّ في بيوتهم"؛ لأنّ الحبيب فيها.

والوجه الثاني: أن يكون على قولهم للمرأة: سَبَّبتِ قلبي وملكتِهِ، وإذا كان القلب في كفّ الحبيب، كان في الجملة مشتملاً عليه ببيوتهم.

وقد وصفهم بالجمال والكمال، أما الجمال فحُسن نسائهم^(١)، وأما الكمال فامتناعهم من أن يُتوصّل إليها. وذكرهم -أيضاً- بالتصعلك واستلاب الأموال، فجعل مال كلّ إنسان سُلْب ماله في أيديهم.

ولا يجب أن يكون التقدير: ومال كل أخِيذ المال محروبه على الهاء إلى المال، بمنزلة قولك: كل أخِيذ المال محروب المال؛ لأجل أن (حَرَبَ) فعلٌ يقع على صاحب المال كما يقع على المال، [تقول:] حَرَبْتُ زَيْداً ماله، وزيدٌ محروبٌ، ولا تقول: أخذتُ زيداً ماله، ولا: زيدٌ أخِيذٌ ومأخوذٌ، بمعنى المال، بل يكون المعنى في قولك: زيد مأخوذٌ، أنك جعلته بأسرٍ فإذا أردتَ المالَ وجب أن تقول: أخِيذ المال. ولا يجب في محروب ذلك.

(١١) مَا أَوْجُهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِيَّاتِ

(١٢) حُسْنُ الْخَصَاةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيقَةٍ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ

أي: أن الجمال في وجوه الحضريات متكلّف، غير عريق، والحسن في أوجه البدويات حُسْنٌ طبع وخلق، والمطبوع له من الفضل على المتكلّف ما للآدمي على صوره المعمولة مثلاً.

(١) لأنهن ينهين القلوب ويسبين الأفئدة.

و"الرعايب": جمع رُعبوبة، وهي التي تجمع بياضاً وامتلأ. وحكي^(١) عن امرئ القيس أنه قيل له: ما أطيب العيش؟ قال بيضاء رُعبوبة، بالطَّيبِ مَشْبُوبَةٌ^(٢)، بالشحم مكروبة^(٣)! ثم سئل الأعشى^(٤)، فقال: مَطْعَمٌ سَرِيٌّ^(٥) وملبسٌ دَقِيٌّ، ومركبٌ سَنِيٌّ^(٦). فامرؤ القيس قال لشأن الشباب، والأعشى عن المشيب.

وقريب من حديث الأعشى في طلب الأكل، ما حكاه^(٧) - رحمه الله - من أن بعضهم قال^(٨): أَشْتَهِي مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ، فَقِيلَ: وَمَا تِلْكَ؟ فَقَالَ: أَكُلُ بَذْجًا، وَشَرِبَ مِشْعَلًا^(٩)، ونام في الشمس، فلقِيَ الله شَبَعَانِ رِيَّانَ دَفَانًا!

وقوله: "ما أوجه الحضر"، فيه وجوه^(١٠):

أحدها: أن يكون على تقدير حذف المضاف، كأنه: ما أوجه أهل الحضر.

والثاني: أن يكون أضاف الأوجه إلى الحضارة، حتى كأنه قال: ما الأوجه التي تكون في الحضارة.

والثالث: أن يكون الحَضَرُ جمعُ حَضَرِيٍّ، كَنَبَطِيٍّ وَنَبَطٍ، وَسِنْدِيٍّ وَسِنْدٍ، وَرُومِيٍّ وَرُومٍ، فكأنه قال: ما أوجه الحضريين.

٩٥/أ

(١) البيان والتبيين ٢/١٧٨، والفسر ١/٤١٥.

(٢) المشبوبة: التي زاد الطيب برائحته من حسناتها وجمالها، من شبت النار إذا توجهت وارتفعت. اللسان (شبيب).

(٣) المكروبة: المشدودة الممتلئة. اللسان (كرب).

(٤) في البيان والفسر: أنه طرفه، وأما إجابة الأعشى فهي: (صهباء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية).

(٥) في المصدرين السابقين (شهي).

(٦) من السناء: وهو الرفعة. وفي المصدرين السابقين (مركب وطي).

(٧) أي: شيخه الذي يذكره كثيراً.

(٨) الحيوان ٥/٥٠٢، وعيون الأخبار ٣/٢٧٦، وثمار القلوب ١٣٨.

(٩) المشعل: وعاء ينتبذ فيه. الصحاح (شعل).

(١٠) عبارة (فيه وجوه) سقطت من المتن، وأثبتت في الحاشية بخط مخالف، والسياق يتطلبها.

والضمير في "به" يعود إلى مكان الحضر؛ لأن الحضر يدلّ على المكان، فإذا عاد الضمير إليه صار كأنه عاد إلى المكان صريحاً. وإذا قدّرت أنّ "الحضر" جمع حضري كان إضمار مكان الحضر لدليل الحال عليه، بمنزلة قولهم: "من كذب كان شرّاً له"؛ لأنّ الحضريّ يدلّ على مكان الحضارة، كما يدلّ الفعل على المصدر.

(١٣) أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْأَرَامِ نَاطِرَةً^(١) وَغَيْرِ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ؟

يعني أن التفاوت بين نساء العرب والعجم من نمط التفاوت بين المعيز والظباء.

وإنما قال: "أين المعيز من الأرام ناظرة وغير ناظرة" فقيّد بالحال؛ لأجل أن الظباء توصف بحسن النظر، ويُسبَّه بها في حَفَرِ الأَجْفَانِ. فكذا يقول: إن المعيز لا تقارب الظباء نظرت أو لم تنظر.

(١٤) أَفَدِي ظَبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضُغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنَعَ الْحَوَاجِبِ

أي: أنها عارية من أنواع التكلّف، فليس في كلامها تكسّر وتحنّث، كما يكون في الحضريات، ولا سوادٌ حاجبها بمجلوب، بل جميع أوصافها طبع.

وأشبع كسرة الجيم من الحواجب كما قال^(٢):

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيِ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادَ الصَّيَارِيفِ

هو الصَّيَارِفُ.

وهذا الإشباع يكون في الشعر، كما يكون فيه عكسه، وهو القصر، نحو ما تقدّم في قوله: "جلايبا"^(٣).

(١) المعيز: مثل المعزي والمُعَز والمُعْزاء. والأرام: الظباء البيض، واحدها (ريم).

(٢) هو الفرزدق، ديوانه ٥٧٠.

(٣) انظر صفحة: ٣٠٠.

(١٥) وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ رَاكُهُنَّ، صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِيبِ
"مائلة" حال من الضمير في "برزن".

"أوراكنهن" مرفوعة "بمائلة"، كما تقدّم من قولهم: مررت بهند قائماً غلامها.

وأما قوله: "صقيلات العراقيب"، فالجمع^(١) بمنزلته في قولك: مررت بنساء حسنات الوجوه، الأصل: حسن وجوهها، ثمّ لَمَّا نُقِلَ الفعلُ إلى صواحب الوجوه جَمَعَ، تقول: مررت بنساء حسنات، إذا لم تذكر الوجوه.

غير أن هنا شيئاً آخر: وهو أن صقيلاً فاعيل، وفاعيل صفةٌ لا تلحقه التاء، ولا يُجمع بالألف والتاء، فلا يقال: قتيلات، كما لا يقال في المذكر: قتيلون؛ لأن هذا قد خرج من شَبِه الفعل، فلم يلحقه ما يلحق أسماء الفاعلين.

وإنما التاء^(٢) إذا لم يجر على موصوف، نحو أن تقول: مررتُ بقتيلة، فينزل منزلة الاسم. والحال بمنزلة الصفة؛ لأنه يجري على ذي الحال، فإذا قلت: مررت بهند قتيلاً، كان بمنزلة أن تقول: بامرأة قتيلا. فكان الوجه: مائلة أوراكنهن صقيل العراقيب، أو مصقولات، غير أنه جمع، وحسّن ذلك لأمرين:

أحدهما: أَنَّ صقيلاً -هنا- في المعنى بمنزلة نفيس، فيجوز أن تلحقه التاء، كما قالوا: حميدة، إذ كان في المعنى كرشيدة، ولأنهم قد أجروا صقيلاً مجرى كريم، فجمعوا على فعال، ككريم وكرام، وظريف وظراف، فقالوا: صقال، كما قال^(٣): بِمُرْهَفَةِ الصَّقَالِ^(٤).

(١) في (صقيلات).

(٢) أي: وإنما تلحقه التاء إذا ...

(٣) رجل من بني عقيل، الحماسة بشرح المرزوقي ١/ ١٩٩، والتذكرة السعدية ٦٢. والبيت بتمامه:

بَكَرِهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرُو نَعَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ الصَّقَالِ

(٤) في المصدرين السابقين (بمرهفة صقال)، وأشار المرزوقي إلى رواية الشارح.

والثاني: أن الحال لا يجري على ذي الحال لفظاً كما تجري الصفة، أعني أنك إذا قلت: مررت بامرأةٍ قتيلٍ، كان إعراب الصفة كإعراب الموصوف. وليس إعراب الحال كإعراب ذي الحال، ألا تراك تقول: جاء زيدٌ راكباً، فيكون الحال منصوباً، وذو الحال مرفوعاً. وإذا كان كذلك، كان مُشبهًا لقولهم: مررتُ بقتيلةٍ، في أنه في الظاهر لم يجرِ على متبوع، فيُلحق التاء، ويُجمع.

/ويزيد وضوحه ما قال صاحبُ الكتاب^(١) من أن قولهم: مررت بزيدٍ أسداً، أحسنُ من قولك: مررت برجلٍ أسدٍ؛ وذلك أن الحال خبرٌ، والخبر يكون اسماً نحو قولك: زيد أخوك، والصفة لا تكون من الأسماء الصريحة، وإنما تكون من الأسماء المشتقة من الفعل، والمناسبة له، كقائم وضارب وأحمر وأصفر. فإذا وصفتَ فقلت: مررت برجلٍ أسدٍ، حملاً على شديد، [لم] يحسنُ حُسْنَ الحال. وتقول أيضاً: مررت برجلٍ صاحباً لك، ولقيته عبداً لك^(٢)، ولا تكاد تجد أحداً يقول: مررت برجلٍ صاحبٍ، وبرجلٍ عبدٍ. فكَذلك يجوز أن تقول: خرجتُ صقيلاتٍ، وخرجتُ صقيلةً، ولا يكون كقولك: مررت بامرأةٍ قتيلة.

95/ب

(١٦) وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً^(٣) تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِييٍ غَيْرِ مَخْضُوبٍ

(١٧) وَمِنْ هَوَى الصَّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِي فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبٍ

هذا مليحٌ من طريق الصنعة.

فالمقصود أن حبي لما كان مقصوراً على اللواتي ليس من عاداتهن التصنع في التزيّن، وكنّ متلفعات برداء جمالي غير مجتلب، لم أؤثر أن أغَيّر الخلقَةَ، وأكسَوَ بياضَ الشيب صبغَ الشباب المستعار؛ لأن التّمويه لا يروع^(٤) على مَنْ يتعاطاه أولاً، [ثم] لأني لم أحب مخالفتها بوجه.

(١) الكتاب ١/٤٣٤، ٢/١٧.

(٢) الكتاب ٢/٢١٢، ١١٢.

(٣) التّمويه: التلبيس والإخفاء، وأصله من طلاء الحديد أو النحاس بالذهب أو الفضة. القاموس (موه).

(٤) الرائع هو الذي يأخذ بجماله وبهائه.

ثم أكد ذلك بالبيت الثاني وهو قوله:

ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبتُ عن شَعْرِفي الوجه مكذوب

يعني: أن هوائي لما كان صادقاً، لم تسمح نفسي بأن أكون كاذب اللون.

وشعرٌ مكذوبٌ، على معنى: مكذوب فيه، ثم حذف الجار، فاستكنَّ الضميرُ، كأنه قيل: كُذِب فيه، ثم كُذِب كضرب، ثم مكذوب كمضروب. ومنه قوله^(١):

لهادُمُ الودجِ الذبيحُ.

الأصل: المذبوحُ له، ثم المذبوحُ، ثم الذبيحُ.

(١٨) لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذْتُ مَنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَيْتُ وَتَجَرَّبِي

(١٩) فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّيْبِ

يقول: إن الإنسان يوصف بالحلم إذا ارتدى بالمشيب، فليت الأيام أخذت مني الحلم الذي حصل من المشيب، وردت عليّ المسلوب من الشباب، فإن الوقار ليس مما ينافيه الحداثة.

وقال "بحلمي الذي أعطت"، فوصف بالذي؛ لأنه يجعل لنفسه حلماً غريباً^(٢)، فيقول: ليت الحوادث لم تعطني هذا الحلم الذي اكتسبت من تصرفها، فإن الحلم العريق يكفي!.

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي، شرح أشعار الهذليين ١/١٧٢.

والبيت بتمامه:

إذا فضت خواتمها وفككت يقال لها: دم الودج الذبيح

(٢) منسوب إلى (الغريزة)، أي: الجبلة والطبيعة.

ولله درأي تمام حيث يقول^(١):

أصبحت روضة الشباب هشيما غدت ريحه البليلُ سُموماً^(٢)
شعلةً في المفارق استودعتني في صميم الفؤادِ نُكلاً صميماً
تستثيرُ الهمومُ ما اكتنَّ منها صعداً، وهي تستثيرُ الهموماً
غرةً مرةً^(٣)، ألا إنَّما كُنْ تُأغراً أيامَ كنتُ بهيماً
حلَّمتُني - زعمتُهم - وأرانني قبلَ هذا التحليمِ كنتُ حليماً
دقةً في الحياة تُدعى جلالاً مثلماً سُمِّي اللديغُ سليماً

فهذا مع حسن طريقته، يكاد يزيد بيت المتنبي عذوبةً واختصاراً.

(٢٠) / ترعرع الملك الأستأذ مُكتهلاً^(٤) قبلَ اكتهالِ، أديباً قبلَ تأديبِ

96أ

هذا مدح رفيع. ألا تراه ذكر أن الشباب قد يصاحبه الحلم، ثم ضرب المثل بالمدوح، ونصبه حجةً على دعواه؟ فقال: ترعرع... البيت، وذكر أن رأيَه رأيُ الشيوخ بياناً وصحةً، وإن كان شاباً، فهو مكتهل: عزمًا وحلمًا، وأديب: علمًا وفهمًا، من غير تأديب، بل الأدب طبعٌ له.

وقد تقدّم نحو هذا، وهي ينتمي إلى عرق قوله^(٥):

خَليلي، إني لا أرى غيرَ شاعرٍ فلمَ منهمُ الدَّعوى ومَنِّي القصائدُ
فلا تعجباً؛ إنَّ السيوفَ كثيرةٌ ولكنَّ سيفَ الدولة اليومَ واحدُ

(١) ديوانه ٢٢٣/٣.

(٢) الريح البليل: الريح التي فيها شيء من المطر. والسموم: الحارة الجافة.

(٣) هذه إحدى روايتي الديوان، والرواية الأخرى "غرة بهمة"، وهي أجود؛ لأن معنى البيت مبني على التضاد.

(٤) ترعرع: شب وأيفع. واكتهل: اكتمل واشتد.

(٥) أي: المتنبي، ديوانه ٣١٢.

وذلك أنه قصد بقوله: "ليت الحوادث" والبيت الذي يليه، أن يقول: إن حلمه أصيل، وأن الحلم الذي خولته الأيام لا يهّمه^(١) شأنه، ثم [أكّد] ما أراد من مدح نفسه بالمدوح! كما أنه وصف نفسه هناك بالانفراد بمحاسن الشعر، وأخذه قصب السبق فيه، ثم احتجّ على ذلك بأن المدوح مشارك للسيوف في الاسم، ولكنه الأوحّد، فذلك هؤلاء شركائي في التسمية وأنا العَلَم في الصناعة!

فانظر إلى لطافة غوصه! فقد جمع بين مدح نفسه، والتخلص، ومدح المقصود، في موضع واحد! ولو أنصف هذا الرجل لوجب أن يُفضّل على كثير ممن قبله ولكنّ الإنصاف في الناس معدوم!.

(٢١) مُجَرَّبًا فَهَمَّا^(٢) مِنْ قَبْلِ^(٣) تَجْرِبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ قَبْلِ تَهْذِيبِ

إذا قيل: "فهما" - بفتح العين - احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون كالفهم بالكسر.

والثاني: أن يكون نصباً على التمييز، ويكون بمعنى: مجرّب الفهم، حتّى كأنه قال: مجرّباً فهمه، كما أن قولك: [تصبّب عرقاً، بمعنى]: تصبّب عرقه.

أي: أنّ فهمه مجرّب، وإن لم يكن له عادةً سابقة في التجارب، فهو مطبوعٌ على صحّة العزم، ومتجرّد الرأي من صدأ العرارة^(٤).

(١) في الأصل (لهمة)، تحريف وتصحيف.

(٢) ويروى (مجرّباً فهماً) التبيان ١٧١/١، ومعجز أحمد ٥٠/٤، والروايتان في الديوان ٤٤٨. وكلام الشارح يشير إلى رواية الكسري (فهماً).

(٣) عند الواحدي ٦٣٦ (من غير تجربة). وفي النظام ق/٤٢٢ (من غير) في الموضعين، وذكر صاحبه رواية (من قبل ...) في الموضعين أيضاً.

(٤) العرارة: الحداثة وقلة التجربة، يقال: فلان غرّ، أي صغير أو جاهل غير مجرب. انظر الصحاح (غرر).

وكذا يكون قوله: "كرماً" مرفوعاً في التقدير، كأنه: مهذباً كرمه، كما تقول: مهذب الكرم.

وإن جعلت "فهماً" صفةً، اقتضى حكم المشكلة أن تجعل "كرماً" صفةً أيضاً؛ لأنه يقال: مررتُ برجلٍ كرمٍ ورجالٍ كرمٍ، كما قال^(١):

وَأَنْ يَغْرِينَ إِنْ كَسِيَ الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عَجَافٍ^(٢)

وحكمه حكم صوم وعدل.

والثالث: أن يكون "فهماً" و"كرماً" نصباً على المفعول له، فكأنه قال: مجرباً لفهم من قبل تجربة، ومهذباً [لكرم] من قبل تهذيب.

(٢٢) حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاءَاتٍ وَتَشْيِيبٍ^(٣)

أي: هو نهاية في العزم وعلو المغزى، حتى أناف على غاية الدنيا، وهمه بعد نيل الغاية في حكم الابتداء، فهامة النجم عنده بمنزلة مفرق الأرض!

(٢٣) يُدَبِّرُ الْمُلُوكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنِ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضُ الرُّومِ فَالنُّوْبِ

(٢٤) إِذَا أَتَتْهَا الرِّيحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ فَمَا تَهْبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْيِبٍ!

(٢٥) وَلَا تَجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبٍ!

/الضمير المؤنث في "أنتها" يعود إلى هذه الممالك.

96/ب

(١) هو عيسى بن فاتك الخارجي، ديوان الخوارج ٧١.

(٢) يتحدث الشاعر في هذا البيت -والأبيات الأخرى- عن الأسباب التي تمنعه من الخروج إلى القتال، وما يلحق بناته بعده من الفقر والعري.

(٣) التشبيب: ابتداء كل أمر.

وإذا كانت الرياح التي كان من سَمِّهَا الميل والامتناع من استقامة الهبوب، تتكَلَّف فيها ما لا تعتاده من الجري المستقيم، فذلك نهايةٌ في السياسة. والتغريب: بمنزلة الغروب، كما قال^(١):

فأصبحتُ من ليلَى الغداة كناظر من الصبح في أعجاز^(٢) نجم مغرب

وذلك أنهم يقولون: غربَ وشرقَ، إذا مضى في الشرق والغرب، وكذلك النجم وما أشبهه إذا جنح إلى ناحية المغرب، فقد مضى فيه. فالتغريب^(٣) يجري مجرى الغروب.

(٢٦) يُصْرَفُ الأَمْرُ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ

"تطلَّس" أي: اندرس. أي: أنه من السياسة بحيث تمضي الأمور بختمه، وإن كانت الكتابة مندرسةً، اقتصاراً على محلّ الختم الذي هو الطين.

والضمير في "منه" يعود إلى الطين، لا إلى الخاتم.

(٢٧) يَحْطُّ كُلُّ طَوِيلِ الرُّمَحِ حَامِلُهُ مِنْ سَنَجٍ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْْبُوبُ

الضمير في "حامله" يعود إلى الخاتم.

يقول: صاحب هذا الخاتم يحطُّ كلُّ فارسٍ عظيم الشأن عن كلِّ فارسٍ جريءٍ رحب الباع؛ لأنه يأمرُ بقتله^(٤). أو أنَّ كلَّ واحدٍ يذلُّ له، فينحطُّ عن فرسه لخدمته^(٥).

(١) هو المجنون، ديوانه: ٧٩.

(٢) في الديوان (مع الصبح في أعقاب ...).

(٣) في الأصل (وغرب)، لعل صوابه ما أثبت.

(٤) انظر: الفسر ٥٥٢/١.

(٥) قال الواحدي: "لم يعرف ابن جني هذا، فقال مرة: (يقول: يقتل حاملُ خاتمه كلَّ فارس). وقال مرة: (يحط حامل خاتمه أعداءه عن سروجهم)، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء"، ثم اختار أن يكون المعنى: "إذا رأى خاتمه سجد له، فينزل من فرسه" ٦٣٧. وما اختاره قريب من المعنى الثاني الذي ذكره الشارح.

ويحتمل أن يكون "حامله" كناية عن الإصبع^(١)، حتى كأنه يقول: إن الإصبع منه يحطُّ الفارس. وليس بالواضح.

واليعقوب^(٢): يَفْعول من عَبَّ، كما قالوا: سَبُوحٌ^(٣).

(٢٨) كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصٌ يُوسَفُ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ!

أي: أنه يرتاح للسؤال كما ارتاح يعقوب لقميص يوسف.

و"في مسامعه" صفة "السؤال"، كأنه قال: كلُّ سؤالٍ واقع في مسامعه قميصُ يوسف واقعاً في أجفانِ يعقوب، فيكون حكايةً حال، كقولك: كأنَّ زيداً الساعةَ عمروً قائماً أمس في الدار.

(٢٩) إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبٍ

وصفٌ بالكرم وفرط الانصباب إلى العفو والصفح. فيقول: إن أعداءه إذا نازعوه بالسؤال غلبوا.

وينبغي أن يكون "غزته" على موجب العرف، أعني أن يكون للحرب، لا على أن يكون على الأصل (الذي هو القصد)، لأن الصنعة توجب ذلك، ألا تراه جعل المسألة جيشاً؟ والقصد بالجيش هو الحرب بلا شبهة. وهذا شائع، ويوضحه قوله^(٤):

أَعْدَاؤُا رِمَاحًا مِنْ خَضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشُ^(٥) حَتَّى رَدَّ غَرْبُ الْفَيَالِقِ^(٦)!

(١) هذا قريب من قول ابن القطاع، الذي يرى أن الهاء في (حامله)، يعود إلى كافور (التبيان ١/١٧٢)، ونسبه صاحب النظام ق/٤٢٣ لأبي البقاء العكبري.

(٢) الذي يجمع سرعة وصوتاً؛ لأن العب هو صوت الماء عند الغرف أو الشرب.

(٣) السبوح: السريع الجري، كأنه يسبح في عدوه. ومثله: الساج.

(٤) أي: المتنبي، ديوانه ٣٩٠، من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويذكر ظفره ببني كلاب وأحلافهم.

(٥) في الديوان (الخيال)، وأشار محققه إلى رواية (الجيش).

(٦) الفياق: جمع فيلق، وهي الكتيبة الكثيرة السلاح. وغرب كل شيء: حده. التبيان ٢/٣٣١.

(٣٠) أَوْ حَارَبْتَهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدَمَةٍ مِمَّا أَرَادَ، وَلَا تَنْجُو بِتَجْيِيبٍ^(١)

التجيب: الانصراف عن الانهزام.

يقول: إذا قصدته العداة في رِيِّ الحرب، لم تسلم مما يريد من حلّ عقال الردى فيهم^(٢) تقدّموا للمصاع أو هربوا تجيباً للقراع.

والتقدمة: مصدر قدّم. ووصفه^(٣) بمعنى الإقدام والتقدّم، لأن المُقَدِّم مُقَدَّمٌ لنفسه. كما أن التجيب هو في الحقيقة من جبّ إذا قطع، فكأنه يقطع نفسه عن الحرب، ويفرّ.

(٣١) أَضْرَتْ^(٤) شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كِتَابِيهِ^(٥) عَلَى الْحِمَامِ، فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ

/ يقول: قد مرّت^(٦) شجاعته الشجاعة في جيوشه، حتى التي هي أبعدُ عساكره منه، فليس يحيدُ عن غمرة الموت أحدٌ.

1/97

(٣٢) قالوا: هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ! قُلْتُ لَهُمْ: إِلَى غُيُوثِ يَدَيْهِ وَالشَّائِبِ^(٧)!

"الغيث": يجب أن يكون كنايةً عن سيف الدولة^(٨)، فكأنه قال: قيل لي: عدلت عن سيف الدولة الذي هو الغيث إلى كافور، فقلت: بلى، عدلت عن هذا الغيث الذي ذكرتموه إلى غيوث يديه وشآبيبها، فإنها أغرّز مادّةً وأشرف عائدةً.

(١) ويروي (بتجيب) من خبب فلان نفسه، إذا بعد. معجز أحمد ٥٢/٤. ويروي (بتجيب) من الاجتناب. النظام ق/٤٢٣.

(٢) حلّ عقال الردى، أي: أطلق الموت عليهم.

(٣) لعله: ووصفهم.

(٤) من ضري بالشيء، وأضرّيته عليه، إذا اعتاده. شرح الواحدي ٦٣٧.

(٥) فسر الواحدي (أقصى كتابه)، بمعنى: الجبناء الذين لا يشهدون القتال (الموضع السابق).

(٦) مرى الضرع: إذا مسحه ليدّر لبنه. اللسان (مرى).

(٧) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهي الدفعة الشديدة من المطر.

(٨) وبهذا فسره عامة الشراح، وخالفهم ابن فورجة، فجعل الغيث كناية عن أرض الشام، وهي كثيرة المطر... فهجّرها الشاعر إلى أرض مصر، وهي أقلّ مطراً. الفتح على أبي الفتح ٦٤، ٦٥.

"فإلى غيوث" متعلق بفعل محذوف دلّ عليه الحال، كأنه: هجرت إلى غيوث يديه، وهذا هو العادة في الجواب، يقال: مَنْ ضربت؟ فتقول: زيداً، تريد: ضربتُ زيداً.

(٣٣) إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدَّوْلَاتِ رَاحَتُهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ

أي: أنه سمحُ بالممالك التي تُعدُّ كلُّ واحدةٍ منها دولةً، ولا يعتدُّ بشيءٍ مما يُحوِّله.

وذكر أنه عرَّض بسيف الدولة في حديث المِنَّة^(١).

(٣٤) وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يَمْنَعُ مَوْفُورًا^(٢) بِمَنْكُوبٍ

أي: أنه لا يسوق الغدر إلى أحدٍ؛ ليفرَّغ غيره، ويعتبر. وكذا لا يحلُّ نكبةً بإنسان، فينقضُّ بذلك على الموفور سلامته، ويحدث في قلبه فرعاً وخوفاً؛ من حيث لا يأمن أن يحلَّ به ما حلَّ بصاحبه الذي نكبه.

(٣٥) بَلَى، يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ^(٣).

إنه يفرِّغ صاحب جيشٍ بآخر يقتله، فيجعلُه عبرةً لأمثاله ووعظاً لأقرانه.

وترتيب الكلام: بلى، يروع بذي جيشٍ يُجدِّله في أحَمِّ النقع غريب ذا مثله. والهاء في "مثله" يعود إلى الجيش، كأنه: يروعُ بذي جيشٍ ذا جيشٍ مثله.

وفي قوله: "ذا مثله" استكراه.

(٣٦) وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَا لِي كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرِيٍّ وَتَقْرِيْبٍ^(٤)

(١) انظر: الفسرا/ ٥٥٦، وشرح الواحدي ٦٣٨. وفيه تعريض لكافور بأن يهبه ولاية. معجز أحمد ٥٣/٤.

(٢) الموفور: الذي لم يؤخذ ماله.

(٣) يُجدِّله: يصصره على الجدالة وهي وجه الأرض. والأحم: الأسود. والنقع: الغبار. والغريب: الأسود -أيضاً- جاء به توكيداً. الفسرا/ ٥٥٧.

(٤) التقريب: ضرب من العدو.

(٣٧) لَمَّا رَأَيْنِ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي^(١) وَفَيْنِ لِي، وَوَفَّتْ صُمُّ الْأَنْيَابِ^(٢)
(٣٨) فَتَنَ الْمَهَالِكُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا: مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ^(٣)؟

ينبغي أن يكون "وجدت" بمعنى عَلِمْتُ، كقولك: وجدتُ زيداً ذا الحِفاظ، فيكون
"ما في السوابق" المفعول الأول، و"أنفع" المفعول الثاني.

والمقصود: أنه لم ينفعني شيء مما حصّلتَه نفع الخيل. ثم فسّر ذلك بأنه تخلّص
بها من نكد الزمان وغدره، وقطّع المفاوزَ عليها، حتى كأنّ المفاوزَ قالت: ماذا شاهدنا من
هذه الخيول، فإنها أسرعَتْ إسرَاعاً لم يُعهد مثله؟

وقد قالوا^(٤): إن "المهالك" يجوز أن يريد بها المتألف، حتى كأنه قال: جاوزت الأمور
المتلفة، وخلصتني منها. ويكون قوله: "قال قائلها" للخطوب، فكأنه قال: إن الخطوب
كانت قد نشبت فيّ، فلما نجوت قالت: انظروا ما الذي أفات علينا هذه؟ فهذا نوع من
قوله^(٥): (والموتُ حزنًا ينظرُ).

لأنّ الخطوبَ كانت تتناولُ أملاً للإحاطة، ثم /نكصتْ على أعقابها خاسرةً خائبةً.

97/ب

وحسّن التكريرُ في قوله: "وفين لي ووفت"؛ لأنه [لو] قال: وفين لي وصمُّ الأنابيب،
كان عاطفاً على الضمير المرفوع المتصل.

(٣٩) تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبُسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ

(١) في شرح الواحدي ٦٣٨ (تغذني).

(٢) الأنابيب: أراد بها الرماح، وأصل الأنبوب هو ما بين كل كعبين من كعوب الرمح.

انظر: المختص ٣٠/٦.

(٣) قال ابن جني: "السراحيب" جمع سرحوب، وهي الطويلة من الخيل. ولا يوصف بها الذكر
الفسر ٥٥٨/١.

(٤) نسب الواحدي هذا القول لابن فورجة ٦٣٩، وانظر: معجز أحمد ٥٥/٤.

(٥) يتيمة الدهر ٣١٨/٤.

المنجريد: الماضي، وهو كناية عن المتنبي، أي: رجل ماجد يسعى في طلب المعالي، لا في طلب المطعم والملبس.

ونظائره كثيرة، منها قوله^(١):

وليس فتى الفتيان من جُلِّ هَمِّهِ صَبُوحٌ، وإن أَمَسَى ففَضْلُ غَبُوقِ

وقال حاتم^(٢):

لحَا اللّهُ صُعلُوكًا مُنَاهُ وَهَمُّهُ من الدهر أن يلقى لبوسًا ومطعمًا

قال القاضي^(٣): والأصل فيه قول امرئ القيس^(٤):

فلو أن ما أَسْعَى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفَانِي - ولم أطلب - قليل من المالِ
ولكنّما أَسْعَى لمجدٍ مُؤْتَلٍ وقد يدركُ المجدَ المؤتَلُ أمثالي

(٤٠) يَرْمِي النُّجُومَ بَعِيْنِي مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَُا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبِ

يقول: يلاحظ النجوم ملاحظة محاول لها، وينظر إليها بعين قاصد تناولها، فكأنها الشيء المسلوب منه؛ لأنه يُحدَق إليه.

(١) هو والبة بن الحباب كما في الحماسة البصرية ٥٦/٢. وبلا نسبة في الحماسة (بشرح المرزوقي ١٦٧٠/٤)، والوساطة ٢٧٢، والتذكرة السعدية ٢٠٤، وبهجة المجالس ٦٤٩/١. وروايته في البصرية، والوساطة، وبهجة المجالس:

وليس فتى الفتيان من راح واغتنى لشرب صبح أو لشرب غبوق

(٢) ديوانه ٢٢٥.

(٣) انظر: كتابه الوساطة ٢٧٢.

(٤) ديوانه ٣٩.

والغرضُ أنَّه من علوِّ مطالبه ^(١) يكاد يطلب نيلَ النجوم.

و"من" يجوز أن تكون بمعنى الذي، فيكون كقولك: بعيني الذي يحاولها. ويجوز أن تكون نكرةً موصوفةً، كقولك: بعيني إنسانٍ يحاولها، كما أن قوله ^(٢):

رَبِّ مَنْ أَنْصَبْتُ غِيْظًا صَدْرَهُ فَتَمَنَّى لِي مَوْتًا، لَمْ يُطْع.

بمنزلة: ربِّ إنسانٍ.

(٤١) حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحَبَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبٍ

قال: "حتى وصلت"، فتحوَّل ^(٣)؛ إذ كان المنجَرِدُ إياه، فكأنه قال: تهوي بي حتى وصلت.

وقوله: "نفس محببة" أي: ممنوعة من المعاييب، وما تُشرَعُ فيه ألسنةُ الدِّمِّ، وله فضلٌ يصل إلى كلِّ أحد ^(٤).

وليس النفس -هنا- الرجلَ كلَّه، وإنما هي بمنزلتها في قوله ^(٥):

أَصَادَقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جَسْمِهِ.

(١) في الأصل (مراتبه)، وفوقها (مطالبه)، وهي أولى.

(٢) سويد بن أبي كاهل، من عينيته المشهورة، وكانت العرب تسميها اليتيمة، انظر: المفضليات ١٩٨، والشعر والشعراء ٢٧٤، وأشباه الخالدين ١٧٧/٢، والخزانة ١٢٣/٦.

(٣) أي: التفت من الغيبة (تهوي بمنجرد) إلى التكلم (حتى وصلت).

(٤) قال صاحب معجز أحمد ٥٦/٤: "وقيل: إن هذا تعريض بسواده، يعني: وصلت إلى نفس كريمة، محجوبة في جسم أسود".

وانظر: (رسالة في قلب كافوريات المتنبي) لحسام زاده: ٧٩ (دار صادر).

(٥) أي المتنبي، ديوانه ٤٥٧، من قصيدة في مدح كافور. وعجزه:

وأعرفها في فعله والتكلم.

ألا تراه قال:

(٤٢) فِي جِسْمِ أَرُوعٍ^(١) صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ^(٢)

فلو كان يريد أنه مَلِكٌ مُحَبَّبٌ لا يصل إليه كلُّ أحد - وإن كان يوصل إلى فضله - لما قال: "في جسم أروع" لأن الشيء لا يكون وعاءً لنفسه. وليس ذا مثل^(٣) قول أبي تمام^(٤):

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصِدٍ عِنْدَكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

لأنه قصد صريحَ الحجاب الذي هو الامتناع من العيون، وهذه النفس ليس مما يصح رؤيته.

ومعنى "تضحكه خلائق الناس": أنه يستحقّر أخلاقَ الناس وهممهم، لعلّ شأنه وسمو مكانه. وقوله: "إضحاك الأعاجيب" يجب أن يكون مصدراً عاماً، أعني ألا يريد إضحاك الأعاجيب له، وإنما يريد إضحاك الأعاجيب على الإطلاق. ولو قدّرت: إضحاك الأعاجيب له خصوصاً، كأنك جعلت للأعاجيب في إضحاكه عملاً ليس في إضحاك غيره، فذلك يجذبك إلى أصل السّخف!

(٤٣) فَالْحَمْدُ قَبْلَ لَهُ، وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلَلْفَنَّا وَلِلْإِذْلَاجِي وَتَأْوِيِي^(٥)

(١) الأروع: الذكي القلب، كأنه مرتاع لذكائه. وهو - في غير هذا الموضع - الجميل الذي يروعك بحسنه وجهارته. الفسر ٥٦٠/١.

(٢) قالوا: (صافي العقل) تعريض خفي بكثرة لونه وسواده، ولا يبعد أن يكون المراد: صافي من العقل، أي: خال منه! وقوله: (تضحكه خلائق الناس) قدح واضح! لأن الذي يضحك من خلاق الناس قاطبة ما هو إلا مجنون!

انظر: شرح الكندي ٧٠٨، ورسالة في قلب كافوريات المتنبي ٨٠.

(٣) كأنه يرّد على ابن جني إذا جعلهما متماثلين (الفسر ٥٦٠/١)، وكذلك صاحب التبيان ١٧٥/١.

(٤) ديوانه ٤٤٦/٤.

(٥) الإذلاج: سير أول الليل. والتأويب: سير النهار.

/ "فالحمد قبل" للأروع الذي هو كافور، "والحمد بعد" حمده للخيل، والرماح، والسَّيْر. وقدّم حمده لأنه المقصود، ثم حمده هذه الأشياء؛ لأنها أوصلته إليه.

(٤٤) وَكَيْفَ أَكْفُرُ^(١) يَا كَافُورُ^(٢) نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْنَاكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبٍ^(٣)

يجوز أن يعود الضمير في "بلغناك" و"نعمتها" إلى الخيل وحدها، ويجوز أن يكون أشرك القنا والإدلاج والتأويب في ذلك، كما أشرك في الحمد؛ لأن كل واحد منها سبب يوصل إليه.

(٤٥) يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَلَانِي بِسْمِيَّةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ

يعني: أنه إذا قيل: كافور؛ عُرف، ولم يُحتج إلى أن يقال: كافور الذي أمره كذا، والذي هو والي مصر. واعلم أن هذا عكس قوله^(٤):

وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

وذاك أنه جعل الاسم هنا مستغنياً عن الصفة، وجعل الوصف هناك مغنياً عن الاسم.

ووجه المدح في هذا، أن الاسم الذي له قد يكون لغيره، فإذا عُرف هو بإطلاقه، دل على غلبة شأنه على القلوب، حتى إذا أُطلق هذا اللفظ سبقت الأفضة إليه.

(١) في معجز أحمد ٥٦/٤: (أجد).

(٢) يرى حسام زاده أن في هذا التركيب (وكيف أكفر يا كافور) ما يوحي بأن اسم (كافور) صيغة مبالغة من الكفر؛ إذ قرنه الشاعر بالفعل (أكفر) انظر: رسالته في قلب كافوريات المتنبي: ٨١.

(٣) في الفسر ٥٦٢/١، وشرح الواحدي ٦٤٠، ومعجز أحمد ٥٦/٤، والديوان ٤٤٩: (ياكل مطلوبي) مخصصاً ببياء المتكلم.

ورواية الشارح موافقه لرواية الموضح ٧٠/أ، وشرح الكندي ٧٠٩، وذكر الكندي أنها رواية ابن جني. والمعنى على هذه الرواية مطلق غير مقيّد بأحد، فهي أبلغ.

(٤) من قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة، وقد مضت.

وهذه طريقةٌ منخفضة المرتبة بالإضافة إلى الأولى! ألا ترى أن الرجل إذا سُمِّي باسم، نحوزيد وعمرو، كان الأصل فيه أن يدلّ عليه بجميع صفاته وأحواله، حتى إذا قيل: زيدٌ؛ عُرف، ولم يحتاج إلى صفة، وقد قال النحويون^(١): إن الأصل ألا يُوصَفَ العَلَمُ؛ لأنه يعلّق^(٢) على الشيء بجميع أوصافه، وإنما وُصف، حيث سُمِّي بلفظٍ أكثر من شيء. ثم لو اختصَّ اسم بإنسان، حتى لا يعرف غيره به - نحو: الفرزدق - لم يكن في ذلك مدح على الحقيقة؛ إذ الأصل في الأسماء أن تكون كذلك، وليس للمسمّى فيه صنْع. وإذا اختص الرجل بصفة، كان ذلك هو المدح، إن كانت محمودَةً. فقولُه:

وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

له الرتبة العليا، وهذا الآخر متوسط معتاد. من هذا الطراز قول أبي نواس^(٣):

فَهِيَ إِذَا سُمِّيَتْ فَقَدْ وُصِفَتْ فَيَجْمَعُ الْإِسْمُ^(٤) مَعْنَيْنِ مَعَا

فإن قلت: إن هذا مثل الأول؛ لأجل أن كافوراً إذا عُرف بذكره جميع صفاته، دلّ ذلك على أن تلك الصفات مخصوصة!

فالجواب: أنه مغالطة! وذاك أن كافوراً وإن كان له [صفات] مخصوصة فإنها تعرف بذكر اسمه. واسمُه إذا دُكر، وعُرف أي شخص من^(٥) بين المسمّين به، فقد عُرف صفاته مشتركةً كانت أو مخصوصة، فاختصاص الصفات يعرف بذكر الاسم كما يعرف الاشتراك، وليس في ذا كثير مدح. وإنما المدح الرفيع أن يُعرف الاسم بذكر الصفة؛ لأن ذلك يدلّ - حينئذ - على أن الصفة أغلب من الاسم لفرط الاختصاص.

(١) انظر - مثلاً -: المقتضب ٣/ ١٨٦، ٤/ ١٧.

(٢) أي: يطلق.

(٣) ديوانه ٢٦٣ (الغزالي).

(٤) رواية الديوان (اللفظ).

(٥) في الأصل (فقد).

فليس في بيت أبي نواس مثل قوله :

وَمَنْ يَصْفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

بل هو بالعكس منه .

وإنما المدح^(١) ما ذكرت من أنه قد شهر بهذا الاسم فإذا أُطلق لم يعلم به غيره، حتى إذا قُصِدَ مَنْ سِوَاهُ^(٢) وجب أن يقيد . وهذا مثلُ غلبة ابن الزبير على عبد الله .

فاعرفه، فقد رأيتُ المَجُودَ في الشعر والنقد لا يفرق بين الموضعين .

98/ب (٤٦) / أَنْتَ الْحَبِيبُ، وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ

قال: "أعوذ به"، ولم يقل: [بك]، أعاده للحبيب، كأنه قال: أنت الذي أحبه، ولكني أعوذ بذلك الحبيب من أن أكون كذا .

وقوله: "محِبًّا غير محبوب" على وجهين:

أحدهما: أن يكون كل واحد من (محِبٍّ) و(غير محبوب) خبر كان، ويكون في محب ضمير المتكلم، حتى كأنه قال: من أن أكون محِبًّا غير محبوب له، كقولك: من أن أكون جامعاً للإحباب وبغض الغير لي، كما أن قولهم: حلوا حامضاً، بمنزلة: جامعٌ للطعمين .

والوجه الثاني: أن يكون "محِبًّا" صفة محذوفٍ و"غير محبوب" صفة له، كأنه: من أن أكون إنساناً محِبًّا غير محبوب .

ووجه ثالث: وهو أن يكون "غير محبوب" حالاً من الضمير في محبٍّ، حتى كأنه قال: من أن أحبك غير محبوب، بمنزلة قولك: من أن أحبك وأنا غير محبوب .

(١) أي: وجه المدح في بيت كافور - مع ضعفه - هو ما ذكرت .

(٢) في الأصل (أنها ... شهرت ... غيرها ... سواها)، وهو غير مستقيم .

ولا يجوز أن يكون نصبُ "غير" على المفعولية^(١).

ونظير البيت في المعنى قول أبي تمام^(٢):

وَلَكُمْ عَدُوٌّ قَالِ لِي مُتَمَثِّلًا: كَمَ مِنْ وَدُودٍ لَيْسَ بِالْمَوْدُودِ

(١) فيكون الناصب قوله (محباً)، والتقدير: من أن أكون محباً إنساناً غير محبوب. فيكون

ذمّاً للممدوح.

(٢) ديوانه ٣٩٠/١.

(٢٧)

وقال يمدحه ، وقد حمل إليه ستمئة دينار، ويذكر مسيره إليه ، وهي :

(١) أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقُ، وَالشُّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

يقول: أغالب الشوق، وهو أغلب مني، وأتعجب من هجرك، ووصلك أعجب. ووجه التعجب من الوصل أنها أتته ليلاً، والقصد الخيال^(١)، كما قال البحتري^(٢):

عجبا لهجرك قبل^(٣) تشيت النوى منّا، ووصلك في التناي أعجب

وقد قيل: إن "أغلب" يجوز أن يكون غير متعلّق بمنّ على سبيل التفضيل، ويكون من قولهم: أغلب، للغليظ الرقبة^(٤)، كأنه: والشوق ممتنع لا ينقاد.

والوجه الأول؛ لأنّ المغالبة قد سبقت، فيجب أن يكون أحدهما أغلب من الآخر.

(٢) أَمَا تَغْلَظُ الْأَيَّامُ فِي: بَأْنُ أَرَى بَغِيضًا تَنَائِي، أَوْ حَبِيْبًا تُقَرِّبُ؟

قد حذف العائد من الصفة، فالتقدير: بأن أرى بغيضاً تنائيه أو حبيباً تقرّبه، كقولهم: الناس رجلان: رجل أكرمت، ورجل أهنت، التقدير: أكرمته، وأهنته. وكبيت الكتاب^(٥):

فأقبلت زحفاً على الركبتين فثوب عليّ، وثوب أجزر^(٦)

(١) وعُلِّه الواحدي بتعليل آخر، فقال: "الوصل - لو وافقنا - كان أعجب منه؛ لأن من عادة الأيام التفريق." ٦٦٠.

(٢) ديوانه ٧٣/١.

(٣) في الأصل (بعد)، ولا شك في فساد.

(٤) ذكر هذا الوجه ابن جني (الفسر ١/٥٦٤)، والواحدي ٦٦٠.

(٥) الكتاب ٨٦/١، والبيت لامرئ القيس، ديوانه ١٥٩.

(٦) في الكتاب (ثوب لبست).

ويجوز أن يكون النصب في "بغيضاً" بالفعل الذي [هو] "تنائي"، وفي "حبيباً" [بـ]
 "تقرب"، وتكون الجملة حالاً من ضمير محذوف، كأنه: أما تغلظ الأيام في: بأن أراها
 تنائي بغيضاً أو تقرب حبيباً، بمنزلة قولك: بأن أراها مباينةً أو مقربةً.

وقد أُلطف في ذكر الغلط، وذلك أن الأيام من عاداتها الإساءة، والإحسان يجوز عليها
 على سبيل / الغلط، هذا هو طريقة الشعراء!

أ/99

فيقول: أما تعدل الأيام عن سجاياها غالطة، فيأتي إلي ما أحبه من قرب الأحاباب
 وبعد الأعداء؟!

والمعنى في أصله مبتذل، كقوله^(١):

عجبتُ لتطويح^(٢) النوى من أحبه وإدناء من لا يستدّ له قُرب

وقوله^(٣):

لعمرك إني بالخليل الذي له عليّ دلالٌ واجبٌ لمفجع
 وإني بالمولى الذي ليس نافعي ولا ضائري فقدأنه لممتّع!

ولكنه قد أحسن فيه ما شاء، وعملَ عملَ الصُّنع^(٤) ينسج من العزلِ المبتذلِ اللباسَ
 الشريف، ويعمل من الأبريسم^(٥) الساذجِ الديباجِ الخسرواني^(٦)! فهو كما قال حسان^(٧):

(١) بلا نسبة في الوساطة ٣٣٦، وشرح الواحدي ٦٦١، والتبيان ١٧٧/١.

(٢) التطويح: الإبعاد والرمي.

(٣) هو البراء بن ربيعي الفقعسي، كما في الحماسة بشرح المرزوقي ٨٥٠/٢، والتذكرة الحمدونية ٢٤٧/٤. أو

مضر بن ربيعي الأسدي، كما في الوساطة ٣٣٧، وشرح الواحدي ٦٦٠، والتبيان ١٧٧/١.

(٤) يقال: رجل صنّع اليدين، وصنّع اليدين، وصناعهما، أي: حاذق في الصنعة. القاموس (صنع).

(٥) الأبريسم: الحرير، أعجمي معرب. انظر: المعرب ١٣٠، وفي ضبطه أوجه أخرى تراها في المصباح المنير (برسم).

(٦) الخسرواني: نسبة إلى (خسروان) وهو لقب يطلق على عظماء الأكاسرة. انظر: المعرب ٢٨٥.

(٧) ديوانه ١٠٣/١ (وليد عرفات).

أهدى لهم مدحي قلب يُؤازره فيما أحب لسان حائك صانع

(٣) ولله سيري، ما أقل تهيئة عشية شرقية^(١) الحدالي وغرب!

"الحدالي" موضع^(٢)، وهو بالحاء، وقد حكي^(٣) عن المتنبي: أن هذه القصيدة أنشدت سيف الدولة، فذكر المنشد: الحدالي - بالجيم - فقال له: إن هذا تصحيف، وإنما هو بالحاء.

و"شرقي": نسب إلى الشرق، كأنه قال: شرقي، ثم أضاف إلى نفسه (شرقي)، كما تقول: كرسبي، فكأنه قال: عشية الحدالي شرقي، أي: هولي شرق. "فالحدالي" مبتدأ، و"شرقي" خبره، وهو مقدم على المبتدأ. ويجوز أن يكون "شرقي" المبتدأ، و"الحدالي" خبر، و"غرب" معطوف على "الحدالي"، كأنه: عشية المكان الذي هو شرقي. هذان الموضعان.

ولا تقول: شرقياي؛ لأنك لا تجعل - هنا - شرقيين، حتى تقول: شرقياي، وإنما هو شرق واحد، فالواجب أن تقول: هذان الموضعان هما شرقي، بمنزلة: هما الجانب الشرقي لي.

(١) هذه الكلمة اختُلف في رسمها وضبطها، ففي الأصل رسمت هكذا (شرقي)، وكلام الشارح يدل على وجوب رسمها هكذا (شرقي)، وهي كذلك في شرح الواحدي ٦٦١، والتبيان ١٧٧/١، وفي الفسر ٥٦٤ / ١، والديوان ٤٦٤، ومعجز أحمد ١٠١/٤، وشرح الكندي ٧٣٥: (شرقي) بياء مشددة مفتوحة. علله البرقوقي (٣٠٢/١)، فقال: "وأصله شرقي - بثلاث ياءات - فحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف". ثم حركت ياء المتكلم؛ لمنع التقاء الساكنين، واختيرت الفتحة؛ لخفتها.

(٢) الحدالي: موضع، وغرب جبل، كلاهما في بادية كلب، المعروفة بالسماوة. معجم البلدان ٢٦٢/٢، ٢١٧/٤.

(٣) ذكر هذه الحكاية ابن جني في الفسر ٥٦٥/٢.

والتَّئِيَةُ: التَّلَبُّثُ، من قوله ^(١):

وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

فهو مصدر تَأَيَّيتُ مثل تَعَلَّلتُ تَعَلَّةً.

وإذا رُفِعَ فَعِيلٌ: شَرِقِيَ الحَدَالِي، فالتقدير: شَرِقِيَ الحَدَالِي وَغُرِبَ قَصْدِي أو مقصودي، وما أشبه ذلك.

ويجوز شَرِقِيَ -بتخفيف الياء- على أن يضيفَ الشَّرْقَ إلى نفسه. والأولى بقصده المكانُ الشرقي.

(٤) عَشِيَّةٌ أَحْفَى النَّاسِ بِي مِنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقِينَ الَّذِي أَتَجَنَّبُ

"عشية" هذه بدلٌ من الأولى. والمعنى: أني كنتُ هجرتُ سيف الدولة، وكان أسأل الناس عَنِّي وأكثرهم حرصاً على البحث عن حالي.

يقال: أَحْفَى، إذا أَلَحَّ، وقالوا في قوله تعالى: ﴿كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ^(٢) أي: برّاً لطيفاً ^(٣)، وفي قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَانَتْ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ ^(٤) أي: عالم بها ^(٥). ويقال: تَحَفَّيْتُ لِفُلَانٍ، إذا سألتُ عنه سؤالَ برٍّ وتفَقُّدٍ. والأصل في الكلمة: الاستقصاء، وإذا قصد معنى السؤال، فالمراد سؤال يقترن به البرُّ والشفقة، كسؤال الرجل عن صديقه الذي يسوءه مفارقتُهُ، وكَمَن يتساءل عن حال مَنْ يهَمُّه أمرُهُ؛ حتى يعرفَ خَلْلاً -إن كان فيه- فيزيله، أو يهتمَّ له.

(١) هو الكميّ بن زيد، ديوانه ٣٢٣/١. وصدّره:

قف بالديار وقوف زائر

(٢) سورة مريم: ٤٧.

(٣) تفسير القرطبي ٧٦/١١، وابن كثير ١٢٧/٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٢١٣/٧، وابن كثير ٢٧٨/٢.

فقوله: "أحصى الناس" ليس على معنى أسأل الناس على الإطلاق، ولكن فيه معنى أبر الناس وأشدّهم عنايةً بأمري. فقوله: "جفوته" واقع في مقابلته على حدّ المطابقة. ومعنى قوله: "أهدى الطريقين الذي أتجنب" أنه مال عن الطريق المهيّج؛ لأنّ لا يُعرف شأنه.

99/ب (٥) / وَكَمْ لظِلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تَحْبِرُ أَنَّ الْمَانُويَّةَ تَكْذِبُ!

"المانوية": قوم يقولون: الليلُ شرٌّ والضياءُ خيرٌ^(١). فيقول: كم أصابك من الليل الخير الذي يدلّ على سقوط قولهم. والكاف في "عندك" خطاب لنفسه. ثم فسّر الأيادي وشرحها:

(٦) وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحْجَبُ.

الضمير في "وقاك" لظلام الليل، أي: أنك سرّيت إلى الأعداء ركباً جناح الليل، فكتمك عنهم، حتى سلمت. وتوصّل به الحبيبُ الممنوعُ إلى وصالك. و"تسري" حال، كأنه قال: وقاك ردى الأعداء ساريّاً عليهم، ويكون العامل فيه "وقاك".

الردى: مصدر ردّى، فالإضافة -هنا- بمنزلتها في قولك: غلام زيدٍ، فكأنه قال: وقاك الردى الذي تخاف من الأعداء، بمنزلة قولك: شرّ الأعداء. وليس كقولك: ضربُ^(٢) زيدٍ؛ لأنّ زيداً يكون مرفوعاً -هنا- في المعنى، ولو جعلت الأعداء ثَمَّ مرفوعةً في المعنى، كان كقولك: وقاك أن يرّدى الأعداء. وذاك ليس بمعنى.

(٧) وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَثُّهُ أَرَأَيْبُ فِيهِ الشَّمْسُ أَيَّانَ تَغْرُبُ

(١) وهم منسوبون إلى رجل يقال له (ماني الحكيم) من الفرس، ظهر في القرن الثالث الميلادي، اتخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية، قتله بهرام بن هرمز بن سابور. الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٦٨.

(٢) في الأصل (ضربت) تحريف.

"كمنته"، أي: كمنت فيه. يعني أنه استتيرراقب الظلام، ليسري فيه؛ إذ لو سرى نهراً لُعرف مكانه.

وحكي^(١) عن المتنبي: لَمَّا أُنشِدْتُهُ هَذَا الْبَيْتَ، قَالَ: غَيْرُكَ يَسْتَطِيلُ اللَّيْلَ! فَتَعَجَّبْتُ مِنْ أَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ.

(٨) وَعَيْنِي إِلَى أَذْنِي أَغْرَكَأَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ

التقدير: عيني ممتدة إلى أذني فرسٍ أغرّ، كأنه في جبهته من الغرة [كوكب]. والمعنى في امتداد عينه إلى أذني فرسه: أنه يكلو نفسه بذلك؛ لأن الخيل عجيبة التيقظ، سريعة الحركة لما يكون من نباله^(٢)، صادقة الحس، ومن عاداتها أنها إذا أحست ربيبةً نصبت آذانها؛ استنباطاً للحادث.

والأصل في ذلك - كما قال القاضي - قول بعض العرب^(٣):

أَخْبْتُ قُلُوصِي وَاکْتَلَأْتُ بَعِينَهَا وَوَامَرْتُ^(٤) نَفْسِي أَيَّ أَمْرِي أَفْعَلُ

قال: "فنقل العين إلى الأذن، واكتلأ بها"^(٥). وهذا النقل منه موافقةٌ للحقيقة؛ لأن معنى الاكتلاء في الفرس بالأذن أخص وأولى منه بالعين.

وأما الإعراب، فقوله: "من الليل باقٍ بين عينيه كوكب"، فعلى وجوه:

أحدها: أن يكون الضمير في "كانه" عائداً إلى الأغرّ، ويكون "باقٍ" خبر كان، و"بين عينيه" متعلق به، و"كوكب" مرفوع بأنه فاعل "باقٍ". وجاز ارتفاعه باسم الفاعل؛ لأنه

(١) حكاه ابن جني، الفسر ٥٦٦/١.

(٢) هذه الكلمة مهملة في الأصل. والنبأ: الصوت الخفي. القاموس (نبأ).

(٣) انظر: كتابه الوساطة ٢٩٥. والبيت لكعب بن زهير، في ديوانه بشرح السكري ٥٥.

(٤) وامرت: شاورت. وفي الوساطة (أمرت). وفي الديوان (أمرت).

(٥) الوساطة ٢٩٦.

قد اعتمد على المخبر عنه (الذي هو اسم كَأَنَّ)، كقوله : كَأَنَّ زَيْدًا خَارِجٌ مِنْ دَارِهِ غَلَامَانِ، فَرَفَعَ (غَلَامَانِ) بَخَارِجٍ، وَيَكُونُ خَبْرًا لَزِيدٍ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ الَّذِي فِي (دَارِهِ) يَعُودُ إِلَيْهِ. فَالضَّمِيرُ فِي "كَأَنَّهُ" بِمَنْزِلَةِ (زَيْدٍ) فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَ"بَيْنَ عَيْنَيْهِ" بِمَنْزِلَةِ (فِي دَارِهِ)، وَ"بَاقٍ" بِمَنْزِلَةِ (خَارِجٍ)، وَ"كُوكَبٍ" بِمَنْزِلَةِ (غَلَامَانِ).

والوجه الثاني: أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي "كَأَنَّهُ" لِلأَعْرَ، وَيَكُونُ "كُوكَبٍ" مُبْتَدَأً، وَ"بَاقٍ" بَيْنَ عَيْنَيْهِ "خَبْرُهُ، وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ^(١).

والوجه الثالث: أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي "كَأَنَّهُ" لِلْحَدِيثِ وَالشَّأْنِ، وَيَكُونُ "كُوكَبٍ" مُبْتَدَأً، وَ"بَاقٍ / بَيْنَ عَيْنَيْهِ" خَبْرُهُ. 100/أ

وَلَا يَجُوزُ -إِذَا جَعَلْتَ الْهَاءَ لِلضَّمِيرِ^(٢)- أَنْ تَرْفَعَ "كُوكَبٍ" بِاسْمِ الْفَاعِلِ، عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى شَيْءٍ، فَلَا يَعْمَلُ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ خَارِجٌ غَلَامًا. وَفِي ذَلِكَ كَلَامٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

(٩) لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرِ رَجِيبٍ وَتَذْهَبُ.

وصفه بسعة^(٣) الصدر، وانبساط جلده؛ لأن تضايقه مذموم، يمنع من المضاء^(٤).

(١٠) شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ، أُذْنِي عَنَانَهُ فَيَطْغَى^(٥) وَأُزْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ

"شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ" عَلَى وَجْهَيْنِ:

(١) انظر: كتابه الوساطة ٢٩٥. والبيت لكعب بن زهير، في ديوانه بشرح السكري ٥٥.

(٢) أي: ضمير الشأن.

(٣) في الأصل (وسعة بصفة)!

(٤) انظر: الخيل لأبي عبيدة ٧١، ٧٢، والحيوان ٣٣٨/٥.

(٥) يطغى برأسه لطماحه وعزة نفسه (الفسر ٥٦٨/١)، أو يطغى مرحًا ونشاطًا (شرح الواحدي ٦٦٢).

أحدهما: أن يكون المعنى أن غُرَّتْهُ صدعتِ الظلام، كما قال ^(١):

بياضُ غُرَّتْهُ الصديقُ

والثاني: أن يريد أني دخلت به في الظلماء، حتى كأني شققتُ الليلَ، وصرتُ في ضمنه بالتفاف أطرافه عليّ.

و"الظلماء" اسم بمنزلة الظلام، وليست بصفة كالحوراء. أنشد شيخنا - رحمه الله - لابن قيس الرقيّات ^(٢):

إنما مصعبُ شهابٍ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ

فالظلماء كالسّراء والضّراء. قال: وأنشد عبد الملك بن مروان:

يأتلقُ التاجُ فوقَ مفرقه على جبين كأنه الذهبُ ^(٣)

فقال: أتمدحني بما مُدح به الأعاجم! وتقول في المصعب:

إنما مصعبُ شهابٍ. البيت! ^(٤)

وقوله: "مراراً" التقدير: أدني عنانه مراراً فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب، فحذف الأول لدليل الثاني عليه. ومثله في حذف الأول للثاني:

(١) هو عمرو بن معديكرب رضي الله عنه، ديوانه ١٤٦ (الطرايشي). والبيت بتمامه:

به السرحان مفترشاً يديه كأن بياض لبتة الصديق.

وأشار محققه إلى رواية (بياض غُرَّتْهُ).

(٢) في ديوانه: ٩١.

(٣) ديوانه: ٥، وروايته (يعتدل التاج ...)، وانظر تخريجه في الحاشية.

(٤) انظر: نقد الشعر ١٨٩، والموشح ٢٤٤، وسر الفصاحة ٢٥٠.

أرعى النجوم وما كُلفت رغيتهما وتارة أتغشى فضل أطمار^(١)

أي: أرعى تارة، وأتغشى تارة.

(١١) وَأَصْرَعُ^(٢) أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

"أي" بمنزلة الذي، كقوله: كان أيهم في الدار. كأنه: أصرع الذي أقفّيه به من الوحش.

ووضع الماضي موضع المضارع لما في الكلام من معنى المجازاة؛ إذ المعنى: إن قفّيت وحشاً صرعته.

و"مثله" حال من الضمير في "عنه"، كأنه قال: وأنزل عنه مماثلاً لنفسه في حال الركوب، كأنه قال: وأفارقه مثله حين أوصله. وجاز أن يُضاف مثل مع كونه للفرس إلى ضميره - وإن كان لا يجوز: عجبْتُ من قائم زيد، والقائم هو زيد - لأجل أن هذا في التقدير صفةٌ محذوف، كأنه: وأفارقه شيئاً مثله حين أركب، بمنزلة قولك: وأفارقه شيئاً يماثله حين أوصله.

(١٢) وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرُبُ

هذا على وجهين:

أحدهما: أن تكون "الخيّل" مبتدأ، و"كالصديق" خبراً، وتكون "قليلة" خبر مبتدأ محذوف، وذاك أنه لما قال: "وما الخيل إلا كالصديق" فسّر ذلك، فقال: هي قليلة عند عين^(٣) المجرب.

(١) للخنساء رضي الله عنها، وقد مضى في صفحة: ١٩٩.

وفي الديوان (أطماري) بالياء.

(٢) في الأصل (وأدرک)، خلافاً لما في المصادر كلها! وفي كلام الشارح ما يشير إلى رواية (أصرع)!

(٣) في الأصل (غير)، لعله تحريف لما أثبت. ولا يبعد أن يكون أصل العبارة هكذا: (هي قليلة عند

المجرب، كثيرة عند غير المجرب)، فحصل سقط بسبب انتقال النظر.

أي: لا يُدرك غورُ شرفها بمراعاة الظاهر، وإنما يُعبّر عن مكارمها لسانَ التجربة،
وينقدح نورُ فضلها من زبدِ الخبر.

100/ب **والوجه الثاني:** / أن تكون "قليلة" خبر "الخيّل"، و"كالصديق" متعلّقاً "بقليلة"،
فكأنه: وما الخيل إلا قليلةٌ - وإن كثرت في عين من لا يجرب - كقلّة الصديق^(١).

وقد تقدّم معمول "قليلة" عليها، كما تقول^(٢): ما زيدٌ إلا عمراً ضاربٌ، تريد: ما
زيدٌ إلا ضاربٌ عمراً.

(١٣) إذا لم تُشاهد غيرَ حُسنِ شَيائِها وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ

يقول: إنك إذا اقتصرْتَ من تحصيل محاسنها على ما تسبق إليه الأعين من جمال
الخلقة دون ما يمكن^(٣) فيها من الخصال الشريفة، فالحسن غائبٌ عنك، ومثله قوله^(٤):

وما الحسنُ في وجهِ الفتى شَرَفًا له إذا لم يكن في فعله والخلائق

هكذا حكمُ العقلاء في الأجناس كلها، لا يعتدّون بالحسن الظاهر في صورها إذا فقدتِ
المعاني الشريفة التي هي حقائقها؛ لأنها إذا عدمت ذلك كانت كالصور الممثلة التي لا روح
فيها. وكذلك لا يفكّرون في عدم الحسن الظاهر إذا وجدوا النفسَ الكريمةَ، وكان الشيء
جامعاً لفضائل جنسه ومعانيه.

ونظرَ بعضُ الحكماء إلى رجلٍ حسنِ الخُلُقِ قبيحِ الخُلُقِ فقال: أمّا البيتُ فحسنٌ
وأمّا الساكنُ فرديٌّ^(٥)!

(١) حصل في الأصل تقديم وتأخير هكذا: (وما الخيل إلا قليلة، في عين من لا يجرب، وإن كثرت،
كقلّة الصديق).

(٢) في الأصل تقديم وتأخير، هكذا (معمول قليلة، وقد تقدم عليها، كما تقول)!

(٣) كذا في الأصل، ولعله أراد (ما يكمن فيها).

(٤) أي المتنبي، ديوانه ٣٨٧.

(٥) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٨١ (ونسبه للقمّان)، وأسرار البلاغة ١١٧.

وهذا معنى ثابت في النفوس، والأشعار كثيرة، ولعل المتنبي قد بلغ في لطف المأخذ وإظهاره في صورة تسبق في شرائط المثل ما لم يبلغ غيره. على أن عبد بني الحسحاس قد أتعب من يطلب ساقه^(١) في قوله^(٢):

إن كنت عبداً فنفسى حرّة كرمًا أو أسود الخلق إنّي أبيض الخلق

(١٤) لحي^(٣) الله ذي الدنيا منّا لراكب فكل بعيد الهمّ فيها معذب

"منّا" نصب على التمييز^(٤)، بدلالة أنك تقول: من منّا، فهو كقولك: لله درّه من رجل، ولله درّه رجلاً، وهو يقتضيه في المعنى.

(١٥) ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها ولا أتعّب

(١٦) وبما يذود الشعر عني أقله ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب^(٥)

يقول: إن الذي بي أراه يدفع الشعر عني أقله، لعظم شأنه، ولكن قلبي قلب صبور على أعباء الشدائد، فلذلك ما^(٦) يستجيب إلى القوافي. فكانه - أعني ما به [من] الهم - كلما حاول دفع الشعر عنه، وإن شرد خواطره، رده القلب إليه بقوته.

ولو اتفق أن يسقط "عني" من البيت، فيقول: وبما يذود الشعر أقله، لكان أسرع إلى الإلف، كما يقال: بي من الهم والشغل ما لا يقدر معه على الشعر، ولكني خلقت

(١) أي: لا يدركه في مضمار السباق.

(٢) سبق في صفحة: ١٩٠.

(٣) قال ابن جني: "لحاها الله: دعاء عليها، وذم لها. وأصله من لحوت العود: إذا قشرته". (الفسر ٥٦٩/١)، ويقال منه: لحيته ألحاه. (القاموس - لحي).

(٤) وجوز فيه ابن جني النصب على الحال. الفسر ٥٦٩/١.

(٥) قال ابن جني: "(يا ابنة القوم) كناية عن قولك: يا ابنة الكرام، كذا استعملته العرب و(قلب) يتقلب في الأمور ويتصرف فيها". الفسر ٥٧٠/١، ٥٧١.

(٦) (ما) هنا مصدرية.

حَمُولًا للشدائد، يريد: بي ما حكمه والعادة في مثله أن يكون كذا، ولكن لي ما ليس لغيري من الجلد والقوة.

وقد يمكن أن يحمل على هذه الطريقة مع دخول (عن)، وهو أن يريد: بي ما حكمه أن يذود الشعر عني أقله، ولكن قلبي ليس يدعه يذود؛ لقوته، فكأنه: بي ما ينبغي أن أعجز عن الشعر لأقله، لولا قلب ماضٍ، وعزمٌ صارم، يقلُّ تأثيرُ الهموم معه فيَّ.

(١٧) / وَأَخْلَقَ كَافُورٍ، إِذَا شِئْتَ مَدَحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ، تُمْلِي عَلَيَّ وَأُكْتُبُ

101/أ

تقدير الكلام: وأخلاق كافور إذا شئت مدحه تملني عليّ وأكتب، وإن لم أشأ فكذاك. فيحصل منه معنى قولك: تملني شئت أو لم أشأ، أي: أنها تنطق بمكارمه، وتكشف عنها، فكأن الذي أرصفه في مدحه تملُّه^(١) هي، وأنا تلميذٌ لها. ويكون المعنى في قوله: وإن لم أشأ فإنها تملني: أنها تحملني على المدح، حتى كأني لا أتكلّف ذلك من جهة نفسي، بل طبعي يقودني إليه، كما تقتضيه تلك الأخلاق.

ذُكِرَ أَنَّهُ هَزَيْ بِهِ^(٢).

(١٨) إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمُّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ

يقول: إن الثواء في ظلّ عزّه ينفي عنك وحشة الغربة، ويوردك من الإحسان موارد صافية، حتى لا تفقد أنس الكائن في أهله ووطنه، وتصير كأنك لم تتغرب. وأصل هذا المعنى من قوله^(٣):

(١) تمله: تمليه.

(٢) قال ابن جني: " (وإن لم أشأ) فيه ضرب من الهزو، وهكذا عامة شعره وأكثر ما قاله في كافور، وقد ذكرت كثيراً منه، فتفطن له).

الفسر ٥٧١/١. وانظر رسالة في قلب كافوريات المتنبي ١٤١.

(٣) يزيد السكوني، الحماسة بشرح المرزوقي ٣٠١/١، ومعجم الشعراء ٤٢٣، وبلا نسبة في الوساطة ٣٢٦

وَمِنْ تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارُ

وَأَشْبَهُ ببيت المتنبي قوله^(١):

فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَالطَّافُهُمْ^(٢) حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

إلا أن هذا أخرج نفسه من حكم الغربة ظناً وتوهماً، والمتنبي أوجب ذلك إطلاقاً، فنفى أن يكون قاصد الممدوح متغرباً.

وأعاد هذا المعنى في قوله^(٣):

وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غَرْتَكَ اغْتِرَابُ

(١٩) فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً وَبَادِرَةً^(٤) إِيَّانَ^(٥) يَرْضَى وَيَغْضَبُ

التقدير: هو فتى، على المدح.

ونصب "رأياً وحكمة" على قولك: امتلأ الإناء ماءً، وملأته ماءً. ويجوز أن يكون فاعلاً في المعنى، نحو: طِبَّ نفساً، كأنه: فتى يملأ الأفعال رأيه وحكمته وبادرتة.

(١) أبو الهندي، غالب بن عبد القدوس اليربوعي، كما في بهجة المجالس ١/٢٩٤. أو بكير بن الأخنس

كما في البيان والتبيين ٣/٢٣٣، وبلا نسبة في عيون الأخبار ١/٣٤١، وفي الوساطة ٣٢٦، وشرح

الواحي ٦٦٣، والتبيان ١/١٨١.

(٢) في بهجة المجالس والتبيان (بُرْهُم).

(٣) مضى في صفحة: ٥٠٠.

(٤) رسمت (نادرة) بالنون في البيت وشرحه. ويبدو من شرح البيت أنها (بادرة). و(نادرة) بالنون

هي رواية الواحي ٦٦٣ والتبيان ١/١٨٢. و(بادرة) بالباء، هي رواية الديوان وبقية الشروح. قال

الواحي: "نادرة، أي: فعلة نادرة غريبة لا توجد إلا منه. وروى ابن جني (بادرة) بالباء، أي: بديهة.

والنون أجود".

(٥) في الفسر والواحي والديوان (أحيان).

وقوله: "يملأ الأفعال" لفظ عالٍ، أي: أنه شحن المطالب بالتدبير والعزم، فكأن أفعاله التي يأتيها قد ملئت بالحكم فهي تلوح منها.

والبادرة: ما يبدُر من الإنسان من المحمود والمذموم، فهو يريد أن زمانهما زمان [غير] واحد، فللرضا وقتٌ، وللغضب وقتٌ آخر، يعني: أنه في كل حال يقضي الأمور برأي فيصلي.

ويجوز أن يجعل الغضب والرضا متصافحين في زمان واحد، فكأنه: يغضب على الأعداء، ويرضى عن الأولياء؛ بأساً وجوداً. وإذا صحب الرجل حكمته في حال يتجاذبه ضدان في وقت يستدعيه إلى مراعاة الغضب والرضا، دل ذلك على أن رأيه من العقل أوطأ جماد^(١)، وأن عزمه واري الزناد. فاعرفه.

(٢٠) إِذَا ضَرَبْتَ فِي الرَّوْعِ بِالسَّيْفِ كَفُّهُ تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ

يقول: إذا عمل السيف في كفه عرفت أن لا غناء به^(٢) ما لم يكن للكف؛ إذ على قدر سياستها له ينفذ ويعمل.

وجعله دليلاً - خصوصاً - من حيث إنه يرى بسيفه عمل ليس لغيره من السيوف، فيعلم أن ذلك المضاء جمره يقدها بنائه؛ إذ السيف في كل كف ثم لا ينفذ ذلك النفاذ. وقد أعاد هذا المعنى في قوله^(٣):

إِذَا الْهَنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ يُزِيلُ التَّسَاوِيَا

/ولكنه استأنف مثلاً آخر، فجاء كأنه معنى برأسه.

101/ب

(١) أي: رزين ثابت متمكن.

(٢) في الأصل (الاعبابه).

(٣) ديوانه ٤٤٢، يمدح كافوراً.

وكرر ثالثاً في قوله^(١):

إن السيوف مع الذين قلوبهم
تلقي الحسام - على جراءة حدّه -
كقلوبهنّ، إذا التقى الجمعان
مثل الجبان بكفّ كلّ جبان!

إلا أنه لا يبلغ مبلغ الأولين.

وقال أبو تمام^(٢):

[وقد يكهم السيف المسمى منيةً]
فأفة ذا ألا يصادف صارماً
وقد يرجع المرء المظفر خائباً
[وأفة ذا ألا يصادف ضارباً]

فقوله: "وأفة ذا ألا يصادف ضارباً" من هذا المعنى، ولكن بين الطريقتين بُعداً وبيئاً^(٣)، فالمتنبي يمدح، وأبو تمام يذكر تفاوت أحوال الدنيا، وولوعها أبداً بأن تبعد شكلاً عن شكل، فيعطى بها الفضل، ويخل بالآلة التي تظهر أثره، وتحضر الآلة ثم يخلها^(٤) من يعمل فينتظم له نفعها، ويحصل له فائدتها. وأشبهه منه بيت المتنبي وطريقته في هذا المعنى، قول البحري^(٥):

وما السيف إلا بزغاد لزيئة
إذا لم يكن أمضى من السيف حاملة

إلا أنه جعل الممدوح في البيتين الأولين دليلاً على صحة هذا المعنى، أعني كون الضرب بالكف دون السيف، وقلة غنائه إذا عدم النصرة من الكف، فبلغ من المدح ما لم يبلغ غيره.

(١) ديوانه ٤١٦، من قصيدة في مدح سيف الدولة.

(٢) ديوانه ١٤١/١. وأسقط الناسخ صدر الأول وعجز الثاني!

(٣) في الأصل (بياناً)، والبين: البعد والمفارقة، كالبون.

(٤) في الأصل (يحلها).

(٥) ديوانه ١٦٠٨/٣.

(٢١) تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبَثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ ^(١) فَتَنْضُبُ

هذا كلامٌ مما أخرجَه على الاقتصار، للحذف، فكأنه قال: أشبهه بالسحاب، [إلا] أن عطاياه تنمو بطول الثَّواء، وأمواه السحاب تظلُّ فتَنْضُبُ.

(٢٢) أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ فَإِنِّي أَغْنِي مُنْذُ جِنِّ وَتَشْرِبُ

يقول: قد مدحتك الكثير، فكان شعري بمنزلة الغناء، وقد آن أن يصل إليَّ بِرُك، كما أن المغني إذا تمادى به الوقت سقى الخمر.

وما أعجب هذا التعريض! وهو من الكلام الذي يُعرف فضله بالحس ^(٢).

(٢٣) وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانَنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّيكَ تَطْلُبُ

حكي ^(٣) أن المتنبي قال: كنت أنشد في نفسي:

وهبت على مقدار كفِّك عَسْجَداً ونفسي على مقدار كَفِّي ^(٤) تَطْلُبُ

(٢٤) إِذَا لَمْ تُنْظِ بِضَيْعَةٍ أَوْ وِلَايَةٍ فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ

يقول: إن لم تمكِّن من ضيعة يتَّصل وفدُ المنافع منها، واقتصرت على مبرة تُصَرُّها من صامت ^(٥) وما أشبهه، لم يحصل لأمرى بهجة الانتظام؛ فإن ما تعطيني أحتاج إلى إنفاقه في التَّجَمُّل الذي أراعيه لأجلك، فكأنك معطٍ من وجهٍ وسالِبٌ من آخر!

(١) في التبيان ١/١٨٢: (السماء).

(٢) في الأصل (بالحسن)، لعل صوابه ما ذكرت.

(٣) حكاه ابن جني (الفسر ١/٥٧٣).

(٤) في الأصل (كفِّك)، والتصحيح من الفسر.

(٥) في الأصل (تصدرها من صامت)، والمال الصامت: النقدان ونحوهما.

(٢٥) يُضاحِكُ في ذا العِيدِ كُلِّ حَبِيبِهِ حِذَائِي^(١)، وَأَبْكِي مَنْ أَحَبُّ وَأَنْدُبُ

أبكي في قوله: "وأبكي من أحب" مثله في قول القائل^(٢):

فَقَالَتْ^(٣): أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ! وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْبُكَالِ كُنْ ثَبَّتْ^(٤) عَلَى الصَّيْرِ

فكانه: أبكي من أحبّ وأندبه.

ولا يجوز أن يكون "من أحب" منصوباً "بأندب"؛ لأن ما بعد العاطف لا يتقدم عليه^(٥).

(٢٦) أَحْبَنُ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاكِ عُنُقَاءَ مُغْرِبٍ^(٦)

(٢٧) فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمَسْكِ أَوْ هُمْ فَإِنَّكَ أَحْلَى فِي فُؤَادِي وَأَعْذَبُ

/ 102 كان تامةً؛ بمنزلة قوله تعالى: ﴿وَلِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾^(٧)، كأنه قال: فإن لم يوجد إلا أبو المسك والأحباب، فإن أبا المسك أحلى وأعذب.

وعدلَ عن الغيبة إلى الخطاب، وحسنَ هذا على التحويل^(٨)؛ لأنه يكون أمدح.

(١) حذائي: بمحاذاتي وبقرني.

(٢) هودريد بن الصمة، ديوانه ٩٥.

(٣) في الديوان (تقول).

(٤) في الديوان (ثَبَّتْ).

(٥) أي: لا يتقدم عليه معموله.

(٦) (عنقاء مغرب) على الوصف أو الإضافة، طائر ضخم يشبه العقاب، أو هو طائر أسطوري. ومن أساطيرهم: أن هذه العنقاء طارت بصبي أو جارية، فدعا عليها نبي ذلك الزمان، فغابت إلى الأبد. فقالت العرب في الشيء الميؤوس من رجوعه: طارت به عنقاء مغرب.

الحيوان ١٢١/٧، وثمار القلوب ٤٥٠، ومجمع الأمثال ٢٨٠/٢.

(٧) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٨) أي: الالتفات.

(٢٨) وَكُلُّ أَمْرِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعَرَّاطِيَّ

أكد بهذا ما قدّمه، وذكر أن سبب تفضيله إياه على الأحباب إفضاله وإحسانه. وهذا معنى متداول في أصله، كقول البحري^(١):

وَأَحَبُّ أَفَاقِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ يَنَالِ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ.

ولكنه قد صاغ له في البيت قالباً عجيباً حتى صار كالبديع المخترع، وشرفه في قوله: "ينبت العر"^(٢).

(٢٩) يُرِيدُ بِكَ الْخَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسَمَرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمَذْرَبُ^(٣)

أي: ما الله دافعه، فحذف الراجع إلى الموصول من اسم الفاعل.

وخبر "سمر العوالي والحديد المذرب" محذوف، كأنه: وسمر العوالي والحديد المذرب دافعه، كما تقول: زيد منطلق وعمرو. ولا يجب أن تعطف سمر العوالي على الضمير المرفوع في "دافع"؛ لأنّ تكلف ذلك من غير ضرورة مردود.

(٣٠) وَدُونَ الَّذِي يَبْغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا إِلَى الشَّيْبِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشْيَبُ!

ترتيب الكلام: دون الذي يبغون ما لو تخلصوا منه إلى الشيب عشت والطفل أشيب! أشيب. المعنى: أن دون ما يبغون من السوء بك إهلاكك إياهم، لو تخلصوا منه، حتى يدركهم المشيب، شاهدت الطفل الذي [...] ^(٤)وقد شاب. وقوله: (قد عشت والطفل أشيب) صحيح؛ لأنه يقول: لو تخلصوا عشت في هذه الحال. فعيشه في حال [لا يرى

(١) ديوانه ٢٨٣/١.

(٢) لأن أسلوب الاستعارة فيه ادعاء ومبالغة، وقد جعل الشاعر الممدوح منبتاً طيباً خصباً، ولا يخرج منه إلا نبات مبارك طيب، وقد صاغ هذا المعنى في عبارة عامة حتى ذهب مثلاً!.

(٣) الحديد المذرب: الحاد المسنون. الفسر ٣٣/٢.

(٤) مكان هذه الزيادة بياض بمقدار كلمتين. لعلها [ما زال غراً].

الطفلُ فيها أشيبَ ممتنعٌ^(١)، كما أن تخلصهم كذلك. ولم يطلق العيش، فيقال: إنه جعل عيشه ممتنعاً^(٢)! ومثله أن تقول: لو فعلت كذا عشت مسروراً، فيكون امتنع عيشه على صفةٍ، لا العيش على الإطلاق.

(٣١) إِذَا طَلَبُوا جَدَّوَاكَ أَعْطُوا وَحَكَّمُوا وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خِيَّبُوا

يعني: أنهم إذا التمسوا النوال والإفضال فقد عطفوا عنان الطلب على مطلب سمح، وإن تعرضوا لنيل ما فيك من الفضل والشرف صافحتهم الخيبة!

(٣٢) وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عَلَاكَ وَهَبَتْهَا وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ

دل بهذا على سخائه. فيقول: لو كان مفاخرُك مما يبذل لبذلت، ولكن بذلها ممتنع. ومثله قول أبي تمام^(٣):

وَأَنْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ عَرْفِكَ نَفْحَةً إِنْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ

وأصله من قول الآخر^(٤):

فَبِإِنْ يَقْتَسِمَ مَالِي بَنِي وَنَسُوتِي^(٥) فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَعْلِي

(٣٣) وَأَظْلَمَ أَهْلُ الظُّلَمِ^(٦) مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نِعَمَائِهِ^(٧) يَتَقَالَبُ

(١) بمعنى: أنه لا يرضى العيش دون هذه الحال.

(٢) أي: في حالة ما، ومثل هذا المعنى لا يواجه به الممدوح.

(٣) ديوانه ١٣٧/١، يمدح الحسن بن وهب.

(٤) هوجابر بن حُباب. الحماسة (بشرح المرزوقي ١٧١٠/٤)، (وبشرح التبريزي ٣٣١/٢)، وعيون الأخبار

٣٤٣/١، والوساطة ٣٤٤.

(٥) عند التبريزي (واخوتي).

(٦) رواية ابن جني (أهل الأرض) الفسري ٥٧٦/١، وأشار إليها ابن المستوفي في النظام ق/٤٣٣.

(٧) ويروى (في عليائه) النظام ق/٤٣٣.

(٣٤) وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ^(١) مُرْضِعًا وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ

الوجه في الإعراب أن يقول: الذي ربّي؛ لأن الذي اسم ظاهر، فمن حقّه أن يعود إليه الضمير عودّه إلى زيد^(٢).

وهو في التقدير صفة، نحو: أنت الرجل من شأنه كذا وكذا، كما قال^(٣):

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشًا كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ

102/ب / ولكنهم يحملونه على المعنى، فيعيدون الضمير إلى لفظ الخطاب والتكلم دون الغيبة، كقولها^(٤):

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ.

وقرأنا على الشيخ -رحمه الله- عن أبي عثمان^(٥):

وَأَنَا الَّذِي قَتَلْتُ بَكْرًا بِالْقِنَا وَتَرَكْتُ تَغْلِبَ غَيْرَ ذَاتِ سِنَامٍ.

كان الواجب (قتل)، غير أن (الذي) لما كان هو (أنا) في الحقيقة صار عود الذكر إليه بمنزلة عوده إلى (أنا)، فكأنه قال: أنا قتلت بكراً.

(١) في معجز أحمد ١١١/٤، والتبيان ١٨٥/١: (ذا الملك) بالجر، أي: صاحب الملك، فيكون المراد به: ابن الإخشيد الذي رياه كافور. وزاد في معجز أحمد: ويروى (ذا الملك) بفتح الميم، أي: هذا الملك. ورواية الشارح توافق ما في الفسر ٥٧٦/١، شرح الواحدي ٦٦٥، وشرح الكندي ٧٤٠، والديوان ٤٦٦.

(٢) أي: كعوده إلى الاسم الظاهر كزيد وعمرو.

(٣) هو طرفة، ديوانه: ٤٢.

(٤) هي أمامة -أو أميمة- امرأة ابن الدمينية، الأغاني ٥٩/٢، ١٧/١٠، وديوان ابن الدمينية ٥٢، والحماسة (شرح المرزوقي ٣/١٣٨١)، والتذكرة السعدية ٣١٥.

(٥) هو المازني، وقد مضت ترجمته.

والبيت لمهلل في المقتضب ١٣٢/٤، والإفصاح ٣٢٩. وبلا نسبة في الأصول ٣٠٩/٢، وسر صناعة الإعراب ٣٥٨/١، وشرح المفصل ٢٥/٤.

وكذا قوله: "وأنت الذي ربيت"، والمتنبّي يختار هذا؛ لأنه إذا كان على لفظ الخطاب كان أخصّ بالممدوح، فيكون أمدح^(١).

ويقوّي هذا عندي نحو ما يجيء في قوله^(٢):

فلما بلغنا الأمهات وجدتم بني عمكم كانوا كرام المضاجع.

وذلك أن المعنى: وجدتمونا، فوضع الاسم الظاهر (الذي هو بنو عمكم) موضع الضمير، [كما تضع ضمير المخاطب] في قولك: أنت الذي فعلت، موضع الغائب؛ لأن الذي في المعنى مخاطب. فاعرفه.

والمعنى: أن الملك قد نشأ في حجره.

(٣٥) وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشَبْلِهِ وَمَا لَكَ إِلَّا الْهِنْدَوَانِيَّ مَخْلَبٌ.

الضمير في "له" يعود إلى "الملك". وإعرابه على أن يكون "له" حالاً من الضمير في "كنت". و"ليث العرين" خبر كان. و"لشبله" حال من "ليث العرين"، فكأنه قال: في حال استعداده لشبله.

و"الهندواني" نصبُ البتة؛ لأنه استثناءٌ مقدّم، كقولك: ما لي إلا أباك صديقٌ. ولو قلت: ما لك مخلصٌ إلا الهندواني، جاز الرفع على البذل، إلا أنه لما تقدم بطل البذل، فبقي الاستثناء.

وما أحسن ما راعى النظم! حيث جعله كأسد^(٣)، ثم طالب نفسه بما يكون للأسد من المخالب، فقال: كانت الصوارم لك مخلصاً.

(١) انظر - ما سبق - صفحة: ٥٨٠، والفسر ١/٥٧٧.

(٢) مضى في صفحة: ١٣٨.

(٣) في الأصل (كاسداً)!

فإن قلت: أيجوز أن يكون "لشبله" بدلاً من "له"، على أن يعود الهاء في "لشبله" إلى "الملك"؟ ويكون أعاد العامل على العادة في البديل، فكأنه قال: وكنت لشبل الملك ليث العرين.

فالجواب: أن هذا لا يجوز؛ لأجل أنه إذا قال: "له"، ثم أبدل منه فقال: "لشبله"، وجب أن يكون جعل الملك الأسد شَبلاً، حتى تبدل منه البعض، كما تبدل في قولك: أخذت من الأسود من أشبالها. والملك شيء واحد، وفي جعل بعضه شَبلاً وبعضه أصلاً^(١) تقصير في المدح؛ لأنه يقول حينئذٍ: حافظت على الذي هو شبل من الملك! وأنى يليق ذلك بقوله:

وأنت الذي ربّيت ذا الملك مُرضعاً وليس له أمٌ سواك ولا أب

فجعله كله ولدًا! فالشبل -إذا- المُلْكُ، ووالد الشبل هو الممدوح.

وإذا لم يكن للبديل وجهٌ، وجّه على ما تقدّم.

فإن قلت: أيجوز أن يكون "له" متعلقاً بنفس الليث؛ لأن المعنى على الناصر، كما تقول: مررت برجلٍ أسدٍ في الدار، وزيد أسد قائماً، فتعمله في الظرف والحال؛ لأن المعنى: شديد، فكأنه قال: وكنت ليث العرين مسعداً لشبله.

فالجواب: / أن هذا جائزٌ من جهة النحو، ولكنّه لا يحسنُ في صناعة الشعر، وذاك أنّك إذا قلت: مررت برجلٍ أسدٍ، كان القصد بأن تصفه بالشدة فقط، والغرض هنا أن يقول: حافظت على الملك محافظة الأسد على الشبل، فإذا علقت "له" بالليث، كنت جعلته بمعنى الصفة، نحو: كنت له ناصراً، فتفسدُ به^(٢) حكم التشبيه وجعل الملك شَبلاً للممدوح، ولا يليق به قوله:

ومالك إلا الهندواني مخلص

103/أ

(١) أي: أسداً.

(٢) في الأصل (فتيعيد)، لعله تحريف لما أثبت، أوله (فيبتعد).

أما كلمة (به)، فغير واضحة في الأصل.

لأنك إذا لم تُرد أن تقول: أنت ليثُ الملك على الحقيقة، كان تنزيلُ السيوف منزلةً مخالِب الأسد غير واضح! كما أنك لو قلت: كنت ناصراً للملك، لم يكن في الحكم أن تقول: ومخلِبك السيف. فكلما كان كونه أسداً أذهب في التقدير والتحقيق، كان الصنعة أقوى، وذكرُ المخلِب أليق.

ويوضحه أنك لو قلت: زيدُ أسدٌ مخلِبُ السيف، لم يحسن أن تقول: المعنى: زيد شديد مخلِب السيف، وإنما تقول: زيد من النوع^(١)، ولكنه خالف في المخلِب مثلاً.

فقد تقرر أن المعنى: كنت ليثُ الملك بإزاء الليث في العرين، إلا أن ليوثَ الملك مخالِبها الصوارم، حتى كأنه معدودٌ في الليوث حقيقةً!

فاعرفه، فإنه ليس كل ما يجوز في الإعراب يحسن حملُ الشَّعر عليه، إذ كل صناعة لها طريقة، إذا عدلت عنها ضيَّعتَ حظَّها!.

(٣٦) لَقِيَتِ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَامِ مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ.

يعني: أنك^(٢) دافعت عن حريم الملك بنفسك تكرُّعاً في مَورد الردى، لخشية مورد العار. "عنه" محتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون^(٣) متعلقاً بمحذوف هو حال، كأنه قال: لقيت القنا دافعاً عنه.

والثاني: أن يكون متعلقاً بنفس "لقيت"؛ لأن فيه معنى نُبت عنه في لقاء القنا، أي: لم تدع القنا تصيبُ حرمة، كما تقول: ضربتُ عنه، وكَلِّمتُ عنه، فَيُعَدَّى بعن، بمعنى النيابة، وفيه اختصار حسن؛ لأن قوله: كَلِّمتُ عنه، يغني عن قوله: نُبت عنه تكلُّماً. ويوضحه قوله^(٤):

(١) أي: من هذا النوع.

(٢) في الأصل (أنك إذا دافعت) كأن (إذا) مقحمة.

(٣) في الأصل (أن يكون أحدهما) تقديم وتأخير.

(٤) رجل من بني يشكر، الحماسة (شرح المَرْزُوقِي ٧٧٢/٢).

أَلَا أبلغُ بني ذَهَلٍ رَسولًا وَخُصَّ إلى سَراةِ بني النطاح^(١)

فَعَدَى (خُصَّ) بـ(إلى)؛ لأنَّ القصد الرسالة، فَأَجْرَوهُ^(٢) على عمل: أبلغ إلى سراة بني النطاح خصوصًا. فاعرفه أصلًا^(٣) من الأصول.

(٣٧) وَقَدْ يَشْرِكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَجَحَّتْ رِمُ النَّفْسِ الَّتِي تَتَهَيَّبُ

الضمير في "يترك" و"تهابه" إلى الموت.

يقول: إنه قد يُتَخَلَّصُ على الملاحم، ويخوض في الرَدَى ويعلقُ في جباله مَنْ يحيد ويتجنب^(٤).

(٣٨) وَمَا عَدِمَ اللَّافُوكَ بِأَسًا وَشِدَّةً^(٥) وَلَكِنَّ مَنْ لَاقُوا أَشَدُّ وَأُنْجَبُ

يعني بما عدموا البأس: أنهم لم يعدموا من أنفسهم النجدة والشجاعة، ولكنك كنتَ أَجْزَلَ حَظًّا من الجراءة^(٦)، وَأُنْجَبُ إقدامًا في الحرب.

والكاف في "اللافوك" في موضع جرٍّ عند صاحب الكتاب، وفي موضع نصبٍ عند أبي الحسن^(٧).

(١) قال المرزوقي: "قوله: (رسولًا) أراد رسالة. وقوله: (وخُصَّ إلى سراة بني النطاح)، أي: توصل إلى أن تخصهم بأدائها." (الموضع السابق).

(٢) في الأصل (فاخروا) وفوقه (ختصروا)، ولعل صوابه ما أثبت.

(٣) في الأصل (أصولًا).

(٤) في الأصل (ويخيب)، لعل صوابه ما أثبت.

(٥) رواية الديوان ٤٦٧ (نجدة)، وأشار إليها صاحب النظام ق/ ٤٣٤.

(٦) في الأصل (الحرارة) وبإزائها في الحاشية بخط مخالف (الجرأة) وهو الصواب.

(٧) انظر: الكتاب ١/ ١٨٤، ١٨٧. وذكروا أن سيبويه يجيز النصب أيضًا، انظر: شرح الأشموني

وقوله: "مَنْ لَاقُوا أَشَدُّ" وضع الظاهر موضع المضمَر، وكان الظاهر: ولكنك أشدَّ، إلا أنه عَلِمَ الغرض، فأحسنَ.

(٣٩) ثَنَاهُمْ وَبَرَّقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ عَلَيْهِمْ، وَبَرَّقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ خُلْبُ

103/ب

/فاعل "ثناهم" هو ضمير "من لاقوا"، فكأنما قال: رددتهم والسيوف غالبية والمغافر مغلوبة، أي: أن السيوف إذا برزت من أعمادها برقت، فعمل شعاعها في المغافر؛ لأنه يؤثر فيها، ويقطعها، وينفذ في هام أصحابها. ولعانُ المغافر لا يؤثر في السيوف؛ لأنها تكسرهما، ولا تمتنع منها. فالبرق الذي للصوارم صادق لوجود العمل، والبرق الذي في المغافر كاذب لعدم الغناء.

وما أحسن ما ذهب في الاستعارة والتجنيس ١.

وأما إعراب قوله: "في البيض صادق عليهم"، فعلى وجوه:

أحدها: أن يكون "في البيض" متعلّقاً "ببرق"؛ لوضوح معنى الفعل، كأنه: لمعانه في المغافر صادق عليهم، فيكون^(١) "عليهم" معمولٌ "صادق" كما يكون معمولٌ غالب^(٢).

والوجه الثاني: أن يكون كل واحدٍ من "عليهم" و"في البيض" متعلّقاً "بصادق"، كما تقول: غلب^(٣) عليهم في الرأس، وكقولك: [غلب] عليه في الحجّة.

والثالث: أن يكون كلّ واحدٍ من "عليهم" حالاً من المغافر، ويكون "في البيض" متعلّقاً "بصادق"، كأنه قال: وبرق البيض صادق عليها، أي: على المغافر^(٤).

(١) في الأصل (في ان)، لعله تحريف لما أثبت.

(٢) أي: أن (صادق) ضَمَّنَ معنى (غالب)، فعُدي (على).

(٣) في الأصل (عمل)، لعله تحريف لما ذكرت، وقد يكون محرفاً عن (حمل).

(٤) في عبارة هذا الوجه اضطراب وغموض.

[فإن قيل] ^(١): فهلا ذهبت إلى أن برق البيض صادق على الأعداء، من حيث إنها تعمل فيهم، وتسيل دماءهم، فشعاعها برقٌ، ودماؤهم مطرُه، وهذا معنى ألطف مما ذهبت إليه!

فالجواب: أن نظم البيت لا يجيز سلوك هذه الطريقة، لاسيما عجزه، فإنه يبقى مع هذا المذهب الذي اخترته ضائعاً؛ لأنه إذا لم يُرد - في صدره - (أن تأثير السيوف ظاهر نافذ في المغافر، وأراد أنها مؤثرة في أصحاب المغافر)، كان قوله في آخر البيت: (والمغافر تأثيرها في السيوف غير ظاهر، وبرقها فيها معها كاذب) كلاماً واقعاً في غير موقعه، وشيئاً ابتذله ما يقع في مقابلته، على حد ما توجه العادة من قولنا: هذا يعمل في ذاك، وذاك لا يعمل في هذا.

وما ادّعت من امتناع (عليهم) ووجوب أن يقول: (عليها) ^(٢)، فغير لازم؛ لأن برق السيوف إذا صدق في المغافر فقد صدق في أصحابها، وإذا قطتها وصلت إلى هاماتهم.

(٤٠) سَلَّمْتُ سَيْوُفًا عَلَّمْتُ كُلَّ خَاطِبٍ عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ

هذا على معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى أن سيوفك خطبت على الرقاب خُطْبًا علّمت الخطباء كيف تكون الخطبة، يريد فرط ^(٣) الغناء، فيجعل السيوف خاطبةً على الاستعارة، كما قال ^(٤):

(١) ما بين الحاصرتين مثبت في الحاشية بخط مخالف.

(٢) لأن (عليهم) لجماعة العقلاء، ولو أراد المغافر لوجب أن يقول: (عليها).

(٣) في الأصل (يريد يذفرط)، كأن المقطع (يد) تكرر مرتين.

(٤) هو أبو الجهم أحمد بن سيف كما في الورقة لابن الجراح: ١٣٢ (دار المعارف)، أو للعلوي صاحب الزنج أو العلوي الحماني كما في مجموعة المعاني ١٠٣ (دار طلاس). وبلا نسبة في الحماسة (بشرح المروزي ٢٧٧/١).

منابرُهُنَّ بطُونُ الأَكُفِّ وأعمادُهُنَّ رُؤُوسُ المُلُوكِ.

والوجه الثاني^(١): أن يكون المعنى: أنك تملكيت البلادَ بالسيوف، حتى نطقت المنابرُ بذكرك، ووُشِّحت الخطبُ باسمك، فعَلَّمت الناسَ كيف يجب أن يخطبوا.

وفيه مدح حسن، وهو أن السيوف إذا كانت معلَّمة الخطباء الصواب في الخطبة، دلَّ على [أن] ما كانوا عليه من الخطبة على غيره خطأ.

و"على" في قوله: "على كل عودٍ" يتعلق "بخطب" — ولا يجوز أن يتعلق "بخطب" — حتى كأنه قال: علمت كلاً كيف يدعو ويخطب على كلِّ عودٍ؛ لأجل [أن] ما يقع بعد الاستفهام لا يتقدَّم عليه، فلو قلت: زيِّداً كيف ضربت؟ لم يجز — والتقدير: علَّمت كل خاطبٍ على كل عودٍ كيف يخطب عليه.

(٤١) / وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ^(٢) أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرَمَاتُ وَتُنْسَبُ

104/أ

المعنى: أنك أصل في المكارم والمعالي، فكلُّها تُعرف بك، وتنتهي بالنسبة إليك، حتى لا يُقبل شيءٌ منها ما لم يقل: إنه على عَرَفِ فضلك، ومشتقٌّ من عود شرفك. فإذا كان كذلك كنت مستغنياً عن أصلٍ تُنسبُ إليه.

و"ما" في قوله: "ما ينسب الناس" مصدر، كأنه: عن نسبة الناس.

و"أنه إليك تناهى المكرمات" فاعل "يغنيك"، والضمير في "أنه" للشأن، كأنه: يُغنيك عن نسبتهم تناهي المكرمات إليك، وطلوعها من بُروج همّتك.

ويجوز أن يكون "ما" موصولاً، فكأن الأصل: عما ينسبُ الناس إليه، ثم حذف الجار، فصار: عما ينسبه، ثم حذف الراجع إلى الموصول، كقوله عز وجل: ﴿أَهَذَا الَّذِي

(١) اقتصر الشراح على هذا الوجه.

(٢) رواية الديوان ٤٦٧ (ينسب الناس) بالنصب، وأشار محققه إلى رواية الرفع.

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١﴾، فكأنه قال: عن الذي ينسبُ الناسُ، فيكون خارجاً على العموم، كقولك: عن جميع ما يُنسب إليه.

(٤٢) وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ!

أكد بهذا القول ما قبله، فقال: أي قبيل يستوجب أن تكون منسوباً إليه!

وقوله: "معد بن عدنان فداك ويعرب" إخبار، وليس بدعاء، كما تقول: زيد غلام لك. أي: أن العرب مستحقرة بجنب قدرك!.

وهذا هُزءٌ لُفَّ رأسه في جِرابٍ (٢) المدح (٣) وزاد الهُزءَ فقال:

(٤٣) وَمَا طَرِبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعْمَةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرِبُ

يقول: لم يكن طربي بدعة؛ لأنه (٤) لم يحدث غفلة، بل كنت قبل وصولي إليك في نشوة الطرب.

و"بدعة" يجوز أن يكون معمول (٥) "ما"، ويجوز أن يكون مفعولاً له.

ورفع "أطرب" عطفاً على "أرجو"، فكأنه: لقد كنت أرجو رؤيتك فأطرب. أي: كنت [في] رجائي الوصول إليك فرحاً، فكيف إذا وصلت إليك؟! ومن هذا النصاب، قوله (٦):

(١) سورة الفرقان: ٤١، ووجه الاستشهاد من الآية -كما تقدم- أن الرجوع من الصلة إلى الموصول محذوف، وتقديره: بعثه.

(٢) في الأصل (شراب)، لعل صوابه ما أثبت.

(٣) وهذا ديدنه في جميع كافورياته، قال ابن جني: "وكان يقول: لو شئت لقلبت جميع ما مدحته ... فجعلته هجواً" الفسر ١/ ٥٨٣.

(٤) في الأصل (لأنك).

(٥) في الأصل (مفعول).

(٦) نسبه الشارح -رحمه الله- لأبي تمام، كما مضى في صفحة: ٢٢١، ولم أجده في ديوانه.

يؤمِّلني قومي على أُملي له فكيف إذا ما نالني منه نائله!

وذاك أن الأمل إذا كان يسوق الآملين إلى جنبه، فما ظنك به إذا نال؟! وكذلك المتنبي، إذا كان يطرب عند رجائه رؤيته، فناهيك به فرحاً إذا صدق برق الأمل!

وهذا مثل قوله^(١):

والشعرُ لا يسطيعُه مَنْ يظلمُه

يريدُ أن يعرِّبه فيعجمُه

وذاك أن (يعجمه) [معطوف] على (يريدُ)، كأنه: يريدُ إعرابه [فيعجمُه]، وكذا هنا: أرجو رؤيتك فأطربُ.

وقال أبو الفتح^(٢): قلت له عند هذا البيت: جعلت الرجلَ أبا زنة^(٣)! فضحك!

(٤٤) وَتَعْدِلُنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبٌ!

يشير في الظاهر^(٤) إلى أن الأشعار كأنها تلومني على سوقها إلى غيرك؛ إذ لا يستحق أحد ما تستحقه، وهكذا همتي عاذلة على مدح غيرك، لقصوره عن رتبة الممدوح مع وجود مثلك.

(٤٥) وَكَئِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ أَفْتَشْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيَنْهَبُ

وجهُ نهبِ الكلام: أنه كان يجردُ العزمَ على مدحه، فتحولُ العوائق [بينه] وبين تهذيبه^(٥).

(١) للخطيئة، أو لرؤية، على ما مضى في صفحة: ٤١٠.

(٢) الفسر ٥٨٣/١.

(٣) أبو زنة: كنية للقرء. ثمار القلوب ٢٥٣، والمرصع لابن الأثير ١٦٥.

(٤) لأن هذا القول مبطن بالسخرية، قال ابن جني: "وقوله: (وتعدلني فيك القوافي وهمتي) هجو صريح،

لولا أنه تستر منه بالمصراع الأخير". الفسر ٥٨٥/١. وانظر: رسالة في قلب كافوريات المتنبي ١٥٤.

(٥) أو أن الناهب لمدحه هو الملوك قبل الوصول إليه. شرح الواحدي ٦٦٧، ومعجز أحمد ١١٤/٤.

والرواية: "أَفْتَشْ" ، بفتح التاء وضمّ الهمزة^(١). كقوله: فَتَشَّتْهُ عَنْ كَذَا.

ب/104

(٤٦) / فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبٌ.

معنى البيت: أنه ذهب في الشرق حتى لا شرق وراء ما بلغه، وكذا مضى في الغرب حتى استغرقه^(٢) سَيْراً.

وإعرابه على وجهين:

أحدهما: أن يكون الشرق والغرب، بمعنى: المصدر، فكأنه: حتى ليس للشرق^(٣) مشرق، ولا للغروب^(٤) مغرب، بمنزلة قولك: حتى ليس للشرق موضع، كما تقول: ليس للجلوس مجلس.

والوجه الثاني: أن يكون المعنى: حتى ليس للشرق جانب، كقولك: لم يبق للمشرق شيء، أي: فَنِيَ كُلُّهُ.

وقال البحري^(٥):

أَمْسِي زَمِيلاً لِلظَّلامِ، وَأَعْتَدِي رِدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الْأَشْهَبِ
فَاكُونَ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْـ أَقْصَى، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ

وقال أبو تمام^(٦):

وَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَ.

(١) في التبيان ١/١٨٧، ومعجز أحمد: (أَفْتَشْ) بكسر التاء. وذكر الوجهين صاحب النظام ق/٤٣٦.

(٢) في الأصل (استغره).

(٣) في الأصل (للشرق)، ولا يتضح به مراد الشارح.

(٤) في الأصل (للغرب) أيضاً.

(٥) ديوانه ١/٧٩.

(٦) ديوانه ١/١٤٠.

فهذا لا يبلغ قول المتنبي؛ لأنه ذكر أنه سار في الغرب حتى لم [يجد] أثر المشرق، وفي الشرق حتى لم يبق عنده خبر مغرب، فيجوز أن يكون أبعد فيه، ولم يستوعب الجميع سيراً. على أنه يكون^(١) إشارة إلى التقصي^(٢).

ومثل ذا قوله^(٣):

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مآدح.

يريد: جانب من المشرق.

(٤٧) إِذَا قُلْتَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ جِدَارٌ مَعْلَى أَوْ خَبَاءٌ مُطَنَّبٌ

يعني: أن قوافيه سوائر بدوًا وحضراً، فلا الجدار يحجبها ولا الخباء، كما قال^(٤):

فإني إذا سِرْتُ من مقولي وتبَّ الجبال وخُضن البحارا

(١) (يكون) أضيف بخط دقيق.

(٢) أي: محاولة الاستقصاء، والاجتهاد فيه، وإن لم يبلغ النهاية.

(٣) هو أشجع السلمي، الحماسة (بشرح المرزوقي ٨٥٦/٢)، والألماني ١١٨/٢، وزهر الآداب ٨٤٩/٣.

(٤) أي المتنبي، ديوانه: ٣٤٦.

(٢٨)

وقال يمدح كافوراً في سنة تسع وأربعين وثلاثمئة، ولم يلقه بعدها:

(١) مَنِّي كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خَضَابٌ فَيُخَفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ.

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون "مَنِّي" مبتدأ، و"كن لي" جملة في موضع الوصف لها؛ لأن النون (الذي هو ضمير مَنِّي) اسم كان، و"لي" خبره، ويكون "أن البياض خضاب" خبر المبتدأ. فكأنه قال: مَنِّي كن لي كون البياض خضاباً.

وجاز أن يكون "مَنِّي" مبتدأ مع أنه نكرة، و"أن البياض خضاب" خبراً مع أنه معرفة؛ من حيث إن النكرة قد تخصصت بالصفة. ومثله سواء قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١) فـ{الذي} معرفة، و{أول بيت} نكرة، لكنه لما تخصص بالصفة والإضافة بقوله: {وضع للناس}، وكان بمعنى: إن أول البيوت التي وضعت للناس، جاز أن يكون بمنزلة المبتدأ، ويكون {الذي} خبراً. وكذلك "مَنِّي" إذ تخصص "بكن لي" جاز أن يكون مبتدأ؛ إذ المعنى: مناي التي كانت هي: أن البياض خضاباً.

والوجه الثاني -وهو الأجود-: أن يكون "أن البياض" مبتدأ، و"مَنِّي كن لي" خبراً مقدماً، فكأنه قال: / كون البياض خضاباً مَنِّي كانت لي. غير أن هذا الخبر يلزمه التقديم في ذا النحو؛ لأجل أن (أن) لا تكون مبتدأ لفظاً، لا تقول: أنك منطلق خير لك؛ لأنهم^(٢) كرهوا أن يوقعوها موقعاً يكون بعرض أن تدخل عليها (إن)، فيجمع حرفاً تأكيداً، نحو: إن أنك [منطلق خير] لك. وإنما تكون مبتدأة، متقدماً عليها الخبر، نحو قولك: أحقُّ

105/أ

(١) سورة آل عمران: ٩٦.

(٢) في الأصل (انهم).

أَنْتَ ذَاهِبٌ؟ (فَأَنْتَ ذَاهِبٌ) مبتدأ، و(حَقَّ) خبره؛ وذلك أن الخبر إذا تقدم لم تكن هي معرّضة^(١) لأنّ، من وجهين:

أحدهما: أنّ (إنّ) لا يتقدم فيها الخبر، لا تقول: إنّ منطلقاً زيداً.

والثاني: أنه لو جاز أن يكون خبر (إنّ) متقدماً، لكان الفصل فيه قد حصل بين حرفي التأكيد. فاعرفه.

وقال: "أنّ البياض خضاب" نقضاً للعادة التي للناس من استعارة صبغ الشباب للشيب، كأنه قال: كنت من حي للوقار والحلم ومباعدة طرق الصبا والتعري من أوصافه، أصرفُ منّي في أمرٍ أتوصلُ به إلى استعارة الشيب واكتساء جليته، حتى كأن من منّي أن يكون ههنا شيء يخضب به السواد، كما وجد من الأدوية التي يخضب بها البياض، ولكنّ ذلك غير موجود، فإن السواد يمتنع من قبول صبغ البياض على حدّ قبول البياض صبغ السواد وغيره من الأصباغ.

(٢) لِيَايَ عِنْدَ الْبَيْضِ فَوْدَايَ فِتْنَةً وَفَخْرٌ، وَذَلِكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ^(٣)

"لياي" يجب أن يتعلق بفعلٍ مضمّر، كأنه لما قال: كان كذا وكذا من منّي، قيل له: متى كان ذلك؟ فقال: كان ليالي فوداي فتنة عند البياض، كقوله عز وجل: ﴿يَسْجُدْ لَهُ﴾ فيها بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿رِجَالٌ﴾^(٣) لأنه لما قيل: {يسبح له} كأنه قيل: مَنْ يسبح؟ فقيل: يسبحه رجال.

فإن قلت: فهب أنّ هذه طريقةً مسلوكة، فما الذي دعاك إلى هذا الإضمار؟ وهلاّ علقت "ليالي" بنفس "كن"!

(١) في الأصل (معرفة) تحريف.

(٢) الفودان: جانب الرأس يميناً وشمالاً. والعباب: العيب. الفسر ٥٨٨/١.

(٣) سورة النور: ٣٦، ٣٧. وهذه قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: كتاب السبعة في القراءات: ٤٥٦.

فالجواب: أن ذلك ضعيفٌ جداً؛ لأجل أن "كن لي" صفة، فإذا علقت الليالي [بها، كانت] من تمام الصفة، فتفصل بالأجنبي!

ويدلك على قبح ذلك أنك لا تكاد تجد أحداً يقول: إن رجلاً ضربتَ زيدَ أخاه، يريد: إن رجلاً ضربتَ أخاه زيداً؛ لأجل أن (ضربت) صفة رجلٍ، و(أخاه) متعلق به، فينبغي أن تستوفي الصفة، ثم تأتي بشيءٍ آخر. فاعرفه.

والمقصود: أنه يتمنى أن يلوح صبحُ المشيب من ظلام الشباب حين كانت الغواني مشغوفةً بقوْديه، ومعتقدةً^(١) له في ذلك شرفاً ومفخرًا. ويعدُّ ذلك عيباً؛ إذ كان الوقارُ وأعلامُه أحبَّ إليه.

(٣) فكيف أذمُّ اليومَ ما كنتُ أشتَهي وأدعو بما أشكوه حينُ أجابُ؟

"أشكوه" حال محكية، كأنه قال: كيف أذمُّ ما كنتُ أشتَهي، وكيف أدعو بما كنتُ أشكوه إذا أجابني؟

وقال: "حين أجاب" والمراد: حين يجيبني؛ لأن المقصود بالإجابة معلومٌ وهو الشباب، أي: الشباب كان يجيبني إذًاك، فكننت مع ذلك أشكوه وأكرهه، فأريد أن يدع صحبتي، ويصير بمنزلة الذاهب الذي لا يجيب، فكيف أدعوه الآن؟^(٢)

"فأدعو" معطوف على "أذمُّ"، ولا موضع له من الإعراب، كما لا يكون لقوله: "أذمُّ"^(٣).

(١) في الأصل (متعقدة).

(٢) فسّر الشارح الشطر الثاني على إرادة الشباب، أي: كيف أعود إلى دعاء الشباب وطلبه الآن، وقد كنتُ أشكوه سابقاً حين يجيبني للهو والطيش. وقد تضافرت عبارات الشارحين على أن المراد به الشيب، كالشطر الأول، والمعنى: أن الشاعر يتعجب من أمره، كيف يدعو بالمشيب، وهو سيشكوه ويكرهه إذا أجيب إليه؟ قال ابن جني (٥٨٩/١): "يقول: فكيف أذمُّ المشيب وقد كنتُ أشتَهي، وكيف أدعو بما إذا أجبت إليه شكوته؟ هذا مستحيل، أي: كيف أدعو بالمشيب وأنا أكرهه؟". والمعنى الذي سار عليه الشارح، أشار إليه الواحدي ٦٨١.

(٣) لأنها جملة ابتدائية.

105/ب

ولا يجوز أن يكون منصوب الموضع / بالعطف على "أشتهي"؛ لأنك لو قلت: فكيف أذم اليوم ما كنت أدعو بما أشكوه، كان ظاهراً الاختلال؛ لأن الدعاء حاضرٌ والشكاية سابقة.

فكأنه كان يحب أن يُغير الشيب؛ رغبةً في وضوح معالم الحلم، فلمّا ضاحكه حاسراً رداء الشباب، ووجده دافعاً في صدر الحياة التي هي الأصل، وحاملاً على النضارة بالذبول، ومهيئاً لوفد الردى، قرع سنّ الندم، وعاد يستدعي ما كان يستنكره! وقال^(١):

وكم مُدركٍ أُمِّيَّةً كان داؤه يادراكها والغيبُ عنك مُحجَّب.

(٤) جَلَا^(٢) اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ كَمَا انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ

قيل^(٣): إن التقدير: جلا اللون الأسود، فحذف الصفة، نحو قول النبي ﷺ: "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد"^(٤)، والمعنى: لا صلاة كاملة في الفضل، بالإجماع^(٥)، فكَذلك المقصود هنا جلا اللون الأسود عن لونٍ واضحٍ سحبَ على المسالك ذيل الضياء، كما يُشَقُّ جلد الغيم عن وجنة السماء.

والقول عندي أن هذا ليس كما ذكروه؛ لأن اللام في "اللون" لتعريف العهد، كما تقول: فعل الرجل كذا، تريد الرجل الذي عهدته، فكَذلك قد تقدّم -هنا- ذكر الشباب،

(١) في الوساطة ٢٦٧، منسوباً لعبد الله المهلبي، بلفظ (والغيب عنه محجب).

(٢) جلا، أي: زال، قالوا: جلا القوم عن منازلهم، أي: زالوا ورحلوا. الفسر ٥٨٩/١.

(٣) قاله ابن جني (المصدر السابق ٥٨٩/١).

(٤) أخرجه الدارقطني (١٦١)، والحاكم (٢٤٦/١)، والبيهقي (٥٧/٣) وقال: "وهو ضعيف"، والسخاوي في المقاصد الحسنة ٧٢٦، وذكر أنه لا يثبت مرفوعاً، وإنما هو موقوف على علي ت. وهو في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١٨٣).

(٥) هذا الإجماع منتقض بقول من يرى أن صلاة الجماعة شرط لصحة الصلاة، فمن تخلف عن الجماعة -بلا عذر- فلا صلاة له.

انظر: المغني لابن قدامة ٧/٣، وسبل السلام ٤٠٩/٢.

فقال: جلا اللون، إشارةً إليه، فكأنه قال: جلا ذلك اللون، أو جلا اللون الذي ذكرت. وليس كذا قوله ﷺ: "لا صلاة لجار المسجد"؛ لأجل أن هذه نكرة فلا تدلّ على الصفة، وإذا كان كذلك وجب أن يحكم بأنه لفظٌ عامٌّ، والمراد الخصوص.

ولو كان الأمر على هذا لوجب أن يقال في قولك لرجلٍ (قال لك: كان عندي رجل من شأنه كذا): ما فعل الرجل؟ إنه لا يصحّ، حتى تقول: ما فعل الرجل الذي كان عندك. وهذا محالٌ؛ لأجل أن ذكره إذا تقدم ثم أشرت إليه بلام التعريف، دلّ عليه بصفته في تلك الحالة، وإنما تحتاج أن تقول: ما فعل الرجل الذي كان عندك، إذا حصل في العهد اختلال، بأن يكون جرى بينكما ذكر أكثر من واحد، فيُخشى أنك لو قلت: ما فعل الرجل^(١) فقط، لم يُدرَ أيّا تريد. فاعرفه، فإنه واضح.

و"اللون" فاعل "جلا"، كأنه قال: جلا الغطاء عن لونٍ؛ لأنه إذا زال فقد كشف عن غيره.

وقوله: "هدى كل مسلكٍ" في الأصل من قولك: هَدَيْتُ الطريقَ، ولكنه يحذف المفعول إذا لم يكن إلى واحدٍ، كما تقول: هذا أمرٌ يدلّ على الحق، كأنك قلت: يدلّ كلّ شيء على الحقّ، فكذا - هنا - كأن الأصل: هدى كلّ شيءٍ كلّ مسلكٍ. فالتسكوت عن المفعول بمنزلة ذكره في ذا النحو.

وهذا استعارة، والقصد: الوضوح.

ويجوز أن يريد: أنه دلّ على أن الإنسان يُحْدِ إلى الفناء، وكُشِفَ له عن الخصال التي كانت مكتومةً بغرّة الشباب. والأول الوجه.

وقوله: "كما انجاب" مصدر، كأنه: هَدَى هُدًى كأنجياب الضباب، وذاك أن الهدى بمعنى الإيضاح، وأنجياب الضباب هو ذاك، فهو ضرب من قولهم: تَنَسَّمْتُ وميَّصَ البرق، ومثله^(٢):

(١) في الأصل (الرجال).

(٢) للرّاعي، ديوانه: ١٩٠، وصدره: لها فارة ذفراء كل عشيّة.

كما فَتَقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقُـهُ

106/أ

/وذاك أن التقدير: فوحاً كفتق الكافور، وليس الفتق يفوح على الحقيقة، ولكنه لما كان سببه، صار كأنه قال: كَفَّوْح الكافور إذا فُتِقَ. فاعرفه.

(٥) وفي الجِسمِ نَفْسٌ لَا تَشِيْبُ بِشَيْبِهِ^(١) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابٌ.

يعني: أن الهمة والطبع الشريف مما لا ينفذ فيه سهمُ النقص، فالجسم وإن تغير فإن ذاك على حاله، رافلٌ في ذيل كماله!

ومثلُ ذا في ذكر الجسم والنفس قوله^(٢):

أصاحبُ^(٣) نَفْسٍ المرءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فَعْلِهِ وَالتَّبَسُّمِ^(٤).

فكأن القصد: أن الروح هي التي تعتبر بشرفها ولؤمها، وأن الجسم كالوعاء لذلك الشيء.

وقد صار النفس -في العادة- عبارةً عن معنى الهمة، كقولهم: نفس أبيّة، ونفس كريمة، أودنيّة، كما يقولون: همّة شريفة، أودنيّة.

ونحو ذا من الألفاظ يُدرك معانيها بالحس والاعتقاد.

وقولهم: النفسُ للروح كأنّه مأخوذٌ من النَّفْسِ، والنَّفْسُ مأخوذة منه، من حيث إن الشيء الذي تُعرف منه يتعلّق بتصعّد هذا النفس، وفُصل بينهما بأدنى تغيير، وهو أن أسكنوا العينَ في أحدهما وفتحوا في الآخر. يقطع به أنهم قالوا: رُوح -بضم الفاء- وريح

(١) رواية الديوان ٤٧٩ (لشيبه) باللام.

(٢) أي: المتنّي، وقد مضى شطره الأول في صفحة: ٦٠٦.

(٣) روايته في الموضع السابق (أصادق)، وهي الموافقة لما في الديوان والشروح.

(٤) رواية الديوان والشروح (والتكلم).

-بكسر الفاء- لما^(١) هو من جنس النَّفْس في الحقيقة، وكلُّ من تركيب واحدٍ، بدلالة قولهم: أرواح، فريح وروح بمنزلة نَفْسٍ ونَفْسٍ، في اتفاق التركيب وتقارب المعنى. فهذا القدر متصور، وإن كان الله تعالى [يقول]: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢)، ووقع الناس في إثبات خلافٍ لا يُبارى وليده^(٣). وحكى شيخنا -رحمه الله- أن أعرابياً مرَّ بقوم من المتكلمين يتنازعون في الإنسان، فقال: إن كنت أدري فعليَّ بدنة! من كثرة التخليط في مرائهم. ومرَّ واحدٌ آخر [بقوم] يتنازعون النحو، فقال:

إذا اجتمعوا على ألفٍ وياءٍ وواوٍ هاج بينهم جدال^(٤)

(٦) لَهَا ظُفْرٌ إِنْ كُلَّ ظُفْرٍ أَعْدَهُ وَنَابُ إِذَا لَمْ يَنْقُ فِي الْفَمِ نَابُ

(٧) يُغَيِّرُمْنِي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمُرِ وَهِيَ كَعَابُ^(٥).

يعني: أن تلك فتيةٌ سالمةٌ، ولو سلبَ القدرة من جسمي، واستولى الضعف على أطرافي. ولله دره! قد اخترع طريقةً ظريفةً.

وأما إعراب قوله: "يغيرمني الدهر ما شاء غيرها"، فعلى وجهين:

أحدهما: أن يكون "ما شاء" مفعول "يغير"، كأنه قال: يغيرمني كلَّ ما يريد غيرها، فيكون "غيرها" نُصِبَ على الاستثناء، حتى كأنه قال: يغيرمني الدهر ما يريد إلا هذه النفس، فإنه لا يُمكن من تغييرها.

(١) في الأصل (كما).

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

(٣) أي: أدنى هذا الخلاف والجدال في ماهية الروح لا يطاول ولا يبارى؛ لأنه لا ينتهي.

(٤) المقتضب ١/٢٣٦، المخصص ١٦/٥، تفسير الواحدي ١١/٢.

(٥) الكعاب: الجارية حين ينهد ثديها.

والثاني: أن يكون نَصَبًا "بشاء"، ويكون "ما"، بمعنى المصدر، على تقدير الزمان، كقولك: ما لاح برقٌ، فكأنه قال: يغيّرمني مادام يريدُ غيرها، فأما إذا قصدَها فلا، كما تقول: أنت ممكّنٌ ما أردتَ غيرَ الروح. فاعرفه.

(٨) وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي^(١) صُحْبَتِي بِهِ إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ

يعني: أنه قدوةٌ في المساعي وإمامٌ. ولما ذكر النجم أتي بالسحاب في المعارضة، وجعله كنايةً عن /الموانع. كأنه قال: إذا خَفِيتُ أوضاحُ الحقِّ بظلام الباطل، فأنا النجمُ الذي يَهْتَدَى بي. 106/ب

ويجوز أن يريد: أن الكواكب إذا غابت فإني الهادي الذي يستغني عن دلائل النجوم. فقصد وصفَ نفسه بتصفّح جوانب الأرض، وبسط باع السُرى في مناكبها. كما قال^(٢):

بِصَارِمِي مُرْتَدٍّ، بِمَخْبِرِي^(٣) مُجْتَزِي، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ

(٩) غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَخْفُنِي إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ

يعني: أنه ليس بعاجز يلزم الزوايا، ولكنه جوابُ الفلا، ففي كل مُناخٍ له منزلٌ وصحبٌ.

ويروى "يستخفي" و"يستفزي"^(٤) من أفزّه إذا ألقاه. وقد جاء استفعل بمعنى أفعّل، كأخرجت واستخرجت. وأما "يستخفي" فالأصل من قولهم: استخفه الطربُ، بمعنى وجده خفيًا. فلما كان استخفافه تغلبًا عليه في الحقيقة صار يُستعمل بمعنى ملكه الطربُ، وملكه الشوقُ، فكأنه قال: لا يملكني إيابُ إلى بلد.

(١) في شرح الواحدي ٦٨١، ومعجز أحمد ١٤٨/٤، وشرح الكندي ٧٦٢ (يهتدي) بالياء. وفي التبيان ١٩١/١ (تهتدي بي صحبتي).

(٢) أي المتنبي، ديوانه ١٢٥.

(٣) المخبرة: الخبرة

(٤) هذه رواية الواحدي ٦٨٢، والتبيان ١٩١/١، والروايتان في معجز أحمد ١٩٤/٤.

وقوله: "إلى بلد" على تقديرين:

أحدهما: أن يتعلّق بنفس "يستفزني"؛ لأنّ المعنى: لا يحدوني إلى بلد، فكأنه قال: لا يقلقني إلى بلد رجوعاً. ويكون هذا - في جعل الرجوع فاعلاً فعل هو الرجوع في الحقيقة - كقوله^(١):

عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطْنَا لَوْ قَتَّ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نَزُولُ

فالنزول فاعل حطّ، وليس في حطّ فعل ليس في النزول إذا حقّقت، ولكنه جاز على سبيل التوسّع، حتى كأن النزول أحدث فعلاً. وهو في بيت المتنبي أوجه؛ لأنه إذا قال: لا يستفزني إلى بلد إياباً، كان في يستفزني زيادة ليست في الإياب، وهي: أنه ردُّ مع هزة شوق فيه! كما ذكرت لك في قوله^(٢):

وُخِّصَ إِلَى سَرَاةِ بَنِي نَطَاحٍ

أنه يجري مجرى قولك: أبلغ إليهم خصوصاً. وكذا هذا بمنزلة قولك: ولا يردني إلى بلد إياباً شوقاً.

والوجه الثاني: أن يكون الأصل: لا يستفزني إياب إلى بلد، على أن يكون (إياب) هو العامل في (إلى)، فكأنه قال: لا يملكني إياب إلى بلد، ثم قصد أن يقدم [إلى] على المصدر، فجعله معمول صفة للمصدر، نحو: لا يستفزني إياباً كأنني إلى بلد، ثم قدّم الصفة ونصبها على الحال في التقدير، فصار: لا يستفزني كأننا إلى بلد [إياب]، كما ذكرنا في قوله^(٣):

لِلشَّاكِرِينَ عَلَى إِلَهِ ثَنَاءٌ

(١) عبد الملك الحارثي، أو السموأل، على الخلاف المشهور. انظر: الحارثي حياته وشعره: ٨٩، وديوان

السموأل: ٩١.

(٢) انظر صفحة: ٦٤٠

(٣) انظر صفحة: ١٥٠

و"غني" لا يجوز أن يكون صفة "لنجم"، لأمرين:

أحدهما: أن الغنى عن الأوطان به أولى، وإن كان النجم كنايةً عنه.

والثاني: أنه قد أعاد عليه الضمير على لفظ الغيبة، فقال: "لنجم يهتدي صحبتي به"، ولم يقل: بي، وهنا يرجع الضمير إلى المتكلم، ألا تراه قال: "لا يستفزني" و"سافرت"؟ وأنى يليق ذاك بأن يعود إلى النجم!

فغني^(١) -إذا- خبر ثان، أو خبر مبتدأ محذوف، نحو: أنا غني عن الأوطان. فاعرفه.

(١٠) وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ^(٢) إِنْ سَامَحْتَ بِهِ وَإِلَّا فَفِي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ

أي: غني عن ذملان العيس، فقد تم الكلام هنا، ثم استأنف يفسر المعنى ويؤكد، فقال: "إن سامحت به وإلا ففي أكوارهن عقاب". يعني أن الإبل متى لم تسمح بالسير، فإن الذي/ في أكوارها عقاب يطوي الدنيا طياً.

107/أ

والعقاب كناية عن المتنبي، فكأنه قال: إني أنتحي على المفاوز بقدمي.

وأما إعراب قوله: "إن سامحت، وإلا" فالأصل: إن سمحت به، وإن لم تسمح فإن في أكوارهن عقاباً. كما تقول: إن أعطى زيد وإلا فإني غني، ثم تحذف الفعل، كما تقول: إن خرجت خرجت وإن لم تخرج فلا.

ويقال: إلا تسمح، وإن لم تسمح، غير أن الفعل إذا حذف لم يستعمل غير (لا)، فلا تقول: وإن لم؛ لأن اتصال (لم) بالفعل أشد من اتصال (لا)، فكروا أن يفصلوه منه، وآثروا فصل (لا) عليه. والكلام في ذا يطول.

(١) في الأصل (فعلي) تحريف وتصحيف.

(٢) الذملان: ضرب من سيرا الإبل. والعيس: الببضاء التي يخلط ببياضها شيء من الشقرة.

(١١) وَأَصْدَى فَمَا^(١) أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ^(٢) لُعَابُ

لعابُ الشمس: ما يترأى فيها من أمثال الخيوط، قال^(٣):

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُعَابُ فَنَزَلْ

ويكون ذلك عند صدق الحرّ. فقد وصف نفسه بالصبر والجلد وفرط التعمّد لتحمل أعباء السفر، وأنه (مستول من قسوه)^(٤) أهل الحضر.

وقال أبو تمام^(٥):

جَدِيرٌ أَنْ يَكْرَ الطَّرْفَ شَرْراً إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(١٢) وَلِلسَّرِّ عِنْدِي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ، وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ

أكد ما قصده، وذكر نفسه بالمُسْكَةِ^(٦) والامتناع من أن يغمر عطفه خديعةً، ويُتَطَّلَعُ المكنون من سرائره.

وقوله: "ولا يفضي إليه شراب"، على وجهين:

أحدهما: أن يكون الفعل للشراب فقط، كقولك: أفضى إلى امرأته، فكأنه: ولا يصل إليه شراب، ويكون القصْدُ في تخصيصه أنه بحيث لا يدور بنواحيه الشراب الذي من سجيته أن يكشف الخدَر عن الضمائر، ويكون نوعاً من قوله^(٧):

(١) في الديوان والشروح: (فلا).

(٢) اليعملات: النوق النجية المطبوعة على العمل.

(٣) بلا نسبة في الفسر ٥٩٤/١، وشرح الواحدي ٦٨٢، واللسان (ذوب).

(٤) كذا في الأصل، ولعل صوابه (مُسْتَقِلٌّ عن فُسُولَةٍ..) والفُسُولَةُ: الضعف والخور.

(٥) ديوانه ٣٨٠/١.

(٦) المسكة: التماسك والعقل.

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. الأمالي ٢١٧/٣، ومجموعة المعاني ٣٩٩، وبلا نسبة في

التبيان ١٩٢/١.

تَغْلَغَلَ حَيْثَ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حَزَنٌ، وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

لأنَّ الغرضَ في الموضوعين أن يُجْعَلَ للمقصود جانباً لا يتصرّف فيه شيءٌ من هذه الأنواع التي تحلُّ القلوبَ.

والوجه الثاني: أن يكون في الكلام مفعول ما، كأنه قال: ولا يُفْضِي بأحدٍ إليه شرابٌ، كقولك: ولا يُوصِلُ أحداً إليه شرابٌ، فيجوز [في] ذلك أن يكون الشرابُ مخامِراً محلَّ السّرِّ، ويتضمن المبالغة من حيث إنه من الرزانة بحيث لا يملك سرّه الشرابُ مع مصاحبته له.

ولله درُّ القائل^(١):

يَظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْبَى الرِّجَالِ انْصَدَاعُهَا

(١٣) وَلِلْخُودِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ يَبْنَنَا فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْلِقَاءِ تُجَابُ

اللام في للخود للجنس^(٢)، لا للعهد؛ إذ لا يريد واحدةً مخصوصة وإنما القصد: ولذا النوع عندي ساعة.

يقول: لا أنشِبُ في حبال النساءِ فِعْلَ الْغَزْلِ العاري من متانة الجدِّ، ولكنِّي آنَسُ بالخود ساعةً، ثم أركبُ ظهورَ الفلا في طلب المعالي.

وقوله: "إلى غير اللقاء تجاب"، أي: لا أجوبها قاصداً إلى لقاء حبيب - كما جرت به العادة - ولكنَّ للسُّودد. كما قال^(٣):

(١) هو مسكين الدارمي، ديوانه: ٥٢.

(٢) في الأصل (الجيش) تصحيف.

(٣) هو أبو تمام، ديوانه ٥٠٨/٤.

ما ابيض وجه المرء في طلب العلى حتى تَسْوَدَّ^(١) وجهه في البید

(١٤) وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غَرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ^(٢) يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسِهِ فَيَصَابُ^(٣)

قد تم الكلام عند قوله: "وطماعة"، فقلوه: "يعرض قلب" جملة أخرى صدرت؛
تفسيراً للسابق، / وتوضيحاً.

107/ب

و"نفسه"، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يريد نفس القلب، ويكون المعنى: أن القلب يسترسل إلى الهوى فيملكه.

والثاني: أن تكون النفس لصاحب القلب، كأنه: يعرض قلب صاحبه.

وجاز أن يضيف النفس إلى القلب^(٤)، لأجل أنه أمير الأعضاء، والكل تابع له
كالمملوك، ويكون القصد: أن القلب الذي يجيب داعية الهوى، فكأنه يوقع صاحبه في
شبكة البلاء، ويجرعه غصص الوجد والبرحاء.

ويجوز أن يعود الضمير في "يصاب" إلى النفس مع التذكير؛ لأنه يُذكر ويُؤنث، قال
الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾^(٥) التذكير قراءة الأكثر^(٦).

(١) رواية الديوان (يسود).

(٢) الغرة: الاغترار والخديعة. والطماعة: الطمع. الفسر ١/٥٩٦.

(٣) رواية معجز أحمد ٤/١٥٠ (فُتْصَاب)، والروايتان في النظام ق/٤٤١.

(٤) الإضافة هنا بمعنى التبعية والانقياد.

(٥) سورة الزمر: ٥٩. ووجه الاستشهاد أن كاف الخطاب وتاء يعودان إلى النفس في قوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ
نَفْسٌ يَأْسُرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} الآية.

(٦) التذكير قراءة الجمهور. وقرأ بالتأنيث (جاءتك - فكذبت ...) جماعة، منهم: ابن يعمر، والجحدري،
وابن حيوة. وتنسب لأبي بكر الصديق، وابنته عائشة، وأم سلمة. رضي الله عنهم. تفسير القرطبي

١٧٨/١٥، والبحر المحيط ٧/٤٩٩.

(١٥) وَغَيْرُفَوَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ
وَعَيْرُ بَنَانِي لِلرَّخَاخِ^(١) رِكَابُ
الرَّمِيَّةِ: الشيء الذي هو مما يُرمى.

يقول: ليس قلبي مما يمضي فيه سهام الغواني، ولا بناني مما يتصرف فيه الشطرخ
وما أشبهه من الملاهي.

(١٦) تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ^(٢) فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَ لِعَابِ^(٣)
(١٧) نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ^(٤) قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ
يعني: أنا نقلب القنا فوق خيل مجرّية^(٥)؛ لما انكسر فيها من كعوبها.

والضمير في "نصرفه" يعود إلى القنا؛ لأنها تذكر وتؤنث؛ إذ هو من باب ثمره وثمر.
ولا يعود إلى الأطراف.

ويروي البرقع^(٦) أبياتاً في هذا المعنى، وهو تجاريه بنهر الخصيب وحدود البصرة،
وبلغنا به في مجلس قد زين بالأس والورد، واحتفت الغلمان المرء، وبين يديه الشطرخ
والترد يلعب، وهي:

(١) في الأصل (الزجاج)، أي: كؤوس الخمر، وهي رواية أخرى، لكن الشارح اقتصر في تفسيره على (الشطرخ)، فينبغي أن ترسم هنا بالراء والخاء. و(الرخاخ) رواية ابن جني (الفسر ١/٥٩٧).
والروايتان في بقية الشروح والديوان.
(٢) في الفسر ١/٥٩٨ (لذة).
(٣) اللعاب: الملاعبة.
(٤) أشار الواحدي إلى روايتين أخريين في هذا اللفظ: (حوادر)، أي: غلاظ سيمان، و(خوادر)، أي: أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات. شرحه ٦٨٣.
(٥) في الأصل (أنا نقلت ... جيل محدته) تصحيف.
(٦) هذه الرواية - مع أبياتها - لم أقف عليها، ولذلك بقيت مضطربة غامضة، ولعلها للبرقعي (صاحب الرّنج)، ولكنني لم أجدها في أشعاره المجموعة.

لم يلهني الشطرُجُ والنردُ ولا شجاني الآسُ والوردُ
ولا نظرتُ إلى قينةٍ يوماً ولا تشغلني المُرْدُ
لكنمّا ألهو بسمر القنا والبيض يحكي أثرها المردُ

(١٨) أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرْجُ سَاجٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

"الدُّنْيَا" جمع الدُّنْيَا، وإن كانت هذه الدار وهي واحدة، فإنها تجمع؛ على أنها تختلف، حتى كأن كل زمانٍ دارٌ أخرى، فقد جعلوا كل جزء من الدنيا دنيا، كما جعلوا لكل جزء من المشرق مشرقاً، حيث قالوا: طُفْتُ في المشرق والمغرب، كما قال^(١):

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقُ وَلَا مَغْرِبُ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ

كأنه: [لا] جانب من المشرق ولا جانب من المغرب.

وعلى تقدير الجمع في الدنيا نكروها مع أنها في الأصل تأنيث الأدنى الكائن للتمييز، وذلك لا يجوز إسقاط اللام منه، ألا تراك لا تقول: جاءني فضلى؟ وذاك أنهم لما أجروها مجرى الأسماء وأرادوا أن يقولوا: بعضاً من الدنيا، لم يكن بدُّ من أن يقولوا: دنيا، بغير لام، ليحصل التنكير، كقوله: أَخْرُ لِلْآخِرَةِ، ودُنْيَا تنفع^(٢). ويوضح التنكير في ذا أن دنيا كل واحد هي قدر عمره، فكأن كلَّ عمرٍ دنيا.

ولا يجوز تنوينُ دنيا - حذف منها اللام أو لم يحذف - لأنها مثل: حُبلى وبُشرى. وقد روى ذلك بعضهم^(٣) وأخذ يتكلف لتأويله تكلفاً بارداً، لا يصح إذا تحقق.

108/أ

(١) أشجع السلمي، وقد مضى قريباً.

(٢) كذا بالأصل. ولعله يريد أن يقول: (كقولهم: دنيا تنفع، ودنيا تضر. وكقولهم: أخرى للآخرة).

(٣) أي: روى التنوين فيها، وقد رواه ابن الأعرابي كما في اللسان (دنا).

(١٩) وَبَحْرٌ^(١) أَبُو الْمَسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعَبَابٌ^(٢)

الأصل أن يقول: وخيرُ بحرٍ أبو المسك، على أن يكون (أبو المسك) مبتدأ، و(خيرُ بحر) خبره، ولكنه جرَّ عطفًا على "جليس"، كأنه: وخيرُ جليسٍ وبحرٍ. وعطف على عاملين^(٣). ألا تراكَ تقول: خيرُ جليسٍ وبحرٍ: كتابٌ وأبو المسك، وخيرُ رجلٍ وامرأةٍ: زيدٌ ودعدٌ، ولا تقول: خيرُ رجلٍ وامرأةٍ زيدٌ ودعدٌ، فتعطف بواو واحدة امرأةً على رجل ودعدًا على زيد. كذلك يجب ألا^(٤) تقول: خيرُ رجلٍ زيدٌ وامرأةً دعدٌ.

والعطفُ على عاملين مردودٌ عند النحويين^(٥). فإذاً يجب أن يُحمل المتنّي -إذا جرّ- على ما حملَ عليه صاحبُ الكتاب قوله^(٦):

أَكَلْ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا وَنَارٌ تَوْقَدُ بِاللَّيْلِ نَارًا

لأنه قال: إنَّ الجرَّ في (نار) بإضمار المضاف^(٧)، كما يُضمر الحرف الجارّ في نحو: مررتُ برجلٍ إن زيدٍ وإن عمرو.

وإذا كان الجرُّ^(٨) في (نار) بإضمار كلٍّ، كان بمنزلة أن تلفظ بكلٍّ، فتقول: أكلٌ امرئٍ تحسبين امرأً وكلٌّ نارٍ توقد بالليل نارًا، فلا يكون عطف على عاملين؛ لأنك تعطف (كلَّ نارٍ) على (كلَّ امرئٍ) فقط.

(١) الجررواية ابن جني ٦٠١/١. والروايتان (الجر والرفع) في الديوان وبقية الشروح. ويروى (وبحر أبي المسك) بالإضافة. معجز أحمد: ١٥٢.

(٢) الخضم: الكثير الماء. والزخرة والعياب: قوّة الموج وتراكمه.

(٣) أي: عطف بحرف واحد (بحر) على (جليس) وعامله بالإضافة، و(أبو المسك) على (كتاب) وعامله المبتدأ أو الابتداء، فالعاملان مختلفان.

(٤) في الأصل (على أن).

(٥) أجازته الأخفش والكسائي والفراء والزجاج، انظر: المقتضب ١٩٥/٤، والمغني ٦٣٢.

(٦) الكتاب ٦٦/١، والبيت لأبي داود الإيادي، ديوانه ٣٥٣ (ضمن كتاب: دراسات في الأدب العربي، غوستاف غروينوم). وينسب لعدي بن زيد العبادي، زيادات ديوانه ١٩٩.

(٧) والتقدير (وكل نار). وهذا معنى كلام سيبويه، لا لفظه.

(٨) في الأصل (الجار).

فكذا [إذا] قُدِّرَ - هنا - إضمارُ (خير)، كان بمنزلة الملفوظ به، وأنت إذا قلت: وخيرُ [بحرٍ] أبوالمسك، كان بمنزلة قولك: وأبوالمسك خيرُ بحرٍ، فتعطف جملةً على جملة فقط.

(٢٠) تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ

هذا إفراطٌ ومبالغة، والقصد: أنه ليس بالمدح مرتبةً توازي مرتبةً الممدوح، وكلّ ما يُمدح به تقصيرُ به وغضُّ منه.

وهذه طريقةٌ مشهورة، وقد قال البحري^(١):

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ فَقَدْ كَا ذِي كَوْنِ الْمَدِيحِ فِيهِ هِجَاءٌ

وقال أيضاً^(٢):

إِن أَنَا شَبَّهْتُ بِالْغَيْثِ فِي مَدْحِي غَضَضْتُ مِنْهُ وَكُنْتُ الْمَادِحَ الْهَاجِي

وقد تلطف^(٣) كل واحدٍ منهما في التحرّز من إطلاق العيب والهجو على الممدوح، فقال المتنبي: كأنه يعاب بأحسن ما يثنى، ولم يقرّر فيقول: فهو يُعَابُ بأحسن ما يثنى عليه، وكذا قال البحري: فقد كاد يكون المديح، ولم يقل: فالمدح فيه هجاء. وهذا هو الواجب. وقال المتنبي في موضع آخر^(٤):

وَعُظُمَ قَدْرُكَ فِي الْآفَاقِ أَوْهَمَنِي أَنِّي بِقَلَّةٍ مَا أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا

فهذا أيضاً ليس بمحقّق، ألا تراه قال: "أوهمني".

(١) ديوانه ١٥/١، يمدح أبا سعيد الشغري.

(٢) ديوانه ٤١٤/١ في مدح إسحاق بن كنداج.

(٣) في الأصل (تلفظ)، ولعل صوابه ما أثبت.

(٤) ديوانه ٥٦، يمدح عبید الله بن يحيى البحري.

واستعمال لفظ العيب، وإن لم يكن حسناً في الحقيقة، فإنه على هذا الوجه يحسن.
ومما دعاهم الغلو فيه إلى الالتزام بما لا ترتاح له الطباع، قول أبي تمام^(١):

غَرَبْتَهُ الْعَالَى عَلَى كَثْرَةِ النَّاسِ سِ، فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبَا
فَلَيْطُلْ عُمُرُهُ، فَلَوْ مَاتَ فِي (مَرٍ وَ) مَقِيْمًا بِهَا مَاتَ غَرِيْبَا

فأفضى به المبالغة في الوصف بانقطاع القرين إلى كلفة ذكر الموت.

والإلحاح والإفراط سببان -أبداً- لما لا يُحمد، كما قال^(٢):

وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلْزَلُ

ولله درأبي فراس حيث يقول^(٣):

108ب / وَأَتْرَكَ أَنْ أَبْكِي عَلَيْكَ تَطَيُّرًا وَقَلْبِي يَبْكِي وَالْجَوَائِحُ تَلْطِمُ

وأما "ما" في قوله: "بأحسن ما يثني عليه يعاب"، فعلى وجهين:

أحدهما: أن تكون موصولاً، كأنه قال: حتى كأنه يعاب بأحسن ما يثني به عليه^(٤).

والثاني: أن تكون مصدرية، فكأنه: حتى كأنه بأحسن الثناء عليه يعاب. وهذا هو الظاهر.

(٢١) وَغَالِبُهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا وَآلَهُ كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ

المعنى: أن الأعداء تبقي على مصادمته قدر بقاء الرقاب على مصادمة السيوف!

(١) سبق في صفحة: ٢٤٢.

(٢) أي: المتنبى ديوانه ١٢٨، والبيت بتمامه:

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع سيع وعند التعمق الزلزل

(٣) ديوانه ٣٨٥/٢.

(٤) لو قال: (بأحسن الذي يثني به عليه)، لكان أوضح في تقدير الموصولية.

(٢٢) وَأَكْثَرَمَا تَلَقَّى أَبَا الْمُسْلِكِ بِذَلِكَ^(١) إِذَا لَمْ تَصُنْ إِلَّا الْحَدِيدَ^(٢) ثِيَابُ
(٢٣) وَأَوْسَعُ مَا تَلَقَّاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءً^(٣) وَطَعْنُ، وَالْأَمَامَ ضِرَابُ

نصب "الأمام" على الظرف، فكأنه قال: والأمام منه، كما تقول: ضربت وجهه والجبين، تريد: والجبين منه، فكأنه: وأمامه ضراب، "فضراب" مبتدأ، و"الأمام" خبرٌ مقدَّم عليه.

ومعنى البيت^(٤): أنه وصفه بالجرأة والتسارع إلى الحرب متجرِّداً من السَّربال، ساحباً من الشجاعة أسبغ الأذيال.

وأما سعة الصدر فقصد بها: القوَّة والبسطة، كما أنَّ الضعيف يكون ضيق الصدر في تلك الحالة.

[ليس المعنى أنه] يفرِّق الأموال على العساكر، فلا مدح في سعة الصدر (المقصودُ بها السماحُ بالمال) هنا.

وقال^(٥) عبدُ الملك بن مروان لكثير، لما قال فيه^(٦):

على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ أجاد المُسدِّي سرَّدها وأذالها^(٧)

(١) بذلة، أي: لابسا ثياب البذلة، وهي الثياب التي لا تصان أو الثياب الخَلِقة. القاموس (بذل).

(٢) ورواية (تصن) في التبيان والنظام، وفي بقية الشروح والديوان (يصن).

(٣) رماء: مصدر راميته. وفي الديوان، ومعجز أحمد (دماء) بالدال.

(٤) هذا معنى البيت السابق.

(٥) انظر: طبقات ابن سلام ٥٤١/٢، والموشح ١٩٧، والفسر ٦٠١/١.

(٦) ديوان كثير: ٨٥.

(٧) الدلاص: الدرع الملساء اللينة. والمسدِّي: ناسج الدروع. وسرد الدرع: نسجها وتقدير حلقها. وأذال الدرع: أطال ذيولها وجعلها سابغة. (عن حاشية الديوان).

قال: لقد وصفتني بالجبن! هلاً قلت كما قال الأعشى^(١):

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةً مَلُمومَةً شَهْبَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نَهَالَهَا^(٢)
كُنْتُ الْمُقَدَّمُ غَيْرَ لَابِسٍ جَنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا^(٣)

فقال كثير: وصفتك بالحزامة، ووصف الأعشى صاحبه بالخرق!

ولله درعبد الملك! فقد ألمَّ بالصدق، وتلقى كثيراً بعلةٍ عليلة؛ لأن الشجاعة تلائم^(٤) الحزم، والحزم كل الحزم أن يطير بجناح الفؤاد^(٥)، ولا تتقدم تقادمه الأقدام. وإذا مدح تلك الخصلة^(٦) قتله أرباب الإماء، لأصحاب الطعن والرماة. وهل في الوصف بمتانة الدرع والإكثار من التحرز [مدح]؟!

فالتحرز عندهم عيب، وطريقة المتنبي هي المثلى، ولو أن^(٧) ذاك شيء، لما قالوا^(٨):

وَإِنْ قَصَرْتُ أَسِيفُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ^(٩)

(١) ديوانه (الصباح المنير): ٢٧.

(٢) الشهباء: التي غلب بياضها على سوادها؛ لكثرة لمعان السلاح. الذائدون: المدافعون ونهالها:

عطاشها، أي: سلاحها وفرسانها المتعطشة للدماء. (حاشية الديوان).

(٣) الجنة: الدرع. والمعلم: هو الذي وضع لنفسه علامة؛ ليعرف بها.

(٤) في الأصل (لا تلائم)!

(٥) في الأصل (الفرار)، لعل صوابه ما أثبت.

(٦) أي: التحصن بالدروع.

(٧) في الأصل (من).

(٨) قائل هذا البيت: الأخنس بن شهاب التغلبي، المفضليات ٢٠٧، والحماسة بشرح المروزقي ٧٢٧/٢،

والتذكرة السعدية ٩٢.

(٩) رواية الحماسة والتذكرة (إلى أعدائنا فنضارب). وكثيراً ما يختلط هذا البيت مع أبيات آخر

تشابهه، لقيس بن الخطيم، ولرقيم المحاربي، وغيرهما. انظر تفصيل ذلك في الخزانة ٢٥٠/٧.

وأما قول الآخر^(١):

الْأَبْسِيْنَ قُلُوبَهُمْ فَوْقَ الدَّرْعِ لَدَفَعَ ذَلِكَ

فقريب من قول المتنبي في الوصف بالشجاعة؛ لأنه وإن أثبت لهم الدروع فقد جعل القلوب هي المتقدمة والمُهَدَّفة^(٢) لسهام الحثف.

(٢٤) وَأَنْفَذَ مَا تَلَقَّاهُ حُكْمًا إِذَا قُضِيَ قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غَضَابُ

إن قلت: إن الملوك لا تنازعُه في ذلك، ولا تقدِرُ على ردِّه، فهَلَا كان الحكم الذي يَغِيظُهم بمنزلة الذي لا يَغِيظُهم؟

فالجواب عنه: أنَّ حُكْمَه إِذَا نَفَّذَ في حال غضبهم كما ينفذُ في حال رضاهم، كان أرفعَ في تلك الحالة؛ لأنَّ النَّفْذَ الذي يوجد مع حصول الموانع أقوى / من الذي يوجد ولا مانع.

109/أ

ويجوز أن يقال: إنه في تلك الحالة، يكون أَجَدَّ وأقوى هِمَّةً؛ لقصد كَسْرِهم!.

(٢٥) يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْلَمْ^(٣) يَقْدُهَا نَائِلٌ وَعَقَابُ

يقول: إنه [لو] ترك البأس والجودَ (اللذين هما السببان الداعيان إلى ميل الناس وانقيادهم)، لكان ما فيه من الفضل يدعو الناس إلى طاعته، ويبعثهم على البشْرِ بخدمته. ومثله قوله في سيف الدولة^(٤):

رَأَيْتُكَ لَوْلَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنَ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ انْقِيَادًا لَأَقْتَضَتْهُ الشَّمَانِلُ

(١) بلا نسبة في الأمالي ٦٥/١، والسمط ٢٣٣/١، والفسر ٦٠٣/١.

(٢) أي: المستهدفة.

(٣) رواية الديوان ٤٨١ (وإن لم).

(٤) ديوانه ٣٦٨.

(٢٦) أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيَّعِمٌ وَكَمْ أُسْدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابٌ

إن قلت: كيف قال: أيا أسدًا في جسمه روح أسد؟! وهلا قال: أيا رجلًا في جسمه روح ضيغم؟! كما قال^(١):

أَسَدُ الْقَلْبِ أَدْمَى الرِّوَاءِ

فالجواب: أن الذي انتحاه طريقةً أخرى، وهو أنه لم يذكر الأسد، وإنما ذكر صفته، وهي الضيغم، وذلك وصف الكامل من الأسود، فكأنه أحب أن يجعله من الأسود حقيقةً، ثم قال: إنك أسدٌ روحه روح أسدٍ ماضٍ، وكم في الأجسام والصور كالأسود، وفي الأخلاق كالكلاب: قِلَّةٌ غِنَاءٍ وَخَسَّةٌ!.

وقوله: "أرواحهن كلاب"، على وجهين:

أحدهما^(٢): أن يكون على حذف المضاف، فكأنه: أرواحهن [أرواح] كلابٍ.

والثاني: [أن] يُطْلَقَ على الروح الاسم كله، فكأنه يقول: روحه كلبٌ، وهو كلبُ الروح، كما تقول: قلبه أسدٌ، وهو أسدُ القلب. وهذا نوع من قولهم: شابت مفارقة، وذلك أنه جعل كلَّ جزءٍ من المفرق مفرقًا، كذلك يجعل الروح من الكلب كلبًا، وهذا أولى؛ لأجل أن الروح هي الأصل والعمدة، والباقي تبعٌ، وليس بعضُ المفرق بأصلٍ للبعض، بل الأجزاء متساوية في ذلك. ونحوذا كثيرٌ في كلامهم.

(١) مضى في صفحة: ٣٠٠

(٢) اقتصر الشراح على هذا الوجه.

وقد قدحوا^(١) في هذا البيت، وفيه -إن أردت الحق- تعسف.

وقوله: "أرواحهن كلاب" ركيك.

(٢٧) وَيَا أَخِذَا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقُّهُ وَيَهَابُ

(٢٨) لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ^(٢) حَقُّ يَلْطُهُ وَقَدْ قَلَّ إِغْتَابُ وَطَالُ عِتَابُ

"يلطه": يجده ويستره. و"قلّ إعتاب"، أي: إرضاء من الدهر. و"طال عتاب" منّا.

(٢٩) وَقَدْ تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْعَمُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ

يقول: إن الأيام كانت سجيّتها معنا سجيّة الإساءة، وأرجو أن تعود بالإحسان، فالزمن يحسن خلقه في جنابك، ويصير خرابه معموراً.

وما أعذب هذه الاستعارة! ولما استعار العمارة استعار اليباب أيضاً.

وانعمر مطاوع عمراً؛ لأنه متعدّد، فهو بمنزلة: هدمته فانهدم، وذلك قياس مطرد، إلا فيما يمنع منه المعنى، نحو أن تقول: عدمته فانعدم؛ لأجل أن هذا ليس بعلاج^(٣)، فتقول: أحدثت فيه صفة فعلتها، وإنما عدمته بمنزلة أن تقول: فنيّ وزال، فكما أن فني لا يكون

(١) لم أر من المتقدمين من عاب معنى هذا البيت، إلا أن صاحب التبيان ١/١٩٦، لم يستحسن جعل المنادى نكرة مخصوصة في قوله: (أيأ أسداً)؛ لأنه يخاطب شخصاً معيناً، قال: "أيأ أسداً: هوناء منك... ولورفع ونون، لكان أجود؛ لأنه خصصه".

وقال حسام زاده في رسالته التي خصصها لقلب الكافوريات: "البيت ضمّنه إلحاق كافور بالكلاب؛ لأنه -أولاً- جعله أسداً، ثم جعل روحه الذي في جسمه روح أسدٍ أيضاً، ثم قال: (وكم أسدٍ أرواحهن كلاب)، فكأنه يقول: وأنت منهم!" ١٧٦، ١٧٧.

(٢) قال الكندي: "عدل عن خطابه بالكاف إلى الدهر تورية!" شرحه ٧٦٦.

وأوضح ذلك حسام زاده، فقال: "البيت ضمّنه الشكاية من الدهر الذي يماطله بالمواعيد الكاذبة، يكتفي به عن كافور، منوّراً ذلك بحرف الإشارة!" رسالته ١٧٧.

(٣) الفعل العلاجي: ما يحصل بالجراحة.

له مطاوع، كذلك لا يكون لَعْدِمَ، وقالوا: قُلْتُهُ فأنْقَالَ؛ لأنَّ اللفظ بالشيء علاجٌ كالكسر وما أشبهه، ألا تراك تقول: أخرجته من فيٍّ فخرج؟ وقوله: قِسْتَهُ فأنْقَاسَ، بمنزلة قولك: مررتُ به^(١) فَمَرَّ، وأمضيته فَمَضَى.

109/ب

(٣٠) / وَلَا مُلْكُ^(٢) إِلَّا أَنْتَ، وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ^(٣) فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ.

يقول: أنت الأصل والمتبوع لكل شيء. فقولنا: لك مُلْكٌ [نعني به] نَفْسَكَ^(٤)، حتى كأنك في الاستغناء عنه بمنزلة السيف في القِرَاب؛ إذ هو وعاء له، والشرف في نفسه.

وجوّد حيث ذكر القِرَاب؛ [إذ] لا يُنْقَص من فضل السيف غاية^(٥) عدمه، وإنما هو فضلُ صيانية له، كذلك كافور لا يكتسب بالملك فضلاً.

وبعد، فالمقصود على وجهين:

أحدهما: أن يكون مدحه به فقط.

والثاني: أن يريد: أي لا أفكرُ في الملك، إذا حصلت لي، فأنت السيف^(٦) الذي أفتقرُ إليه، كما قال بعد^(٧):

إِذَا نَلِيتُ مِنْكَ الْوَدَّ ... الْبَيْت.

(٣١) أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ

(١) أي: مررت مصاحباً له. مثل: أمررتَه، إذا حملته على المرور.

(٢) ويروى (وَلَا مُلْكُ) شرح الواحدي ٦٨٦، وشرح الكندي ٧٦٦. والروايتان في النظام ق/ ٤٤٦.

(٣) ويروى (نصل) معجز أحمد ١٥٦/٤، والتبيان ١٩٧/١، والنظام ق/ ٤٤٦، والديوان ٤٨١.

(٤) في الأصل (فقولنا له ملك بنفسك)، لعل صوابه ما أثبت.

(٥) في الأصل (وغاية). وقد تقرأ العبارة هكذا: إذ لا ينقص من فضل السيف وعاءه إذا عدمه.

(٦) السياق يقتضي أن يقول: (الملك).

(٧) هو البيت الحادي والأربعون.

يقول: إن قُربي منك -مع تعريه من الصفاء، وامتزاجه بالبعد- يكسو عيني قرّة
وقلبي مسرّة. وهو لفظٌ يجري في الطبع جري نَمير الماء في الحلق.

(٣٢) وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تَرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا وَذُونِ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابُ ١٩

يقول: إن التلاقي لا يُقنعُ إذا لم يصدقْ أُملي فيك، ولم أظفر بمطلوبي منك. فهو
-إذا- تلاقى في الظاهر، وتباعد في السرّ والباطن، فإن القلوب لو تلاقَتْ لانكشفَ حِجَابُ
المنع عن الأُرب.

(٣٣) أَقِلُّ سَلَامِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتْ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابُ^(١).

"ما" في "ما خَفَّ عنكم" بمعنى الذي، والماضي بمعنى المضارع، كأنه قال: حُبَّ
ما يخفُّ عليكم، ووقوع الماضي في نحو هذا الموضع بمعنى المجازاة، ألا ترى أنه كقولك:
إن خَفَّ شيءٌ عليكم أحببته؟ ويجوز أن يكون على ظاهره، فكأنه: حُبَّ ما خَفَّ عنكم
قديماً، وعرفَ عادتكم فيه.

و"عنكم" على وجهين:

أحدهما: أن يكون بمنزلة (على)، فكأنه: حُبَّ ما خَفَّ عليكم.

والثاني: أن يكون حُمِلَ على المعنى، نحو: حُبَّ ما سقطتْ كلفته عنكم، كما قال^(٢):

وَحُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي نَطَاحٍ

(١) (حُبَّ) مفعول لأجله. و(يكون) يروى بالنصب، على إعمال كي، وبالرفع، على ترك إعمالها.

التبيان ١٩٨/١. وهذا البيت يكاد يصرخ بزم الممدوح! انظر: رسالة حسام زاده ١٧٩.

(٢) سبق غير مرة.

بمعنى: وأبلغ إليهم خصوصاً. وكقوله^(١):

كما كان يَحْمِي عن حقائقها أبي

يجري مجرى: يذبُّ عن حقائقها. وهذا بابٌ في نهاية السعة^(٢).

(٣٤) وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ، وَفِيكَ فَطَانَةٌ سَكُوتِي بَيَّانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابُ

يقول: إني وإن أخفيتُ ما في نفسي من المآرب فإن لسان السكوتِ يُعرب عني؛
لِفَطَانَتِكَ وَذَكَائِكَ.

(٣٥) وَمَا أَنَا بِالْبَاقِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبَغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ

(٣٦) وَمَا شُنْتُ إِلَّا أَنْ أَذِلَّ عَوَاذِي عَلَى أَنْ رَأَيْ فِي هَوَاكَ صَوَابُ

(٣٧) وَأَعْلِمُ قَوْمًا خَالِفُونِي - فَشَرَّقُوا وَغَرِبْتُ - أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا

"هوى" مبتدأ، "وبغى عليه ثواب" صفة، و"ضعيف" خبرٌ مقدّم، كأنه قال:
هَوَى يُبَغَى عَلَيْهِ ثَوَابٌ ضَعِيفٌ. والمعنى ظاهرٌ.

(٣٨) جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ^(٣) وَأَنْتَ لَيْسَ وَالْمُلُوكُ ذُنَابُ

(٣٩) وَأَنْتَ إِنْ قُوِيَسَتْ صَحَفَ قَارِيٌّ ذُنَابًا وَلَمْ يُخْطِ فَقَالَ: ذُبَابُ

قال - أولاً -: إن منزلتك من الملوك كمنزلة الأسود من الذئاب، ثم قال: لو أن قارئاً
صحَّفَ فقال - بدل قولي: ذئاب -: ذباب، لم يعدل عن الصواب، لنهاية سقوطهم
بالإضافة إليك.

(١) هو البعيث بن حريث الحنفي، الحماسة بشرح المرزوقي ٣٨١/١. وصدّره:

فكنت أنا الحامي حقيقة وائل

(٢) وهو ما يسمى في النحو بالتضمين، أي: تضمين فعل معنى فعل آخر، فيتعدى بما يتعدى به.

(٣) واحد، أي: متوحدٌ متفرّدٌ لا نظير لك في الفضل. شرح الواحدي ٦٨٧.

و"أنك" مفتوح، على تقدير اللام، كأنه: جرى الخلف إلا فيك؛ لأنك واحد، وأنك ليث، وأنك إن فُويست.

110/أ فإن/قلت: فكان يجب أن يقول: صحَّف قارئاً ذئاباً، فقال: ذبابٌ، فيفسَّر التصحيف، ثم يقول: ولم يخطئ. فهل يكون قوله: "ولم يخطئ" في المرتبة بعد قوله: "فقال" ثم قدّم وأخر^(١)؟ كقوله^(٢):

أَلَا يَخْلَعُ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ

فالجواب: أن حمل الكلام على ظاهره ممكن، وهو أنك تعطف "لم يخطئ" على "صحَّف" فكأنه قال: صحَّف وهو غيرُ مخطئ، فقال: ذباب، كما تقول: قلت، فأصبت، فقال: كذا.

(٤٠) وَأَنَّ^(٣) مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحَكَكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ

اعلم أن قوله: "وأن مدح الناس" إلى آخر البيت، تعليلٌ لقوله: "جرى الخلف إلا فيك"؛ وذاك أنه أثبت الخلف لغيره، ونفاه عنه، فكذا في هذا البيت نفى الباطل من المدح عنه وأثبتته لمن سواه، فكأنه قال: الخلف جائزٌ في كلِّ إلا فيك، وإنما ذلك لأجل أنهم يستحقُّون المدحَ الكاذب، وأنت تستحق المدحَ الصادق.

(١) في الأصل (فهل يكون هذا في أن قوله: ولم يخطئ، فهل يكون هذا في أوله، ولم يخطئ في المرتبة بعد قوله: فقال... ثم قدم وأخر) تكرار واضطراب، لعل صوابه ما أثبت.

(٢) ينسب للأحوص، حواشي ديوانه ٢٣٩ (وفيه تخريج مستوفى).

والشاهد في قوله: (عليك ورحمة الله السلام)، لأن أصله عليك السلام ورحمة الله، فقدّم وأخر. وسيبويه يجعل (رحمة الله) معطوفاً على الضمير المستكن في (عليك)؛ لأن أصل الكلام: السلام حصل عليك. فحذف الفعل، ونقل ضميره إلى (عليك)، واستترفيه. الخزانة ١/٣٩٩.

(٣) في التبيان ١/٢٠٠، والديوان ٤٨٢ (وإن) على الاستئناف.

وقد لعبَ به في هذه الأبيات لعبَ الصبيِّ بالعصفور المقصوص يطلقه مرةً ويأخذه أخرى! وما ذكره من التصحيف في الذئب والذباب، إنما حمله على الهُزء، وإلا فهذا النحوليس من طريقته، لأنَّ حديثَ الجدِّ عليه أغلبٌ، وطبعه في الكلام الجزل أذهب.

(٤١) إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ

(٤٢) وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلَدَةٌ وَصَحَابٌ

"لولا أنت" هي اللغة الفصيحة، وهي لغة التنزيل^(١)، ولولاك، وإن استعمل، وعَلَبَ على أفواه الناس، ليس مثل هذا قياساً واستعمالاً.

و"مهاجراً" صفة محذوف، وليس بخبر عن المتنبي، ولا الضمير فيه عائداً إليه (كما يكون في قولك: كنتُ قائماً)، ألا تراه أنه قال: "له" ولم يقل: "لي"، فكأنه: لولا أنت لكنت إنساناً مهاجراً لا يستقر في بلدة، يستجد كل يوم أصحاباً ومنزلاً.

(٤٣) وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابٌ

"حبيبة" خبر مبتدأ محذوف، كأنه: ولكنك الدنيا هي حبيبةٌ إليّ، ثم قال: "فما عنك لي إلا إليك ذهاب" دالاً على أنه لا يصبر عنه، كما لا يستغني أحدٌ عن الدنيا. وليس يريد بالدنيا المالَ والنعمَ، وإنما يريد الزمان فقط، فكأنه قال: أنت حياتي.

ولو قال: ولكنك الدنيا إليّ حبيبةٌ؛ بالنصب على الحال، لم يحسن هذا الحسن؛ إذ كان يفيد أنه بمنزلة الدنيا ما دامت محبوبةً إلى المتنبي، حتى كأنه لا يكون إياها في كل حال. وليس ذاك بالوجه، وإنما الصحيح: ولكنك الدنيا على الإطلاق، وحياة كلِّ أحدٍ، ثم قال: هي حبيبةٌ إليّ.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة سبأ: ٣١.

ولا يجوز أن تكون "الدنيا" بدلاً من الكاف؛ لأجل أنه يدلّ حينئذ على أنه يقول:
ولكنّ^(١) الدنيا إليّ حبيبة؛ إذ البدلُ يقوم مقام المبدل منه، وهذا ليس بشيء؛ لأجل أن
القصد أن يقول: أنت دنيا وحياءً، وذلك لا يأتي إلا بما ذكرنا.

وقوله: "فما عنك لي إلا إليك ذهاب" على التقدير الذي مضى من أن المصدر لا
يتقدّم عليه [معمولُه]، فيجب أن يكون "عنك" "وإليك" متعلّقين بمحذوف، هو صفة
المصدر، فكأنه قال: فمالي ذهابٌ كائنٌ عنك إلا إليك، ثم قدّم، ونصب على الحال،
وتقدم المعمولان جميعاً، / فالتقدير: فمالي كائنٌ عنك إلا إليك، ثم ما [لي عنك إلا إليك]
على أنهما معمولان ليقع^(٢)، لا للذهاب. وأما المعنى فواحد على كلّ حال، وإنما الحديث
في حكم الإعراب، ولو كان اللفظ يتبع المعنى في كلّ شيء لوجب أن يقال: الزيدون خرج؛
لأنك إذا قلت: (خرج الزيدون)، كان صحيحاً، وذلك لا يقوله عاقل؛ لأن الأحكام لها طرفٌ
في الألفاظ^(٣).

110/ب

(١) في الأصل (ولكنك)، ولا يتضح به مراد الشارح، كما يدل عليه ما بعده.

(٢) كذا بالأصل، ولو قال: (معمولان لكائن)، كما مرّ في تقديره، لكان أولى.

(٣) أي: أحكام الإعراب لها تأثير في الصياغة: في التقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث، والتعلق، والإضمار والذكر، وهلمّ جرّاً.

(٢٩)

وقال يعزّي أبا شجاع عضد الدولة بعمّته أخت الأمير ركن الدولة عندما ورد خبرها من بغداد:

(١) أَخْرَمَ الْمَلِكُ مُعَزِّي بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ

الوجه أن يكون "ما" هنا نكرة موصوفة، نحو قولك: آخر شيء الملك معزّي به؛ لأجل أن الموضع على العموم، ألا ترى أنه لو قال: آخر الذي الملك معزّي به، لوجب أن يكون الذي عامّاً لا يدلّ على خطب بعينه، بمنزلة قولك: آخر الأشياء التي يعزّي بها. وإذا تقاضاك الحال للشّيعاء، كان الأحسن بك أن تعدّل إلى التنكير؛ إذ ليس ذلك بعزّي في (ما). فإن جلّته موصولاً على الشّيعاء لم يمتنع، فكأنه يجعله عبارة عن جنس مُتَقَدَّر في القلوب، كقولك: آخر الأمر الذي يعزّي به، كما تقول: قصيدتك الفلانية، فتجعل مقوله كلّ شيئاً واحداً بعينه، حتى يجري مجرى معهود كالرجل. وهذا نحو ويستظهر عليه بالعادة.

فإن قصدت الأولى، اقتضى الظاهر أن يكون "هذا الذي أثّر في قلبه" مبتدأ، و"آخر ما الملك معزّي به" خبراً مقدّماً؛ لأنه إذا كان كقولك: آخر شيء الملك معزّي به، كان نكرة، وقوله: "هذا الذي" معرفة، فيكون كقولك: ضرب زيداً غلامه، وذلك أن مرتبة "آخر ما الملك معزّي به" - إذا كان خبراً - أن تكون بعد "هذا الذي أثّر في قلبه"، كما أن مرتبة المفعول بعد الفاعل.

ولكنه جاز أن يضمّر الملك في "قلبه"، وإن كان لا يجوز: هذا الذي أثّر في قلبه آخر ما الملك معزّي به، كما جاز: ضرب زيداً غلامه، وإن لم يجز: ضرب غلامه زيداً، لأن الإضمار وقع بعد الذكر في اللفظ، وإن لم يكن في التقدير^(١).

(١) أي: وإن لم يكن الإضمار في التقدير بعده.

ويجوز على هذا الوجه أن يكون "آخرما الملك" مبتدأ، و"هذا الذي" خبراً؛ لأجل أن هذا^(١) قد قوِيَ بتخصّصه^(٢)، وجرى مجرى قولك: آخر الأشياء التي يعزّي بها، فهو عائد إلى ما هو معرفة في الحقيقة، فصار كقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾^(٣) على ما تقدّم^(٤).

فإن جعلت "ما" بمعنى "الذي"، فالأوجه أن يكون "آخرما الملك معزّي به" المبتدأ؛ ليكون الكلام على ظاهره؛ إذ قد تساوى في التعريف، فكأنه قال: آخر الذي يعزّي به هذا الذي أثر في قلبه، ويجب أن يكون "هذا" خبراً؛ ليتوفّر حظّه من المبالغة، فكأنه قال: قد تقرّر ذلك، وتبيّن أنّه لا يأتيه نكبة بعد.

والأصل الدعاء في الحقيقة، فإن قصّد به الدعاء كان كقولهم: رحمة الله عليه، في أن الجملة من المبتدأ والخبر يدعى بها، فكأنه قال: ليكن هذا آخر ما يعزّي به.

(٢) لا جَزَعًا، بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضْبِهِ

/ نصب "جزعاً" على المفعول له، كأنه قال: أثر في قلبه لا للجزع، بل لأنفٍ شابه. و"شابه" في المعنى بمنزلة أصابه، من قولك: هذا لا يشوبه ريب، بمنزلة قولك: لا يدخله ريب، ولا يمازجه ريب، وتقول: شُبْنُهُ بكذا كما تقول: مزجته بكذا.

و"أن يقدر الدهر" في تقدير (من)، كأنه قال: بل أنفًا أصابه من أجل أن يقدر الدهر على غضبه، فمن يتعلّق بنفس "شابه"، كما تقول: خرجت لنفرة عرّثني من أن فعلت كذا. ولا يجوز أن يكون (من) متعلّقاً "بأنفًا" تعلّقَه بالفعل إذا قلت: أنفث من أن يفعل كذا الدهر، حتى كأنه: بل أنفًا من أن يقدر الدهر على غضبه؛ لأجل أن "شابه" صفة

(١) أي (آخر).

(٢) تخصص بإضافة إلى (ما).

(٣) سورة آل عمران: ٩٦ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٤) في صفحة: ٨٧٤

لـ "أنفًا"، والمصدر إذا وُصف^(١) وجب ألا يعمل عمل الفعل؛ لتعريه من شَبَهه؛ لأنَّ الفعل لا يوصف، ألا ترى أن أحداً لا يقول: أعجبني ضرب شديد زيداً، ولا عجبْتُ من ضربك الشديد زيداً، وكذا لا يوصف (أَنْ) مع صلتها -الذي المصدرُ بمنزلة- لأنَّك إذا قلت: أعجبني ضربك زيداً، كان بمعنى: أنْ ضربتْ زيداً، ولا يقول أحد: أعجبني أنْ ضَرَبْتَ الشديد زيداً. وإذا كان كذلك علمت أنْ (مِنْ) المقدَّر في قوله: (مَنْ أنْ يقدر الدهر) متعلّق بشابه، "كأنه قيل: من أجل ماذا شابه أنْفُ؟ فقال: من أنْ يقدر الدهرُ.

والقصد في هذا أن يصفه بأخلاق الرجال، كما قال^(٢):

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ

فلما أثبت للمصيبة التأثير حمله على الأنفة من وصول الدهر إلى الاغتصاب منه.

وقال: "غصبه" على العموم، كما تقول: أن يقدر على إعطائه، ولا تقول: درهماً ولا ديناراً، ولا يجب أن تقدّر -ههنا- مفعولاً مخصوصاً نحو: أن يقدر الدهر على غصبه أخْتَه^(٣)؛ لأن ذلك يخرج عن حدّ العادة؛ إذ القصد أنه يأنف من أن يلَمَّ به غصبٌ من جهة الدهر في أي شيء كان.

(٣) لَوَدَرْتَ الدُّنْيَا بِمَا عَنَدَهُ لَا سَتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتَبِهِ

يجب أن تكون الهاء في "عتبه" فاعلاً في المعنى، فكأنه قال: لو علمت الدنيا ما عنده من الفضل واستحقاق التعظيم لا تمتنع الأيام من تعاطي ما يسوؤه؛ استحياءً من عتابه عليها، وذلك أن مَنْ يُسْتَحْيَى من عتابه هو الذي يستحق من الصنيع ما لا يقتضي العتاب، وإلا فاللئيمُ أحرى بالمكروه، لا يُفَكِّرُ في عتابه.

(١) في الأصل (وصف به).

(٢) هو دريد بن الصمة، والبيت بتمامه:

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ ذَاكِرٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ

وفيه روايات كثيرة، انظر ديوانه ٦٨.

(٣) المراثية عمته، كما مرّ في ديباجة القصيدة.

وجعل الفعل -أولاً- للدنيا، وقوله: لودرت الدنيا، يقع على الأزمنة والأمكنة، والغرض ههنا الزمان.

(٤) لَعَلَّهَا تَحْسِبُ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حَزْبِهِ!

(٥) وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادَ دَارُ لَّهُ لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى^(١) عَضْبِهِ!

يقول: إن الأيام ليس من شأنها أن تسعى في إهلاك من يتصل به، ويُعدُّ من جملة، فكأنها غلظت فظنت أن الذي لا يصاحبه في المنزل يكون أجنبياً منه، وأن من يستوطن بغداد لا يكون في ظل سيفه وحريم ملكه! ثم أكّده بقوله:

(٦) وَأَنَّ جَدَّ^(٢) الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ

الضمير في "أوطانه" يعود إلى الجد^(٣)، وكذا الهاء في "صلبه"، فكأنه: قدّرت الأيام أن جدَّ المرء/إنما يكون على الحقيقة له إذا صاحبه في أوطانه، حتى كأن الأوطان هي الجدُّ، فيصير الذي لا يشارك المرء في أوطانه كأنه خارج عن ولادة جدّه! فكَذلك أخت^(٤) الممدوح لما لم تكن مستوطنةً بلده صارت كأنها أجنبية منه!.

وجود؛ حيث ضرب المثل بالجد؛ إذ كان الأصل في الولادة، ألا ترى أن الجدَّ اسمٌ لكل من هو فوق الأب. (وليس من جنسه من يفزع على كل شيء)^(٥) كما يكون جنس الأب فرعاً من جنس الجد؟ وإذا جعل الوطن هو المتمم للجديّة والجامع بين أطراف النسب، فقد قرّر الطريقة في جميع وجوه النسبة. فاعرفه.

(١) الذرى: الكنف. الفسر ٩٥/٢.

(٢) قال الواحدي: "ويروى (وأن حدَّ المرء) بالحاء، على معنى: أن حريمه وطنه...". ٧٨٢.

(٣) الظاهر أنه يقصد المرء كما يدل عليه كلامه الآتي. وفي معجز أحمد ٣٦٥/٤ (والهاء في "أوطانه"

للمرء، وفي "صلبه" للجد). وفي التبيان ٢١٠/١ (الضمير في "صلبه" راجع إلى المرء).

(٤) هي عمته، كما مرّ.

(٥) كذا بالأصل!.

(٧) أَحَافَ أَنْ يَفْطَنَ^(١) أَعْدَاؤُهُ فَيَجْفُلُوا^(٢) خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ.

إن قيل: كيف قال: فيجفلوا إلى قربه خوفاً، وهم يخافون الموت سواء كان هذا التفطن أو لم يكن؟!

فالجواب: أن ذلك يفيد معنيين:

أحدهما: [أنهم] قد تحققوا أن الخلاص من الموت لا يكون، فهم يخافونه^(٣) خوفاً حقيقياً، فإذا عرفوا أن هنا موضعاً يذُبُّ وفد الردى عنهم فإنهم يفرعون إليه، مخافة أن يدركهم قبل الوصول إليه.

والثاني: أن يريد أن الدهر لا يسامح من لا يلبس الممدوح، والأيام تظن أن الملابس هي أن يكون الإنسان في دار ملكته^(٤)، فهم إذا عرفوا ذلك خافوا أن يزدحم عليهم البلاء، لبعدهم عنه فيجفلون^(٥) إلى ما يقاربه من الأماكن. وأما "قربه" فمصدر يفيد المكان، على تقدير المضاف، كأنه: إلى مكان قربه، كما تقول: هو بالقرب مني، أي: بموضع القرب مني، كقولك: بموضع المقاربة إليّ.

وما أحسن ما تلطف في نفي العجز عنه! ثم عاد إلى التحقيق والحكمة:

(٨) لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعُ عَنْ جَنْبِهِ

جعل الفعل للضجعة، بمعنى: أنها لا تنقضي؛ فينقلب المضجع عن جنبه كما يكون في ضجعة النوم وما أشبهه. ولو قال: لا يُقْلِبُ الْمُضْجَعُ^(٦) - برفع المضجع - لم يكن هذا

(١) في الواحدي ٧٨٢ والتبيان ٢١١/١ (تفطن)، وأشار إليها محقق الديوان ٥٧٣.

(٢) أجفل إليه: أسرع نحوه منزعاً. التبيان ٢١١/١.

(٣) في الأصل (فهم لا يخافونه ...)، لعل صوابه ما أثبت.

(٤) في الأصل (مملكة)، تحريف عما ذكرت.

(٥) في الأصل (فيجمعون).

(٦) هذه رواية الفسر ٦٣٥/١، وهي المثبتة في متن الديوان ٥٧٣.

الحسن؛ لأجل أنه كان يعرّي الصفة من ذكرٍ يعود إلى الموصوف (الذي هو ضجعة)، وكان الواجب أن يقول: من ضجعة لا يُقلب المضجعُ بمثلها عن جنبه.

(٩) يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عَجْبِهِ وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ

أي: ينسى بسبب تلك الضجعة ما كان من إعجابه وصلّفه في حال الحياة، وينسى أيضاً ما ذاق من كَرْبِ الموت، يعني أنه تفارقه الحياة، فلا يحسُ بشيء. ولما كان الناسي للشيء هو المفارق له والعارِي من ذكره، لم يكن للميت ذُكْرٌ، وحينئذٍ^(١) استعمل النسيان فيه.

وتقدير قوله: "وما أذاق الموت من كربه": وما أذاقه الموتُ إيّاه، على أن يكون الهاء من (أذاقه) يعود إلى الإنسان، و(إياه) إلى "ما" وهو المفعول الثاني لأذقت؛ لأن له مفعولين، ألا تراك تقول: أذقته طعاماً؟ ثم يؤق بدل الضمير الذي هو إيّاه بالضمير المتصل، فيقال: وما أذاقه الموت، ثم يحذف المفعول الأول، فيصير إلى قولك: وما أذاقه الموت، على أن يكون الهاء راجعاً إلى (ما)، ثم يحذف على العادة في العائد إلى الموصول، نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٢)، ونحو هذا [قول] كثير^(٣).

112/أ

وَأَبْنَى لِيْلَى فَاهٍ لِي بِمَقَالَةٍ وَلَوْ سِرْتُ فِيهَا كُنْتُ مَمَّنْ يُنِيلُهَا
لَنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمَكْنِي مِنْهَا إِذَنْ لَا أَقِيلُهَا

الأصل: ممن يُنِيلُهُ إيّاها، ثم يُنِيلُهَا، ثم حُذف الراجعُ إلى الموصول فصار: (ينيلُها). وكذا (لا أقيلها)، الأصل: لا أقيلُهُ إيّاها، ثم لا أقيلُهَا، ثم حذف الضمير العائد إلى عبد العزيز، فبقي: لا أقيلها .

(١) في الأصل (وحين).

(٢) سورة الفرقان: ٤١.

(٣) ديوانه ٣٠٤، ٤٠٤، يمدح عبد العزيز بن مروان.

والمتنبى قد حذف الضميرين معاً، فنظيره أن تقول: كنت ممن يُنيل، وليس في شيء من ذلك ضرورة.

ويجوز أن يكون "ما" مصدرًا، فكأنه قال: وإذاعة الموت له من كربه.

(١٠) نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ!

نوع مما تقدم [في] قوله^(١): تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَيْيِكَ.

يقول: إنَّ آبَاءَنَا قد طُوِيت أعمارهم في يد الردى، فكيف لا تطيب نفوسنا، ولا تستقر على ما تحقق كونه؟!

(١١) تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ^(٢) مِنْ كَسْبِهِ!

لعلَّ مَنْ يتتبع المتنبى في حديث المذهب يأخذ هذا عليه، فيقول: إنه جعل ذلك من كسب الزمان؛ ميلاً إلى حديث الطبع^(٣). وليس فيه دليل على ذلك، ولكن يقول: كيف يرجى أن يتخلص الأرواح، والزمان للكون والفساد، على ذلك خلقه الله عز وجل؟! فكأنه أخذ الأرواح أخذ الرجل ما يكسبه من المال.

ويجوز أن يريد: أن هذه الأرواح حدثت في هذا الزمان، فكيف يُمنع من أخذها؟! ونحوذا من الكلام أظهر من أن يقتضي تبعه.

(١٢) فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهِ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ^(٤) مِنْ تُرْبِهِ

(١) في صفحة: ٤٧٠، والبيت بتمامه:

تسل بفكر في أييك فإنما بكيت فكان الضحك بعد قريب.

(٢) عند الواحدى ٧٨٢ (هـ).

(٣) أي: نسبة الأفعال إلى الطبيعة.

(٤) رواية الواحدى ٧٨٣ (الأجساد).

أي: الأرواح من جوهرٍ لطيفٍ، كنحو هذا الهواء، والأجسام من التراب، وهو الجوهر الكثيف.

وقال: "من تربه" فأضاف الترب إلى الزمان، وكذا أضاف الجو إليه؛ لأن بقاءهما به، فكأنهما بعض منه، وإضافة تكون بمعنى (من) دون (اللام)؛ لأن الجو كأنه جزء من الزمان، وكذا الأرض، ألا ترى أنك لا تقول: الهواء الذي للزمان، وإنما تقول: الهواء من الزمان، والهواء من العالم. فاعرفه.

(١٣) لَوْ أَفْكَرَ^(١) الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

(١٤) لَمْ يُرَقِرْنِ الشَّمْسُ فِي شَرْقِهِ فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ!

يقول: كما أن الشمس إذا طلعت تحقّق غروبها، كذلك الشيء إذا حدث وجب أن يتحقّق عدمه. وما أحسن ما مثل! فالشروق في الشمس ارتفاع وازدياد، والغروب زوال وانتقال، كما أن الحياة والموت كذلك.

(١٥) يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ^(٢) مَيِّتَةً^(٣) جَالِينُوسَ^(٤) فِي طَبِّهِ!

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون قوله: "ميتة جالينوس" حكاية شيءٍ ماضٍ، كما تقول: يخرج بكرٌ غداً خروج زيدٍ أمس، فكأنه: يموت راعي الضأن في جهله، كما مات جالينوس في طبّه.

(١) في شرح الواحدي ٧٨٣، ومعجز أحمد ٣٦٧/٤، والتبيان ٢١٢/١ (لوفكر).

(٢) خصّ راعي الضأن؛ لأنه يضرب به المثل في الجهل، فقالوا: "أجهل من راعي ضأن" مجمع الأمثال ٢٣٧/١.

(٣) رواية الفسّر ٦٣٧/١، وشرح الواحدي ٧٨٣، والتبيان ٢١٣/١، وشرح الكندي ٨٩٩: (موتة) وهي الرواية المثبتة في متن الديوان ٥٧٤. ورواية الشارح موافقة لما في معجز أحمد ٣٦٧/٤، والعرف الطيب لليازجي ٦٠٩، وهي رواية أثبتتها نسختان من نسخ الديوان، كما ذكر محققه.

(٤) جالينوس: حكيم، وطبيب يوناني.

112/ب

والثاني: أن يجعل كل واحد من الراعي وجالينوس مثل الآخر في الحضور،/ حتى كأن جالينوس موجود؛ لأن الغرض المثل، ووصف ما عليه مبنى الدنيا وحكمها وعادتها، فكأنه قال: يموت راعي الضأن في الجهل موتةً مثل موتة جالينوس في طبه، بمنزلة قولك: يموت الجاهل موت الحكيم.

(١٦) وَرَبِّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ^(١)

(١٧) وَغَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي سَلْمِهِ كَغَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ

(١٨) فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فُوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ

يقول: إن الغاية التي ينتهي إليها [الجبان] كالغاية التي ينتهي إليها [الشجاع] - انتهاء المجاوز - وهي الموت. فمن المحال أن يفرع الإنسان من الموت. ثم دعا على الجبان، فقال: لا أوصل الله إلى حاجته من سعى في أمر، قلق الجأش، خافق الفؤاد.

والهاء في "رعبه" يجوز أن يعود إلى الفؤاد، ويجوز أن يعود إلى الطالب.

(١٩) أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ

(٢٠) وَكَانَ مِنْ خَدَّدَ^(٢) إِحْسَانَهُ كَأَنَّمَا^(٣) أَفْرَطَ^(٤) فِي سَبِّهِ

(١) سرب الرجل: نفسه ونساؤه وأولاده. اللامع العيزي (٢٠٣/١).

(٢) هذه الكلمة - ونظائرها في شرح البيت - تُرسم مرة بالحاء، ومرة بالجيم، وهما روايتان، ولكن الذي يدل عليه الشرح أنها بالحاء. ورواية (جدة) بالجيم عند الواحدي (٧٨٤)، وأشار إليها محقق الديوان ٥٧٤. والمعنى: من جدد ذكر إحسانه - كما ذكر الواحدي - . ورواية (حدد) بالحاء في معجز أحمد ٣٦٩/٤، والموضح ٨٦/أ وشرح الكندي ٨٩٩، وهي الرواية المثبتة في متن الديوان ٥٧٤. ورواية ابن جني (الفسر ٦٣٨/١): (عدد) وكذلك في التبيان ٢١٤/١.

(٣) رواية الديوان والشروح - إلا العرف الطيب -: (كأنه). وفي العرف الطيب ٦١٠ (كأنما) كرواية الشارح.

(٤) رواية الواحدي ٧٨٤، ومعجز أحمد ٣٦٩/٤، والكندي ٨٩٩، والنظام ق/٤٥٠، والديوان ٥٧٤ (أسرف)، ورواية الشارح موافقة لما في الفسر ٦٣٨/١، والتبيان ٢١٤/١.

أي: كان يكره أن تُنشر أياديهِ وتُعدَّ، تجنُّباً للاعتداد بها، كقوله^(١):

أنا بالوشاة إذا ذكرتُك أشبَّهُ تأتي النَّدَى ويُذاعُ عنك فتَكْـرَهُ

ولا يحسن أن يكون على معنى قوله^(٢):

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني أي بقللة ما أثبتت أهجوكم!

لأنه [نه] ذكر تحديد الإحسان، وعدَّ الفواضل، فزعم أنه كان يكره ذلك لقللة اعتداده بما يهيه، واحتقاره له، فذلك عنده مكروه، كما يكره السَّبَّ. والمقصود من البيت الآخر أن المدح يقصر عنه، ويتَّضع عند معاليه، حتى كاد ينقلب إلى ضده. ومحال أن تقول: إن تحديد إحسانه وصنائه يتقاصر عن الحد الذي يستحقه في المدح، ويسقط دون الواجب منه؛ لأنه بمنزلة أن تقول: معاليه تقصر عن معاليه^(٣)! وإنما يكون على هذه الطريقة إن قال: إن إحسانه لا يُعدَّ ولا يُحدَّ، فمن ادَّعى عليه التحديد، ورام ذلك، وظنه ممكناً، فقد أفرط في سبِّه. ولفظ البيت لا يحتمل ذلك^(٤)، ولا يؤديه إلا عن تكلفٍ مفرطٍ، واستكراهٍ بينٍ.

وقد ذكر القاضي^(٥) هذا البيت، أعني قوله:

وكان من حدّد إحسانه

مع قوله:

بقللة ما أثبتت أهجوكم!

(١) أي المتنبي، وقد سبق في صفحة: ٣٤٠.

(٢) للمتنبي، وقد سبق قريباً.

(٣) في الأصل (معاليه)، لعل صوابه ما أثبت.

(٤) لأن لفظ البيت يدل على إمكان التحديد والعد.

(٥) الوساطة ٢٦٤.

وقوله^(١):بأكثر^(٢) ما يثني عليه يُعاب

ولكن عدّه إياه مع تلك الأبيات لا يدلّ على أنه جعله مثلها سواءً، وإنما راعى عموم المعنى وجنسّه، وهو أن يكون تحديدُ الإحسان ونشره الذي يعد مدحاً في العادة المستمرة سبباً عنده، كما كان الثناء والمدح في الأبيات هجواً وعباً.

ورُبّ بيتين يقعان في أصل معنى، ويطلقان في مكان واحد، ثم يأخذ كلُّ منهما في طريق: فمشرق ومغرب. فاعرفه.

(٢١) / يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعُلَى عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ

أ/113

أي: كان حبه العيش لأجل أنه يتوصل فيه إلى العلى، كما قال^(٣):أَيَّامَنَا مَا كُنْتَ إِلَّا غَرَابًا^(٤) وَكُنْتَ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَابًا

فالأيام محبوبَةٌ لوجود المحبوب فيها، لا أنْ جُمِلَتْهَا مما يحبه؛ إذ لو كان كذلك، لوجب أن لا يتعلق ذلك بإسعاف الحبيب. كذلك العيش محبوبٌ لكونه سبباً للعلى، لا أنْ جنس العيش يُحِبُّ حتى لو وُجِدَ عارياً من العلى، [وإلا] لكان محبته باقيةً.

ومثلُ هذا الكلام في الطريقة، قولهم: العاقل يأكل ليعيش، أي: ليس الأكل بمقصود عند العاقل على الإطلاق، ولا مراداً لنفسه، ولكنَّ مطلوبَ العاقل منه الحياة؛ التي هو^(٥) مادتها وقوامها. فكذلك هذه المَثَلِيَّة، كانت تحبّ العيش، وتريده؛ لأجل أن العلى تحصل

(١) مَرَقَرِيَّاً، وصدره: تجاوز قدر المدح حتى كأنه

(٢) روايته في الموضع السابق (بأحسن).

(٣) هو أبو تمام، ديوانه ١/١٣٨.

(٤) رواية الديوان (مواهبا).

(٥) في الأصل (التي هي).

به، فهي البُغية في الحقيقة، لا العيش.

(٢٢) يَحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَحْدَهُ وَمَجْدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ

نصب "وحده" على الظرف^(١)، لأنَّه مفعول "ليحسب"، وإنما هو كقولك: يحسبه عنده، فكأنه: يحسبه دافنُه على^(٢) وحده، والجملة من الظرف^(٣) هي المفعول الثاني لـ يحسب.

والتقدير: ومجده كائناً في القبر من صحبه^(٤)، ولا يجوز أن يتعلق "في القبر" بنفس "صحبه"، لأنَّ ما بعد الجار لا يتقدّم عليه، ألا تراك لا تقول: (يا زيداً من ضاربين زيداً)^(٥)؟ كما أن المجرور لا يتقدّم على الجار؛ إذ المعلوم لا يقع إلا حيث يقع العامل.

(٢٣) وَيُظْهِرُ^(٦) التَّذْكِيرُ فِي ذِكْرِهِ وَيَسْتَرُ التَّائِيثُ فِي حُجْبِهِ

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يريد: أن العبارة عنه تكون على لفظ التذكير؛ احتشاماً وإجلالاً، كما قال: "لشخص مَضَى"، ولم يقل: لامرأة مضت. و"يستراتائيث في حجبه"، أي: أن تأنيثه يُعرف فيما دون الحجاب، لا في لفظ الخطاب.

والثاني: أن يريد أن أفعالها كأفعال الرجال، وصيتها كصيتهم، فالذي يُذكر منها مذكراً، وإن كان الخلق (التي هي مستورة في الحجب) مؤنثةً، كما قال^(٧):

(١) هذا أحد الأقوال في (وحده)، والأشهر نصبها على الحال. انظر: رسالة (الرفدة في معنى وحده)

للسبكي، ضمن كتاب: الأشباه والنظائر للسيوطي ١٧٢/٧، ١٧٣، ١٧٤.

(٢) في الأصل (عن).

(٣) وما أضيف إليه.

(٤) هذا تقدير الشطر الثاني. وفي الأصل (ومجده كائناً...)، لعلّ صوابه ما أثبت، أو أنّ في الكلام سقطاً.

(٥) كذا وردت العبارة في الأصل، وفيها اضطراب، لعلّه أراد (ألا تراك لا تقول: زيداً من ضاربين، من قولك: من ضاربين زيداً).

(٦) في الفسر والديوان (ويُظْهِرُ).

(٧) قاله في أخت سيف الدولة، وقد مر في صفحة: ٥٨٠.

فإن تكن خلقت أنثى فقد خلقت كريمةً غير أنثى العقل والحسب

(٢٤) أَخْتُ أَبِي خَيْرٌ أَمِيرِدَعَا فَقَالَ جَيْشُ لُقْنَا: لَبَّهِ

هذه عمّة الممدوح، فهي أخت أبيه.

و"خير أميردعا" مدح لعضد الدولة، يعني: أنه من خير من دعا للنزال، فقال العساكر للرماح: عليك الإجابة. أي: أنه إذا دعا أسرع الجيش إلى أخذ الرماح، والانكماش للحرب. و"لبّه" أمر من لبيت.

(٢٥) يَاعِضِدَ الدَّوْلَةِ، مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ، وَالْقَلْبُ أَبُو لَبَّهِ

"من ركنها أبوه" بدل من "عضد الدولة". والهاء في "ركنها" للدولة، فكأنه قال: يا من ركن الدولة أبوه.

و"القلب أبو لبّه"، أي: القلب من الذي (ركن الدولة أبوه) أبو عقله. يعني: أن / 113ب
أباك ولدك في الجملة، وأورثك الملك والولاية، وقلبك ولد عقلك؛ لأن الفضل الذي فيك منك طبع، ومن طبعك انقذ، والولاية موروثة، والعقل غير موروث.

وهذا لا يدل على أن أباه لم يكن له عقل، ولكنه يقول: إن العقل الذي لك انفردت به، ولم يكن لأحد قبلك.

فالهاء في "لبّه" يعود إلى "من ركنها أبوه"، وكذا الضمير في (منه) المقدر في قولك: والقلب منه. وليس بواضح أن تقدّر: والقلب منه - أي من ركن الدولة - أبو لبّه^(١)، بمعنى: أن عقلك ولده قلب أبيك، كما ولدك هو نفسه؛ لأن العادة تجري على ما ذكرنا من أن المملك قديم موروث، كما يجب أن تكون الأحساب والرأي والحصافة مما أخرجته قلبك.

(١) هذا التقدير يقرب مما ذكره بقية الشراح، حيث يذكرون: أن الشاعر جعل القلب كناية عن ركن الدولة، واللب كناية عن عضد الدولة، واللب أشرف من القلب، فكأنه فضله على أبيه. انظر: الفسر ١/٦٤٠، وشرح الواحدي ٧٨٤، ومعجز أحمد ٣٧٠/٤ والتبيان ١/٢١٤.

(٢٦) وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النُّورُ عَلَى قُضْبِهِ
"من" كناية عن عضد الدولة.

وأُفلق^(١) في هذا، حيث جعل أبناء عضد الدولة زينةً لأبائهم؛ حتى لا يُفَضَّلَ عليه، بعد أن فَضَّلَهُ على غيره. فكانه: أنتَ أجلُّ من آبائك، وأولئك شرفُ يزيْنُ أجدادهم، وإذا زانوا آباءهم فأبوهم أكثرُ زِيناً لأولئك الآباء.

(٢٧) فَخَرًّا لِدَهْرٍ بَتٍّ^(٢) مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٍ أَصْبَحَتْ مِنْ عَقْبِهِ
هذا تأكيد لما قدم من تقديمه على أبيه، فقد جعله [فخرًا] للزمان والوالد جميعاً.

ونصب "فخرًا" على المصدر، كأنه قال: ليفخر فخرًا دهرٌ، ثم حذف الفعل، واستغنى بالمصدر عنه، وأتى باللام، كأنه قال: ليفخر دهر فخرًا له خالصًا، ثم حذف قولك: ليفخر دهر؛ لأن هذا يقوم مقامه، كما تقول: ضربني وضربتُ رجلًا، تريد ضربني رجلٌ وضربت رجلًا، ولا تقول: ضربته؛ إلا أن تذكره ظاهرًا فتضمه^(٣). وكذلك تقول - هنا - في الأصل: ليفخر دهر فخرًا له، ثم إذا حذف الأول قلت: فخرًا لدهر، ولم تقل: فخرًا له؛ لأنه لا يعلم حينئذ ما تريد. فاعرفه.

(٢٨) إِنَّ الْأَسَى الْقِرْنَ فَلَا تُرْضِيهِ^(٤) وَسَيُفْكَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْبِيهِ
(٢٩) مَا كَانَ عِنْدِي أَنَّ بَدَرَ الدُّجَى يُوجِشُهُ الْمَفْقُودُ مِنْ شُهْبِهِ

جعل الممدوح كالبدر، وجعل أقاريه كالنجوم حواليه، فيقول: لم أظنَّ أن البدر يَسْتَوْحِشُ من فَقْدِ واحدٍ من نجومه، يريد أن مثلك لا يليق به الجزعُ، والقصدُ التلطُّفُ في التَّسْلِيَةِ.

(١) من قولهم: شاعر مفلق، أي: مبدع.

(٢) رواية الواحدي ٧٨٤: (أنت)، وكذا التبيان ٢١٥/١.

(٣) بأن تقول: ضربني رجل وضربت.

(٤) رواية الشروح: (فلا تحيه)، ورواية الشارح موافقة لرواية الديوان ٥٧٥.

(٣٠) حَاشَاكَ أَنْ تَضْعَفَ عَنْ حَمَلٍ مَا يَحْمِلُهُ^(١) السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ

قالوا^(٢) في تفسير هذا: إن السائر هو الفَيْجُ^(٣) الحامل للخبر في الكتب المسطورة، فيقول: لا يجب أن تضعف عن حمل الخبر الذي لم يضعف عنه الفيج. وليس ذا بحجة؛ لأجل أن الفيج لا مناسبة بينه [وبين] الذي يحمل خبر موته، فيقلق منه، ويضعف عن حمله. ولكنه على سبيل التسلية، كأنه يقول: أنت متحمل هذا الخبر الآن، فلا تضعف فيه، وقدّر أنه كسائر الأخبار التي تتحملها الصدور. والمعزّي من حكمه أبداً أن يذكر أبداً كلاماً يجري مجرى المخادعة؛ لأنه يحتاج إلى أن يمحو عن نفس المعزّي صورة المفقود، ويخيل إليه / معاني يسيطر بها^(٤) على الجزع. ومثله أن يقال لمن فقد ولده -مثلاً-: هبّ أنه لم يولد، ولمن فاته بعض مطالبه، هبّ أنك نلتّه، وتمتعت به، ثم انقرض الوقت، وصارت المتعة واللذة كأنهما لم يكونا!

114/أ

(٣١) وَقَدْ حَمَلْتَ الثَّقَلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَيْتِ الشَّدَّةَ عَنْ سَحْبِهِ

يقول: طالما تحمّلت أعباء الخطوب، ولم تضعف عنها، بل أغنتك قوّتك عن أن تسحبها فعل العاجز عن الاستقبال لها.

وجعل الثقل محمولاً على المبالغة، وإن كان المعنى على الثقل.

وهذا مثلٌ ضربه، وهو لطيف المأخذ.

(٣٢) يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ

(١) هذه الرواية موافقة لما في الفسر ١/٦٤٢، ورواية الديوان وبقية الشروح (تحمل). ويروى (تضمن) كما في الفتح الوهبي ٤٣، وبعض نسخ الفسر.
(٢) قاله ابن جني (الفسر ١/٦٤٢) وتابعه الباقون.
(٣) الفيج: رسول السلطان، وهو لفظ فارسي. المعرب ٤٧٢.
(٤) في الأصل (تسديرها) لعل صوابه ما أثبت.

(٣٣) مِثْلَكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ^(١) وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ مِنْ^(٢) غَرِبِهِ

"يثني الحزن عن صوبه" كقولك: يصرف الحزن عن أن يصوب، ويردّ الدمع عن مجاريه.

(٣٤) أَيَّمَا^(٣) لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ أَيَّمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رِيٍّ

وجه الإبقاء على فضله: ما ذكره من أن الجزع يقدر في الإنسان ويزري بفضله. و"أيما" بمعنى: إمّا. والأصل: لتسليم الأمور إلى ربه، إلا أن المفعول يُحذف لقصد العموم كما مضى.

(٣٥) وَلَمْ أَقْلْ مِثْلَكَ أَغْنِي بِهِ سِوَاكَ، يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهِ

اعلم أنهم يقولون: مثلك فعل كذا، ويقصدون المخاطب، والغرض في ذلك أن من كان بهذه الصفة، ومقارناً لك، فالواجب أن يفعل ذلك، وإذا كان الذي يماثله حقيقةً بذلك الفعل، فهو أولى به. ففي هذا ضرب من المبالغة، ولا يكون له إثبات للمثل، وإنما يفيد أن الشيء إذا ماثلك فعل كذا، كما تقول: من كان بهذه الصفة لم يُستبدع منه ذلك، ومن كان فريد عصره لم يستغرب منه هذه الخصلة^(٤). والمتنبّي يقول: لم أقل مثلك وأنا

(١) الصوب: الإصابة والوقوع.

(٢) (من) هذه هي الرواية المثبتة في متن الديوان ٥٧٥. ورواية الشروح (عن)، وأشار إليها محقق الديوان.

(٣) في الديوان ٥٧٦، وشرح الواحدي ٨٧٥، واللامع العريزي (٢٠٥/١): (أيما) في الموضعين. وفي الفسر ٦٤٣/١، ومعجز أحمد ٣٧٢/٤، والتبيان ٢١٧/١، وشرح الكندي ٩٠٢: (أيما). قال ابن المستوفي: "والعرب تبدل مكان الميم ياء من إما المكسورة وأما المفتوحة كراهية اجتماع المثليين، وربما فتحوها همزة المكسور. والذي قرأته -هنا- أيما بفتح الهمزة". النظام ق/٤٥٣. وعن إبدال الميم الأولى ياء من إما وأما. انظر: رصف المباني ١٨٢-١٨٥، ومغني اللبيب ٧٩، ٨٤، ٨٥.

(٤) قال عبد القاهر في الدلائل ١٣٨، ١٣٩: "وقول الناس: (مثلك رعى الحق والحرمة) ... وما أشبه ذلك، مما لا يقصد فيه ب(مثل) إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في الحال والصفة، كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر...".

أعني سواك، وإنما غرضي ذكرُك، لكنني جريتُ في ذلك على مقتضى الكلام، وأنى يكون لك المثل، وأنت فرد في معاليك، وسائر معانيك، بلا مُشبهٍ يحكيك في حالة، ويقارنُك في شرفٍ وجلالةٍ؟

ولله دُرُه! فما أحسنَ ما انتهز الفرصة! ويدلّ هذا على جودة معرفته بالكلام، وأنه ليس ممن عرّف أجسامه، وخلا من أرواحه.

وقد نرى بعضهم يقول: إن المثل -هنا- زائدة^(١)، لخفاء هذا المقصد عليه. وأبدع من ذا أن بعضهم قد يقول (في قول القارئ: بسم الله): زائدة^(٢). فيا ليت شعري إذا قال: أكتب اسم الله، هل يقول: إن المعنى كتبت الله؟ وكفى فساداً بقول جعل القديم سبحانه مما يكتب ويُلفظ به، فيقول: أبدأ بالله في اللفظ، وألفظ^(٣) به أولاً!.

واعلم أنك إذا قلت: زيدٌ في اللفظ، يجوز أن يراد به المسمّى، ولا يُقصد اللفظ، نحو أن تقول: جاء في زيد، إذ يُعلم أن الحروف لا تجيء، وإذا قلت: نويتُ زيداً، كان القصدُ اللفظُ دونَ المسمّى به، وإذا قلت: اسم زيد، كان ذكرُ الاسم دليلاً صريحاً على قصدك اللفظ، غير أنه إذا لم يُقصد المسمّى في القديم سبحانه، قيل: اسم الله، ولا يقال: الله، كراهية أن يقال: /لفظتُ بالله، فيكون في الظاهر على وجهٍ يصلح لأن يُقصد به المسمّى، ويقال: لفظتُ باسم الله؛ ليسلم اللفظُ من الاستنكار، ويقال: لفظتُ بزيدٍ -كثيراً- لأنه لا يُفكر في حديث المخلوق^(٤). فاعرفه.

114/ب

(١) انظر: معجز أحمد ٣٧٣/٤.

(٢) أي: أن (اسم) زائدة.

(٣) في الأصل (واللفظ).

(٤) حول قضية الاسم والمسمّى والخلاف فيها، انظر: فتاوى ابن تيمية ١٨٦/٦-٢٠٧.

(٣٠)

وقال في صباه يهجو الذهبي^(١):

- (١) لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ابْنًا لَغَيْرِ أَبِي ثُمَّ امْتَحِنْتَ^(٢) فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
 (٢) سُمِّيتَ بِالذَّهِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ!
 (٣) مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ - وَبِكَ^(٣) - بِهِ يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقْبِ

يقول: إن اللفظ الذي لُقِّبَ به يَسْتَحْيِي منه، كما يَسْتَحْيِي من لَقْبِهِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَقَّبُ لَه، وإذا كان كذلك كُنْتَ لَقْبًا عَلَى اللَّقْبِ!.

(١) في الواحدي (١٦): "وقال أيضًا في صباه يهجو القاضي الذهبي". وقال: "ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير، ولا يساوي الشرح، ولو طرح أبو الطيب المتنبي شعر صباه من ديوانه كان أولى به".

(٢) في الفسر ١/٦٤٦، والواحدي ١٦، والكندي ٦٨٢ (اختبرت).

(٣) ويك: كلمة معناها التعجب والإنكار. أو هي ويليكَ حذفت لامها، لكثرة الاستعمال. التبيان ١/٢١٨.

(٣١)

وقال -أيضاً- يهجو وردان بن ربيعة، من طيء، وكان قد أفسد عليه عبيداً عند منصرفه من مصر^(١):

(١) لِحَالِ اللَّهِ وَرَدَانًا وَأَمَّا أَتَتْ بِهِ لَهُ كَسْبُ خَنْزِيرٍ وَخُرْطُومٌ تَعْلَبُ^(٢)

(٢) فَمَا كَانَ مِنْهُ الْعَذْرُ إِلَّا دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ بِالْأَبِ^(٣)

أي: أن الغدر الذي ظهر فيه دلّ على أن [أمّه] كانت غادرة، من حيث تعرّضت لغير الرّشاد، فهو لغير رشدة، وإذا وُجد الغدر فيه من جهة الأم فهو حاصل من جهة الأب الذي أولدها إياه.

(٣) إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنٍ عَرْسِهِ فَيَا لُؤْمَ إِنْسَانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ

يجوز أن يكون أراد بهذا الاكتساب [ما] يتعاطاه المهجو. ويجوز أن يريد أن زوج أمّه كان يأذن لها في الفاحشة؛ طلباً للمنفعة.

(٤) أَهَذَا اللَّذِيَّ ابْنَتْ وَرْدَانَ بِنْتُهُ هَمَّا الطَّالِبَانِ الرُّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ

(١) زعم المتنبي أن وردان هذا قد أفسد عبيده بأن دعاهم إلى الفجور بامراته طمعاً في أموال أبي الطيب. الديوان ٤٩١، ومعجز أحمد ١٨١/٤، وشرح الكندي ٧٨٤.

(٢) لحا الله فلائناً، أي: قبحه وساءه.

قال الواحدي (٦٩٧): "الخنزير يأكل العذرة، وكذلك بنات وردان تأكل العذرة في الحشوش، ولاتفاق الاسمين جعله كالخنزير في أكل العذرة".

وجاء في التبيان ٢١٩/١: "وجعل له خرطومًا؛ لأنه كبير الأنف والضم، نائق الوجه، فوجهه كخرطوم الثعلب".

(٣) رواية الواحدي (٦٩٧): من الأم والأب، وكذلك في التبيان ٢١٩/١.

"أهذا" نداءً، كأنه قال: يا والد هذه المرأة، هي وزوجها يطلبان الرزق من شرّ مطلب^(١).

(٥) لَقَدْ كُنْتُ أَنْفِي الْغَدَرَ عَنْ تَوْسٍ طِيٍّ فَلَا تَعْذُلَانِي، رَبِّ صَدَقٍ مُكَذَّبٍ

التّوس بالتاء المضمومة: الأصل، وكذا التّوس بالنون المفتوحة^(٢).

وقوله: "رب صدق مكذب" يجوز أن يكون على حذف المضاف، نحو: ربّ ذي صدق. ويجوز أن يكون أوقع التكذيب على نفس الصدق مبالغةً.

(١) هذا التفسير مخالف لما عليه جمهور الشراح الذين يرون أن الهمزة في قوله: (أهذا) للاستفهام المراد به التهكم والتحقير، وأن المراد ببنت وردان تلك الحشرة القبيحة التي تألف القاذورات والخبث. قال ابن جني: "يستفهم فيقول: أهذا هو الذي تنسب إليه بنت وردان الحشرة الذميمة؟! يقول: فهو وهي يطلبان الرزق من شر مطلب؛ لأنها تطلبه من المخازي وأماكن الخبث، وهو يطلبه من هن عرسه. يظهر تجاهلاً بالأمر، هزواً به". الفسر ١٠٨/٢، ١٠٩ وتابعه الباقون.

ويظهر أن ما أورده الشارح - رحمه الله - لا يخلو من تكلف وبعد.

(٢) هذا اللفظ بهذا المعنى لم أجده في ما بين يدي من معاجم اللغة. والذي يبدو لي أنه تحريف عن لفظ (السّوس) فقد أورده - هنا - ابن جني ١٠٩/٢، والواحد ٦٩٧، وذكر أنه بمعنى الأصل.

(٣٢)

وقال -أيضاً- في صباه، وقد عدّله أبو سعيد المخيمري^(١) على تركه لقاء الملوّك:

(١) أبا سعيدٍ جنب العتّابا

(٢) فَرُبَّ رَأٍ خَطَأً صَوَابَا

"رائي خطأ"^(٢) على الأصل، والأصل: راءٍ صواباً خطأً، ثم قدّم المفعول الثاني، فلمّا حُذِفَ التنوينُ وقع الإضافة إليه، كقولك: هو معطي درهمٍ زيداً. وراءٍ خطأً -بالنصب والتنوين- ظاهرٌ.

(٣) /فَانَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا

(٤) وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدْنَا الْبَوَابَا

(٥) وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا^(٣)

(٦) وَالذَّابِلَاتِ السُّمَرِ وَالْعِرَابَا^(٤)

(٧) يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا

115/أ

(١) بنو مخيمر من قبيلة طئ، يسكنون منبج. الفسر ١/٣٥٦، والتبيان ١/١٠٥.

(٢) هذه رواية أخرى، انظر التبيان ١/١٠٥، ومعجز أحمد ١/١٤٣، وحاشية الديوان ٣٤.

(٣) القرضاب: القاطع للعظام.

(٤) الذابلات السمر: الرماح، والعرباب: الخيل العربية الأصلية.

(٣٣)

وقال^(١):

- (١) لَأُحِبَّيْ أَنْ يَمَآ لُؤَا بِالصَّافِيَاتِ الْأَكُوبَا
(٢) وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا وَعَلَيَّ أَنْ لَا أَشْرِبَا
(٣) حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تِ الْمُسْمَعَاتِ^(٢) فَأَظْرِبَا

"بالصافيات" يريد الخمر الصافيات؛ إذ لا يريد كل صافية.

وأقْبَى بقوله: "حتى تكون الباترات" لأجل أنه لما قال: "أن لا أشربا" كان قد ذكر أنه لا يطلب الطرب من شرب الخمر، فكأنه قال: لا أطرب حتى تكون السيوف، فأطرب من صوت وقعها وصليلها في هامات العدا. ويجوز أن يقول: لا أشرب إلى أن أحارب، ثم أطرب حينئذ، كما يقولون: إنا نمتنع عن الخمر إلى [أن] ندرك الثأر، وهو أنه يجعل بينه وبين الملوك ثأراً. ويقوِّي الأول قوله^(٣):

بَرَاهَا، وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ

و(كان) في قوله: "حتى تكون الباترات" تامة، كقوله: حتى يُوجد الباترات.

(١) في الفسر ٣٥/١: "وقال وقد حضر مع بعض الكلابيين على شراب" وفي شرح الواحدي ٨٧: "وقال ارتجالاً في صباه".

(٢) في الديوان ٥١، وشرح الواحدي ٨٧، والتبيان ١٠٦/١: (المسمعات) بالنصب، على أنه خبر (تكون). والوجهان في معجز أحمد ٢٠٦/١.

(٣) ديوانه ٢٦٣، وتمام البيت:

إِذَا مَا ضَرِبَتْ بِهِ هَامَةٌ بَرَاهَا، وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ

(٣٤)

وقال يهجو كافوراً^(١):

(١) وَأَسْوَدَ، أَمَّا الْقَلْبُ مِنْهُ فَضَيَّقُ نَخِيبُ^(٢)، وَأَمَّا بَطْنُهُ فَحَرِيبُ

(٢) يَمُوتُ لَهُ غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتِكُ وَشَيْبُ^(٣)

(٣) أَعَدْتُ عَلَى مَخْصَاهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ يَتَّبِعُ مِنِّي الشَّمْسُ وَهِيَ تَغِيبُ^(٤)

كأنه قال: إني هزئتُ به في شعري، وكأني خصيته مرّةً أخرى، ثم فارقتُه، وهو يتبع قومه مِنِّي الشمس!.

(٤) إِذَا مَا عَدِمْتَ الْأَصْلَ وَالْعَقْلَ وَالنَّدَى فَمَا لِحَيَاةٍ فِي حَيَاتِكَ^(٥) طِيبُ

(١) هذه القطعة ليست في الفسر ولا التبيان.

(٢) نخيب: فاسد مجوف. شرح الواحدي ٧٠٤.

(٣) فاتك الرومي، سبقت ترجمته. وأما شبيب بن جرير العقيلي، فولّاه كافور عمّان والبلقاء، ثم خرج عليه وسار نحو دمشق؛ ليستولي عليها، فهلك في هذه الواقعة. شرح الواحدي ٦٧٣، والتبيان ٤/٢٤٣، ومعجز أحمد ٤/١٢٤.

(٤) ويروى (حين تغيب) شرح الكندي ٧٩٨.

(٥) في الديوان ٥٠٠، والواحدي: ٧٠٤، ومعجز أحمد ٤/٢٠٢، والموضح ٧٥/ب: (في جنابك). ورواية الشارح موافقة لرواية الكندي ٧٩٨، وهي رواية إحدى نسخ الديوان كما ذكر محققه. والرواية الأولى أجود.

(٣٥)

وقال يذم ضبة بن يزيد الضبي^(١):

- (١) ما أنصف القوم ضبُّه
(٢) رموا برأس أبيه
(٣) فلا بمن باك^(٤) فخر
(٤) وإنما قلت ما قلت
(٥) وحيلة لك حتى
(٦) وما عليك من القتـ
(٧) وما عليك من الغد
(٨) وما عليك من العا
(٩) وما يشقُّ على الكا
(١٠) ما ضرَّها من أتاها
- وَأَمَّه الطُّرْطُبةُ^(١)
وباكوا الأمَّ غلبُـه^(٢)
ولا بمن يباك رغبُـه^(٥)
تُ رحمة لا محبة
عُذِرْتَ لو كنت تئبُـه^(٦)
لِإِثْمَاهِي ضَرْبُهُ
رَأَيْتُ مَا هِيَ سُبُّهُ
رَأَى أَمَّكَ قَحْبُهُ
بِأَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبِهِ
وَأِنَّمَا ضَرَّ صُلْبُهُ

(١) قال ابن جني: "ورأيتُه وقد قرئت عليه هذه القصيدة وهو ينكر إنشادها". الفسر ٦١٩/١، وعنه الواحدي ٧٢٣. وقال صاحب التبيان ٢٠٤/١: "وهذه القصيدة من أرداد شعرا المتنبي".

(٢) الطرطبة: القصيدة الضخمة.

(٣) (باكوا) في الأصل بالنون، وكذلك نظائرها، والناسخ كثير التصحيف، ولذلك رجحت أن أرسماها بما يوافق رواية ابن جني والأكثرين. قال ابن جني: "وقال: باكوا؛ لأنه جعلهم كالحمير في غشيانها بفحش". والغلبة: الغلبة والقهر.

(٤) في الديوان والشروح (بمن مات) وهي أجود. ولفظ (باك) ورد في إحدى نسخ الفسر، كما ذكر محققه.

(٥) قال الواحدي ٧٢٤: "لا فخر له بأبيه، ولا يرغب بأمه عما فعل بها".

(٦) رواية الفسر ٦٢٣/١، والواحدي ٧٢٤، والتبيان ٢٠٥/١ (تئبه) إما من: أبه يأبه، أو من: وبه تئبه (بمعنى: شعروا بهم). وعلى هذه الرواية يكون في البيت سناد رذفي، قال الكندي: "يجب إثبات الهمز؛ لنلا يصير سناداً" شرحه ٨٢٦. روى الخوارزمي (تئبه)، أي: تستيقظ. شرح الواحدي ٧٢٤، وهي رواية معجز أحمد ٢٥٣/٤.

- (١١) وَلَمْ يَبْكْهَا وَلَكِنْ
(١٢) يَلُومُ ضَبَّةً قَوْمُ
(١٣) وَقَلْبُهُ يَتَشَهَّى
(١٤) لَوْ أَبْصَرَ الْجَذْعَ أَيَّرًا^(١)
(١٥) يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْسًا
(١٦) وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَضْلًا
(١٧) وَأَرْخَصَ النَّاسِ أَمَّا
(١٨) كُلَّ الْفُعُولِ^(٢) سَهَامُ
(١٩) وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ
(٢٠) وَلَيْسَ بَيْنَ هَلْ وَوَيْ^(٣)
(٢١) يَأْقَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ
(٢٢) وَخَوْفٍ كُلِّ رَفِيقٍ
(٢٣) كَذَا خُلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي
(٢٤) وَمَنْ يَبِيحُ الْبَذْمَ^(٤)
- عِجَانُهَا بَاكَ رُبُّهُ
وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ
وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهُ
أَحَبُّ فِي الْجَذْعِ صَالِبُهُ
وَالَّذِينَ النَّاسُ رُكَبُهُ
فِي أَخْبَثِ الْأَرْضِ تُرْبُهُ
تَبِيْعُ الْفَقَاءِ بِحَبِّهِ
لَمْرِيْمٍ وَهِيَ جَعْنَبُهُ^(٥)
ءٌ مِنْ لِقَاءِ الْأَحْبَبِ^(٦)
وَحُرَّةٌ غَيْرُ خُطْبَةٍ
عَنَاهُ^(٧) ضَيْحٌ وَعُلْبُهُ^(٨)
أَبَاتُكَ اللَّهُ^(٩) جَنْبُهُ
الَّذِي يُغَالِبُ رَبَّهُ
إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبُهُ

(١) رواية ابن جني ٦٢٤/٢، والتبيين ٢٠٥/١ (شيبًا). ورواية الموضح ٨٢/ب موافقة لرواية الشارح. أما رواية الديوان وبقية الشروح فهي (فُعَلًا).
(٢) رواية الموضح ٨٢/ب، وشرح الكندي ٨٢٧: (الأُيُور).
(٣) الجعبة: وعاء تجمع فيه السهام، كالكنانة.
(٤) في الديوان والشروح (الطَبَّة)، وهي الملائمة للسياق، ولعل (الأحبة) تحريف عنها.
(٥) الهلوك: المرأة الفاجرة.
(٦) رواية الديوان والشروح (غناه) بالغين. وقد رُسم في الأصل كذلك، ولكن مقتضى كلام الشارح أنه بالعين، كما سيأتي.
(٧) العلبة: إناء من جلد أو خشب يُشْرَبُ فيه اللبن. الفسر ٦٢٦/١.
(٨) في الديوان والشروح: (الليل).
(٩) رواية الكندي (بذنب) شرحه ٨٢٧.

- (٢٥) / أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِي النَّخْ — لُ سُرْبَةً بَعْدَ سُ — رَبِّهِ^(١)
- (٢٦) عَلَى نِسَائِكَ تَجْلُو — فُعُولَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ
- (٢٧) وَهَنَ حَوْلَكَ يَنْظُرُ — نَ وَالْأَحْيَاءُ رَاحُ^(٢) رَطْبُهُ
- (٢٨) وَكُلُّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ — يَرَيْنَ يَحْسُودَنَ قُنْبُهُ^(٣)
- (٢٩) فَسَلْ فَوَادَكَ يَا ضَبَّ — أَيِّنَ خَأْفَ عُجْبُهُ ١٩
- (٣٠) وَإِنْ يَخْزُكَ فَعَمْرِي^(٤) — لَطَامُ الْخَانِ صَخْبُهُ
- (٣١) وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ — وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُغْبُهُ^(٥) ١٩
- (٣٢) مَا كُنْتَ إِلَّا ذُبَابًا — نَفَثْتُكَ عَنْهُ مَذْبَهُ
- (٣٣) وَكُنْتَ تَنْخَرُتِيهَا — فَصِرْتَ تَضْرِبُ رَهْبَهُ
- (٣٤) وَإِنْ بَعْدُنَا قَلِيلًا — حَمَلْتَ رُمَحًا وَخَرِبَهُ
- (٣٥) وَقُلْتَ: لَيْتَ بِكَ مَي — عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبُهُ^(٦)
- (٣٦) إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي — فَإِنَّهَا دَارُ غُرْبِهِ
- (٣٧) وَأَوَّسَتْكَ الْمَخَازِي — فَإِنَّهَا لَكِ نَسْبُهُ
- (٣٨) وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي — تَكْشَفُ عَنْكَ كُرْبُهُ
- (٣٩) وَإِنْ جِهَلْتَ مُرَادِي — فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ^(٧)

(١) السَّريَّة: الجماعة. الفسر ٦٢٧/١.

(٢) الأَحْيَاءُ: تصغير أَرَحَاح، جمع جَرٍ، وأصله: جَرَح. التَّيْبَان ٢٠٨/١.

(٣) الغُرْمُول: عضو الإنسان والبهيمة، والقُنْب: وعاء القضيبي من ذوات الحوافر. الفسر ٦٢٨/١، والتَّيْبَان ٢٠٨/١.

(٤) في الفسر ٦٢٩ / ١، ومعجز أحمد ٢٥٨ / ٤، والتَّيْبَان ٢٠٨ / ١ (لعمري).

(٥) رواية الديوان والشُّرُوح: (رُغْبُهُ) إِلَّا أَنَّ ابْنَ الْمُسْتَوْفِي أَشَارَ إِلَى أَنَّ رَوَاةَ ابْنِ جَنِّي (رُغْبُهُ) بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ، وَالرُّغْبُ: الشَّرُّ وَالشُّؤْمُ. النَّظَام ق / ٤٥١.

(٦) جرداء: فرس قليلة الشعر، وشطبة: طويلة. التَّيْبَان ٢٠٩/١.

(٧) قال أبو اليمَن الكندي: "هذان البيتان في هذه القصيدة من الهجو الذي يليق بكلامه، ويحسن ألاَّ يرد عنه إلا سماعٌ مثله، وهما فيه كالنَّجْم الزَّاهِر في اللَّيْلِ الدَّامِس". شرحه ٨٢٩.

"تنبه" على قولهم: تعلم ويعلم - بكسر حرف المضارعة^(١) - والأصل: تَأَبَّهُ، كأنه: لو كنتَ تعباً بذلك.

و"عناه" في قوله:

يَا قَاتِلَ كُلِّ ضَيْفٍ عَنَاهُ ضَيْحٌ وَعَلْبُهُ

من قولك: هذا الشيء يعني، أي: أفقر إليه، وكأن هذا مما جاء للمبالغة، والأصل: أنا أعني هذا الشيء، أي: أقصده وأريده، ثم جعل الشيء يريده: إيغالا في جعله لائقا به، ومقتضيا له، ومنه قولهم: اشتغل بما لا يعنيه، أي: أمر لا يليق به، وليس من شأنه. والضَّيْحُ والضَّيَاحُ: اللَّبَنُ^(٢).

"خوف كل رفيق" نُصِبَ عَلَى النِّدَاءِ، كأنه: يا خوف كل صاحب بيت بجنبك. و"جنبه" نُصِبَ عَلَى الظَّرْفِ، المعنى: أباتك الله بجنبه، أو في جنبه. "منذ سَنَبَهُ": منذ برهه، يقال: سَنَبَهُ وَسَنَبَتُهُ.

"فإنها دار غريبة"، أي: المعالي ليست من جنسك؛ فإنك^(٣) تستوحش منها، كما يستوحش الناس في دار غريبة.

(١) هذه اللغة تسمى: تلتلة بهراء. انظر: الكتاب ١١٠/٤، ومجالس ثعلب ٨١/١، والخصائص ١١/٢

(٢) الممزوج بالماء. الفسر ٦٢٥/١، والتبيان ٢٠٦/١.

(٣) في الأصل (فإنها).

[قافية النَّاء]

(٣٦)

وقال^(١):

(١) سَرِبَ مُحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتُهَا دَانِي الصِّفَاتِ، بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا

الضمير في "ذواتها" يعود إلى المحاسن، قال: سَرِبَ مُحَاسِنُهُ حُرِمَتْ صَوَاحِبُهَا^(٢).
وصواحب محاسن السرب هي السرب، فهو كقوله: هذا رجلٌ حُرِمَتْ صَاحِبَ
جَمَالِهِ، وقد أَحْسَنَ إِلَيَّ صَاحِبُ ثَوْبِكَ، ونوع منه قول الأعرابي لمعاوية: "الكاذبُ
الْمُتَرَمِّلُ فِي ثَوْبِكَ"، والمترمل بثوب المخاطب هو المخاطب. فكَذَلِكَ صَوَاحِبُ مُحَاسِنِ
السرب هي السرب.

و(ذو) وما يتصرف منه لا يضاف إلى المضمرات^(٣)، وإنما أتى بـ(ذو)؛ ليتوصل إلى
الوصف بأسماء الأجناس، كقولك: مررتُ برجلٍ ذي مالٍ، وامرأةٍ ذاتٍ سوارٍ، ولا يقال:
مررتُ برجلٍ ذيك، وذيهم، ولا مررتُ برجلٍ ذي مالٍ وامرأةٍ ذاته - على أن يعيد الضمير
إلى المال - وكذا لا تقول: رأيتُ رجلاً ذوي مالٍ [ونساءً ذواته]. أو معرفة^(٤) باللام، نحو:
مررتُ بزيدٍ ذي المال.

(١) يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران. الفسر ٦٥٨/١، والواحي ٢٧٧، والتبيان ٢٢٥/١.

(٢) في الأصل (صفاتها)، والسياق يقتضي (صواحبها).

(٣) هذا قول سيبويه وأكثر البصريين، وأجازه المبرد. انظر: الفسر ٦٥٩/١، والتبيان ٢٢٥/١، وشرح
المفصل لابن يعيش ٥٣/١، والمقتصد ٩٠٦/٢.(٤) هذا من الإضافة الجائزة. وكأنه قال: وإنما أتى بـ(ذو)؛ ليتوصل إلى الوصف بأسماء الأجناس: نكرة،
كقولك: مررتُ برجلٍ ذي مالٍ، أو معرفة باللام

وقد نص على جواز إضافة (ذو) إلى المعرفة باللام عبد القاهر في المقتصد ٩٠٧/٢.

وبيت المتنبي محمول على الضرورة، وقياسه على قوله^(١):

إنما يعرف ذا الفضل —————
أحسن المعروف ما لم —————
ل من الناس ذووه. —————
تبتذل فيه الوجوه. —————

وَحَسَّنَ ذَلِكَ عِنْدَهُ أَنْ الْمَعْنَى: حُرِّمَتْ ذَوَاتُ مُحَاسِنِهِ، كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ: ذُووُ الْفَضْلِ، فَكَأَنَّهُ نَزَلَ الضَّمِيرُ مَنْزِلَةَ الظَّاهِرِ. وَذَلِكَ ضَعِيفٌ / لَا يَكَادُ يَوْجَدُ مِثْلُهُ، لَكِنَّهُ لَا يَدْفَعُ فِي غَيْرِ حَالِ السَّعَةِ.

هذا، وعندي فيه مذهب آخر، وهو أن يكون جرى^(٢) [على] ما في العادة من قولهم: ذات الشيء يراد نفسه، لا ذات الذي بمعنى صاحب ومالك، ويكون الذوات للمحاسن، فكأنه: سرب محاسنه حرمت [أنفسها]^{(٣)*}، أي: رأيت المحاسن ووصلت إلى [ظواهرها]^{(٤)*} ولم أصل إلى حقائقها، وذلك أنها هي^(٥) جمال الخلقة، وهو يذكر عجزه عن الوصول إلى نفس ذلك الجمال.

فذاات - على هذا - يكون اسماً بمنزلة النفس، ولا يكون صفةً على الأصل الذي [في] قولك: مررت بامرأة ذات سوار. ووقوعه على النفس فرعٌ على ذلك؛ وذاك أن نفس الشيء كأنها المالكة للجميع، كما أن المرأة تملك السوار، لكنه قد ينزل في العادة منزلة النفس، فلا يُعتبر فيه الإضافة إلى اسم الجنس والوصفية، ولكن يجوز إضافته إلى المضمر، كما يُضاف الأنفس، فتقول: ذاتك وذاته، كما تقول: نفسك ونفسه. هذا هو القياس الصحيح.

(١) بلا نسبة في المقتصد ٩٠٨/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٣/١، وهمع الهوامع ٥٠/٢. والأول في اللسان (ذو)، برواية:

إنما يصطنع المغف —————
رُوف في الناس ذووه.

(٢) في الأصل (جرت).

(٣) * يبايض بالأصل في الموضعين.

(٤) في الأصل (ان هي) تحريف.

وأما قوله: "داني الصفات بعيد موصوفاتها"، فالمعنى: أن صفاتها قريبة، ونيلُ النساء اللاتي هنَّ أصحاب هذه الصفات والموصوفات بها بعيدٌ. وقُربُ الصفات أنك تُشاهدها وتراها^(١)، كما قال^(٢):

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْبَى كَفَّ قَابِضُهُ شُعَائُهَا وَيَرَاهُ الظَّرْفُ مُقْتَرِبَا

وأما الضمير في "موصوفاتها" فعائد إلى الصفات، فكأنه: هذا السرب داني الصفات بعيد موصوفات الصفات، كما تقول: مررت برجلٍ حسن الثياب قبيح صاحبها، تريد: قبيح صاحب الثياب، فيكون صاحب الثياب كنايةً. كما أنك لو قلت: مررت برجلٍ قبيحٍ لابس الثوب، كان حسناً جارياً مجرى قولك: مررت برجلٍ قبيحٍ لابس ثوبه، برفع لابسٍ.

فإن قلت: إن قوله: "داني الصفات" بمعنى: داني صفاته، كما أن قولك: مررت برجلٍ حسن الوجه، بمنزلة: حسن وجهه، ولا خلاف بينهم أنه الأصل، وأن الإضافة غير محضة. وأنت إذا قلت: سرب داني صفاته، ثم قلت: بعيد موصوفاتها، كان بمنزلة أن تقول: بعيد موصوفات صفاته، وذلك بمنزلة ما حكم بردائه من قولك: مررت بامرأةٍ حسنة وجهها، وذلك أن الأصل: بامرأةٍ حسن وجهها - على أن يكون وجهها مرفوعاً بحسن، ويكون الضمير المجرور عائداً إلى الموصوف - ثم ينقل الفعل إلى صاحب الوجه، فيقال: مررت بامرأةٍ حسنة، ثم إذا قصد بيان المحل الموسوم بالحسن منها أضيف الصفة إلى الوجه، فيقال: مررت برجلٍ حسن الوجه وبامرأةٍ حسنة الوجه، ويكون الضمير العائد إلى الموصوف في نفس الصفة، ولذلك يؤنث، فتقول: بامرأةٍ حسنة الوجه. [و] إذا عاد

(١) فسّر ابن جني دنو الصفات - وتابعه الآخرون - بالذكّر، قال: "داني الصفات؛ لأن الوصف قول، وهو قادر عليه متى أَرادَه، إلا أن الموصوف بهذه الصفات - وهو السرب - بعيد مني" الفسر ٦٥٩/١، والفتح الوهبي ٤٥. وما ذهب إليه الشارح أقرب للسياق؛ لأن المتنبي سيذكر في البيت الثاني رؤيته لهن.

(٢) أي: المتنبي، وقد مضى في صفحة: ٣٩٧

الضمير إليه لم يحتاج إلى أن يكون في الوجه ضمير آخر، نحو قولك: مررت بامرأة حسنة وجهها؛ لأن الضمير إذا عاد إلى الموصوف من الصفة في قولك: مررت بامرأة حسنة، كفى، والوجه إنما يأتي للبيان فقط، فلا فائدة في إضافته إلى الضمير، وإنما يجب أن يضاف إذا رُفِعَ، فقيل: مررت بامرأة حسن وجهها؛ لأنك لو قلت: مررت بامرأة حسن الوجه^(١)، لم يكن في الصفة ما يعود إلى الموصوف.

وهو إذا قيل: سرب داني صفاته بعيد موصوفاتها، بمنزلة: داني صفاته، بعيد موصوفات صفاته، كان قد جعل في ما يتعلّق بالمجرور الذي جاء للبيان - كالوجه في قولك: مررت بامرأة حسنة الوجه - ذكراً مع كون (بعيد) متضمناً للضمير السرب، فيكون بمنزلة قولك: مررت بامرأة حسنة وجهها. فكان يجب أن يقول: داني الصفات، بعيد موصوفات الصفات، كما تقول: مررت برجل حسن وجه الأخ، ومررت بامرأة قبيحة صاحبة الثياب، ولا تقول: قبيحة صاحبة ثيابها.

فالجواب: أن الذي قبّح قولك: مررت بامرأة حسنة وجهها [أنك] قد جعلت الفعل لصاحبة الوجه، فقلت: بامرأة حسنة، فإذا قلت: وجهها، كنت جمعت بين ضميرين، ولم تعدل بالوجه عن سمته الذي كان عليه في حال الفاعلية التي هي قولك: مررت بامرأة حسن وجهها. وهم إنما ينقلون الضمير إلى الصفة فيقولون: مررت بامرأة حسنة، على أن تجعل الفعل لها، لكونه لما هي من سببه (وهو الوجه)، فأما إذا قلت: وجهها، فالواجب أن تقول: مررت بامرأة حسن وجهها، فترفع الوجه؛ لأنه الفاعل على الحقيقة.

وليس بيت المتنبي مثل هذا؛ لأجل أنه قال: "داني الصفات" ثم قال: "بعيد موصوفاتها" على أن يعيد الضمير إلى الصفات، فكما أنه لو قال: سرب داني الصفات بعيد موصوفات الصفات، أو بعيد أصحاب الصفات، كان حسناً جميلاً، كذلك إذا قال: "بعيد موصوفاتها"، فأضمر الصفات، فتصور أنت^(٢) في "موصوفاتها" الصفات ظاهرة، وقدّر أنه لم يضمها، حتى يسهل عليك.

(١) في الأصل (الوصل) تحريف.

(٢) في الأصل (انتهافي) و(في) أضيفت بخط دقيق.

ولم يمكنه أن يقولَ غيرَه؛ إذ لو قال: بعيدُ الموصوفات^(١)، كان بمنزلة قولك: بعيدُ موصوفاته، كما أن داني الصفات بمنزلة داني صفاته، وذلك محال؛ لأنَّ الموصوفات هي السربُ، فلا يضاف إلى ضميره، لاستحالة إضافة الشيء إلى نفسه.

وجاز أن يقول: "بعيد موصوفاتها" - على أن يُعيد الضميرَ إلى الصفات - وإن لم يجز: بعيدُ موصوفاتِ صفاته - إلا على قُبْح - لأنه لا يجتمع هنا^(٢) ضميران. كما جاز أن تقول: مررت برجلٍ حسنِ الوجه جميله - على أن تعيدَ الهاءَ إلى الوجه - وإن كان لا يجوز أن تقول: مررت برجلٍ جميل وجهه.

فلو كان يجري قوله: (سرب داني الصفات بعيد موصوفاتها) مجرى قولك: مررت بامرأةٍ حسنةٍ وجهها؛ لأجل أن الضمير في موصوفاتها يعود إلى الصفات، والصفات بمنزلة: صفاته في قولك: داني صفاته، ويؤدِّي إلى قولك: بعيدُ موصوفاتِ صفاته، لوجب أن يكون قولك: مررت برجلٍ حسنِ الوجه جميله، بمنزلة قولك: برجلٍ حسنِ الوجه جميل وجهه؛ لأن الضمير في (جميله) يعود إلى (الوجه) في (حسن الوجه) وهو في تقدير: وجهه. وذلك لا يقوله عاقل! لأن الكلام يستمر على قولك: حسن الوجه جميله.

وقولك: مررت برجلٍ حسنِ وجهه، شاذٌّ، لا يجوز في غير الضرورة؛ لأجل أنك إذا قلت: مررت برجلٍ حسنِ الوجه جميله، / لم يكن في الهاء^(٣) ضمير يعود إلى الموصوف (الذي هو رجل) كما يكون في وجهه إذا قلت: مرَّ برجلٍ جميل وجهه.

فبيتُ المتنبي على الصواب والمنهاج الواضح، وليس هو مثل قولك: مررت بامرأةٍ حسنةٍ وجهها، كما قال بعضهم^(٤)، وأنشد بيتي الكتاب - اللذين أوردهما صاحب

1/117

(١) في الأصل (بعيد الموصوفات الصفات)، ولعل الصفات لا مكان لها هنا.

(٢) أي: في قوله (بعيد موصوفاتها).

(٣) في الهاء من (جميله).

(٤) لم أقف عليه بهذا التفصيل، ويشبهه قول ابن سيده، إذ قال: "والضمير في (موصوفاتها) راجع إلى السرب، وإن كان مذكراً، لكن جاز ذلك لأنه في معنى الجماعة. ولا يجوز أن يكون راجعاً إلى الصفات؛ لأنه نوع من إضافة الشيء إلى نفسه" شرح مشكل أبيات المتنبي ١٣٤، ١٣٥. وقد بحث ابن جني هذه المسألة - في بيت المتنبي - بنحو مما ذكره الشارح.

انظر: الفسر ١/٦٥٩، ٦٦٠.

الكتاب على قولك: مررت بامرأة حسنة وجهها^(١)، مثل قولك^(٢): مررت بامرأة [حسنة] الوجه^(٣) - وهما^(٤):

أَمِنْ دِمْنَتَيْنِ عَرَسَ الرِّكْبُ فِيهِمَا بَحَقْلِ الرُّخَامَى قَدْ عَفَا ظَلَالُهُمَا
أَقَامَتْ عَلَى رَيْعِيهِمَا جَارَتَا صَفَاً كُمَيْتَا الْأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا^(٥).

كان الواجب أن يقول: جونتَا المصْطَلَى، كما تقول: حسنتَا الوجه، فلمَّا قال: مصْطَلَاهُمَا - فأضاف إلى ضمير الدِّمْنَتَيْنِ^(٦) - كان كقولك: امرأتَانِ حسنتَا وجوههما، وذلك كقولك: بامرأة حسنة وجهها.

والذي غَرَّه ما ذكرتُ من أن الضمير في "موصوفاتها" يعود إلى "الصفات" الكائنة بمعنى صفاته، فهو كقولك: بعيدُ موصوفاتِ صفاته؛ إذ^(٧) قَدَرَأَنَّ ضمير "موصوفاتها" يعود إلى السرب. وهذا غلطٌ واضح.

ولعلَّ بعضاً يشمخ أنفه في حديث المتنبي، يقول: انظر إلى هذا التعسف الذي يقود الناس إلى هذا البسط المفرط، والتطويل المبرم! وذلك قولٌ يأنف منه العاقل؛ لأجل أن قولنا: حسنة الوجه، وحسن الوجه، وما أشبه ذلك، إذا قصد معرفته على ما وضعته

(١) قال سيبويه: "وقد جاء في الشعر: (حسنة وجهها) شبهوه بحسنة الوجه، وذلك رديء" ثم ذكر البيتين. الكتاب ١/١٩٩.

(٢) المثلية هنا ليست في الجواز والحسن، وإنما هي في الاشتباه والتوهم كما ذكر سيبويه في عبارته السابقة.

(٣) في الأصل (مررت بامرأة وجهها)، فقومتها على ضوء عبارة سيبويه.

(٤) للشماخ، ديوانه ٣٠٧، ٣٠٨.

(٥) التعريس: النزول في آخر الليل للاستراحة قليلاً. وحَقْل الرخامي: موضع. و(جارتَا صَفَاً)، أي: أثفيتَانِ وضعتَا بقرب الصفا، فكان الصفا ثالثاً لهما. والكمْنة: لون بين الحمرة والسواد. والجون - هنا - بمعنى السواد.

(٦) كذا في الأصل، ولعلَّه سهو، والصَّحِيح (الأثْفَيْتَيْنِ)!

(٧) في الأصل (لو).

العرب احتيج إلى أضعاف هذا من الكلام، فينبغي أن يدل ذلك على سقوط كلام العرب وتعسفهم. ولو كان يجب على المتنبي أن يأتي بما يفهمه من لم يُعبرَ قدمه في العلم لوجب أن يترك العربية إلى الفارسية، فإن ذلك أسهل^١.

(٢) أَوْفَى^(١) فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي بَشَرًا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْ عِبْرَاتِهَا

"سرب" مبتدأ، و"محاسنه حرمت ذواتها" صفة له، و"داني الصفات بعيد موصوفاتها" صفتان، فالبيت الأول كله في حكم اسم مبتدأ، و"أوفى" هو الخبر^(٢). ويجوز أن يكون قوله: "داني الصفات" خبراً، و"بعيد موصوفاتها" خبراً ثانياً^(٣)، ويكون قوله: "أوفى" كلاماً مستأنفاً.

فهو [على] الوجه الأول مثل قوله^(٤):

وهم وَرَدُوا الْجِفَارَ^(٥) عَلَى تَمِيمٍ وهم أَصْحَابُ يَوْمٍ عَكَاطٍ، إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَالِحَاتٍ أَتَيْنَهُمْ بِنُصْحِ الصَّدْرِ مَنِّي

في أن المخبر عنه في بيت، والخبر في بيت؛ لأن (شهدت) خبر (إن) ويسمى هذا التضمين، وهو أحد عيوب الشعر^(٦).

(١) أي: أشرف وعلا مكاناً مرتفعاً للمسير، أو علت هذه النساء هوداجهن للرحيل. الفسر ١١٧/٢، ١١٨، وشرح الواحدي ٢٧٧.

(٢) لم أجد هذا الوجه الإعرابي عند غير الشارح. وإنما أعربوا (سرب) خبراً لمبتدأ محذوف. تقديره: هوائي، أو هذا. انظر: الفسر ٦٥٨/١، ومعجز أحمد ٣٠٥/٢، والتبيان ٢٢٥/١. وما ذكره الشارح وجه جيد.

(٣) ذكر هذا الوجه صاحب معجز أحمد (الموضع السابق).

(٤) هو النابغة الذبياني، ديوانه ١٢٧، ١٢٨، يمدح بني أسد.

(٥) الجفار: موضع.

(٦) انظر: صنعة الشعر ٢٩٨، ٢٩٩، والكافي ١٦٦، ونضرة الإغريض ٢٥٤.

والبشرُ جمعُ بشرةٍ. وصفهنَّ باللطافة ورقّة الجلد، فيقول: رأيتُ بشرةً أرقَّ من العبرة، وأثبتَ لهنَّ عبراتٍ، يعني أنها تبكي للفراق فالعبرات على بشرة الوجه^(١).

و"أرق" مفعول "رأيت"، وهو صفة محذوف، كأنه قال رأيت شيئاً أرقَّ من عبراتها. فإن قُدِّرَ ضميراً مفعولاً^(٢)، وجعلت "أرق" حالاً، فقلت: إذا رميت بشراً رأيته أرقَّ من عبراتها، جاز.

(٣) يَسْتَأْقُ عَيْسَهُمْ أَنِي خَلَفَهَا تَتَوَّهُمُ الزَّفَرَاتِ زَجَرَ خُدَاتِهَا^(٣)

(٤) وَكَأَنَّهَا شَجَرُ بَدَتْ^(٤)، لَكِنَّهَا شَجَرُ جَنَيْتُ الْمُرَّ^(٥) مِنْ ثَمَرَاتِهَا

ب/117 جعل العيس كالشجر، والنساء عليها كالثمر، فيقول: قد جنيثُ المرارة من ثمر هذا الشجر. وأنتُ / الشجر على المعنى، وقد تقدّم أن بابَ ثمرّة وثمرٍ يجوز فيه الأمران: التذكير والتأنيث، فمن التذكير قوله عز وجل: ﴿مَنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾^(٦).

(٥) لَا سِرَّتٍ مِنْ إِبْلِ، لَوَانِي فَوْقَهَا لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَدْمَعِي سِمَاتِهَا

ذكر الحرارة من المدمع، والمعنى: أن الدموع الحارة كانت تسيل من مدامعي، فتمحو سماتها. وكأنه جعل الحرارة مؤثرة من حيث إنها تذهب ما حول الوسم من الشعر، فيزول الأثر، ويصير ساذجاً.

(١) جعل الشارح الضمير في (عبراتها) عائداً إلى البشر، أي: إلى النساء. وقد جعله ابن جني لمقلة الشاعر (الفسر ٢/١١٨). وأجاز الواحدي ٢٧٧ الوجهين كليهما.

(٢) لِرَأَيْتُ.

(٣) قال ابن جني (٦٦١/١): "تظن الإبل زفراتي لشدها أصوات الحداة؛ فتجد في السير".

(٤) في الفسر ٢/٦٦٢، والواحدي ٢٧٨، والديوان ١٧٠: (بدا).

(٥) رواية الفسر ٢/٦٦٢ (بلوت المر) وأشار إليها في النظام ق/٤٦٦. ورواية الواحدي (٢٧٨)، واللامع

العزيزي ٢٢١/١، ومعجز أحمد ٣٠٧/٢، والكندي (٢٩٥)، والديوان ١٧٠: (جنيث الموت). ورواية الشارح

موافقة لرواية التبيان ٢٢٦/١، وشرح المشكل لابن سيده ١٣٥، وأشار إليها صاحب النظام ق/٤٦٦.

(٦) سورة يس: ٨٠، والآية بتمامها ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أُنْتَمِتَهُ فُودُونُ﴾.

(٦) وَحَمَلْتُ مَا حُمِلْتُ مِنْ هَذِي الْمَهَا وَحَمَلْتُ مَا حُمِلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا

دعا على الإبل لأجل ارتحالها بالحبائب، فقال: بُليت بما بُليت به من المحنة والابتلاء. وهذا - في الظاهر - عكس قوله^(١):

لَوَقَلْتُ لِلذَّنْفِ الْحَزِينَ: فِدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ، لِأَغْرَتَهُ بِفِدَائِهِ

لأجل أنه لم يرص - هناك - بأن يقول له صاحبه: ليت هذا انتقل إليّ منك، وتخلصت منه، ودعا - وهنا - بأن يُبلى غيره بما بُلي به، ويحصل العشق لمن سواه. لكنه صحّ؛ من حيث إنّ الإبل ليست مما يصحّ عليها مودة النساء وعشقهن. والغرض التلطف في الدعاء عليها، فكأنه أراد أن يدعو عليها فلم ير خطباً أعظم من هذا الذي مُني به.

(٧) إِيَّيَّ عَلَى شَعْفِي^(٢) بِمَا فِي خُمْرِهَا لِأَعْفَ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا^(٣)

(٨) وَتَرَى الْمُرُوءَةَ وَالْفُتُوَّةَ وَالْأَبُوَّةَ فِي كُلِّ^(٤) مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا

"كل مليحة" فاعل "ترى".

يعني أن هذه الخصال تصدني عن التمتع، وملابستهن، فأنا مع ولوعي بمحاسنها أتكلف العفة.

(١) مضى في صفحة: ٢٢٠

(٢) رواية الديوان ١٧١: (شعفي) بالعين، وكذلك في اللامع العيزي (٢٢٢/١)

(٣) السراويلات: جمع سراويل، أعجمي معرب. وذكر الواحدي (٢٧٨) رواية أخرى، وهي: (لأعف عما في سراويلاتها) جمع سريال، وهو القميص.

(٤) رواية الشروح - ماعدا الكندي -: (المروّة) بتسهيل الهمز، ورواية الشارح موافقة لرواية الكندي ٢٩٦، والديوان ١٧١. قال المعري: "ويجب أن يكون أبو الطيب خفف الهمزة، ليضاهي بها الأبوة والفتوة". (اللامع العيزي ٢٢٣/١).

(٩) هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِعَاتُ لِلذَّتِي^(١) فِي خَلَوْتِي، لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبَعَاتِهَا

يقول: هذه الخصال تمنعني عن الالتباس بها، لا الزهد. يدلّ بذلك على علو همته^(٢).

(١٠) وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا نَبَتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا

(١١) وَمَقَانِبٍ^(٣) بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتٌ وَحِشٌ كَنَنْ مِنْ أَقْوَاتِهَا

ترتيب الكلام: وربّ مقانبٍ غادرتها بمقانبٍ أقواتٍ وحشٍ كانت تلك الوحش من أقواتٍ تلك المقانب؛ إذ كانت أصحابها تصطاد عليها. وأنا قتلتُ أصحابها، وقتلتها أيضاً، فصارت الوحش تنال منها.

والهاء في "أقواتها" يعود إلى المقانب الأول، و"كن" للوحش.

ويجوز أن تكون الباء بمعنى مع، من قولك: ربّ رجلٍ بسيفٍ أهلكته، كأنّه: ومقانب مع مقانب^(٤).

(١٢) أَقْبَلْتُهَا غَرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عَمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا^(٥)

(١) رواية الديوان والشروح - ماعدا الواحدي -: (المانعاني لذني). ورواية الشارح موافقة لرواية الواحدي ٢٧٩.

(٢) قال ابن جني (١/٦٦٥): "وهذا سرف نعوذ بالله منه!" وتعقبه الكندي فقال: "لم يرد المتنبي تبعات الآخرة، وإنما أراد تبعات الدنيا، نحو غيرة رجال المليحة، والفضيحة بها" شرحه ٢٩٦، ٢٩٧.

(٣) المقانب: جمع مقنب، وهو القطعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين، وقيل: أكثر من ذلك.

الفسر ١٢٢/٢، والتبيان ١/٢٢٨.

(٤) هذا مما تفرد به الشارح رحمه الله.

(٥) الأيدي هنا، بمعنى: النعم. قال ابن جني: "يصف أنها غرف كأنها أيدي هؤلاء الممدوحين، لبياض أياديهم، وذلك مما يوصف به الكرام" الفتح الوهبي ٤٥، وانظر: شرح الواحدي ٢٧٩، ومعجز أحمد ٣١٠/٢.

أما إذا كانت (غرر الجياد) بمعنى خيارها - كما ذكر الشارح - فلعل المراد أن هذه الخيل العتاق تهاجم أعداءها لا تعرد ولا تحيد، وكأن بني عمران هم الذين يقودونها من نواصيها. وقال صاحب التبيان: "وهذا المخلص من جيد المخالصة وأحسنها".

أقبلت تلك المقانبَ غرراً الجياد، فكل واحد: من الضمير العائد إلى المقانب و"غرر الجياد" مفعول، كقولك: أقبلته الطريق، وأقبل الإبل أفواه الوادي. أي: جعلتها تقابلها، فكأنه على قولك: دنا من الشيء وقبله؛ لأن القابلَ داني منه، ثم نقل بالهمزة، على قولك: أحفرته^(١) بئراً، فإذا قلت: أقبلته الطريق، كان كقولك: جعلته يقبله، كما كان ذلك بمنزلة: جعلته يحفره. وغرر الجياد: [خيارها]. ولا يجب أن يكون "غرر الجياد" حالاً؛ لأجل أن الحال لا يكون معرفة، / "وغرر الجياد" معرفة، كما أن قولك: الخيار من الجياد كذلك. ولا تقل^(٢): إن الضمير يعود - في "أقبلتها" - إلى مقانبه، حتى كأنه: أقبلت مقانبهم مقاني وهي خيار الجياد، إلا أن تجعل المقانب واقعةً على الخيل والفرسان، ثم تجعل غرراً بمنزلة الصفة في الرفع والعمل، فكأنه: أقبلت عليهم بمقاني غرراً جيادها، كقولك: خياراً جيادها. وليس بذاك، وإن لم يكن مردوداً من حيث يكون نكرةً، كما يجب أن يكون الحال.

وأما إذا جعلت الغررَ من غرة الوجه، فلا وجه للحال؛ لأمرين:

أحدهما: التعريف.

والثاني: أن الغررَ عبارة عن طرف الخيل^(٣)، كالأيدي والأرجل، وبعض الشيء لا يكون حالاً من الكل، ألا تراك لا تقول: جاءهم عسكرٌ وجوه الجياد وأيدي الخيل؟! هذا محال لا يتصور.

ولا يجب أن يُحمل (أقبلت) على حذف الجار، من قولك: أقبلتُ بزيد، لأنه يقال: أقبلت على زيد بكذا، فيعدى بجارين، فإذا قدرت: أقبلت على أفواه الوادي بالإبل، حذفت حرفين من فعل واحد، وذلك إجحافٌ، وجمعٌ بين الشناعتين^(٤)، وهذه طريقةٌ منكرةٌ!

(١) في الأصل (احتفرته)!

(٢) لا تقل ذلك تكلفاً لتقدير الحال.

(٣) في الأصل (حرف الجبل)، لعله تصحيف.

(٤) في الأصل (الساعين)، لعل صوابه ما أثبت.

(١٣) الثَّابِتَيْنِ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا، وَالطَّعْنَ فِي لَبَاتِهَا

"فروسة" نُصِبَ على التمييز، كأنه قال: الثابت فروستهم ثباتاً كثبات جلودها في ظهرها، أو يكون مفعولاً له، كأنه: الثابتين لفروستهم.

و"في ظهرها" يجوز أن يتعلق بقوله: "كجلودها"^(١)، كأنه كثبات جلودها في ظهورها، فيكون الكلام على ظاهره في الترتيب.

ويجوز أن يعلق "بالثابتين"، فكأنه: الثابتين فروسةً في ظهورها كثبات جلودها. ويحتمل أن يكون "كجلودها"^(٢) -على ذا الوجه- غير مصدري فيكون حالاً، كأنه: الثابتين في ظهورها مُشاكِلين لجلودها في الثبات.

وقوله: "والطعن في لباتها" جملةٌ في موضع الحال، أي: أن هذا الثبات الموصوف يكون في مثل هذه الحال.

(١٤) الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتُهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أَمَاتِهَا^(٣)

يعني أن الخيل عرفتهم وعرفوها قديماً، وعرف أجدادهم أُمَاتِ هذه الخيل.

و"جدودهم" مرفوع "بالراكبين"، فكان يجب أن يقول: الراكب جدودهم؛ لأنه بمنزلة الفعل المقدم، كقولك: والذين ركب جدودهم، كما تقول: مررت بزيد القائم إخوته، ولكنه جاء به على قولهم: أكلوني البراغيث، فلما كان يقال^(٤) على تلك اللغة: والذين ركبوا جدودهم، على أن تكون الواو علماً^(٥)؛ لأن الفاعل مجموع بعد الفعل -كما

(١) لأن الكاف هنا مصدرية، كما يدل عليه كلامه التالي.

(٢) في الأصل (جلودها)، ومعلوم أن التقدير في (الكاف) لا في الجلود.

(٣) يقال: أُمَات لما لا يعقل، وأُمَاهَات للعقلاء، ويجوز أن يتبادلا. الفسر ٦٧١/١.

(٤) في الأصل (يقول).

(٥) أي: علامة للجمع.

لحق تاء التأنيث في قولك: ضربتُ هندٌ؛ لأن الفاعل مؤنث - كذلك^(١) يجمع اسم الفاعل؛ لأنه يتبع الفعل في ذلك، ألا تراك تقول: مررت بالضاريين، إذا قلت: الذين ضربوا؟
فلو قلت - مع رفع جدودهم بالراكبين -: الراكبين [هم] لم يجز؛ لأنه ليس فيه ضمير فتوَّكده.

وقد ذكر صاحب الكتاب: مررتُ برجلٍ حَسَنَيْنِ أبواه^(٢)، على أن يكون (أبواه) فاعل (حَسَنَيْنِ)، والتثنية لأجل أن الفاعل مثنى، لا أن فيه ضميراً كما يكون إذا قلت: مررت برجلين حَسَنَيْنِ، بل يكون كقولك: مررت برجلٍ حَسَنٍ^(٣) أبواه، / في التعرّي من الضمير وارتفاع الظاهر به.

ب/118

ولا يجب أن تجعل للراكبين ضميراً للممدوحين^(٤)، ويكون "جدودهم" بدلاً من الضمير؛ لأن الجدود ليسوا أولئك ولا جزءاً منهم، وإنما يكون هذا النحو على بدل الغلط، كقولك: مررت بزيدٍ أبيه، ومررت برجلٍ حمارٍ، وذلك لا يحمل عليه مع وجود المندوحة عنه، ونحو: أكلوني البراغيث، صالحُ التصرف في أشعارهم، وقد حُمِلَ عليه في التنزيل: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾^(٥)، فجعلوا كثيراً مرفوعاً بصمّوا، وجعلوا الواو فيه بمنزلة في أكلوني^(٦)، وإن كان الاختيار عندنا ألا يحمل عليه في التنزيل؛ لأنه ليس بذلك العالي، فكثيرٌ مرفوعٌ بفعل مضمر كأنه: قد عَمِيَ كثيرٌ منهم. وكيف تصرف الأمر فهو [أحسن من] بدل الغلط: أكثر قياساً واستعمالاً.

(١) هذا جواب قوله: (فلما كان يقال).

(٢) الكتاب ٤١/٢.

(٣) في الأصل (حسين).

(٤) في الأصل (الممدوح).

(٥) سورة المائدة: ٧١.

(٦) ذكرت هذا الوجه الكتبُ المعربة للقرآن. وقد ضَعَفَه ابن الأنباري وأبو حيان بأنه على اللغة الضعيفة، كما ذكر الشارح. انظر: البيان ٣٠٢/١، والبحر المحيط ٥٤٣/٣. وذكروا في الآية أوجهها أخرى. أما الوجه الذي ذكره الشارح، فلم أقف عليه عند غيره.

(١٥) فَكَأَنَّهُا تُتَجَّتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
"تحتهم" يجب أن يكون متعلقاً بنفس "قياماً" فكأنه: نتجت وهي قائمة تحتهم،
وولِدُوا هم معها وعلى صهواتها.

(١٦) إِنَّ الْكِرَامَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلَا سُيُودَاوَاتِهَا
يقول: هم الأعيان والمقدمون في الكرم، والكرام إذا لم يكونوا مع جماعة من هذه
القبيلة كالقلوب التي لا يصاحبها الحيات^(١).

(١٧) تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
هي تغلب الناس على تحصيل العلى، والمجد يغلبها على الشهوات، من حيث إنها
إذا اشتتهت شيئاً لا يناسب المجد صرفها عنه.

(١٨) سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى يَيْدِي^(٢) أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا
المنابت بمنزلة الأصول.

يقول: سُقِيَتْ أصول هذه القبيلة -التي سَقَّتِ الخلق كلهم- بخير نباتها،
وهو أبو أيوب^(٣).

وجعله من نبات المنابت، من حيث إنه من القبيلة.

وجوّد وأغرب، حيث جعل النبات ساقياً للمنابت، قلباً للعادة، والتحقيق يعود
إلى [أن] هذه القبيلة من الشرف، بحيث يشرف بها العالم، ثم إن الممدوح -المنابت-

(١) حبات القلوب هي سويداواتها.

(٢) ويروى (بَنَدَى) التبيان ٢٣٠/١، وشرح الكندي ٢٩٧، وشرح المشكل لابن سيده ١٣٨.

(٣) وعلى هذا، يكون البيت خبراً لادعاء. وجعله ابن جني من باب الدعاء، وتابعه كثير من الشراح
بعده. الفسر ٦٧٥/١.

على أُخْرِيَاتِهِمْ^(١) - زادهم شرفاً وسقا هم ماء المكارم التي لم تكن لأحد! فهو بيتٌ قويُّ الصنعة.

(١٩) لَيْسَ التَّعْجَبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا!

يقول: من عادته الانفصال من المال، كما قال^(٢):

وَكَلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مَلِكِهِ افترقا من قبلِ يَصْطَحِبَا

والتعجبُ من فيض عطاياه سهلٌ بجانب التعجب من بقاء ذلك إلى ذا الوقت^(٣).
والهاء في "أوقاتها" يعود إلى المواهب.

(٢٠) عَجَبًا لَهُ حِفْظُ الْعِنَانِ^(٤) بِأَنْمُلٍ مَا حَفِظُهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا!

"عجباً" مصدر فعل محذوف، كأنه قال: أعجب له عجباً.

و"حفظ" يجوز أن يكون حالاً من الضمير في "له"، على تقدير قد، كأنه: أعجب له حافظاً العنان بأنمل ليس من شيمها حفظ الأشياء.

فإن قلت^(٥): فإنه يقصد أن ينفي الحفظ عنها، ثم نسبه لها وأضافه /إليها، فقال:
"ما حفظها الأشياء من عاداتها"، فكان يجب أن تقول: ما حفظ الأشياء من عاداتها، كما تقول: ما جمعُ المال من عادة زيد!

أ/119

(١) في الأصل (انحرافهم)، لعله تحريف لما أثبت.

(٢) أي: المتنبي نفسه، وقد مر في صفحة: ٤٢٣.

(٣) أي: وقت البذل والعطاء.

(٤) ويروى: (حِفْظُ الْعِنَانِ). التبيان ٢٣١/١، والنظام ق/٤٧٢.

(٥) هذا المأخذ والجواب عليه مما تفرد به الشارح.

فالجواب: أن هذا الذي ذكرته إنما يلزم إذا قصد الماضي، نحو: ما أن حفظت^(١) الأشياء من عاداتها؛ لأنه حينئذ يُثبت لها الحفظ للأشياء، وهو لا يجعله -هنا- بمنزلة الماضي، ولكن هو على المستقبل، فكأنه: ما أن تحفظ الأشياء من عاداتها، فلا يكون الحفظ مقرراً لها، ولكن يكون المعنى: لا تظن أن أنمله تحفظ الأشياء، فليس أن تحفظها من عاداتها، وليس أن تكون حافظة لها من عاداتها.

فكما جاز أن تقول: ما أن تحفظ الأشياء، فتجعل ضميراً الأنمل فاعلاً -ولا يجب أن تقول: ما أن تحفظ الأشياء، على رفع الأشياء ببناء الفعل للمفعول، كذلك لا يجب أن تقول: ما حفظ الأشياء من عاداتها-^(٢) يجوز أن تقول: ما حفظها الأشياء. فاعرفه.

(٢١) لَوْمَرِيْرُكُضْ فِي سَطُوْرِ كِتَابِهِ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيْمَاتِهَا

وصف بالحدق في الفروسية، وأن طاعة الفرس له بحيث لو كلفه إحصاء الحروف من السطور بالحافر أمكن. وحسن الاتفاق في الميم؛ لأجل أنه يشاكل الحافر في التدوير.

وقيل^(٣): إن في اختصاصه المهر فائدة، وذلك أن الأغلب على المهار أن تكون سيئة المطاوعة، وريضة^(٤)، فإذا بلغ من حدقه في الفروسية أن يصرف الرّيض على مراده، حتى يبلغ به هذه الدقائق من الجري، فما الظن به مع المُرْتَاض المطاوع؟!

(٢٢) يَضَعُ السَّنَانُ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلًا^(٥) حَتَّى مِنَ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا

(١) في الأصل (حفظ).

(٢) السياق: (فكما جاز... يجوز).

(٣) انظر: الفتح الوهبي: ٤٦، ومعجز أحمد ٣١٣/٢.

(٤) قال الجوهري: "ناقة ريض: أول ما ريضت، وهي صعبة بعد" الصحاح (روض).

(٥) ويروى (محاولاً) من المحاولة، شرح الواحدي ٢٨١، والتبيان ٢٣١/١. وقد وردت في الأصل كذلك، وهو تصحيف بدلالة كلام الشارح.

"مجاولاً": من الجولان.

يقول: إنه في حال الجولة يصيب بالسنان أي موضع أراد من الخيول والفرسان، حتى لو قصد خُرَّت الأذن لوضع فيه السنان، وإذا كان يبلغ من فروسيته وتمهُّره في الطعن أن يصيب بالسنان هذه المواضع اللطيفة في حال الجولان، فكيف الظن به في غير تلك الحال؟!

"و في آخراتها" يجب أن يكون معطوفاً على الجار من قوله: "بحيث شاء"؛ أي^(١): في أي موضع شاء.

والأكثر أن تقول: حتى من الآذان في الأخرات، وحتى في أخرات الآذان، إلا أنه لما تقدّم ذكر الآذان في قوله: "حتى من الآذان" ثم ذكر الأخرات، صار إضافتها إليها تأكيداً وتوضيحاً، ومثله^(٢):

أشبهن من بقرِ الخُلصاءِ أعيْنَهَا وهنَّ أحسنُ من صيرانِها صُوراً^(٣)

الظاهر أن يقول: أشبهن أعيْن بقرِ الخُلصاءِ، ثم لما تقدّم ذكر البقر فقال: "أشبهن من بقرِ الخُلصاءِ" قال: "أعيْنها" فأضاف الأعيْن للذي^(٤) الأعيْن منه، مرّة أخرى، تأكيداً وتكريراً. ونحوذا كثيراً في الكلام.

(٢٣) تَكْبُو وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ قَرَحْ لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَتِهَا

(١) في الأصل (له)، لعل صوابه ما أثبت.

(٢) لذي الرمة، ديوانه ١١٥١/٢، وروايته فيه:

أشبهنه النظرة الأولى وبهجته وهن أحسن منه بعد ما صورا

وأشار محققه إلى رواية الشارح.

(٣) الخُلصاء: موضع بالدھناء، والصيران: جمع صوار، وهو القطيع من بقر الوحش. اللسان (صور).

(٤) في الأصل (فاضف بين الذي ...) .

"قَرَح" جمع قارح^(١)، كشاهد وشُهد.

يقول: إن الخيل تعثر عثراً يدلّ على أنها في نهاية الضعف وتنافر القوّة والمُسكة، حتى كأنّ قوائمه ليست منها.

(٢٤) رِعْدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ^(٢) فِي قَنَوَاتِهَا

"منك" يتعلق بنفس "رعد"، كما تقول: إرعدُ الفوارس منك، فتعلّقه بالمصدر،
119/ب كما تعلّق بالفعل /إذا قلت: ارتعدَ الفوارسُ منك.

والمعنى: رِعْدُ الْفَوَارِسِ تدبُّ في الأفراس، فالخيل ترتعد لارتعاد أصحابها. وجعل الرعدة أسرى في الخيل من الهزّة في الرمح.

والضمير في "قنواتها" يجب أن يعود إلى الفوارس؛ لأنهم أولى بها من الأفراس، وإن كان كلُّ مشاركٍ لصاحبه في حملها، لكنّ الفوارس بالسلاح أخصّ من الفرس^(٣).

(٢٥) لَا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ، إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى^(٤) نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ: هَاتِهَا

يقول: إنك بحيث لو طلب منك الروحُ لم تبخل بها، [كما] تقدّم من نحو قوله^(٥):

ولو لم يكن في كفّه غيرُ روحه لجاد بها، فليتيق الله سائله

فلا خَلْقَ يفوتك في السماحة إلا مَنْ يعرف سجيّتك، ثم لا يقول لك: أعطني نفسك؛ من حيث إنه يسمحُ عليك بشيءٍ قد استقرّ له !.

(١) والقارح من الخيل: هو ما أتت عليه خمس سنين.

(٢) العسلان: اضطراب الرمح وهتزازه.

(٣) لو قال: (الأفراس)، ليقابل جمعاً بجمع، لكان أحسن.

(٤) راء بمعنى رأى، على القلب المكاني.

(٥) هو أبو تمام، أو غيره، على ما مر في صفحة: ١٣٠.

وفي جعله غيره أسمع منه مدحٌ لطيفٌ هنا: وذاك أنه يعدّ نفسه أشرف شيءٍ في دار الدنيا، فإذا سمح بها قادرٌ عليها كان قد سمح بما لا نظير له! ويُحسب فضلُ العطية على غيرها بفضل المعطي على غيره.

فإن قلت: أليس الممدوحُ يسمح بهذه النفس كما يسمحُ ذلك الآخرُ؟ فكيف جعل الذي^(١) لم يسلّ نفسه أسمع من الممدوح؟!

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه لم يقل: إن الممدوح قد سمح بنفسه، وأخرجها إلى يد غيره، كما فعل ذلك بسائر العطايا، وإنما يقول: لو سئلتُ منه نفسه لم يمتنع، ويجعل ترك السؤال سماحةً، وتلك سماحةٌ لم توجد من الممدوح، فيجوز أن يجعل صاحب هذه أسمع منه بجوده بما لم يكن يسأل الممدوح فيجود به، ولا يكون منه تقصيرٌ، بل يكون فيه تعظيمٌ، كما قالوا: لو طلبتُ مثلك عجزتُ، فلا يكون ذكر العجز ذمًا، بل يكون مدحًا ووصفًا بأعظم قدرة.

والوجه الثاني: أنه لو جعل نفس الممدوح بمنزلة [ما] تناوله يدُ البذل، وخرج إلى يد غيره، كان من يعيدها إليه محكومًا له بالفضل على الممدوح في السماحة، من جهة أن الممدوح لا يستعظم نفسه، ولا يعرف من شرفها حسب ما يعرفه غيره؛ إذ من حكم العاقل أن يستقصر^(٢) نفسه في جميع أحواله، وأن لا يُعجب بها، وأن يُنكر تعظيم الناس له.

فهو تفضيلٌ للممدوح أبرزه في معرض التفضيل عليه!

(٢٦) غَلَبَتْ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بَأْيَةً تَرْتِيلُكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا

(١) في الأصل (جعل ذلك الذي ...)، وضرب على ذلك.

(٢) كأنه يريد (يستصغر).

المعنى: أنك إذا قرأت آيةً واحدةً صيَّرها ترتيلك ولطفُ لفظك آياتٍ، وإذا كان كذلك، كان عدُّها واحدةً خطأً وغلطاً^(١)!

وقال: "حسب العشور بآية" كما تقول: كُلتُ جريباً بالقفيز^(٢)، وذلك أن الآية هي الأصل الذي يُبنى عليه العددُ في التلاوة، كما أن القفيزَ أو ما أشبهه كذلك، فإذا حصلَ من الذي يُسمَّى آيةً عشرةٌ كان عَقْداً، كما أنه إذا حصلَ من المقدار الذي يُعدُّ قفيزاً عشرةٌ كان جريباً. فهو يقول: لم يصب الذي حسب العشورَ [بآية] هذه صفتها؛ لأنها بمنزلة آيات، فهو بمنزلة من يعدُّ العشورَ بآيات كثيرة، فجعل كلَّ مئةٍ -مثلاً- واحدةً، كما تقول: غلط الذي عدَّ الجربانَ بقفيز هو قُفْزانُ / في الحقيقة.

120/أ

وبعد، فالمعنى يتشعب إلى وجهين:

أحدهما: أن يريد أن الحاسب إذا عدَّ الآيات في حال قراءتك، كان عادياً^(٣) عن الصواب، فإنَّ صوتك يزيد فيها.

والثاني: أن يقول: لما قرأت القرآن، وسمع فيه لفظك، صار كلُّ آية آياتٍ، والذي يحسب غايتُ، سواء كان في حال قراءتك أو لم يكن! فيكون هذا أبلغ؛ لأنه يجعل فعل^(٤) تلاوته باقياً مع الآي في كل حال.

وقال: "ترتيلك السورات من آياتها"، بمعنى: من آيات الآية^(٥)؛ لأجل أنه إذا رتل السورة فقد رتل الآية.

(١) وهذا من الغلو الممقوت بلا شك.

(٢) الجريب: مكيال قدر أربعة أقدرة، أو مساحة من الأرض تعادل عشرة أقدرة، والقفيز يعادل اثني عشر صاعاً.

(٣) من عدا الشيء يعدوه، إذا تجاوزه.

(٤) في الأصل (فعللاً)، وأثبت ما يتصل به السياق.

(٥) يُفهم من عبارات الشراح الآخرين أن الضمير في (آياتها) عائد إلى (السورات). وقد نصَّ على ذلك

صاحب معجز أحمد، فقال: "والهاء في (آياتها) للسور أو للعشور" ٣١٦/٢.

فإن قلت: فكيف لم تقل: إن الكلام قد انتهى عند قوله: "حسب العشور بآية"، ثم ابتداءً فقال: "ترتيلك السورات من آياتها"، بمعنى: من آيات السورات، حتى كأنه قال: فترتيلك السورات من آياتها، فلا تكون الجملة في موضع جرٍّ [على] أنها صفةُ آية؟

فالجواب: أن هذا جائز، غير أن الأول الوجه، لأمرين:

أحدهما: أنك [إذا] وصفت آيةً بقولك: "ترتيلك السورات"، كان أطراف الكلام أحسنَ التأمناً، وأسلمَ نظاماً.

والثاني: أنه إذا عاد الضمير في "آياتها" إلى آية، كان جعل قراءته لكل آية زائدةً فيها آياتٍ. وأن يزيدَ حسنُ تلاوته في كل آية آياتٍ، أبلغُ من [أن] يزيد في كل سورة آياتٍ!.

فإن قلت: إنك إذا قلت: بآية ترتيلك من آياتها، لم يكن بالواضح، وكان الوجه: ترتيلك آياتها؛ لأنه إذا قال: من آياتها (بمنزلة: بعض آياتها)، كان قد أثبت للآية آياتٍ ما عدا الترتيل، وذلك ما لا وجهَ له؛ إذ الآية لا تكون آيات، وإنما يحسن هذا في السورات؛ لأنها آياتٌ، فيجوز أن يقول: إن الترتيل يزيد في آياتها، وهو بعض منها، ويكون المعنى أن الترتيل إذا كان زائداً فيها، ثم عُدَّتْ على العادة، كان غلطاً.

فالجواب: أن هذا الذي ذكرته يؤنس بهذا الوجه قليلاً، لكنه لا يردُّ الأول؛ لأنه يجعل الترتيلَ آيةً، والصوتُ ^(١) آيةً، وحفظه لها آيةً، فيحصل للآية آيات، ألا ترى أن الترتيل أحد أوصاف القراءة؟ فيجوز أن يكون كل وصف من أوصاف قراءته آية.

ومن أخذ في الشعر بهذه الحقائق وجب أن يطلب شعراً لأبي الهذيل والنظام ^(٢)! وإذا راجعت حسك عرفت نظمَ الكلام إنما يكمل إذا لم يكن قوله: "ترتيلك السورات" مقطوعاً.

(١) في الأصل (والصورة).

(٢) أبو الهذيل العلاف، وأبو إسحاق النظام: كلاهما من أئمة المعتزلة والمتكلمين.

(٢٧) كَرُمُ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَاثِلاً وَيَبِينُ عَتَقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا

يعني أن صوتك دلّ على الكرم، كما يدلّ صوتُ الخيل على شرفِ عرقها، وعلى ذا ما أنشدته شيخنا رحمه الله^(١):

وَيَصْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطَّيْوِيِّ^(٢) صَهِيلاً يَبِينُ لِلْمُعَرِّبِ

المعرب: صاحب الخيل العراب، والمعنى: أنه يسهل صهيلاً يستدلّ به العارف بأعراق الخيل على كرمه.

(٢٨) أَمَيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نَلْتَهُ لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ مِنْ^(٣) هَالَاتِهَا

الهالة: الدائرة حول القمر والشمس. والمعنى: أن زوالك عن مرتبتك في الامتناع كزوال الأقمار عن مواقعها. وقد تمّ الكلام عند قوله: "عن محلّ نلته" ثم ابتداءً يوضح ذلك، فقال: "لا تخرج".

(٢٩) / لَا تَعْذُلِ^(٤) الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ، شَائِقُ أَنْتَ الرَّجَالُ، وَشَائِقُ عَلَاتِهَا!

120/ب

الكلام قد تمّ عند قوله: "المرض الذي بك"، ثم ابتداءً فقال: "شائق أنت الرجال وشائق علّاتها"، أي: المرض إنما أتاك شوقاً إليك، فكما أن الرجال إذا قصدوك شوقاً إليك، لم يستحقّوا ملاماً في طلبهم ما فيه الشفاء من برّح الاشتياق، كذلك المرض إذا زارك كان بمعزل عن العذل.

(١) للناطقة الجعدي، ديوانه: ٢٣.

(٢) الطوي: البئر المطوية بالحجارة. أراد أن يشبه جوفه بجوف البئر في سعته وعمقه.

(٣) في شرح الواحدي ٢٨٢، والنظام ق/٤٧٦: (عن).

(٤) ويروى (لا تعذل)، شرح الواحدي ٢٨٢، والتبيان ٢٣٣/١.

"فأنت" مبتدأ، و"شائق" خبر مقدم.

(٣٠) فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقَتْهَا^(١) فَأَصْفَتْ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتَهَا

يقول: إن الرجال إذا قصدت أن تسافر إليك، سبقت الرجال فأصفت أحوالها قبل إضافتها، لاجتماع كل واحد من الرجال والأحوال في الجري على طاعة الشوق إليك. وإذا قصدت إضافة الأحوال لم يمكنك إلا أن تحلها في بدنك؛ لأن الأبدان محلها دون الأماكن.

و"مضافها" مصدر بمنزلة قولك: قبل إضافتها، كالمُصاب بمعنى الإصابة فيما تقدم من قوله^(٢):

إِنْ مُصَابَكُمْ رَجُلًا

ومثال المفعول مصدر في جميع ما زاد على الثلاثة.

وينبغي أن تعلم أن في هذا البيت الثاني لطفًا عجيبًا، وذلك أنه لو اقتصر على الأول، فقال: "شائق أنت الرجال وشائق علاتها"، جاز أن يقال: إن العلة تشتاق إليك، فتنزّل بك على كره؛ لتقتضي حق التشوق، كما تقول: إن فلانًا يستطيب من نفسك كذا وكذا، فيسلبه منك، فيكون فيه تقصير به، وتقدير للقصور^(٣) والعجز عن رد ما يكره! ولكنه تلافى فقال: إنك تشوق العلات، فإذا قصدتك كما يقصد أصحابها تكلفت لها تحمل الأذى، وأنزلتها في بدنك؛ لأن عادتك ألا ترد عنك^(٤) ما يأتيك شوقًا إليك، ويتشمر يطلب الضيافة منك، لا أنك لا تقدر على ردها. كما أنه يسمح بنفسه لطالبها، كراهية لرد السؤال.

(١) ويرى (سبقنها) بالنون، أي: سبقت العلات الرجال إليك.

ورجح ابن فورجة هذه الرواية، وذكر أن رواية التاء لا تخلو من تمحل ويُعد. الفتح على أبي الفتح ٩٥،

٩٦، وانظر: شرح الواحدي ٢٨٢، ومعجز أحمد ٣١٧/٢، والتبيان ٢٣٤/١.

(٢) انظر صفحة: ٥٨٦.

(٣) في الأصل (المقصود).

(٤) في الأصل (على).

(٣١) وَمَنَازِلُ الْحَمَى الْجَسُومُ فَقُلْ لَنَا: مَا عَذُرَهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا؟!

(٣٢) أَعْجَبْتُهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لَتَأْمُلِ الْأَعْضَاءُ، لَا لِذَاتِهَا

وهذا مثل الأول في أنه ذكر ما يعتري إلى عرق العجز^(١)، ثم تلافاه، قال: "ما عذرها في تركها خيراتها"، فدل ظاهره على أن الحمى تلم به ولم يزد، ثم ذكر أن القصد: ما عذرها [في ترك] خيراتها مع قدرتها عليها، من جهة تمكين الممدوح لها؛ قضاء لحق خدمتها وشوقها.

وقال: "أعجبته شرفاً فطال وقوفها" فأخبر أنها لا تقصد إيذاءك بحال؛ إذ لا تقدر عليه، وإنما وقوفها لشرفك ومحبتها لأعضائك، مع إذنك لها، وإحلالك إياها ببدنك، وتتم هذا المقصود بقوله:

(٣٣) وَبَذَلْتُ مَا عَشِقْتُهُ نَفْسَكَ كُلَّهُ، حَتَّى بَذَلْتُ لَهُ إِذِهِ صَحَاتِهَا

ألا تراه ذكر لفظ البذل؟ فدل على أنه ينفي تغلب العلة عليه، ويذكر أنه يمكنها من نفسه؛ إذ جاءته^(٢) ضيفاً.

فاعرفه، فإنه في إخراج دُرِّ الفضل والمدح من صَدَفِ التقصير والنقص مثل قوله^(٣):
(وحاشاك فانيا).

ولا يبعد نحو هذا من جذقه وفراسته، ولوقلنا في شيء من / هذا النحو: إنه صدر من غير أن طالب الفكر بكل هذا التدقيق الذي يأتي عليه التفسير لم يبعد؛ فإن الطبع إذا صفا، وطاب ممارسة للشيء، واستولى على الغاية في جذقه ظهر منه المحمود المحتسب؛

121/أ

(١) في الأصل: (ما يعتري العرق العجز)، وكتب فوقه بخط دقيق (إلى عرق)، وهو أولى.

واعترى إلى الشيء: ادعاه وانتسب إليه. القاموس (عزا).

(٢) في الأصل (لاجابة)، لعل صوابه ما أثبت.

(٣) من بيته الشهير، سبق ذكره، انظر: ٧٩، ١٣٠.

من غير أن يحسَّ به . وقد يُرى الحاذق يتَّفَق له الأسجاعُ، والتجنيسُ، وغير ذلك من الكلام، وهو لا يحسَّ بها، حتى لو لم يُعَدِ النظر إليها أو لم يُنبَّه عليها لم يعرفها! وكذا يخرج من فيه الموزون وهو لا يقصدُ الشعرَ.

فكل ذلك لشيءٍ كامنٍ في الطَّبَاع كُمُون النار في الحجر، [فمنه] ما بَرَزَ بَدَحٍ، ومنه ما يأتي غفلةً من غير طلبٍ وكُلفةٍ.

(٣٤) حَقُّ الْكَوَكِبِ أَنْ تَعُودَكَ ^(١) مِنْ عَلُوٍّ ^(٢) وَتَعُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا

(٣٥) وَالْجِنُّ مِنْ سِتْرَاتِهَا، وَالْوَحْشُ مِنْ فَلَوَاتِهَا، وَالطَّيْرُ مِنْ وَكْنَاتِهَا

لا يجوز حملُه على ظاهره؛ لأنك لو فعلت صار بمنزلة: حَقُّ الْكَوَكِبِ أَنْ تَعُودَكَ هي وَالْأَسَادُ وَالْجِنُّ وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ، ومعلوم أن عيادة غير الكواكب ليس من حقِّها؛ إذ ليس المعنى أن هذه الأشياءُ أشياعٌ للكواكب، فمن حقِّها أن تعودَكَ معها، وتحملها على قضاء حَقِّ خدمتك، كما تقول: من حَقِّ زيدٍ أن يأتيك ويأتيك غلامُه، بمعنى: أنه يجب عليه [حملُ] الغلام على الإتيان. وإذا كان الأمر على هذا، علمت أن الكلام لا يجب حملُه على ظاهره، والتقدير فيه على وجهين:

أحدهما: أن يكون أراد أن يقول -بعد قوله: "من علو"-: وحَقُّ الْأَسَادِ وَالْجِنِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ أَنْ يَعْدَنَكَ ^(٣) من أماكنها، ثم إنه أضمر ذلك ^(٤)، ووضع الظاهر موضع المضمَر ^(٥)، ليبدل على المقصود، حتى كأن الأصل: حَقُّ الْكَوَكِبِ أَنْ تَعُودَكَ وَحَقُّ الْأَسَادِ وَالْجِنِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ أَنْ تَعُودَ الْأَسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا، وَالْجِنُّ مِنْ سِتْرَاتِهَا، وَالْوَحْشُ مِنْ فَلَوَاتِهَا، وَالطَّيْرُ مِنْ وَكْنَاتِهَا. إلا أنه ترك ذكرَ الأول اكتفاءً بهذا الثاني، كما قالوا: ضربتُ

(١) ويروي (تزورك) شرح الواحدي ٢٨٣، ومعجز أحمد ٣١٨/٢.

(٢) ويروي (من علٍ)، كما في النظام ق/٤٤٧، والتبيان ١/٢٣٤.

(٣) في الأصل (تفديك).

(٤) أي: (حق) الثانية.

(٥) فقال بدل النون في (يعدنك): تعودك الأساد من غاباتِها، والجن، كما سيأتي.

وضربني عبدُ الله، على معنى: ضربت عبدَ الله وضربني عبدُ الله. فلو أظهر الأول لكان الوجه الإضمار نحو أن تقول: وحق الآساد والجن والوحش والطير أن تعودك أو يُعَدَّنكَ من أماكنها، كما أنه لو قيل: ضربت عبدَ الله، كان الوجه أن تقول: وضربني، ولا تكرر فتقول: وضربني عبدُ الله، وإنما لزم الإظهار لأنك أضمرت في الأول، واحتجت إلى ما يدلُّ عليه؛ إذ [لو] قلت: ضربتُ وضربني، كنت أضمرت في ضربني ما لم تذكره. ونحو ذا كثير في كلامهم.

والوجه الثاني: أن يكون المعنى: حقُّ الكواكب أن تعودك من علو، وأن تعودك الآساد والجن والوحش والطير حقَّهنَّ، فيكون (أن تعودك) مبتدأ، و(حقَّهنَّ) خبره، كما تقول: أن يأتيك زيدٌ وعمروٌ وبكرٌ حقَّهم والواجبُ عليهم.

والنكتة أنه ينبغي أن يكون "تعودك" - في الوجهين - غير معطوفٍ على "تعودك" الأول، فيكون نصبه بإضمار (أن)؛ لأنك إذا عطفته على فعل الكواكب، كان داخلاً تحت قوله: "حقُّ الكواكب" وإلا / لم يكن للآساد وما بعدها من الجن والوحش والطير حظُّ في قوله: "حقُّ الكواكب"، أي: تعودك هي، و[تعودك] الآساد. ألا ترى أنك إذا قلت: حقُّ زيدٍ أن يخرج وأن يخرج عمرو، جازاً ألا يكون من حق زيدٍ خروج عمرو؟ وحتى كأن تقديركَ: حق زيدٍ أن يخرج، وحقُّ عمرو أن يخرج عمرو، أو أن يخرج عمرو حقَّه، على الوجهين.

121/ب

"فتعودك" منصوب بإضمار أن أخرى، كقوله^(١):

أَلَا أَيُّهَا اللَّائِي أَحْضَرَ الْوَعَى.

وعادة المتنبي أنفاً عملُ (أن) مع الحذف، ألا ترى إلى قوله^(٢):

مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا؟

(١) لطرفة، وقد مضى في صفحة: ٢٢٧، ٣٠١.

(٢) انظر صفحة: ٣٢٠.

(٣٦) ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْيَاتِهَا^(١)

لم يقل: فكانوا، وجاز لأمرين:

أحدهما: أن يكون التقدير: فكان ذاك قصيدة، أو كان المذكور قصيدة.

والثاني: أن يكون الفاعل ضمير المصدر، على قولهم: "مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ" فكأنه قال: فكان ذكرهم قصيدة. فيجعل ذكرهم القصيدة على الاتساع؛ لأن ذكرهم يدل عليهم، فيجري مجرى قولك: فكانوا قصيدة. كما أن الفتق لما كان سبب الفوح جرى قوله^(٢): (كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ) مجرى قولك: كَفَّوْحَ الْكَافُورِ. ونحو ذا أكثر من أن يُحصى.

(٣٧) فِي النَّاسِ أَمْثَلَةٌ^(٣) تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَمَاتِهَا، وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا!

يعني: أن في الناس مَنْ لا خير فيه.

وقوله: "حياتها كمماتها" جملة هي صفة ثانية "لأمثلة"، فكأنه قال: أمثلة دائرة مستوية الحياة والممات. ويجوز أن يكون "حياتها كمماتها" حالاً من الضمير في "تدور" حتى كأنه: تدور مستوية الموت والحياة، [ب]الانصب، يدلّك على صحته أنك تقول: تدور وحياتها كمماتها.

وقوله: "ومماتها كحياتها" من التكرير الذي جرى به العادة في قولك: زيد كعمرو وعمرو كزيد، وذلك يقصد به المبالغة في التقاء حواشي التشبيه. ألا ترى أنه يجوز أن تقول: زيد كعمرو، بمعنى: أنه يشابهه في أخلاقه، فإذا قلت: زيد كعمرو وعمرو كزيد، أفاد التكرير زيادةً صالحةً.

(١) قال ابن جني: "وهذا البيت -أيضاً- البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة" ١٤٩/٢.

(٢) هو الراعي، كما مرّ في صفحة: ٨٨٠ والبيت بتمامه:

لَهَا فَاةٌ ذَفَرَاءُ كُلِّ عَشِيَةٍ كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ بِالْمَسْكِ فَاتَقَهُ.

(٣) أمثلة، أي: أشباه الناس، وليسوا ناساً. الفسر ١٤٩/٢.

(٣٨) هَبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا
(٣٩) فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ مَلِكٌ^(١) الْبَرِيَّةَ لَأَسْتَقِلَّ هِبَاتِهَا

هبات: مصدرٌ مجموع، كالمسرات، وليس بالموهوب. ألا ترى أنك لو قلت: لاستقلَّ عطياتها، لم يكن بشيء؟! إذ لا فائدة في أن تقول: إنه يستقلُّ ما سمح به البرية إذا ملك البرية! وإنما المعنى: أنه يستقل لها هباتها.

ولا يجب أن يكون "هباتها"، بمعنى: الهبات منها، كقوله: يستحقُّ المواهب من الدنيا؛ لأنه يعود إلى قولك: لاستقلَّ ما كان موهوباً منها، فيعود الحال إلى العبد وما أشبهه، وهو يقصد الجميع: الحرَّ والعبد.

(٤٠) مُسْتَرَحْصٌ نَظَرُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ نَظَرْتُ، وَعَثَرْتُ^(٢) رِجْلَهُ بِدَيَاتِهَا!

قوله: "بما به نظرت" كناية عن الأعين، فكأنه يقول: إن البرية لو اشترت النظر إليه بأعينها - حتى كأنها تبذلها لتحصل لها منه نظرة واحدة - لكان رخيصاً.

و"نظر إليه" مبتدأ، و"مسترخص" / خبر مقدَّم؛ لأمرين: 122/أ

أحدهما: أن معنى الإخبار والفعل يبيِّن في "مسترخص"؛ إذ هو اسمٌ مفعولٍ نكرة.

والثاني: أن قوله: "نظر إليه" أخصَّ من قولك: "مسترخص"، وذلك لا يبلغ في الخصوص مبلغَ قوله: "نظر إليه"، فليس إلا أن يكون خبراً مقدَّماً.

وقوله: "بما به متعلق" بمسترخص"، كما تقول: ضاربٌ عمرٌو زيداً، تريد: عمرٌو ضاربٌ زيداً، وذاك جائز في المنصوب الصحيح، فكيف في الجار؟؛ لأنَّ عمراً، وإن كان فصلاً بين ضاربٍ ومعموله، فإنه ليس بأجنبي، من حيث إنه مبتدأ ضاربٍ.

(١) ويروى (وهب) أشار إليها الواحدي ٢٨٣، وابن المستوفي في النظام ق/ ٤٧٩.

(٢) ويروى: (وعثرت رجله)، أي: غبارها. شرح الواحدي ٢٨٣، والتبيان ١/ ٢٣٦.

"و" عشرة رجله "مبتدأ ثانٍ، وخبره محذوف، فكأنه قال: وعشرة رجله مسترخضةً
بدياتها، كما تقول: زيدٌ مارٌّ بعمرٍ، وخالدٌ ببكرٍ، [أي] وخالدٌ مارٌّ ببكرٍ، كما تقول: زيدٌ
منطلقٌ وعمرٌ، فيترك ذكر خبر المبتدأ الثاني لذكره في الأول، هذا هو الصواب.

(٣٧)

وقال في صباه^(١):(١) أَنْصُرُ بِجُودِكَ أَلْفَاظًا^(٢) تَرَكْتُ بِهَا(٢) فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحِلُ^(٣) وَذَا الْوَدَاعُ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَانصره الألفاظ بالجدود: من حيث إنه يدعوهُ إلى مدحه، ويفتح ينبوع الشعر، كما
تقدم قوله^(٤):

وما الطبع إلا مُسَكَّةٌ مُسْتَكِنَّةٌ وليس لها إلا يدُ الجدود مجدحُ

وقوله: "حتى حان مرتحل وذا الوداع" يجوز أن يكون الوداع صفة "ذا" ويكون "ذا"
معطوفاً على "مرتحل"، فكأنه قال: حتى حان مرتحل وحان ذا الوداع. ويجوز أن يكون
مبتدأً، والوداع خبر، فكأنه قال: حان الرحيل، ثم ابتداءً، فقال: وذا هو الوداع، فافعل^(٥).

(١) يخاطب رجلاً لم تعينه المصادر مدحه، ويستبطئ نواله.

(٢) ويروى (أبياتاً) معجزاً أحمد ١/١٤٧.

(٣) رواية الواحدي (مرتحلي) ٦٠.

(٤) في صفحة: ٢٠١.

(٥) أي: فافعل ما شئت.

(٣٨)

وقال في بدر بن عمار:

(١) فَدْتُكَ الْخَيْلُ وَهِيَ مُسَوَّمَاتٌ وَيَيْضُ الْهَنْدِ وَهِيَ مُجَرَّدَاتٌ

جعل الخيل فداه في حال التَّسْوِيمِ^(١)، والسيوف في حال التجريد؛ لأن ذاك أشرف أحوالها.

(٢) وَصَفْتُكَ فِي قَوَافٍ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتٌ

ظاهر الكلام أن التقدير: وقد بقيت صفاتٌ وإن كثرت القوافي.

[(٣) أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلِ دُهِمٍّ وَفَعْلُكَ فِي فَعَالِهِمْ شَيْئَاتٌ]^(٢).

قوله: "من قبل" متعلق بنفس "أفاعيل"، والخبر قوله: "دهم"، كما تقول: زيد في الدار حسنٌ، فيجري مجرى قولك: ضرب زيدٌ عمراً حسنٌ. وهذا بيت موفور^(٣)!

(١) تسويم الخيل: أن يجعل لها علامات تعرف بها. التبيان ٢٢٤/١.

(٢) ترك النَّاسِخ مكاناً لهذا البيت، ولكنّه سها عنه، فلم يكتبه. والدهمة: السواد المشرب بحمرة.

والشَّيْء: لون مخالف للون الغالب. الواحدي: ٢٤١.

(٣) لعله يقصد: موفور الحظ من جمال الصياغة وخصوصية الخيال.

(٣٩)

وأمره سيف الدولة بإجازة قوله^(١):

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

[فقال]:

(١) لَنَا مَلِكٌ مَا يَطْعَمُ^(٢) النَّوْمَ، هُمُّهُ مَمَاتٌ لِحَيٍّ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ^(٣)(٢) وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْذَى بِشْيٍ جُفُونُهُ^(٤) إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَفَرَّتْ^(٥)

(٣) جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةٍ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سِنْفِي وَدَوْلَتِي

ب/122

/ ما ألطف ما ذهب في الإجازة ، حيث قال : " ويكبر أن تقذى بشيء جفونه " فنفى عنه القذى الذي هو نَعَصُ في الحقيقة ، ثم قال : " إذا ما رآته خلّة بك فرت " فاستعمل لفظ الفرار، وارتقى من مطرح الشراك إلى مطمح السماك^(٦).

غير أن ذا البيت^(٧) على طريقة الاقتصاد^(٨) عجيب العذوبة.

و " بك " صفة " خلّة " كأنه قال : خلّة كائنة بك .

(١) هذا البيت مع أبيات أخرى، مختلف في قائله، فينسب لعبد الله بن الزبير الأسدي (شعره ١٤١)، ولأبي

الأسود الدؤلي (ديوانه ٣٨٨)، ولإبراهيم بن العباس الصولي (ديوانه ضمن الطرائف الأدبية ١٣٠).

(٢) ويروى (لا يطعم) شرح الواحدي ٥٤٣، وحاشية الديوان ٣٦٩.

(٣) قال ابن جني: " همه إحياء أوليائه، وإماتة أعدائه " الفسر ٦٥٢/١.

(٤) في معجز أحمد ٤٠٤/٣ (عيونه).

(٥) في الديوان ٣٦٩ (قرت)، وأشار محققه إلى رواية (فرت) عن ثلاث نسخ من نسخ الديوان. ورواية (قرت) موهنة للمعنى!

(٦) فالمتنبى استدرك على ذلك الشاعر، قوله: (فكانت قذى عينيه)، بقوله: إن ممدوحى لا تقذى عينه بشيء!.

(٧) لعله يقصد البيت المجاز، وكأنه يُعجب بالإجمال في قوله: (من حيث يخفى مكانها).

(٨) أي: الإيجاز وتكثيف المعاني.

والإضافة في قوله: "سيف دولة هاشم" على معنى من، كقوله^(١): سيف دولة غير قيس^(٢)، كأنه: سيف الدولة المنسوب إلى هاشم؛ لما ذكرنا من أن هذا الاسم قد غلب. ثم لما كان معنى الوصفية بالسيف والدولة معتبراً^(٣) في الأصل، أتى بالمعارضة، فقال: "فإن نداه الغمر سيفي ودولتي".

وجعل تاء التأنيث حرف روي، ولم يعتبر ما قبله، أعني أنه لم يلزم التأنيث في "ميت"، وقال: فرت. ولو كان لا يجعل التاء في "فرت" حرف روي لوجب ألا يجيء الياء في "ميت"، ووجب أن يأتي بالراء بدل الياء في "ميت"، أو بالياء بدل الراء^(٤)، وهم يلزمون ما قبل تاء التأنيث، كما لزم كثير اللام في قصيدته التي أولها^(٥):

خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةٍ فَاغْقِلَا قُلُوصَيْكُمَا، أَوْ فَاغْقِلَا^(٦) حَيْثُ خَلَّتْ

فلم يأت بغيره إلا في قوله^(٧):

وَجَنَّ اللُّوَاتِي قُلْنَ: عَزَّةٌ جُنَّتْ.

(١) في الأصل (معنى في قوله) تحريف.

(٢) قطعة من بيت للمتنبي مضى في (ص ٦٩٠).

(٣) في الأصل (معشراً)، تحريف وتصحيف.

(٤) في (فرت).

(٥) ديوانه ٩٥ (إحسان عباس).

(٦) رواية الديوان (ثم ابكيا)، وهي أجود.

(٧) من الأبيات الملحقة بهذه القصيدة (انظر الديوان ١٠٧) وصدره:

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى.

وفي القصيدة أبيات أخرى جاءت بالنون بدل اللام.

وحكى شيخنا - رحمه الله - عن الشيخ أبي علي: أن ذلك لقرب النون من اللام.
وقال آخر^(١) أنشدته الشيخ رحمه الله:

أَطْلَالُ دَارِ بَالْتِيَاعِ فَحَمَّتِ^(٢) سَأَلْتُ، فَلَمَّا اسْتَعْجَمْتُ ثُمَّ صُمْتُ
صَرَفْتُ^(٣)، وَلَمْ تَصْرِفْ أَوَانًا^(٤) وَبَادَرْتُ نِهَالُ^(٥) دُمُوعِ الْعَيْنِ حِينَ تَعَمَّتِ^(٦)

لزم الميم في القصيدة كلها. وحكى شيخنا - رحمه الله - أنهم سألوا كثيراً عنها،
فقال: لا يجوز غير الميم. وقد قرأت عليه - رحمه الله - عن أبي الحسن^(٧):

وَبَاكِئَةً تَبْكِي هُرَيْمًا^(٨) وَلَوْرَاتُ هُرَيْمًا لِدَارَتْ عَيْنُهَا فَاسْمَدَرْتُ^(٩)
يُقَاتِلُ قَبْلَ الْخَيْلِ وَهُوَ أَمَامُهَا وَيَطْعُنُ عَنْ أَدْبَارِهَا إِنْ تَوَلَّتْ

فأتى بالللام مع الرائ، وقالوا: إن ذلك لقرب المخرج.

ولا يتجه هذا في بيت المتنبي؛ لأن الياء في "ميت" بإزاء الرائ في "فرت"، ولو جعلت
الياء مبنياً عليه الشعر والتاء تابعاً لوجب ألا يأتي غيره. ولكن لا خلاف في أن التزام ما

(١) هو كثيراً أيضاً، ديوانه ٣٢٣، إلا أن البيت الثاني لم يرد ضمن هذه القصيدة، ولا الديوان، ومكانه:

عجبت لأن النائمات وقد علت مصيبته قهراً فعمت وأصمت.

والبيتان في القوافي للأخفش ١٨، وصنعة الشعر للسيرافي ٢٨٨، ويفهم من صنيعهما أنهما لكثير،
حيث ذكرا بعد هذين البيتين الحكاية عن كثير أنه لا يجوز غير الميم، كما نقل الشارح.
والبيت الثاني - بلا نسبة - في اللسان (عمى)، حكاية عن الأخفش.

(٢) النباع - ويرى بالباء - وحمت: موضعان بنجد. معجم ما استعجم ٤/٦٩٦، ١٢٩٢.

(٣) أي: صرفت ناقتك، أو وجهك.

(٤) الأوان: الحين.

(٥) النهال: المسرعة في انهلال الدموع.

(٦) في اللسان: (حتى تعمت)، وفيه: تعمى بمعنى عمى.

(٧) البيتان للفرزدق، ديوانه ١٣٢، ١٣٣ (الصاوي) بألفاظ تختلف عما هنا. ورواية الشارح موافقة لرواية

أبي الحسن في كتابه القوافي ١٩، والسيرافي في صنعة الشعر ٢٨٩.

(٨) في الأصل (هزيمًا) خلافاً للمصادر السابقة.

(٩) اسمدرت: تحيرت، وغشي عليها. القاموس (سمدر).

قبل تاء التأنيث هو مما التزموه ولا يلزمهم، وأنه يجوز أن تجعل التاء حرف روي ولا تعباً بما قبله^(١)، وإن كان الأحسن^(٢).

ومثل ذا في التزامهم ما لا يلزم، نحو قول أبي الأسود^(٣) قرأته عن أبي الحسن أيضاً:

حَسِبْتُ كِتَابِي إِذَا تَاكَ تَعَرُّضًا لِسَيِّبِكَ لَمْ يَذْهَبْ رَجَائِي هُنَاكَ

فلزم اللام قبل الكاف، حتى كأنه حرف الروي، والكاف تابع له، وقد قال الشيخ^(٤): إن ذلك لا يلزم، قال: وكأن الذي دعاهم إلى الالتزام قبل الكاف أن الكاف ضمير، وهو حرف مهموس، فقرب من الهاء في نحو (مقامها)^(٥)، فصار كأنه وصل^(٦). والهاء إنما جعل وصلاً لمشابهته حروف اللين في الرخاوة، والكاف بعيد من ذلك.

وذكر أن الصاحب قال له^(٧) في خلال المناظرة: فهل يجوز غير الدال في قول البحري^(٨):

يَا ابْنَ خَمْدُونِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَالْجَوْدُ عَقِيدُكَ^(٩)
وَالْعُلَى مَا شَادَ أَبَا وَكَ قَدَمًا وَجُودُكَ
وَنَجَارُ الْمَجْدِ نَبْعُ شُقِّ مِّنْ فَرْعِيهِ عُودُكَ

(١) في الأصل (ولا تعتها)، لعل صوابه ما أثبت.

(٢) أي: وإن كان الأحسن الالتزام بما قبل التاء.

(٣) ديوانه ٨٢ (محمد حسن آل ياسين).

وقد ذكره الأخفش في القوافي ٢١.

(٤) يقصد به أبا الحسن الأخفش، كما سيأتي.

(٥) كما في قول لبيد ٢ من معلقته:

عَفَّتِ الدِّيارَ محلها فمقامها بمئى تأبد غولها فرجامها.

(٦) الوصل: حرف مد أو هاء بعد حرف الروي. الكافي ١٥١.

(٧) يحتمل أن المناظر للصاحب هنا هو شيخ المؤلف، وأقرب من ذلك أن يكون شيخ شيخه أبا علي الفارسي.

(٨) ديوانه ٦١٧/١، يمدح أبا عبد الله أحمد بن حمدون النديم.

(٩) العقيد: المعاهد المعاهد.

أَيْسَـوَى ^(١) بِـكَ قَـوْمٌ وَمَوَالِيهِمْ عِبِيدُكَ؟

فقلتُ له: لو أتى بغير الدال جازَ هذا.

وهو القياس الصحيح. فإن التَّزِمَ فَحَسَنٌ، وَيَجْمَلُ الْكَلَامُ بِمَشَاكِلَةٍ، وَإِنْ لَمْ يُلْتَزَمْ فَلَا كَبِيرَ ^(٢) عَيْبٍ. عَلَى أَنْ جَعَلَ التَّاءَ رَوِيًّا، وَتَرَكَ الْإِعْتِدَادَ بِمَا قَبْلَهُ، أَحْسَنُ مِنْهُ فِي الْكَافِ؛ لِأَجْلِ [أَنَّ] التَّاءَ حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، وَهُوَ التَّأْنِيثُ، فَلَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ مَعْنًى وَلَفْظًا. بَيَانُهُ: أَنَّ التَّأْنِيثَ لَا يَدُلُّ لَهُ مِنْ مُؤْنِثٍ، وَهُوَ لَا مُحَالَةَ يَجِبُ أَنْ يَلْحَقَ بِشَيْءٍ، فَأَمَّا اللَّفْظُ فَظَاهِرٌ. وَالْكَافُ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ يَدُلُّ عَلَى مَسْمًى لَا يَمْتَرِجُ بِالْفِعْلِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَافَ مِنْ (فِعَالِكَ) لَا يَحْتَاجُ إِلَى (فِعَالٍ) فِي مَعْنَاهُ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي حُكْمِ اللَّفْظِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُلْفِظُ بِهِ إِلَّا مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ. وَيُوضَحُهُ أَنَّكَ تَجِدُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَافُ مِنَ الْمَسْمَى، وَهُوَ قَوْلُكَ: أَنْتَ، فِي حَالِ الرَّفْعِ، وَلَا تَجِدُ اسْمًا مُنْفَصِلًا يَدُلُّ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّاءُ فِي (تَوَلَّيْتُ وَحَلَّتْ). وَإِذَا كَانَ التَّاءُ مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ لَفْظًا وَمَعْنًى، وَلَمْ يَعتَبَرْ فِيهِ الْإِنْفِصَالُ بِوَجْهِهِ، فَكَأَنَّهُ ^(٣) بِمَنْزِلَةِ الدَّالِّ مِنْ (أَسْوَدَ) فِي أَنَّهُ وَإِنْ عَادَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ، فَلَا إِعْتِدَادَ بِمَا قَبْلَهُ، وَهُوَ حَرْفُ الرَّوِيِّ.

هَذَا، وَلَسْتُ أَزْعُمُ أَنَّ مَا قَالَ أَبُو الْحَسَنِ (مَنْ أَنَّ الْكَافَ لَا يَجِبُ إِعْتِبَارُ مَا قَبْلَهُ) غَيْرُ مُقْبُولٍ؛ لِأَجْلِ أَنَّ الْكَافَ وَإِنْ كَانَ فِي الْمَعْنَى دَالًّا عَلَى مَسْمًى، يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ قَبْلَهُ، مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ: كَ - مَثَلًا - فَجَعَلْتَهُ دَالًّا عَلَى الْمَخَاطَبِ، جَازَ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى - وَلَوْ لَفِظْتَ بِالتَّاءِ الَّذِي لِلتَّأْنِيثِ، لَمْ يَجْزُ بِوَجْهِهِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَأْتِي لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْفَاعِلَ مُؤْنِثٌ، فَالْلَفْظُ بِهِ يُؤَدِّي إِلَى [أَنَّ] تَثَبُّتِ تَأْنِيثًا مِنْ غَيْرِ مُؤْنِثٍ - وَذَلِكَ مُحَالٌ، فَإِنَّهُ فِي اللَّفْظِ مِثْلُ التَّاءِ فِي الْإِتِّصَالِ، فَيَجْرِي مَجْرَى الدَّالِّ مِنْ (أَسْوَدَ)، وَلَا يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ ذَهَبٍ وَذَهَبٍ فِي قَافِيَتَيْنِ، فِي كَوْنِهِ اتِّصَالًا؛ لِأَجْلِ أَنَّهُ لَا يَعْدُ عَلَى انْفِرَادِهِ، مِنْ حَيْثُ لَا يَسْتَعْمَلُ وَحْدَهُ، فَكَأَنَّهُ حَرْفٌ صَيِّغٌ مَعَ مَا قَبْلَهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ (اسْتَوَى) تَحْرِيفٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ (وَلَمْ كَثِيرٌ)، لَعَلَّ صَوَابَهُ مَا ذَكَرْتُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ (فَكَانَ).

ويدلّ على صحة ذلك أنهم لَزِمُوهُ من غير أن يجبَ في أصل كلامهم ما يَجِيءُ من نحو قول زهير^(١):

بدالي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكُ مَا مَضَى ولا سَابِقُ شَيْئاً^(٢) إِذَا كَانَ جَائِياً

مع قوله: "بداليا"^(٣)، فالإياء في الموضعين ضميرٌ، وهو حرف الروي، وما قبله غيرُ معتبر، فالإياء ضمير مثل الكاف؛ إلا أن هذا في المتكلم وذلك في المخاطب. ومثلُ ذا قول [عبد] بني الحسحاس^(٤):

فأشهَدُ أَنِّي لو تهَيَّجُ صَبَابَةً على إلتفَاقِي لِأَتَفَقَّتْ وَرَائِيَا
لَأَشْفِيَّ مِنْ أَسْمَا حَشَايَ بِنَظَرَةٍ تَكُونُ شِفَاءً أَوْ دِفَاعاً لِمَا يِيَا
فَلَوْ كُنْتُ وَرَدًا لَوْنُهُ لَعَشِقْتَنِّي وَلَكِنْ رَيَّ شَابِنِي^(٥) بِسَوَادِيَا
يُرْجَلُنْ أَقْوَامًا وَيَتْرُكُنْ لِمَتِّي وَذَاكَ هَوَانٌ ظَاهِرٌ قَدْ بَدَا لِيَا
فَلَوْ أَنِّي أَشْكُو^(٦) الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى جَبَلٍ صَعْبٍ الذُّرَى لَانْثَى لِيَا

123/ب / ونحو ذا كثير. وهذا قاطع.

(١) ديوانه ٢٨٧ (بشرح ثعلب)، وفي نسبته لزهير خلاف.

(٢) رواية الديوان (ولا سابقى شيء)، وأشار المحقق إلى رواية (سابق شيئاً).

(٣) في البيت قبله، وهو:

بدالي أَن اللّٰه حق فزادني إلى الحق تقوى اللّٰه ما قد بداليا

(٤) لم أجد البيتين الأول والثاني في ديوانه -صنعة الميمني- ولا في غيره. والبقية فيه مع اختلاف بعض الألفاظ (ص ٢٥، ٢٦)، وقد جمع المحقق الفاضل من هذه القصيدة ثلاثة وتسعين بيتاً، وذكر أنها تزيد على المئة.

(٥) في الديوان (شاني).

(٦) في الديوان (أغالي لو أشكو...).

هذا، وقد أكثر المحدثون من ترك الاعتداد بما قبل تاء التأنيث، من ذلك قول أبي تمام^(١):

نُسائِلُها أيَّ المِواطِنِ حَلَّتْ وأَيَّ ديارِ أوطنتَها وأَيَّتِ؟
وماذا عليها لو أشارتْ فودَّعتْ إلينا بأطرافِ البنانِ وأومتِ؟!

والقصيدة كُلُّها على الاختلاف.

(١) ديوانه ٢٩٩/١.

[قافية الجيم]

(٤٠)

وقال وقد ركب سيف الدولة من منزل يُعرف بالسَّنبُوس، قاصداً سَمْنَدُو^(١):

(١) لَهَذَا الْيَوْمَ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ وَنَارُ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيحُ

يعني أن النهضة في هذا اليوم يظهر أثرها بعد غد.

(٢) تَبَيَّتْ بِهَا^(٢) الْحَوَاضُنُ^(٣) أَمِنَاتٍ وَتَسَلَّمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيحُ

الضادُّ مُعْجَمَةٌ.

والمعنى: أن النساء تبَيَّتْ بسمندو آمنةً في نفوسها وأولادها، وينحسُم الشرُّ عن الحجيج؛ لأنه يفني هؤلاء، ويصدُّهم عن التعرُّض لتلك المسالك.

ويجوز أن يعود الضمير في "بها" إلى النار في قوله:

ونار في العدوِّ لَهَا أَجِيحُ

فكأنه: تسلَّم النساء بسبب هذه النار؛ لأنها تهلك الأعداء.

(٣) فَلَا زَالَتْ عِدَاتُكَ، حَيْثُ كَانَتْ قَرَائِسُ، أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيحُ

(١) سمندو والسنبوس موضعان ببلاد الروم. معجم البلدان ٣/٢٨٧، ٢٩٦

(٢) ويروى (تبَيَّتْ به)، أي: بالأجيج أو بالفعل. التبيان ١/٢٣٧، ومعجز أحمد ٣/١٧١، وشرح الكندي ٤٨٤، وشرح ابن الإفليلي ١/٣٣٥. وفي الفسر ١/٧٠٤ (تبَيَّتْ له).

(٣) الحواضن: اللاتي يحضن أولادهن. ويروى (الحواضر)، أي: نساء أهل الحضر. وهي رواية الديوان ٢٩٨. ويروى (الحواصن)، أي: العفائف، جمع حصان. وهي رواية الفسر ١/٧٠٤، وشرح ابن الإفليلي ٢/٣٣٥. والروايات الثلاث في بقيّة الشروح.

(٤) عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّيَاتٌ^(١) وَأَنْتَ بِغَيْرِ سَيْفِكَ^(٢) مَا تَعِيَجُ^(٣)
 (٥) وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرِفُ مِنْ بَعِيدٍ إِذَا يَسْجُو، فَكَيْفَ إِذَا يَهْيِجُ!
 "يسجو"، أي: يسكن.

يقول: إنه كالبحر في أنه لا يخفى عَظْمُ شأنه إذا تَمَوَّجَ^(٤) على الرأي في حال السكون،
 فكيف في حال الاضطراب والموج!

وإنما قال ذلك؛ لأنه نظر إليه في الطَّراد^(٥).

(٦) بِأَرْضٍ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا إِذَا مِلَّتْ مِنَ الرِّكْضِ الْفُرُوجُ^(٦)
 الشَّوْطُ: الطَّلَقُ^(٧).

والمعنى: أن الأرض من سعتها وطولها بحيث لا تُقَطَّعُ بِأَشْوَاطٍ، فكأنها تَهْلِكُ فيها،
 من حيث لا يتبين أمرها.

(١) في معجز أحمد ١٧٢/٣، وشرح ابن الإفيلي ٣٣٦/١، والتبيان ٢٣٨/١: (معبات) بالهمز.
 (٢) (سيفك) موافق لما في شرح الواحدي ٤٥٠، والتبيان ٢٣٨/١، ورواية الديوان وبقية الشروح
 (سيرك)، وهي أولى.
 (٣) ما تعيج، أي: لا تبالي ولا تكثرث. الفسر ٧٠٧/١.
 (٤) أي: الموج الخفيف الذي لا يكاد يخلو منه البحر.
 (٥) تذكر الشروح الأخرى: أنه قال ذلك عندما رآه خارجاً من الصفوف يدير رمحاً.
 (٦) الفروج: جمع فرج، وهو ما بين القوائم من المسافة. الفسر ٧٠٨/١، فقلوه: (إذا ملئت من الركض
 الفروج) كناية عن شدة العدو واستفراغ الجهد فيه.
 (٧) وهو مسافة معينة يقطعها الفرس أو البعير في سبق أو نحوه.

(٧) تُحَاوِلُ نَفْسُ مَلِكِ الرُّومِ مِنْهَا^(١) فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْعُلُوجُ^(٢)
(٨) أَبَا الْغَمَرَاتِ^(٣) تُوَعِدُنَا النَّصَارَى وَتُحْنُ نُجُومَهَا، وَهِيَ الْبُرُوجُ؟!

قوله: "وهي" عائد إلى "الغمرات". فالمعنى: أننا ننغمس في الغمرات، ثم نطلع منها طلوع النجوم من البروج، من حيث إنها تنكشف عنا، ولنا الظفر والغلبة، فيلوح في أوجهن نور السعادة.

(٩) وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلْتُهُ صَدُوق إِذَا لَاقَى، وَغَارَتْهُ لُجُوجُ

هذا على وجوه:

أحدها: أن يكون "السيف" مبتدأ، و"فينا" خبره، و"حملته صدوق" خبراً آخر، فكأنه قال: حملته صدوق، كائنُ فينا.

والثاني: أن تكون الجملة حالاً، و"فينا" مستقراً، فكأنه قال: وفينا السيف صادقاً ضربُه لجوجاً غارته.

والثالث: أن يكون كما قيل في قوله: مررت بالرجل خير منك، إنه أجري مجرى (رجل)، إذا كان لا يراد به رجلٌ بعينه، وكان يراد بذكر الجنس بعضٌ منه. وهذا النحو كثيرٌ في الكلام، والأحسنُ فيه الحملُ على الحال.

(١) (منها) موافقة لما في شرح الكندي ٤٨٥، وشرح ابن الإفيلي ٣٣٧/١، وهي الرواية المثبتة في متن الديوان ٢٩٩. ورواية الشروح الأخرى (فيها)، وأشار إليها محقق الديوان عن ثلاث نسخ منه.

والضمير في (فيها)، يعود إلى الأرض، ويعود إلى الروم على رواية (منها).

(٢) العلوج: جمع علج، وهو الرجل من كفار العجم، وأصله: الغليظ الشديد، أو الحمار. التبيان ٢٣٨/١، والصاح (علج).

والمعنى: أنك تريد أن تخطف نفس ملك الروم من بينهم، وتطارده في هذه الأرض الواسعة، فيفديه جنوده العلوج، فتقتلهم بين يديه. انظر: التبيان ٢٣٨/١، ومعجز أحمد ١٧٣/٣.

(٣) الغمرات: الشدائد، وأراد بها المعارك.

ولا يجوز أن يكون "فيما" متعلّقاً "بصدوق"، فكأنه قال: السيف حملته صدوق فينا؛ لأن ذلك يجري مجرى قولك: السيف / يصدق عمله ويقطع فينا! وذلك محالٌ، وينقُصُ^(١) الحال.

(١٠) نَعُوذُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ^(٢) بِأَسَا وَيَكْثُرُ بِالذَّعَاءِ لَهُ الصَّجِيحُ

الوجه في نصب "بأسا" أن يكون تمييزاً، ويكون الفاعل^(٣) في المعنى، كقولك: حَسُنْتَ وجهًا. فكأنه قال: يعوذه بأسه من الأعيان، وذلك أنه قال هذا في حال محاربتة.

وقد ذكر فيه وجهان آخران، يقلّ حظُّهما من القبول^(٤):

أحدهما: أن يكون "بأسا" بمنزلة الخوف، كقولهم: لا بأس عليك، فكأنه قال: نعوذه من الأعيان لخوفٍ منا عليه.

والثاني: أن يكون مصدرًا، كأنه نعوذه من الأعيان نَبَأَسَ بِأَسَا.

ويدلّك على ضعف ذلك أن أحدًا لا يقول: بَيَّسْتُ من فلانٍ، بمعنى: خِفْتُ، وإنما يستعمل هذا المعنى للضيّق والشدّة، فقولهم: لا بأس عليه، بمنزلة: لا حرج عليه ولا ضيق.

(١١) رَضِينَا وَالذُّمُّسْتُقُ غَيْرُ رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيحُ

(١٢) فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ زُرْنَا سَمْنَدُو وَإِنْ يُحْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيحُ^(٥)

هذا كلامٌ يتطایر منه شرارُ الشجاعة!

(١) في الأصل (ويقتضي)، لعله تحريف لما أثبت، أو لعله أراد: ولا يقتضيه الحال.

(٢) الأعيان: جمع عين، أي الإصابة بالعين.

(٣) في الأصل (الفاعل) تحريف.

(٤) هذا الوجهان ذكرهما ابن جني، الفسر ١/٧١٠. ويرى ابن فورجة أنه منصوب؛ لأنه مفعول لأجله،

أي: نعوذه لبأسه ولشجاعته. وقد رجّح هذا الوجه الواحدي. شرحه ٤٥١.

أما الوجه الذي اختاره الشارح، فلم يذكره إلا صاحب معجز أحمد ٣/١٧٤.

(٥) الخليج: بحرقرب القسطنطينية.

[قافية الحاء]

(٤١)

وقال على قافية الحاء؛ يمدح مُساوَر بن محمد الرومي ^(١) حاجب أبي بكر بن رائق ^(٢):

(١) جَلَّأَ كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَعَنُّ الشَّيْخُ ^(٣)؟

"جللاً" خبر كان. والأصل: ليك التبريحُ جَلَّأَ كما بي، على أن يكون "كما" صفةً للجليل، ثم قُدِّم الخبرُ، ودخل الفاءُ زائدةً؛ لتقدُّم شيءٍ من الكلام، كقولك: زيداً فاضربُ، وقوله عز وجل: ﴿وَالْزُّجَرُ فَهَجْرٌ﴾ ^(٤)، فكانه: كذا فليكن التوجُّعُ والبلاءُ في الحبِّ.

ولا خلاف بين النحويين [على] جواز تقديم خبر كان، ولأصحاب الشيخ أبي علي كلامٌ طويل في ذلك. وأبين ما يدلُّ عليه -عندي- أنهم قالوا: أيهم كان أخوك؟ ومَن كان أخوك؟ فجعلوا مَن خبراً، وكذا أيّاً، فلولا أن تقديمه جائز لما جاز أن يوضع الخبر على صفةٍ توجب التقديم، وذاك أن الاستفهام يقتضي صدرَ الكلام، فلو كان يمتنع التقديم لوجب أن لا تأتي فيه الكلمة المتضمَّنة للاستفهام. كما أن الفاعل لما [لم] يجز تقديمه على الفعل لم يجز أن يكون هذا النحو فاعلاً، فلم يقل: أيُّ قومٍ جاءك، على تقدير: جاءك أيُّ قومٍ؛ لأنَّ الفاعل يلزمه أن يكون بعدَ الفعل، فلا تقول: القومُ حَرَجَ، كما

(١) أبو المظفر، أحد قواد الإخشيد، تولى إمرة حلب من قبل الإخشيد، بعد هزيمة محمد بن يزداد، الوالي عليها من قبل ابن رائق. زبدة الحلب ١/١٠١.

(٢) اسمه محمد، أمير داهية، كان ذا حظوة عند الخليفة العباسي، ترقى في المناصب والإمارات، إلى أن صار والياً للشام، وهو ضدُّ عنيد للإخشيد. توفي ابن رائق سنة ٣٣٠ هـ. الكامل ٨/٣٨٢، ٣٨٣، زبدة الحلب ١/٩٩، ١٠٠، ووفيات الأعيان ٥/١١٨. وقوله: إن مساوراً حاجبُ ابن رائق، مخالف لما تذكره كتب التاريخ، وذلك أن مساوراً من قادة الإخشيد وهم أعداء ابن رائق، كما ذكر ابن العديم في (زبدة الحلب ١/١٠١)، وابن الأثير في (الكامل ٨/٣٨٣).

(٣) الجلل: من الأضداد، وهو هنا بمعنى العظيم.

(٤) سورة المدثر: ٥.

تقول: خرج القوم، وإنما تقول: أي قوم جاؤوك، فتجعل أياً مبتدأً، والضمير فاعلاً، كما تقول: القوم خرجوا.

وقد اعترضوا على المتنبي من وجهين، لم يلمّوا بالنجاح في واحدٍ منهما:

فالأول من جهة المعنى: قالوا^(١): إنه قطع المصراع الثاني من الأول، مع^(٢) تعلق معناه بما قبله، وأشاروا إلى أن الكلام لم يتم عند قوله: "فليك التبريح".

وأنا أقول: إن هذا من الأقوال التي يشين العالم الاشتغال بها! [لأمرين]:

أحدهما: أنهم يفرقون جزأي الجملة، فيجعلون المخبر عنه في بيتٍ والخبر في آخر، كما أنشدتُك غير مرة من قوله^(٣): (يومَ عكاظٍ إني شهدتُ) وذلك كثيرٌ في كلامهم من غير عيبٍ ولا استقباحٍ؛ لأن البيت الثاني يتصل بالأول، وكأن القصيدة عندهم بمنزلة البيت الواحد، ولذلك سموها قافيةً، من حيث إن كل بيت يتصل بصاحبه، كما يتصل بعض الأجزاء ببعض.

ب/124

وإذا كان هذا يجوز في البيتين، فما ظنك في المصراعين [من] بيتٍ واحدٍ، ولا يكمل أحدهما إلا بالآخر؟

(١) انظر: معجز أحمد ٢٣٩/١، والتكملة، وشرح الأبيات المشككة ١٥٧/١.

ويرى ابن جني أن الشطرين منفصلان؛ لأنهما مستقلان معنى - كما سيذكر الشارح - الفسر ٧٢٦/١. وقد أجاب صاحب معجز أحمد عن هذا الاستشكال بنحو مما أجاب به الشارح. وقيل: إن مثل هذا يفعله الشاعر عند ذكر محبوبه أو المرور على دياره تدلّها وذوّهلاً. شرح الواحدي ١٠٨، والتبيان ٢٤٤/١، والوساطة ٤٤٢.

ونقل القاضي الجرجاني عن بعضهم أن بين المصراعين اتصالاً لطيفاً، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه، وشدة أسفه، بين أن الذي أورثه التبريح والأسف هو الأغن الذي شككه غلبة شبه الغزلان عليه في غذائه، ثم قال: وهذا الاعتذار قريب.

الوساطة ٤٤٢. وزاده أيضاً ابن فورجة (الفتح على أبي الفتح ٩٧).

(٢) في الأصل (معني) تحريف.

(٣) هو النابغة، انظر صفحة: ٧٠٥.

وكان الأصل ألا يُصرَّع النصف الأول، كما لا يُصرَّع كلُّ بيتٍ، إلا أنهم أحبوا أن يُعرف قبل تمام البيت قصد الشعر، على ما مضى بيانه عند قوله^(١): (فاستضحكت، ثم قالت: كالمُغيثِ).

ولو كان كل نصف بمنزلة بيتٍ على انفراده لوجب أن يجيء التصريح في كل بيتٍ، ولما عدَّ الاستكثار منه في القصيدة - من غير أن ينتقل من نمطٍ إلى نمطٍ - عيباً. ولذلك لم يأت الخرم^(٢) والخزم^(٣) في النصف الثاني إلا نادراً؛ حين كان موضوعاً للصدر، ويجيء في البيت الثاني؛ إذ لا يختص بأول القصيدة.

والثاني: أن قوله: "جللاً كما بي فليك التبريح" كلام تامٌّ، لا يفتقر إلى شيءٍ بوجه، حتى لو لم يقل: "أغذاء ذا الرشأ الأغنَّ الشيخ" لم يحصل خللٌ، وإنما هو ابتداء كلامٍ، وأخذ في استفهامٍ، كأنه قال: إنَّ هذا الحبيب قد غلب عليه مشابهةُ الأطباء، حتى كأن نفسي تحدَّثني بأنه يَغْتَذِي الشيخَ الذي ترعاه الأطباء، كبيت الكتاب^(٤):

أَيَا ظِلِيَّةَ الْوَعْسَاءِ^(٥) بَيْنَ خُلَاجِلِ^(٦) وَيَيْنَ النَّقَا، أَنْتِ أَمْ أَمْ سَالِمِ^(٧)؟

ثم لو كان خبرُ المبتدأ في المصراع الأول لم يكن إلا كما ذكرت من قوله: (شهدتُ). ولا خلاف بين أهل العلم في سلامة ذلك من العيب، ويسمى التضمين^(٨). وإنما يقبح

(١) انظر صفحة: ٤٠٠.

(٢) الخرم: هو حذف الحرف الأول من الوند المجموع في أول البيت. صنعة الشعر ١٧، والكافي ١٤٣.

(٣) الخزم: هو زيادة في أول البيت، لا يعتد بها في التقطيع. صنعة الشعر ١٨٠، والكافي ١٤٣.

(٤) الكتاب ٥٥١/٣، وهو لذي الرمة، ديوانه ٧٦٧/٢.

(٥) الوعساء: موضع بالدنهان، على جادة الحاج، وهي شقائق رملٍ متصلة. (معجم البلدان ٥/٤٣٦).

(٦) رواية الديوان (جلجل)، وأشار محققه إلى رواية الحاء. ويفهم من كلام ياقوت أنها اسمان لمسمى واحد، وهو جبل من جبال الدهناء. معجم البلدان ١٧٣/٢، ٣٢٣.

(٧) أي: أحسن أنت أم سالم؟. ووجه المشابهة بين بيت المتنبي وبيت ذي الرمة، هو هذا الاستفهام المبني على التشكيك والحيرة.

(٨) التضمين، هو: أن يتعلق البيت بالذي يليه، بحيث لا يتم معناه إلا به.

ذلك إذا كان الاسم لا يستقل بنفسه، كالموصلات، ومثاله ما أنشدَه شيخنا - رحمه الله -
عن قُطْرُب^(١):

وليس المالُ فاعلمه بمالٍ من الأقوام إلا للذي
يريدُ به العلاءَ ويبتغيه لأقرب أقربيه وللقصيّ

فيريد صلةً الذي، وقد قطعَه إلى البيت الثاني، وهو قبيح؛ لأجل أن الذي لا يصحُّ
السكوتُ عليه.

أفترى إلى قوله: "أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيخ" إذا كان متصلاً بما قبله (من حيث إنه
يبين أن التبريح سببه الغزلان) يكون أشدَّ اتصالاً من الصفة بالموصوف؟! في نحو قوله^(٢):

وقاتم الأعماقِ خاوي المخترقِ
مُشتبه الأعلام لَمَاعِ الخَفَقِ^(٣)

لأنَّ (مشتبه) صفةٌ أخرى.

[وَمَنْ ذهب] إلى هذا النحو لم يُستبعد منه أن يحكم على الرجل إذا قال: (لا إله)
بالكفر قبل أن يذكر: (إلا الله)!

والوجه الثاني من الاعتراض من جهة الإعراب: وهو أنهم قالوا^(٤): لم يك، والأصل:
لم يكن، مثل لم يقل، ولم يبع، إلا أنهم حذفوا النون، فجزموا مرةً أخرى؛ لكثرة ذلك
في كلامهم، ومقارنة النون لحروف اللين، لما فيه من الغنة، ولذلك اختصَّ بالإعراب

(١) البيتان بلا نسبة في أمالي ابن الشجري ٥٤/٣، والإنصاف ٦٧٥/٢، واللسان (ضمن / لذا) عن
قطرب، والخزانة ٥٠٤/٥.

(٢) هو رؤية، ديوانه (مجموع أشعار العرب ١٠٤). وقد مرَّ البيت أكثر من مرة.

(٣) الأعلام: الجبال العالية. والخفق: هو اضطراب السراب.

(٤) في الأصل (لما قالوا).

في الأبنية الخمسة^(١). فإذا وقع في موضع يجب فيه تحريكه لم يحذفوه، فقالوا: لم يكن الرجل؛ لأجل أنه لما تحرَّكَ قَوِيَّ بالحركة، وبُعِدَ من حروف اللين من حيث إن الغنة تحلُّ بالتحريك، كما يزول المدُّ من حروف اللين إذا حُرِّكَتْ. والمتنبّي قد حذف النون، قال: "فليك التبريح"، غير أن هذا الذي قاله صحيحٌ جائزٌ، وأنشدَ شيخنا عن أبي زيد^(٢):

لم يك الحقُّ على أن هاجه رَسْمُ دارٍ قد تَعَفَّى بالسَّرَرِ^(٣)

/ وأنشد أيضاً^(٤):

أ/125

فإن لم تك المرأة أبدت وسامةً فقد أبدت المرأة جبهة ضيغم

والتعليل من وجهين:

أحدهما: أن يقدر (لم يك) محذوفاً، ثم يأتي بقوله: (الحق) ولا يكون قد قال: لم يكن، حتى يحركه لالتقاءه مع اللام. كما قالوا^(٥) في قول من قال^(٦): (فغضَّ الطرف ...) بالفتح: إنه قدّر: فغضَّ - بالفتح^(٧) - ثم قال: الطرف.

فإن قلت: وكيف لم يكثرنحو (لم يك الحق) كثرة (لم يكن)^(٨)؟ وذلك أنك إذا جعلت العلة في ثبات النون في (لم يكن الحق) أنه لما ثبتت النون ساكنة في اللفظ،

(١) أي: الأفعال الخمسة.

(٢) قائله حسيل بن عُرفطة، النودار ٧٧، والمسائل العسكرية ١٧٨، والخصائص ٩٠/١، والخزانة ٣٠٤/٩.

(٣) السرر - بفتح السين أو كسرهما - موضع.

(٤) قائله الخنجر بن صخر الأسدي. سر صناعة الإعراب ٥٤٢/٢، واللسان (كون)، والخزانة ٣٠٤/٩، وأوضح المسالك ١٩١/١.

(٥) انظر: المسائل العسكرية لأبي علي ٢٧٦.

(٦) هو جرير، ديوانه ٨٢١/٢، والبيت بتمامه:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا.

(٧) أي: أن الشاعر حرَّك الفعل (غَضَّ) بالفتح قبل مجيء الساكن بعده من كلمة (الطرف).

(٨) في الأصل (لم يك) ولا يتفق مع ما بعده.

تَحَرَّكَتْ^(١) لما التقى ساكنان، [و] أن مَنْ قال: لم يك الحق، لم يكن في لفظه نونٌ فتَحَرَّكَ -وجب^(٢) أن تجعل نحو (لم يك الحق) في الكثرة مثل (لم يكن) في الكلام، وبين أن الأمر على خلاف ذلك.

فالجواب: أن الأمر كما زعمت، غير أن النونَ في (لم يك) لما كان حذفه على غير قياس، ثم وجدوا موضعاً لكنَّ تحريكه فيه قَوِيٌّ عندهم، أثبتوه^(٣)، وقالوا: لم يكن، ثم أتوا باللام فتَحَرَّكَ، ومن قال: لم يك الحق، فإنه يحذفه كما حذفه في قولك: لم يك^(٤)، ولا يعتدُّ بما وجب له من الحركة.

والوجه الثاني: أنه يكون قدَّر: لم يكن الحق - بإثبات النون - إلا أنه لا يعتدُّ بحركة^(٥) التقاء الساكنين، ويحذفه لأنَّ أصله السكون، كما حذفوا التنوين^(٦) في نحو: ﴿أَحَدٌ﴾^(٧) **اللهُ أَضَمُّ** ^(٨) وإن كان قد حُرِّكَ في كثيرٍ من الأمر^(٩)؛ لأنَّ أصله السكون، فجاز ألا يُحَرِّكَ لالتقاء الساكنين؛ لأجل أن النون يشبه حروف اللين. ولذلك قال صاحب الكتاب في قوله^(٩):

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرُ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَ رَالَهُ إِلَّا قَلِيلاً

(١) في الأصل (فتحرك) وعليه يضيع جواب (لما).

(٢) السياق (إذا جعلت... وجب أن تجعل...).

(٣) في الأصل (فأثبتوه)، وعليه يضيع جواب (لما).

(٤) أي: في الأسلوب المستوفي لشروط الحذف المعروفة.

(٥) في الأصل (بحريكه).

(٦) سبق الكلام على هذه القراءة في صفحة: ٤٦٢.

(٧) سورة الإخلاص: ١، ٢.

(٨) أي: حرك التنوين؛ لمنع التقاء الساكنين في القراءة المشهورة.

(٩) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وقد مضى في صفحة: ٤٦٢ والشاهد فيه حذف التنوين من (ذاكر)،

لالتقاء الساكنين، لا لقصد الإضافة، ولذلك بقي ما بعده منصوباً.

إنهم شبهوه اضطراباً برجا القوم^(١)، يعني أن النون حُذِفَ كما يحذف حرفُ اللين،
كألف رجا، وواو يغزو، وياء يرمي.

ومن حذف التنوين قوله^(٢)، أنشده شيخنا رحمه الله:

حُمَيْدُ الَّذِي أَمَجُّ^(٣) دَارُهُ أَخُو الْخَمِرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَصْلَحُ

وقول الآخر^(٤):

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفَرَاشِ وَلَمَّا تَشَمَّلِ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءُ؟
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَيْتِهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءُ^(٥)

التقدير: وتبدي العقيلة عن خدام. وغير ذلك ممّا مضى، ويطول ذكره.

وإن فرّق أصحابنا بين التنوين ونون (لم يكن)، بأن هذا من أصل الكلمة، والتنوين زائدة، فإنّ ذلك قد جاء [في] ما ليس بزائد، كبيت الكتاب^(٦):

فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلٍ

(١) الكتاب ١٦٩/١ وعبارته: "حذفه لالتقاء الساكنين، كما قال: رمى القوم، وهذا اضطراب".

(٢) هو حميد الأمجي، النوادر ١١٧، والمقتضب ٣١٣/٢، وأما ابن الشجري ١٦٢/٢، والخزانة ٣٧٦/١١، ومعجم ما استعجم ١٩١/١.

(٣) أمج: قرية بالقرب من المدينة، من مواطن خراعة. معجم ما استعجم ١٩٠/١.

(٤) هو عبيد الله بن قيس الرقيات، ديوانه ٩٥، ٩٦.

(٥) الخدام: الخلاخيل. والعقيلة: المرأة الكريمة النفيسة. اللسان (خدم - عقل).

والشاهد حذف التنوين من (خدام)، والأصل (عن خدام العقيلة).

(٦) الكتاب ٢٧/١، ونسبه للنجاشي الحارثي، وهو ضمن أبيات له في المعاني الكبرى ٢٠٧/١، وأما المرتضى ١١١/٢، والخزانة ٤١٨/١٠. والشاهد فيه حذف نون لكن من قوله: (ولاكِ).

وقول الآخر^(١):

ولا تَطْلُبْني أَيْمًا^(٢) إِنْ طَلَبْتُمَا فَإِنَّ الْأَيَّامَ لَسَنَ لي بِشُكُولِ
ولاكِ اطلُبْني ذاتَ بَغْلٍ مَحْلُهَا رِوَاءُ^(٣) وَخَيْمُ بِالْغَدَايِبِ^(٤) ظَلِيلُ

ولا شبهة في أن الحذف من الحروف أغلظ. والشيء إذا جاز على موجب الاستعمال والاتساع، وورد به السماع، لم يكن لردّه في الشعر معنى.

ولم يكف المتنبي اعتراض أهل العصبية عليه، حتى قال بعض من يتعصب له وينصره: إن حذف النون مع الإدغام^(٥) أضعف؛ لأجل أنهم يقولون في (بني العنبر): بَلْعَنْبَرٍ، ولا يقولون في (بني النجار): بَنَجَارٍ^(٦). وهذا شيء ينزل من بيت المتنبي جانباً؛ لأجل أن الحذف في نحو بَلْعَنْبَرٍ ليس لالتقاء الساكنين، وإنما هو ضرب من /التخفيف، والنيابة عن الإدغام، من حيث إنه اجتمع النون في (بني)^(٧) مع اللام الذي يقاربه أشدّ مقارنة، فلم يمكن^(٨) إدغامه؛ إذ كان يجب تحريك اللام، ليتيسّر الإدغام^(٩)، وليس [الذي] على

125/ب

(١) هذان البيتان بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ٥٤١/٢، والأول في اللسان (شكل). والشاهد منهما، قوله: (ولاكِ) حيث حذف النون من لكن. وفي البيت الثاني إقواء.

(٢) الأيّم: التي لازوج لها.

(٣) رِوَاءُ: أي شجر ذو ماء وخضرة.

(٤) الغديب: اسم يطلق على عدة مواضع، منها: موضع أو ماء في العراق بالقرب من الكوفة، ووادي لبني تميم على طريق الحاج. معجم البلدان ١٠٣/٤.

(٥) إدغام اللام الشمسية في التاء من (التبريح).

(٦) ذكر هذا القول ابن جني (الفسر ٧٢٥/١)، وتابعه الواحدي ١٠٧، وصاحب التبيان ٢٤٣/١.

(٧) بعد سقوط الياء، لالتقاء الساكنين.

(٨) في الأصل (يكن).

(٩) في الأصل (قد استتربا الإدغام)، لعل صوابه ما ذكرت. ولا يبعد أن يكون في الكلام سقط، يمكن تصويره هكذا (وأما اللام في (بني النجار) فقد استتربا الإدغام...).

صفته يجوز فيه الإدغام بحال^(١)، ألا ترى أن الحرف المدغم لا يُدغم فيه شيء من الكلام؛ لأنه يدعو إلى أن يُنقَضَ الإدغام؟! فلما كان كذلك لم يحذفوا^(٢) أيضاً؛ إذ كان هذا الحذف كالنيابة عن الإدغام، وإذا انتهى الحال إلى حدٍّ لا يجوز فيه الأصل رأساً، كان القياسُ منع الفرع وإسقاطه.

وأما حذف النون من (لم يكن) فلالتقاء الساكنين، فلا فصل بين أن يكون اللام مدغماً أو [لا] يكون.

هذا، وإذا كُشِفَ عما ذهب إليه وهم هذا القائل، كان تقويةً لقول المتنبي. بيانه: أن أكثر ما يمكن في تشبيهه نحو (بلعنبر) بقولكم: لم يك الحق، أن يقال: إنهم أسكنوا النون^(٣) للإدغام، فلما لم يمكن تحريك اللام، سقط^(٤) لالتقاء الساكنين، على أن هذا القول مردود عند الشيخ أبي علي، فإسكان ما قبله لمحاولة الإدغام محال^(٥)، بمنزلة أن تقول: إنه سكن ما قبل الألف؛ ليدغم فيه، ثم يحذف لامتناع تحريك الألف! لكن غرضي أن هذه الطريقة - إذا سُلِّمَت^(٦) - كانت عاضدةً لبیت المتنبي؛ لأنه إذا قال: إنَّ النونَ في (بلعنبر) حذف لالتقاء الساكنين مثلاً، كان قد أسكن نوناً متحرِّكاً ثم حذفه! ولا يقال ذلك في (بني النجار) لأجل أن الكلام على وجهه لا يكون فيه الإدغام بحال، فلا يجوز إسكان النون، وإذا لم يجز إسكانه لم يسقط، ونون (لم يكن) ساكنٌ، فلا فصل - إذا لم يحرك لالتقاء الساكنين - بين أن يتلقاه ساكنٌ ظاهراً، وبين أن يلقاه مدغماً. ولا وجه لتفضيل إحدى الحالتين على الأخرى في الحسن والقبح. فاعرفه.

(١) وانظر: الكتاب ٤/٤٨٤، حيث ذكر سيبويه أن حذف النون من قولهم: بلعنبر وبلحارث شاذٌّ، ولكنه كثر في كلامهم.

(٢) أي: لم يجزوا الحذف؛ لأنه ليس على قياس. فهو يعني علماء النحو أو الصرف، لا العرب فإنها حذفت، هذا في نحو (بلعنبر). أما في (بني النجار)، فحذف النون لم يرد عن العرب أصلاً.

(٣) من (بني العنبر).

(٤) أي: النون.

(٥) لأنه يؤدي لالتقاء الساكنين!

(٦) في الأصل (شملت) تحريف وتصحيف.

والطريف أنَّ ما وقع للمتنبّي في شعره من العدول عن الواضح في أحكام الإعراب إلى ما يكون فيه بعضُ الشذوذ والتعسّف، قد وقع لغيره ما [هو] أشنع وأقبح! ثم خُصّ بالتعريض وفرط التعسّف والرّد! وذلك من أسباب السعادة! فلما لم يجد المتعصّب عليه في الوضع منه، لم يجد المتعصّب له في رفعه والتنويه [به] من إخراج دقائق شعره، ولما عَظُمَ صيْته بالتصنيف في كلامه، حتى يكونَ الذي يعرف ديوانه يضربُ في العلم بالمعلّى، ويتسنّم منه الدّروة العليا. ولله دُرّه! حيث قال^(١):

رَبِّ أَمْرَاتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفُعَا — أَلْ فِيهِ، وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا^(٢)

فكم من رجل [أراد] هدمَ منارِه، فشَدّه، وقصد إطفاءَ جمِرِه، فأوقدَه!

وقد ترى كثيراً من الناس يزعمون أنَّ ابنَ جَنّي نوّةً بذكره، حيث صَنّف في شعره، فهلا قالوا: إنَّ تصنيفه في معانيه هو الذي عرّفَه إلى كثير ممّن^(٣) يبعدُ عنه، حتى غمر القلوبَ صيْته، وصار يعرفه مَنْ لا يعرف أستاذَه الشيخَ أبا عليّ، مع علوّ شأنه، وأنّ ذكرَه يطير في الدنيا بجناحَ الجديدين!؟ فليس عِمارة المتنبّي لمعالمه بأقلّ من عمارته لقصائده!.

هذا، وكان الأمر في شأنه، فلم يقضِ حقّه كلّ القضاء، وشحنّه بما لا يليق، نحو ذكرِه - إذا جرى ذكرُ الذئب في بيت له - جميعَ أسمائه، وترك كثيراً مما يُشكّل في إعرابه ومعانيه^(٤).

ومما يدلّ على أنَّ أبا الفتح/ ازداد صيْتاً بالمتنبّي، أن له كُتُباً شريفةً في النحو والتصريف، ثم لا تكاد تجد أحداً - إذا جاوزت الخواصّ من الناس - يعرفه بواحد منها،

أ/126

(١) ديوانه ٤٠٤.

(٢) يقول: كثيراً ما يواجهك الناس بأمور لقصد إساءتك، فتكون العاقبة حميدة، كأن يقصدك أعداؤك بحرب فتظفر بهم، أو يحسدك أناس، فيظهر شرفك وفضلك! انظر: التبيان ١٣٨/٣.

(٣) في الأصل (من).

(٤) ومع ذلك فقد مهد ابن جني الطريق لمن أتى بعده، وكلّ الشّراح عالة عليه.

بل تكون الكتب كلها عيلاً في التعريف على كتابه في ديوانه، فيقال: هذا كتابُ فلانٍ الذي شرح ديوانَ المتنبي.

(٢) لَعِبْتُ بِمَشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَجَرَدْتُ^(١) صَنَمًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ

"الشمول": الرِّيحُ، لا الشراب^(٢). ومعنى "لعبت بمشيته" أنها عدلت بها عن سَمَتِ الاستواء، وأسرت فيها التمايل، وكشفت عنها ثيابها، فأبدت ما لولا الروح لم يُشك أنه صنم^(٣).

وجواب "لولا" محذوف، فكأنه قال: لولا الروح لم يشك في ذاك. ونحوذا يستمر، ولا يكاد يستعمل هذا الجواب؛ لأنَّ ما تقدّم يدلّ عليه.

(٣) مَا بِالْأَلْه؟ لَأَحْظَتْهُ، فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ، وَفُؤَادِي الْمَجْرُوحُ

التضريحُ يستعمل في صبغ الدّم، فهو يقول: تبين في وجناته أثرُ الدّم، والجرح أصابني دونه. وكأنه يزعم أنّ الفؤاد إذا أصابه ما يدميه ظهر الدّم على الوجه، حتى يتعجب على ذلك بقوله: كيف بدا ذلك في وجناته، وأنا مجروح القلب؟!

و"فؤادي" مبتدأ، و"المجروح" خبره - وليس المجروح بصفة - فكأنه قال: وفؤادي هو المجروح.

(٤) وَرَمَى، وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ^(٤)، فَصَابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ، وَالسَّهَامُ تُرِيحُ

(١) روى الواحدي ١٠٨ (وغادرت) ثم أشار إلى الرواية المشهورة (وجردت).

(٢) خالف الشارح - رحمه الله - بقوله هذا جميع الشراح الذين يرون أن المراد بالشمول الخمر. وفي نظري أن تفسير الشمول بالريح أولى بغرض النسيب من تفسيره بالخمر، كما أن الفعل (جردت) ملائم لفعل الريح، ومقارن له في الذهن أكثر من الخمر أيضاً.

(٣) تشبيهه الرشأ بالصنم على عادة العرب في تشبيه الحسنات بالدمى.

(٤) يعني أنه رماه بطرفه. الفسر ١/٧٣٠.

قوله: "وما رمتا يده" على قولهم: أكلوني البراغيث، وقاما غلاماك.

و"صابني" بمنزلة أصاب.

والمعنى: أن السهام تقتل، وهذا سهم يعذب.

وكأن ظاهر الحال يومئ إلى أن غايته لم تصف في هذا البيت؛ إذ ليس كل سهم يوجب^(١) القتل، فكم من سهم يعذب، بأن يبقى نصله، أو يلج^(٢) جرحه.

ويجوز أن يقال: إن السهام قد تريح، وهذا سهم لا يميل إلى جهة الإراحة، بل لا يكون منه إلا التعذيب.

(٥) قَرُبَ الْمَزَارُ، وَلَا مَزَارَ، وَإِنَّمَا يَغْدُو الْجَنَانُ فَيَلْتَقِي^(٣) وَيَرْوُحُ

تقدير الكلام: وإنما يغدو الجنان ويروح فيلتقي، يعني أن قلبي يروح^(٤) في لقائه.

ولم يقل: تغدو القلوب؛ لأجل أنه لا يجعل كل واحد مسافر القلب إلى صاحبه، وإنما يقول: إن قلبي خاصة هو الذي يسعى في زيارته والالتقاء به.

وبعد، فإن المعنى على أربعة أوجه:

أحدها: أن يريد: أن المتنبى يتذكره فقط، فقلبه يقصده. ويجوز أن يقول: (نلتقي) فيثبت اللقاء لهما؛ لأجل أن قلبه إذا قصده، صار كل واحد يلقي صاحبه مشاهدة ومعاينة، وإن لم يكن كذلك.

(١) في الأصل (يوجي)، لعله تحريف لما أثبت.

(٢) بأن يتمادى وتكثر أسقامه، من اللجاج؛ وهو التماذي، وكثرة الأصوات واختلاطها. انظر اللسان (لجج).

(٣) رواية الديوان والشروح (فملتقي). وأرجو ألا يكون ذلك من أوهام الناسخ؛ لأن كلام الشارح، يحتمل الوجهين.

(٤) ويغدو أيضاً.

والوجه الثاني: أن يريد: أنه يتذكّرني، وأتذكّره أنا أيضاً، ولكنّ قلبي هو الذي يسير إليه. فدلّ بذلك على أن تذكّر هذا أقوى، حتّى كأنّ قلبه هو الذي يُنبّه قلبَ الحبيب.

والوجه الثالث: أن يكون الجنان مقصوداً به الجنس، فيكون لكلّ واحد منهما، فكأنه قال: يغدو [هذا] النوع منّا، ويروح، فيلتقي، حتّى كأنّ قلب الحبيب يخرج، وقلبه كذلك، فيتفق الالتقاء في الطريق.

126/ب والوجه الرابع: أن يكون / "يغدو" للمتنبي، و "يروح" للحبيب، فكأنه قال: يغدو الجنان منّي، ويروح منه، فيلتقي. أي: هو يقصد لقائي مرّة، وأقصد أنا أخرى.

ولو قال: يغدو جناني، لم يجز أن يكون لهما؛ إذ لا يقدر على أن يقول: يغدو جناني، ويروح جناني منه، كما تقول: يغدو الجنان منّي، ويروح منه.

(٦) وَفَشْتُ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ، وَشَفَّنَا^(١) تَعْرِضُنَا، فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ

المعنى: أنا كنّا نعرّض بالهوى، ولا نصرّح، فشفّنا التعريض، وأضنانا الثبات عليه، حتّى ظهر التصريح، ولاح المكنون^(٢).

ويجوز أن يريد: أنا عرّضنا بالهوى، ولم نصرّح لفظاً، ولكن ذلك التعريض شفّنا، فبان فيه أثر التكلّف، فصار التعريض تصريحاً، وإن [لم] نكن صرّحنا على الحقيقة^(٣).

والتصريح على القول الأول من لسانهم، وفي القول الثاني من لسان الحال.

(١) شفّه الهم: إذا أهزله، حتّى جعله كالشفّ: وهو الستر الرقيق. الصحاح (شفف).

(٢) هذا القول اختاره ابن جني من عدّة أقوال ذكرها في الفسر ٧٣١/١.

(٣) قال ابن جني -في أحد أقواله-: "يقول: لما عرضنا لك بهواك قام مقام التصريح منا لك" الفسر ٧٣١/١. وقال الواحدي: "ذكر ابن جني في هذا البيت أوجهاً فاسدة... ولم يقف على حقيقة المعنى، وهو أنه يقول: كتماننا هزلنا فصار الهزال صريح المقال، يعني أنه استدلّ بالهزال على ما في القلب من الحب، فقام ذلك مقام التصريح لو صرّحنا" شرحه ١٠٩.

وأرى أن ما ذكره الواحدي -والشارح من بعده- ما هو إلا بسط وتوضيح لما ذكر ابن جني!

ولا يكون هذا من قوله عز وجل: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١)، في أنه تقدّم في اللفظ ما هو متأخر في المعنى، حتى كأنك تقدّر: شَفَنَّا تعريضنا، فبدلاً لك التصريح، وفشت سرائرنا؛ لأجل أنك إذا فعلت ذلك، جعلت ما بعد الفاء مقدّماً عليه في النية، والفاء يقتضي الترتيب، فلا يجوز أن يقع قبله شيء، هو بعده في النية، ألا ترى أن أحداً لا يقول: رَوَيْتُ وَأَكَلْتُ فشربت^(٢) يريد: أَكَلْتُ فشربتُ ورويتُ، فأنت إذا قدّرت ذلك، كان "فشت" بمنزلة: رويت، وقوله: "بدلاً لك التصريح" بمنزلة: فشربت، "وشفنا تعريضنا" بمنزلة: وأكلت، فلا يجوز ذلك.

ولا يحسن أن يُقدّر: وشَفَنَّا تعريضنا وفشت سرائرنا إليك.

والكلام على ظاهره، ووجهه أنه إذا قال: وفشت سرائرنا، فكان مُجملاً، ثم ذكر جملةً تؤكّده وتفسّره، فقال: وشَفَنَّا تعريضنا فبدلاً لك التصريح^(٣)، كأنه قال: كان هذا، وكان هذا.

فإن أردت أن يكون الترتيب الذي وقع عليه الفعل، فتقول: أحسنت إليك اليوم وأجزلت عطائك، ثم الذي فعلت أمس أعظم من هذا، تريد أن تقول: اليوم أخبرك بهذا، ثم اسمع، أو ثم أقول: إن الذي فعلت [أمس] أكثر. فكذا يكون التقدير: وفشت سرائرنا إليك، ثم أقول: وشَفَنَّا تعريضنا، فبدلاً لك التصريح. فيجوز أن يكون (شفنا) متقدّماً في النية، كما كان قوله: الذي فعلت أمس، متقدّماً في الوقوع. ونحو ذلك كثير في التنزيل وغيره، فما تركنا ذكره [إلا] كراهة الإطالة.

(١) سورة آل عمران: ٤٣.

(٢) في الأصل (وشربت)، ولا يستقيم به مراد الشارح.

(٣) في الأصل (التعريض)، وفوقه بخط دقيق (التصريح)، وهو الصواب.

(٧) لَمَّا تَقَطَّعَتْ^(١) الْحُمُولُ^(٢) تَقَطَّعَتْ^(٣) نَفْسِي أَسَى، وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ

الطلوح جمع طُلَح: الشجر.

وترتيبه: لما تقطعت الحمول وكأنهن طلوح، تقطعت نفسي أسى. فالمعنى في التشبيه بالطلوح^(٣)، وأنها^(٤) تقطعت تقطع الأشجار.

و"أسى" مفعول له.

(٨) وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْخَبِيبِ مَحَاسِنًا حُسْنُ الْعَزَاءِ - وَقَدْ جُلِينَ - قَبِيحُ!

يروى: "حَسَنُ العزاء" على الصفة، و"حُسْنُ العزاء"^(٥) على المصدر.

فالتقدير في الأول: الحسن من العزاء قبيح، وفي الثاني: أَنَّ الحُسْنَ في العزاء قبيح، وهذا أبلغ، فكأنه يقول: إنه قبيح على كل حال، حتى إنه لو حَسَنَ، لكان حُسْنُهُ قبيحاً مردوداً، قال^(٦):

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

/وقال أيضاً^(٧):

أ/127

وقد كان يُدعى لِابِسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدعى حَازِمًا حِينَ يُجَزَعُ

(١) تقطعت، أي: تفرقت سائرة، أو سبق بعضها بعضاً. شرح الواحدي ١٠٩، وتفسير أبيات المعاني ٧١.

(٢) والحمول: الأحمال، وأراد بها الإبل وعليها الهوداج ومن فيها.

(٣) على عادة العرب في تشبيه الإبل وعليها الهوداج بالأشجار. شرح الواحدي ١٠٩، والتبيان ٢٤٦/١.

(٤) الضمير يعود على الحمول.

(٥) رواية (حُسْنُ) في التبيان ٢٤٦/١، والمنصف لابن وكيع ٢٧٥/١، ورواية (حَسَنُ) هي رواية الديوان وبقية الشروح.

(٦) محمد بن عبيد الله العتيبي، كما في الكامل ٥٥٥/٢، والوساطة ٢٩٠، والتبيان ٢٤٧/١، والمنصف لابن وكيع ٥٢٨/١، ومجموعة المعاني ٢٩٦.

(٧) هو أبو تمام، ديوانه ٩٤/٤.

وأحسن ذلك كله قوله^(١):

أَعْدَاءُ مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِهِيْنِ وَلَا الصَّابِرُ إِنْ أُعْطِيَ تَهْ بِجَمِيلِ

(٩) فَيَدُ مُسَلِّمَةً، وَطَرَفُ شَاخِصٍ^(٢) وَحَشَى يَذُوبُ، وَمَدْمَعُ مَسْفُوحٍ

قال: "مدمع مسفوح"، وإن لم يكن دمع^(٣)، بمعنى: أن العين تُسيل الدموع.

ويجوز أن يكون "يد" مبتدأ، و"مسلمة" خبراً، وإن كان كل واحد منهما نكرة؛ لأن الفائدة موجودة، وهو بمنزلة قوله: فاليد مسلمة، والطرف شاخص، والحشى يذوب، والمدمع مسفوح.

ويجوز أن يكون مسلمة صفةً ليد، وشاخص صفةً لطرف، وكذلك الباقي، ويكون الخبر محذوفاً، كأنه: فهناك [يد] تسلم، وطرف يشخص، وحشى يذوب، وعين تسيل.

(١٠) يَجِدُ الْحَمَامُ، وَلَوْ كَوَّجَدِي لَانْبَرَى^(٤) شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يُنُوحُ

التقدير: ولو وجد كوجدني لانبرى شجر الأراك وهو ينوح. أي: كأن الوجد يسري في الشجر حين تنوح الحمامة. "فينوح" منصوب الموضع على الحال.

(١١) وَأَمَقُّ، لَوْ خَدَتِ^(٥) الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ فِي عَرْضِهِ لَأَنَاخَ وَهُوَ^(٦) طَلِيحٌ

(١) هو عتي بن مالك العقيلي، انظر: شعراء بني عقيل وشعرهم ١٦٧/٢.

(٢) الشاخص: المتحير الذي لا يطرف مع النظر إلى الأعلى. الصحاح (شخص).

(٣) في الأصل (دمعاً)، ويبدو أن الشارح أراد أن (المدمع) هو مكان الدموع من العين، وإن لم يكن فيه دمع الآن. وقال الواحدي ١٠٩: "وأراد بالمدمع الدمع".

(٤) انبرى: اندفع.

(٥) الوخد: ضرب من السير السريع.

(٦) (وهو) كذلك هو في الفسر ٧٣٣/١، وشرح الكندي ١١٩. ورواية الديوان وبقية الشروح (وهي طليح). وأخشى أن تكون رواية الشارح محرفة لأن شرحه يدل على أن (طليح) من صفة الشمال.

الأمق: الطويل، وهو كناية عن المفاضة.

والمعنى: أنها من الطول والامتداد بحيث لو كان الشَّمالُ مركباً يخدي براكب لأنيحَتْ حسيْرةٌ مُعيَّيةٌ .

(١٢) نَارَغَتْهُ قُلُوصٌ^(١) الرِّكَّابِ، وَرَكْبُهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَاهُمْ التَّسْبِيحُ

"حداهم" مقصورٌ من الحُداء، والمعنى: أنهم كانوا يسبِّحون خوفاً، وكان ذلك منهم بمنزلة الغناء والترنيم الذي يكون [من] الحُداة.

وأخذ من قول دعبيل^(٢):

إِذَا اقْتَحَمَ الرُّكْبَانُ فِيهَا تَبَتَّلُوا فَمُسْتَغْفِرٌ مِنْ ذَنْبِهِ وَمُسَبِّحٌ

إلا أنه^(٣) أحسن: بأن [جعل] التسبيح واقعاً منهم مكان الحداء، فوجه المعنى، وأوفى الصناعة حقها.

(١٣) لَوْلَا الْأَمِيرُ مَسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جَشَّمتْ خَطَرًا وَرَدَّ نَصِيحُ

قوله: "رد نصيح" شريك "جشمت" في النفي. [كأنه] قال: وما ردَّ النصيح الذي يقول: لا تركب هذه المفاضة، ولا تُقدِّم على الخطر.

(١) القلوص: جمع قلووص وهي الناقة الفتية. والمنازعة: التعاطي والمجادبة. وفسرها ابن جني في البيت فقال: "أي: أخذت منه بقطعي إياه، وأعطيته ما نال من الركاب". الفسر ١/٧٣٥. وتعقبه الواحدي فقال: "ليس المعنى على ما قال؛ لأن القلوص هي المتنازع فيها، فالبلد يفنيها ويأخذ منها، وهو يستبقها، والمعنى: أني أحبُّ إبقاءها والبلد يحبُّ إفناءها" شرحه ١١٠.

(٢) دعبيل بن علي الخزاعي، شاعر عباسي. والبيت في ديوانه ٥٥ (محمد نجم).

(٣) أي المتنبي.

(١٤) وَمَتَى وَنْتَ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ أُمُّهَا^(١) فَاتَّاحَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتِيحُ

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون "أتاح" دعاءً، فكأنه قال: متى قصرت والممدوح قصد [ها]، فلا سلّمت ولا راكبها.

وإنما [دعا] على نفسه بتقصيرها^(٢)؛ لأجل أنها [إذا] قصرت كان ذلك يتعلق به أيضاً، من حيث إنّه لم^(٣) يحثّها على السير. أو يقول: إنها إذا قصرت كان ذلك شقاوةً، وتعود عليّ، وقد جربت العادة بأن الإنسان إذا أفضى به الحال إلى ضدّ السعادة أخذ يدعو على نفسه.

والوجه الثاني: أن يكون فيه تقدير (قد)، كأنه قال: ومتى ونّت فقد أتاح لها ولي الحمام متيح، أي: كان ذلك مثل الموت؛ لأن الانقطاع عنه كالانقطاع عن الحياة.

(١٥) شِمْنَا- وَمَا حَجَبَ السَّمَاءَ- بُرُوقَهُ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتَهُ الرِّيحُ^(٤)

"السّماء" منصوبة، وكذا "بروقه"، وفي "حجب" ضمير للممدوح. فكأنه: شِمْنَا بُرُوقَهُ وما حجب / هو السّماء. يعني أن بروقه ليس كبروق السّماء التي تلمع إذا لبس الجوْثوب الغمام.

127ب

(١) الّأم: القصد، وأراد به المقصود. التبيان ١/٢٤٩.

(٢) أي: بسبب تقصيرها.

(٣) في الأصل (ان).

(٤) شام البرق: نظر إلى سحابه أين يمطر. وحرى: حقيق وخليق. ومرته: استدرته.

والشطر الأول مما اختلفت الشروح في ضبط ألفاظه، وفي تقصي ذلك طول.

ثم قال: "وحرى وجود وما مرته الريح"، وهو على تقديرين:

أحدهما: - وهو ظاهر اللفظ - كقولك^(١): وحرى^(٢) أن وجود وما مرته الريح، كما تقول: هو جدير أن يفعل كذا، ومثله قول زهير^(٣):

حتى إذا قبضت أولى أظافيره منها، وأوشك بما لم تخشهُ يَقَعُ^(٤).

الأصل: وأوشك بما لم تخشهُ أن يَقَعُ، [ثم] حُذِفَ (أَنْ).

والأصل: حرى بأن وجود، ثم يُحذف الجار على العادة، ثم يُحذف أَنْ، ويُرفع الفعل على العادة. وليس في هذا ضرورة؛ لأنَّ حذَفَ (أَنْ) كثيراً في الكلام، كقولهم: "مره يحفرها"^(٥)، والأصل: أَنْ يحفرها.

والوجه الثاني: أن يكون "حرى" حالاً متقدِّمةً، فكأنه قال وجود حرياً وما مرته الريح، فكأنه: وجود حرياً بالوجود مع أنَّ الريح لم تمره.

والضمير في "مرته" يجب أن يعود إلى الممدوح؛ لأنه يجعل له برقاً، ويجعله سحاباً يفيض بالوجود، فيقول: إنه ليس من البرق الذي تغيم له السماء، ولا السحاب الذي يُستخرج ماؤه^(٦).

(١) في الأصل (قولك).

(٢) وحرى هنا خبر مبتدأ محذوف تقديره (هو)، كما يدل عليه مثاله الذي نظر به (هو جدير...).

(٣) ديوانه بشرح ثعلب: ٢٤٤.

(٤) يصف الشاعر مطاردة صقر لقطاة.

(٥) انظر: الكتاب ٩٩/٣، وسر صناعة الإعراب ٢٨٥/١.

(٦) بالريح مثلاً.

(١٦) مَرْجُوْ مُنْفَعَةٍ، مَخُوفٌ أَذِيَّةٍ مَغْبُوقٌ كَأْسِ مَحَامِدٍ مَصْبُوحٌ^(١)

"مرجوٌ منفعةٍ" كقولهم: مررت برجلٍ حسنٍ وجهه^(٢)، والأحسن: الوجه^(٣)، ومرجوٌ المنفعة، بالتعريف. وهذا -أيضاً- حسنٌ، من ذلك بيت الكتاب^(٤):

أَلَكْنِي إِلَى قَوْمِي السَّلَامَ رِسَالَةً بَأْيَةٍ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَلَا عُزْلًا^(٥).
وَلَا سَيِّئِي زَيٍّ إِذَا مَا تَلَبَّسُوا إِلَى صَاحِبِ^(٦) يَوْمًا مُحَيَّسَةً بُزْلاً^(٧)

فسيِّي [زَيٍّ] بمنزلة: حسنٍ وجهه.

و[الأصل]: مغبوقٌ كأسٍ محامدٍ مصبوخُها، وحُذف؛ لدليل الحال عليه. ولا يحسن حسنَ هذا أن تقول: مررتُ برجلٍ أسيلَ الحَدِّ حَسَنٍ؛ لأجل أنه لا يُعلم هناك: أتريد أن تقول: حَسَنِهِ -أي: حَسَنِ الحَدِّ- أم تريد: حَسَنٍ على الإطلاق؟ وهنا نعلم -ضرورةً- أنَّ المعنى: مصبوخُها؛ لأنَّ صاحبَ الكأس لا يُوصف بالمصبوخ^(٨)، كما يوصف كلُّ واحدٍ من الوجه وصاحبه بالحسن. وذا النحو شائعٌ.

(١) المغبوق: الذي سقى الغبوق (وهو شراب العشي)، والمصبوح: الذي سقى الصبوح (وهو شراب الغداة). التبيان ٢٥٠/١.

قال الواحدي (١١٠): "وحقُّه أن يقول: مغبوقٌ بكأسٍ محامدٍ، فحذف الباء، وأضاف المغبوق إليه، وليس بالوجه، والمعنى: أنه يُحمد في كلِّ وقتٍ، فكأنه يُسقى كأسَ المحامد غبوقًا وصبوخًا".

ويفهم من عبارة الشارح أن الممدوح هو الذي يسقي الناس بكأسٍ محامده وآلئه غبوقًا وصبوخًا. فهو مغبوقُ الكأس ومصبوخُها، مثلما نقول: مشروبُ الكأس.

(٢) لأنَّ الوصف المشتقَّ فيهما مضافٌ إلى النكرة.

(٣) أي: مررت برجلٍ حسنٍ الوجه.

(٤) الكتاب ١٩٧/١، وقالهما عمرو بن شأس، شعره: ٩٠ (الجبوري).

(٥) ألكني: بلغ عني، من الألوكة وهي الرسالة. والعزل: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه.

(٦) في المصدرين السابقين (حاجة).

(٧) المخيصة: الإبل المذلة للركوب. والبزل: جمع بازل، وهو المسنن من الإبل.

(٨) لأنه هو الذي يسقي الناس، ولا يحتاج إليهم.

(١٧) حَنِقُ عَلَى بَدْرِ اللَّجِينِ^(١) وَمَا أَتَتْ
هَذَا كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ^(٢):

قَاسِي الضَّمِيرِ عَلَى التَّلَادِ كَأَنَّمَا يَعْدُو^(٣) عَلَى تَفْرِيقِ مَالٍ مَذْنَبٍ

وقد زاد عليه بقوله: "وعن المسيء صَفُوحٌ" ونفى عن البدر الإساءة -أيضاً-
تصريحاً، ونفاها البحتري تلويحاً من حيث قال: (كأنما).

وقد عكس المتنبي الطريقة في قوله^(٤):

أَيَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ، فَهَذَا فَعْلُهُ بِالْكَتَائِبِ
لَعَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلْتَ فُوَادَهُ عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشُ مُحَارِبِ

فأثبتت للمال ذنباً يوجب قصد الممدوح إيّاه بالهلاك، ثم تلطف فجعل ذلك الذنب
شغلاً عن الجود! وأحسن ما شاء!.

(١٨) لَوْ فَرَّقَ الْكَرْمُ الْمَفْرُقَ مَالَهُ^(٥) فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الرِّمَانِ شَحِيحُ

نصب "ماله" "بالمفروق"، وجعل التفريق للكرم؛ لأنه يدعو إلى ذلك.

(١) اللجين: الفضة. والبدر: جمع بدرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو تسعة آلاف دينار.
القاموس (بدر).

(٢) ديوانه ٢٨٤/١، يمدح أبا صالح بن يزداد.

(٣) رواية الديوان (يغدو).

(٤) مضى في صفحة: ٥٤٨.

(٥) الرواية المثبتة في متن الديوان (٦١): (لَوْ فَرَّقَ الْكَرْمُ الْمَفْرُقَ مَالَهُ)، وأشير إليها في معجز أحمد ٢٤٦/١،
والتيبان ٢٥٠/١.

/ومثله قول منصور^(١):لَوْ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمَ هُ
أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سَمَحًاوقال أبو تمام^(٢):لَوْ اقْتَسِمَتْ أَخْلَاقُهُ الْغُرْلُ لَمْ تَجِدْ
مَعِيًّا، وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبًا.(١٩) أَلَعَتْ^(٣) مَسَامِعُهُ الْمَلَامَ، وَغَادَرَتْ
سَمَةً عَلَى أَنْفِ اللَّيْنَامِ تَلُوحُجعل المسامع تاركة السمة على أنف اللئام؛ لأجل أنها تنفي الملام الواقع على ما
يعمر أركان المعالي، وتوضح وسم التقصير والقصور على أنوف ذوي اللؤم.(٢٠) هَذَا الَّذِي خَلَبَتِ الْقُرُونُ وَذَكَرُهُ
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحُيقول: لم يزل على ما نشاهد فيه من الفضل، فمضت القرون وقد أرخوا بمحاسنه^(٤).ويجوز أن يريد أن جميع ما تضمنته كتب القرون الماضية من أوصاف الكرم
وسجايا الفضل وصار مما يمدح به، لم يوجد على الحقيقة، وبصيغة التمام والكمال،
وصفوا، إلا فيه وبه^(٥).

(١) منصور بن إسماعيل الفقيه. والبيت في شعره: ٩٠ (عبد المحسن القحطاني).

(٢) ديوانه ١٤٣/١، يمدح الحسن بن سهل.

(٣) رواية ابن جني: (أَلِفَتْ) من الألفة. الفسر ٧٣٩/١.

قال الواحدي في معنى البيت على الروایتين: "أي: جعلته لغوا ساقطاً لا يبالي به. وروى ابن جني
(أَلِفَتْ)، أي: لكثرة ما سمعت اللوم ألفتة، وغيره من الناس أطاعوا اللائم، فصاروا لناماً يرى
عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الأنف" شرحه ١١١، وانظر: التبيان ٢٥١/١.(٤) فيكون هذا من باب تنزيل المستقبل منزلة الماضي؛ لتيقن حصوله!. ونقل نحوه صاحب التبيان
٢٥٢/١ عن شخص لم يسمه.(٥) ذكر هذا الوجه الواحدي، وزاد عليه، فقال: "ويجوز أن يريد أنه المهدي الذي ذكر في الكتب
خروجه". شرحه ١١١.

(٢١) أَلْبَابُنَا بِجَمِّهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ^(١)
(٢٢) يَغْشَى الطَّعَانُ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ مَكْسُورَةٌ وَمِنْ الْكُمَاةِ صَحِيحٌ.

الأجود أن يكون في الكلام خبرٌ مبتدأً محذوفٌ، كأنه: لا يردُّ قناته وهناك صحيحٌ من الكُماة. ويجوز أن يكون "صحيح" مبتدأً، و"من الكُماة" خبراً، كما تقول: لا يردُّ قناته مكسورةً، وفي الكُماة صحيح.

والمعنى: أنه يكسر الرماح فيهم. وهم يتمدحون بكسر الرماح في الحرب؛ لأنه يدل على قوة الطعن وكثرته^(٢)، قال البحري^(٣):

قَوْمٌ إِذَا جَرُّوا الرِّمَاحَ تَكْسَرُوا غَيْظًا إِذَا رَجَعَتْ وَلَمْ تَتَكَسَّرِ.

(٢٣) وَعَلَى الثُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحٌ^(٤)
(٢٤) يَخْطُو الْقَتِيلُ إِلَى الْقَتِيلِ: أَمَامَهُ رَبُّ الْجَوَادِ، وَخَلْفَهُ الْمَبْطُوحُ

قال أولاً: "يخطو القتيلى إلى القتيلى"، بمعنى: أنه يقتل واحداً بعدَ واحدٍ، فيخطى من قتيلى إلى قتيلى، ثم فسّر ذلك فقال مُبتدئاً: "أمامه [ربُّ الجواد] وخلفه المبطوح"،

(١) ويروى (مصفوح)، أي: مردود معرض عنه. النظام ق/٥٢٦.

قال الواحدي: "يقول: عقولنا مغلوبة بجماله، فنحن متحIRON في جمالٍ لم نر مثله. وزاد نواله على أمطار السحاب، حتى فضح نوال السحاب". شرحه ١١١.

(٢) لم ير الواحدي لقوله: (مكسورة) قيمةً معنويةً، وإنما هو صنعة لفظية، قال: "وقوله: (مكسورة) حشو، أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح؛ لأنه لا فائدة في أن تردّ القناة مكسورة، ولو ردّها صحيحة لم يلحقه نقص". شرحه ١١١، وتابعه صاحب التبيان ٢٥٢/١.

وما ذهب إليه الشارح أولى، لأنه يجعل المعنى أشدّ مبالغة؛ إذ الكسر دليل على كثرة الطعن، مما يعطى لفظ (مكسورة) قيمةً معنويةً في السياق، مع ما يحصل به من الطباق.

(٣) مرّ في صفحة: ٤٨٩.

(٤) (على) متعلق بقوله (يغشى). معجز أحمد ٢٤٧/١.

(٥) المعنى: أنه يغشى الطعان والأرض قد لبست من دمائهم ثياباً حمراً، ولبست السماءُ مُسوحاً سوداً. الفسر ٧٤١/١.

بمعنى أن الرجل يكون أمامه على الجواد، فإذا دنا منه أذراه^(١) عن فرسه، وبطّحه، وقصدَ غيره، فيكون المبطوحُ خلفه، فهو على ذا أبدأ، لا يكون ربُّ الفريس إلا أمامه ولا يكون خلفه إلا المبطوحُ؛ لأنه لا يتجاوز ربَّ الجواد؛ الذي يكون أمامه؛ وهو باقٍ على فرسه.

(٢٥) فَمَقِيلٌ^(٢) حُبٌّ مُجَبِّهٌ فَرِحَ بِهِ وَمَقِيلٌ غَيْظٌ عَدُوٌّ مَقْرُوحٌ

كُنِيَ عن القلب بالمقيل، كما قال الآخر^(٣):

حَنِينٌ وَيَأْسٌ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ مَقِيلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ!

(٢٦) يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَيْتُ

في "يخفي" ضميرٌ للعدو، فكأنه: يخفي العدو العدَاوةَ خوفاً، وهي لا تخفى، فإن العين تنطق بما يُكنه القلب، كما قال^(٤):

العينُ تُبدي الذي في قلبِ صاحبها مِنَ الْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ كَمَا كَانَا
وَالْعَيْنُ تَنْطَلِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ تَبْيَانَا

(٢٧) يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدٌ كَابِنِهِ شَرَفًا، وَلَا كَالْجَدِّ ضَمَّ صَرِيحُ

128/ب /الابن في قوله: "كابنه" هو الممدوح، وهو نوع من وضع الظاهر موضع المضمّر، كقولك: يا صاحب السيف الذي صاحبه منقطع القرن.

(١) أذراه عن فرسه: إذا طعنه فرمى به. أساس البلاغة (ذرى).

(٢) المقيل: اسم مكان من قال يقيل، إذا نزل بالمكان عند القيلولة.

(٣) هو مسلم بن الوليد، ديوانه ٣٤١، وروايته فيه: (بكاء وكأس كيف يتفغان، سبيلهما ...)، وأشار محققه إلى رواية الشارح. وهذا البيت ضمن أبيات أخرى، أنشأها الشاعر بعد موت زوجته.

(٤) بلا نسبة في البيان والتبيين ٧٩/١.

والكاف يجوز أن يكون اسماً، فكأنه: يا ابن الذي ما ضمَّ بردٌ مثل ابنه، ولا ضمَّ ضريحٌ مثل الجدِّ. ويجوز أن يكون حرفاً فيجب تقدير مفعولٍ، كأنه: ما ضمَّ إنساناً كابنه، ولا أحداً كالجدِّ.

فإن قلت: إنك تقول: ضربت زيدا وجهه واليدَ، فتحذف العائد من الثاني لدليل الأول عليه، فيكون التقدير: واليدَ منه، وقوله: "ولا كالجدِّ" - إذا حُمِلَ على ظاهره - [كان] كقولك: يا ابن الذي ما ضمَّ برد كابنه، ولا كجدِّه ضمَّ ضريح، فيعود الضمير فيجدِّه إلى "الذي" وهو كناية عن والد الممدوح، والحال يقتضي مدح جدِّ الممدوح لا جدِّ أبيه! وإذا اقتضى المعنى كون الجدِّ جدَّ الابن لا جدَّ الأب، لزمنا أن نقدر: ولا ضمَّ ضريح كالجدِّ منه، نعيد الهاء في (منه) إلى الابن في قوله: "كابنه" ولا نعيده إلى "الذي" الكائن كنايةً عن الأب، وذلك بمنزلة أن تقول: يا ابن الذي ليس لابنه نظير، ولا ضمَّ ضريح كالجدِّ منه، وهذا لا يجوز، لأمرين:

أحدهما: أنك^(١) تقول: ضربت يده والوجهَ، ولا تقول: منه؛ لأن تقدُّم ذكر يده يدلُّ على أن هذا [منه]، كما أن تقدُّم منطلقٍ في قوله: زيدٌ منطلقٌ وعمرو، يدلُّ على أنه خبرُ عمرو أيضاً.

فإن أردتَ الوجهَ من غيره وجبَ أن تذكر، فتقول: ضربت يده والوجهَ من زيدٍ، كما أنك إذا أردتَ - هنا - خبراً^(٢) وجبَ أن تنطق به فتقول: زيد منطلقٌ وعمرو قاعداً.

والثاني: أن قوله: "ما ضمَّ برد كابنه" صلة "الذي"، وقوله: "ولا كالجدِّ ضمَّ ضريح" معطوف عليه، ولا يجوز أن يعطف على الصلة ما يكون أجنبياً منها، فلا تقول: الذي ضربته اليومَ وخرج عمرو أمس منطلقاً^(٣)؛ لأن قولك: (وخرج عمرو) أجنبى من

(١) في الأصل (ان).

(٢) أي: خبراً مغايراً للمتقدِّم.

(٣) (منطلق) خبر (الذي).

الذي والصلة، وإنما يجوز ذلك إذا تعلّق بالصلة بوجه، نحو أن تقول: الذي ضربته فخرج عمرُ منطلقاً، تريد أن خروجَ عمرٍ، كان بسبب ضربه لهذا المذكور.

وإذا كان الجدّ لغير "الذي" - بمنزلة أن تقول: يا ابن الذي ما ضمّ برد كابنه، ولا كالجـد منك ضريح - كان بمنزلة قولك: الذي ليس كغلامه ولا زيدٌ كصاحبك منطلقاً، وهذا في الفساد كقولك: الذي زيدٌ كصاحبك^(١)! لأنّ ما يقع في الصلة يجب أن يكون ملتبساً بها.

فالجواب: أن الأمر في الظاهر كما زعمت، غير أن التحقيق يُملّك المتنبّي عنان الحق.

أمّا الجواب عن الوجه الأول فهو أنه وإن [لم] يجز أن تقول: ضربت يده والوجه، تريد من غيره، فإنّه جاز ههنا أن تقدّر: يا ابن الذي ما ضمّ برد كابنه ولا كالجـد منه، تعيد الهاء في منه إلى ابنه في قوله: "كابنه" وهو المخاطب في قوله: "يا ابن" ثم تحذف (منه)، من حيث إنه لا يلتبس؛ إذ يعلم أن الجدّ منسوب إلى الابن، وليس بمنسوب إلى الذي (المراد به الأب) من حيث إن الأب لا يكون له جدّاً. وليس كذا: ضربت يده والوجه، وأنت تريد من غيره؛ لأنّ ذلك ما لا دليل عليه.

وأمّا الجواب / عن الاعتراض الثاني فهو: أنه يجوز أن يعطّف قوله: "ولا كالجـد ضمّ ضريح" على قوله: "ما ضم برد كابنه"، وإن لم يكن قوله: "كالجـد" [للذي]؛ لأنه إذا كان لابنه كان في المعنى عائداً إليه، حتى كأنه قال: يا ابن الذي ما ضم برد كابنه ولا كأب ضم ضريح، بمنزلة: ولا كالوالد؛ لأن جدّ ابنه والد الأب، فيعود في المعنى إلى نحو قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) وذلك أن المتقي^(٣) لما

129/أ

(١) منطلق: مثلاً.

(٢) سورة يوسف ٩٠.

(٣) وكذلك الصابر.

كان من المحسنين جَرَى كالجِزء منهم^(١). نريد أن الجَدَّ^(٢) في المعنى بمنزلة ولا كالأب، بغير شبهة^(٣). فاعرفه؛ فإنه واضح، وذا النحو واسع، سيّما في التنزيل.

ولا يجوز أن تقول: إن قوله: "ولا كالجدّ ضمّ ضريح" غير معطوفٍ على الصلة (التي هي: "ما ضمّ برد كابنه") لأجل أنك إذا قدرت ذلك وجب أن تضع بدل الموصول ما^(٤) يجوز العطف عليه، فإن صحَّ وإلا فتقديرك خطأ، وذلك أن تقول: يا ابن المنجب ولا كالجدّ ضمّ ضريح، وذا باطل؛ لأن النداء وإن كان في الأصل جملةً، فإنه قد أخرج^(٥) من أحكام الجمل؛ لزوال الفعل من الاستعمال، فإذا قلت: يا زيد، لم يجز أن تقدّر العطف عليه، نحو: يا زيد وأكرمك، كما تقول: أدعوك وأكرمك، وكذلك لا يجوز أن يكون قوله: "ولا كالجد ضمّ ضريح" معطوفاً على قوله: [يا ابن الذي].

ولو لم يرد العطف على الصلة لوجب أن يقول: يا ابن الذي ما ضمّ برد كابنه، ما كالجد ضمّ ضريح، فيأتي بكلام مبتدأ عارٍ من حرف العطف. فاعرفه.

(٢٨) نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُنِلَ النَّدَى هَوُلٍ إِذَا اخْتَلَطَا: دَمٌ وَمَسِيحٌ^(١)

(٢٩) لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ أَوْ كُنْتَ غَيْثًا صَاقَ عَنْكَ^(٢) اللُّوْحُ

(١) إذ جاء الجواب؛ لبيان أجر المحسنين. وفي الأصل (منه) بدل (منهم).

(٢) في الأصل (الابن)، ولعله وهم.

(٣) في الأصل (شبه).

(٤) في الأصل (ما لا يجوز)، ولا يستقيم به الكلام.

(٥) في الأصل (أجري)، لعل صوابه ما أثبت.

(٦) المسيح: العرق؛ لأنه يمسح عن البدن. وقوله: (اختلطاً دمٌ ومسيح) جاء به على لغة: أكلوني

البراغيث. والمعنى: أنك عظيم العطاء إذا سئلت، عظيم الهول والإخافة لأعدائك إذا حمى وطيس

المعركة. انظر: التبيان ٢٥٤/١.

(٧) في الأصل (منك)، وأثبت ما في الديوان والشروح.

"اللُّوح": الهواء^(١).

(٣٠) [وَحْشِيْتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا مَا كَانَ أَنْذَرَقَوْمَ نُوحٍ نُوحٌ]^(٢)

وكان الأعرف أن يقول: ما كان أنذر قومه، إلا أن وضع الظاهر موضع المضمّر. إذا لم يكن اللبس^(٣). - حَسَنٌ جيدٌ، كما قال^(٤):

فإن لا تك المرأة أبدت وسامةً فقد أبدت المرأة جبهةً ضيغم

فأنت تعلم ضرورة أنه لا يريد مرأةً مخصوصةً (حتى ليس يقال: هذا ذاك) وإنما يعني: فإن لا يكن النوع^(٥). وكذلك "نوح" الثاني ليس إلا الأول، سيّما وقد ذكر الإنذار^(٦). وهذا النحو شائع.

(٣١) عَجَزٌ بِحُرِّ فَاقَةٍ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ

يجوز أن يكون "عجز" مبتدأ، و"بحر" صفةً له، و"فاقة" خبراً.

يدلّك على جوازه أنك تدخل (إنّ) فتنبه، فتقول: إنّ عَجَرَ الحَرِّ فَاقَةً، وإنّ عَجَزًا ظاهرًا بِحُرِّ فَاقَةٍ.

ويجوز أن يكون "فاقة" مبتدأ، كما تقول: إنّ فَاقَةً عَجَزٌ بِحُرِّ، والحال هذه.

(١) أي: الفضاء.

(٢) سقط هذا البيت من يد النّاسخ، والشرح يدلّ عليه، ولذا رفعته إلى المتن.

(٣) أما مع وجود اللبس، فهو واجب.

(٤) الخنجر الأسدي، كما مرّ في صفحة: ١٠١٣.

(٥) أي: هذا النوع.

(٦) لأنّ الإنذار من خصائص الرسل والأنبياء عليهم السلام.

(٣٢) إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍّ^(١) بَعْظَمِي عَائِدٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ^(٢) الْمَمْدُوحُ

"بعظمي" معمول "عائد"، كأنه شخصٌ عائدٌ بعظمي من أن أسيرَه إلى مَنْ سِوَاكَ، وأنشَرَحَلَّه على مَنْ عداكَ، فكأنه قال: مَنْ أَنْ يَكُونَ غَيْرُكَ ...

(٣٣) وَذَكِي رَائِحَةِ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَيْفُوحُ^(٣)

(٣٤) / جَهْدُ الْمُقْلِ، فَكَيْفَ بَابِن كَرِيمَةٍ تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحٌ؟ ١٢٩

ب/129

"ذكي رائحة الرياض" مبتدأ، و"كلامها" خبر، ثم ابتدأ يفسر المقصود، فقال: "تبغي الثناء على الحيا فيفوح". ثم قال: "جهد المقل" مستأنفاً، فهو خبرٌ مبتدأٌ محذوف، كأنه: ذاك [جهد] المقل، فكيف بابن كريمةٍ توليه خيراً ولسانه فصيح؟

(١) الشجي: الحزين.

(٢) (سوى) إذا كسرت سينها قصرت، وإذا فتحت مدّت. المقصور والممدود لابن ولاد: ٥٤.

(٣) (فيفوح) بالياء، هو كذلك في الفسر ١/٧٤٥، وشرح الكندي ١٢٢، وفي الديوان وبقية الشروح (فيتفوح). قال الواحدي: "يقول: الرائحة الطيبة من الرياحين بمنزلة الكلام لها، تطلب بذلك أن تشني على المطر الذي أحيّاها، فتفوح روائحها بالثناء على المطر". شرحه ١١٣.

(٤٢)

وقال على قافية الحاء - أيضاً - وهجا بها قومًا في صباه^(١)، فقال:

(١) أَنَا عَيْنُ الْمُسَوَّدِ الْجَحْجَاحِ^(٢) هَجَّتْنِي^(٣) كَلَابُكُم بِالنَّبَاحِ

(٢) أَيْكُونُ الْهَجَانُ غَيْرَ هَجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصَّرَاحُ غَيْرَ صَرَاحٍ^(٤)؟

"الهجان" جمع هجين^(٥)، الذي [أبوه أشرف من أمه. وإن جعلته بمعنى الكريم كان] فعالٌ مفردًا، ثم يجمع على فِعالٍ، كَشِمَالٍ وشمَالٍ^(٦).

و"الصَّراح": جمع صريح.

(١) في الديوان والشروح الأخرى: (وقال لرجل بلغه عن قوم كلامًا).

(٢) عين الشيء: نفسه وحقيقته. والمسود: المتفق على سيادته. والجحجاح: السيد العظيم. الفسر ١٦٤/٢، والتبيان ٢٤٢/١.

(٣) أي: نسبتني إلى الهجنة. ويروي (هيجتني)، أي: أثارني وأغضبتني. وهي رواية الديوان، وتشير إليها أغلب الشروح.

(٤) الصراح: الخالص من كل شيء.

(٥) قال الواحدي: "ذكر حاكمنا أبو سعيد بن دوست في تفسير هذا البيت أن الهجان جمع هجين. ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة، وإنما جمعوا الهجين هُجْنًا وهُجْنَاء. والهجان إنما يذكر في خلوص البياض والنسب، وهو من صفات المدح...". شرحه ٨٥.

وتعقبه ابن المستوفي، فقال: "هذا الذي رده الواحدي على أبي سعيد لا وجه لرده، وله معنى مستقيم. ولا يبعد أن يريد بالهجان هنا جمع هجين... ليكون المعنى أتم؛ لمقابلة كل واحد من الهجين والصريح بضده... على أن أبا سعيد وإن لم يساعده السماع في جمع هجين على هجان فقد ساعده القياس، قالوا: شريف وشراف وكريم وكِرام ولثيم ولثام وظريف وظِراف ومثله كثير. وقال أبو البقاء: الهجان فيه وجهان: هذا الذي أبوه أشرف من أمه. والثاني: هو الأبيض. وهو هنا جمع هجين؛ لأنه قابل به الصريح". النظام ق/ ٥١٨. قلت: وهذا التفسير منقول عن الشاعر نفسه، فقد جاء في إحدى نسخ الديوان: "قال أبو الطيب: الهجان جمع هجين، والصراح جمع صريح". الديوان ٥٠.

(٦) أي: أن جمعه ومفرده على لفظ واحد. وانظر: الفسر ٧٢٠/١، والقاموس (شمل).

فكأنه قال: أَيْكون اللئيمُ غيرَ لئيمٍ، أم يكون الكريمُ غيرَ كريمٍ، أي: أنَّ الشيء هو على ما كان عليه في أصله كَرَمًا ولُؤْمًا. وَمَنْ اعترضه الشكُّ في ذلك فَمِنْ جهله. ثُمَّ فسَّره:

(٣) جَهْلُونِي، وَإِنْ عَمِرْتُ^(١) قَلِيلًا نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُؤُوسُ^(٢) الرِّمَاحِ^(٣)

(١) عمر - بكسر الميم وفتحها - : إذا طال عمره. الفسر ٧٢١/١، والقاموس (عمر).

(٢) رواية التبيان ٢٤٢/١ (صدر) وهي الرواية المثبتة في متن الديوان ٥٠، وأشار محققه إلى رواية (رؤوس)، والروايتان في النظام ق / ٥١٨، ٥١٩. ورواية الشروح الأخرى موافقة لرواية الشارح.

(٣) أي: إذا رأوا فتكي بهم وحسن بلائي عرفوا كرم أصلي ونسبي. شرح الواحدي ٨٦.

(٤٣)

(١) ^(١) يَقَاتِلْنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّالَاحِ
(٢) لَاَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرْفِي بَعِيدُ بَيْنُ^(٢) جَفْنِي وَالصَّبَاحِ

يقول: إن الليل يحب أن يكون [عدوي] مناكدةً وكراهةً لظفري بما أحبه، ثم قال: "ومنصرفي له أمضى السلاح"، بمعنى: أن انصرافي يقويه عليّ ويمكنه من إيذائي، ثم قال: "لأنني كلما فارقْتُ طرفي" فجعل الممدوح كطرفه، وزعم أنه إذا فارقه فكأنه قد فارق ناظره وبصره. و[من] يفارق مُقلنته خليقٌ بأن يكون الصباحُ بعيداً عن جفنه!. و"بين" مرفوع "ببعيد" ^(٣)، واتسع في الظرف فرفعه، والمعنى على قولك: بعيد ما بين جفني، كما أن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ^(٤) بمعنى: تقطع ما بينكم، جعل البين فاعلاً على قولهم: صامَ نهارك ^(٥). و"بعيد" رُفِعَ بأنه خبرُ أن.

(١) * دُكر في المصادر أنه قال هذين البيتين عندما أراد الانصراف من مجلس ابن طغج.
(٢) وفي الديوان (بين) بالنصب. والنصب على الظرفية: إما بتقدير فعل، كأنه قال: يبعد وقت بين جفني... أو على إضمار (ما)، والتقدير: بعيد ما بين جفني والصباح. اللامع العزيري (٢٤٧/١)، والتبيان ٢٥٧/١.

(٣) على أنه فاعل له. أو على أنه خبر، وبعيد مبتدأ.
(٤) سورة الأنعام: ٩٤. وقرأ بالرفع (بينكم) ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر، وحمره. وقرأ بالنصب نافع، والكسائي، وعاصم في رواية حفص. كتاب السبعة ٢٦٣.
(٥) هذا ما يسمى - في البلاغة - بالإسناد المجازي للعلاقة الزمانية.

(٤٤)

وتأخر مدحه عن سيف الدولة، فتعَبَّ عليه، فقال متعذراً^(١):

(١) بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تُحِبِّي الْقَرَارُخَ^(٢) وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ

(٢) وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ

كأنه: ومن ذا الذي يرضيك غير من تسامحه، فتقول: قد رضى عنك وبرأتك من التقصير.

(٣) وَقَدْ تَقَبَّلَ الْعُذْرَ الْخَفِيَّ تَكْرُمًا فَمَا بَالُ عَذْرِي واقفاً وهو واضح

"واقفاً" حال من "عذري"، والعامل فيه "ما بال". وقوله: "وهو واضح" حال من الضمير في "واقفاً"، كأنه: ما بال عذري واقفاً^(٣) في حال وضوحه.

(٤) / وَإِنْ مُحَالًا - إِذْ بَلَكَ الْعَيْشُ - أَنْ أَرَى وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِي صَالِحُ

130/أ

ترتيب الكلام أن يقول: أن أرى وهذه [الحال] محال؛ لأن العيش بك. وكيف تحصل السلامة إذا سَقَمَ سببُ العيش؟.

[ولا يجب أن يكون "أن أرى" اسم إن؛ لأنه معرفة، و"محالاً" نكرة]؛ لأن هذا يجوز^(٤)؛ لأن المعنى مفهوم. ويزيد في حسنه أن محالاً - هنا - وإن كان نكرة، فإنه يجوز أن يُشار به

(١) عند ابن الإفيلي ١٧٠/٢ "ودخل عليه يوماً يعود من علة وجدها، وقد كان عاتباً عليه لتأخر مدحه عنه".

(٢) القرائح، جمع قريحة وهي خالصة طبيعة الإنسان، أي: أفكاره ومشاعره. انظر: الفسر ٧٢٧/١، والتبيان ٢٤١/١.

(٣) وعني بالوقوف هنا عدم القبول. الفسر ١٦٢/٢.

(٤) قال الكندي: "جعل اسم إن نكرة، وخبرها معرفة، وقد جاء عنهم مثل هذا كثيراً" شرحه ٥١٩. وقال صاحب التبيان: "جعل اسم إن نكرة للضرورة؛ لأنها تدخل على المبتدأ والخبر، ولا يجوز أن يكون المبتدأ نكرة إلا في مواضع معروفة، ليست هذه منها" ٢٤١/١.

إلى الجنس، فكأنه: وإن المحال أن يكون كذا، ألا تراك تقول: ما محالٌ ألا يخرج؟ لا تريد محالاً واحداً، تريد: ما المحالُ إلا ذاك.

(٥) وَمَا كَانَ تَرْكُ الشَّعْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ تَقَصَّرُ عَنْ وَصْفِ^(١) الْأَمِيرِ الْمَدَائِجُ

لو قال: وما كان تركي^(٢) الشعر^(٣)، أمكن، ولكن ذكر الفاعل ليس بواجب.

ويجوز أن يكون أراد العموم، فكأنه: وما كان ترك الشعر من كل أحد إلا^(٤) لقصور المدح عنك، وإلا فكلُّ يحب أن يكون رطب اللسان بالثناء عليك.

(١) في شرح الواحدي ٥٢٣ (مدح).

(٢) في الأصل (ترك).

(٣) وهي رواية التبيان ٢٤١/١، والديوان ٣٥٣.

(٤) في الأصل (لا).

(٤٥)

وخرج أبو العشائر^(١) يوماً يتصيد، ومعه أبو الطيّب، فأرسل بازيًا على حجلة^(٢) فأخذها، [فقال]:

(١) وَطَائِرَةٌ تَتَّبَعُهَا الْمَنَايَا عَلَى آثَارِهَا زَجَلُ^(٣) الْجَنَاحِ
"طائرة" يعني بها الحجلة.

وقوله: "تتبعها المنايا" صفة لطائرة.

وقوله: "على آثارها زجل الجناح" مبتدأ وخبر، "زجل الجناح" [مبتدأ]، و"على" خبر.

(٢) كَانَ الرِّيشَ مِنْهُ فِي سَهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّم^(٤) مِنْ رِيَّاحٍ
الوجه أن يريد: أن جسده من سرعته كأنه من الريح، والريش في جناحه كأنه ريش السهم في أنه يطير على الاستواء^(٥).

(٣) كَانَ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غِلَظٍ^(٦) مُسَخَّنَ بِرِيَشِ جُوجُوهِ الصَّحَاكِ

(١) هو الحسين بن علي الحمداي، أمير فارس شاعر، ولَّاه ابنُ عمه سيف الدولة أنطاكية، وخاض معارك عدة مع الروم، حتى أسروه سنة ٣٤٥ هـ فأرسلوه إلى القسطنطينية، ومات هناك مسموماً سنة ٣٥٢ هـ. زبدة الحلب ١/١٢٦، وبغية الطلب: ٢٥٢٧.

(٢) الْحَجَلُ: طائر على قدر الحمام، كالقطا.

(٣) الرِّجَلُ: الصوت.

(٤) عند الكندي (٣٨٨): تَجَسَّدَ.

(٥) قال الواحدي (٣٦١): "جعل قصب ريشه سهامًا: إما لصحتها واستوائها، وإما لسرعة مرورها، وإما لأنها سبب قتل الطائر. وجعل جسده جسمًا من رياح لسرعة انكداره على الصيد".

(٦) (غلاظ) بالجر صفة أقلام، وهي رواية الواحدي ٣٦١، والتبيان ١/٢٥٩. وفي بقية الشروح (غلاظًا)، فتكون صفة لرؤوس، ورواية الديوان ٢٣٣ (عظامًا).

ورواية النصب أجود، قال الواحدي: "لأن القلم قد يغلط ورأسه دقيق".

"الصَّحاح" يكون مصدرًا ويكون صفةً^(١)، كقولهم: عَقِيمٌ وَعَقَامٌ.

والوجه أن يكون صفةً جَوْجُوهُ^(٢)، [أي] بريش جَوْجُوهُ الصَّحاح^(٣).

وشبه السواد الذي يكون في ريش صدره في أثناء البياض بآثار رؤوس أقلام غليظة مُسَحَّتْ به، فحصل فيه ما كان عليها من المداد. وهو تشبيهٌ جيّدٌ.

(٤) فَأَقْعَصَهَا^(٤) بِجَجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ لَهَا فِعْلُ الْأَسْنَةِ وَالرَّمَا ح

"بججن" بمخالب مُعَقِّفَةٍ، والصفْرُ: أصابعه؛ إذ الصُّفْرَةُ تغلب عليها في البازي. والمخالب كالأسنة، والأصابع منها بمنزلة الرمح رُكِبَ السنانُ في أوله!

(٥) فَقُلْتُ: لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمٌ سَوْءٍ^(٥) وَإِنْ حَرَصَ النَّفْسُ عَلَى الْفَلَاحِ

(١) المصدر كالصَّحَة، والصفة كالصَّحِيح.

(٢) والوجه الآخر أن يكون الصَّحاح وصفًا للريش، على لفظه. شرح الواحدي ٣٦١

(٣) لوقال: (الصحيح)، لكان أحسن.

(٤) أقعصها: قتلها قتلاً سريعاً. الفسر ٧٥٨/١.

(٥) رواية الواحدي والتبيان: يوم موب. وأشار صاحب التبيان إلى رواية (سوء).

(٤٦)

وجرى في مجلس أبي محمد^(١) ذكرُ وقعةٍ، فاستهولها بعضُ الحاضرين، فقال^(٢):

- (١) أَبَايَتْ كُلَّ مَكْرَمَةٍ طَمْوُوحٍ وَفَارِسَ كُلَّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحٍ^(٣)
 (٢) وَطَاعِينَ كُلَّ نَجْلَاءٍ غَمُوسٍ^(٤) وَعَاصِيَّ كُلَّ عَذَالٍ نَصِيحٍ^(٥)
 (٣) / سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ

130/ب

(١) هو الحسن بن عبيد بن طعيج، أمير تركي الأصل، تقلّد عدة إمارات في دولة الإخشيد، كان آخرها إمرة الشام، ثم التقى مع القائد الفاطمي جوهر الصقلي، فهزم، وأسر، وأرسل إلى المغرب، ثم عاد إلى مصر وتوفي بها سنة ٣٧١ هـ. وفيات الأعيان ٦٠/٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢٣/١٦.

(٢) لم يعلّق الشّارح شيئاً على هذه الأبيات!

(٣) الطموح: التي تبلغ أمداً بعيداً، والطماح في الأصل هو الشخوص بالبصر إلى أعلى تكبراً. فالمكرمة الطموح: هي البعيدة الصيت. وفرس سلهبة، أي: طويلة. والسبوح: التي تشبه في عدوها هيئة الساج بأن تمّد ضبعيها حتى لا تجد مزيداً.

يقول: يا من يحكي كلّ مكرمة بعيدة الصيت بعيدة المنال على غيرك، ويا فارس كل كريمة سريعة. معجز أحمد ٤٢٠/٢، ٤٢١.

(٤) الطعنة النجلاء: الواسعة. والغموس: البعيدة القعر. ويروى (نجلاء رموح)، أي: ترمح الدم كأنها تحرّكه. الفسر ٧٥٤/١، وحاشية الديوان ٢٠٤.

(٥) ويروى (فصيح) معجز أحمد ٤٢١/٢.

[قافية الدال]

(٤٧)

وقال في صباه، وهو في المكتب، يمدح أبا الحسين محمد بن عبيد الله العلوي^(١):

(١) أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا

(٢) ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا^(٢) يَدُهَا ١٩

نصبُ (أهلاً) في الأصل على المفعولية، وعلى أن يكون تحيةً للمخاطب، كقولهم لمن يأتيهم ويقدم عليهم: أهلاً وسهلاً، فالتقدير: أتيت أهلاً وسهلاً، ثم لما حذف الفعل أريد أن يصاحبه ما يدلُّ على المقصود بهذه التحية، ف قيل: أهلاً بك. ف"بك" على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون معمول أهل، كقولك: هذا أهلٌ بك، فكأنه قيل: أتيت مكاناً هو أهلٌ بك، وخليقُ بمثلك، ويصلحُ لك.

والثاني: أن يكون (بك) متعلقاً بمحذوف، وهو صفة (أهلاً)، فكأنه قيل: أتيت أهلاً استقرَّ بك، وثبت بك، والمعنى أن هذا الخير بسببك وجد، فيكون عائداً إلى قولك: إنه لك أهلٌ ورحبٌ وسعةٌ. وكذا سهلاً ومرحباً بك، الأصل: أتيت أهلاً ومرحباً وجد بك، أي: لم يكن لغيرك، وإنما هو شيءٌ تجددَ لشأنك، فيكون أذهب في التكريم والإلطاف.

(١) يتصل نسبه بعلي بن أبي طالب t، كان من أعيان أهل الكوفة، حصلت بينه وبين قوم من العرب موقعة بظاهر الكوفة، فقتل منهم جماعة، وجرح في جبهته، فكسته الضربة حسناً؛ ولذلك يلقب بالأشتر والمشطَّب.

انظر: جهمرة أنساب العرب ٥٦، والإكمال لابن ماكولا ٨١/١، والتبيان ٣٠٧/١.

(٢) الخلب: غشاء الكبد، أو ما بين الكبد وزيادتها. الفسر ٨٤٢/١.

والثالث: أن يكون (بك) سبباً^(١) مقطوعاً، كأنه لما قال: أهلاً، على معنى: أتيت أهلاً، وكان الفعل محذوفاً، قال: أريد هذا الخير بك^(٢). كما يقول صاحب الكتاب في قولهم: سقياً لك: إن التقدير: إرادتي بهذا لك^(٣).

وأما قوله: "أبعد^(٤) ما بان عنك خردُها" فإن الظرف -الذي هو أبعد- يتعلّق بـ"ظلت"، فكأنه: أبعد فراق خردُها ظلت بهذه الدار تنطوي.

ويروى: "أبعد أن بان"^(٥)، والمعنى واحد.

وأما إذا روي "أبعد ما بان عنك خردُها" فإن "أبعد" فعلٌ ماضٍ، و"ما" مفعولٌ بمعنى الذي، و"خردُها" فاعلٌ "أبعد"، فكأنه قال: أبعد الذي بان عنك وفارقك (من السرور والشباب وطيب العيش) خردُها. ويقوّيه جداً قوله: "سباك أغيدها" كما تقول: ملكت قلبي وشردت أنسي.

وقد يقال: إن (أبعد) هنا أفعل الذي للتفضيل، وإن (ما)، بمعنى: الزمان^(٦)، كأنه قيل: أبعد أوقات ما بان عنك، بمنزلة: أبعد أوقات البينونة، أي: ظلت في أبعد أوقات البينونة. وهذا يفتقر إلى فضل بيان: اعلم أن (بعد) يدلّ على انقطاع الشيء منك، وينافي الاتصال، كما أن القرب سبب الاتصال وينافي الانقطاع والانفصال، ومن حقّه

(١) كذا بالأصل، ولعله (شيئاً).

(٢) في الأصل (منك).

(٣) انظر: الكتاب ٢٩٥/١.

(٤) في لفظ (أبعد) أوجهٌ كثيرة، أشار الشّارح إلى بعضها. وانظر: شرح الواحدي (٦).

(٥) لم أقف على هذه الرواية عند غير الشّارح -رحمه الله.

(٦) هذا يشبه ما نقله صاحب التبيان عن ابن القطّاع ٢٩٤/١.

وقال الواحدي -بعد عرضه لروايات هذا اللفظ-: "والرواية الصحيحة (أبعد ما ...) يقول: أبعد شيء فارقك جوارى هذه الدار. وروى قوم (أبعد) على أنه حال من الأغيد، والعامل في الحال (سباك)، يقول: سباك أبعد ما كان منك. وهذا من العجب أن السابي يسبي وهو بعيد!". شرحه (٦). وانظر: معجز أحمد ١٣/١، والتبيان ٢٩٤/١، وشرح الكندي ٢.

أن يستعمل في الأمكنة وما أشبهها، كقولك: جئتك من مكانٍ بعيدٍ، فذلك المكان منفصلٌ منك، غير متّصلٍ بك، وإذا بُعدَ أحدُ طرفي الشيء عنك واتّصل الآخر لم يَجْزُ أن تقول: بُعدَ، ألا ترى أنك لا تقول: بُعدَ الحبلُ مِنِّي، وأحدُ طرفيه في يدك، وإن كان الطّرفُ الأوّل قد بُعدَ؟ وإنما يقال في ذا النحو: طال. وكذلك الزمان الذي معك آخره، لا يصح أن يُسند إليه البُعد، لو قلت: بُعدَ يومنا، وأنت في طرفٍ منه، لم يَجْزُ لأجل أنه على الانقطاع وحصول المسافة بينك وبين جميع أجزاء المقصود، واليوم لم ينقطع عنك رأساً، وإنما يجب أن تقول: طال اليوم. وتقول مثلاً وأنت في جَوْزٍ^(١) الليل: بُعدَ النهار، تريد أنه انقطع، ومضى حدوده. وعلى ذا يجوز استعمال البُعد / في الأزمنة، فتقول: بُعدَ عهدي بك، تريد أنه انقطع وانفصل مِنِّي، ولا تريد أن العهد مُتّصلٌ، إلا أن أوّلَهُ بُعدَ منك؛ من حيث امتدَّ وقته.

131/أ

وإذا كان كذلك، كان قولك: ظلت تبكي في أوّل أبعادِ أوقاتِ البيونة دالاً على أنه بكى في وقت من أوقات الفراق؛ قد انقضَّ ومضى أوّلُهُ وآخره، حتّى كأنّه قال: بكيت البكاء الشديد في أبعادِ أيامِ الفرقة، كما يقول: في أسبقِ أيامِ الفرقة، وهو أوّلها، وذلك لا يجوز في بيت المتنبي؛ لأنه يجعل نفسه تنطوي على كبده في هذه الحالة، لا^(٢) في حال بعيدة ماضية، يدلُّك على سقوط هذا التقدير أنه قال: "يا حاديي غيرها"^(٣) و"قفا قليلاً بها عليّ"^(٤) فدلّ على أنه يقصد حالَ بَيْنِ حادثٍ، لا سابقٍ، فقد اتضح أنه لا يجوز أن يكون "ما بان" في تقدير زمان و"أبعد" بعضُ منه، حتّى كأنّه قال: أبعدَ أوقاتِ بيونة خَرَدَها، كما تقول: احطت أزمنة كونه []^(٥).

(١) جوز الشيء: وسطه.

(٢) في الأصل (لأن في.).

(٣) في البيت الثالث من هذه القصيدة.

(٤) في البيت الرابع.

(٥) (احطت أزمنة كونه ...)، هكذا وردت في الأصل وفي آخرها بياض كلمة؛ ولذلك بقيت غامضة.

فإن قصدت غير ما ذكرت من أنّ "أبعد" فعلٌ، وجب أن تجعل "أبعد" مصدرًا في الحقيقة، وتقدر مضافًا محذوفًا، كقولهم: جئتُك خُفوق النّجم^(١)، والتقدير: زمن خُفوق النّجم، فكأنه قال: ظلت بها زمنٌ أبعد ما يكون عنك خردّها، على أن يكون "ما بان" مصدرًا محضًا، كقوله^(٢):

يَسْرُ الْمَرْءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذَهَابًا

ويكون بمنزلة قولك: زمنٌ أبعد بين الخرد، كما تقول: هذا أبعد فراقٍ كان^(٣).

وَأَبْعَدُ - بَعْدُ - بقصد الدلالة على جانب اليأس أرجح من جانب الأمل.

ثم يكون هذا الظرف (الذي هو قولك: زمنٌ أبعد بينونة كانت من الخرد) معمول "ظلت" أو "تنطوي"، ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في تقدير الاستفهام، فكأنه قال: أفي زمنٍ أبعد ما بان عنك خردّها ظلت؟ كرواية مَنْ روى: "أبعد ما بان"؟.

ولا يجوز أن تكون همزة الاستفهام بعد الظرف، حتى كأنه قال: أبعد ما بان عنك خردّها^(٤)؛ لأجل أنّ ما بعد الاستفهام لا يتقدّم عليه.

ولا يجب أن يكون الظرف معمول "سباك أغيدها" حتى كأنه قال: سباك أغيدها في زمنٍ أبعد بينٍ كان من خردّها؛ لأنّ الحباب ملكت فؤاده قبل أزمنة الفراق، وليس يجعل الحبّ حديثًا طارئًا.

(١) مضى في صفحة: ٤٠٩.

(٢) مضى في صفحة: ٢٥٤.

(٣) هذا الوجه قريب مما حكاه ابن المستوفي عن أبي البقاء، قال في تعداد الأوجه الممكنة في هذا اللفظ: "والثاني: نصب الدال على المصدر، وخردّها فاعل (بان)، أي: بان عنك خردّها أبعد بينونة"

النظام ق/ ٧٤٢.

(٤) تمام العبارة: أظلت بها تنطوي على كبد.

والوجه الثاني: أن يكون خبراً، فكأنه قال: ظلت تبكي بها، كما تقول: بل فارقك الأحباب، فأنت تخاطب الأطلال.

والخرد: جمع خريدة، وقالوا: المرأة الحَيَّة، والأصل في الخريدة: اللؤلؤة التي لم تُثقب، فوصف بها البكر، وهي الأصل في الحياء، فلذلك كان إذنها صماتها، فإن وقعت [على] غير البكر بمعنى الحياء، فعلى سبيل الاستعارة. ويجوز أن يقال: إنَّ الحَيَّة وُصفت بالخريدة؛ لأجل أن الحياء من نتائج المقصورة المصونة، دون المبتذلة البارزة، فهي بمنزلة اللؤلؤة التي لم تَمَسَّها يدُ ثاقبٍ.

وأما قوله: "تنطوي على كبدٍ نضيجه فوقَ خلبها يدها"، ففيه أربعة أوجه:

أحدها^(١): أن "نضيجه" يجوز أن تكون صفة "كبد" وفعلاً لها، وتكون متضمنةً ضميرها، ويكون "يدها" مبتدأ، و"فوق خلبها" خبراً.

والثاني^(٢): أنه يجوز أن يكون التأنيث في "نضيجه" لليد، وتكون فارغةً من الضمير^(٣)، حتَّى كأنه قال: على كبدٍ نضيح فوقَ خلبها يدها، وتكون صفةً للكبد^(٤)، كما كانت في الوجه الأول؛ لأن الضمير قد عاد إليها من قوله: "يدها" و"خلبها"، فهو كقولك: مررت برجل حسنٍ غلاماه.

والثالث: أن إضافة اليد إلى الكبد لا يتقبلها الحال، فيجب أن يكون / في الكلام مضافٌ محذوفٌ، كأنه: نضيجه فوقَ خلبها يدُ صاحبها.

ووجه النضج: وصف الكبد بفرط الحرارة.

(١) انظر: شرح الواحدي ٧، وشرح المشكل لابن سيده ٢٨، ٢٩، ومعجز أحمد ١/١٥، والتبيان ١/٢٩٥.

(٢) ذكرته المراجع السابقة، ورجحته؛ لأنه أبلغ في المعنى، قالوا: إذا كانت اليد نضيجه، فما الظن بالكبد!

(٣) فارغة من ضمير الكبد، لأنها رفعت اليد فاعلاً لها.

(٤) صفة في اللفظ، لا في المعنى، وهذا ما يعرف بالنعت السببي.

وقد جَوَزَ بعضهم^(١) أن يكون الكلام على ظاهره، ويكون جعل للكبد يداً، بمعنى: أن اليد تلابسها، فكأن اليد من دوام الملابس قد صارت لها. وليس بالواضح، والجسُّ يشهد بتنافره، وإن كان نحوذا يوجد.

والمعنى الرابع: أن تكون "يدها"، بمعنى: الجمع، كقوله^(٢):

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنُ خَمِيصٍ^(٣)

وذا النحو أكثر^(٤) من أن يحصى. فكأنه قال: فوق خلبها أيدي الخرد، كما تقول: يدي فوق المال، تريد أنها ملكته وتمكنت منه. فكأنه: تنطوي على كبد نضيجه، قد نَفَذَ فيها حكمُ الخرد، حتى كأنها في أَكْفَهِنَّ. [و] لا يجوز على هذا الوجه أن تكون "يدها" مرفوعةً "بنضيجه"، وإنما ينبغي أن يكون رفعها بالابتداء، لما ذكرنا من أن المعنى: أنها استولت عليه، ثم لا وجه لكون يد الخرد نضيجهً على الكبد، لأمرين:

أحدهما: أنها قد فارقت، فكيف تكون يدها على الكبد؟

والثاني: أن يدها إذا كانت على كبده^(٥)، دلَّ على انقطاع أسباب الحزن، وقرّة العين بالوصال، فتكون الكبد بأن تبرّد أولى. على أن ذا النحو قد يُحتمل في بعض المواضع، لكنَّ حصول انفصال الخرد منه ينفي ذلك التقدير رأساً.

(١) لعله يعني الواحدي (شرحه ٧)، وانظر: معجز أحمد ١٥/١، والتبيان ٢٩٥/١.

(٢) بلا نسيبة في الكتاب ٢١٠/١، والمقتضب ١٧٢/٢، والخزانة ٥٥٩/٧.

(٣) يقال: أكل في بعض بطنه: أي أكل ولم يملأ بطنه. وزمن خميص: أي ذو مخمصة وجوع وجذب. والشاهد فيه أن المفرد (بطنكم) قام مقام الجمع.

انظر: الخزانة ٥٥٩/٧، ٥٦٠.

(٤) في الأصل (كثير).

(٥) في الأصل (كبد).

(٣) يَا حَادِيَّ عِيرَهَا^(١)، وَأَحْسَبْنِي أُوجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقَدُهَا

الأصل: قبيل أن أفقدها، فحذف أن، ورفع الفعل على العادة.

(٤) قِمَا قَلِيلًا بِهَا^(٢) عَلَيَّ فَلَا أَقْلُ مِنْ نَظَرَةٍ أَرْوَدُهَا

"لا" بمنزلة ليس، كبيت الكتاب^(٣):

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَاحُ

كأنه: ليس عندي براح. كأنه قال: فليس في الحكم أقل من نظرة أرودها. ويقال: لا رجل أفضل من زيد، على إجراء (لا) مجرى ليس.

ولو نصب فقال: فلا أقل^(٤) من نظرة أرودها جاز، كقولك: لا خيراً من زيد عندك، وكان التنوين ساقطاً؛ لأنه لا ينصرف.

وقوله: "يا حادي عيرها"، التثنية بمعنى: المتقدم والمتأخر، فالذي يأخذ الزمام، وإن كان قائداً، فلفظ الحادي يقع عليه؛ لأنه قد يحدو.

و"أرودها" صفة نظرة، بمنزلة قولك: أعطها.

(٥) فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ هَوَى^(٥) أَحْرُنَا الْجَحِيمِ أَبْرُدُهَا

هذا ضرب من التحول^(٦)؛ لأنه قال: "أحسبني" ثم قال: "المحب" يعني نفسه.

(١) رواية الواحدي (٧): عيسها. والعير: الإبل وركبها. والعيس: الإبل البيضاء.

(٢) الضمير في (بها) يعود إلى العير أو إلى المحبوبة. شرح الواحدي ٨.

(٣) لسعد بن مالك، وقد مضى في صفحة: ٧٧٧.

(٤) النصب رواية الواحدي ٧، والتبيان ٢٩٦/١.

(٥) في التبيان ٢٩٦/١: جَوَى.

(٦) أي: الالتفات.

ولا يحسن أن يريد بالمحبّ الجنس دون العهد، حتى كأنه قال: إنّ المحبّ يكون في فؤاده ناراً هذه صفتها؛ لأنه يجب أن يجعل هذه المبالغة مقصورةً على نفسه، حتى لا تساوي غيرها في الرتبة، ثم كلّ محبّ يجعله كنفسه في أسباب الهوى.

و"أحرّ نار الجحيم أبردها" مثل قولك: أبو حنيفة أبو يوسف^(١)، أي مثله، حتى كأنه هو. فكذا يقول: الأحرّ من نيران الجحيم كالأبرد من هذه النار.

وأفرد، فقال: "نار الجحيم"؛ لأنه يجعل ذلك شيئاً واحداً، ثم يفصل بعض أجزاءه عن بعض، فكأنه قال: أحرّ أجزاء نار الجحيم أبردها، بمنزلة قولك: أحسن زيد وجهه، وأحسني بدني، تريد: أحسن أجزاء زيد، وأحسن أجزاءي بدني.

وليس هذا كقولك: أفضل الغلام^(٢) زيد؛ لأجل أن زيدا لا يصلح أن يكون بعضاً من الغلام، كما يجوز أن يكون الوجه بعضاً من زيد، والأبرد بعضاً من نار الجحيم. فاعرفه.

(٦) / شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرَّقَ لَمَتَيْهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ^(٣) أَسْوَدَهَا

أ/132

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يكون حذف الزيادة^(٤) للشعر، كقوله^(٥):

أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أَبَا ض

(١) هذا المثال تكرر كثيراً في هذا الشرح، مرّة بتقديم (أبو حنيفة) ومرّة بتأخيره! وهو مثال يرد كثيراً في كتب النحاة والبلاغيين مراداً به تشبيه (أبو يوسف) بأبي حنيفة.

(٢) في الأصل (الرجل)، ولا يستقيم مع ما بعده.

(٣) الدمقس: الحرير الأبيض، أعجمي معرب. انظر: المعرب للجواليقي ٣١١.

(٤) أي: حذف الزوائد من الفعل (أسود) فأصبح ثلاثياً، فاشتق منه اسم التفضيل مباشرة.

(٥) هو رؤية، ملحقات ديوانه (مجموع أشعار العرب) ١٧٦.

وقول الآخر^(١):

أَمَّا الْمَلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمَهُمُ لَوْمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْيَالٌ طَبَّاحٌ

ولا وجه لإنكار هذا؛ لأجل أن الذي دعاهم إلى أن قالوا: هذا أشد سوادًا من هذا، [هو] ما دعاهم إلى قولك: هذا أكثر انطلاقًا من هذا، وذلك بتجنب الحذف. فكما جاز الحذف في نحو انطلق واستخرج في الشعر - نحو ما تقدم^(٢) من قوله: أحوج من احتاج، وأضيع من أضاع - كان هذا أيضًا جائزًا، فكأنه قال: صار كالدمقيس أشدها سوادًا.

والوجه الثاني: أن يكون "أسود" مذكر سواد، فكأنه قال: صار مثل الدمقيس الأسود منها. بمنزلة قولك: المسود منها، ويكون على معنيين:

أحدهما: أن يعبر عن الأشد سوادًا بالأسود، بمعنى: أنه الأكثر حظًا من السواد، الذي يقال فيه: هذا يستحق الأسود على الحقيقة، ولا يستحق غيره اسم الأسود مع وجوده، كقولك: زيد هو الرجل، تريد أنه المستحق لهذا الاسم، فليس هنا أكمل منه. فيعود في المعنى إلى قولك: أشدها سوادًا.

والثاني: أن يريد أن الشيب خالط الشباب، ثم صار الذي كان ذا سوادٍ مثل الدمقيس.

(٧) بَانُوا بِخُرُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يَقْعُدُهَا

(٨) رِيْحَالَةٍ، أَسَمَ رِمْقَبَالُهَا سَبْحَالَةٍ، أَيْبَضَ مَجْرَدُهَا^(٣)

الخرعوبة: الطويلة اللينة. والريحلة: اللحيمة الجيدة الخلق. والسبحلة: من قولهم: سيقاء سبحل، إذا كان واسعًا.

(١) هو طرفه، ديوانه: ١٤٧، برواية:

إِنْ قُلْتَ: نَصْرٌ، فَنَصْرُكَانَ شَرَفَتِي قَدْ مَا، وَأَبْيَضُهُمْ سِرْيَالٌ طَبَّاحٌ

ورواية الشارح موافقة لما في التهذيب ٣/٢٤٥، ٨٩/١٢، واللسان (بيض).

(٢) انظر صفحة: ١٧٥.

(٣) مجردها: بدنها، أو ما جرت العادة بتجريده كالأطراف والوجه. معجز أحمد ١٩/١.

وحكى ابنُ دريدٍ عن امرأةٍ وصفتُ بنتاً لها^(١):

سَبَحْلَةٌ رِيحَالُهُ
تَنْمِي نَمَاءَ النَّخْلِ

وقوله: "أسمر" و"أبيض" صفة "لخرعوبة"، كما أن "ريحلة" و"سبحلة" كذلك. و"مقبلها" مرفوع "بأسمر"، و"مجردها" "بأبيض"، وليس فيهما ضمير^(٢)، يدلك على ذلك أنهما [لو] كانا فعلين للمرأة لوجب أن يقول: سمراء وبياض؛ إذ لا تقول: "بخرعوبة أبيض [أو] أسمر. فهو كقولك: بخرعوبة حسن وجهها.

ولورفع، فقال: أسمرٌ مقبلها، سبحة أبيض مجردها، كان مقبلها مبتدأ، وأسمر خبره، وكان النيةُ به التأخير، نحو: مقبلها أسمر، وكان متضمناً ضميراً، كما تقول: مررتُ برجلٍ حسنٍ وجهه، تريد: وجهه حسنٌ.

وهذا النحو من الصفات^(٣)، وإن كان لا يجري مجرى أسماء الفاعلين - فلا يقال: أسودونَ وأسوداتٌ، كما جرى نحو حسنٍ وشديدٍ، حيث قيل: حسنونَ وحسناتٌ - فإنهم قد يرفعون بها الأسماء الظاهرة، حملاً على المعنى^(٤)؛ وذلك [أن] أسود بمنزلة مُسودٍّ، وأحمر كمُحمرٍّ، وعلى ذلك قال: مررت برجلٍ أحمر أبواه^(٥)، (كما تقول)^(٦) "فمقبلها" في بيت المتنبي بمنزلة (أبواه) هنا، وأنشد^(٧):

(١) انظر: الجوهرة ١١١٥/٢، ١١٦٤.

(٢) ليس فيهما ضمير يعود إلى الخرعوبة؛ لأنهما شغلا بمرفوعيهما.

(٣) أي: أفعال التفضيل.

(٤) انظر: المقتصد ١/٥٣٦ - ٥٣٨.

(٥) انظر: الكتاب ٤١/٢.

(٦) كذا بالأصل، ففي الكلام يتر، كأنه أراد أن يقول: (كما تقول: مررت برجلٍ محمراً أبواه).

(٧) قائله النابغة الجعدي، ديوانه: ١٤٤، وفيه (وما يشعر - رهط الأبلخ) ولفظ الشارح موافق لما في

كتاب سيبويه ٤٢/٢.

وَلَا يَشْعُرُ الرَّمَحُ الْأَصَمُ كُغُوبُهُ بِثُرُوةِ رَهْطِ الْأَعْيِطِ الْمُتَظَلِّمِ^(١)

وللبغداديين في ذا النحو خبط يُرغبُ عن ذكره.

(٩) يَاعَاذِلِ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ، كَيْفَ تُرْشِدُهَا؟

الظاهر أن "أضلها الله" في موضع نصب، بأنها صفة "فتنة"، فكأنه: دع فتنة ضالّة.

ويجب أن يكون قوله: "ترشدها" مقطوعاً، عاري الموضع من الإعراب، حتى كأنه قال: أضلها الله، فكيف ترشدها وهذه حالها؟

ب/132

/ وإن جعلت "كيف ترشدها" صفةً على إضمار القول، حتى كأنه قال: دع فتنة أضلها الله يُقال فيها: كيف ترشدها؟ كقوله^(٢):

جَاؤُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قِطْ؟

جاز^(٣). ولا يجب أن يكون القول المضمر للمتكلّم، نحو أن تقول: أقولُ فيها، بل الواجب أن يكون على العموم، نحو: يقال فيها كيف ترشدها؟

وجاز أن يقول: "ترشدها" على الخطاب، وإن لم يكن الكلام خاصاً؛ لأنّه حكاية، بمنزلة قولك: يقول لك أحدٌ: كيف ترشدها؟ كما قال: (هل رأيت الذنب قِطْ؟) ومعلوم أن ذلك ليس بمعنى: أقول عنده: هل رأيت الذنب؟ وإنما المعنى أن كلّ أحد يقول ذلك، فالتقدير: يُقال عنده هذا الكلام.

(١) الثروة: كثرة العدد. والأعيط: الطويل، وأراد به المتطاول كبراً. والأبلىخ: المتكبر الشامخ بأنفه.

والمتظلم: الظالم الغشوم.

(٢) مضى في صفحة: ٢٧٧.

(٣) السياق (وإن جعلت ... جاز).

وأوضح من هذا أن يحكم بانتهاء الكلام عند قوله: "دع فئة"، ويكون "فئة" يشار بها إلى المعرفة؛ لأن ذكرَ العاشقين قد تقدّم، فكأنه: يا عاذل العاشقين دَعهم، ثم ابتداءً فقال: أضلّها الله، فكيف ترشدها؟، فأكد ما كلفه، واحتجّ عليه.

وقد تقول: دَع رجلاً، تشير إلى واحد معهود. وسبب استقامة هذه الطريقة أن يعرفَ المخاطبُ مَنْ تعني، فيقفّ على المقصود، وإن كنت ناطقاً بلفظ النكرة. وإذا استعنت بالحسّ، ووقفت على سَمَتِ العادة؛ اتّضح لك الصوابُ في ما ذكرت.

(١٠) لَيْسَ يُحِيكَ^(١) الْمَلَامُ فِي هَمِّ أَقْرَبَهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدَهَا

يجوز أن يكون في "ليس" ضمير الشأن، و"الملام" فاعل "يحيك"؛ لأن هذا هو ظاهر الترتيب.

ويجوز أن يكون "الملام" اسم "ليس"، وكأنه: ليس الملام يحيك.

وقوله: "أقربها" إلى آخر البيت، صفة الهمم، فهو كقولك: أقرب تلك الهمم منك أبعدُها عنك. فكأنه قال: كيف يمضي سهمُ العذل في همم تكون التي تُقدّر أنها أطوعُها لك وأخرطُها في سلّك أبعدُها منك، وأشدّها عصياناً عليك.

(١١) بِنَسِ اللَّيَالِي سَهْدَتْ^(٢) مِنْ طَرِبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْفُدُهَا

"سهدت" صفة محذوف، هو المخصوص بالذمّ، فكأنه: بنسّ الليالي [ليالٍ] سهدتُ فيها من طربي، ثم سهدتُ، على حذف الراجع من الصفة، كقولهم: الناس رجلان: رجلٌ أكرمت، ورجلٌ أهنت.

(١) يقال: حاك وأحاك فيه: إذا أثر فيه. شرح الواحدي ٩.

(٢) في الأصل (سهرت) بالراء، وهما روايتان: الراء رواية الواحدي (٩)، والتبيان ٢٩٨/١، والديوان ٣. ورواية الدال في بقية الشروح. وكلام الشارح يدلّ على أن روايته (سهدت) بالدال! فترجّح لديّ أنه من أوهام الناسخ.

وليس في حذف (في) من قولك: شهدت فيها، عمل؛ لأنَّ الظرف يجعل مفعولاً على السَّعة، نحو قولك: يومَ الجمعة سِرُّهُ، وعلى ذلك قال: "يرقدُها"، كبيت الكتاب^(١):

ويومَ شَهِدناه سُلَيْماً وعامراً قليلٍ سِوى الظَّنِّ النَّهالِ نَوافِلُهُ^(٢)

وذا أكثرُ من أن يُحصى.

ونصب "شوقاً" على وجهين:

أحدهما: أن يكون مفعولاً^(٣)، كأنه: لشوقٍ من يبيتُ يرقدها.

والثاني: أن يكون تمييزاً، كقولك: طبْتُ نفساً، فكأنه قال: سَهِدَ شَوْقي ولم يَسْكُنْ. وهذه [لا] تُستقلُّ؛ لأنَّ في ضمن سُهادِ الشوقِ سُهادَ صاحبه.

(١٢) أَحْيَيْتُهَا وَالْدُمُوعُ تُنْجِدُنِي شُؤْنُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا

اعلم أنَّ قولك: أَحْيَيْتُ اللَّيْلَ، مبنيٌّ على قولهم: نهارُكَ صائمٌ، وليلُكَ قائمٌ، وذاك أنَّ النومَ سكونٌ، وهو نوعٌ من الموت، وكفى دليلاً عليه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾^(٤)، فإذا سهرَ الإنسانُ فكأنَّه قد حَيَّ، إلا أنهم أوقعوا الفعل على الليل فجعلوه ساهراً بسهر صاحبه، حتى إذا لم ينم، صار/الليل كأنَّ له حياة. وتلطفوا فيه، من حيث إنهم قالوا: أَحْيَيْتُ اللَّيْلَ، على معنى: جعلت الليلَ ساهراً، ولم يستعملوا الحقيقة،

أ/133

(١) الكتاب ١٧٨/١ لرجل من بني عامر - وخلا منه ديوان شعر بني عامر - وبلا نسبة في المقتضب

١٠٥/٣، والكامل ٤٩/١، وأما ابن الشجري ٧/١.

(٢) شهدناه، أي: شهدنا فيه. والنهال: المرتوية بالدم. والنوافل: الغنائم.

والشاهد فيه أنه نصب الضمير العائد على اليوم في (شهدناه) بالفعل تشبيهاً له بالمفعول على

الاتساع. انظر: شرح أبيات مغني اللبيب ٨٤/٧.

(٣) لأجله.

(٤) سورة الأنعام: ٦٠.

فيقولوا: حَبِيَّ في ليلةٍ، كما تقول صامَ في نهار، وقام في ليلةٍ؛ لأنَّ الحياةَ ههنا كالاستعارة، فجعلوا قصره على طريقة واحدة ضرباً من الفصل بين مَقْبُض الموت ومَقْبُض النوم.

وإذا تأملتَ كلامهم، وجدتَ من هذا النحو الكثير.

وأما قوله: "والدموع تنجدي شؤونها"، فإنَّ الشؤنَ لما سمحت بالدموع كانت معاونَةً له على تحمُّل الأحران، من حيث إنَّ فيضَ الدموع يكسرُ من غَرَبِ الوجود.

ومعنى قوله: "والظلام ينجدها" يعني ينجدُ الشؤنَ؛ إذ الظلام إذا تمادى غَزُرَتْ مادَّةُ الدموع؛ من حيث يترادفُ وفودُ التذكُّر على الفؤاد، وتتضرَّمُ الزفراءُ في الأكباد.

ويجوز أن يعود^(١) الضمير في "ينجدها" إلى الليالي، فكأنه قال: إنَّ الدموع كانت تعين على طيِّ صحيفة الليل وتحملُ أعباء السهر، والظلامُ يُنبِّطُ^(٢) منه، ويُسبِغُ^(٣) ذيلَه.

(١٣) لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا

قد عدلَ إلى نمطٍ آخر، وقصدَ وصفَ النُّعل.

و"ناقتي" يجب أن يكون مرفوعاً بفعل مضمر، كأنه: لا تقبل ناقتي الرديف لا تقبل، ثم حذف الأول لأن الثاني يفسره، كالعادة في قولك: إنَّ زيِّداً تضربُه يضربُك، وغير ذلك؛ لأمرين:

أحدهما: أنَّ النفيَ بالفعل أولى، فالحمل عليه ما وُجد السبيلُ إليه هو الواجب، كبيت الكتاب^(٤):

(١) في الأصل (أن لا يعود)، وهو خلاف ما يريد الشارح.

(٢) في الأصل (بنشط).

(٣) في الأصل (وتوسع).

(٤) ١٤٥/١، والبيت لزهير، ديوانه بشرح ثعلب ١٤٦.

لا الدار^(١) غَيْرَها بعدي الأنيس ولا بالدار لو كَلَمْتُ ذا حاجة صَمَمُ

التقدير: لا غَيْرَ الدارَ غَيْرَها.

والثاني: أن المعطوف فعلٌ، وهو قوله: "أجهدُها"؛ لأن "بالسوط" في نيّة التأخير، ومفعولُ أجهد، فكأنه: أجهدُها بالسوط يومَ الرهان.

فلورفعت "ناقي" بالابتداء كنتَ عطفتَ جملةً من فعل على جملة من اسم، وذلك لا يُختار مع إمكان عطف جملة من فعل [على] مثلها، ألا تراهم يقولون: قام زيدٌ وعمراً كَلَمْتُه؟ فيختارون الإضمار، نحو: وكَلَمْتُ عمراً كَلَمْتُه؛ ليحصل التشاكل، كقول الله عز وجل: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢). وما أكثرَ نحو هذا في التنزيل.

(١٤) شراكُها كُورُها، ومَشْفَرُها زِمَامُها، والشُّسُوعُ مَقْوُذُها^(٣)

(١٥) أَشَدُّ عَصْفٍ^(٤) الرِّيحِ يَسْبِقُها تَحْتَي مِنْ حَطْوِها تَأْيِدُها

التأيد: تفعلُ من الأيدِ^(٥).

والمعنى: أن تتأقلاها يفوق أشدَّ ما يكون من مرَّ الرياح سرعةً، فكيف الحثيثُ من سِيرَها؟! من سِيرَها؟!

(١) في الديوان (لا الدارُ ...) بالرفع، ولا شاهد فيها.

(٢) سورة الإنسان: ٣١.

(٣) شراك النعل: هو السير المعترض فوق الرجل. والكور: رجل الناقة بأداته. والمشفر: ما يقع على ظهر الرجل من مقدّم الشراك، جعل ذلك بمنزلة الزمام للناقة (وهو الحبل الذي يكون في أنفها). والشسوع: السيور التي تكون بين أصابع الرجل. والمقود: الحبل الذي يقاد به سوى الزمام. التبيان ٣٠٢/١، ومعجز أحمد ٢٢/١، ٢٣.

(٤) يروى (عُصْفٍ) جمع: عَصُوف. شرح الواحدي ١٠، والتبيان ٣٠٢/١.

(٥) الأيد هو: القوّة، وأراد به التثاقل والتلبّث.

وأما "تحتي" فلا يجوز أن [يكون] معمول التأيّد، كما يكون مفعول الفعل إذا قلت: تَأَيَّدْتُ تَحْتِي، وسارتُ تَحْتِي؛ لأجل ما عرفت من أن المصدر لا يتقدّمه مفعوله، فهو على وجهين:

أحدهما: أن يكون حالاً من "تأيّدها" وفعلاً له، فكأنه: يسبقه تأيّدُها كأنّها تحتِي، بمنزلة قولك: تأيّدُها الكائنُ تحتِي، ثمّ قدّم، ويكون العاملُ فيه (يسبق).

والثاني: أن يكون متعلّقاً بنفس (يسبق) كأنه قال: يسبقه تحتِي، بمنزل: سار تحتِي.

ووجه ثالث: وهو أن يكون حالاً من المضمر في "تأيّدها"، حملاً على المعنى؛ لأجل أن "يسبقه"، وإن كان فعلاً للتأيّد في اللفظ، فإنه في الحقيقة لصاحب الضمير، فكأنه قال: تسبقه كائنةً تحتِي في حال التأيّد. كما قالوا في قوله عز وجل: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَمَّا خَوَّضِينَ﴾^(١): إن المعنى لَمَّا كان على قولك: فظلّوا، جاز أن يقال: خاضعين^(٢).

ولا يجوز أن يكون حالاً من "تأيّدها" وفعلاً للضمير، حتى كأنه قال: /يسبقه تأيّدُها كائنةً هي تحتِي؛ لأجل أنه لا يعود حينئذٍ إلى ذي الحال شيء، ويجري مجرى قولك: مررتُ بغلامٍ زيدٍ واقفاً هو في السوق، بجعل الوقوفٍ لزيدٍ، فلا يصحّ حتى تقول: واقفاً هو معه، كما قلت: مررتُ بجاريتك راضياً أنت عنها^(٣). فاعرفه.

133ب

(١٦) فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمَجْنُونِ مُتَّصِلٍ^(٤) بِمِثْلِ بَطْنِ الْمَجْنُونِ قَرْدُهَا^(٥)

(١) سورة الشعراء: ٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٨٢/٤، والبيان ٢١١/٢، والبحر المحيط ٦/٧.

(٣) انظر - ما سبق - صفحة: ٤٥٩.

(٤) ويروى (متّصل) بالرفع، على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ قوله: (قردّها). معجز أحمد ٢٤/١، والتبيان ٣٠٢/١.

(٥) القردد: الأرض ذات النجاد والوهاد، أو هو الأرض الصلبة.

الفسر ٢٨٨/٢، ومعجز أحمد ٢٣/١، والتبيان ٣٠٢/١.

التقدير: فلاةٌ مثلِ ظهرِ المجنِّ متَّصلٍ قَرَدُها بمثلِ بطنِ المجنِّ. "فقردها" رُفِعَ
"بمتَّصل" وليس فيه ضمير.

شَبَّهَ المرتفعَ بالظهر، والمنهبطَ بالبطن، والقصدُ [عدمُ] الاستواء.

(١٧) مُرْتَمِيَاتٍ بَنَّا إِلَى ابْنِ عُيَيْبٍ ————— دِ اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَفَدَفْدَهَا^(١)

كان الوجه أن يقول: مُرْتَمِيَةٌ بَنَّا غِيْطَانُهَا وَفَدَفْدَهَا؛ لأنَّ الغِيْطَانَ مرفوعٌ باسم الفاعل،
كقولك: في فلاةٍ ترمي بنا غِيْطَانُهَا، لا: يَرْمِيَنَّ بِنَا [بنا] غِيْطَانُهَا، لكنَّه سلكَ طريقةً (أَكْلُونِي
البراغيثُ)، كما تقدَّم من قوله^(٢):

وَالرَّاكِبِينَ جَدُوْدُهُمْ أَمَاتُهَا

فكأنه: في^(٣) فلاةٍ مرتَمِيَاتٍ غِيْطَانُهَا، فجمع اسم الفاعل؛ لأنَّ الفاعل المرفوع به
كذلك، وكما يُجمع الفعل، فيقال: يَضْرِبَنَّ الهَنَدَاتُ، كبيت الكتاب^(٤):

يَعَصِرَنَّ السَّليْطَ أَقَارِبُهُ.

وتقول: مررتُ برجلٍ حَسَنَاتٍ صَوَاحِبُهُ (تَجَرَّحَسَنَاتٍ، وترفع صَوَاحِبُهُ)، تقول في
المذكر: برجلٍ حَسَنِينَ أَبَاؤُهُ.

ولو رُفِعَتْ "مرتَمِيَاتٍ" لكان خبراً مقدَّماً، وكان "غِيْطَانُهَا" و"فَدَفْدَهَا" مبتدأً،
والجملة صفة، كأنه قال: في فلاةٍ مثلِ ظهرِ المجنِّ، غِيْطَانُهَا وَفَدَفْدَهَا مرتَمِيَاتٍ بَنَّا.

(١) الغيطان: الأمكنة المنخفضة. والفدغد: المكان المرتفع الغليظ. الفسر ٨٥٧/١

(٢) انظر صفحة: ٧١٠.

(٣) في الأصل (إلى).

(٤) ٤٠/٢، وهو للفرزدق، ديوانه ٥٠، والبيت بتمامه:

وَلَكِنْ دِيَا فِي أَبَوِهِ وَأُمِّهِ ————— بِحُورَانَ يَعَصِرَنَّ السَّليْطَ أَقَارِبُهُ.

ولا يجب أن تجعل الموصوف "بمثل" جمعاً، ومرتميات متضمنة^(١) له ضميراً، فكأنه قال: في فلوأتٍ مثل ظهر المجنّ مرتمياتٍ بنا، ثم أبدل غيظانها من الضمير في مرتمياتٍ؛ لأجل أن البدل لا يجيء في هذا^(٢) النحو؛ لا يقال: مررت بامرأةٍ حسنةٍ وجهها، على ألا يكون في حسنةٍ ضمير وجهها، ولا: مررت بنساءٍ حسناتٍ ثوبها؛ وذلك أن الأصل أن يقال: مررت بامرأةٍ حسنٍ وجهها، برفع الوجه بالصفة؛ لأنّ الفعل له. ثم نُقل إلى صاحب الوجه على حالٍ يخالف الفاعلية، ف قيل: حسنة الوجه، وأنت إذا رفعت بحسن^(٣) ضمير المرأة، ثم أبدلت قولك: (وجهها^(٤))، كنت قد عرضت الصفة لأن تكون لوجهها، فيكون فعلاً كلا^(٥) فعلي.

(١٨) إِلَى فَتَى يُضِدُّ الرَّمَّاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوْرُدَهَا

رفع "موردها" بفتح الميم على وجهين:

أحدهما: أن يكون بالابتداء، ويكون "في القلوب" خبراً، فكأنه قال: وقد أنهلها الفتى، وموردها في القلوب. بمنزلة قولك: وقد أنهلها شاريةً من القلوب، أي: أن العادة هذا.

والوجه الثاني: أن يكون "أنهلها" فارغاً من الضمير^(٦)، ويكون "موردها" مرفوعاً، فكأنه جعل الموردَ فاعلاً للإنهال، فيكون حينئذٍ على وجهين:

أحدهما: أن يكون اسم مكانٍ، كما تقول: أرواها مَشْرَعُها في القلوب.

والثاني: أن يكون مصدرًا، كقولك: أرواها وُرودُها؛ لأنّ الورودَ سببُ الرّي.

(١) في الأصل (صفة)، لعل صوابه ما أثبت.

(٢) في الأصل (وهذا).

(٣) لو قال: (بحسنة)، لكان أولى.

(٤) من ضمير المرأة.

(٥) في الأصل (كاد)، لعل صوابه ما أثبت.

(٦) في الأصل (الفعل)، ولعل صوابه ما أثبت.

و"في القلوب" يكون حالاً - على الوجهين - كأنه: وقد أنهلها موردُها كأنَّما في القلوب.
134/أ أو يكون متعلّقاً بنفس أنهل، / كما تقول: سَقَيْتُهُ في الدار.

وقد يُروى "موردها"^(١) بضم الميم، وليس بالأعرَف^(٢)، وهو ضربٌ من وضع المظهر موضع المضمَر؛ لأنَّه كنايةٌ عن الممدوح. وحسنٌ؛ لأنَّه إذا قيل: يصدر الرماح وقد أنهلها الذي أوردها علم أنه المقصود. "ففي القلوب" - على ذا - يجوز أن يتعلّق بنفس مُوردٍ، كما تقول: أورده في القلب؛ لأنَّ اسمَ الفاعل يتقدّم عليه معمولُه.

(١٩) لَهُ أَيَادٍ إِلَى سَابِقَةٍ^(٣) أَعَدُّ^(٤) مِنْهَا، وَلَا أَعَدَّدَهَا

قوله: "أعد منها" يعني أنه الذي نَوَّه بي، واصطنعني، فكأنِّي من أياديه، على تعداد مواهبه^(٥).

ومثله في المعنى قول الآخر^(٦):

لَا تَنْتَفِئَنِي بَعْدَ أَنْ رَشَّتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكََا.

(٢٠) يُعْطِي فَلَا مَظَالَهُ يُكَدِّرَهَا بِهَا، وَلَا مَنَّهُ^(٧) يَنْكُدَهَا

(١) وردت الإشارة إلى الروایتين في الشُّروح والديوان.

(٢) لكن الواحدي، يرى أن رواية الضم أجود؛ ليشاكل لفظ الإصدار. شرحه ١١.

(٣) ويروى (سابقة): شرح الواحدي ١١. ويروى (سابقة): معجز أحمد ٢٥/١.

(٤) ويروى (أعد)، أي: أذكر بعضاً منها، ولا أستطيع إحصاءها وحصرها.

شرح الواحدي ١١، والتبيان ٣٠٤/١، ومعجز أحمد ٢٥/١.

(٥) قوله: (على تعداد مواهبه)، أي: على كثرتها. ولا يبعد أن يكون في العبارة سقط، وأن أصلها: (وليس عليّ تعداد مواهبه).

(٦) هو الجمّاز البصري، كما في الفسر ٨٥٨/١، وشرح الواحدي ١١.

(٧) رُسِمَتْ في الأصل (منة) بالناء، خلافاً لما في الديوان والشُّروح، فلعلّها من أوهام النَّاسِخ.

كان يجب أن يقول: فلا مطلقاً بها^(١)؛ ليكون "مطله" مبتدأً و"يكدرها" خبراً. فإن حملته على ظاهره، جعلت "يكدرها" فصلاً بين المصدر وصلته، وذلك مردودٌ؛ لأمرين: أحدهما: الفصل.

والثاني: أن هذا الاسم لا يخبر عنه قبل استيفاء ما يتعلّق به ويُعدّ كالجزء منه، ألا ترى أنهم لا يقولون: ضربي حسنَ زيداً؟

وإنما الكلام: ضربي زيداً حسنً، وكذا لا تقول: الذي أعطيته منطلقاً درهمًا، تريد: الذي أعطيته درهمًا منطلقاً؛ لأجل أن الصلة كالجزء من الموصول، فيجب أن تستوفيها، لتكون قد فرغت من ذكر المخبر عنه، ثم تعدل إلى ذكر الخبر.

وإذا كان كذلك وجب أن يكون "بها" متعلقاً بمحذوفٍ، فكأنه: فلا مطلقاً يكدرها، ثم قال: أعني بها، أو فلا مطلقاً يكدرها كأنها بها، فيكون العامل في الحال "يكدرها".

(٢١) خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا، وَأَمَجْدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا، وَأَجْوَدُهَا

لا يجب أن يقدر: وأمجدها أبًا؛ لأنه قد مدح أباه، ثم ذكر ما يخصه فقال: وهو -أيضاً- أمجدها؛ لينتظم الفرع والأصل بالمدح.

(٢٢) أَظْعَنُهَا بِالْقَنَاقَةِ، أَضْرَبُهَا بِالسَّيْفِ، جَحْجَاحُهَا^(٢) مُسَوِّدُهَا

(٢٣) أَفْرُسُهَا فَارِسًا، وَأَطْوَلُهَا بَاعًا، وَمِعْغَاؤُهَا وَسَيْدُهَا

نَصَبَ^(٣) عَلَى ثَلَاثَةِ أَوَاجِهٍ:

أحدها: أن يكون "فارسًا" حالاً مؤكدةً، كقولك: أميس المدبر، وتبسم ضاحكًا.

(١) أي: بالأبيادي والنعم. الفسر ١/ ٨٥٨.

(٢) الجحجاح: السيد العظيم.

(٣) نصب فارسًا.

والثاني: "أفرسها" من الفراسة، ويكون نصب "فارساً" على الحال أيضاً فكأنه: أعرفها بالأمور في الفروسية، فيكون وصفه بالشجاعة والرزانة، فدخل تحت قوله^(١):

فإذا هما اجتمعاً لِنَفْسٍ مُّوَرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ

والثالث: أن يكون نصب "فارساً" على التمييز، ويكون المراد به الاسمية، فكأنه: أفرسها جيشاً ورجالاً. ويدل ذلك على قوّة شوكته، وعظم شأنه، وأنه السيد الذي تخدمه الشجعان، كما قال: مسودها، وسيدها.

(٢٤) تَاجُ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ^(٢) وَبِهِ سَمَاهَا فَرَعُهَا وَمَحْتَدُهَا

134/ب جعل الفروع والأصول جاريةً على سمتٍ واحدٍ في الارتقاء في درج الرفعة بالمدوح. وليس / هذا تقصيراً؛ لأجل أن شَرَفَ هذه القبيلة مكتوب على وجنة الدهر، فإذا ذكر أن أصلها تشرّف به، علم أن الغرض زيادة الشرف، وأن الممدوح قد فاتها مع طول أبواعها في المعالي والمفاخر. وسترى ذا بعد.

(٢٥) شَمْسُ ضَحَاهَا، هَلَالٌ لَيْلَتُهَا^(٣) ذُرْتُ قَاصِرِهَا^(٤) زَبْرَجْدُهَا

هذا على وجهين:

أحدهما: أن يريد أن النهار تشرّف بوجهه؛ لأنهم لو فقدوه لم يكن لضوئه غناء، وكذا هو الهلال في ليلتهم. فيكون الضحى والليلة على الحقيقة.

(١) أي: المتنبي، ديوانه ١٢٤. وقبله (وهو مطلع القصيدة):

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني.

(٢) لؤي بن غالب بن فهر، جدّ قريش، وإليه ينتهي عددها ونسبها.

نسب قريش للزبير ٤١٣، وجمهرة أنساب العرب ١٢.

(٣) إنما خصّ الهلال -والبدر أكمل منه- لأن الناس يتطلعون إلى الهلال، ويهتمون به أكثر من غيره.

التبيان ٣٠٧/١، ومعجز أحمد ٢٨/١.

(٤) التقاصير: القلائد.

والثاني: أن يوقع الضحى على أحوال السعادة، ويجعله شمساً في أننائها، والليلة على الخطوب، ويكون المعنى: أنه يكشف عنهم الأمور كما يصدع نور القمر الظلام. ويؤنس بهذا أن^(١) أوقع التقاصير على ما لهم من المعالي والآثار التي يتوشح بها، وجعله الدرّ والزبرجد.

والهاء في "زبرجدها" يعود إلى التقاصير.

ولا يجب أن تكون الإضافة في قوله: "شمس ضحاها" من باب: حبّ رماني، على ما ذكرنا في^(٢):

رَبُّ نَعْمَ ————— اَيَّ رَبِّ.

لأنه لا يقال: شمس الضحى للرجل على طريقة الاسم، كما يقال: وليّ النعم.

(٢٦) يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةٌ، أَتِيحَ لَهَا كَمَا أَتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

ترتيب الكلام: ضربة أتيح لها محمدُها كما أتيحت له، أي: قُدِّرَ كلُّ واحدٍ من الضربة والمدوح لصاحبه.

ويجب أن يعود الضمير في "محمدُها" إلى القبيلة^(٣)، كما عاد فيما تقدّم.

وظاهر اللفظ يقتضي أنه يفديه بنفسه، ويقول: لَيْتَهَا^(٤) أصابتني دونّه. ثم ذكر أنها لم تؤثر تأثيراً يعتدُّ به:

(٢٧) أَتَرَفِيهَا فِي الْحَدِيدِ وَمَا أَتَرَفِي وَجْهَهُ مُهَنْدُهَا

(١) في الأصل (اذ).

(٢) انظر صفحة: ٥٠٨.

(٣) في شرح الواحدي (١٢): أن الضمير عائد إلى الضربة؛ لأنها لا يسته وأكسبته الحمد والثناء.

(٤) في الأصل (انها)، لعله تحريف.

يقول: إن الممدوح أُنْثِر في الضربة وفي السيف الذي ضُربَ به، فتأثيره في الضربة: أن من شأنها أن تعمل، وقد صرفها عن ذلك، وأوطأها بكفٍّ^(١) العجزاً. ولا يكون القصد أنه لم يكن لها تأثير في البشرة، ولكن المقصود أن التأثير كان في الظاهر فقط. والتأثير في السيف ظاهر، وهو الكسر والتلثم.

وأضاف المهند إلى الضربة لحق الالتباس، ولأن السيف سببها.

وتقول: سيف هذه الضربة، كما تقول: مَطِيَّة حَرْبٍ^(٢)، بمعنى: التي يُستعان بها على الحرب.

(٢٨) فَأَغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزِينَهَا بِمِثْلِهِ^(٣)، وَالْجِرَاحَ تَحْسُدَهَا

ثم إن الضربة فرحت حيث اكتسبت الزينة به، ووجدت الجراح حاسدة لها على ما نالته من الشرف والجمال.

فإن قلت: فإنه إذا لم يجعل الضربة مؤثرة فيه، فليس في جعل نفسه فداءً كبير شأن! فهلاً زعمت أن القصد: أن تنتقل إليه الضربة فيلابسها الشرف الذي حازته من الممدوح وحصلته؟

فالجواب: أن الذي قدّمته هو الظاهر، ولا يمنع منه بقية التأثير؛ لأنه يكره أن يصيب ظاهر وجه المجد أثرأيضاً، فيقول: ليت ذلك القدر لم يكن. على أن الذي ذكرته لا يمتنع. وعلى هذا يجوز أن يكون معنى قوله: "أثر فيها وفي الحديد" أنه سرّها وكساها فرحة، فكان ذلك تأثيراً فيها، ويوضحه أن الضربة في حكم المجاز: كأنها تأتي إتيان المبعوض، فإذا اغتبطت به، وأحبّته، كان ذلك تغييراً لها عن العادة.

(١) في الأصل (فكيف)، لعله تحريف لما أثبت.

(٢) في الأصل (جرت) تصحيف. وهذا المثال في المقتصد ٩٩/١.

(٣) ويروى (بوجهه) معجزاً أحمد ٣١/١.

ولا يخلّ/ هذا التأويل بالمعنى؛ لأن قوله: "وما أترّفي وجهه مُهنّداً" يدلّ على انتفاء العمل^(١). فهو إذاً مقبولٌ، وإن كان ينزع إلى عرقٍ من التكلف.

(٢٩) وَأَيَقِنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ، فِي قَلْبِهِ سَيَخْصِدُهَا

أي: أنه يكافئُ الذي قصده بالشرِّ على ما يستحقُّه، فيخشى ثمرة جنائيته.

(٣٠) أَصْبَحَ حَسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يَحْدَرُهَا^(٢) خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا

المصدر مضاف إلى المفعول، كأنه: خوفهم إيَّاه، ثم خوفه، كما أن الأصل: من دعائه الخير^(٣)، ثم من دعاء الخير. و"يحدّرها" بفتح حرف المضارعة من حَدَرْتُ. ويُحْدِرُ وَيُصْعِدُ: مثل يُقِيمُ وَيُقْعِدُ.

(٣١) تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنْ نَهْ يُجَرِّدَهَا

(٣٢) لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّ نَهْ فِي الرَّقَابِ يُغْمِدُهَا

الإنذار يقعُ على الذي يكره الشيء دونَ الذي يحبه، فيجب أن تعودَ الهاءُ في "أنذرها" إلى "الغمود" دونَ "الأنصل"؛ من حيث إنَّ الغمودَ تكرهُ مفارقةَ السيوف لبقائها خاليةً، كالدار تخلو من ساكنها^(٤) فيأوي إليها وفدُ البلى. وأمّا السيوف فلا يجبُ أن يجعلها كارهةً لمفارقة الأغمد؛ لأجل أن العادة أن يوصفَ السيفُ بالاشتياق إلى مُعانقة الأعناق، كما قال^(٥):

(١) أي: العمل المعهود للسيف، كالقتل أو القطع الشديد.

(٢) في الديوان ٥، والتبيان ٣٠٨/١: (يَحْدَرُهَا)، وهي لغة، والأفصح فتح الياء، على الثلاثي. (معجز أحمد ٣١/١). وفي كلام الشارح إشارة إلى اللغتين.

(٣) في قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت ٤٩].

وقد مرَّ الاستشهاد بهذه الآية على هذا التقدير، أكثر من مرّة.

(٤) في الأصل (ساكنها) ويزانها في الحاشية (ساكنها)، وهما بخط الناسخ، وليس بينهما كبير فرق.

(٥) أبو فراس، ديوانه ٣٥٨/٢ (الدهان).

قالوا: المَسِيرُ، فَهَذَا الزَّمْعُ عَامِلُهُ وارتاحَ في جَفْنِهِ الصَّمْصَامَةُ الْخَذَمُ^(١)

(٣٣) أَطْلَقَ سَاحِلُهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذْمُهَا، وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا

(٣٤) تَنْقِيحُ النَّارِ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرَّقَابِ يُحْمَدُهَا

(٣٥) إِذَا أَصَلَ الْهَمَامُ مُهَجَّتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ يَنْشُدُهَا^(٢)

(٣٦) قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْكَ، يَا ابْنَ النَّبِيِّ، أَوْحَدُهَا

إذا قيل: "يَنْشُدُهَا"^(٣) - بالياء - فظاهر؛ لأنه يعود إلى "الهمام" والتقدير: يطلبها في أطرافهنَّ، ونُصب^(٤) بحذف حرف الجرِّ.

والمقصود: أَنَّ الْمُهَجَاتِ تَجْتَمِعُ أَبَدًا فِي هَذِهِ السِّيُوفِ، حَتَّى إِذَا فَقَدَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ مَهْجَتَهُ، قَالَ: لَا مَوْضِعَ تُطَلَّبُ فِيهِ سِوَى هَذِهِ السِّيُوفِ، فَيَأْتِيهَا، وَيَلْتَمِسُهَا مِنْهَا.

أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ السِّيُوفَ مَوْلَعَةٌ بَتَتَّبَعِ الْأَرْوَاحِ وَقَصْدُهَا وَالتَّطَلُّعُ عَلَى أَمَاكِنِهَا حَيْثُ كَانَتْ، حَتَّى إِنْ الَّذِي يَضِلُّ مَهْجَتَهُ يَسْأَلُهَا عَنْ مَكَانِهَا، وَيَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَدْلَهُ عَلَى مَوْضِعِهَا؛ لَعَلَّمَهُ أَنَّهَا قَدْ صَارَتْ - مِنْ فَضْلِ مَعْرِفَتِهَا بِأَحْوَالِ الْمَهْجِ - بِحَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا أَمْرٌ شَيْءٍ مِنْهَا.

(١) عامل الرمح: قائمه. والخزم: القاطع بسرعة.

(٢) في (ينشدها) أربع روايات، ذكر الشارح ثلاثاً منها، والرابعة: (فأطرافهنَّ مَنَشُدُهَا)، أي: المكان الذي تُطلب فيه، وهي رواية الواحدي (١٤).

(٣) هذه الرواية هي المثبتة في متن الديوان ٥، وهي رواية الكندي شرحه ٧، وأشار إليها الواحدي (١٤)، وكلام ابن جني يدل عليها.

(٤) أي: نصب (أطرافهنَّ) بحذف حرف الجرِّ، وأصل الكلام: ينشدها في أطرافهنَّ.

وإذا قيل: "تَنَشِدُهَا"^(١) بالتاء، وجب أن تكون التاء للخطاب، ويكون المعنى: أنه يستعين بك، فأنت تطلبها^(٢) بأطرافهن، وتردّها عليه. ولا يمتنع أن يكون التقدير: في أطرافهن، على [ذا] الوجه أيضاً.

ولو قيل: "فأطرافهن تُنَشِدُهَا"^(٣) برفع أطرافهن، كان الأمر جاريًا مجرى قولك: فأطرافهن تُنشد^(٤) تلك المهجة المفقودة، وتردّها على مَنْ أضلّها. لكن المتنبّي قصّد النصب لأنه أبلغ من حيث يدلّ على [أن] الأرواح من عاداتها أن تأويّ إلى هذه السيوف، وهي مقرّها، كما قال^(٥):

رَيَانُ، لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدُ

135/ب (٣٧) / وَأَنْكَ^(٦) بِالْأُمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخٌ مَعَدٌّ، وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا

الوجه: أنك، بالتثقيل، ولكنّه خَفَفَ مع الإعمال، كما قال^(٧):

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي فِرَاقَكَ لَمْ أَبْخُلْ، وَأَنْتَ صَدِيقُ.

وإنما التخفيف المطرّد الجائز أن يكون عند الإضمار، كقوله^(٨):

(١) هذه رواية التكملة ٤٢/١، والمنصف لابن وكيع ٩٤/١، وأشار إليها الواحدي (١٤).

(٢) في الأصل (تطلبه).

(٣) هذه رواية التبيان ٣٠٩/١، ومعجز أحمد ٣٣/١، وأشار إليها الواحدي (١٤).

(٤) يقال: أنشد الضالة، إذا عرفها، وقال: لمن هي؟. اللسان (نشد).

وفي الأصل (تنشدها تلك...).

(٥) أي المتنبّي، ديوانه: ٤٤، يخاطب شجاع بن محمد الطائي، ويصف سيفه.

(٦) ويروى (وأنت بالأمس). شرح الواحدي ١٤، ومعجز أحمد ٣٥.

(٧) بلا نسبة في الفسر ٧٦٩/١، وشرح الواحدي ١٤، والجني الداني ٢١٨، والخزانة ٤٢٦/٥، واللسان (صدق).

(٨) هو الأعشى، ديوانه (الصباح المنير) ٤٥. وعجزه فيه:

أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل.

ورواية الشارح موافقة لرواية الكتاب ١٣٧/٢.

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحصى ويتعمل.

التقدير: أنه هالك. وبقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾^(١).

وأوقع "الأمس" على ما مضى؛ إذ لا يريد اليوم الذي يلي يومه، ومثله^(٢):

وليس الفرار اليوم عاراً على الفتى إذا جربت منه الشجاعة بالأمس

و"شيخ معد" خبر كان، و"محتلماً" حال ثانية^(٣)، كأنه: كنت شيخ معد محتلماً أمرد.

(٣٨) فكم وكم نعمة مجللة^(٤) ربيتها^(٥) كان منك مولدها

"مجللة" بكسر اللام الأولى، من جللت، كأنها عامة تغطي كل شيء.

وقوله: "ربيتها"، أي: تصرفت فيها، وحافظت عليها، وكان الأصل منك. وأما تكرير
"كم" فللتكثير، فكأنه قال: فكم نعمة وكم نعمة، يريد: كثير من النعم وكثير من النعم،
والقصد في ذلك أنه كثير بعد كثير^(٦).

وليس هذا تكريراً، كقولك: ضربت زيداً زيداً؛ لأن الثاني معطوف على الأول،
والتكرير يكون في شيء واحد، والشيء لا يعطف على نفسه إلا إذا اختلف اللفظان، نحو
قولك: بعد النأي والبعد.

(١) سورة المزمل: ٢٠.

(٢) هوأوس بن حجر، ديوانه ٥٢، أو عمرو بن معديكرب، شعره ١٢٩، وفي البيت روايات، استقصاها المحققان.

(٣) والحال الأخرى جملة: (وأنت أمردها).

(٤) ويروى (مجللة)، أي: معظمة، من الجلال. شرح الواحدي ١٥، والتبيان ٣١١/١، وشرح الكندي ٩،
ومعجز أحمد ٣٥/١.

(٥) (ربيتها) بضم التاء، في شرح الكندي ٩، والتكملة ٤٣/١، وأشار إليها محقق الديوان عن نسختين
منه، ورواية الشروح الأخرى، والرواية المثبتة في متن الديوان: (ربيتها) على الخطاب. أي: أنك
نميت هذه النعمة وقرنتها بأمثالها.

(٦) في الأصل (أنه إذا كان كثيراً بعد كثير).

(٣٩) وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى مَوْعِدْهَا

و"كم" وهنا أيضاً مبتدأ، "سمحت بها" صفة للحاجة، كأنه يقول: وكم حاجة مسموح بها، وكم حاجة مقضية من جهتك أقرب مِنِّي إِلَى مَوْعِدْهَا. و"موعداً" مبتدأ، و"أقرب" خبر مقدم، والجملة في موضع خبر "كم".

(٤٠) وَمَكْرَمَاتٍ^(١) مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْـ بِرِّإِي مَنَزِلِي تَرَدُّدْهَا

و"مكرمات" بالجر معطوفة على "كم حاجة"، كأنه: وكم مكرمات.

جَمَعَ مُمَيَّرَ (كم) لأنه يجوز^(٢) فيها ذلك، إذا كانت خبراً، تقول: كم غلام لك، وإن شئت قلت: كم غلمان لك، وعلى ذلك قال^(٣):

وكم رجال بلا أرض لِكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل

(٤١) أَقْرَجِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَـ أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدْهَا

قوله: "أجحدها" في تقدير: أن أجحدها، ثم حذف، فرفع الفعل، كما قال^(٤):

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضُرُ الْوَعَى

فلما حذف (أن) بطل عملها.

(٤٢) فَعُدْ بِهَا، لَا عِدْمَتُهَا أَبَدًا خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا

(١) أراد بالمكرمات هنا ثياباً أهداها إليه. الفسر ١/ ٨٧٣، وشرح الواحدي ١٥.

(٢) في الأصل (لا يجوز).

(٣) أي: المتنبي، ديوانه ٢٦٧، يخاطب سيف الدولة.

(٤) هو طرفه، وقد مضى مرراً، انظر صفحة: ٣٢٧، ٩٨٥.

تمّ الجزء الأوّل من شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي
للإمام الأجلّ أبي بكر عبد القاهر الجرجاني.
في غرة المحرم سنة (١٠٥٧)^(١).

(١) كتب أحدهم بإزاء هذه الخاتمة ويخط مخالف: (بل هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، صاحب كتاب الوساطة، كما نقله الواحد في شرحه للديوان).
وقد سبق التعليق على هذا القول الواهي عند الكلام على نسبة هذا الكتاب في قسم الدراسة.

الفهارس الفنيّة

شرح ديوان المتنبي للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني

شرح ديوان المتنبي للإمام
عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	٠٠٢	١٨٣
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	٠٠٥	١٨٣
سورة البقرة		
﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾	٠٢٦	٤٤٨
﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٠٣٥	٤٥٣
﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	١٢٨	٤١٣
﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾	١٨٧	٣٩٥
﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	١١٤
﴿فَضْرَهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾	٢٦٠	٤٢٥
﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾	٢٨٠	٦٢٨، ٤٨٣، ٧٩
سورة آل عمران		
﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾	٠٣٩	١٨١
﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	٠٤٣	٧٥٤، ٣٧٧
﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ﴾	٥٤	٥٦١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾	٩٦	٦٤٣، ٦٧٣
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾	١٣٣	٤٦٨
﴿يَغْشَى طَافِكَةً مِّنْكُمْ وَطَافِكَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾	١٥٤	٨٢
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾	١٥٩	١٦٥
﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	١٦٧	٣٩٧
سورة النساء		
﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾	٠٢٥	٤٠٤
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾	٣٤	١٠٦
﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٠٥٩	٣٥٤
سورة المائدة		
﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾	٧١	٧١١
سورة الأنعام		
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِأَنبِلٍ﴾	٦٠	٧٩٠
﴿وَلِنَصْغَى إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾	١١٣	١١٤
سورة الأعراف		
﴿الْمَصِّ﴾	١	٧٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	١٨	٥١٣
﴿قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾	٠٧٥	٢٠٦
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾	١٧٢	٢٣٨
﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾	١٨٧	٦١٥
سورة التوبة		
﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٤	٥٦٤
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾	١٠٣	٤٥١
﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾	١٢٣	٤٦٤
سورة يونس		
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾	٠٤٢	٤١٨
سورة هود		
﴿فَعَمِيتَ عَلَيْهِمْ﴾	٠٢٨	١٥٣
﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾	٠٧٧	٤١٠
سورة يوسف		
﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾	٠٣٠	٣٤٩
﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾	٠٣١	٣٥٠
﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾	٠٤٣	٢٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتَلُ﴾	٠٦٣	٤١٥
﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾	٠٨٢	٣٩٥
﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٩٠	٧٦٦
سورة الرعد		
﴿السَّحَابُ الْقِحَالُ﴾	١٢	١٦٤
سورة إبراهيم		
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ، رُسُلُهُ﴾	٤٦	١٥٣
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾	٠٤٨	٢٠١
سورة الحجر		
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٠٣٠	١٩٨
سورة النحل		
﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	٦١	٤٩٩، ٤٥٢، ٤٣٧
﴿فَإَذِقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾	١١٢	٣٩٤
سورة الإسراء		
﴿لَا حَتَمَ لَكَ ذُرِّيَّتُهُ، إِلَّا قَلِيلًا﴾	٠٦٢	٣٢٦
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾	٨٥	٦٤٩
سورة الكهف		
﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾	٨٢	٣٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾	٩٨	٢٠٨
سورة مريم		
﴿كَهَيْعَصَ﴾	١	٧٧
﴿كَانَ فِي حَقِيًّا﴾	٤٧	٦١٥
سورة طه		
﴿إِنَّهُ مِنْ بَآتِ رَبِّهِ، تُجْرِمَ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾	٠٧٤	٢٥٨
سورة الأنبياء		
﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾	٠٣٧	٢٣٥
سورة الحج		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾	٠١١	٤٠٣
﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا﴾	٠١٢	٤٠٣
﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ﴾	١٨	٤٠٩، ١٥٥
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾	٠٣٠	١٨٧
سورة النور		
﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾	٤	١١٣
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾	٠٢٢	٣٥٤
سورة الفرقان		
﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ﴾	٤١	٦٣٨، ١٢٩، ٩٤
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾	٠٦٨	٤٤٨
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	٧٠	٢٧٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الشعراء		
﴿فَطَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾	٤	٧٩٣
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾	٦٣	٩٣
سورة النمل		
﴿وَكُلُّ أُنثَى دَخِيرٍ﴾	٨٧	٥١٣
﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾	٨٧	٥٢٧
سورة الأحزاب		
﴿وَتَقْتُلُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	١٠	١٨٠
﴿سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾	١٩	٤٨٥
سورة سبأ		
﴿وَمَرَقَهُمْ كُلَّ مَرَقٍ﴾	١٩	٤٠٩
﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾	٣٣	٤٧٤
سورة يس		
﴿وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾	٤٠	٣١٨
﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾	٨٠	٧٠٦
سورة ص		
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾	٤٥	٤١٣
سورة الزمر		
﴿قَدْ جَاءَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾	٥٩	٦٥٥
﴿قُلْ أَفَعَيِّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوفِيْ أَعْبُدُ﴾	٦٤	٢٨٢

الآية	رقمها	الصفحة
سورة غافر		
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَقِهِمْ ﴿٧٠﴾	٠٧٠	٣٥٢
﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَقِهِمْ﴾	٠٧١	٤٠٢
سورة فصلت		
﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾	٢٨	١١٨
﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾	٠٣٤	٤٦٨
﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾	٤٩	٥٢٩، ١١٦
سورة الزخرف		
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾	٦٠	٧٨
سورة الأحقاف		
﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾	٠٢٤	٤٢٢
سورة الفتح		
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	١٤	٢٧٦
سورة القمر		
﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَحْلٍ مُنْفَعِرٍ﴾	٢٠	٥٦٤
﴿أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا نَجَّعُهُ﴾	٠٢٤	٤٧٩
سورة الرحمن		
﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾	٠٣٣	٣٧٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة التغابن		
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾	٠٠٢	٣٧٧
سورة الحاقة		
﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	٧	٥٦٤
سورة نوح		
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	٠١٧	٤٨٠، ١٧٨
سورة المزمل		
﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾	٢٠	٧٠٤
سورة المدثر		
﴿وَالرُّجْزَ فَاهُجْزٌ﴾	٥	٧٤١
سورة القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿٢﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾	٠٠٣	٥٧٢، ٣٠٥
سورة الإنسان		
﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٣١	٧٩١، ٤٧٩
سورة الانشقاق		
﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾	٠٠١	٤٧٩
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	٢، ١	٧٤٦، ٣١٨

فهرس الأحاديث

١٨٩	"إياكم وخضراء الدّمن"
١٨٥	"السكر من كل شيء حرام"
٤٧٦	"لا جَنَبَ، ولا جَلَبَ، ولا شِغَارَ؛ في الإسلام"
٦٤٦	"لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد"
١٢٠	"المسلمون تتكافأ دماؤهم"

فهرس الأمثال

٤٣١	أَرَوَى من ضَبٍّ
٥٨٨	أَقَوْدُ من اللّيل
٦٢١	أَمَّا البَيْتُ فَحَسَنٌ وَأَمَّا السَّاكُنُ فَرَدِيٌّ
٤٤٢	إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
٣٧٣	إِنَّ الْعُرُوقَ عَلَيْهَا تَنْبِتُ الشَّجَرُ
٣١١	إِنَّ الْمَنَّةَ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ
٣٨٤	التَّكَلَّى تُحِبُّ التَّكَلَّى
٢٧٤	الحديث ذو شجونٍ
١٨٢	حَنَّتْ وَلَا تَهَنَّتْ
١٥٤	رضيتُ من الوفاء باللفاء
١٥٦	رماه بأفعى حارية
٩٥	الصيفُ ضيّعَ اللَّبَنَ
٣٦٣	لو ذاتُ سِوارٍ لطمتني
٢٩٩	مَنْ عَزَبَ

فهرس قصائد المتنبي

الصفحة	المطلع
٧٥	إِذْ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الطَّلَامِ ضِيَاءُ
١٧١	وَتَحْسِبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إِنَائِي؟
١٧٩	وَلَمَنْ يَدْنِي مِنَ البُعْدَاءِ
١٩٦	وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سُدَائِهِ
٢٠٨	وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ
٢٢٩	أُيِّتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ
٢٣٠	فَطِنْتُ، وَأَنْتَ أَغْبَى الْأَغْبَاءِ!
٢٣٣	فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى
٢٥١	وَأَيَّ رَزَايَاهُ يُوَثِّرُ نَطَالِبُ
٢٥٩	لَأَهْلِهِ، وَشَفَى، أَتَى؟ وَلَا كَرِيَا!
٣٠٠	الْلَّابَسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبا
٣٣٠	هَطِلُ، فِيهِ ثَوَابٌ وَعَقَابُ
٣٣٤	عَجَائِبُ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ!
٣٣٥	فَاعْذَرُهُمْ أَشْفُهُمْ حَبِيبَا
٣٥٨	وَرَدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ
٣٨٦	تَحْيَرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عِجَابِ
٣٩١	وَأَقْتَلَهُمُ لِلدَّارِعِينَ بِلا حَرْبِ
٣٩٤	لَاخُذْ مِنْ خَالَاتِهِ بِنَصِيبِ
٤١٨	فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبا
١	أَمِنْ ازْدِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ
٢	أَتُنْكَرِيَا ابْنَ إِسْحَاقٍ إِخَانِي
٣	إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ
٤	عَذْلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ
٥	الْقَلْبُ أَعْلَمُ يَا عَذُولَ بَدَائِهِ
٦	لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عِلَاءِ
٧	أَسَامِرِي، ضُحْكَةً كُلِّ رَاءٍ!
٨	أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى
٩	لَأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نَعَاتِبُ
١٠	دَمْعُ جَرَى فَقْضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجِبَا
١١	بِأَيِّ الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبا
١٢	إِنَّمَا بَدْرُ بَنِ عَمَارٍ سَحَابُ
١٣	أَلَمْ تَرِ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُرْجَى
١٤	ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقُ ضُرُوبَا
١٥	أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
١٦	لِعَيْنِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ خَطُّ
١٧	فَدَيْنَاكَ، أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِ
١٨	لَا يَحْزُنُ اللَّهَ الْأَمِيرَ فَإِنِّي
١٩	فَدَيْنَاكَ مِنْ رُبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرِبا

الصفحة	المطلع
٤٠	أَلَا مَا لِسِيفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا
٤١	أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ
٤٢	أَيُّدِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يَرِيبُ
٤٣	بَغِيرِكَ رَاعِيًا عَيْتَ الذَّنَابِ
٤٤	فَهَمَّتْ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ
٤٥	يَا أُخْتُ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتُ خَيْرِ أَبٍ
٤٦	مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِيِبِ
٤٧	أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ، وَالشُّوقُ أَغْلَبُ
٤٨	مُنَى كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ
٤٩	أَخِرَمَا الْمَلِكُ مَعَزَى بِهِ
٣٠	لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ابْنًا لَغَيْرِ أَبٍ
٣١	لَحَا اللَّهَ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَتَتْ بِهِ
٣٢	أَبَا سَعِيدٍ جَنَّبِ الْعِتَابَا
٣٣	لَأُحِبَّتِي أَنْ يَمْلَأُوا
٣٤	وَأَسْوَدَ، أَمَّا الْقَلْبُ مِنْهُ فَصَيِّقُ
٣٥	مَا أَنْصَفَ الْقَوْمَ ضَبَّهُ
٣٦	سَرِبَ مُحَاسِنُهُ حَرَمَتْ ذَوَاتُهَا
٣٧	أَنْصُرُ بِجُودِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا
٣٨	فَدَتِكَ الْخَيْلُ وَهِيَ مُسَوَّمَاتُ
٣٩	لَنَا مَلِكٌ مَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هَمَّهُ
٤٦٣	فَدَاهُ الْوَرَى، أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِيَا
٤٦٧	وَحَاضِيهِهِ النَّجِيعُ وَالْقَضَبُ!
٤٦٨	وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخُطُوبُ؟
٤٨٧	وَعَيْرَكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ
٥١٦	فَسَمْعًا لَأَمْرٍ أَمِيرٍ الْعَرَبُ
٥٤٤	كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
٥٨٠	خُمْرُ الْخَلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ
٦١٢	وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ
٦٤٣	فَيَخْفَى بِتَبْيِيزِ الْقُرُونِ سَبَابُ
٦٧٢	هَذَا الَّذِي أَتَرَفِي قَلْبُهُ
٦٨٩	ثُمَّ امْتَحَنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
٦٩٠	لَهُ كَسْبُ خَنْزِيرٍ وَخَرْطُومُ ثَعْلَبِ
٦٩٢	رَبِّ رَأٍ خَطَأً صَوَابَا
٦٩٣	بِالصَّافِيَّاتِ الْأَكُوبَا
٦٩٤	نَحِيبُ، وَأَمَّا بَطْنُهُ فَرَجِيبُ
٦٩٥	وَأَمَّا الطَّرْطَبُ فَهُوَ
٦٩٩	دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدِ مَوْصُوفَاتِهَا
٧٢٨	فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
٧٢٩	وَبَيْضُ الْهِنْدِ وَهِيَ مُجَرَّدَاتُ
٧٣٠	مَمَاتٍ لِحَيٍّ أَوْ حَيَاةٍ لِمَيِّتٍ

الصفحة	المطلع
٧٣٧	وَنَارُ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيحُ
٧٤١	أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنَى الشَّيْخُ
٧٧٠	هَجَنْتَنِي كَلَابُكُمْ بِالنُّبَاحِ
٧٧٢	وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ
٧٧٣	وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَاحِ
٧٧٥	عَلَى أَثَارِهَا رَجُلُ الْجَنَاحِ
٧٧٧	وَفَارِسَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ سُبُوحِ
٧٧٨	أُبْعِدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا
٤٠	لَهَذَا الْيَوْمَ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ
٤١	جَلَا كَمَا بِي فَلَيكَ التَّبْرِيحُ
٤٢	أَنَا عَيْنُ الْمُسَوِّدِ الْحَجَّاجِ
٤٣	يُقَاتِلْنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جَدًّا
٤٤	بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَى الْقَرَاخُ
٤٥	وَطَائِرَةٌ تَتَّبَعُهَا الْمَنَاحُ
٤٦	أَبَاعَتْ كُلَّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحِ
٤٧	أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيِدُهَا

فهرس الأشعار

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القافية
الهمزة			
٦٩٥	البحثري	١	هَجَاء
٣٢٥	قيس بن الخطيم	١	بَقَاءَهَا
٢٨٧، ١٤١	المتنبي	١	استجْدَاء
٣٦٩	المتنبي	١	الآرَاءُ
٢٠٥	المتنبي	١	بَرَاءُ
٣٣٠	المتنبي	١	الضَّرَاءُ
٢٠٦	المتنبي	١	الشُّعْرَاءُ
٥٧٨	(الفزردق)	١	جَزَاءُ
١٩٠	المتنبي	١	شَاءُوا
٢٧٩	المتنبي	١	الرَّحْضَاءُ
٤٨٨، ٩٨	المتنبي	١	الْإِنْصَاءُ
٢٦٩	ابن المعتز	٢	شِفَاءُ
٣٨٣	المتنبي	١	بُكَاءُ
٧٦	المتنبي	١	دُكَاءُ
٢٧٨	المتنبي	١	الْأَلَاءُ
١١٢	حسان	١	الدِّمَاءُ
٦١٩	(ابن قيس الرقيات)	١	الظُّلَمَاءُ
٦٥١	المتنبي	١	نَسَاءُ

الفاية	عدد الأبيات	القائل	الصفحة
الدهناء	١	البحري	٩٧
حواء	١	المتني	٢٦٩
شعواء	٢	ابن قيس الرقيات	٧٤٧
حياء	١	المتني	٢٠٣، ١٨٨
الأشياء	١	المتني	١٢٢
سوداء	١	المتني	٣٨٢
يسامراء	١	البحري	٢٣١
سمراء	١	المتني	١٨٢
خضاء	٤	المرار ابن سعيد	١٠٢
الآلاء	١	المتني	٢٤٣
الماء	١	البحري	٢٥٣
نهاء	١	البحري	٥٠٩
الرواء	١	المتني	٦٦٤
بفدائه	١	المتني	٧٠٧، ٤٢٦
عزائه	١	المتني	٣٠٢
أكفائه	١	البحري	٢٣٢
شقائه	٤	سهل بن محمد الكاتب	٢٠٧
بسوائيه	١	المتني	٣٩٧
الألف اللينة			
الصبا	١	الأعشى	٥٤٩

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٢٣٦	-	٢	السُرى
٩٥	(الراعي)	١	النَّسَا
٢٣٩	-	٢	شراًفا
٢٨٣	-	١	والمنحنى
الباء			
٧٩٩	المتنبى	١	رَبْ
٥٧٧	المتنبى	١	الحَشَبْ
٥٢٣	المتنبى	١	حَلَبْ
١٣٠	المتنبى	١	سَلَبْ
٦٨٢	(أبو تمام)	١	الحبائب
٦٢٦	أبو تمام	٢	خائب
٧٦٢	أبو تمام	١	عائب
٤٩٥	معوذ الحكماء	١	كعاب
٧٤٥	جرير	١	كلاب
٧٨١	-	١	ذهاب
٤٣٤	المتنبى	١	عبا
٧٢٤، ٧١٣	المتنبى	١	يَضْطَجِبَا
٢٦٧	(سهم الغنوي)	١	أدبا
٣٤٨	المتنبى	١	الأدبا
٦٤٢	أبو تمام	١	المغاربا

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
٧٠١، ٣٩٧	المتني	١	مُقْتَرِبًا
٢٧١	المتني	١	انتسبا
٣٢٠	(الأعشى)	١	مُخَصَّصًا
١١٣	(جرير)	١	أغضبا
٥٣٨	المتني	١	رُعْبًا
٤٢٤	أبو تمام	١	كواكبًا
٤٣٣	المتني	١	تُعَالِبًا
٥٤٢	-	١	أَذْهَبًا
٧٨	أبو تمام	١	التشبيبا
٤٣٥	المتني	١	جَدِيْبًا
٨٠	البحري	٢	طيبا
١٦٥	البحري	١	تَغِيْبًا
٦٦٠، ١٤٨	أبو تمام	٢	جَنِيْبًا
١٣٥	البحري	٢	مَهِيْبًا
٣٠٩	أبو تمام	١	تَائِبٌ
٤١٩	علي بن الجهم	١	العَتَابُ
٤٥١	المتني	١	السَّحَابُ
٥١٠، ٢٤١	المتني	١	تَرَابٌ
٦٢٤	المتني	١	اغْتِرَابٌ
٥٠٣	المتني	١	اقْتِرَابٌ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
٤٥٠	المتنبى	١	الشَّرَابُ
٦٨٢، ٦٥٩	المتنبى	١	يُعَابُ
١٧٣	المتنبى	١	عقابُ
٥١٢	المتنبى	١	الثِّيَابُ
١٤٣	المتنبى	١	مَحَبُّ
٦٠٧	أبو تمام	١	تَحْتَجِبُ
٦٤٦	عبد الله المهلبى	١	مُحَجَّبُ
٦١٢	البحترى	١	أعجبُ
٥٨٧	المتنبى	١	تَكْذِبُ
٦٦٢	(الأخنس بن شهاب)	١	نُضَارِبُ
٣٠٨	(ذو الرمة)	١	عَرَبُ
٢٦٥	البحترى	١	تَغْرُبُ
٦١٣	-	١	قُرْبُ
١٦٠	نصيب	٢	طالِبُ
٣١٤	(ساعدة بن جؤية)	١	الثعلبُ
٦١٩	ابن قيس الرقيات	١	الدَّهَبُ
٦٣٠	أبو تمام	١	يُوْهَبُ
٣٩٢	-	١	محبوبُ
٣٩٧	-	٢	الجُدوبُ
٢٥١	-	١	ذيبُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٢١٧	أعرابي	١	لأريبُ
١٥٥	(علقمة الفحل)	١	مشيبُ
٣٥٧	البحثري	٢	طيبُ
٢٥٥	-	١	يغيبُ
٤٧٦	-	١	جَنيبُ
١٥٢	المتنبي	٢	خُيِّبُوا
٤٤٣	(أبو الشيص)	١	صاحبه
٧٩٤	الفرزدق	١	أقاريه
٤٤٦	أبو تمام	١	عقاريه
٥٢٨	(ذو الرمة)	١	مَلاعبه
١٢٣	البحثري	١	كواكبه
١١٩	أبو تمام	١	فسالبه
٤٦٨	(التملمس أو غيره)	١	جانبه
٣٩٨	-	١	ذئابها
١٢٦	البحثري	١	حبائب
٧٦١	المتنبي	٢	بِالْكَتَائِبِ
٢٤٠	-	١	الركائب
٣٧٨، ٢٣٧	(عامر بن الطفيل)	١	ولا أب
٦٦٨	(البعيث بن حريث)	١	أبي
٣٨١	أبو تمام	١	النواب

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٤٢١	-	١	الذُّباب
٤٨٤	-	٢	الشَّبَاب
٤١٢	-	١	انتسابي
١٩٤ ، ١٧٦	(عفيرة الكلبية أو غيرها)	١	الإهاب
٥٨٤	البحثري	٢	الصَّبَّ
٥٠٥	المتنبي	١	كاتب
١٧٩	(البعيث بن حريث)	١	مرحب
٥٢٥	المتنبي	١	الأدب
٥٢٩	(أمرؤ القيس)	١	جندب
٣٧٨	(عامر بن الطفيل)	٣	المهذب
١٤٤	(وجيهة الضبية)	١	بالثرب
٦١٠	المتنبي	١	للعر
٣٢١	البحثري	٢	مُعرب
٧٢٠	(النابعة الجعدي)	١	للمُعرب
٦٠٠	(المجنون)	١	مُعرب
٢٣٠	البحثري	٣	سبب
١٢٩	أبوتام	٣	مكتسب
٦٨٤	المتنبي	١	الحَسَب
٤٥٤	أبوتام	١	عُشْب
٣٧٨	البحثري	١	مناصب

الصفحة	القائل	عدد الأبيات	القافية
٢٠٩	البحثري	٢	بالغصب
٢٦٢	-	١	المثاعب
١١٣	النابعة	١	الكواكب
٥٣٢	امرؤ القيس	١	كَبَّكَب
٣٧١	امرؤ القيس	١	مُرْكَب
٣٠٩	أبو تمام	١	منكي
٤٣٣	البحثري	١	الموكب
٦٢٩	البحثري	١	المطلب
٣٩٦	البحثري	١	القلب
٩٧	البحثري	١	المقانب
٣٧٢	المتني	١	الجوانب
٧٦١	البحثري	١	مذنب
٥٧٠	المتني	١	بالشَّنب
٥٦٥	المتني	١	العنب
٤٨٤، ٣٧٨	(عامر ابن طفيل)	١	بِمُقْنَب
١٣٢	أبو تمام	٢	المذاهب
٥٤٩	المتني	١	تَهَب
٦٤١	البحثري	٢	الأشهب
٣٩٢	البحثري	١	الكذوب
٣٨٢	(الأعشى)	١	الخطوب

الصفحة	القائل	عدد الأبيات	القاية
١١٧	المتنبى	١	يَعْقُوب
٤٤٤	-	١	الذنوب
٤٦٩	البحترى	١	الذنوب
٢٣٤	أبو تمام	١	آيب
٤٤٦	المتنبى	١	تَرْتِيب
٣٦٨	البحترى	١	نَجِيب
٢٦٩	البحترى	٢	صَرِيب
٤١٢	المتنبى	١	قَرِيب
٤٧١	(خالد بن زهير)	٣	غيب
١٢٣	البحترى	٢	خُيِّب
٤٠٧	البحترى	١	عَجَبِه
٤٠٦	البحترى	١	نُوبِه
١٣٣	البحترى	٣	صحبِه
١٥٤	البحترى	٢	صغْبِه
٣٣٢	الأعشى	١	أودى بها
التاء			
٥٥٠	الأخفش	١	دَيَّبْتُ
٥٥٠	المعدل بن غيلان	١	عَذَرْتُ
٣٢٦	-	٣	أجحفْتُ
٢٢٢	ابن المعتز	٣	وأنتا

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
٢٢٤	ابن المعتز	١	أَحْسَنَتَا
٤٦٩	(الشافعي أو هلال الرقي)	١	العداوات
٧٣٢	(الفرزدق)	٢	فَاسْمَدَرَّتْ
٣٤٢	عمرو بن معديكرب	١	فَاسْتَقَرَّتْ
٧٣٠	(عبد الله بن الزبير أو غيره)	١	مَجَلَّتْ
٧٣١	كثير	١	حَلَّتْ
٥٠٧	(سلمى بن ربيعة أو غيره)	١	والتي
٧٣٢	(كثير)	٢	صُمَّتْ
٧٣١	كثير	١	جُنَّتْ
٧٣٦	أبو تمام	٢	وَأَيَّتْ
٤٧٣	المتنبي	١	عَلَاتِيهَا
٧٩٤	المتنبي	١	أُمَاتِيهَا
الجيم			
١٦٣	أبو ذؤيب	١	نَيَّيْجُ
٦٥٩	البحري	١	الهاجي
١٢٣	البحري	١	الدياجي
الحاء			
١٢٤	بشار	١	مِلَاحَا
١٠٤	البحري	٢	مزحا
٣٩٦	(ابن الزبيري)	١	رُمَحَا

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القافية
٧٦٢	منصور الفقيه	١	سُمَحَا
٧٨٤، ٥٦٨	(سعد بن مالك)	١	لَا بَرَاخُ
٢٩٨، ٢١٢	سعد بن مالك	١	وَرَاخُ
٢٩٨	(سعد بن مالك)	٢	جِمَاخُ
٤٨٦	العباس بن الأحنف	١	رَاخُ
٧٥٧	دعبل	١	وَمُسَبَّخُ
٦٥٧، ٦٤٢	(أشجع السلمي)	١	مَادُخُ
٧٢٨، ١١٦	-	١	مِجْدَحُ
٥٩٦	(أبو ذؤيب)	١	الذبيحُ
٢٧٨	(البحتري)	١	إِصْبَاحُ
٤١٥	(جرير)	١	بالنجاح
١٦٤	(أوس بن حجر أو غيره)	١	بالزَّاحِ
٦٥١، ٦٣٥	-	١	النَّطَاحِ
٥٥٧	ابن المعتز	١	الجنَّاحِ
٣٢٥	عمرو بن الإطناية	١	تستريحِي
الخاء			
٣٥١	النامي	٢	شَامِخُ
٧٨٦	طرفه	١	طَبَّاحُ
الدال			
٣٥٦	عمر بن لجأ	١	أجسادا

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٤٨٢	(زائدة بن صعصعة)	١	بُدا
٤٣١	الضُبّ	٥	صَرِدَا
١٢٦	المتنبي	١	العدا
٢٥٩	جرير	١	غدا
٣٤٠	(عمرو بن معديكرب)	١	قَدَا
٣٩٩	(حاتم أو غيره)	١	مخلداً
٢٥٥	المتنبي	١	الحديدا
٤٤٢	أبو تمام	٢	شديدا
١٦٩	-	٢	كيدا
٣١٠	المتنبي	١	مزأده
٥٩٧	المتنبي	٢	القصاصدُ
١٧١	(عويّف القوافي)	١	الأرفادُ
٥٨٨	ابن المعتز	١	قَوَادُ
٨٠٣	المتنبي	١	مُرِيدُ
٥٥٧	أبو تمام	١	يا لَبْدُ
٢٥٨	(أبو العتاهية)	٢	جاحدُ
٣٥١	البحثري	٢	السُّودَدُ
١٢٤	(دوقلة أو غيره)	١	الضدُ
١٢٥	دوقلة أو غيره	١	مسودُ
٤٠٣	-	٢	الفردُ

الصفحة	القائل	عدد الأبيات	القافية
٥٦٦	المتنبي	١	الوردُ
٦٥٧	-	٣	الوردُ
٢٠٢	المتنبي	١	الأسدُ
١٣٣	البحري	٣	رغدوا
٢٠٢	المتنبي	١	ناقدُ
١٤٧	المتنبي	١	الحقدُ
٥٨٥	المتنبي	١	توقدُ
١٩٣	البحري	١	البلدُ
٥٦٠	المتنبي	١	الجلمدُ
٣٢٥	(أنس بن مدرك أو غيره)	١	الورودُ
٣٥٩	المتنبي	١	أسودُ
١٢١	(النابعة)	١	الأسودُ
٤٨٢	(أبو العطاء السندي)	١	وفودُ
٣٦٥	بشار	١	تلدُ
٣٥٥	-	٢	النَّجودُ
١٩٨	-	١	مجهودُ
٢٣٧	(حيان بن ربيعة)	١	شهودُ
٤٩٩	أبو بكر الخوارزمي	٢	الحديدُ
٣٣٨	-	١	الثريدُ
١٥٤	أعرابي	٢	مزيدُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٣٨٥	-	١	مَزَادُهُ
١٩٤	المتنبي	١	أَحَدُهُ
١٨٧	المتنبي	١	تَهْدُهُ
٩١	المتنبي	١	مُهَنْدُهُ
٤٢١	(العوام بن عقبة أو غيره)	١	عَوْدُهَا
٤٢٤	العوام بن عقبة أو غيره	١	عَقْوُهَا
١٣٩	(النايعة)	١	مُقْتَادُ
٦٥٣	أبو تمام	١	صَادِي
٣٢٧	أبو تمام	١	عَادِ
١٩٤	المتنبي	١	أَعَادِي
٥٦٠	المتنبي	١	الْجَمَادِ
٣٦٨	البحثري	١	مَجْتَدِ
٢٩٦	(ابن أحرمر)	١	يَهْتَدِي
٥٦٦	(أبو الفتح البستي)	٣	الْمَجْدِ
٤٠٥	(كشاجم)	١	وَاحِدِ
١٤٥	البحثري	١	بِوَاحِدِ
٢٥٦	أبونواس	١	فِي وَاحِدِ
٢٢٣، ٨٦	(المجنون)	٢	وَحْدِي
٩١	(دريد بن الصمة)	١	الْمُسَرَّدِ
٢٤٦	أبو تمام	١	مُسَرَّدِ

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القاية
٢٥٣	البحري	١	مُمَرَّد
٢٠٣	البحري	١	بجاسد
١١٥	(المثقب العبدى)	١	للمُنشِد
٥٥٥	ابن رملية	١	بساعِد
٢٢٣	نصيب أو غيره	١	بَعْدِي
٢٢٤	(الأقيشر)	١	بعدي
٢٢٤	عبد الملك بن مروان	١	بعدي
٢٦٢	البحري	٢	مُسْعِد
٣٧٠	(امرؤ القيس أو غيره)	١	لأنقعد
١٣٤	(ابن الخياط)	٢	يعدي
١٣٠	أبو تمام	١	الرغد
٦٧٤	(دريد بن الصمة)	١	في غد
١٢٠	أبو تمام	١	الفرقد
٢٩١	البحري	١	تُعقِد
٦٣١	(طرفة)	١	المتوقِّد
٧٢٤، ٢٨٣، ٢١٤	طرفة	١	مُخلِدي
٣٢٩	(العديل بن الفرخ)	١	صلِّد
٥٢٩	أبو تمام	١	عندي
٤٢٣	أبو تمام	١	الرُّهْد
٧٣	-	١	الجُود

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٦١١	أبو تمام	١	بالمودود
٤٦٩	البحري	١	الحقود
١٥١	البحري	٣	هود
١٢١	(النابعة)	١	مزود
٦٥٥	(أبو تمام)	١	البيد
٢٨٦	المتنبي	١	حديد
١٣١	أبو تمام	٢	جُدِدْهُ
١٦٣	البحري	٣	إرعاده
٤٨١	(الأعشى)	١	رُقَادِهَا
الراء			
٦١٥	(الكميت بن زيد)	١	صَابِرْ
١٩٩	العجاج	١	فَجَبَرْ
١٥٦	(خلف الأحمر أو غيره)	١	الْكِبَرْ
٦١٢	(امرؤ القيس)	١	أَجْرْ
٧٤٥	(الحسيل بن عرفة)	١	بالسَّرَرْ
٥٢١	طرفة	١	وضر
٨٨	-	٣	المُورْ
٦٤٢	المتنبي	١	البحارا
٤٩٦	رؤبة	٢	نزارا
١٨٠	الأعشى	١	عارا

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٣٨٧	امروء القيس والحارث اليشكري	٥	استعارا
٦٥٨	(أبوداود الإيادي)	١	نَارا
٥١١	(زفر بن الحارث)	١	أصبرا
٣٥٦	(زميل بن أبيرو أو غيره)	١	خيبرا
٤٦٨	(سالم بن وابصة)	١	عذرا
١٧٨	الفرزدق	١	مُسْكُرا
١٧٤، ١٥١	(ذو الرمة)	١	القمرأ
٧١٥	ذو الرمة	١	صُورا
٣٤٧	(أبو بكر الخالدي)	١	طَيرا
٦٨١، ٣١٢	المتنبي	١	فَتَكُرُه
١٣٥	الخنساء	١	إدبارُ
٥٩٠	(أبو حنبل الطائي)	١	جارُ
٦٢٤	(يزيد السكوني)	١	جارُ
٤٢٩	(مهلهل)	١	الفراؤ
٥٣٨	المتنبي	١	الفراؤ
٣٥٩	بشار	١	قِصارُ
٥٠٦	(الخنساء)	١	نارُ
٥٥٤	(جميل)	٢	خبرُ
٥٥٥	ابن أحمر	١	زَبَرُ
٢٨٥	أبو تمام	١	قَبَرُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
١٠١	ذو الرمة	٢	يَكْبُرُ
٣٧٧	حسان	٢	مَفْخَرُ
١٠٣	(ذو الرمة)	١	الْجَاذِرُ
٤٤٤	البحري	١	أَعْتَذِرُ
٤٨٠	(ذو الرمة)	١	جَازِرُ
١٧٦	ذو الرمة	١	نَزَّرُ
٤٨٦	-	١	البَصْرُ
٣٢٣	الفرزدق	٢	مَضِرُ
١٤٤	(امراة من عقيل أو غيرها)	١	الأْبَاعُرُ
٣٩٣، ١١٨	أعشى باهلة	١	الرُّفْرُ
٨٠	البحري	٢	يُسْفَرُ
١٧٩	(الأخطل)	١	الظَّفَرُ
٨٧	(الأعشى أو غيره)	٢	عَامِرُ
٥٥٨	أبو نواس	١	الخَمْرُ
٢٥٥	أبو تمام	١	السُّمْرُ
١٧٠	المتنبي	١	القَمْرُ
٦٥٤	(عبيد الله بن عبد الله بن عتبة)	١	سُرُورُ
٣٤٣	(ضائي البرجمي)	١	كَبِيرُ
٤٢١، ٣٤٧	(ابن أبي دبال أو غيره)	١	قَصِيرُ
٧٧	(مالك بن زغبة)	١	صَدُورُهَا

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القافية
٤٢٩	-	١	جارٍ
١٤٩	أبو تمام	١	الإضرارِ
٦٢٠، ١١٥	(الخنساء)	١	أطمارِ
١٦٩	(القتال الكلابي)	١	واري
٣٢٥	عامر بن الطفيل	١	مُدبرِ
٦٢٨	(دريد بن الصمة)	١	الصَبْرِ
٣٥٥	(مسلم بن الوليد)	١	القبرِ
١٠٨	(المرار)	١	مُقترِ
٢٩٢	(الخرنق)	٢	الجُزْرِ
٧٦٣، ٣٣٨	البحثري	١	تتكسّرِ
١٩٨	العباس بن الأحنف	١	سَطَرِ
١٧٧	أبو النجم	١	شعري
٣٧٤	(الراعي)	١	عامرِ
١٥٦	(أبو نخيلة)	٢	الدهرِ
٢٧٠	-	١	النَّسورِ
٣٧٦	أبو نواس	١	نَفَرِه
١٩٧	-	٢	اشتهارها
الزاي			
١٢١		١	المُنَقَّرِ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
السين			
٣٠٠	(غيلان بن حريث)	١	العطامسا
٣٩١	(العباس بن مرداس)	١	القوائسا
٥٦٠	أبو تمام	١	قاسي
٣١٦	المتنبي	١	مفتريس
٥٥١	-	١	ننسي
٨٠٤	(أوس بن حجر أو غيره)	١	بالأمس
الصاد			
٧٨٣	-	١	خميص
١٢٠	-	٢	تُعفص
الضاد			
١٦٥	(قيس بن جروة)	١	المضائض
٧٨٥	(رؤبة)	١	أباحض
الطاء			
٧٨٨	-	١	قط
٣٩٥	-	١	أقط
١٧٥	-	٢	اختلط
٤٢٠	(نقادة الأسدي)	١	التقاطا
العين			
٦٠٦	(سويد بن أبي كاهل)	١	لم يظغ

الصفحة	القاتل	عدد الأبيات	القاية
٢٥٤	(جنادة بن عامر أو غيره)	١	استطاعا
٣٧٩	رؤية	١	الإصبع
٢٥٧	(الراعي)	١	فتسرعا
٥٥٥	شاتم الدهر	٢	مُسَلَّعا
٤١٢	البحثري	٣	يقعا
٣٠٤	(المرار أو غيره)	١	مِسْمَعا
٤٥٠	(مروان بن أبي حفصة)	١	مَظْمَعا
٦٠٩	أبونواس	١	معا
٥٤٩	(مالك بن حريم)	١	مَقْنَعا
٢٤١	(أبوداود الرؤاسي)	١	الرَّيْعَعا
١٣٩، ١١٩	أبوتمام	١	الصنائعُ
٢٠٩	أبوتمام	٢	ومَرَبُعُ
١٨١	(الفرزدق)	١	المرتُعُ
٥٥٨	أبوتمام	١	مُضاجِعُ
٢٩٧	المتنبي	١	أنتَجُ
٩٧	المتنبي	١	ترجع
٤٩١	-	١	تَرَجِعُوا
٦١٣	(البراء بن ربيعي أو غيره)	٢	لَمَفَجَّعُ
٣٩٦	أبوتمام	١	مُتَرَعُ
٢٤٥	(جدير البجلي أو غيره)	٢	يأقَرُعُ

الفاية	عدد الأبيات	القائل	الصفحة
يَجَزَعُ	١	أبو تمام	٧٥٥
لَا يُرَضُّعُ	١	(أبو ذؤيب)	٥٦٧
ولا يَضَعُ	١	المتنبي	٢٩٤، ١٦٧
يَقْطَعُ	١	البحري	٤٣٢، ٢٨٠
يَقَّعُ	١	زهير	٧٥٩
الأَصْلَعُ	١	(حميد الأمجي)	٧٤٧
مَوْلَعُ	١	(أبو يعقوب إسحاق الخريمي)	٤٠٥
الهوامعُ	٢	البحري	٢١٤
تدمعُ	١	أبو تمام	٥٥٨
أصنع	٢	ابن المعتز	٢١٣
صَنَعُ	١	حسان	٦١٤
خِرْوَعُ	٢	البحري	٢٨٠
موضوعُ	١	البحري	٣١٢
بديعُ	٢	-	٢٦٨
الصديقُ	١	(عمرو بن معديكرب)	٦١٩
مَهْيَعُ	١	أبو تمام	٤٢٣
انصداعُها	١	(مسكين)	٦٥٤
لَا أُطِيعُها	١	(المجنون أو غيره)	٥٧٦، ٣٣٧
بالأصابع	١	-	٢٦٥
ساجعُ	١	(ذوالرمة)	١٢١

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القاية
٦٣٢، ١٣٨	(يزيد بن الحكم)	١	المضاجيع
٢٩٠	ابن المعتز	١	البدع
٣٣٨	(الحادرة)	١	ندعي
٣١٢	(الهذيل الأشجعي)	٢	أودع
٤٣٦	ذو الرمة	١	البلاقيع
٣٠٢	أبو تمام	٢	الخالع
٢٥٨	أبو تمام	١	الصانع
الفاء			
١٥٩	أبو تمام	١	شرفا
٣٢٢	أبو تمام	١	قُطُوفَا
٣٢٨	(جران العود)	١	يَعَجْرُفُ
٣٣٥	الفرزدق	١	أعرُفُ
٣٦٣	(عروة بن الورد)	١	المتخلفُ
٣٠٩	(قيس بن الخطيم أو غيره)	١	مختلفُ
١٠٧	(معقر بن حمار)	١	القروفُ
٧٥	ابن المعتز	٢	ضعيفُ
٩١	(عمارة بن عقيل)	١	الصّعائِفُ
٥٩٩	(عيسى بن فاتك)	١	عجافُ
٤٣١، ٢٩٧	(ليلي بنت طريف)	١	سيوفُ
٥٩٣	(الفرزدق)	١	الصياريف

الفاية	عدد الأبيات	القائل	الصفحة
الريف	١	-	١٨٦
القاف			
البراق	٥	البحثري	١٠٥
وَدُقْ	١	-	٣٩٥
المُخْتَرَقُ	١	رؤبة	٧٤٤ ، ٥٤٣ ، ٢٧٤
القَرَقُ	١	رؤبة	٢٣٧
الحَقَقُ	١	رؤبة	٧٤٤
الحَمَقُ	١	رؤبة	٥٤٣
حَقًّا	١	ابن المعتز	٢٦٨
عَشِيقًا	١	-	٢٢١
الرَّمَقَا	١	ابن المعتز	٢١٨
آيَقَهُ	٣	ابن المعتز	٣٩٠
الخلانقُ	١	جميل	٥٣٤ ، ٢١٣
تَسْتَبِقُ	١	(جؤية بن النضر)	٢٨٩
مُوثِقُ	١	(جعفر بن علبة)	٤٧٥
تَشْرِقُ	١	جعفر بن علبة	٢٧٠
مَشْرِقُ	١	ذو الرمة	٨٩
منطلقُ	١	(جؤية بن النضر أو غيره)	٢٨٩
تَعْلَقُ	١	البحثري	٢٢٢
وَامِقُ	٢	(جميل)	٢١٣

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القاية
٧٥	(جعفر بن علبة)	١	تَرْهَقْ
٨٠٣	-	١	صَدِيقُ
٣٠٣، ٩١	(ابن الدمينة)	١	بَنَائِقُهُ
٦٤٨	(الراعي)	١	فَاتِقُهُ
٣٣٠	البحري	١	رَيْقُهُ
٦٢١	المتنبي	١	الْخَلَائِقِ
٢٢٢	البحري	١	فَاعْشَقِ
٦٠١	المتنبي	١	الْفَيَالِقِ
٦٢٢، ١٩٠	عبد بني الحساس	١	الْخُلُقِ
٦٠٥	(والبة بن الحباب)	١	عَبَوْقِ
الكاف			
٣٣٤	المتنبي	١	لَتَعْجَبُكَ
١٣٤	أبو تمام	١	صَلَّتْكَ
٧٣٣	البحري	٤	عَقِيدُكَ
٦٦٣	-	١	ذَلِكَ
٢١٥	(الأعشى)	١	لِسَوَائِكَ
٧٣٣	أبو الأسود الدؤلي	١	هُنَالِكَ
٦٨١، ٦٥٩	المتنبي	١	أَهْجُوكَا
٧٩٦	(الجماز البصري)	١	أَيَادِيكََا
١٤٨	أبو تمام	٢	مُؤَاشَكُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٥٤٥	أبو تمام	١	هَالِكُ
٣٤١	(تأبط شرًا)	١	المهالكِ
٦٣٨	(أبو الجهم أحمد بن سيف أو غيره)	١	المُلوكِ
اللام			
٣٠٥	-	١	الأَجَلُ
٦٥٣	-	١	فَنَزَلَ
٣٥٢	(لبيد)	١	كالعسلُ
١٤٨	(حجر بن خالد)	١	حَائِلًا
١٢٧	البحثري	١	غلائلا
٥٦٣	المتنبي	١	خالا
٧٥٠	المتنبي	١	الأَفْعَالَا
٢٣٨	ذو الرمة	١	يَلَالَا
٤٩٠	(ذو الرمة)	١	مالا
١٥٩	البحثري	١	مالا
٩٦	الأخطل	١	خيالا
١٠٠	المتنبي	١	الجبلا
٢٩٥، ١١١	المتنبي	١	رُحَلَا
٤٠٦	المتنبي	٢	بُخَلَا
٧٦٠	(عمرو بن شاس)	٢	عُزَلَا
١٠٢	المتنبي	١	مَظَلَا

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القافية
٣٠٨	(عمرون أبي ربيعة)	٢	الخلا
٢٣٦	-	٢	جَمَلَا
٥٠٢	(امرؤ القيس)	١	كاهلا
١٣٤	المتنبي	١	بخیلا
٧٨	(الراعي)	١	أفـيلا
٣٢٢، ١٢٠	البحري	٢	جليلا
٢٠٣	البحري	١	دليلا
٧٤٦، ٣١٧	(أبو الأسود)	١	قليلا
٧٨٧	-	٢	رَبْخَلَهْ
٦٦١	كثير	١	أذالها
٩٢	(الخنساء)	١	أوصالها
١٦٧	(كثير)	١	نِعالها
١٤٦	الخنساء	١	أَنْقَالَها
٦٦٢	الأعشى	١	نِعالها
٦٦٣	المتنبي	١	الشَّمائلُ
٤١٢	لبيد	١	الأوائِلُ
٢٦٨	البحري	١	آلُ
١٥٩، ١١٧	البحري	١	السَّوَالُ
١٤٢	المتنبي	١	أوصالُ
٥٦٩	المتنبي	١	عُقَالُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
٢٧٧	البحثري	١	قُبِلْ
٢٠١	ابن المعتز	١	يقبلُ
٢٨٥، ١٤٩	أبو تمام	١	ستقتلُ
٥٣٠	(الأعشى)	١	قُتِلْ
٤٢٣	(الأخطل)	١	تُقتلُ
٥٧٤	البحثري	١	مَراجِلُ
١٤٢	المتنبي	١	بُخلُوا
٧٨	البحثري	١	الغزل
٥٦٩	المتنبي	١	الباسلُ
٤٩٨	المتنبي	١	المفاصلُ
٤٧٨	المتنبي	١	تَصِلُ
٢١٨	البحثري	١	تَصِلُ
٣٩٣	أبو فراس	١	باطلُ
٨٠٤	(الأعشى)	١	يَنْتَعِلُ
١٩٠	البحثري	١	مُشْعَلُ
٢٩٨	أبو تمام	٢	فعلوا
٦١٧	(كعب بن زهير)	١	أفعلُ
٣٢٨	(النمر بن تولب)	١	يفعل
١٢٥	البحثري	١	قَفَلُ
١٩٧	(زهير)	١	والثقلُ

الصفحة	القائل	عدد الآبيات	القافية
٨٥	البحري	٢	العقل
٢٧٨	البحري	١	موكّل
٢٠٩	أبو تمام	١	موكّل
٦٦٠	المتنبي	١	الزلل
٦٥٠	المتنبي	١	مُشْتَمِلُ
١٥٠	أبو تمام	١	الجَمَلُ
٢٧٢	أبو تمام	٣	الهَمَلُ
٢١٨	(الأعشى)	١	نَهَلُوا
٦٥٠	(عبد الملك الحارثي أو غيره)	١	نزول
٥٨٢	المتنبي	٢	يطول
٣٤٥	(ابن الطرية)	١	أقول
٣٤١	(عبد الملك الحارثي أو غيره)	١	سَلَوُ
٢٥٤	عبد الملك الحارثي أو غيره	١	فُلُو
٢٧٢	البحري	٣	أَوَّلُ
٣٩٣	البحري	١	قتيل
٣٧٠	(عبد بن الطيب)	١	تحليل
٣٩٩، ٧٣	(المقنع الكندي)	١	قليل
٤٤٥	(عبد الملك الحارثي أو غيره)	٢	كَلِيلُ
١٢٧	جرير	١	مِيلُ
٢١٠	(الأحوص)	١	لَأَمِيلُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٧١٦، ٣٢٧	أبو تمام (أو غيره)	١	سائله
٣٤٢	(ضائب البرجمي أو غيره)	١	قائله
٦٤٠، ٣٤٣	(ضائب البرجمي)	١	نائله
١٣٢	أبو تمام	١	نائله
٢٦١	-	١	أوائله
٤٢١	جرير	١	باطله
٧٩٠	-	١	نوافله
١٣٢	أبو تمام	١	أمله
٦٢٦	البحثري	١	حامله
١٤١	أبو تمام	٢	أنامله
٧٩	(الأخطل)	١	حليلها
٦٧٧	كثير	٢	ينيلها
٢٠٤	(النابعة)	١	ذائل
٣٦٧	أبو تمام	١	سائل
٥٦٠	أبو تمام	١	الشَّمَال
٢٦١	(تميم بن مقبل)	١	الأمثال
٥٦٥	المتنبي	١	مُحال
٣٠٦	(لبيد)	١	الدَّخَال
٥٦٥	المتنبي	١	الغزالي
٤٠١	امرؤ القيس	١	صال

الصفحة	القائل	عدد الأبيات	القافية
٧٦	البحري	١	الوصال
٣٧٣	-	١	الأكفال
٥٩٤	-	١	الصَّقال
١٣٧	(أمية بن أبي الصلت)	١	العقال
٢٧٧	-	١	إجلال
٥٢٨	(لييد)	١	هلال
١٢٣	أبو تمام	٢	جمال
٦٠٥	امرؤ القيس	٢	المال
٢٦٦	(مسكين)	١	الدوالي
٣٠٢	البحري	١	المُقْبِل
٢٢٠	(جامع بن مرخية)	١	المُتَقَبِّل
١٦١	(عمرو بن كلثوم)	١	القتل
٣٨٩	(عبد الرحمن بن حسان)	١	بالأَرْجَلِ
٨٠٥	المتنبي	١	بلا رَجَلِ
٢١٢	المتنبي	١	النَّخْلِ
٣٥١	البحري	١	البازِلِ
١٦٧	البحري	١	الأعزل
٤٦٣	(جويرة بن بدر)	١	ولا عُزَلِ
٣٥٠	أبو تمام	١	بالْعَزَلِ
٤٤٠، ٢٧٠	(أبو النجم)	١	نهشل

الصفحة	القائل	عدد الأبيات	القافية
٥٦٣	أبو تمام	١	مَفْصِل
٧٤٧	(النجاشي الحارثي)	١	فَضْل
٦٣٠	(جابر بن حيان)	١	فَعْلِي
١٦٧	البحثري	١	من عَل
١٧٢	البحثري	١	المَقْفَل
٣٠١	(العجاج)	١	أَظْلَل
٥٦٨	(الكروس)	١	أَمِل
٤٤١	(عامر بن الطفيل)	١	خامِل
٢٧٣	امرؤ القيس	١	فَأَجْمَلِي
٤٧٠	العجاج	١	المُرْمِل
٦٢٤	(أبو الهندي أو غيره)	١	أَهْلِي
٦٩٣	المتنبي	١	الكاهِل
٢٧٣	امرؤ القيس	١	فحومِل
٤٧٧	المتنبي	١	الجدول
٧٤٨	-	٢	بِشْكُول
٢٢٠	(الكميت بن زيد)	١	الجَهول
٣٢٩	امرؤ القيس	١	معول
٣٠٠	البحثري	١	للأصيل
٧٥٦	عتي بن مالك	١	بِجْمِيل
٨٠	ابن المعتز	٢	جمالِه

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
الميم			
٤١٥	(الأعشى)	٢	تَرم
٥٢١	(الأعشى)	١	عُصْم
٢٤٢	-	٢	التَّهَم
٢٨٥	أبو تمام	١	انسجما
٤٤٢	(الحصين بن الحمام)	١	أَتَقَدَّمَا
٣٧٢	(الحصين بن الحمام)	١	الدَّما
٥٢١	-	١	الدَّما
١٦٩	-	١	ودَّما
١٥٩	المتنبي	١	محرمًا
٤٢٥	(شقرا أو غيره)	١	وأكرما
١٩٣	أبو تمام	١	وأكرما
٢٩٣	أبو تمام	١	تَجَشُّمًا
١٥٧	المتنبي	١	مُتَعَزِّمًا
٤٠٩	(الطماح العقيلي)	١	خُتَعَمًا
٦٠٥	حاتم	١	ومَطْلَعَمًا
١٣٢	أبو تمام	٢	منعما
١٦٤	(البحثري)	٢	فَعَمَّمَا
٢٢٨	-	١	أَسْرَاهِمَا
٧٠٤	(ال شماخ)	١	ظَلَّلَاهُمَا

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
١٦٥	المتنبي	١	توهّما
٥٩٧	أبو تمام	٦	سَموما
٢٩١	(ليلي الأُخيلية)	١	زَعِيما
٢٤٧	(محمد الحري)	١	فنائِمُ
٣٨٣	المتنبي	١	يلتَنَمُ
٢٣٣	(زياد بن حمل أو غيره)	١	والسَّامُ
١٣٠	المتنبي	١	الغَرامُ
١٨٣	أبو تمام	٣	الأجسامُ
٢٦٨	(عبيد الله العلوي)	١	الإسلامُ
٦٦٩	(الأحوص)	١	السَّلامُ
٢١٦	المتنبي	١	الكلامُ
٢٢٩	المتنبي	١	الخيَامُ
٨٠٢	(أبوفراس)	١	الْحَذِمُ
١١٨	أبو تمام	١	المكارمُ
٥٣١	-	١	يُسْتَهَزَمُ
٢٧٧	الفرزدق (أو غيره)	١	يبتسمُ
١٤١	المتنبي	١	ينقسمُ
٦٦٠	أبوفراس	١	تَلَطُّمُ
٥٥٧	أبو تمام	١	راغِمُ
٤٦٣	المتنبي	١	سقمُ

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٢٣٢	(المؤمل بن أميل)	٢	علقمُ
٤١٤	(الحارث بن خالد المخزومي)	١	ظُمُ
١٢٨	المتنبي	١	سَلَمُوا
١٣٣	المتنبي	١	تَتَعَلَّمُ
٧٩١	(زهير)	١	صَمَمُ
١٢٥	المتنبي	١	الهِمَمُ
٤٧٦	-	١	أَدَهُمُ
٣٩٧	أبو الشيص	١	منهُمُ
٢٢٧	المتنبي	١	تَتَوَهَّمُ
٩٢	علقمة الفحل	١	عَلُكُومُ
٢١١	أبو الشيص	١	اللُومُ
٦٣١	(أمامة)	١	يلومُ
٧٥٥	(محمد العتيبي)	١	مَدْمُومُ
٩١	المتنبي	٢	ديمُ
٤٨٩، ١٦٢، ١٠٣، ٨٤	(كثير أو غيره)	١	قديمُ
٢٥٩	زهير	١	والديمُ
٤٢٢	(واقد بن الغطريف)	١	لَسَقِيمُ
٣٧٦	(أمية بن أبي الصلت)	١	مقيمُ
٥٨٨	المتنبي	١	كاتِمَةُ
٢٠٥	المتنبي	١	مكارمُه

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٦٤٠، ٣٧٥	(الحطيئة أو غيره)	٢	يظلمه
٢٦٠	ليبيد	١	فرجامها
١٨٤	البحثري	٢	قائم
١٢٧	المتنبي	٢	لثام
١٨٢	البحثري	١	الآجام
٣٤٠	(قطري بن الفجاءة)	١	لجامي
٤٥٣، ٣٤٠	(قطري بن الفجاءة)	١	الإقدام
١٦٤	المتنبي	١	حرام
٢١٦	المتنبي	١	بابتسام
٢٨٦، ١٢٧	المتنبي	١	المُقام
٤٧٥، ١٢٦	المتنبي	١	الجِمام
٦٣١	(مهلهل)	١	سنام
١٣٥	البحثري	٢	حاتم
٨٨	(الحماني أو غيره)	٢	تَيْثُم
٩١	المتنبي	١	لحمي
٣٧٢	عنتره	١	تَحْمُحُم
٣٢٥	عنتره	١	مَقْدَمِي
٥٠١	(القتال الكلابي)	١	مَنْدَم
١٩١	(سالم بن وابصة)	١	الكرم
٦٤٨	المتنبي	١	التبْسُم

الصفحة	القاتل	عدد الآيات	القاية
٢١٩	-	١	بالقضم
٣٢٤	الفرزدق	٢	العَظْم
٤١٦	عنتره	١	المطعم
٧٦٨، ٧٤٥	(الخنجر الأسدي)	١	ضيغم
٥٨٤	المتنبي	١	ألم
٧٤٣	(ذو الرمة)	١	سالم
٤٢٧	(حريث بن عئاب)	١	ظالم
٧٨٨	(النابعة الجعدي)	١	المُتَظَلِّم
٣٢٣	الفرزدق	١	بالظلم
٣٣٦	-	١	تَكَلَّمَ
٢٣٦	عنتره	١	مُكَلِّمِي
٣٠١	(غيلان بن حريث)	١	يَحَامِم
١٧٠	المتنبي	١	سُمِّي
٥٠١	(الحارث بن وعله)	٢	سَهْمِي
٥٦٧	(أبو الفتح البستي)	٢	ذَيْم
٣٥٤	ابن المعتز	٢	سَقِيم
النون			
٤٩٢	(عدي بن زيد)	١	بِدَدَنْ
٥٦١	(قريط بن أنيف)	١	وحدانا
٢٢٥، ٩٢	جرير	١	إِنْسانا / أركاننا

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
٧٦٤	-	٢	كانا
٤١٣	(زياد بن واصل)	١	بالأَيِّنا
٢٤٣	عمرو بن كلثوم	١	الجبينا
٢٥٣	بشامة النهشلي	١	أيدينا
٢٥٣	(بشامة النهشلي)	١	بأيدينا
٤٢٩	(ابن مقبل)	١	يُصَلِّينا
١٨٣	(عبد الشارق الجهني)	١	علينا
٤٢٣	المعلوط السعدي	١	حيينا
١٨٩	امرؤ القيس	١	غُرَانُ
٥٤٥	أدهم الطائي	١	حبونها
١٠١	الطرماح	١	حائن
١٦٧	البحثري	١	البيان
١٢٦	(سوار بن المضرب)	١	جان
٢١٠	البحثري	٢	هجران
٤٠٤	المتنبي	١	الإنسان
٦٢٦	المتنبي	٢	الجمعان
٧٦٤	(مسلم بن الوليد)	١	مُخْتَلِفَانِ
١٨٦	الفرزدق (أو غيره)	٢	الأذقان
٧٩٨	المتنبي	١	مَكَانِ
١٤٤	ابن ملحمة	١	ترجمان

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية
٢١٧	(سواربن المضرب)	١	زماي
٩٣	(أبو الشيص)	١	خشنان
١٣٤	البحثري	١	أغناني
٢٦٢	البحثري	١	شَجِن
٧٠٥	(النابعة)	٢	إِنِّي
٨٥	ابن المعتز	٢	بالدُون
١٥٨	(أبو الغول الطهوي)	١	الجنون
٢٦٤	(المثقب العبدى)	١	الحزين
٤٠٥	(كشاجم)	١	العين
٩٣	(أبو الغول الطهوي)	١	بِلِين
الهاء			
٥٥٥	المتنبى	١	إحداها
٩٠	(القحيف العقيلي)	١	رضاها
٣٢٤ ، ٢٤٦	(العباس بن مرداس)	١	سواها
١٨١	البحثري	٢	مُجْريها
١٦٣	أبونواس	١	فيها
١٦٠	المتنبى	٢	أفواهُ
٧٠٠	-	٢	ذَووهُ
٨٣	(رؤبة)	٢	أُسْبَبُهُ
١٥٣	(رؤبة)	١	مهمه

الصفحة	القائل	عدد الآيات	القاية
الياء			
٥٧٩	(الصلتان العبدى)	١	بقي
٧٣٥، ٥١٨	زهير (أو غيره)	١	جائيا
٧٣٥	عبد بنى الحساس	٥	ورائيا
٣٢٠	(المستوغر أو غيره)	١	العظايا
٣٦٠	المتنبى	١	باكيا
٢٤٨	المتنبى	١	البواكيا
١٥٦١٤٤، ١٠٧	المتنبى	١	فانيا
١٨٣	(عبد يغوث الحارثي)	١	يمانيا
٦٢٥	المتنبى	١	التساويا
٩٣	(ابن ميادة)	٢	جلذيا
٧٤٤	-	٢	للذّي
[أنصاف وأجزاء لم أقف على تمامها]			
٦٠٤	والموت حزنان ينظر		
٢٥٢	ولم أخف من أن يكون على الجمام جمام		
٣٤١	ويعجبنا مس الجراح جلودنا		
٩٩	يطوين أجواز الفلا		

فهرس الأعلام

الصفحة	العَلَم
١٢٠	أبا جعفر
٤١٣	إبراهيم عليه السلام
	ابْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ = علي بن محمد
	ابْنُ أَبِي موسى = بلال
٥٥٨ ، ٥٥٥	ابن أحمر
١٧١	ابن إسحاق التنوخي
	ابن السكيت = يعقوب
٣١٠	ابن العميد
٢٦٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٢١٣ ، ٢٠١ ، ٨٥ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٥٨٨ ، ٨٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٨٧ ، ٣٤٥ ، ٢٩٠ ، ٢٦٩	ابن المعتز
٥٨٨ ، ٤٧٦ ، ٤٦٩ ، ٤٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٣٤ ، ٢٣٤ ، ٩٨ ، ٧٥٠ ، ٦٤٠	ابن جَيّ / أبو الفتح
٧٣٣	ابنَ حَمْدُون بن إسماعيل
٥٨٨ ، ٢٤٨	ابن حنزابة
٧٨٧	ابنُ دريد
٥٥٦	ابن رميلة
٦٤٢	ابنُ سعيد
٣١١	ابن عباس رضي الله عنهما
٦١٩	ابن قيس الرقيّات

العلم	الصفحة
ابن قيس	٥٦٨
ابن ليلى = عبد العزيز بن مروان	
ابن محمّد	١٤٤
ابن مضقلة البكريّ	٢١٠
ابن همام	٤٠٩
أبو إسحاق الزجاج	٤١٣، ٣٢٦
أبو الأسود	٧٣٣
أبو الحسن (الأخفش)	٨٣، ١١٣، ١١٤، ١٢٠، ١٢١، ١٨٩، ٢٧٢، ٣٩٤، ٥٢٣، ٥٤٣، ٥٥٠، ٦٣٥، ٧٣٢
أبو الحسين = محمد بن عبيدالله العلوي	
أبو الشيص	٢١١
أبو العباس المبرد	٨٣، ٣١١، ٣١٨، ٣٧٧
أبو العشائر	٧٧٥
أبو النّجم	١٧٧
أبو الهذيل	٧١٩
أبو أيّوب	٧١٢
أبو بكر الخوارزمي	٤٩٨، ٥١٣
أبو بكر العلاف	٣٨٦
أبو بكر بن رائق	٧٤١
أبو بكر [قبيلة]	٤٩٧

العلم	الصفحة
أبوتمام	١٤٢، ١٣٩، ١٣١، ١٢٩، ١٢٣، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ٧٨، ١٨٣، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٨٤، ٣٢٢، ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٤٢، ٤٥٤، ٥٩٧، ٧٣٦
أبوجعفر = المتوكل	
أبو حاتم السجستاني	٤٣٩
أبو حنيفة	٧٨٥، ٣٨٢، ٢٢٧
أبو خارجة	٥٩٢
أبودلف	٣٨١
أبوذويب	٤٧١، ٣٢١، ١٦٢
أبوزيد	٤٧٢، ١٦٩، ٩٠
أبوسعيد الصامتي	١٣٢
أبوسعيد المخيمري	٦٩٢
أبوشجاع = عضد الدولة	
أبوشريح	٣٨٧
أبوعبيد = المرزباني	
أبوعبيدة	٥٧٤، ٢٨٠
أبو عثمان الجاحظ	٥٢٦
أبو عثمان المازني	٦٣١، ٤١٤، ٣٢٠، ٢٥٤، ١٧٥
أبو علي الأوراجي = هارون	
أبو علي الفارسي	٨٣، ١٢٢، ١٥٣، ٢٤٢، ٣٧٦، ٣٩٤، ٤٩٢، ٥٢٣، ٧٥٠، ٧٣٢

العلم	الصفحة
أبو عمرو [ابن العلاء]	٣١٨
أبو عيسى	٤٠٧
أبو فراس	٦٦٠، ٣٩٣
أبو محمد [ابن طغج]	٧٧٧
أبو نُعيم	٤٢١
أبو نواس	٦٠٩، ٥٥٨، ٣٧٦، ٢٥٦، ١٦٣
أبو يوسف	٧٨٥، ٢٢٧
أُبَيْلَى	٨٣
أحمد بن يحيى	٤٧٦
الأحنف	١٤٧
الأخطل	٥٥٢، ٩٦
إسحاق	٤١٣
إسماعيل	٤١٣
الأصمعي	١٥٦، ١٠١
أعشى باهلة	١١٨
الأعشى	٦٦٢، ٥٩٢، ٣٣٢
أقرع بن حابس	٢٤٥
آل المهلب	٣٥٦
آل سيار	٣٥٠
آل هاشم	٣٧٧

العلم	الصفحة
أُمُ الخیارِ	٢٣٦
أُمُ جُنْدُب	٥٢٩
أُمُ سالم	٧٤٣
امرؤ القيس	١٨٩، ٢٧٣، ٣٧٥، ٣٨٧، ٥٩٢، ٦٠٥
أُميم	٥٠١
أُميمة	١١٣
بجَاوة	٢٣٤
البحثري	٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٥، ٩٧، ١٠٥، ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣، ١٤٥، ١٦٣، ١٧٢، ١٩٢، ٢١٤، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٧٧، ٣٠٠، ٣٥٧، ٣٩٦، ٤١٢، ٤٦٩، ٧٣٣، ٦٢٦،
بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي	٣٣٠
البربر	٢٣٤
بشار	١٢٤، ٣٥٩
البعيث	٥٥٢
بقراط	٤٧٨
بكر	٦٣١، ٤٩٧
بلال بن أبي بردة (ابن أبي سليمان)	٢٣٨
بنو أباض	٧٨٥
بنو حنيفة	١١٣

العلم	الصفحة
بَنُو ذُهَلٍ	٦٣٥
بنو صَرِيحٍ	٣٥٥
بنو عَبَسٍ	٥٧٤
بنو عَجَل = عَجَل	
بنو عَوْفٍ	١٨٩
بنو قُحَافَةٍ	٣٢٦
بنو قَشِيرٍ	٩٠
بَنُو مَجْدٍ	٥٢٨
بني النطاح	٦٥١، ٦٣٥
تَأْبَطَ شَرًّا	٢٣١
تَغْلِب	٦٣١، ٥٦٥
تميم / بنو تميم	٣٧٤، ٣٢٤
جالينوس	٦٧٩
جرير	٣٢٣، ٢٥٩، ٩٢
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه	٣٧٧
حاتم الطائي	٦٠٥، ٣١٧، ١٣٥
الحارث بن حلزة اليشكري	٣٨٧
الحجاج	١٨٩
حسان رضي الله عنه	٦١٣، ٣٧٧، ١١٢
الحسن بن وهب	١٥٤
الحسين بن علي	٢٧٧

العلم	الصفحة
حَفْص	٤٨٦
حُمَيْدٌ	٧٤٧
حَوَّاءُ	٤١٩، ١٦٩
خلفُ الأحمر	٣١٧
الخليل	٥٤٣، ٣٨٢، ٧٤
الخنساء	١٤٦، ١١٥
حَوَّلَة	٥٥٠
داود عليه السلام	٢٠٤
دعبل	٧٥٧
الدُّمُسْتُقُ	٥٣٩، ٥٣٣، ٥١٦
الذهبي	٦٨٩
ذو الرِّمَّة	٥٣٥، ٢٣٨، ٨٩
الرَّيَّابِ	٩٦
ركن الدولة	٦٧٢
رؤبة	٣٧٩
الرُّوم	٧٣٩، ٥٩٩، ٥٣٩، ٤٣٩، ٤٣٨
الزنج	٣١٥
زهير	٧٥٩، ٧٣٥، ٢٥٩
زيد الخيل رضي الله عنه	١٣٥
السَّامِرِيُّ	٢٣١
سُرَّاقَة	٢٥١

العلم	الصفحة
سلمى	٧٧
سُليْكُ	٩٧
سُليم	٢٠٤
سليمان بن عبد الملك	١٦٠
سليمان عليه السلام	٢٠٤
سُليَمَى	٣٩٧
سَمْعَان	٤٢٩
سيار بن مكرم	٥٦٦، ٣٣٥
سيبويه	٣٨٢
سيف الدولة	١٩٦، ٤٠٨، ٤٤٩، ٤٦٣، ٤٨٣، ٤٨٧، ٥٠٤، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٧٠، ٧٣٧
شاتم الدهر	٥٥٥
الشافعي	٥٥٦، ٣٨٢
شَيْبُ	٦٩٤
الصاحب	٢٩٩، ٥١٣، ٧٣٣
صخر	٥٠٦
صَيْحَ	٢٣٨
الصَّبَاب	٤٩٧
ضَبّة بن يزيد الصَّبِيّ	٦٩٥
طاهر بن الحسين العلوي	٣٥٨، ٣٦٦
طرفة	٢٨٣

العلم	الصفحة
الطرماح	١٠١
طبي	٦٩٠
عامر بن الطفيل	٣٢٥
عامر	٣٧٨، ٣٧٤
العباس بن الأحنف	٤٨٥، ١٩٨
عباس بن مرداس	٣٢٥
عبد العزيز بن مروان (ابن أبي ليلى)	٦٧٧
عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني	٨٠٦، ٧٣، ٧١
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما	٦١٠
عبد الله بن المبارك	٢٣٦
عبد الله بن جعفر	٣١١
عبد الملك بن مروان	٦٦١، ٦١٩، ٣٢٤، ١٦٠
عبد بني الحسحاس	٧٣٥، ٦٢٢، ١٩٠
عبد الله	٤٧٠
عثمان رضي الله عنه	٣٤٣
العجاج	٤٧٠
عجل / بنو عجل	٢٩١، ٢٧١
عداء	٧٥٦
عزة	٦٨٤، ٦٧٢، ٨٣، ٤٨٩، ١٦٢، ١٠٣، ٨٤
عضد الدولة	٦٨٤، ٦٧٢، ٨٣
علو	٢١٨

الصفحة	العَلَم
٣٣٥	علي بن محمد بن سيار
٣١٧، ٣٠٠	علي بن منصور الحاجب
٣٧٧، ٣٧٣	عليّ رضي الله عنه
٣١٨	عُمارة بن عقيل
٤٢٩، ١٢٧	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٢٣	عمر بن لجأ
٣٢٥	عمرو بن الإطنابة
٢٤٣	عمرو بن كلثوم
٣٢٤، ١٧٧	عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه
٤١٦، ٣٧٢، ٣٢٥، ٢٣٦	عنتر بن شدّاد
٣١٧	عيسى بن عمر
٥٣٩، ٣٥٧	عيسى بن مريم عليه السلام
١٤٢	فاتك
٥٧٤	فاطمة بنت الخُرشب
٣٦٩	الفاطميّون
٥٥٢، ٣٣٥، ٣٢٣، ٢٧٧، ١٨٥، ١٧٨	الفرزدق
١٨١	فزارة
٥٥٠	الفضل بن حباب
٥٦٢، ٥٥٤، ١٠٢	القاضي أبو الحسن الجرجاني

العلم	الصفحة
قتادة	٥٥٢
القراطة	٥١١
قُرحان [اسم كلب]	٣٤٣
قُريش	٧٩٧
قُريط	٤٩٧
قُطرب	٧٤٤
قيس بن الخطيم	٣٢٥
قيس بن عاصم	٣١١
قيس	٥٠٤
كافور	٦٠٨ ، ٥٨٠ ، ٥٢٣ ، ٤١١ ، ٣٨٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٣ ، ٦٢٣ ،
كاهل	٥٠٢
كُثير	٧٣٢ ، ٦٦١
كلاب / بنو كلاب	٥١١ ، ٥٠٥ ، ٤٨٧
لبيد رضي الله عنه	٤١٢ ، ٢٦٠
لؤي بن غالب	٧٩٨
ليلى	٥٧٦ ، ٣٣٧
مالك [قبيلة]	٤٤٠ ، ٣٩٩
المأمون	١٤٤

العلم	الصفحة
المانوية	٦١٦
المتوكل	١٨١
المجنون	٥٧٦
مجوس	٣٨٧
محمد بن إسحاق التنوخي	٢٥١
مُحمَّد بن عبيد الله العلوي (أبا الحسين)	٧٧٨
محمَّد بن عليّ	١٦٧
المرار بن سعيد	١٠٢
المرزباني = أبو عبيد	٤١٥
مروة	٣٠٨
مريم	٦٩٦
مزيّد	٤٤٣
مُساوَر بن محمد الرومي	٧٥٧، ٧٤١
مسلمة	١٨١
مصعب	٦١٩
معاوية رضي الله عنه	٦٩٩
معد بن عدنان	٦٣٩
المعدّل بن غيلان	٥٥٠
المغيث بن علي بن بشر العجلي	٢٧١، ٢٥٩
منصور [الفقيه]	٧٦٢
الموفق	٣٨٨، ٣٨٦

العلم	الصفحة
مَيّ	٣٠٨
مِية	٣٠٨
نزار	٤٠٧
نصيب	٢٢٣، ١٦٠
النَّظَام	٧١٩
نُمير	٥٢٨
هارون، أبو علي الأرواجي	١٠٢
هُرَيْم	٧٣٢
هيثم	١٦٤
الوائق	٤١٤
وردان بن ربيعة	٦٩٠
يزيد بن المهلب	٤٤٣
يَعْرُبُ	٦٣٩
يعقوب بن السكيت	٤١٦، ٤١٤
يعقوب عليه السلام	٦٠١
يَمَاكُ	٤٠٠
يوسف عليه السلام	٦٠١

فهرس الأماكن

٨٠	أبرق الحزن
٣٨٨	أضاح
٢٤١	الأصارع
٢٤٢	أعكش
٧٤٧	أمج
٢٩٦، ٢٥٩	أنطاكية
٤٨٧	بالس
٢٤٠	بسيطة
٤١٥	البصرة
٥٣٢	بطن نخلة
٦٧٢، ٥٤٤، ٣٢١	بغداد
٢٣٩	البويرة
٢٣٨	تربان
١٩٧	التعانيق
٢٣٥	التيه
١٩٧	الثقل

٢٤٠	الجُراوِيّ
٣٢١	جرجان
٥٤٨	الجزيرة
٧٠٥	الجِفار
٢٤١	الجميحي
٦١٤	الحدالي
٢٣٩	جسُمي
٧٠٤	حَقْل الرُّخامِي
٧٤٣	حُلاجل
٥٥١، ٢٩٦، ٢٥٩	حلب
٧٣٢	حُمَّت
٧١٥	الْخَلْصاءُ
٧٤٠	الْخَلِيْجُ
٣١٠	دَجْلَة
٢٧٣	الدخول
١٠٥	دمشق
٢٤١	الدَّنا

٩٧	الدهناء
٦٦٩	ذاتِ عِرْقٍ
١٠٤	رضوى
٢٤٣	الرهيمة
٨٩	سابور
٤١٥، ٢١٣	سامراء = سرّ من رأى
٣٨٨	السّرّ
١٠١٧	السرر
٢٧٣	سقط اللوى
٧٤٠، ٧٣٧	سَمَنْدُو
٧٣٧	السَّنْبُوس
٥١٦، ٢٢٩	الشّام
٢٤٠	الشَّغُورُ
٢٤٠	صَوْرُ
٥١٦	طرسوس
٥٩٩	عَدَن

العذيب	٧٤٨
العراق	٥٩٩، ٥٥١، ٢٤٤، ٢٣٨
عُقْدَةُ الْجَوْفِ	٢٤٠
عُكَاز	٧٤٢، ٧٠٥
عِمُّ	٢٥٩
العواصم	٢٤٤، ٢٢٩
عُرْبُ	٦١٤
الكانسيّة	٣٠٨
كبد الوهاد	٢٣٩
ككبب = نجد ككبب	٥٣٢
الكفاف	٢٣٩
كَفْرِ عَاقِب	٣٦٥
لُبْنَان	١٠٤
اللُّقَان	٤٣٩
مَرْعَش	٤٤٧، ٤١٨
مرو	١٤٨

٦٩٠، ٥٩٩، ٢٤٧، ٢٤٤، ٢٣٣	مِصْر
٢٧٢	مَكَّة
٤٢٢	مُؤَيَّسِل
٥٤٤	مِيفَارِقِينَ
٥٣٢	نَجْد كَبْكَب
٥١١	نَجْد
٢٣٦	نَخْل
٧٤٣	النَّقَا
٢٣٦	النَّقَاب
٦٥٦	نَهْر الْخَصِيب
٥٩٩	النُّوب
٧٣٢	النِّيَاع
٢٤٩	الْهِنْد
٢٣٩	وَادِي الْعَصَى
٢٣٦	وَادِي الْقُرَى
٢٣٦	وَادِي الْمِيَاه

٩٦	واسط
١٦٠	ودان
٧٤٣	الوعساء

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الآثار الباقية عن القرون الخالية، لأبي الريحان البيروني، ليبز، ١٩٢٣ م.
- الإبدال، لابن السكّيت، تقديم وتحقيق الدكتور حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ.
- الإبل، للأصمعي، ضمن كتاب "الكنز اللغوي في اللّسن العربية" نشر وتعليق الدكتور أوغست هفن، مكتبة المتنبي، القاهرة، (بالأوفست).
- أبو تمام وأبو طيب في أدب المغاربة، للدكتور محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٩٨٦ م.
- أبو الطيب المتنبي، لبلاشير، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط (٢) ١٤٠٥ هـ.
- أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، للدكتور عبد الله الجبوري، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٧ م.
- أبو العتاهية: اشعاره وأخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، مكتبة الملاح، دمشق، ١٣٨٤ هـ.
- إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للبناء، تحقيق وتقديم الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤٠٧ هـ.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩ م.
- إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، المطبعة العثمانية المصرية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.
- الأخبار الموقّعات، للزيربين بكار، تحقيق الدكتور سامي العاني، عالم الكتب، بيروت، ط (٢)، ١٤١٦ هـ.

- أخبار النحويين، لأبي سعيد السيرافي، تحقيق الدكتور محمد البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط (١)، ١٤٠٥ هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للعلامة الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٢)، ١٤٠٥ هـ.
- الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ط (١) ١٣٣٢ هـ.
- الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، (د.ت).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط (١) ١٤١٢ هـ.
- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط (١) ١٤١٢ هـ.
- الأشباه والنظائر، للخالدين، حققه وعلق عليه الدكتور محمد السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- الأشباه والنظائر، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤٠٦ هـ.
- اشتقاق الأسماء، للأصمعي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤٠٠ هـ.
- أشعار النساء، للمرزباني، حققه الدكتور سامي العامي، وهلال ناجي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٣٩٦ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بالأوفست).

- إصلاح المنطق، لابن السكّيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٤) ١٩٨٧ م.
- الأصمعيّات، للأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٥) ١٩٧٩ م.
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط (٣) ١٤٠٨ هـ.
- الأضداد، للأنباري، تحقّي أحمد بن أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ.
- إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٧١ م.
- الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، بعناية الدكتور محمد ألتونجي، دار النفائس، بيروت، ط (١)، ١٤١٢ هـ.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤١٣ هـ.
- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (١٠) ١٩٩٢ م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (مصورة عن طبعة دار الكتب).
- الإقناع في العروض، للصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، المكتبة العلمية، بغداد، ١٣٧٩ هـ.
- الإكمال، لابن ماكولا، تصحيح عبد الرحمن اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٨١ هـ.

- ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه، لابن حبيب، ضمن كتاب "نوادير المخطوطات" الجزء الثاني، بتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، مصر، ط (٢) ١٣٩٣ هـ.
- أمالي ابن الشجري، تحقيق الدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخابني، القاهرة، ط (١) ١٤١٣ هـ.
- الأمالي، لأبي علي القالي، بتحقيق محمود عبد الجواد الأصمعي، مطبع دار المكتب المصرية، ١٩٢٦ م.
- أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط (٢) ١٤٠٧ م.
- أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- إنباه الرواة على أبناء النحاة، للقفطي، تحقيق محمود أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط (١) ١٤٠٦ هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، بعناية محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨٢ م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، بعناية محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٦) ١٩٨٠ م.
- الأيام ولليالي والشهور، للفرّاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢) ١٤٠٠ هـ.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٣ هـ.
- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٠٥ هـ.

- بُغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دمشق ١٤٠٨هـ.
- بغية الوعاة في الطبقات اللغويين النحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، (د.ت.).
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط (١) ١٤٠٧هـ.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي، بعناية محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.).
- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن الهاجس، لابن عبد البر، تحقيق محمد مرسي الخولي، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٦٥م.
- بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ضمن "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" حققها وعلق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، (د.ت.).
- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥م.
- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط (٥) ١٩٨٣هـ.
- التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية - الجزء الثاني) لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت.).
- تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، ترجمة الدكتور عرفة مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ.

- تاريخ جرجان، للسَّهْمِي، بعناية الدكتور محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، ط (٤) ١٤٠٧هـ (مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، ط (٢) ١٣٨٧هـ).
- تاريخ الرسل والملوك، للطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعارف، القاهرة، من ١٩٦٠-١٩٧٦ م.
- تاريخ النقد العربي عند العرب، من العصر الجاهلي إلي القرن الرابع الهجري، لطفه أحمد إبراهيم، دارالحكمة، بيروت، (د.ت).
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط (٢) ١٣٩٣هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق محمد البجاوي، مطبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- التبيان في شرح الديوان، المنسوب - خطأ - للعكبري، ضبطه وصححه ووضح فهارسه مصطفى السقا وزميلاه، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩١هـ.
- التَّمَّة في النحو، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور طارق نجم عبد الله، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- تَمَّة يتيمة الدهر، للشعالبي، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دارالكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- تجارب الأمم، لابن مسكويه، تصحيح أمد روز، شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٢ هـ.
- تحرير التجير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، تحقيق الدكتور إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٩٩٦م.
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية، للعبدي، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ١٩٨١م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.
- تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، لأبي المرشد المعري، تحقيق الدكتور مجاهد الصّوّاف، والدكتور محسن غياض، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار مصر للطباعة، ١٤٠٩هـ.
- تكملة تاريخ الطبري، للهمداني، ضمن "ذيول تاريخ الطبري" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٨٢م.
- التكملة وشرح الأبيات المشككة من ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي علي الصقلي، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم، دار عمّار للطباعة والنشر _ بدعم من الجامعة مؤته _ عمان (د.ت).
- تهذيب اللغة، للأزهري، حققه عبد السلام هارون وآخرون، القاهرة، من ١٩٦٤م إلى ١٩٧٥م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاکر وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٠٨ هـ.
- جمع الجواهر في الملح والنوادر، للحصري القيرواني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط (٢) د.ت.
- الجمل في النحو، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٠ هـ.
- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، تحقيق الدكتور محمد الهاشمي، دار القلم، دمشق، ط (٢) ١٤٠٦ هـ.
- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العري الحديثة، القاهرة، ط (١) ١٣٨٤ هـ.
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٥) ١٩٨٢ م.
- جمهرة رسائل العرب، لأحمد زكي صفوت، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، ط (٢) ١٣٩١ هـ.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق الدكتور رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (١) ١٩٨٧ م.
- جمهرة النسب، للكلبي، تحقيق الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤١٣ هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٣ هـ.
- الحارثي: حياته وشعره، جمع وتحقيق ودراسة زكي العاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م.
- حاشية الأمير على المغني، طبع مع المغني بمطبعة عيسى الباي الحلبي، القاهرة، (د.ت.).

- حاشية الصّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بمصر، (د.ت).
- الحجّة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، دار المأمون، دمشق، ط (١) ١٤٠٤هـ.
- الحماسة البصرية، لصدر الدين البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط (٣) ١٤٠٣هـ (مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤م).
- حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، لأبي محمد الزوزني، تحقيق محمد جبار المعيد، وزارة الثقافة والفنون العراقية، ١٩٧٨م.
- حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط (٢) د.ت.
- خاص الخاص، للثعالبي، قدم له حسن الأمين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦م.
- الخطريّات، لابن جني، تحقيق علي شاكّر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٠٨هـ.
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، من ١٤٠٣- إلى ١٤٠٩هـ.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٣٧٦هـ.
- خلق الإنسان، للأصمعي، ضمن كتاب "الكنز اللغوي في اللّسن العربي" نشر وتعليق الدكتور أوغست هفتر، مكتبة المتنبي، القاهرة (بالأوفست).
- الخيل، لأبي عبيدة، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، ط (٢) ١٤٠٢هـ.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكّر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.

- دُمية القصر وعُصرة أهل العصر، للباخرزي، تحقيق الدكتور محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ط (١) ١٤١٤ هـ.
- الديباج، لأبي عبيدة، تحقيق الدكتور عبد الله الجربوع والدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤١١ هـ.
- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي، ضمن كتاب "الطرائف الأدبية" جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، (بالأوفست).
- ديوان ابن الدمينة، تحقيق أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٧٩ هـ.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت وحلب، ١٤١٦ هـ.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة السكّري، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط (١) ١٩٧٤ م.
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- ديوان أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب "دراسات في الأدب العربي" لغوستاف فون قربناوم، زاد في تخريجه وتحقيقه الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٥٩ م.
- ديوان أبي الشَّيص الخزاعي، صنعة عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، ط (١) ١٤٠٤ هـ.
- ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق دُرّية الخطيب ولطفي الصقّال، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤١٠ هـ.
- ديوان أبي فراس الحمداني، عني بجمعه ونشره الدكتور سامي الدهّان، بيروت، ١٣٦٣ هـ.
- ديوان أبي النجم العجلي، صنعة علاء الدين آغا، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١ هـ.

- ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ديوان أشعار ابن المعتز، دراسة وتحقيق الدكتور محمد بديع شرف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٤) ١٩٨٤م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٧م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط (٣) ١٣٩٩هـ.
- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٧٨م.
- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
- ديوان بني بكري الجاهلية، جمع وتوثيق الدكتور عبد العزيز نبوي، دار الزهراء، القاهرة، ط (١) ١٤١٠هـ.
- ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق علي شاكردار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٤٠٤هـ.
- ديوان جران العود، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط (١) ١٣٥٠هـ.
- ديوان جرير بشرح ابن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان طه، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٦م.
- ديوان جميل، تحقيق الدكتور حسين نصّار، مكتبة مصر، ١٩٧٩م.
- ديوان حسان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، (د.ت) وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق الدكتور نعمان طه، مكتبة الخانجي، ط (١) ١٤٠٧هـ.
- ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د.ت).
- ديوان الخالدين، جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ديوان الخزقي، تحقيق الدكتور واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ديوان الخريمي، تحقيق علي جواد الطاهر، محمد جبار المعيب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.
- ديوان الخنساء بشرح ثعلب، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم، دار عمّار-بدعم من جامعة مؤتة -عمّان، ط (١) ١٤٠٩هـ.
- ديوان الخوارج، جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ديوان دعبل، جمعه وحققه الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ديوان ذي الرمة، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، ط (٣) ١٤١٤هـ.
- ديوان رؤبة، (مجموع أشعار العرب) بعناية وليم بن الورد، دار ابن قتيبة، الكويت، (بالأوفست عن طبعة ليبسك ١٩٠٣م).
- ديوان الراعي النميري، تحقيق راينهت فايبيرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٠١هـ.
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ (مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٩هـ).
- ديوان السموأل، بعناية عيسى سابا، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.

- ديوان الشافعي، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزُّعبي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة الزعبي، بيروت، ط (٤) ١٤٠٣هـ.
- ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٤١١هـ.
- ديوان شعر الحادرة، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط (٢) ١٤٠٠هـ.
- ديوان الشمّاخ، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ديوان الصمّة القشيري، تحقيق الدكتور عبد العزيز الفيصل، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ.
- ديوان طرفة بشرح الأعلام، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥هـ.
- ديوان الطرمّاح، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، وحلب، ط (٢) ١٤١٤هـ.
- ديوان عامر بن طفيل، تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، دار كنّان، دمشق، ١٤١٥هـ.
- ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٣هـ، وطبعة أخرى بشرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١) ١٤١٤هـ.
- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤١٢هـ.
- ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق الدكتور حسن باجودة، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٢هـ.

- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ.
- ديوان العجاج بشرح الأصمعي، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م، وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور عزة حسن، دارالشرق العربي، بيروت وحلب، ١٤١٦هـ.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعبيد، دارالجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ.
- ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦م.
- ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام، تحقيق لطفي الصقال، ودريّة الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ط (١) ١٣٨٩هـ.
- ديوان عمارة بن عقيل، جمعه شاعر العاشور، مطبعة البصرة، ط (١) ١٩٧٣م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، بشرح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، الكبرى، القاهرة، ط (٢) ١٣٨٠هـ.
- ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة الدكتور علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ط (١) ١٤١٢هـ.
- ديوان عنتر، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط (٢) ١٤٠٣هـ.
- ديوان الفرزدق، شرح وتصحيح عبد الله بن إسماعيل الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

- ديوان القتال الكلابي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨١هـ.
- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، ط (٢) ١٣٧٨هـ.
- ديوان كثير، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
- ديون كشاجم، تحقيق الدكتور النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤١٧هـ.
- ديوان كعب بن زهير بشرح السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٩هـ).
- ديوان ليلي الأخيلية، تحقيق خليل العطية، وجيل العطية، دار الجمهور، بغداد، ١٣٩٧هـ.
- ديوان المتلمس، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٣٦٣هـ.
- ديوان المتنبي، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ.
- ديوان المثقب العبدى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٣٩١م.
- ديوان المجنون، (قيس بن الملوّح) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر ١٩٧٩م.
- ديوان مسكين الدرامي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري، و خليل العطية، دار البصري، بغداد، ١٣٨٩هـ.
- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ديوان مهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ.

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٨٥م.
- ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، للدكتور عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٣٧٥هـ.
- رائد الدراسة عن المتنبي، لكوركيس عواد وميخائيل عواد، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩م.
- رسائل أبي بكر الخوارزمي، تقديم الشيخ نسيب وهيبة الخازن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠م.
- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٣٩٩هـ.
- الرسالة الشافية، لعبد القاهر الجرجاني، ضمن كتاب " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " حققها وعلق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.).
- رسالة في قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء، لعبد الرحمن بن حسام زادة، تحقيق الدكتور محمد نجم، دار صادر، بيروت، ط (٢) ١٤١٣هـ.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط (٢) ١٤٠٥هـ.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للخوانساري، تحقيق أسد الله إسماعيليان، قم، ١٣٩٢هـ.
- زبدة الحلب من تاريخ حلب، لابن العديم، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، للدراسات العربية، دمشق، ١٣٧٠هـ.
- الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور نوري القيسي، مكتبة المنار، الأردن، ط (٢) ١٤٠٦هـ.

- سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني، صححه وعلق عليه محمد الخولي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط (٢) ١٤١٣هـ.
- سرّ الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، تحقيق علي فودة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٤١٤هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، من ١٤٠٨ - ١٤١٢هـ.
- سمط اللآلئ، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
- السموأل: أخباره والشعر المنسوب إليه، لمختار الغوث، ط (١) ١٤١٥هـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- سنن أبي داود (ومعه معالم السنن للخطابي) إعداد وتعليق عزّت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، حمص، ط (١) ١٣٩٣هـ.
- سنن الدارقطني، نشر عبد الله هاشم يمانى المدني، المدينة المنورة، ١٣٧٦هـ.
- السنن الكبرى، للبيهقي، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٤٤هـ.
- سنن النسائي، بشرح السيوطي وحاشية السندي، دار الريان للتراث، القاهرة، (د.ت.).
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

- شرح أبيات مغني اللبيب، للبغدادى، تحقيق عبد العزيز رباح ويوسف الدقّاق دار المأمون للتراث، دمشق، ط (١) ١٣٩٣هـ.
- شرح أشعار الهذليين، للسكري، تحقيق عبد الستار فراج، دار العروبة، القاهرة، ط (١) ١٣٨٤هـ.
- شرح حماسة أبي تمام، للأعلم الشنتمري، تحقيق الدكتور علي المفضل حمودان، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ودار الفكر، دمشق وبغروت، ط (١) ١٤١٣هـ.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي "معجز أحمد" المنسوب لأبي العلاء المعري، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٤١٣هـ.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، للواحدى، بعناية فريد رخ ديترصى، برلين، ١٨٦١م.
- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقى، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط (٢) ١٣٨٧هـ.
- شرح ديوان زهير، لثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد) تحقيق الدكتور سامى الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٥م.
- شرح ديوان لبيد، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط (٢) ١٩٨٤م.
- شرح ديوان المتنبي، لأبى اليمّن الكندى، تحقيق الدكتور عبد الله بن صالح الفلاح، رسالة دكتوراه بقسم الأدب والبلاغة فى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤١٥هـ.
- شرح ديوان المتنبي، للبرقوقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- شرح شعر المتنبي، لابن الإفلىلى، تحقيق الدكتور مصطفى عىان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤١٢هـ.

- شرح شواهد الإيضاح، لابن بري، تحقيق الدكتور عيد درويش، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
- شرح شواهد المغني، للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٦هـ.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، للأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٤) ١٤٠٠هـ.
- شرح القصائد المشهورات، لابن النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- شرح مشكل أبيات المتنبي، لابن سيده، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ط (١) ١٩٧٧م.
- شرح مشكلات ديوان أبي تمام، للمرزوقي، تحقيق الدكتور عبد الله الجريوع، مكتبة التراث، مكة، ط (١) ١٤٠٧هـ.
- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت) (بالأوفست).
- شرح التلخيص، لجماعة من العلماء، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت).
- شعراء بني عُقيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى أواخر العصر الأموي، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد العزيز الفيصل، الرياض، ط (١) ١٤٠٨هـ.
- شعرا بن ميادة، تحقيق الدكتور حنا جميل حدّاد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٢هـ.
- شعر أبي العطاء السندي، جمع وتحقيق قاسم مهدي، م ٩/٢٤.
- شعر أبي نخيلة، جمع وتحقيق عباس توفيق، مجلة المورد، م ٧/٣٤.
- شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٤١١هـ.

- شعرا الأخطل، صنعه السكري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، وبيروت، ط (٤) ١٤١٦هـ.
- شعرا الأشهب بن رميلة، ضمن كتاب "شعراء أمويون - القسم الرابع" جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- شعربكر بن النطاح، جمع وتحقيق غازي النفّاش، مجلة المورد، م ٥ / ٣٤.
- شعربي عامر = المستدرك في شعربي عامر.
- شعرا الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مطبعة النعمان، النجف، ط (١) ١٣٩٢هـ.
- شعرا الحصين بن الحمام، جمع وترتيب مهدي جاسم، مجلة المورد م ١٧ / ٣٤.
- شعرا ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، صنعة الدكتور حسن أبو ياسين، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط (١) ١٤١٦هـ.
- شعرا طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق الدكتور وفاء فهمي السنديوني، دار العلوم، الرياض، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- شعرا عبد الله بن الزبير، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- شعرا عبد الله بن الزبير الأسدي، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٣٩٤هـ.
- شعرا عبد الرحمن بن حسان، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١م.
- شعرا العذيل بن الفرخ العجلي، ضمن كتاب "شعراء أمويون - القسم الأول"، جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٣٩٥هـ.

- شعر علي بن جبلة (العكوك)، تحقيق الدكتور حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٢م.
- شعر عمر بن لجأ التيمي، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط (٣) ١٤٠٣هـ.
- شعر عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق الدكتور حسين عطوان، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د - ت).
- شعر عمرو بن الإطنابة، جمع وتحقيق حميد آدم ثويني، مجلة المورد، م ١٤/ع ٢.
- شعر عمرو بن شأس الأسدي، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٩٦هـ.
- شعر عمرو بن معديكرب، جمعه ونسقه مطاع الطرايشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط (٢) ١٤٠٥هـ.
- شعر عوف القوفي، ضمن كتاب "شعراء أمويون - القسم الثالث" جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط (١) ١٤٠٢هـ.
- شعر الكميّ بن زيد الأسدي، جمع وتقديم الدكتور داود سلّوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.
- شعر المؤمل بن أميل، جمع وتحقيق الدكتور حنا حدّاد، مجلة المورد م ١٧/ع ١.
- شعر المزار الففّسي، ضمن كتاب "شعراء أمويين - القسم الثاني" جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٣٩٦ م.
- شعر مروان بن أبي حفصة، تحقيق الدكتور حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٢م.

- شعرا المقنّع الكندي، ضمن كتاب "شعراء أمويين _ القسم الرابع" جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- شعر منصور الفقيه، جمع وتحقيق الدكتور عبد المحسن القحطاني، دار القلم بيروت، ١٤٠١هـ.
- شعر النابغة الجعدي، تحقيق عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٤٨هـ.
- شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم الدكتور داود سلّوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م.
- شعر النمر بن تولب، ضمن كتاب "شعراء إسلاميون" جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط (٢) ١٤٠٥هـ.
- شعر يزيد بن الطثيرة، جمع وتحقيق، الدكتور ناصر الرشيد، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ط (١) ١٤٠٠هـ.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق الشيخ أحمد شار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الصاحب، لابن فارس، تحقيق السيد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- الصبح المنبي عن حثية المتنبي، للبديعي، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٩٤م.
- الصبح المنير في شعرا أبي بصير (الأعشى ميمون) والأعشى الآخرين، تحقيق رودلف جابر، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، ط (٢) ١٩٩٣م (بالأوفست عن طبعة قينا ١٩٢٧م).
- الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٣) ١٤٠٤هـ.

- صحيح البخاري = مع الفتح الباري.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
- الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ١٤٠٦هـ.
- صنعة الشعر، للسيرافي، تحقيق الدكتور جعفر ماجد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط (١) ١٩٩٥م.
- ضرورة الشعر، للسيرافي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت ط (١) ١٤٠٥هـ.
- طبقات الشافعية، للأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ١٣٩١هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٧٩م.
- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، قرأه، وشرحه محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- طبقات المفسرين، للماوردي، تحقيق علي بن محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٢هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٨٤م.

- طيف الخيال، للشريف المرتضى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط (١) ١٣٨١هـ.
- عالم اللغة (عبد القاهر الجرجاني) المفنن في العربية ونحوها، للدكتور البدر اوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط (٤) ١٩٨٧م.
- عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده، للدكتور أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط (١) ١٣٩٣هـ.
- عبد القاهر الجرجاني وجهوده البلاغية، للدكتور أحمد البدوي، مكتبة مصر، القاهرة، ط (١) ١٩٦٢م.
- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، لناصيف اليازجي، دار القلم، بيروت (بالأ و فست).
- عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط (٢) ١٩٨٣م.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ، (بالأ و فست).
- العمدة، لابن رشيق، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط (١) ١٤٠٨هـ.
- عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق الدكتور عبد العزيز المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٣٤٩هـ.
- عيون الأنباء في الطبقات الأدباء، لابن أبي أصيبعة، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- العيون الغامزة على خبايا الرامزة، للدمايني، تحقيق الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٤١٥هـ.

- غاية النهاية في طبقات القراء، للجزري، تحقيق براجستراسر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، لابن حجر، حققه وأخرجه جماعة من العلماء، المكتبة السلفية، القاهرة، ط (٣) ١٤٠٧هـ.
- الفتح على أبي الفتح، لابن فورجة، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط (٢) ١٩٨٧م.
- الفتح الوهي على مشكلات المتنبي، لابن جني، تحقيق الدكتور محسن غياض، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٣م.
- فرحة الأديب، للأسود الغندجاني، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني، دار قتيبة، دمشق، ط (١) ١٤٠١هـ.
- الفرق، لابن فارس، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط (١) ١٤٠٢هـ.
- الفرق بين الفرق، للبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبيح، القاهرة، (د.ت).
- الفُسر (شرح ديوان المتنبي) لابن جني، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧م، ١٩٨٨م.
- فعلت وأفعلت، لأبي حاتم، تحقيق الدكتور خليل عطية، البصرة، ١٩٧٩م.
- فعلت وأفعلت، للزجاج، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- فقه اللغة، للثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ.
- الفهرست، لابن نديم، بعناية إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط (١) ١٤١٥هـ.

- فوات الوفيات، لابن شاكركُتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ.
- قانون البلاغة، لأبي طاهر البغدادي، تحقيق الدكتور محسن غياض، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٢) ١٤٠٩هـ.
- القوافي، للأخفش، تحقيق الدكتور عزة حسن، وارة الثقافة، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٩٠هـ.
- الكافي في العروض والقوافي، للتبريزي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٣) ١٤١٥هـ.
- الكامل، للمبرد، تحقيق، الدكتور محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٢) ١٤١٣هـ.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ط (٦) ١٤١٥هـ.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٣) ١٤٠٨هـ.
- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٨م.
- كتاب السلاح، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٢) ١٤٠٥هـ.
- كتاب الشعر، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤٠٨هـ.
- كتاب في التصريف، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور محسن العميري، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط (١) ١٤٠٨هـ.

- الكشف، للزمخشري، دارالمعرفة، بيروت (د.ت) بالأوفست.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة، بعناية غوستاف فلوجل، دار صادر، بيروت، (بالأوفست عن طبعة لندن ١٨٤٢م).
- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، للصاحب بن عباد، ملحق بآخر كتاب "الإبانة" للعميدي، بتحقيق إبراهيم الدسوقي.
- اللامع العزيزي، لأبي العلاء المعري، تحقيق الدكتور عبد الله الفلاح، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- المؤلف والمختلف، للآمدي، بتحقيق عبد الستار فرّاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- المتنبي، لمحمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودارالمدني جدة، ١٤٠٧هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيد، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
- مجالس ثعلب، تحقيق، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٥) ١٩٨٧م.
- مجالس العلماء، للزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي الرياض، ط (٢) ١٤٠٣هـ.
- مجلّة (عالم الكتب) السعودية، الرياض (أعداد متفرقة).
- مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨م.
- مجموعة المعاني، لمؤلف مجهول، تحقيق عبد المعين الملوحي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط (١) ١٩٨٨م.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه، الرياض، ١٣٨١-١٣٨٣هـ.
- محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني، جمعية المعارف العمومية، القاهرة، ١٢٨٧هـ.
- المحتسب، لابن جني، تحقيق الدكتور عبد الحليم النجّار وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٦هـ.
- المحكم، لابن سيده، تحقيق مجموعة من الأساتذة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- مختصر في شواذّ القراءات، لابن خالويه، نشره براجستراسر، المطبعة الرحمانية، بمصر، ١٩٣٤م.
- مختصر القوافي، لابن جني، تحقيق الدكتور حسن فرهود، دار المعارف السعودية، الرياض، ط (٢) ١٣٩٧هـ.
- المخصّص، لابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٨هـ).
- المذكر والمؤنث، لأبي حاتم، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت وحلب، (د.ت).
- المذكر والمؤنث، للفراء، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م.
- مرآة الجنان، لليافعي، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد، ط (١) ١٣٨٨هـ.
- المرصّع، لمجد الدين بن الأثير، تحقيق الدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤١٢هـ.
- المسائل الحليّات، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور حسن هنداي، دار القلم (دمشق) ودار المنارة (بيروت) ط (١) ١٤٠٧هـ.

- المسائل العسكرية، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.).
- المستدرك في شعر بني عامر من الجاهلية حتى أواخر العصر الأموي، جمع وتحقيق الدكتور عبد الرحمن الوصيفي، النادي الأدبي، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ.
- المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢) ١٣٩٧هـ (بالأوفست عن الطبعة الهندية).
- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط (٥) ١٤٠٥هـ.
- مسند الشهاب القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط (٣) ١٤٠٥هـ.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق ياسين السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، ط (٢) د.ت.
- المصباح في النحو، للمطرزي، تحقيق مقبول النعمة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط (١) ١٤١٤هـ.
- المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
- المعارف، لابن قتيبة، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط (٤) ١٩٨١م.
- معاني أبيات الحماسة، للنمري، تحقيق الدكتور عبد الله عسيلان، مطبعة المدني، القاهرة، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ.

- معاني القرآن، للفرّاء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط (٢) ١٩٨٠م (بالأوفست عن طبعة دار الكتب).
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق الكتور عبد الجليل شلي، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٤١٤هـ.
- المعاني الكبير، لابن قتيبة، تحقيق كرنكو، وعبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- معاهد التنصيص، لعبد الرحيم العباسي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٦٧هـ.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط (١) ١٩٩٣م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٠هـ.
- المعجم الجغرافي، (شمال المملكة) للعلامة حمد الجاسر، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٧هـ.
- معجم الشعراء، للمرزباني، تصحيح كرنكو، دار الجليل، بيروت، ط (١) ١٤١١هـ.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط (٣) ١٤٠٣هـ (بالأوفست عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر).
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، للدكتور محمد سمير اللبدي، مؤسسة الرسالة، (بيروت) ودار الفرقان (عمّان) ط (١) ١٤٠٥هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت ط (١) ١٤١١هـ.

- المعجم الوسيط، وضعه إبراهيم مصطفى وزملاؤه، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، للعيّني، طبع بهامش "خزانة الأدب" طبعة بولاق ١٢٩٩هـ.
- المعرّب، للجواليقي، تحقيق الدكتور ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق وبيروت، ط (١) ١٤١٠هـ.
- المعيار في أوزان الأشعار، لابن السراج الشنتريني، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، المكتب الإسلامي، ط (١) ١٤٠٦هـ.
- المغني، لابن قدامة، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، وعبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط (١) ١٤٠٦هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق الدكتور مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط (٥) ١٩٧٩م.
- المفتاح في الصرف، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١) ١٤٠٧هـ.
- مفتاح السعادة، لأحمد بن مصطفى (طاش كبري زادة) مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت) ط (١) ١٤١٢هـ.
- المفصّليّات، للمفصّل الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط (٦) ١٩٧٩م.
- المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها (كيل - وزن - مقياس) منذ عهد الرسول ﷺ، وتقويمها بالمعاصر، لمحمد نجم الدين الكردي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

- المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١) ١٤٠٥هـ.
- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام - دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط (١) ١٣٨٥هـ.
- المقصور والمدود، لابن ولّاد، عني بتصحيحه بدر الدين النعساني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٢) ١٤١٣هـ.
- الملل والنحل، للشهرستاني، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٠هـ.
- من اسمه عمرو من الشعراء، لابن الجراح، تحقيق الدكتور عبد العزيز المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤١٢هـ.
- المنتظم، لابن الجوزي، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.
- المنصف في شرح التصريف، لابن جني، تحقيق، إبراهيم، مصطفى وعبد الله أمين، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، ط (١) ١٣٧٣هـ.
- المنصف للسارق والمسروق منه، لابن وكيع، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٤١٢هـ.
- المنقوص والممدود، للفرّاء تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٧م.
- المنهل الصافي، لابن تغري بردي، تحقيق الدكتور محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، (الجزء الأول والثاني) دار المعارف، القاهرة، ط (٤) ١٩٩٢م. و(الجزء الثالث بقسميه) بتحقيق الدكتور عبد الله أحمد محارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١) ١٤١٠هـ.
- الموشح، للمرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة. (د.ت).
- نثر الدرّ، للآبي، تحقيق محمد علي قرنة وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، من ١٩٨١م إلى ١٩٩٠.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٢م).
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباري، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط (٣) ١٤٠٥هـ.
- نسب قريش، لمصعب الزيري، تصحيح ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٢م.
- نضرة الإغريض في نصرة القريض، للمظفر العلوي، تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن، دار صادر بيروت، ط (٢) ١٤١٦هـ.
- النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام، لابن المستوفي الإربلي، مخطوط، الجزء الأول في مكتبة بلدية سوهاج، برقم (١٣٥ أدب) والجزء الثاني في مكتبة بني جامع في إستانبول برقم (١٠١٥).
- نظرية المعنى في النقد العربي، للدكتور مصطفى ناصف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- النقائض (نقائض جرير والفرزدق) لأبي عبيدة، بعناية المستشرق بيضان، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٥م.
- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٣) ١٣٩٨هـ.

- نَكَّت الهَمِيَان في نَكَّت العمِيَان، للصفدي، بعناية أحمد زكي باشا، المطبعة الجمالية، بمصر، ١٣٢٩هـ.
- النهاية في عريب الحديث والأثر، لمجد الدين بن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي، الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، بتحقيق سعيد الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨١م.
- نور القبس، لليغموري، تحقيق رودلف زلهائم، قسبادن، ١٣٨٤هـ.
- هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغداد، مكتبة المثنى، بغداد، (بالأوفست عن طبعة إستانبول ١٩٥١م).
- همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط (١) ١٣٩٤هـ.
- الواضح في مشكلات شعر المتنبي، لأبي القاسم الأصفهاني، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، بعناية س. ديدرينغ، فرانشتاينر-قيسبان، ١٣٩٢هـ.
- الوحشيات (الحماسة الصغرى) لأبي تمام، تحقيق عبد العزيز الميمني، وزاد في حواشيه محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٧م.
- الورقة، لابن الجراح، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، وعبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ط (٣) ١٩٨٦م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت (د.ت).
- وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع، لابن دريد، تحقيق عز الدين التنوخي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.

- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- يتيمة الدهر، للشعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٥هـ.



نبذة عن الكتاب

هذا أحد الشُّروح المتقدِّمة لديوان أبي الطَّيِّب المتنبي؛ شاعرِ العربيَّة العَبْقَرِيّ؛ الَّذي ملأ الدُّنيا وشَغَلَ النَّاسَ. أمَّا الشَّارِحُ فهو أبو بكر عبدُ القاهر ابنُ عبد الرَّحْمَنِ الجُرْجَانِي المتوفَّى (عام ٤٧١ هـ) إمامٌ عبْقَرِيٌّ في الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ والبلاغِيَّةِ. كَتَبَ هذا الشَّرْحَ لِيُسَهِّمَ في تَقْرِيبِ شِعْرِ المتنبيِّ، وتفسيرِ غوامِضِهِ، وتجليَةِ إبداعاتِهِ وإشراقَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ.

اتَّكَأ عبدُ القاهرِ في هذا الشَّرْحِ على بسطِ الظَّواهرِ النَّحْوِيَّةِ في شِعْرِ المتنبيِّ، معَ الاستعانةِ بطائفةٍ كبيرةٍ من شواهِدِ الشَّعْرِ، وسُنَنِ العَرَبِ، وقوانينِ اللُّغَةِ، وأسرارِ البيانِ، وما أَدَاهُ إِلَيْهِ فَهْمُهُ وذَوْقُهُ، معَ مناقشةٍ لأقوالِ الشَّرَّاحِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ، كُلُّ ذَلِكَ لِيَحْتَجَّ لِلْمَتْنَبِيِّ، وَيُشْهَرَ إبداعَهُ، وَيَدُلَّ على تَمَيُّزِهِ. على أَنَّهُ قد يُخَالِفُ المتنبيَّ أحياناً!

مِنْ حُسْنِ الحِطِّ أَنَّ ما وَصَّلْنَا مِنْ هذا الشَّرْحِ هو أوَّلُهُ وصدْرُهُ؛ إذ تَبَيَّنَ فِيهِ مَرَامِي الشَّارِحِ، ومنهجُهُ، وقوَّةُ عَمَلِهِ فِيهِ؛ كأَوْفَرِ ما يَكُونُ. ونرجو اللهَ تَعَالَى أَنْ يُيسِّرَ الحُصُولَ على تَمَامِ هذا السَّفَرِ يَوْماً ما.

هذه الطبعة
إهداء من المجمع
ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

